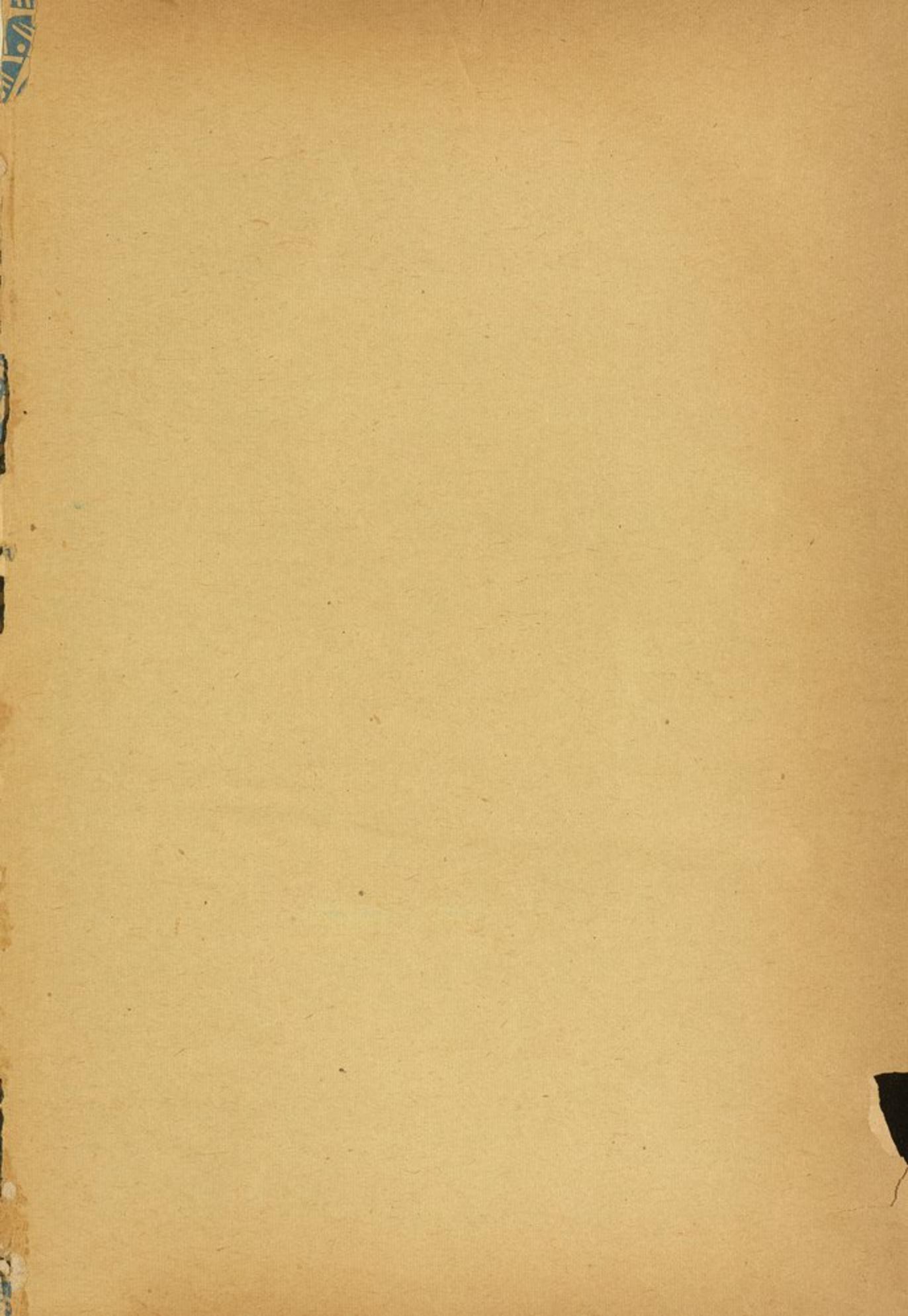


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







(٢)
٢٧١

الْبَيْدَانِيَّةُ وَالنَّهْيَانِيَّةُ

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثالث المكيمة

ALIBULOO
VTRETVIPIII
VIAAELI

مطبعة السخاذه بجوار محافظة بصر

893.712

Ab 91

v. 13-14

45-39141

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى .
استهلّت هذه السنة وهو في غاية الصحة والسلامة ، وخرج هو وأخوه العادل إلى الصيد شرقي
دمشق ، وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه أنه بعد ما يفرغ من أمر الفرنج يسير هو إلى بلاد الروم ،
ويبعث أخاه إلى بغداد ، فاذا فرغا من شأنهما سارا جميعاً إلى بلاد آذربيجان ، بلاد المعجم ، فانه
ليس دونها أحد يمانع عنها ، فلما قدم الحجيج في يوم الاثنين حادي عشر صفر خرج السلطان
لتلقيهم ، وكان معه ابن أخيه سيف الاسلام ، صاحب البن ، فأكرمه والتزمه ، وعاد إلى القلعة فدخلها
من باب الجديد ، فسكان ذلك الخبر بما روي في هذه الدنيا ، ثم إنه اعتراه حمى صفاوية ليلة السبت
سادس عشر صفر ، فلما أظنّ في تيمّنه بالفاصل وابن شداد وابنه الأفضل ، فأخذ يشكو
إليهم كثرة قلقه البارحة فمطّنت له بالليل في وطال مجلسهم عنده ، ثم تزايد به المرض واستمر ،
وقصده الأطباء في اليوم الرابع ، ثم اعتراه يبس وحصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض ، ثم
قوى اليبس فأحضر الأمراء الأكابر فبويع لولده الأفضل نور الدين علي ، وكان نائباً على دمشق ،
وذلك عند ما ظهرت مخايل المصّف الشديد ، وغيبوبة الذهن في بعض الأوقات ، وكان الذين
يدخلون عليه في هذه الحال الفاضل وابن شداد وقاضي البلد ابن الزكي ، ثم اشتد به الحال ليلة
الأربعاء السابع والعشرين من صفر ، واستدعى الشيخ أبا جعفر إمام الكلاسة ليبيت عنده يقرأ

القرآن ويلقنه الشهادة إذا جد به الأمر ، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في الغمرات فقرأ (هو الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) فقال : وهو كذلك صحيح . فلما أذن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو في آخر رمق ، فلما قرأ القارئ (لا إله إلا هو عليه توكلت) تبسم وتهلل وجهه وأسلم روحه إلى ربه سبحانه ، ومات رحمه الله ، وأكرم مثواه ، وجعل جنات الفردوس مأواه ، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة ، لأنه ولد بتكريت في شهر ربيع الثاني سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله ، فقد كان ردها للإسلام وحرزا وكفما من كيد الكفرة اللثام ، وذلك بتوفيق الله له ، وكان أهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه ، وود كل منهم لو فداه بأولاده وأحبابه وأصحابه ، وقد غلقت الأسواق واحتفظ على الحواصل ، ثم أخذوا في تجهيزه ، وحضر جميع أولاده وأهله ، وكان الذي تولى غسله خطيب البلد الفقيه الدولي ، وكان الذي أحضر الكفن ومؤنة التجهيز القاضي الفاضل من صلب ماله الحلال ، وهذا وأولاده الكبار والصغار يتباكون وينادون ، وأخذ الناس في العويل والانتحاب والدعاء له والابتهاال ، ثم أبرز جسمه في نعشه في تابوت بعد صلاة الظهر ، وأم الناس عليه القاضي ابن الزكي ثم دفن في داره بالقلمعة المنصورة ، ثم شرع ابنه في بناء تربة له ومدرسة للشافعية بالقرب من مسجد القدم ، لوصيته بذلك قديماً ، فلم يكمل بناؤها ، وذلك حين قدم ولده العزيز وكان محاصراً لأخيه الأفضل كما سيأتي بيانه ، في سنة تسعين وخمسمائة ، ثم اشترى له الأفضل داراً شمالي الكلاسة في وزان مازاده القاضي الفاضل في الكلاسة ، فجعلها تربة ، هطلت سحائب الرحمة عليها ، ووصلت أطفاف الرأفة إليها . وكان نقله إليها في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين ، وصلى عليه تحت النسر قاضي القضاة محمد بن علي القرايبي ابن الزكي ، عن إذن الأفضل ، ودخل في لحده ولده الأفضل فدفنه بنفسه ، وهو يومئذ سلطان الشام ، ويقال إنه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد ، وذلك عن أمر القاضي الفاضل ، وتفاءلوا بأنه يكون معه يوم القيامة يتوكأ عليه ، حتى يدخل الجنة إن شاء الله . ثم عمل عزاءه بالجامع الأموي ثلاثة أيام ، يحضره الخالص والعام ، والرعية والحكام ، وقد عمل الشعراء فيه مراني كثيرة من أحسنها ما عمله العماد الكاتب في آخر كتابه البرق السامي ، وهي مائتا بيت واثنتان ، وقد سردها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين ، منها قوله :

شمل الهدى والملك عم شتاته * والدهر ساء وأقلعت حسناته
 أين الذي مذ لم يزل مخشية * مرجوة رهباته وهباته ؟
 أين الذي كانت له طاعاتنا * مبدولة ولربه طاعاته ؟
 بالله أين الناصر الملك الذي * لله خالصة صفت نيته ؟
 أين الذي ما زال سلطانا لنا * يرجى نداءه وتنتقى سطواته ؟

أين الذي شرف الزمان بفضله * وسمت على الفضلاء تشريفاته ؟
 أين الذي عنت الفرنج لبأسه * ذلاً ، ومنها أدركت ثاراته ؟
 أغلال أعناق العدا أسيافه * أطواق أجياد الورى مناته
 من للعلى من للذرى من للهدى * يحميه ؟ من للبأس من للنازل ؟
 طلب البقاء للملكه فى آجل * إذ لم يثق ببقاء ملك عاجل
 بجر أعاد البر بجرأ بره * وبسيفه فتحت بلاد الساحل
 من كان أهل الحق فى أيامه * وبعزه يردون أهل الباطل
 وفتوحه والقدس من أبكارها * أبقت له فضلاً بغير مساجل
 ما كنت أستسقى لقبرك وابلا * ورأيت جودك مخجلاً للوابل
 فسقك رضوان الاله لأنى * لا أرتضى سقيا الغمام الهاطل

﴿ ذكر تركته وشىء من ترجمته ﴾

قال العماد وغيره : لم يترك فى خزانته من الذهب سوى جرم واحد - أى دينار واحد - صورياً
 وستة وثلاثين درهماً . وقال غيره : سبعة وأربعين درهماً ، ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا
 بستاناً ، ولا شيئاً من أنواع الأملاك . هذا وله من الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة ، وتوفى
 له فى حياته غيرهم ، والذين تأخروا بعده ستة عشر ذكراً أكبرهم الملك الأفضل نور الدين على ، ولد
 بمصر سنة خمس وستين ليلة عيد الفطر ، ثم العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ولد بمصر أيضاً فى
 جمادى الأولى سنة سبع وستين ، ثم الظاهر مظفر الدين أبو العباس الخضر ، ولد بمصر فى شعبان
 سنة ثمان وستين ، وهو شقيق الأفضل ، ثم الظاهر غياث الدين أبو منصور غازى ، ولد بمصر فى
 نصف رمضان سنة ثمان وستين ، ثم العزيز فتح الدين أبو يعقوب إسحاق ، ولد بدمشق فى ربيع الأول
 سنة سبعين . ثم نجم الدين أبو الفتح مسعود ، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين ، وهو شقيق العزيز ، ثم
 الأغر شرف الدين أبو يوسف يعقوب ، ولد بمصر سنة ثنتين وسبعين ، وهو شقيق العزيز أيضاً ، ثم الزاهر
 مجير الدين أبو سليمان داود ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين ، وهو شقيق الظاهر ، ثم أبو الفضل قطب
 الدين موسى ، وهو شقيق الأفضل ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين أيضاً ، ثم لقب بالمظفر أيضاً ، ثم
 الأشرف معز الدين أبو عبد الله محمد ، ولد بالشام سنة خمس وسبعين ، ثم المحسن ظهير الدين أبو
 العباس أحمد ولد بمصر سنة سبع وسبعين ، وهو شقيق الذى قبله ، ثم المعظم نجر الدين أبو منصور
 توران شاه ولد بمصر فى ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، وتأخرت وفاته إلى سنة ثمان وخمسين وستائة ،
 ثم الجوال ركن الدين أبو سعيد أيوب ولد سنة ثمان وسبعين ، وهو شقيق للمعز ، ثم الغالب نصير

الدين أبو الفتح ملك شاه ، ولد في رجب سنة ثمان وسبعين وهو شقيق المعظم ، ثم المنصور أبو بكر أخو المعظم لأبويه ، ولد بجران بعد وفاة السلطان ، ثم عماد الدين شادي لأم ولد ، ونصير الدين مروان لأم ولد أيضاً . وأما البنت فهي مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن الامداد أبي بكر ابن أيوب رحمهم الله تعالى .

وإنما لم يخلف أموالاً ولا أملاً كالجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم ، حتى إلى أعدائه ، وقد تقدم من ذلك ما يكفي ، وقد كان متقللاً في ملبسه ، ومأكله ومركبه ، وكان لا يلبس إلا القطن والسكتان والصوف ، ولا يعرف أنه تخطى إلى مكروه ، ولا سبها بعد أن أنعم الله عليه بالملك ، بل كان همه الأكبر ومقصده الأعظم نصرة الاسلام ، وكسر أعدائه اللثام ، وكان يعمل رأيه في ذلك وحده ، ومع من يثق به ليلاً ونهاراً ، وهذا مع ما لديه من الفضائل والفواضل ، والفوائد الفرائد ، في اللغة والأدب وأيام الناس ، حتى قيل إنه كان يحفظ الحماسة بتامها ، وكان مواظباً على الصلوات في أوقاتها في الجماعة ، يقال إنه لم تغته الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل ، حتى ولا في مرض موته ، كان يدخل الامام فيصلى به ، فكان يتجشم القيام مع ضعفه ، وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمناظرة ، ويشارك في ذلك مشاركة قريبة حسنة ، وإن لم يكن بالعبارة المصطلح عليها ، وكان قد جمع له القطب النيسابوري عقيدة فكان يحفظها ويحفظها من عقل من أولاده ، وكان يحب سماع القرآن والحديث والعلم ، ومواظب على سماع الحديث ، حتى أنه يسمع في بعض مصافحه جزء وهو بين الصفيين فكان يتبع جميع بذلك ويقول : هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً ، وكان ذلك بإشارة العاد الكاتب . وكان رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث ، وكان كثير التعظيم لشرائع الدين . كان قد صحب ولده الظاهر وهو بحلب شاب يقال له الشهاب السهر وردى ، وكان يعرف الكيمياء وشيئاً من الشعبة والأبواب النيرنجيات ، فافتتن به ولد السلطان الظاهر ، وقر به وأحبه ، وخالف فيه حملة الشرع ، فكتب إليه أن يقتله لا محالة ، فصلبه عن أمر والده وشهره ، ويقال بل حبسه بين حيطين حتى مات كذا ، وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان من أشجع الناس وأقوام بدنا وقلباً ، مع ما كان يمتري جسمه من الأمراض والأسقام ، ولا سيما في حصار عكا ، فانه كان مع كثرة جموعهم وأمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة ، وقد بلغت جموعهم خمسمائة ألف مقاتل ، ويقال ستمائة ألف ، قتل منهم مائة ألف مقاتل .

ولما انفصل الحرب وتسلموا عكا وقتلوا من كان بها من المسلمين وساروا برمتهم إلى القدس جعل يسائرهم منزلة منزلة ، وجيوشهم أضعاف أضعاف من معه ، ومع هذا نصره الله وخذلهم ، وسبقتهم إلى القدس فصانه وحماه منهم ، ولم يزل يجيشه مقياً به يرهبهم ويرعبهم ويقلبهم ويسلبهم حتى تضرعوا إليه

وخضعوا لديه ، ودخلوا عليه في الصلح ، وأن تضع الحرب أوزارها بينهم وبينه ، فأجابهم إلى ما سألوا على الوجه الذي أراه ، لا على ما يريدونه ، وكان ذلك من جملة الرحمة التي رحم الله بها المؤمنين ، فإنه ما انقضت تلك السنون حتى ملك البلاد أخوه العادل فمز به المسلمون وذل به الكافرون ، وكان سخياً جيبياً ضحوك الوجه كثير البشر ، لا يتضجر من خير يفعله ، شديد المصابرة على الخيرات والطاعات ، فرحمه الله [وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة طرفاً صالحاً من سيرته وأيامه ، وعدله في سيرته وعلايته ، وأحكامه .

فصل (١)

وكان قد قسم البلاد بين أولاده ، فالديار المصرية لولده العزيز عماد الدين أبي الفتح ، ودمشق وما حولها لولده الأفضل نور الدين علي ، وهو أكبر أولاده ، والمملكة الحلبية لولده الظاهر غازي غياث الدين ، ولاخيه العادل الكرك والشوبك وبلاد جعبر وبلدان كثيرة قاطع الفرات ، وحماء ومعاملة أخرى معها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن أخي السلطان ، وحصص والرحبة وغيرها لأسد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، نجم الدين أخي أبيه نجم الدين أيوب . واليمن بمعاقله ومخاليفه جميعه في قبضة السلطان ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين ابن أيوب ، أخي السلطان صلاح الدين ، وبمملك وأعمالها للإمام بهرام شاه بن فروخ شاه ، وبصرى وأعمالها للظاهر بن الناصر . ثم شرعت الأمور بعد موت صلاح الدين تضطرب وتختلف في جميع هذه الممالك ، حتى آل الأمر واستقرت الممالك واجتمعت الكلمة على الملك العادل أبي بكر صلاح الدين ، وصارت المملكة في أولاده كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى .

وفيها جدد الخليفة الناصر لدين الله خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد ، ونقل إليها ألوفاً من الكتب الحسنة المثمرة وفي المحرم منها جرت ببغداد كائنة غريبة وهي أن ابنة لرجل من التجار في الطحين عشقت غلاماً أبيها فلما علم أبوها بأمرها طرد الغلام من داره فواعدته البنث ذات ليلة أن يأتيها فجاء إليها مختفياً فتركته في بعض الدار ، فلما جاء أبوها في أثناء الليل أمرته فنزل فقتله ، وأممرته بقتل أمها وهي حبلى ، وأعطته الجارية حلياً بقيمة ألفي دينار ، فأصبح أمره عند الشرطة فسك وقتل قبحه الله ، وقد كان سيده من خيار الناس وأكثرهم صدقة وبراً ، وكان شاباً وضيء الوجه رحمه الله . وفيها درس بالمدرسة الجديدة عند قبر معروف الكرخي الشيخ أبو علي التوياني وحضر عنده القضاة والأعيان ، وعمل بها دعوة حافلة .

ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ﴾

ابن شاذى ، وقد تقدمت وفاته مبسوطة ،

﴿ والأ مير بكنمر صاحب خلاط ﴾

قتل في هذه السنة ، وكان من خيار الملوك وأشعجهم وأحسنهم سيرة رحمه الله .

﴿ والآتابك عز الدين مسعود ﴾

ابن مودود بن زنكي ، صاحب الموصل نحواً من ثلاث عشرة سنة ، من خيار الملوك ، كان بنسبه نور الدين الشهيد عمه ، ودفن بثرته عند مدرسة أنشأها بالموصل أتاه الله .

﴿ وجعفر بن محمد بن فطيرا ﴾

أبو الحسن أحد الكتاب بالعراق ، كان ينسب إلى التشيع ، وهذا كثير في أهل تلك البلاد لأكثر الله منهم ، جاءه رجل ذات يوم فقال له رأيت البارحة أمير المؤمنين علياً في المنام ، فقال لي : اذهب إلى ابن فطيرا فقل له يعطيك عشرة دنانير ، فقال له ابن فطيرا . متى رأيتني ؟ قال : أول الليل ، فقال ابن فطيرا وأنا رأيتك آخر الليل فقال لي : إذا جاءك رجل من صفته كذا وكذا فطلب منك شيئاً فلا تعطه ، فأدبر الرجل مولياً فاستدعاه ووهبه شيئاً ، ومن شعره فيما أورده ابن الساعي وقد تقدم ذلك لغيره :

ولما سبرت الناس أطلب منهم * أخائقة عند اعتراض الشدائد

وفكرت في يومى سرورى وشدتى * وناديت في الأحياء هل من مساعد؟

فلم أرفيا ساءنى غير شامت * ولم أرفيا سرنى غير حامد

﴿ بجي بن سعيد بن غازى ﴾

أبو العباس البصرى النجرانى صاحب المقامات ، كان شاعراً أديباً فاضلاً بليغاً ، له اليد الطولى في اللغة والنظم ، ومن شعره قوله :

غناء خود ينساب لطفاً * بلا غناء فى كل أذن

ما رده قط باب سمع * ولا أنى زائراً باذن

﴿ السيدة زبيدة ﴾

بنت الامام المقتدى لأمر الله ، أخت المستنجد وعممة المستضى ، كانت قد عمرت طويلاً ولها صدقات كثيرة دائرة ، وقد تزوجها في وقت السلطان مسعود على صداق مائة ألف دينار ، فتوفى قبل أن يدخل بها ، وقد كانت كارهة لذلك ، فحصل مقصودها وطلبها .

﴿ الشيخة الصالحة فاطمة خاتون ﴾

بنت محمد بن الحسن العميد ، كانت عابدة زاهدة ، عمرت مائة سنة وست سنين ، كان قد تزوجها في وقت أمير الجيوش مطر وهي بكر ، فبقيت عنده إلى أن توفى ولم تتزوج بعده ، بل اشتغلت بذكر الله عز وجل والعبادة ، رحمها الله .

وفيها أنفذ الخليفة الناصر العباسي إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي يطلب منه أن يزيد على أبيات عدى بن زيد المشهورة ما يناسبها من الشعر ، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات ، وهي هذه الأبيات :

أيها الشامت المعير بالله * رأنت المبرأ الموفور؟
 أم لديك العهد الوثيق من الـ * أيام ، بل أنت جاهل مفرور
 من رأيت المنون خلدت أم من * ذاعليه من أن يضام خفير
 أين كسرى كسر الملوك أبو * ساسان أم أين قبله سابور؟
 وبنوا الأصفر الملوك ملوك الـ * وم لم يبق منهم مذكور
 وأخو الخضر إذ بناه وإذ * دجلة تجي إليه وانخاور
 شاده مرمرًا وجله كلساً * فلطير في ذراه وكور
 لم تهيه ريب المنون فزا * ل الملك عنه فبابه مهجور
 وتذكر رب الخورنق إذ * أشرف يوماً وللهندى تكفير
 سره حاله وكثرة ما * يملك والبحر معرضاً والسدير
 فارعوى قلبه وقال وما * غبطة حتى إلى الممات يصير
 ثم بعد النعيم والملك والنهي والـ * أمر وارتهم هناك قبور
 ثم أضحووا كأنهم أورق جفـ * ت فألوت بها الصبا والدبور
 غير أن الأيام تختص بالمرء * وفيها العمرى العظمت والتفكير

﴿ ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة ﴾

لما استقر الملك الأفضل بن صلاح الدين مكان أبيه بدمشق ، بعث بهدايا سنوية إلى باب الخليفة الناصر ، من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزوات ، ومنها صليب الصلبوت الذي استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين ، وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلاً مرصعاً بالجواهر النفيسة ، وأربع جوارى من بنات ملوك الفرنج ، وأنشأ له العماد الكاتب كتاباً حافلاً يذكر فيه التعزية بأبيه ، والسؤال من الخليفة أن يكون في الملك من بعده ، فأجيب إلى ذلك .

ولما كان شهر جمادى الأولى قدم العزيز صاحب مصر إلى دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل

نخيم على الكسوة يوم السبت سادس جمادى ، وحاصر البلد ، فثامه أخوه ودافعه عنها ، فقطع الأتهار ونهبت الثمار ، واشتد الحال ، ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم العادل معهما فأصلح بينهما ، ورد الأمر للألفة بعد اليقين على أن يكون للعزير القدس وما جاور فلسطين من ناحيته أيضا ، وعلى أن يكون جبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب ، وأن يكون لعمهما العادل أقطاعه الأول ببلاد مصر مضافا إلى ما بيده من الشام والجزيرة كحران والرها وجعبر وما جاور ذلك ، فاتفقوا على ذلك ، وتزوج العزير بابنة عمه العادل ، ومرض ثم عوفي وهو نخيم بمرج الصفر ، وخرجت الملوك لتنهتته بالعافية والتزويج والصلح ، ثم كر راجعا إلى مصر لطول شوقه إلى أهله وأولاده ، وكان الأفضل بعد موت أبيه قد أساء التدبير فأبعد أمراء أبيه وخواصه ، وقرب الأجانب وأقبل على شرب المسكر واللهو واللعب ، واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزرى ، وهو الذى كان يحدوه الى ذلك ، فتلف وأتلفه ، وأضل وأضله ، وزالت النعمة عنهما كما سيأتى .

وفيهما كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين ملك غزنة وبين كفار الهند ، أقبوا إليه فى ألف ألف مقاتل ، ومعهم سبعمائة فيل منها فيل أبيض لم ير مثله ، فالتقوا فافتتلوا قتالا شديدا لم ير مثله ، فهزمهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له الملاحون ، وقتل ملكهم واستحوذ على حواصله وحواصل بلاده وغنم فيلتهم ودخل بلد الملك الكبرى ، فحمل من خزانته ذهباً وغيره على ألف وأربعمائة جمل ، ثم عاد إلى بلاده سالما منصورا .

وفيهما ملك السلطان خوارزم شاه تكش - ويقال له ابن الأصباعى - بلاد الرى وغيرها ، واصطالح مع السلطان طغرل بك الساجوقى وكان قد أسلم بلاد الرى وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وعظم شأنه ، ثم التقى هو والسلطان طغرل بك فى ربيع الأول من هذه السنة . فقتل السلطان طغرل بك ، وأرسل رأسه إلى الخليفة ، فعلق على باب النوبة عدة أيام ، وأرسل الخليفة الخلع والتقاليد إلى السلطان خوارزم شاه ، وملك همدان وغيرها من البلاد المتسعة .

وفيهما تقم الخليفة على الشيخ أبى الفرج بن الجوزى وغضب عليه ، ونفاه إلى واسط ، فكث بها خمسة أيام لم يأكل طعاما ، وأقام بها خمسة أعوام يخدم نفسه ويستقى لنفسه الماء ، وكان شيخا كبيرا قد بلغ ثمانين سنة ، وكان يتلو فى كل يوم وليلة ختمة . قال : ولم أقرأ يوسف لوجدى على ولدى يوسف ، إلى أن فرج الله كما سيأتى إن شاء الله .

وفيهما توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن إسماعيل بن يوسف ﴾

أبو الخير القزوينى الشافعى المفسر ، قدم بغداد ووعظ بالنظامية ، وكان يذهب إلى قول الأشعرى فى الأصول ، وجلس فى يوم عاشوراء فقيل له : العن يزيد بن معاوية ، فقال : ذاك إمام

مجتهد ، فرماه الناس بالآجر فاختم في ثم هرب إلى قزوين .

﴿ ابن الشاطبي ناظم الشاطبية ﴾

أبو القاسم بن قسيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضريبر ، مصنف الشاطبية في القراءات السبع ، فلم يسبق إليها ولا يلحق فيها ، وفيها من الرموز كنوز لا يهتدى إليها إلا كل ناقد بصير ، هذا مع أنه ضريبر ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وبلده شاطبة - قرية شرقي الأندلس - كان فقيراً ، وقد أريد أن يلي خطابة بلده فامتنع من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المنابر في وصف الملوك ، خرج الشاطبي إلى الحج فقدم الإسكندرية سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ، وسمع على السلفي وولاه القاضي الفاضل مشيخة الاقراء بمدرسته ، وزار القدس وصام به شهر رمضان ، ثم رجع إلى القاهرة ، فكانت وفاته بها في جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الفاضلية ، وكان ديناً خاشعاً ناسكاً كثير الوقار ، لا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات ، وهي لغز في النمش ، وهي لغيره :

أعرف شيئاً في السماء يطير * إذا سار هاج الناس حيث يسير
فتلقاه مركوباً وتلقاه راكباً * وكل أمير يعتليه أسير
يحث على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وقعة الزلاقة ببلاد الأندلس شمالي قرطبة ، برج الحديد ، كانت وقعة عظيمة نصر الله فيها الاسلام وخذل فيها عبدة الصليبان ، وذلك أن القيش ملك الفرنج ببلاد الأندلس ، ومقر ملكه بمدينة طليطلة ، كتب إلى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب يستنخيه ويستدعيه ويستحثه إليه ، ليكون من بعض من يخضع له في مثالبه وفي قتاله ، في كلام طويل فيه تأنيب وتهديد ووعيد شديد ، فكتب السلطان يعقوب بن يوسف في رأس كتابه فوق خطه (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) ثم نهض من فوره في جنوده وعساكره ، حتى قطع الزقاق إلى الأندلس ، فالتقوا في المحل المذكور ، فكانت الدائرة أولاً على المسلمين ، فقتل منهم عشرون ألفاً ، ثم كانت أخيراً على الكافرين فهزهم الله وكسرهم وخذلهم أقبح كسرة ، وشردهم هزيمة وأشنعها ، فقتل منهم مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً ، وأسر منهم ثلاثة عشر ألفاً ، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً ، من ذلك مائة ألف خيمة وثلاثة وأربعون خيمة ، ومن الخيل ستة وأربعون ألف فرس ، ومن البغال مائة ألف بغل ، ومن الحجر مثلها ، ومن السلاح التام سبعون ألفاً ،

ومن العدد شئ كثير ، وملك عليهم من حصونهم شيئاً كثيراً ، وحاصر مدينتهم طليطلة مدة ، ثم لم يفتحها فانفصل عنها راجعاً إلى بلاده . ولما حصل للقيش ما حصل خلق لحية ، ورأسه ونكس صليبه وركب حماراً وحلف لا يركب فرساً ولا يتلذذ بطعام ولا ينام مع امرأة حتى تنصره النصرانية ، ثم طاف على ملوك الفرنج فجمع من الجنود ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فاستمد له السلطان يعقوب فالتقيا فاقتتلا قتالاً عظيماً لم يسمع بمثله ، فانهزم الفرنج أقبح من هزيمتهم الأولى ، وغنموا منهم نظير ما تقدم أو أكثر ، واستحوذ السلطان على كثير من معالمهم وقلاعهم ، والله الحد والمنة ، حتى قيل إنه بيع الأسير بدرهم ، والحصان بخمسة دراهم ، والخيمة بدرهم ، والسيف بدون ذلك ثم قسم السلطان هذه الغنائم على الوجه الشرعي ، فاستغنى المجاهدون إلى الأبد ، ثم طلبت الفرنج من السلطان الأمان فهادتهم على وضع الحرب خمس سنين ، وإنما حمله على ذلك أن رجلاً يقال له علي بن إسحاق التوزي الذي يقال له المكلم ، ظهر ببلاذ إفريقية فأحدث أموراً فظيعة في غيبة السلطان واشتغاله بقتال الفرنج مدة ثلاث سنين ، فأحدث هذا المارق التوزي بالبادية حوادث ، وعاش في الأرض فساداً ، وقتل خلقاً كثيراً ، وتملك بلاداً .

وفي هذه السنة والتي قبلها استحوذ جيش الخليفة على بلاد الرى وأصبهان وهمدان وخوزستان وغيرها من البلاد ، وقوى جانب الخلافة على الملوك والممالك . وفيها خرج العزيز من مصر قاصداً دمشق ليأخذها من يد أخيه الأفضل ، وكان الأفضل قد تاب وأناب وأقلع عما كان فيه من الشراب والهو واللعب ، وأقبل على الصيام والصلاة ، وشرع بكتابة مصحف بيده ، وحسنت طريقته ، غير أن وزيره الضيا الجزري يفسد عليه دولته ، ويكدر عليه صفوته ، فلما بلغ الأفضل إقبال أخيه نحوه سار سريماً إلى عمه العادل وهو بجبهه فاستنجده فسار معه وسبقه إلى دمشق ، وراح الأفضل أيضاً إلى أخيه الظاهر بحلب ، فسارا جميعاً نحو دمشق ، فلما سمع العزيز بذلك وقد اقترب من دمشق ، كر راجعاً سريماً إلى مصر ، وركب وراءه العادل والأفضل ليأخذنا منه مصر ، وقد اتفقا على أن يكون ثلث مصر للعادل وثلثاها للأفضل ، ثم بدا للعادل في ذلك فأرسل للعزيز يثبته ، وأقبل على الأفضل يثبته ، وأقاما على بلبيس أياما حتى خرج إليهما القاضي الفاضل من جهة العزيز ، فوقع الصلح على أن يرجع القدس ومعاملتها للأفضل ، ويستقر العادل مقبياً بمصر على إقطاعه القديم ، فأقام العادل بها طمعاً فيهبها ورجع العادل إلى دمشق بعدما خرج العزيز لتوديعه ، وهي هدنة على قذا ، و صلح على دخن .

* علي بن حسان بن سافر *

أبو الحسن الكاتب البغدادى ، كان أديبا شاعرا . من شعره قوله :

نفي رقادى ومضى * برق بسلع ومضا * لاح كما سلت يدا * أسود عضبا أبيضاً

كانه الأشهب في * النقع إذا ما ركضاً * يبدو كما تختلج الر * يح على جمر الغضا
 فتحسب الريح أب * ما انظر او غمضاً^(١) * أو شملة الذارعلا * لهيها وانخفضا
 آه له من بارق * ضاء على ذات الأضا * أذكرني عهداً مضى * على الغويروا نقضى
 فقال لي قلبي أتو * صى حاجة وأعرضا * يطلب من أمرضه * فديت ذاك الممرضاً
 يا عرض القلب لقد * غادرت قلبي غرضاً * لأسمهم كأنما * يرسلها صرف القضا
 فبت لا أرتاب في * أن رقادي قد قضى * حتى قفا الليل وكاد * الليل أن ينقرضاً
 وأقبل الصبح لاط * راف الدجا مبيضا * وسل في الشروق على النغ * رب ضياء وانقضى
 ﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسةائة ﴾

في رجب منها أقبل العزيز من مصر ومعه عمه العادل في عساكر ، ودخلا دمشق قهراً ، وأخرجها
 منها الأفضل ووزيره الذي أساء تدبيره ، وصلى العزيز عند تربة والده صلاح ، وخطب له بدمشق ،
 ودخل القلعة المنصورة في يوم وجلس في دار العدل للحكم والفصل ، وكل هذا وأخوه الأفضل حاضر
 عنده في الخدمة ، وأمر القاضي محيي الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية إلى جانب تربة أبيه
 وكانت داراً للأمير عز الدين شامة ، ثم استناب على دمشق عمه الملك العادل ورجع إلى مصر يوم
 الاثنين تاسع شوال ، والسكة والخطبة بدمشق له ، وصولح الأفضل على صرخد ، وهرب وزيره ابن
 الأثير الجزري إلى جزيرته ، وقد أتلف نفسه وملكه ، وملكه بجزيرته ، وانتقل الأفضل إلى
 صرخد بأهله وأولاده ، وأخيه قطب الدين .

وفي هذه السنة هبت ريح شديدة سوداء مدهمة بأرض العراق ومعه رمل أحمر ، حتى احتاج
 الناس إلى السرج بالنهار . وفيها ولي قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعد بن زيادة كتاب الانشاء
 ببغداد ، وكان بليغاً ، وليس هو كالفاضل . وفيها درس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك
 بالنظامية ، وكان فاضلاً مناظراً .

وفيها قتل رئيس الشافعية بأصبهان محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندی قتله ملك
 الدين سنقر الطويل ، وكان ذلك سبب زوال ملك أصبهان عن الديوان .
 وفيها مات الوزير ووزير الخلافة .

﴿ مؤيد الدين أبو الفضل ﴾

محمد بن علي بن التصاب ، وكان أبوه يبيع اللحم في بعض أسواق بغداد . فتقدم ابنه وساد
 أهل زمانه . توفي بهمدان وقد أعاد رسائيق كثيرة من بلاد العراق وخراسان وغيرها ، إلى ديوان
 الخلافة ، وكان ناهضاً ذا همة وله صرامة وشعر جيد . وفيها توفي .

(١) كذا بالأصل ، والبيت مضطرب .

﴿ الفخر محمود بن علي ﴾

التوقاني الشافعي ، عائداً من الحج . والشاعر :

﴿ أبو الفنائم محمد بن علي ﴾

ابن المعلم الهرثي من قرى واسط ، عن إحدى وتسعين سنة ، وكان شاعراً فصيحاً ، وكان ابن الجوزي في مجالسه يستشهد بشيء من لطائف أشعاره ، وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الحسن المليح . وفيها توفي .

﴿ الفقيه أبو الحسن علي بن سعيد ﴾

ابن الحسن البغدادي المعروف بابن العريف ، ويلقب بالبيع الفاسد ، كان حنبلياً ثم اشتغل شافعيًا علي أبي القاسم بن فضلان ، وهو الذي لقبه بذلك لكثرة تكراره علي هذه المسألة بين الشافعية والحنفية ، ويقال إنه صار بعد هذا كله إلى مذهب الامامية فأنه أعلم . وفيها توفي

﴿ الشيخ أبو شجاع ﴾

محمد بن علي بن مغيث بن الدهان الفرضي الحاسب المؤرخ البغدادي ، قدم دمشق وامتدح الكندي أبو اليمن زيد بن الحسن فقال :

يا زيد زادك ربي من مواهبه * نعماً يقصر عن إدراكها الأمل

لا بدل الله حالاً قد حباك بها * ما دار بين النحاة الحال والبدل

النحو أنت أحق العالمين به * أليس باسمك فيه يضرب المثل

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ﴾

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل إلى ابن الزكي يخبره فيه « أن في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارض فيه ظلمات متكاثفة ، وبروق خاطفة ، ورياح عاصفة ، فقوى الجوبها واشتد هبوبها قد أثبت لها أعنة مطلقات ، وارتفعت لها صفقات ، فرجفت لها الجدران واصطفقت ، وتلاقت علي بعدها واعتنقت ، وثار السماء والأرض عجاجاً ، حتى قيل إن هذه علي هذه قد انطبقت ، ولا يحسب إلا أن جهنم قد سال منها واد ، وعدا منها عاد ، وزاد عصف الريح إلى أن أطفأ سرج النجوم ، ومزقت أديم السماء ، ومحت ما فوقه من الرقوم ، فكنا كما قال تعالى (يحملون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) ويردون أيديهم علي أعينهم من البوارق ، لا عاصم خطف الأبصار ، ولا ملجأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار . وفر الناس نساء ورجالا وأطفالا ، ونفروا من دورهم خفافاً وثقالا ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا للنازلة بأعناق خاضعة ، بوجوه عانية ، ونفوس عن الأهل والمال سالية ، ينظرون من طرف خفي ، ويتوقعون أي خطب جلي ؛

قد انقطعت من الحياة علقهم ، وعميت عن النجاة طرقهم ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون ، وقاموا على صلواتهم وودوا لو كانوا من الذين عليها دائمون ، إلى أن أذن بالركود ، وأسعف الهاجدون بالهجود ، فأصبح كل مسلم على رقيقه ، ويهنيه بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد بعث بعد النفخة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد رد له الكرة ، وأحياه بعد أن كاد يأخذه على غرة ، ووردت الأخبار بأنهما قد كسرت المراكب في البحار ، والأشجار في القفار ، وأتلفت خلقا كثيرا من السفار ، ومنهم من فر فلا ينفعه الفرار . إلى أن قال « ولا يحسب المجلس أنى أرسلت القلم محرّفا والعلم مجحّوفا ، فالأمر أعظم ، ولكن الله سلم ، ونرجو أن الله قد أيقظنا بما به وعظنا ، ونبهنا بما فيه ولهنا ، فما من عباده إلا من رأى القيامة عيانا ، ولم يلمس عليها من بعد ذلك برهانا ، إلا أهل بلدنا فما قص الأهلون مثلها في المثلات ، ولا سبقت لها سابقة في المعضلات ، والحمد لله الذي من فضله قد جعلنا نخب عنها ، ولا يخبر عنا ، ونسأل الله أن يصرف عنا عارض الحرص والغرور ، ولا يجعلنا من أهل الهلاك والخبور » .

وفيها كتب القاضي القاضى من مصر إلى الملك العادل بدمشق يبحثه على قتال الفرنج ، ويشكره على ما هو بصده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الاسلام ، فمن ذلك قوله في بعض تلك الكتب « هذه الأوقات التي أنتم فيها عرائس الأعمار ، وهذه النفقات التي تجري على أيديكم مهوور الحور في دار القرار ، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه ، فتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل إليه ، وسواد العجاج في هذه المواقف بباطن ما سودته الذنوب من الصحائف ، فما أسعد تلك الوقفات وما أعود بالطمأنينة تلك الرجعات » . وكتب أيضاً « أدام الله ذلك الاسم تاجاً على مفارق المنابر والطورس ، وحياه للدينا وما فيها من الأجساد والنفوس ، وعرف المملوك من الأمر الذي اقتضته المشاهدة ، وجرت به العافية في سرور ، ولا يزيد على سيبه الحال بقوله :

ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمداً ليسلم سائره

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا سبق إليه ، ومن قلم من الا صبع ظفراً فقد جلب إلى الجسد بفعله نفعاً ، ودفع عنه ضرراً ، وتجشم المسكروه ليس بضائر إذا كان ما جلبه سبباً إلى الحمد ، وآخر سنوه أول كل غزوه ، فلا يسأم مولانا نية الرباط وفعالها ، وتجشم الكف وحملها ، فهو إذا صرف وجهه إلى وجه واحد وهو وجه الله ، صرف الوجوه إليه كلها (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين الله) .

وفي هذه السنة انقضت مدة الهدنة التي كان عقدها الملك صلاح الدين للفرنج فأقبلوا بحمد وحديد ، فتلقاهم الملك العادل بمرج عكا فكسروهم وغنمهم ، وفتح يافا عنوة والله الحمد والمنة . وقد كانوا كتبوا إلى ملك الألمان يستنهضونه لفتح بيت المقدس فقدر الله هلاكه سريعاً ، وأخذت الفرنج

في هذه السنة بيروت من نائبها عز الدين شامة من غير قتال ولا نزال ، ولهذا قال بعض الشعراء في
 الأمير شامة سلم الحصن ما عليك ملامه * ما يلام الذي يروم السلامة
 فتعطى الحصون من غير حرب * سنة سنها ببيروت شامة

ومات فيها ملك الفرنج كندهرى ، سقط من شاهق فسات ، فبقيت الفرنج كالغنم بلا راعي ،
 حتى ملكوا عليهم صاحب قبرس وزوجوه بالملكة امرأة كندهرى ، وجرت خطوب كثيرة بينهم
 وبين العادل ، ففي كلها يستظهر عليهم ويكسرهم ، ويقتل خلقا من مقاتلتهم ، ولم يزالوا كذلك معه
 حتى طلبوا الصلح والمهادنة ، فعاقدهم على ذلك في السنة الآتية .

وفيها توفي ملك اليمن . * سيف الاسلام طفتكين *

أخو السلطان صلاح الدين ، وكان قد جمع أموالا جزيلة جرداً ، وكان يسبك الذهب مثل
 الطواحين ويدخره كذلك ، وقام في الملك بعده ولده إسماعيل ، وكان أهوج قليل التدبير ، فحمله جهله
 على أن ادعى أنه قرشي أموى ، وتلقب بالهادى ، فكتب إليه عمه العادل ينهيه عن ذلك ويتهده
 بسبب ذلك ، فلم يقبل منه ولا التففت إليه ، بل تمادى وأساء التدبير إلى الأمراء والرعية ، فقتل
 وتولى بعده مملوك من ممالك أبيه . وفيها توفي :

* الأمير الكبير أبو الهيجاء السمين الكردي *

كان من أكابر أمراء صلاح الدين ، وهو الذي كان نائباً على عكا ، وخرج منها قبل أخذ الأفرنج ،
 ثم دخلها بعد المشطوب ، فأخذت منه ، واستنابه صلاح الدين على القدس ، ثم لما أخذها العزيز
 عزل عنها فطلب إلى بغداد فأكرم إكراماً زائداً ، وأرسله الخليفة مقدماً على العساكر إلى همدان ،
 فمات هناك . وفيها توفي .

* قاضى بغداد أبو طالب على بن على بن هبة الله بن محمد *

البخارى ، سمع الحديث على أبي الوقت وغيره ، وتفقه على أبي القاسم بن فضلان ، وتولى نيابة
 الحكم ببغداد ، ثم استقل بالمنصب وأضيف إليه في وقت نيابة الوزارة ، ثم عزل عن القضاء ثم أعيد
 ومات وهو حاكم ، نسأل الله العافية ، وكان فاضلاً بارعاً من بيت فقه وعدالة وله شعر :

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده

كفنا بك من عدوك كل كيد * إذا كاد العدو ولم تكده

وفيها توفي * السيد الشريف نقيب الطالبين ببغداد *

أبو محمد الحسن بن على بن حمزة بن محمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن على بن يحيى بن
 الحسين بن يزيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب العلوى الحسينى المعروف بابن الاقسامى ،

الكوفي مولدا ومنشأ ، كان شاعرا مطبقا ، امتدح الخلفاء والوزراء ، وهو من بيت مشهور بالأدب
والرياسة والمرورة ، قدم بغداد فامتدح المقتفي والمستنجد وابنه المستضيء وابنه الناصر ، فولاه النقابة
كان شيخاً مهيباً ، جاوز الثمانين ، وقد أورد له ابن الساعي قصائد كثيرة منها :

اصبر على كيد الزما * ن فما يدوم على طريقة
سبق القضاء فكن به * راض ولا تطلب حقيقة
كم قد تغلب مرة * وأراك من سعة وضيقه
ما زال في أولاده * يجرى على هدى الطريقة

وفيها توفيت ﴿ الست عذراء بنت شاهنشاه ﴾

ابن أيوب ، ودفنت بمدرستها داخل باب النصر ، والست خاتون والدة الملك العادل ، ودفنت
بدارها بدمشق المجاورة لدار أسد الدين شيركوه .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسة ﴾

فيها جمعت الفرنج جوعها وأقبلوا فحاصروا تينين ، فاستدعى العادل بنى أخيه لقتالهم ، فجهاد
العزيز من مصر ، والأفضل من صرخند ، فأقلعت الفرنج عن الحصن وبلغهم موت ملك الألمان
فطلبوا من العادل الهدنة والأمان ، فهادتهم ورجعت الملوك إلى أماكنها ، وقد عظم المعظم عيسى بن
العادل في هذه المرة ، واستنابه أبوه على دمشق ، وسار إلى ملوك بالجزيرة ، فأحسن فيهم السيرة ،
وكان قد توفي في هذه السنة السلطان صاحب سنجار وغيرها من المدائن الكبار ، وهو عماد الدين
زنكي بن هودود بن زنكي الأتابكي ، كان من خيار الملوك وأحسنهم شكلا وسيرة ، وأجودهم طوية
وسريرة ، غير أنه كان يهزل ، وكان شديد المحبة للعلماء ، ولا سيما الخنفية ، وقد ابنتى لهم مدرسة
بسنجار ، وشرط لهم طعاما يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم ، وهذا نظر حسن ، والفقير أولى بهذه
الحسنة من الغني ، لاشتغال الفقير بتكراره ومطالعته عن الفكر فيما يقينه ، فمدى على أولاده ابن عمه
صاحب الموصل ، فأخذ الملك منهم ، فاستغاث بنوه بالملك العادل ، فرد فيهم الملك ودرأ عنهم الضيم ،
واستقرت المملوك لولده قطب الدين محمد ، ثم سار الملك إلى ماردين فحاصرها في شهر رمضان ،
فاستولى على ريفها ومما ماتها ، وأعجزته قاعتها ، نطاف عابها ومشي ، وما ظن أحد أنه تملكها ، لأن
ذلك لم يكن مشبوتا ولا مقداراً .

وفيها ملكت الخزر مدينة باغ وكسروا انطايا وقهرهم ، وأرسل الخليفة إليهم أن يمنعوا خوارزم
شاه من دخول العراق ، فانه كان يروم أن يخطف له ببغداد . وفيها حاصر خوارزم شاه مدينة بخارى
ففتحها بعد مدة ، وقد كانت امتنعت عليه دهرا وانصرم انطايا ، فقهرهم جميعاً وأخذها عنوة ، وعفا

عن أهلها وصفح ، وقد كانوا ألبسوا كلباً أعور قباء وسموه خوارزم شاه ، ورموه في المنجيق إلى الخوارزمية ، وقالوا هذا مالكم ، وكان خوارزم شاه أعور ، فلما قدر عليهم عفا عنهم ، جزاه الله خيراً .
وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ العوام بن زيادة ﴾

كاتب الانشاء بباب الخلافة ، وهو أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن علي بن زيادة ، انتهت إليه رئاسة الرسائل والانشاء والبلاغة والفصاحة في زمانه بالعراق ، وله علوم كثيرة غير ذلك من الفقه على مذهب الشافعي ، أخذه عن ابن فضالان ، وله معرفة جيدة بالأصلين الحساب واللغة ، وله شعر جيد وقد ولي عدة مناصب كان مشكوراً في جميعها ، ومن مستجاد شعره قوله :

لا تحقرن عدوا تزدريه فكم * قد أتعس الدهر جد الجد بالعب
فهذه الشمس يروها الكسوف لها * على جلالها بالرأس والذنب
باضطراب الزمان ترتفع الاذ * نزال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء راكد فاذا * حرك نارت من قعره الاقضاء
وله أيضاً :
قد سلوت الدنيا ولم يسلمها * من عقلت في آماله والأراجي
فاذا ما صرفت وجهي عنها * قذفتني في بحرها العجاج
يستضيئون بي وأهلك وحدي * فكأني ذبالة في سراج

توفي في ذي الحجة وله ثقتان وسبعون سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن عند موسى بن جعفر . ﴿ القاضي أبو الحسن علي بن رجاء بن زهير ﴾

ابن علي البطائحي ، قدم بغداد فتفقه بها وسمع الحديث وأقام برحلة مالك بن طوق مدة يشتغل على أبي عبد الله بن النبيه الفرضي ، ثم ولي قضاء العراق مدة ، وكان أديباً ، وقد سمع من شيخه أبي عبد الله بن النبيه ينشد لنفسه معارضاً للحريري في بيتيه اللذين زعم أنهما لا يعزوان ثالثهما ، وهما قوله
سم سممة يحمد آثارها * واشكر لمن أعطا ولو سمسة
والمكرهما استطعت لآتاته * لتقتني السؤدد والمكرمة
فقال ابن النبيه :

ما الأمة الوكساء بين الوري * أحسن من حر أني ملامه
فه إذا استجديت عن قول لا * فالحر لا يملأ منها فه
﴿ الأمير عز الدين حرديل ﴾

كان من أكابر الأمراء في أيام نور الدين ، وكان ممن شرك في قتل شاور ، وحظي عند صلاح الدين ، وقد استنابه على القدس حين افتتحها ، وكان يستند به للمهمات الكبار فيسدها بنفسه

وشجاعته ، ولما ولي الأفضل عزله عن القدس فترك بلاد الشام وانتقل إلى الموصل ، فمات بها في هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة ﴾

« فيها كانت وفاة العزيز صاحب مصر »

وذلك أنه خرج إلى الصيد فكانت ليلة الأحد العشرين من المحرم ، ساق خلف ذئب فكبا به فرسه فسقط عنه فمات بعد أيام ، ودفن بداره ، ثم حول إلى عند تربة الشافعي ، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة ، ويقال : إنه كان قد عزم في هذه السنة على إخراج الحنابلة من بلده ، ويكتب إلى بقية إخوته باخراجهم من البلاد ، وشاع ذلك عنه وذاع ، وسمع ذلك منه وصرح به ، وكل ذلك من معلميه وخلطائه وعشرائه من الجهمية ، وقلة علمه بالحديث ، فلما وقع منه هذا ونوى هذه النية القبيحة الفاسدة أهلكه الله ودمره سريعاً ، وعظم قدر الحنابلة بين الخلق بمصر والشام ، عند الخاص والعام . وقيل : إن بعض صالحهم دعا عليه ، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد فكان هلاكه سريعاً ، وكتب الفاضل كتاب التعزية بالعزيز لعنه العادل ، وهو محاصر ماردين ومعه العساكر ، وولده محمد الكامل ، وهونائبه على بلاد الجزيرة المقاربة لبلاد الحيرة ، وصورة الكتاب « أدام الله سلطان مولانا الملك العادل ، وبارك في عمره وأعلى أمره بأمره ، وأعز نصر الاسلام بنصره ، وفدت الأنفس نفسه الكريمة وأصغر الله العظام بنعمه فيه العظيمة ، وأحياه الله حياة طيبة هو والاسلام في مواقيت الفتوح الجسيمة وينقلب عنها بالأموار المسلمة والعواقب السليمة ، ولا نقص له رجالاً ولا أعدمه نفساً ولا ولداً ، ولا قصر له ذيلاً ولا يداً ، ولا أسخن له عيناً ولا كبداً ، ولا كدر له خاطراً ولا مورداً ، ولما قدر الله ما قدر من موت الملك العزيز كانت حياته مكدرة عليه منغصة مهملة ، فلما حضر أجله كانت بديهته المصاب عظيمة ، وطالعة المكروه أليمة ، وإذا محاسن الوجه بليت تعفى الثرى عن وجهه الحسن ، وكانت مدة مرضه بعد عودته من الفيوم أسبوعين ، وكانت في الساعة السابعة من ليلة الأحد والعشرين من المحرم ، والمملوك في حال تسطيرها مجموع بين مرض القلب والجسد ، ووجع أطراف وعلّة كبد ، وقد فجع بهذا المولى والعهد بالده غير بعيد ، والأسى عليه في كل يوم جديد . » ولما توفى العزيز خلف من الولد عشرة ذكور ، فعمد أمراؤه فملكوا عليهم وألده محمداً ، ولقبوه بالمنصور ، وجمهور الأمراء في الباطن مائلون إلى تملك العادل ، ولكنهم يستبعدون مكانه ، فأرسلوا إلى الأفضل وهو بصرخد فأحضره على البريد سريعاً ، فلما حضر عندهم منع رقدم ووجدوا الكامة مختلفة عليه ، ولم يتم له ما صار إليه ، وناصر عليه أكبر الأمراء الناصرية ، وخرجوا من مصر فأقاموا ببيت المقدس وأرسلوا يستحثون الجيوش المادلية ، فأقر ابن أخيه على السلطنة ونوه باسمه على السكة والخطبة في سائر بلاد مصر ، لكن استفاد الأفضل في سفرته هذه أن أخذ جيشاً كثيفاً من المصريين ، وأقبل بهم ليسترد

دمشق في غيبة عمه . وذلك بأشارة أخيه صاحب حلب ، وملاك حمص أسد الدين ، فلما انتهى إليها ونزل حوالها قطع أنهارها وعقر أشجارها ، وأكل ثمارها ، ونزل بمخيمه على مسجد القدم ، وجاء إليه أخوه الظاهر وابن عمه الأسد الكاسر وجيش حماه ، فكثرت جيشه وقوى بأسه ، وقد دخل جيشه إلى البلد ، ونادوا بشعاره فلم يتابعهم من العامة أحد ، وأقبل العادل من ماردين بعساكره وقد التف عليه أمراء أخيه وطائفة بني أخيه ، وأمدته كل مصر بأكابره ، وسبق الأفضل إلى دمشق بيومين لخصنها وحفظها ، وقد استناب على ماردين ولده محمداً الكامل . ولما دخل دمشق خامر إليه أكثر الأمراء من المصريين وغيرهم ، وضعف أمر الأفضل ويئس من برهم وخيرهم ، فأقام محاصر البلد بمن معه حتى انسلك الحول ثم انفصل الحال في أول السنة الآتية على ما سيأتي .

وفيهما شرع في بناء سور بغداد بالأجر والكلس ، وفرق على الأمراء وكملت عمارته بعد هذه السنة ، فأمنت بغداد من الغرق والحصار ، ولم يكن لها سور قبل ذلك .

وفيهما توفي ﴿ السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف ﴾

ابن عبد المؤمن ، صاحب المغرب والأندلس بمدينته ، وكان قد بنى عندها مدينة مليحة سماها المهديّة ، وقد كان ديناً حسن السيرة صحيح السريرة ، وكان مالكي المذهب ، ثم صار ظاهرياً حزمياً ثم مال إلى مذهب الشافعي ، واستتفى في بعض بلاده منهم قضاة ، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، وكان كثير الجهاد رحمه الله ، وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس ، وكان قريباً إلى المرأة والضعيف رحمه الله . وهو الذي كتب إليه صلاح الدين يستنجده على الفرنج فلما لم يخاطبه بأمر المؤمنين غضب من ذلك ولم يجبه إلى ما طلب منه ، وقام بالملك بعده ولده محمد فسار كسيرة والده ، ورجع إليه كثير من البلدان اللاتي كانت قد عصت على أبيه ، ثم من بعد ذلك تفرقت بهم الأهواء وباد هذا البيت بعد الملك يعقوب .

وفيهما ادعى رجل أعجمي بدمشق أنه عيسى بن مريم ، فأمر الأمير صارم الدين برغش نائب القلعة ، بصلبه عند حمام العهاد الكاتب ، خارج باب الفرج مقابل الطاحون التي بين البابين ، وقد باد هذا الحمام قديماً ، وبعد صلبه بيومين ثارت العامة على الرافض وعمدوا إلى قبر رجل منهم بباب الصغير يقال له وثاب فنبشوه وصلبوه مع كليين ، وذلك في ربيع الآخر منها .

وفيهما وقعت فتنة كبيرة ببلاد خراسان ، وكان سببها أن فخر الدين محمد بن عمر الرازي وفد إلى الملك غياث الدين الغوري صاحب غزنة ، فأكرمه وبنى له مدرسة بهراه ، وكان أكثر الغورية كرامة فأبغضوا الرازي وأحبوا إيماده عن الملك ، فجمعوا له جماعة من الفقهاء الحنفية والكرامية ، وخلقاً من الشافعية ، وحضر ابن القدوة وكان شيخاً معظماً في الناس ، وهو على مذهب ابن كرام وابن الهيصم

فتناظر هو والرازي ، وخرجا من المناظرة إلى السب والشتم ، فلما كان من الغد اجتمع الناس في المسجد الجامع ، وقام واعظ فتسكلم فقال في خطبته : أيها الناس ، إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ﷺ ، وأما علم ارسطاطا ليس وكفریات ابن سینا وفلسفة الفارابی وما تلبس به الرازي فانا لا نعلمها ولا نقول بها ، وإنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، ولأى شيء يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الاسلام ينب عن دين الله وسنة رسوله ، على لسان متسكلم ليس معه على ما يقول دليل . قال فبكى الناس وضجوا وبكت الكرامية واستغاثوا ، وأعانهم على ذلك قوم من خواص الناس ، وأنهموا إلى الملك صورة ما وقع ، فأمر باخراج الرازي من بلاده ، وعاد إلى هراه ، فلهدا أشرب قلب الرازي بغض الكرامية ، وصار يلهج بهم في كلامه في كل موطن ومكان .

وفيهما رضى الخليفة عن أبي الفرج ابن الجوزى شيخ الوعاظ ، وقد كان أخرج من بغداد إلى واسط فأقام بها خمس سنين ، فانتفع به أهلها واشتغلوا عليه واستفادوا منه ، فلما عاد إلى بغداد خلع عليه الخليفة وأذن له في الوعظ على عادته عند التربة الشريفة المجاورة لقبر معروف ، فكثرت الجمع جدا وحضر الخليفة وأنشد يومئذ فيما يخاطب به الخليفة :

لا تعطش الروض الذى بنيته * بصوب إنعامك قد روضا
لا تبر عودا أنت قد رشته * حاشى لبانى المجد أن ينقضا
إن كان لى ذنب قد جنيته * فأستأنف العفو وهب لى الرضا
قد كنت أرجوك لنيل المنى * فاليوم لا أطلب إلا الرضا

ومما أنشده يومئذ :

شقيننا بالنوى زمنا فلما * تلاقينا كأننا ما شقيننا
سخطنا عند ماجنت الليالى * وما زالت بناحقى رضينا
ومن لم يحيى بعد الموت يوماً * فانا بعد ما متنا حيننا

وفى هذه السنة استدعى الخليفة الناصر قاضى الموصل ضياء الدين ابن الشهرزورى فولاه قضاء قضاء بغداد . وفيها وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغنى المقدسى ، وذلك أنه كان يتسكلم فى مقصورة الخنابلة بالجامع الأموى ، فذكر يوماً شيئاً من العقائد ، فاجتمع القاضى ابن الزكى وضياء الدين الخطيب الدولى بالسلطان المعظم ، والأمير صارم الدين برغش ، فعقد له مجلساً فيما يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والنزول والحرف والصوت ، فوافق النجم الحنبلى ببيعة الفقهاء واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه ، واجتمع ببيعة الفقهاء عليه ، وألزموه بالزامات شنيعة لم يلتزمها ، حتى قال له الأمير برغش كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق ؟ قال : نعم ،

فغضب الأمير وأمر بنفيه من البلد ، فاستنظره ثلاثة أيام فأنظره ، وأرسل برغش الأسارى من القلعة فكسروا منبر الحنابلة وتعطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحنابلة ، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك ، وجرت خبطة شديدة ، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وكان عقد المجلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى الحجة ، فارتحل الحافظ عبد الغنى إلى بعلبك ثم سار إلى مصر فأواه المحدثون ، فحنوا عليه وأكرموه .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الأمير مجاهد الدين قايمار الرومى ﴾
 نائب الموصل المستولى على مملكته أيام ابن استاذه نور الدين أرسلان ، وكان عاقلاً ذكياً فقيهاً حنفياً ، وقيل شافعيًا ، يحفظ شيئاً كثيراً من التواريخ والحكايات ، وقد ابتنى عدة جوامع ومدارس وربط وخانات ، وله صدقات كثيرة دارة ، قال ابن الأثير : وقد كان من محاسن الدنيا .

﴿ أبو الحسن محمد بن جعفر ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباس الهاشمي ، قاضى القضاة ببغداد ، بعد ابن النجارى ، كان شافعيًا تفقه على أبي الحسن بن الخلل وغيره ، وقد ولى القضاء والخطابة بمكة ، وأصله منها ، ولكن ارتحل إلى بغداد فنال منها ما نال من الدنيا ، وآل به الأمر إلى ما آل ، ثم إنه عزل عن القضاء بسبب محض رقم خطه عليه ، وكان فيما قيل مزورا عليه . فأنه أعلم ، فجلس فى منزله حتى مات .

﴿ الشيخ جمال الدين أبو القاسم ﴾

يحيى بن على بن الفضل بن بركة بن فضلان ، شيخ الشافعية ببغداد ، تفقه أولاً على سعيد بن محمد الزار مدرس النظامية ، ثم ارتحل إلى خراسان فأخذ عن الشيخ محمد الزبيدى تلميذ الغزالي وعاد إلى بغداد وقد اقتبس علم المناظرة والأصلين ، وساد أهل بغداد وانتفع به الطلبة والفقهاء ، وبنيت له مدرسة فدرس بها وبعد صيته ، وكثرت تلاميذه ، وكان كثير التلاوة وسماع الحديث ، وكان شيخاً حسناً لطيفاً زيفاً ، ومن شعره :

وإذا أردت منازل الأشراف * فعليك بالاسعاف والانصاف

وإذا بغا باغ عليك نخله * والدهر فهو له مكاف كاف

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسةائة ﴾

استهلت هذه السنة والملك الأفضل بالجيش المصرى محاصر دمشق لعمه العادل ، وقد قطع عنها الأنهار والميرة ، فلا خبز ولا ماء إلا قليلاً ، وقد تطاول الحال ، وقد خندقوا من أرض اللوان إلى اللد خندقاً لثلاثاً يصل إليهم جيش دمشق ، وجاء فصل الشتاء وكثرت الأمطار والأحوال . فلما دخل شهر صفر قدم الملك الكامل محمد بن العادل على أبيه بخلق من التركمان ، وعساكر من بلاد

الجزيرة والرها وحران ، فعند ذلك انصرف العساكر المصرية ، وتفرقوا أيادي سبا ، فرجع الظاهر إلى حلب والأسد إلى حمص ، والأفضل إلى مصر ، وسلم العادل من كيد الأعدى ، بعد ما كان قد عزم على تسليم البلاد . وسارت الأمراء الناصرية خلف الأفضل ليمنعوه من الدخول إلى القاهرة ، وكاتبوا العادل أن يسرع السير إليهم ، فنهض إليهم سريعاً فدخل الأفضل مصر وتحصن بقلعة الجبل ، وقد اعتراه الضعف والفشل ، ونزل العادل على البركة وأخذ ملك مصر ونزل إليه ابن أخيه الأفضل خاضعاً ذليلاً ، فأقطعه بلاداً من الجزيرة ، ونفاه من الشام لسوء السيرة ، ودخل العادل القلعة وأعاد القضاء إلى صدر الدين عبد الملك بن درباس المارداني الكردي ، وأبقى الخطبة والسكة باسم ابن أخيه المنصور ، والعادل مستقل بالأمر ، واستوزر الصاحب صفي الدين بن شكر لصرامته وشهامته ، وسيادته وديانته ، وكتب العادل إلى ولده الكامل يستدعيه من بلاد الجزيرة ليملكه على مصر ، فقدم عليه فأكرمه واحترمه وعانقه والتزمه ، وأحضر الملك الفقهاء واستفتاهم في صحة مملكة ابن أخيه المنصور بن العزيز ، وكان ابن عشر سنين ، فأفتوا بأن ولايته لا تصح لأنه متولى عليه ، فعند ذلك طلب الأمراء ودعاهم إلى مبايعته فامتنعوا فأرغبهم وأرهبهم ، وقال فيما قال : قد سمعتم ما أفتى به العلماء ، وقد علمتم أن ثغور المسلمين لا يحفظها الأطفال الصغار ، وإنما يحفظها الملوك الكبار ، فأذعنوا عند ذلك وبالعوه ، ثم من بعده لولده الكامل ، فخطب الخطباء بذلك بعد الخليفة لهما ، وضربت السكة باسمهما ، واستقرت دمشق باسم المعظم عيسى بن العادل ، ومصر باسم الكامل .

وفي شوال رجع إلى دمشق الأمير ملك الدين أبو منصور سليمان بن مسرور بن جلدك ، وهو أخو الملك العادل لأمه ، وهو واقف الفلكية داخل باب الفراديس ، وبها قبره ، فأقام بها محترماً معظماً إلى أن توفي في هذه السنة . وفيها وفي التي بعدها كان بديار مصر غلاء شديد ، فهلك بسببه الغنى والفقير ، وهرب الناس منها نحو الشام فلم يصل إليها إلا القليل ، وتحظفهم الفرنج من الطرقات وغروهم من أنفسهم واغتالوهم بالقليل من الأقوات ، وأما بلاد العراق فانه كان مرخصاً . قال ابن الساعي : وفي هذه السنة باض ديك ببغداد فسألت جماعة عن ذلك فأخبروني به .
ومن توفي فيها من الأعيان .

✽ السلطان علاء الدين خوارزم شاه ✽

ابن تكش بن ألب رسلان من ولد طاهر بن الحسين ، وهو صاحب خوارزم وبعض بلاد خراسان والرى وغيرها من الأقاليم المتسعة ، وهو الذي قطع دولة السلاجقة ، كان عادلاً حسن السيرة له معرفة جيدة بالموسيقى ، حسن المعاشرة ، فقيها على مذهب أبي حنيفة ، ويعرف الأصول ، وبنى

للحنفية مدرسة عظيمة ، ودفن بتربة بناها بخوارزم ، وقام في الملك من بعده ولده علاء الدين محمد ، وكان قبل ذلك يلقب بقطب الدين . وفيها قتل وزير السلطان خوارزم شاه المذكور .

﴿ نظام الدين مسعود بن علي ﴾

وكان حسن السيرة ، شافعي المذهب ، له مدرسة عظيمة بخوارزم ، وجامع هائل ، وبني بمر وجامعاً عظيماً للشافعية ، فحسدتهم الحنابلة^(١) وشيخهم بها يقال له شيخ الاسلام ، فيقال إنهم أحرقوه وهذا إنما يحمل عليه قلة الدين والمقل ، فأغرمهم السلطان خوارزم شاه ما غرم الوزير علي بنائه . وفيها توفي الشيخ المسند المعمر رحلة الوقت .

﴿ أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب ﴾

ابن صدقة بن الخضر بن كليب الحراني الأصل البغدادي المولد والدار والوفاة ، عن ست وتسعين سنة ، سمع الكثير وأسمع ، وتفرد بالرؤية عن جماعة من المشايخ ، وكان من أعيان التجار وذوى الثروة

﴿ الفقيه مجد الدين ﴾

أبو محمد بن طاهر بن نصر بن جميل ، مدرس القدس أول من درس بالصلاحية ، وهو والد الفقهاء بنى جميل الدين ، كانوا بالمدرسة الجاروخية ، ثم صاروا إلى العمادية والدماعية في أيامنا هذه ، ثم ماتوا ولم يبق إلا شرحهم .

﴿ الأمير صارم الدين قايماز ﴾

ابن عبد الله النجفي ، كان من أكابر الدولة الصلاحية ، كان عند صلاح الدين بمنزلة الاستاذ ، وهو الذي تسلم القصر حين مات العاضد ، فحصل له أموال جزيلة جداً ، وكان كثير الصدقات والأوقاف ، تصدق في يوم بسبعة آلاف دينار عينا ، وهو واقف المدرسة التيمازية ، شرق القلعة ، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير ، وله بها حمام ، فاشترى ذلك الملك الأشرف فيما بعد وبنها دار حديث ، وأخرب الحمام وبناه مسكناً للشيخ المدرس بها . ولما توفي قيباز ودفن في قبره نبشت دوره وحواصله ، وكان متهماً بمال جزيل ، فتحصل ما جمع من ذلك مائة ألف دينار وكان يظن أن عنده أكثر من ذلك ، وكان يدفن أمواله في الخراب من أراضي ضياعه وقرباه ،

﴿ الأمير لؤلؤ ﴾

سأحه الله .

أحد الحجاب بالديار المصرية ، كان من أكابر الأمراء في أيام صلاح الدين ، وهو الذي كان متسلماً الأسطول في البحر ، فكم من شجاع قد أسر ، وكم من مركب قد كسر ، وقد كان مع كثرة جهاده دار

(١) لعله الحنفية فإنه ليس بمر وحنابلة والله سبحانه أعلم . ولكن ابن الأثير قد وافق المؤلف .

الصدقات ، كثير النفقات في كل يوم ، وقع غلاء بمصر فتصدق باثني عشر ألفاً رغيف ، لاثنى عشر ألف نفس .

﴿ الشيخ شهاب الدين الطوسي ﴾

أحد مشايخ الشافعية بديار مصر ، شيخ المدرسة المنسوبة إلى تقي الدين شاهنشاه بن أيوب ، التي يقال لها منازل العز ، وهو من أصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، كان له قدر ومنزلة عند ملوك مصر ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، توفي في هذه السنة ، فازدحم الناس على جنازته ، وتأسفوا عليه .

﴿ الشيخ ظهير الدين عبد السلام الفارسي ﴾

شيخ الشافعية بحلب ، أخذ الفقه عن محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وتلمذ للرازي ، ورحل إلى مصر وعرض عليه أن يدرس بترية الشافعي فلم يقبل ، فرجع إلى حلب فأقام بها إلى أن مات .

﴿ الشيخ العلامة بدر الدين ابن عسكر ﴾

رئيس الحنفية بدمشق ، قال أبو شامة : ويعرف بابن العقادة .

﴿ الشاعر أبو الحسن ﴾ علي بن نصر بن عقيل بن أحمد بغدادى ، قدم دمشق في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ومعه ديوان شعر له فيه درر حسان ، وقد تصدى لمذح الملك الأتجده صاحب بعلبك وله :

وما الناس إلا كامل الحظ ناقص * وآخر منهم ناقص الحظ كامل

وإني لمت من خيار أعفة * وإن لم يكن عندي من المال كامل

وفيها توفي القاضى الفاضل ، الامام العلامة شيخ الفصحاء والبلغاء .

﴿ أبو على عبد الرحيم بن القاضى الأشرف ﴾

أبي المجد على بن الحسن بن البيهقي المولى الأجل القاضى الفاضل ، كان أبوه قاضياً بمسقلان فأرسل ولده في الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية ، فاشتغل بها بكتابة الانشاء على أبي الفتح قادوس وغيره ، فساد أهل البلاد حتى بغداد ، ولم يكن له في زمانه نظير ، ولا فيما بعده إلى وقتنا هذا مثيل ، ولما استقر الملك صلاح الدين بمصر جعله كاتبه وصاحبه ووزيره وجليسه وأنيسه ، وكان أعز عليه من أهله وأولاده ، وتساعد حتى فتح الأقاليم والبلاد ، هذا بجسامه وسنانه ، وهذا بقلمه ولسانه وبيانه وقد كان الفاضل من كثرة أمواله كثير الصدقات والصلوات والصيام والصلاة ، وكان يواظب كل يوم وليلة على ختمه كاملة ، مع ما يزيد عليها من نافلة ، رحيم القلب حسن السيرة ، طاهر القلب والسريرة له مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية ، وأوقف على تخليص الأشرار من يدي النصارى ، وقد اقتنى من الكتب نحواً من مائة ألف كتاب ، وهذا شئ لم يفرح به أحد من الوزراء ولا العلماء ولا الملوك ، ولد في سنة ثنتين وخمسمائة ، توفي يوم دخل العادل إلى قصر مصر بمدرسته فجأة يوم

الثلاثاء سادس ربيع الآخر ، واحتفل الناس بجزائه ، وزار قبره في اليوم الثاني الملك العادل ،
وتأسف عليه ، ثم استوزر العادل صفي الدين بن شكر ، فلما سمع الفاضل بذلك دعا الله أن لا يحييه
إلى هذه الدولة لما بينهما من المنافسة ، فمات ولم ينله أحد بضم ولا أذى ، ولا رأى في الدولة من هو
أكبر منه ، وقد رثاه الشعراء بأشعار حسنة ، منها قول القاضي هبة الله بن سناء الملك :

عبد الرحيم على البرية رحمة * أمنت بصحبته حلول عقابها
يا سائلي عنه وعن أسبابه * نال السماء فسله عن أسبابها
وأنته خاطبة إليه وزارة * ولطال ما أعيت على خطابها
وأنت سعادته إلى أبوابه * لا كالذي يسعى إلى أبوابها
تعنو الملوك لوجهه بوجهها * لا بل تساق لبابه برقابها
شغل الملوك بما يزول ونفسه * مشغولة بالذكر في محرابها
في الصوم والصلوات أتعب نفسه * وضمان راحته على إتباعها
وتعجل الاقلاع عن لذاته * ثقة بحسن مآلها ومآبها
فلتفخر الدنيا بسائس ملكها * منه ودارس علمها وكتابها
صوامها قوامها علامها * عملها بذالها وهابها

والمعجب أن الفاضل مع براعته ليس له قصيدة طويلة ، وإنما له ما بين البيت والبيتين في أثناء
رسائله وغيرها شيء كثير جدا ، فن ذلك قوله :

سبقتم باسداء الجليل تكريماً * وما مثلكم فيمن يحدث أو يحكي
وكان ظني أن أسابكم به * ولكن بليت قبلي فهيج لي البكا
وله : ولي صاحب ما خفت من جور حادث * من الدهر إلا كان لي من ورائه
إذا عضنى صرف الزمان فأننى * براياته أسطو عليه ورائه
وله في بدو أمره :

أرى الكتاب كلهم جميعاً * بأرزاق تعمهم سنينا
ومالي بينهم رزق كأني * خلقت من الكرام الكاتبين
وله في النحلة والزلقطة :

ومغردين تجاوبا في مجلس * منعاهما لأذاهما الأتوام
هذا يجود بعكس ما يأتي به * هذا فيحمد ذا وذاك يلام
بتنا على حال تسر الهوى * لكنه لا يمكن الشرح
وله :

بوابنا الليل وقلنا له * إن غبت عنا هجم الصبح
وأرسلت جارية من جوارى الملك العزيز إلى الملك العزيز رآ من ذهب مغلف بعنبر أسود ،
فسأل الملك الفاضل عن معنى ما أرادت بإرساله فأنشأ يقول :

أهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبر رقيق اللحام
فالزر في العنبر معناهما * زر هكذا محتفيا في الظلام

قال ابن خلكان : وقد اختلف في لقبه فقيل محي الدين وقيل بجير الدين ، وحكى عن عمارة
البنى أنه كان يذكر جميل وأن العادل بل الصالح هو الذى استقدمه من الاسكندرية ، وقد كان
معدودا في حسناته . وقد بسط ابن خلكان ترجمته بنحو ما ذكرنا ، وفي هذه زيادة كثيرة والله أعلم
﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسةائة ﴾

فيها اشتد الغلاء بأرض مصر جدا ، فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والأغنياء ، ثم أعقبه
فناء عظيم ، حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة
نحواً من مائتي ألف ، وعشرين ألف ميت ، وأكلت الكلاب والميتات فيها بمصر ، وأكل من
الصغار والأطفال خلق كثير ، يشوى الصغير والداه ويأكلانه ، وكثر هذا في الناس جداً حتى صار
لا ينكر بينهم ، فلما فرغت الأطفال والميتات غلب القوى الضعيف فذبجه وأكاه ، وكان الرجل
يحتال على الفقير فيأتى به ليطعمه أوليعطيه شيئاً ، ثم يذبجه ويأكله ، وكان أحدهم يذبح امرأته ويأكلها
وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى ، بل يعذر بعضهم بعضاً ، ووجد عند بعضهم أربعمائة رأس
وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى ، فكانوا يذبجون ويؤكلون ، كان الرجل
يستدعى الطبيب ثم يذبجه ويأكله ، وقد استدعى رجل طبيباً حاذقاً وكان الرجل موسراً من أهل
المال ، فذهب الطبيب معه على وجل وخوف ، فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق ويذكر
الله ويسبحه ، ويكثر من ذلك ، فارتاب به الطبيب وتخيّل منه ، ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار
معه حتى دخل داره ، فاذا هي خربة فارتاب الطبيب أيضاً فخرج صاحبه فقال له : ومع هذا البطء
جئت لنا بصيد ، فلما سمعها الطبيب هرب فخرج خلفه سرافاً فخلص إلا بعد جهد وشر .

وفيها وقع وباء شديد ببلا دعترّة بين الحجاز واليمن ، وكانوا عشرين قرية ، فبادت منها ثمانى
عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار ، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا تانى لها ، ولا يستطيع أحد أن
يسكن تلك القرى ولا يدخلها ، بل كان من اقترب إلى شىء من هذه القرى هلك من ساعته ،
نعوذ بالله من بأس الله وعذابه ، وغضبه وعقابه ، أما القرىتان الباقيتان فانهما لم يميت منهما أحد
ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم ، بل هم على حالهم لم يفقد منهم أحد فسبحان الحكيم العليم .

واتفق باليمن في هذه السنة كائنة غريبة جدا ، وهي أن رجلا يقال له عبس الله بن حمزة العلوي كان قد تغلب على كثير من بلاد اليمن ، وجمع نحواً من اثني عشر ألف فارس ، ومن الرجاله جمعا كثيرا ، وخافه ملك اليمن إسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، وغلب على ظنه زوال ملكه على يدي هذا الرجل ، وأيقن بالهلكة لضعفه عن مقاومته ، واختلاف أمرائه معه في المشورة ، فأرسل الله صاعقة فنزلت عليهم فلم يبق منهم أحد سوى طائفة من الخيالة والرجال ، فاختلف جيشه فيما بينهم فغشيه المعز فقتل منهم ستة آلاف ، واستقر في ملكه آمنا .

وفيهما تكاتب الاخوان الأفاضل من صرخد والظاهر من حلب على أن يجتمعا على حصار دمشق وينزعاها من المعظم بن العادل ، وتكون للأفضل ، ثم يسيرا إلى مصر فيأخذها من العادل وابنه الكامل اللذين نقضا العهد وأبطلا خطبة المنصور ، ونكثا المواثيق ، فاذا أخذوا مصر كانت للأفضل وتصير دمشق مضافة إلى الظاهر مع حلب ، فلما بلغ العادل ما تمالآ عليه أرسل جيشا مددا لابنه المعظم عيسى إلى دمشق ، فوصلوا إليها قبل وصول الظاهر وأخيه إليها ، وكان وصولهما إليها في ذى القعدة من ناحية بعلبك ، فنزلا على مسجد القدم واشتد الحصار للبلد ، وتسلى كثير من الجيش من ناحية خان القدم ، ولم يبق إلا فتح البلد ، لولا هجوم الليل ، ثم إن الظاهر بداله في كون دمشق للأفضل فرأى أن تكون له أولا ، ثم إذا فتحت مصر تسلمها الأفضل ، فأرسل إليه في ذلك فلم يقبل الأفضل ، فاختلفا وتفرقت كلمتهما ، وتنازعا الملك بدمشق ، فتفرقت الأمراء عنهما ، وكوتب العادل في الصلح فأرسل يجيب إلى ما سألا وزاد في إقطاعهما شيئا من بلاد الجزيرة ، وبعض معاملة المعرة . وتفرقت العساكر عن دمشق في محرم سنة ثمان وتسعين ، وسار كل منهما إلى ما تسلم من البلاد التي أقطعها ، وجرت خطوط يطول شرحها ، وقد كان الظاهر وأخوه كتبوا إلى صاحب الموصل نور الدين أرسلان الأتابكي أن يحاصر مدن الجزيرة التي مع عمهما العادل ، فركب في جيشه وأرسل إلى ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار ، واجتمع معهما صاحب ماردين الذي كان العادل قد حاصره وضيق عليه مدة طويلة ، فقصدت العساكر حران ، وبها الفائر بن العادل ، فحاصروه مدة ، ثم لما بلغهم وقوع الصلح عدلوا إلى المصالحة ، وذلك بعد طلب الفائر ذلك منهم ، وتمهدت الأمور واستقرت على ما كانت عليه .

وفيهما ملك غياث الدين وأخوه شهاب الدين الغوريان جميع ما كان يملك خوارزم شاه من البلدان والحواصل والأموال ، وجرت لهم خطوط طويلة جدا . وفيها كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق ، وكان جمهورها وعظماؤها بالشام تهدمت منها دور كثيرة ، ونخرت محال كثيرة ، وخسف بقرية من أرض بصرى ، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء

كثير، وأخرت بحال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس ، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامرة ومات بها وقرأها ثلاثون ألفاً تحت الردم ، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بدمشق بجمعها ، وأربع عشرة شرافة منه ، وغالب الكلاسة والمارستان النورى ، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون وسقط غالب قلعة بعلبك مع وثاقه بنيانها ، وانفرد البحر إلى قبرص وقد حذف بالمرأى منه إلى ساحله ، وتعدى إلى ناحية الشرق فسقط بسبب ذلك دور كثيرة ، ومات أم لا يحصون ولا يعدون حتى قال صاحب مرآة الزمان : إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان قتلاً تحتها ، وقيل إن أحداً لم يخلص من مات فيها والله سبحانه أعلم .
وفيهما توفى من الأعيان . ﴿ عبد الرحمن بن علي ﴾

ابن محمد بن علي بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى — نسبة إلى فرضة نهر البصرة — ابن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزى ، القرشى التيمى البغدادى الحنبلى ، أحد أفراد العلماء ، برز في علوم كثيرة ، وانفرد بها عن غيره ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحواً من مائتى مجلدة ، وتفرد بفن الوعظ الذى لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله ، وفي فصاحته وبلاغته وعدوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعانى البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية ، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والادراك ، بحيث يجمع المعانى الكثيرة فى الكلمة اليسيرة ، وهذا وله فى العلوم كلها اليد الطولى ، والمشاركات فى سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر فى النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو ، وله من المصنفات فى ذلك ما يضيئ هذا المكان عن تعدادها ، وحصر أفرادها ، منها كتابه فى التفسير المشهور بزاد المسير ، وله تفسير أبسط منه ولكنه ليس بمشهور ، وله جامع المسانيد استوعب به غالب مسند أحمد وصحيح البخارى ومسلم وجامع الترمذى ، وله كتاب المنتظم فى تواريخ الأمم من العرب والعجم فى عشرين مجلداً ، قد أوردنا فى كتابنا هذا كثيراً منه من حوادثه وتراجمه ، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخاً ، وما أحقه بقول الشاعر :

مازلت تدأب فى التاريخ مجتهداً * حتى رأيتك فى التاريخ مكتوباً

وله مقامات وخطب ، وله الأحاديث الموضوعية ، وله العمل المتناهية فى الأحاديث الواهية ، وغير ذلك . ولد سنة عشر وخمسمائة ، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين ، وكان أهله تجاراً فى النحاس ، فلما ترعرع جاءت به عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ ، فلزم الشيخ وقرأ عليه وسمع عليه

الحديث وتفقه بآبن الزاغوني ، وحفظ الوعظ ووعظ وهو ابن عشرين سنة أو دونها ، وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي ، وكان وهو صبي ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة ، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة ، وكان لا يلعب مع الصبيان ، وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء ، ومن سائر صنوف بني آدم ، وأقل ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف ، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون ، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً ، وبالجملة كان أستاذاً فرداً في الوعظ وغيره ، وقد كان فيه بهاء وترفع في نفسه وإعجاب وسمو بنفسه أكثر من مقامه ، وذلك ظاهر في كلامه في نثره ونظمه ، فمن ذلك قوله :

ما زلت أدرك ما غلابل ما علا * وأكابد النهج العسير الأطولا
تجري بي الآمال في حلباته * جرى السعيد مدى ما أملا
أفضى بي التوفيق فيه إلى الذي * أعيأ سواي توصلا وتغفلا
لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً * وسألته هل زار مثلي قال : لا

ومن شعره وقيل هو لغيره :

إذا قنعت بميسور من القوت * بقيت في الناس حراً غير ممقوت
ياقوت يومي إذما در حلقك لي * فلست آسى على در وياقوت

وله من النظم والنثر شيء كثيراً جداً ، وله كتاب سماه لفظ الجمان في كان وكان ، ومن لطائف كلامه قوله في الحديث « أعمار أمي ما بين الستين إلى السبعين » إنما طالت أعمار من قبلنا طول البادية ، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل لهم حثوا المطي ، وقال له رجل أيما أفضل ؟ أجلس أسبح أو أستغفر ؟ فقال الثوب الوسخ أحوج إلى البخور . وسئل عن أوصي وهو في السياق فقال : هذا طين سطحه في كانون . والتفت إلى ناحية الخليفة المستضيء وهو في الوعظ فقال : يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك ، وإن سكت خفت عليك ، وإن قول القائل لك اتق الله خير لك من قوله لكم إنكم أهل بيت مغفور لكم ، كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغني عن عامل لي أنه ظلم فلم أغيره فأنا الظالم ، يا أمير المؤمنين . وكان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع ، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قرقرأ ولا تفرقرأ ، والله لا ذاق عمر سمناً ولا سميناً حتى ينجسب الناس . قال فبكي المستضيء وتصدق بمال كثير ، وأطلق المحابيس وكسى خلقاً من الفقراء . ولد ابن الجوزي في حدود سنة عشر وخمسة كما تقدم ، وكانت وفاته ليلة الجمعة بين العشاءين الثاني عشر من رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبع وثمانون سنة ، وحملت جنازته على رأس الناس ، وكان الجمع كثيراً جداً ، ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الامام أحمد ، وكان يوماً

مشهوراً ، حتى قيل : إنه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة الحر ، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات :

يا كثير العفو لمن * كثرت الذنوب لديه * جاءك المذنب يرجو الص * فمح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء ال * ضيف إحسان إليه

وقد كان له من الأولاد الذكور ثلاثة: عبد العزيز - وهو أكبرهم - مات شاباً في حياة والده في سنة أربع وخمسين ، ثم أبو القاسم علي ، وقد كان عاقاً لوالده إلبا عليه في زمن المحنة وغيرها ، وقد تسلط على كتبه في غيبته بواسطة فباعها بأبخس الثمن ، ثم محي الدين يوسف ، وكان أنجب أولاده وأصغرهم ولد سنة ثمانين ووعظ بعد أبيه ، واشتغل وحرر وأتقن وساد أقرانه ، ثم باشر حسبة بغداد ، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ، ولا سيما بني أيوب بالشام ، وقد حصل منهم من الأموال والكرامات ما ابتقى به المدرسة الجوزية بالنشابين بدمشق ، وما أوقف عليها ، ثم حصل له من سائر الملوك أموالاً جزيلة ، ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم في سنة أربعين وستمائة ، واستمر مباشرها إلى أن قتل مع الخليفة عام هارون تركي بن جنكيزخان ، وكان لأبي الفرج عدة بنات منهن رابعة أم سبطه أبي المظفر بن مزعل صاحب مرآة الزمان ، وهي من أجمع التواريخ وأكثرها فائدة ، وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات فآثى عليه وشكر تصانيفه وعلومه .

✽ العماد الكاتب الأصبهاني ✽

محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله - بتشديد اللام وضمها - ، المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني ، صاحب المصنفات والرسائل ، وهو قرين القاضي الفاضل ، واشتهر في زمنه ، ومن اشتهر في زمن الفاضل فهو فاضل ، ولد بأصبهان في سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وقدم بغداد فاشتغل بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن الرزاز مدرس النظامية ، وسمع الحديث ثم رحل إلى الشام فخطى عند الملك نور الدين محمود بن زنكي ، وكتب بين يديه وولاه المدرسة التي أنشأها داخل باب الفرج التي يقال لها العمادية ، نسبة إلى سكنها بها وإقامته فيها ، وتدرسه بها ، لأنه أنشأها وإنما أنشأها نور الدين محمود ، ولم يكن هو أول من درس بها ، بل قد سبقه إلى تدريسها غير واحد ، كما تقدم في ترجمة نور الدين ، ثم صار العماد كاتباً في الدولة الصلاحية وكان الفاضل يثني عليه ويشكره ، قالوا : وكان منطوقه يعتريه جمود وفترة ، وقر يحته في غاية الجودة والحدة ، وقد قال القاضي الفاضل لأصحابه يوماً : قولوا فتكلموا وشبهوه في هذه الصفة بصفات فلم يقبلها القاضي ، وقال : هو كالزناد ظاهره بارد وداخله نار ، وله من المصنفات الجريدة جريدة النصر في شعراء العصر ، والفتح القدسي ، والبرق السامي وغير ذلك من المصنفات المسجعة ، والعبارات المتنوعة

والقصائد المطولة . توفى في مستهل رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بمقابر الصوفية .

﴿ الأمير بهاء الدين قراقوش ﴾

الفحل الخصى ، أحد كبار كتاب أمراء الدولة الصلاحية ، كان شهماً شجاعاً فاتكاً ، تسلم القصر لما مات العاضد وعمر سور القاهرة محيطاً على مصر أيضاً ، وانتهى إلى المقسم وهو المكان الذي اقتسمت فيه الصحابة ما غنموا من الديار المصرية ، وبنى قلعة الجبل ، وكان صلاح الدين سلمه عكاً ليعمر فيها ما كن كثيرة فوقع الحصار وهو بها ، فلما خرج البديل منها كان هو من جملة من خرج ، ثم دخلها ابن المشطوب . وقد ذكر أنه أسر فافتدى نفسه بعشرة آلاف دينار ، وعاد إلى صلاح الدين ففرح به فرحاً شديداً ، ولما توفى في هذه السنة احتاط العادل على تركته وصارت أقطاعه وأملاكه للملك الكامل محمد بن العادل . قال ابن خلكان : وقد نسب إليه أحكام عجيبية ، حتى صنف بعضهم جزءاً لطيفاً سماه كتاب الفاشوش في أحكام قراقوش ، فذكر أشياء كثيرة جداً ، وأظنها موضوعة عليه ، فان الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه ، فكيف يعتمد على من بهذه المثابة والله أعلم .

﴿ مكلبة بن عبد الله المستنجدى ﴾

كان تركياً عابداً زاهداً ، سمع المؤذن وقت السحر وهو ينشد على المنارة :

يا رجال الليل جدوا * رب صوت لا يرد

ما يقوم الليل إلا * من له عزم وجد

فبكى مكلبة وقال للمؤذن يا مؤذن زدنى ، فقال :

قد مضى الليل وولى * وحبيبى قد تخلأ

فصرخ مكلبة صرخة كان فيها حتفه ، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابه فأسعده منهم من وصل إلى نعشه رحمه الله تعالى .

﴿ أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع ﴾

المركسى ببغداد ، ويعرف بابن نقطة ، كان يدور في أسواق بغداد بالنهار ينشد كان وكان والموالي ، ويسحر الناس في ليالي رمضان ، وكان مطبوعاً ظريفاً خليعاً ، وكان أخوه الشيخ عبد الغنى الزاهد من أكبر الصالحين ، له زاوية ببغداد يزار فيها ، وكان له أتباع ومر يدون ، ولا يدخر شيئاً يحصل له من الفتوح ، تصدق في ليلة بألف دينار وأصحابه صيام لم يدخر منها شيئاً لعشائهم ، وزوجته أم الخليفة بجارية من خواصها وجهرتها بعشرة آلاف دينار إليه فاحال الحول وعندهم من ذلك شئ سوى هاون ، فوقف سائل ببابه فالح في الطلب فأخرج إليه الهاون فقال : خذ هذا وكل به ثلاثين يوماً ، ولا تسأل الناس ولا تشنع على الله عز وجل . هذا الرجل من خيار الصالحين ، والمقصود أنه قال لأخيه أبي

منصور: ويحك أنت تدور في الأسواق وتشد الأشعار وأخوك من قد عرفت؟ فأنشأ يقول في جواب ذلك بيتين مواليا من شعره على البديهة:

قد خاب من شبه الجزعة إلى درة * وقاس قحبة إلى مستحبية حره
أنا مغنى وأخى زاهد إلى مرة * في الدر ببرى ذى حلوة وذى مره

وقد جرى عنده مرة ذكر قتل عثمان وعلى حاضر، فأنشأ يقول كان وكان، ومن قتل في جواره مثل ابن عفان فاعتذر، يجب عليه أن يقبل في الشام عن يزيدي، فأرادت الروافض قتله فاتفق أنه بعض الليالي يسحر الناس في رمضان إذ مر بدار الخليفة فمطس الخليفة في الطارقة فشمته أبو منصور هذا من الطريق، فأرسل إليه مائة دينار، ورسم بحمايته من الروافض، إلى أن مات في هذه السنة رحمه الله. وفيها توفي مسند الشام.

﴿ أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر ﴾

الخشوعي، شارك ابن عساكر في كثير من مشيخته، وطالت حياته بعد وفاته بسبع وعشرين سنة فألحق فيها الأحفاد بالأجداد.

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ﴾

فيها شرع الشيخ أبو عمر محمد بن قدامة بائي المدرسة بسفح قايسون، في بناء المسجد الجامع بالسفح، فاتفق عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الغامى، حتى بلغ البناء مقدار قامة فنقد ما عنده، وما كان معه من المال، فأرسل الملك المظفر كوكري بن زين الدين صاحب إربل مالا جزيلا ليتمه به، فمكمل وأرسل ألف دينار ليساق بها إليه الماء من بردى، فلم يمكن من ذلك الملك العظيم صاحب دمشق، واعتذر بأن هذا فرش قبور كثيرة للمسلمين، فصنع له بئر وبغل يدور، ووقف عليه وقفاً لذلك. وفيها كانت حروب كثيرة وخطوب طويلة بين الخوارزمية والغورية ببلاد المشرق بسطها ابن الأثير واختصرها ابن كثير. وفيها درس بالنظامية مجد الدين يحيى بن الربيع وخلع عليه خلعة سنوية سوداء وطرحة كحلى، وحضر عنده العلماء والأعيان. وفيها تولى القضاء ببغداد أبو الحسن علي بن سليمان الجيلي وخلع عليه أيضاً.

﴿ وفيها توفي من الأعيان القاضي ابن الزكي ﴾

محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد العزيز أبو المعالي القرشي، محيي الدين قاضي قضاة دمشق وكل منهما كان قاضياً أبوه وجده وأبوجده يحيى بن علي، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم، وكان هو جند الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه، وقد ترجمه ابن عساكر في التاريخ ولم يزد على القرشي. قال الشيخ أبو شامة: ولو كان أمويًا عثمانياً كما يزعمون لذكر ذلك ابن عساكر، إذ كان فيه شرف لجدته

وخاليه محمد وسلطان ، فلو كان ذلك صحيحاً لما خفي على ابن عساكر ، اشتغل ابن الزكي على القاضي شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصفور ، وناب عنه في الحكم ، وهو أول من ترك النيابة ، وهو أول من خطب بالقدس لما فتح كما تقدم ، ثم تولى قضاء دمشق وأضيف إليه قضاء حلب أيضاً ، وكان ناظر أوقاف الجامع ، وعزل عنها قبل وفاته بشهور ، ووليها شمس الدين بن الليثي ضمناً ، وقد كان ابن الزكي ينهى الطلبة عن الاشتغال بالمنطق وعلم الكلام ، ويمزق كتب من كان عنده شيء من ذلك بالمدرسة النورية ، وكان يحفظ العقيدة المسماة بالمصباح للغزالي ، ويحفظها أولاده أيضاً ، وكان له درس في التفسير يذكره بالكلاسة ، تجاه تربة صلاح الدين ، ووقع بينه وبين الاسماعيليين فأرادوا قتله فأتخذ له باباً من داره إلى الجامع ليخرج منه إلى الصلاة ، ثم إنه خولط في عقله ، فكان يمتريه شبه الصرع إلى أن توفي في شعبان من هذه السنة ، ودفن بتربته بسفح قايسون ويقال إن الحافظ عبد الغني دعا عليه فحصل له هذا الداء المضال ، ومات ، وكذلك الخطيب الدولعي توفي فيها وهما اللذان قاما على الحافظ عبد الغني فماتا في هذه السنة ، فكانا عبرة لغيرهما .

﴿ الخطيب الدولعي ﴾

ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الثعلبي الدولعي ، نسبة إلى قرية بالموصل ، يقال لها الدولعية ، ولد بها في سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وتفقه ببغداد على مذهب الشافعي وسمع الحديث فسمع الترمذي على أبي الفتح الكروجي ، والنسائي على أبي الحسن علي بن أحمد البردي ثم قدم دمشق فولى بها الخطابة وتدريس الغزالية ، وكان زاهداً متورعاً حسن الطريقة مهيباً في الحق ، توفي يوم الثلاثاء التاسع عشر ربيع الأول ، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبور الشهداء ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، وتولى بعده الخطابة ولد أخيه محمد بن أبي الفضل بن زيد سبعا وثلاثين سنة ، وقيل ولده جمال الدين محمد . وقد كان ابن الزكي ولي ولده الزكي فصلى صلاة واحدة فشفع جمال الدين بالأمر علم الدين أخي العادل ، فولاه إياها فيبقى فيها إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

﴿ الشيخ علي بن علي بن عليش ﴾

البنّي العابد الزاهد ، كان مقياً شرق الكلاسة ، وكانت له أحوال وكرامات ، نقلها الشيخ علم الدين السخاوي عنه ، ساقها أبو شامة عنه .

﴿ الصدر أبو الثناء حماد بن هبة الله ﴾

ابن حماد الحراني ، التاجر ، ولد سنة إحدى عشرة عام نور الدين الشهيد ، وسمع الحديث ببغداد ومصر وغيرها من البلاد ، وتوفي في ذي الحجة ، ومن شعره قوله :

تنقل المرء في الآفاق يكسبه * محاسنا لم يكن منها ببلدته

أما ترى البيدق الشطرنج أكسبه * حسن التنقل حسنا فوق زينته

﴿ ينفشا بنت عبد الله ﴾

الست الجليلة

عتيقة المستضىء ، كانت من أكبر حظاياها ، ثم صارت بعده من أكثر الناس صدقة وبراً

وإحساناً إلى العلماء والفقراء ، لها عند تربتها ببغداد عند تربة معروف الكرخى صدقات وبر .

﴿ ابن المحتسب الشاعر أبو السكر ﴾

محمود بن سليمان بن سعيد الموصلى يعرف بابن المحتسب ، تفقه ببغداد ثم سافر إلى البلاد وصحب

ابن الشهر زورى وقدم معه ، فلما ولي قضاء بغداد ولاء نظر أوقاف النظامية ، وكان يقول الشعر ، وله

أشعار في الخمر لا خير فيها تركتها تنزها عن ذلك ، وتقندرا لها .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة ﴾

قال سبط ابن الجوزى فى مرآته : فى ليلة السبت سلخ الحرم هاجت النجوم فى السماء وماجت

شرفاً وغرباً ، وتطارت كالجراد المنتشر يمينا وشمالا ، قال : ولم ير مثل هذا الا فى عام المبعث ، وفى سنة

إحدى وأربعين ومائتين . وفيها شرع بعارة سور قلعة دمشق وابتدى بمرج الزاوية الغربية القبلىة

المجاور لباب النصر . وفيها أرسل الخليفة الناصر الخلع وسراويلات الفتوة إلى الملك العادل وبنيه .

وفيها بعث العادل ولده موسى الأشرف لمحاصرة ماردين ، وساعده جيش سنجار والموصل ثم وقع

الصلح على يدى الظاهر ، على أن يحمل صاحب ماردين فى كل سنة مائة ألف وخمسين ألف

دينار ، وأن تكون السكة والخطبة للعادل ، وأنه متى طلبه بمحيشه يحضر إليه . وفيها كل بناء رباط

المورىانية ، ووليه الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد الشهر زورى ، ومعه جماعة من الصوفية ، ورتب

لهم من المعلوم والجراية ما ينبغى لمثلهم . وفيها احتجر الملك العادل على محمد بن الملك العزيز وإخوته

وسيرهم إلى الرها خوفاً من آفاتهم بمصر . وفيها استحوذت الكرج على مدينة دوين فقتلوا أهلها

ونهبوها ، وهى من بلاد آذر بيجان ، لاشتغال ملكها بالفسق وشرب الخمر قبحه الله ، فتحكمت الكفرة

فى رقاب المسلمين بسببه ، وذلك كله غل فى عنقه يوم القيامة .

﴿ الملك غياث الدين الغورى أخو شهاب الدين ﴾

وفىها توفى

فقام بالملك بعده ولده محمود ، وتلقب بلقب أبيه ، وكان غياث الدين عاقلاً حازماً شجاعاً ، لم

تكسر له راية مع كثرة حروب ، وكان شافعى المذهب ، ابتنى مدرسة هائلة للشافعية ، وكانت سيرته

حسنة فى غاية الجودة . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ الأمير علم الدين أبو منصور ^(١) ﴾

سليمان بن شيرة بن جندر أخو الملك العادل لأبيه ، فى تاسع عشر من المحرم ، ودفن بداره التى

(١) فى النجوم الزاهرة : سليمان بن جندر .

خطها مدرسة في داخل باب الفرديس في محلة الافتراس ، ووقف عليها الحمام بكاملها تقبل الله منه
﴿القاضي الضياء الشهرزوري﴾

أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصلی ، قاضي قضاة بغداد ،
وهو ابن أخي قاضي قضاة دمشق كمال الدين الشهرزوري ، أيام نور الدين . ولما توفي سنة ست
وسبعين في أيام صلاح الدين أوصى لولد أخيه هذا بالقضاء فوليه ، ثم عزل عنه بامر أبي عسرون ،
وعوض بالسفارة إلى الملوك ، ثم تولى قضاء بلدة الموصل ، ثم استدعى إلى بغداد فوليهما سنتين وأربعة
أشهر ، ثم استقال الخليفة فلم يقبله لحظوته عنده ، فاستشفع في زوجته ست الملوك على أم الخليفة ،
وكان لها مكانة عندها ، فأجيب إلى ذلك فصار إلى قضاء حماه لمحبة إياها ، وكان يعاب عليه ذلك ،
وكانت لديه فضائل وله أشعار رائقة ، توفي في حماه في نصف رجب منها .

﴿عبد الله بن علي بن نصر بن حمزة﴾

أبو بكر البغدادي المعروف بابن المرستانية ، أحد الفضلاء المشهورين . سمع الحديث وجمعه ،
وكان طبيباً منجماً يعرف علوم الأوائل وأيام الناس ، وصنف ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ،
ورتبته على ثلاثمائة وستين كتاباً إلا أنه لم يشتهر ، وجمع سيرة ابن هبيرة ، وقد كان يزعم أنه من سلالة
الصديق فتكلموا فيه بسبب ذلك . وأنشد بعضهم :

دع الأنساب لا تعرض لتيم * فان الهجن من ولد الصميم
لقد أصبحت من تيم دعيا * كدعوى حيص بيص إلى تيم

﴿ابن النجا الواعظ﴾

علي بن إبراهيم بن نجازين الدين أبو الحسن الدمشقي ، الواعظ الحنبلي ، قدم بغداد فتفقه بها
وسمع الحديث ثم رجع إلى بلده دمشق ، ثم عاد إليها رسولا من جهة نور الدين في سنة أربع وستين ،
وحدث بها ، ثم كانت له حظوة عند صلاح الدين ، وهو الذي نم على عمارة التيمي وذويه فصلبوا ،
وكانت له مكانة بمصر ، وقد تكلم يوم الجمعة التي خطب فيها بالقدس بعد الفراغ من الجمعة ،
وكان وقتاً مشهوداً ، وكان يعيش عيشاً أطيب من عيش الملوك في الأظعمة والملابس ، وكان عنده
أكثر من عشرين سرية من أحسن النساء ، كل واحدة بألف دينار ، فكان يطوف عليهن ويفشاهن
وبعد هذا كله مات فقيراً لم يخلف كفنًا ، وقد أنشد وهو على منبره للوزير طلائع بن زريك :

مشيبك قد قضى شرخ الشباب * وحل الباز في وكر الغراب
تنام ومقلة الحدان يقظي * وما ناب النوائب عنك ناب
فكيف بقاء عمرك وهو كنز * وقد أنفقت منه بلا حساب ؟

الشيخ أبو البركات (محمد بن أحمد بن سعيد التنكري) يعرف بالمويد ، كان أديباً شاعراً . ومما نظم في الوجيه النحوي حين كان حنبلياً فانتقل حنفيًا ، ثم صار شافعيًا ، نظم ذلك في حلقة النحو بالنظامية فقال :

أما مبلغا عنى الوجيه رسالة * وإن كان لا تجدى لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي ديانة * ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * إلى مالك فانظر إلى ما أنت قائل ؟

﴿ الست الجليلة زمرد خاتون ﴾

أم الخليفة الناصر لدين الله زوجة المستضى ، كانت صالحة عابدة كثيرة البر والاحسان والصلوات والأوقاف ، وقد بنت لها تربة إلى جانب قبر معروف ، وكانت جنازتها مشهورة جداً ، واستمر العزاء بسببها شهراً ، عاشت في خلافة ولدها أربعاً وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة الأوامر .

وفيها كان مولد الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، وقد ترجم نفسه عند ذكر مولده في هذه السنة في الذيل ترجمة مطولة ، فينقل إلى سنة وفاته ، وذكر بدو أمره ، واشتغاله ومصنفاته وشيئا كثيراً من شعاره ، وما رؤى له من المنامات المبشرة . وفيها كان ابتداء ملك جنكيز خان ملك التتار ، عليه من الله ما يستحقه ، وهو صاحب الباسق وضعها ليتحاكوا إليها - يعنى التتار ومن معهم من أمراء الترك - ممن يبتغى حكم الجاهلية - وهو والد تولى ، وجد هولاكو بن تولى - الذى قتل الخليفة المستعصم وأهل بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى في موضعه . والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ سنة ستمائة من الهجرة النبوية ﴾

في هذه السنة كانت الفرنج قد جمعوا خلقاً منهم ليستعيدوا بيت المقدس من أيدي المسلمين ، فأشغلهم الله عن ذلك بقتال الروم ، وذلك أنهم اجتازوا في طريقهم بالقسطنطينية فوجدوا ملوكها قد اختلفوا فيما بينهم ، فحاصروها حتى فتحوها قسراً ، وأباحوها ثلاثة أيام قتلاً وأسراً ، وأحرقوا أكثر من ربعها ، وما أصبح أحد من الروم في هذه الأيام الثلاثة إلا قتيلاً أو فقيراً أو مكبولاً أو أسيراً ، ولجأ عامة من بقى منها إلى كنيسة العظمى المسماة باباصوفيا ، فقصدهم الفرنج فخرج إليهم القسيسون بالأناجيل ليتوسلوا إليهم ويتلوا ما فيها عليهم ، فما التفنوا إلى شئ من ذلك ، بل قتلهم أجمعين أكتعين أبصعين . وأخذوا ما كان في الكنيسة من الحلى والأذهب والأموال التى لا تحصى ولا

تعد ، وأخذوا ما كان على الصليبان والحيطان ، والحمد لله الرحيم الرحمن ، الذي ما شاء كان ، ثم اقترع ملوك الفرنج وكانوا ثلاثة وهم دوق البنادقة ، وكان شيخاً أعمى يقاد فرسه ، ومر كيس الافرنسيس وكندا بلندا ، وكان أكثرهم عدداً وعدداً . فخرجت القرعة له ثلاث مرات ، فولوه ملك القسطنطينية وأخذ الملكان الآخران بعض البلاد ، وتحول الملك من الروم إلى الفرنج بالقسطنطينية في هذه السنة ولم يبق بأيدي الروم هنالك إلا ما وراء انخليس ، استحوذ عليه رجل من الروم يقال له تسكري ، ولم يزل مالكا لتلك الناحية حتى توفي . ثم إن الفرنج قصدوا بلاد الشام وقد تقووا بملكهم القسطنطينية فزولوا عكا وأغاروا على كثير من بلاد الاسلام من ناحية الغور وتلك الأراضى ، فقتلوا وسبوا ، فنهض إليهم العادل وكان بدمشق ، واستدعى الجيوش المصرية والشرقية ونازلهم بالقرب من عكا ، فكان بينهم قتال شديد وحصار عظيم ، ثم وقع الصلح بينهم والهدنة وأطلق لهم شيئاً من البلاد فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها جرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والغورية بالمشرق يطول ذكرها . وفيها تحارب صاحب الموصل نور الدين وصاحب سنجار قطب الدين وساعد الأشرف بن العادل القطب ، ثم اصطلمحوا وتزوج الأشرف أخت نور الدين ، وهى الأتابكية بنت عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى ، واقفة الأتابكية التى بالسفح ، وبها تربتها . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والجزيرة وقبرص وغيرها من البلاد . قاله ابن الأثير فى كامله . وفيها تغلب رجل من النجار يقال له محمود بن محمد الحميرى على بعض بلاد حضرموت ظفار وغيرها ، واستمرت أيامه إلى سنة تسع عشرة وستائة وما بعدها .

وفى جمادى الأولى منها عقد مجلس لقاضى القضاة ببغداد وهو أبو الحسن على بن عبد الله بن سليمان الجبلى بدار الوزير ، وثبت عليه محضر بأنه يتناول الرشا فعزل فى ذلك المجلس وفسق ونزعت الطرحة عن رأسه ، وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

وفيها كانت وفاة الملك ركن الدين بن قلعج أرسلان ، كان ينسب إلى اعتقاد الفلاسفة ، وكان كهفياً لمن ينسب إلى ذلك ، وملجأ لهم ، وظهر منه قبل موته تجهرم عظيم ، وذلك أنه حاصر أخاه شقيقه - وكان صاحب أنكورية ، وتسمى أيضاً أنقرة - مدة سنين حتى ضيق عليه الأوقات بها فسلمها إليه قسراً ، على أن يعطيه بعض البلاد . فلما تمكن منه ومن أولاده أرسل إليهم من قتلهم غدراً وخديعة ومكراً فلم ينظر بعد ذلك إلا خمسة أيام فضر به الله تعالى بالقولنج سبعة أيام ومات (فتابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) وقام بالملك من بعده ولده أفلح أرسلان ، وكان صغيراً فبقي سنة واحدة ، ثم نزع منه الملك وصار إلى عمه كنجسرو . وفيها قتل خلق كثير من الباطنية بواسطة . قال ابن

الأثير : في رجب منها اجتمع جماعة من الصوفية برباط ببغداد في سماع فأنشدهم ، وهو الجمال الحلي :

أعاذلتى أقصرى * كفى بمشيبي عدل

شباب كأن لم يكن * ومشيب كأن لم يزل

وبثي ليال الوصا * ل أواخرها والأول

وصفرة لون المحب * ب عند استماع الغزل

لئن عاد عتبي لكم * حلالي الميش واتصل

فلست أبالي بما نالني * ولست أبالي بأهل ومل

قال فتحرك الصوفية على العادة فتواجد من بينهم رجل يقال له أحمد الرازي نحر مغشياً عليه ،

فحركه فاذا هو ميت . قال : وكان رجلاً صالحاً ، وقال ابن الساعى كان شيخاً صالحاً صاحب الصدر

عبد الرحيم شيخ الشيوخ فشهد الناس جنازته ، ودفن بباب إبرز .

وفيهما توفى من الأعيان . . . ﴿ أبو القاسم بهاء الدين ﴾

الحافظ ابن الحافظ أبو القاسم علي بن هبة الله بن عساكر ، كان مولده في سنة سبع وعشرين

وخمسة ، أسمعته أبوه الكثير ، وشارك أباه في أكثر مشايخه ، وكتب تاريخ أبيه مرتين بخطه ،

وكتب الكثير وأسمع وصنف كتباً عدة ، وخلف أباه في إسماع الحديث بالجامع الأموي ، ودار

الحديث النورية . مات يوم الخميس ثامن صفر ودفن بعد العصر على أبيه بمقابر باب الصغير شرقي

قبور الصحابة خارج الحظيرة .

﴿ الحافظ عبد الغنى المقدسى ﴾

ابن عبد الواحد بن علي بن سرور الحافظ أبو محمد المقدسى ، صاحب التصانيف المشهورة ، من

ذلك الكمال في أسماء الرجال ، والأحكام الكبرى والصغرى وغير ذلك ، ولد بجماعيل في ربيع

الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسة ، وهو أسن من عميه الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن

قدامة المقدسى ، والشيخ أبي عمر ، بأربعة أشهر ، وكان قدومهما مع أهلها من بيت المقدس إلى

مسجد أبي صالح ، خارج باب شرقي أولاً ، ثم انتقلوا إلى السفح فعرفت محلة الصالحية بهم ، فقيل

لها الصالحية ، فسكنوا الدير ، وقرأ الحافظ عبد الغنى القرآن وسمع الحديث وارتحل هو والموفق إلى

بغداد سنة ستين وخمسة ، فأنزلهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة ، وكان لا يترك أحداً ينزل

عنده ، ولكن توسم فيهما الخير والنجاة والصلاح فأكرمهما وأسمعهما ، ثم توفى بعد مقدمهما بخمسين

ليلة رحمه الله ، وكان ميل عبد الغنى إلى الحديث وأسماء الرجال ، وميل الموفق إلى الفقه واشتغلا على

الشيخ أبي الفرج ابن الجوزى ، وعلى الشيخ أبي الفتح ابن المنى ، ثم قدما دمشق بعد أربع سنين

فدخل عبد الغنى إلى مصر واسكندرية ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم ارتحل إلى الجزيرة و بغداد ، ثم رحل إلى أصبهان فسمع بها الكثير ، ووقف على مصنف للحافظ أبي نعيم في أسماء الصحابة ، قلت : وهو عندى بخط أبي نعيم . فأخذ في مناقشته في أماكن من الكتاب في مائة وتسعين موضعاً ، فغضب بنو الخجندی من ذلك ، فبغضوه وأخرجوه منها محتفياً في إزار . ولما دخل في طريقه إلى الموصل سمع كتاب العقيلي في الجرح والتعديل ، فنار عليه الخنفيه بسبب أبي حنيفة ، فخرج منها أيضاً خائفاً يترقب ، فلما ورد دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة برواق الخنابلة من جامع دمشق ، فاجتمع الناس عليه وإليه ، وكان رقيق القلب سريع الدمعة ، فحصل له قبول من الناس جدا ، فحسده بنو الزكي والدولعي وكبار الدماشقة من الشافعية وبعض الخنابلة ، وجهزوا الناصح الخنبلي ، فتكلم تحت قبة النسر ، وأمره أن يجهر بصوته مهما أمكنه ، حتى يشوش عليه ، فحول عبد الغنى ميعاده إلى بعد العصر فذكر يوماً عقيدته على الكرسي فثار عليه القاضي ابن الزكي ، وضياء الدين الدولعي ، وعقدوا له مجالساً في القلعة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين . وتكلموا معه في مسألة العلو ومسألة النزول ، ومسألة الحرف والصوت ، وطال الكلام وظهر عليهم بالحجة ، فقال له برغش نائب القلعة : كل هؤلاء على الضلالة وأنت على الحق ؟ [قال نعم] فغضب برغش من ذلك وأمره بالخروج من البلد ، فارتحل بعد ثلاث إلى بعلبك ، ثم إلى القاهرة ، فأواه الطحانيون فكان يقرأ الحديث بها فثار عليه الفقهاء بمصر أيضاً وكتبوا إلى الوزير صفى الدين بن شكر فأقر بنفيه إلى المغرب فمات قبل وصول الكتاب يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وله سبع وخمسون سنة ، ودفن بالقرافة عند الشيخ أبي عمرو بن مرزوق رحمهما الله . قال السبط : كان عبد الغنى ورعاً زاهداً عابداً ، يصلى كل يوم ثلاثمائة ركعة كورد الامام أحمد ، ويقوم الليل ويصوم عامة السنة ، وكان كريماً جواداً لا يدخر شيئاً ، ويتصدق على الأراامل والأيتام حيث لا يراه أحد ، وكان يرفع ثوبه ويؤثر بثمن الجديد ، وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء وكان أوحد زمانه في علم الحديث والحفظ . قلت : وقد هذب شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني كتابه الكمال في أسماء الرجال - رجال الكتب الستة - بتهديبه الذي استدرك عليه فيه أماكن كثيرة ، نحواً من ألف موضع ، وذلك الامام المزني الذي لا يمارى ولا يجارى ، وكتابه التهديب لم يسبق إلى مثله ، ولا يلحق في شكاه فرحمهما الله ، فلقد كانا نادرين في زمانهما في أسماء الرجال حفظاً وإتقاناً وسماعاً وإسماعاً وسرداً للمتون وأسماء الرجال ، والحاسد لا يفصح ولا ينال من لا طائلاً .

قال ابن الأثير : وفيها توفى . ﴿ أبو الفتوح أسعد بن محمود المعجلي ﴾

صاحب تنمة التتمة أسعد بن أبي الفضل بن محمود بن خلف المعجلي الفقيه الشافعي الأصبهاني

الواعظ منتخب الدين ، سمع الحديث وتفقه وبرع وصنف تمة التمة لأبي سعد الهروى ، كان زاهدا عابدا ، وله شرح مشكلات الوسيط والوجيز ، توفى في صفر سنة ستمائة .

﴿ البناني الشاعر ﴾

أبو عبد الله محمد بن المهنا الشاعر المعروف بالبناني ، مدح الخلفاء والوزراء وغيرهم ، ومدح وكبر وعلت سنه ، وكان رقيق الشعر ظريفة قال :

ظلمت ترى مغرما في الحب تزجره * وغيره بالهوى أمسيت تسكره
يا عاذل الصب لو عانيت قاتله * لو جنة وعذار كنت تعذره
أفدى الذي بسحر عينيه يعلمني * إذا تصدى لقتلى كيف أسحره
يستمتع الليل في نوم وأسهره * إلى الصباح وينساني وأذكره
﴿ أبو سعيد الحسن بن خالد ﴾

ابن المبارك النصراني المازداني الملقب بالوحيد ، اشتغل في حدائمه بعلم الأوائل وأتقنه وكانت له يد طولى في الشعر الرائق ، فن ذلك قوله قاتله الله .

أناني كتاب أنشأته أنامل * حوت أبحرا من فيضها يفرق البحر
فوا عجبا أنى التوت فوق طرسه * وما عودت بالقبض أنمله العشر
وله أيضاً لقد أثرت صدغاه في لون خده * ولاحا كفى من وراء زجاج
ترى عسكراً للروم في الريح مندبت * كطائفة تسعى ليوم هياج
أم الصبح بالليل البهيم موشح * حكى آبنوساً في صحيفة عاج
لقد غار صدغاه على ورد خده * فسيجه من شعره بسياج
الطاووسى صاحب الطريقة .

﴿ العراقي محمد بن العراقي ﴾

ركن الدين أبو الفضل القزويني ، ثم الهمداني ، المعروف بالطاووسى ، كان بارعا في علم الخلاف والجدل والمناظرة ، أخذ علم ذلك عن رضى الدين النيسابورى الحنفى ، وصنف في ذلك ثلاث تعاليق قال ابن خلدكان : أحسنهن الوسطى ، وكانت إليه الرحلة بهمدان ، وقد بنى له بعض الحجية بها مدرسة تعرف بالحاجبية ، ويقال إنه منسوب إلى طاووس بن كيسان التابعى فأنه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستائة ﴾

فيها عزل الخليفة ولده محمد الملقب بالظاهر عن ولاية العهد بعدما خطب له سبعة عشرة سنة ، وولى العهد ولده الآخر عليا ، فمات على عن قريب فعاد الأمر إلى الظاهر ، فبويع له بالخلافة

بعد أبيه الناصر كما سيأتي في سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وفيها وقع حريق عظيم بدار الخلافة في خزائن السلاح ، فاحترق من ذلك شيء كثير من السلاح والأمتعة والمساكن ما يقارب قيمته أربعة آلاف ألف دينار ، وشاع خبر هذا الحريق في الناس ، فأرسلت الملوك من سائر الأقطار هدايا أسلحة إلى الخليفة عوضاً عن ذلك وفوقه من ذلك شيئاً كثيراً .

وفيها عانت الكرج ببلاد المسلمين فقتلوا خلقاً ، وأسروا آخرين . وفيها وقعت الحرب بين أمير مكة قتادة الحسيني ، وبين أمير المدينة سالم بن قاسم الحسيني ، وكان قتادة قد قصد المدينة فحصر سالماً فيها ، فركب إليه سالم بعد ما صلى عند الحجرة فاستنصر الله عليه ، ثم برز إليه فكسره وساق وراءه إلى مكة فحصره بها ، ثم إن قتادة أرسل إلى أمراء سالم فأفسدهم عليه ففكر سالم راجعاً إلى المدينة سالماً .

وفيها ملك غياث الدين كنجشري بن قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج بلاد الروم واستلبها من ابن أخيه ، واستقر هو بها وعظم شأنه وقويت شوكته ، وكثرت عساكره وأطاعه الأمراء وأصحاب الأطراف ، وخطب له الأفضل بن صلاح الدين بسميساط ، وسار إلى خدمته . واتفق في هذه السنة أن رجلاً ببغداد نزل إلى دجلة يسبح فيها وأعطى ثيابه لعلامة ففرق في الماء فوجد في ورقة بعامته هذه

الآيات : يا أيها الناس كان لي أمل * قصر بي عن بلوغه الأجل

فليتق الله ربه رجل * أمكنه في حياته العمل

ما أنا وحدي بفناء بيت * يرى كل إلى مثله سينتقل

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ أبو الحسن علي بن عنتر بن ثابت الخلي ﴾

المعروف بشميم ، كان شيخاً أديباً لغوياً شاعراً جمع من شعره حماسة كان يفضلها على حماسة أبي تمام ، وله خمريات يزعم أنها أغزل من التي لأبي نواس . قال أبو شامة في الذيل : كان قليل الدين ذا حماقة ورقاعة وخلاعة ، وله حماسة ورسائل . قال ابن الساعي : قدم بغداد فأخذ النحو عن ابن الخشاب ، حصل منه طرفاً صالحاً ، ومن اللغة وأشعار العرب ، ثم أقام بالموصل حتى توفي بها . ومن

شعره : لا تسرحن الطرف في مقل المها * فصارح الآجال في الآمال

كم نظرة أردت وما أخرت * يد كم قبلت أوان قتال

سنحت وما سمحت بتسليمة * وأغلال التحية فملة المحتال

وله في التجنيس :

ليت من طول بالش * أم ثواه وثواه به * جعل العود إلى الزود * راء من بعض ثوابه

أثرى بوطنى الده * رثرى مسك ترابه * وأرائى نور عيني * موطنالى وثرى به
وله أيضاً فى الحمر وغيره :

﴿ أبو نصر محمد بن سعد الله ^(١) ﴾

ابن نصر بن سعيد الأرتاحى ، كان سخيّاً بهياً واعظاً حنبلياً فاضلاً شاعراً مجيداً وله :

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها * كان إلى نيل المنى أحوى لها

وإن تراها سددت أقوالها * كان على حمل العلى أقوى لها

فإن تبتت حال من لها لها * فى قبره عند البلى لها لها

﴿ أبو العباس أحمد بن مسعود ﴾

ابن محمد القرطبى الخزرجى ، كان إماماً فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة

والعرض والطب ، وله تصانيف حسان ، وشعر رائق منه قوله :

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب

وأعجب ما التعجب منه * أنى لتيار تحمله عصب ^(٢)

﴿ أبو الفداء إسماعيل بن برتس السنجارى ﴾

مولى صاحبها عماد الدين زنى بن مودود ، وكان جندياً حسن الصورة مليح النظم كثير الأدب

ومن شعره ما كتب به إلى الأشرف موسى بن العادل يعزیه فى أخ له اسمه يوسف :

دموع المعالى والمكارم أذرفت * وربيع العلى قاع لفقذك صفصف

غدا الجود والمعروف فى اللحدناويا * غداة نوى فى ذلك اللحد يوسف

مضى خطفت يد المنية روحه * وقد كان للأرواح بالببيض يخطف

سفته ليلالى الدهر كأس حمامها * وكان بسقى الموت فى الحرب يعرف

فوا حسرتنا لو ينفع الموت حسرة * ووا أسفألو كان يجدى التأسف

وكان على الارزاء نفسى قوية * ولكنها عن حمل ذا الرزء تضعف

﴿ أبو الفضل بن الياس بن جامع الأربلى ﴾

تفقه بالنظامية وسمع الحديث ، وصنف التاريخ وغيره ، وتفرد بحسن كتابة الشروط ، وله

فضل ونظم ، فمن شعره :

أمرض قلبى ، ما لهجرك آخر؟ * ومسهر طرفى ، هل خيالك زائر؟

ومستعذب التعذيب جوراً بصدده * أمالك فى شرع الحجة زاجر؟

هنيئاً لك القاب الذى قد وقفته * على ذكر أيامى وأنت مسافر

(١) فى النجوم الزاهرة : محمد بن أحمد بن حامد أبو عبد الله (٢) كذا فى الأصل والبيت مضطرب فليحمر

فلا فارق الحزن المبرح خاطرى * لبعذك حتى يجمع الشمل قادر
فان مت فالتسليم منى عليكم * يعاودكم ما كبر الله ذاكر
﴿ أبو السعادات الحلى ﴾

التاجر البغدادي الرافضى ، كان فى كل جمعة يلبس لأمة الحرب ويقف خلف باب داره ،
والباب مجاف عليه ، والناس فى صلاة الجمعة ، وهو ينتظر أن يخرج صاحب الزمان من سرداب
سامرا - يعنى محمد بن الحسن العسكرى - ليميل بسيفه فى الناس نصرة للمهدى .

﴿ أبو غالب بن كنفونة اليهودى ﴾

الكاتب ، كان يزور على خط ابن مقله من قوة خطه ، توفى لعنه الله بظمورة واسط ، ذكره
ابن الساعى : فى تاريخه .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وستائة ﴾

ففيها وقعت حرب عظيمة بين شهاب الدين محمد بن سام الغورى ، صاحب غزنة ، وبين بنى
بوكر أصحاب الجبل الجودى ، وكانوا قد ارتدوا عن الاسلام فقاتلهم وكسروهم وغنم منهم شيئا كثيرا
لا يعد ولا يوصف ، فاتبعه بعضهم حتى قتله غيلة فى ليلة مستهل شعبان منها بعد العشاء ، وكان رحمه الله
من أجود الملوك سيرة وأعقلهم وأثبتهم فى الحرب ، ولما قتل كان فى صحبته نحر الدين الرازى ، وكان
يجاس لودظ بحضوره الملك ويعظه ، وكان السلطان يبكى حين يقول فى آخر مجلسه ياسلطان سلطانتك
لا يبقى ، ولا يبقى الرازى أيضاً وإن مردنا جميعا إلى الله ، وحين قتل السلطان اتهم الرازى بعض
الخاصكية بقتله ، فخاف من ذلك والتجأ إلى الوزير مؤيد الملك بن خواجا ، فسيره إلى حيث يأمن
وتملك غزنة بعده أحد مماليكه تاج الدر ، وجرت بعد ذلك خطوب يطول ذكرها ، قد استقصاها
ابن الأثير وابن الساعى .

وفيهما أغارت الكرج على بلاد المسلمين فوصلوا إلى أخلاط فقتلوا وسبوا وقاتلهم المقاتلة والعامية .
وفيهما سار صاحب إربل مظفر الدين كوكرى وصحبته صاحب مراغة لقتال ملك أذربيجان ، وهو أبو
بكر بن البهلول ، وذلك لسكوله عن قتال الكرج وإقباله على السكر ليلا ونهاراً ، فلم يقدروا عليه ، ثم
إنه تزوج فى هذه السنة بنت ملك الكرج ، فأنكف شرم عنه . قال ابن الأثير : وكان كما يقال
أحمد سيفه وسل أمره . وفيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي ناصر العلوى الحسنى وخلع
عليه بالوزارة وضربت الطبول بين يديه وعلى بابه فى أوقات الصلوات . وفيها أغار صاحب بلاد
الأرمن وهو ابن لاون على بلاد حلب فقتل وسبى ونهب ، فخرج إليه الملك الظاهر غازى بن الناصر
فهرب ابن لاون بين يديه ، فهدم الظاهر قلعة كان قد بناها ودكها إلى الأرض . وفى شعبان منها

هدمت القنطرة الرومانية عند الباب الشرقى ، ونشرت حجارتها ليليط بها الجامع الأموى بسفارة الوزير صفى الدين بن شكر ، وزير العادل ، وكل تبليطه فى سنة أربع وستمائة .

وفيهما توفى من الأعيان . ﴿ شرف الدين أبو الحسن ﴾

على بن محمد بن على جمال الاسلام الشهر زورى ، بمدينة حمص ، وقد كان أخرج إليها من دمشق ، وكان قبل ذلك مدرساً بالأمينية والحلقة بالجامع تجاه البرادة ، وكان لديه علم جيد بالمذهب

والخلاف . ﴿ التقي عيسى بن يوسف ﴾

ابن أحمد العراقى الضرير ، مدرس الأمينية أيضاً ، كان يسكن المنارة الغربية ، وكان عنده شاب يخدمه ويقود به فقدم للشيخ دراهم فاتهم هذا الشاب بها فلم يثبت له عنده شيئاً ، واتهم الشيخ عيسى هذا بأنه يلوط به ، ولم يكن يظن الناس أن عنده من المال شيء ، فضاع المال واتهم عرضه ، فأصبح يوم الجمعة السابع من ذى القعدة مشنوقاً ببيته بالمأذنة الغربية ، فامتنع الناس من الصلاة عليه لكونه قتل نفسه ، فتقدم الشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن عساكر فصى عليه ، فأنتم به بعض الناس قال أبو شامة : وإنما حمله على ما فعله ذهاب ماله والوقوع فى عرضه ، قال وقد جرى لى أخت هذه القضية فعصنى الله سبحانه بفضل ، قال وقد درس بعده فى الأمينية الجمال المصرى وكيل بيت المال

﴿ أبو الغنائم المركيسهلال البغدادى ﴾

كان يخدم مع عز الدين نجاح السراى ، وحصل أموالاً جزيلاً ، كان كلما تهيأ له مال اشترى به ملكاً وكتبه باسم صاحب له يعتمد عليه ، فلما حضرته الوفاة أوصى ذلك الرجل أن يتولى أولاده وينفق عليهم من ميراثه مما تركه لهم ، فرض الموصى إليه بعد قليل فاستدعى الشهود ليشهدهم على نفسه أن ما فى يده لورثة أبى الغنائم ، فتمادى ورثته باحضار الشهود وطولوا عليه وأخذته سكتة فمات فاستولى ورثته على تلك الأموال والأملك ، ولم يقضوا أولاد أبى الغنائم منها شيئاً مما ترك لهم .

﴿ أبو الحسن على بن سعاد الفارسى ﴾

تفقه ببغداد وأعاد بالنظامية وناب فى تدريسها واستقل بتدريس المدرسة التى أنشأها أم الخليفة وأزيد على نيابة القضاء عن أبى طالب البخارى فامتنع فألزم به فباشره قليلاً ، ثم دخل يوماً إلى مسجد فلبس على رأسه مئزر صوف ، وأمر الوكلاء والجلاوذة أن ينصرفوا عنه ، وأشهد على نفسه بعزلها عن نيابة القضاء ، واستمر على الاعادة والتدريس رحمه الله . وفى يوم الجمعة العشرين من ربيع

الأول توفيت ﴿ الخاتون ﴾

أم السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل ، فدفنت بالقبة بالمدرسة المعظمية بسفح قايسون .

✽ الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدى ✽

أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان ، كان شيخاً خيراً حسن السيرة كثير العبادة ، غالباً في التشيع ، توفي بتستر ثاني جمادى الآخرة وحمل تابوته إلى الكوفة فدفن بمشهد على لو صيته بذلك ، هكذا ترجمه ابن الساعي في تاريخه ، وذكر أبوشامة في الذيل أنه طاشتكين بن عبدالله المفتوى أمير الحاج ، حج بالناس ستاً وعشرين سنة ، كان يكون في الحجاز كأنه ملك ، وقد رماه الوزير ابن يونس بأنه يكتب صلاح الدين فحبسه الخليفة ، ثم تبين له بطلان ما ذكر عنه فأطلقه وأعطاه خوزستان ثم أعاده إلى إمرة الحج ، وكانت الحلة الشيعية إقطاعه ، وكان شجاعاً جواداً سمحاً قليل الكلام ، يمضى عليه الأسبوع لا يتكلم فيه بكلمة ، وكان فيه حلم واحتمال ، استغاث به رجل على بعض نوابه فلم يرد عليه ، فقال له الرجل المستغيث : أحمار أنت ؟ فقال : لا . وفيه يقول ابن التعاويذي .

وأمر على البلاد مولى * لا يجيب الشاكي بغير السكوت

كلما زاد رفعة حطنا الا * ه بتفيله إلى البهوت

وقد سرق فراشه حياجبة له فأرادوا أن يستقروه عليها ، وكان قد رآه الأمير طاشتكين حين أخذها فقال : لا تعاقبوا أحداً ، قد أخذها من لا يردها ، ورآه حين أخذها من لا ينم عليه ، وقد كان بلغ من العمر تسعين سنة ، واتفق أنه استأجر أرضاً مدة ثلاثمائة سنة للوقف ، فقال فيه بعض المضحكين : هذا لا يوقن بالموت ، عمره تسعون سنة واستأجر أرضاً ثلاثمائة سنة ، فاستضحك القوم والله سبحانه وتعالى أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستائة ﴾

فيها جرت أمور طويلة بالمشرق بين الغورية والخوازرية ، وملكهم خوارزم شاه بن تكش ببلاد الخاقان . وفيها ولي الخليفة القضاء ببغداد لعبد الله بن الدامغانى . وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلانى ، بسبب فسقه وفجوره ، وأحرقت كتبه وأمواله قبل ذلك لما فيها من كتب الفلاسفة ، وعلوم الأوائل ، وأصبح يستعطي بين الناس ، وهذا بخطيئة قيامه على أبي الفرج ابن الجوزى ، فانه هو الذى كان وشى به إلى الوزير ابن القصاب حتى أحرقت بعض كتبه ابن الجوزى ، وختم على بقيتها ، ونفى إلى واسط خمس سنين ، والناس يقولون : فى الله كفاية وفى القرآن ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، والصوفية يقولون : الطريق يأخذ . والأطباء يقولون الطبيعة مكافئة . وفيها نازلت الفرنج حصص فقاتلهم ملكها أسد الدين شيركوه ، وأعانه بالمدد الملك الظاهر صاحب حلب فكف الله شرهم . وفيها اجتمع شبان ^(١) ببغداد على الخنز

(١) أحدهما أبو القاسم أحمد بن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ، داعب ابن الأمير أصبه . وكان

شباباً جميلاً فرماه بسكين فقتله . فسلمه الخليفة إلى أولاد ابن أصبه فقتلوه . (النجوم ج ٦ ص ١٩٢)

فضرب أحدهما الآخر بسكين فقتله وهرب ، فأخذ فقتل فوجد معه رقعة فيها بيتان من نظمه أمر
أن يجعل بين أ كفاته :

قدمت على الكريم بغير زاد * من الأعمال بالقلب السليم
وسوء الظن أن تعدد زاداً * إذا كان القدوم على كريم
وفيهما توفى من الأعيان . ﴿ الفقيه أبو منصور ﴾

عبد الرحمن بن الحسين بن النعمان النبلي ، الملقب بالقاضي شريح لذكائه وفضله وبرعته وعقله
وكمال أخلاقه ، ولى قضاء بلده ثم قدم بغداد فنذب إلى المناصب الكبار فأبأها ، فحلف عليه الأمير
طاشتكين أن يعمل عنده في الكتابة فخدمه عشرين سنة ، ثم وشى به الوزير ابن مهدي إلى المهدي
فحبسه في دار طاشتكين إلى أن مات في هذه السنة ، ثم إن الوزير الواشي عما قريب حبس بها أيضاً ،
وهذا مما نحن فيه من قوله : كما تدين تدان .

﴿ عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر ﴾

كان ثقة عابداً زاهداً ورعاً ، لم يكن في أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني خير منه ، لم
يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات ، بل كان متقللاً من الدنيا مقبلاً على أمر الآخرة ،
وقد سمع الكثير وسمع عليه أيضاً .

﴿ أبو الحزم مكى بن زيان ﴾

ابن شبة بن صالح الماكسيفي ، من أعمال سنجار ، ثم الموصل النحوي ، قدم بغداد وأخذ
على ابن الخشاب وابن القصار ، والكمال الأنباري ، وقدم الشام فانتفع به خلق كثير منهم الشيخ علم
الدين السخاوي وغيره وكان ضريراً ، وكان يتعصب لأبي العلاء المعري لما بينهما من القدر المشترك
في الأدب والعمى ، ومن شعره :

إذا احتاج النوال إلى شفيع * فلا تقبله تصبوح قرير عين
إذا عيف النوال لفرد من * فأولى أن يعاف لمتنين
ومن شعره أيضاً :

نفسى فداء لا غيد غنج * قال لنا الحق حين ودعنا
من ود شيئاً من حبه طمعاً * في قتله للوداع ودعنا

﴿ إقبال الخادم ﴾

جمال الدين أحد خدام صلاح الدين ، واقف الاقباليين الشافعية والحنفية ، وكانتا دارين فجعلهما
مدرستين ، ووقف عليهما وقفاً الكبيرة للشافعية والصغيرة للحنفية ، وعليها ثلث الوقف . توفي بالقدس

رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستائة ﴾

فيها رجع الحجاج إلى العراق وهم يدعون الله ويشكون إليه ما لقوا من صدر جهان البخاري الخنفي ، الذي كان قدم بغداد في رسالة فاحتفل به الخليفة ، وخرج إلى الحج في هذه السنة ، فضيق على الناس في المياه والميرة ، فمات بسبب ذلك ستة آلاف من حجيج العراق ، وكان فيما ذكره وأمر غلمانه فتسبق إلى المناهل فيحجزون على المياه يأخذون الماء فيرشونه حول خيمته في قيط الحجاز ويسقونه للبقولات التي كانت تحمل معه في ترابها ، ويمنعون منه الناس وابن السبيل ، الآمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، فلما رجع مع الناس لعنته العامة ولم تحتفل به الخاصة ولا أكرمه الخليفة ولا أرسل إليه أحداً ، وخرج من بغداد والعامة من ورائه يرحمونه ويلعنونه ، وسماه الناس صدر جهنم ، نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله أن يزيدنا شفقة ورحمة لعباده ، فانه إنما يرحم من عباده الرحماء . وفيها قبض الخليفة على وزيره ابن مهدي العلوي ، وذلك أنه نسب إليه أنه يروم الخلافة ، وقيل غير ذلك من الأسباب ، والمقصود أنه حبس بدار طاشتكين حتى مات بها ، وكان جباراً عنيداً ، حتى قال بعضهم فيه :

خليلى قولاً للخليفة وانصحا * توق وقيت السوء ما أنت صانع

وزيرك هذا بين أمرين فيهما * صنيعك ياخير البرية ضائع

فان كان حقاً من سلالة حيدر * فهذا وزير في الخلافة طامع

وإن كان فيما يدعى غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

وقيل : إنه كان عفيفاً عن الأموال حسن السيرة جيداً المباشرة فله أعلم بحاله . وفي رمضان منها رتب الخليفة عشرين داراً للضيافة يظفر فيها الصائمون من الفقراء ، يطبخ لهم في كل يوم فيها طعام كثير ويحمل إليها أيضاً من الخبز النقي والحلواء شيء كثير ، وهذا الصنيع يشبه ما كانت قریش تفعله من الرفادة في زمن الحج ، وكان يتولى ذلك عمه أبو طالب ، كما كان العباس يتولى السقاية ، وقد كانت فيهم السفارة واللواء والندوة له ، كما تقدم بيان ذلك في مواضعه ، وقد صارت هذه المناصب كلها على أتم الأحوال في الخلفاء العباسيين . وفيها أرسل الخليفة الشيخ شهاب الدين الشهرزوري وفي صحبته سنقر الساجد إلى الملك العادل بالخلمة السنية ، وفيها الطوق والسواران ، وإلى جميع أولاده بالخلمع أيضاً . وفيها ملك الأوحدي بن العادل صاحب ميفارقين مدينة خلاط بعد قتل صاحبها شرف الدين بكتمر ، وكان شاباً جميل الصورة جداً ، قتله بعض مماليكهم^(١) ثم قتل القاتل أيضاً ، فغلا البلد عن ملك فأخذها الأوحدي بن العادل .

وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكش بلاد ما وراء النهر بعد حروب طويلة . اتفق له في بعض

المواقف أمر عجيب ، وهو أن المسلمين انهزموا عن خوارزم شاه وبقى معه عصابة قليلة من أصحابه ، فقتل منهم كفار الخطا من قتلوا ، وأسروا خلقا منهم ، وكان السلطان خوارزم شاه في جملة من أسروا ، أسره رجل وهو لا يشعر به ولا يدري أنه الملك ، وأسره معه أميراً يقال له مسعود ، فلما وقع ذلك وتراجعت العساكر الاسلامية إلى مقرها فقدوا السلطان فاخترتوا فيما بينهم واختلفوا اختلافا كثيرا وانزعجت خراسان بكاملها ، ومن الناس من حلف أن السلطان قد قتل ، وأما ما كان من أمر السلطان وذاك الأمير فقال الأمير للسلطان : من المصلحة أن تترك اسم الملك عنك في هذه الحالة ، وتظهر أنك غلام لي ، فقبل منه ما قال وأشار به ، ثم جعل الملك يخدم ذلك الأمير يلبسه ثيابه ويسقيه الماء ويصنع له الطعام ويضعه بين يديه ، ولا يألو جهداً في خدمته ، فقال الذي أسرها : إني أرى هذا يخدمك فمن أنت ؟ فقال : أنا مسعود الأمير ، وهذا غلامي ، فقال : والله لو علم الأمراء أني قد أسرت أميراً وأطلقته لأطلقته ، فقال له : إني إنما أخشى على أهلي ، فانهم يظنون أني قد قتلت ويقيمون المائم ، فان رأيت أن تفاديني على مال وترسل من يقبضه منهم فعلت خيراً ، فقال : نعم ، فعين رجلا من أصحابه فقال له الأمير مسعود : إن أهلي لا يعرفون هذا ولكن إن رأيت أن أرسل معه غلامي هذا فعلت لبيشرهم بحياتي فانهم يعرفونه ، ثم يسعى في تحصيل المال ، فقال : نعم ، فجهز معهما من يحفظهما إلى مدينة خوارزم شاه . فلما دنوا من مدينة خوارزم سبق الملك إليها . فلما رآه الناس فرحوا به فرحاً شديداً ، ودقت البشار في سائر بلاده ، وعاد الملك إلى نصابه ، واستقر السرور ببايابه ، وأصلح ما كان وهي من مملكته بسبب ما اشتهر من قتله ، وحاصر هراه وأخذها عنوة . وأما الذي كان قد أسره فانه قال يوماً للامير مسعود الذي يتوجه لي وينوون به أن خوارزم شاه قد قتل ، فقال : لا ، هو الذي كان في أسرك ، فقال له : فهلا أعلمتني به حتى كنت أردته موقراً معظماً ؟ فقال : خفتك عليه ، فقال : سر بنا إليه ، فسارا إليه فأكرهما إكراماً زائداً ، وأحسن إليهما . وأما غدر صاحب سمرقند فانه قتل كل من كان في أسره من الخوارزمية ، حتى كان الرجل يقطع قطعتين ويماق في السوق كما تماق الأغنام ، وعزم على قتل زوجته بنت خوارزم شاه ثم رجع عن قتلها وحبسها في قاعة وضيق عليها ، فلما بلغ الخبر إلى خوارزم شاه سار إليه في الجنود فنازله وحاصر سمرقند فأخذها قهراً وقتل من أهلها نحواً من مائتي ألف ، وأنزل الملك من القلعة وقتله صبراً بين يديه ، ولم يترك له نسلاً ولا عقباً ، واستحوذ خوارزم شاه على تلك الممالك التي هنالك ، وتحارب الخطا وملك التتار كشيلى خان المناخم لمملكة الصين ، فكتب ملك الخطا لخوارزم شاه يستنجده على التتار ويقول : متى غلبونا خلمصو إلى بلادك ، وكذا وكذا . وكتب التتار إليه أيضاً يستنصرونه على الخطا ويقولون : هؤلاء أعداؤنا وأعداؤك ، فكن معنا عليهم ، فكتب إلى

كل من الفريقين يطيب قلبه ، وحضر الوقعة بينهم وهو متحيز عن الفريقين ، وكانت الدائرة على الخطأ ، فهلكوا إلا القليل منهم ، وغدر التتار ما كانوا عاهدوا عليه خوارزم شاه ، فوقعت بينهم الوحشة الأكدية ، وتواعدوا للقتال ، وخاف منهم خوارزم شاه وخرب بلاداً كثيرة متاخمة لبلاد كاشلي خان خوفاً عليها أن يملكها ، ثم إن جنكيز خان خرج على كاشلي خان ، فاشتغل بمحاربتة عن محاربة خوارزم شاه ، ثم إنه وقع من الأمور الغريبة ما سندكره إن شاء الله تعالى .

وفيها كثرت غارات الفرنج من طرابلس على نواحي حمص ، فضعف صاحبها أسد الدين شيركوه عن مقاومتهم ، فبعث إليه الظاهر صاحب حلب عسكراً قواه بهم على الفرنج ، وخرج العادل من مصر في العساكر الإسلامية ، وأرسل إلى جيوش الجزيرة فوافوه على عكا فحاصرها ، لأن القبارصة أخذوا من أسطول المسلمين قطعاً فيها جماعة من المسلمين ، فطلب صاحب عكا الأمان والصلح على أن يرد الأسارى ، فأجابه إلى ذلك ، وسار العادل فنزل على بحيرة قدس قريباً من حمص ، ثم سار إلى بلاد طرابلس ، فأقام اثني عشر يوماً يقتل ويأسر ويفهم ، حتى جنح الفرنج إلى المهادنة ، ثم عاد إلى دمشق .

وفيها ملك صاحب آذربيجان الأمير نصير الدين أبو بكر بن البهلول مدينة مراغة فخلوها عن ملك قاهر ، لأن ملكها مات وقام بالملك بعده ولده صغير ، فدبر أمره خادم له . وفي غرة ذي القعدة شهد محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي عند قاضي القضاة أبي القاسم بن الدامغانى ، فقبله وولاه حسبة جانبى بغداد ، وخلع عليه خلعة سنوية سوداء بطرحة كحلية ، وبعد عشرة أيام جلس للوعظ مكان أبيه أبي الفرج بباب درب الشريف ، وحضر عنده خلق كثير . وبعد أربعة أيام من يومئذ درس بمشهد أبي حنيفة ضياء الدين أحمد بن مسعود الركسانى الحنفى ، وحضر عنده الأعيان والأكابر وفي رمضان منها وصلت الرسل من الخليفة إلى العادل بالخلع ، فلبس هو وولده المعظم والأشرف ووزيره صفى الدين بن شكر ، وغير واحد من الأمراء ، ودخلوا القلعة وقت صلاة الظهر من باب الحديد ، وقرأ التقليد الوزير وهو قائم ، وكان يوماً مشهوداً . وفيها درس شرف الدين عبد الله ابن زين القضاة عبد الرحمن بالمدرسة الرواحية بدمشق . وفيها انتقل الشيخ الخير بن البغدادى من الحنبلية إلى مذهب الشافعية ، ودرس بمدرسة أم الخليفة ، وحضر عنده الأكابر من سائر المذاهب .
وفيها توفى من الأعيان ﴿ الأمير بنيامين بن عبد الله ﴾

أحد أمراء الخليفة الناصر ، كان من سادات الأمراء عقلاً وعفة ونزاهة ، سقاه بعض الكتاب من النصرارى سمات . وكان اسم الذى سقاه ابن سلاوا ، فسلمه الخليفة إلى غلمان بنيامين فشفع فيه ابن مهدي الوزير وقال : إن النصرارى قد بدلوا فيه خمسين ألف دينار ، فكتب الخليفة على رأس الورقة

إن الأسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
فتسلمه غلمان بنيامين فقتلوه وحرقوه ، وقبض الخليفة بعد ذلك على الوزير ابن مهدي كما تقدم
﴿ حنبل بن عبد الله ﴾

ابن الفرغ بن سعادة الرصافي الحنبلي ، المكبر بجامع المهدي ، راوى مسند أحمد عن ابن الحصين
عن ابن المذهب عن أبي مالك عن عبد الله عن أبيه ، عمر تسعين سنة وخرج من بغداد فأسمعه
باربل ، واستقدمه ملوك دمشق إليها فسمع الناس بها عليه المسند ، وكان المعظم يكرمه ويأكل عنده
على السباط من الطيبات ، فنصيبه التخمة كثيراً ، لأنه كان فقيراً ضيق الامعاء من قلة الأكل ، خشن
العيش ببغداد ، وكان الكندي إذا دخل على المعظم يسأل عن حنبل فيقول المعظم هو متخوم ،
فيقول أطعمه العدس فيضحك المعظم ، ثم أعطاه المعظم مالاً جزيلاً ورده إلى بغداد فتوفي بها ، وكان
مولده سنة عشر وخمسمائة ، وكان معه ابن طبرزد ، فتأخرت وفاته عنه إلى سنة سبع وستمائة .

﴿ عبد الرحمن بن عيسى ﴾

ابن أبي الحسن المروزي الواعظ البغدادي ، سمع من ابن أبي الوقت وغيره ، واشتغل على ابن
الجوزي بالوعظ ، ثم حدثه نفسه بمضاهاته وشمخت نفسه ، واجتمع عليه طائفة من أهل باب النصيرة
ثم تزوج في آخر عمره وقد قارب السبعين ، فاغتسل في يوم بارد فانتفخ ذكره فمات في هذه السنة .

﴿ الأمير زين الدين قراجا الصلاحى ﴾

صاحب صرخد ، كانت له دار عند باب الصغير عند قناة الزلاقة ، وتربته بالسفح في قبة على
جادة الطريق عند تربة ابن تيمرك ، وأقر العادل ولده يعقوب على صرخد .

﴿ عبد العزيز الطيب ﴾

توفي فجأة ، وهو والد سعد الدين الطيب الأشرفي ، وفيه يقول ابن عنين :
فرارى ولا خلف الخطيب جماعة * وموت ولا عبد العزيز طيب

﴿ العفيف بن الدرعى ﴾

وفيها توفي

إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع بنى أمية .

﴿ أبو محمد جعفر بن محمد ﴾

ابن محمود بن هبة الله بن أحمد بن يوسف الاربلى ، كان فاضلاً في علوم كثيرة في الفقه على
مذهب الشافعى ، والحساب والفرائض والهندسة والأدب والنحو ، وما يتعلق بعلم القرآن العزيز
وغير ذلك . ومن شعره :

لا يدفع المرء ما يأتى به القدر * وفي الخطوب إذا فكرت معتبر

فليس ينجى من الأقدار إن نزلت * رأى وحزم ولا خوف ولا حذر
 فاستعمل الصبر في كل الأمور ولا * تجزع لشيء فمعتبي صبرك الظفر
 كم مسنا عسر فصرقه إلا * الله عنا وولى بعده يسر
 لا ييئس المرء من روح الآله فما * ييأس منه إلا عصبه كفروا
 إني لأعلم أن الدهر ذو دول * وأن يوميه ذا أمن وذا خطر
 ﴿ ثم دخلت سنة خمس وستائة ﴾

في محرما كل بناء دار الضيافة ببغداد التي أنشأها الناصر لدين الله بالجانب الغربي منها للحجاج
 والمارة لهم الضيافة ما داموا نازلين بها ، فاذا أراد أحدهم السفر منها زود وكسى وأعطى بعد ذلك
 ديناراً ، جزاه الله خيراً . وفيها عاد أبو الخطاب ابن دحية الكلبي من رحلته العراقية فاجتاز بالشام
 فاجتمع في مجلس الوزير الصفي هو والشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي شيخ اللغة والحديث ،
 فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى [قول] إبراهيم عليه السلام « إنما كنت
 خليلاً من وراء وراء » بفتح اللفظتين ، فقال الكندي من وراء وراء بضمهما ، فقال ابن دحية
 للوزير ابن شكر : من هذا ؟ فقال : هذا أبو اليمن الكندي ، فنال منه ابن دحية ، وكان جريئاً ، فقال
 الكندي : هو من كاب ينبح كما ينبح الكلب . قال أبو شامة : وكلنا اللفظتين محكية ، وحكى فيهما
 الجرايضاً . وفيها عاد نجر الدين ابن تيمية خطيب من حران من الحج إلى بغداد وجلس بباب بدر
 للوعظ ، مكان محيي الدين يوسف بن الجوزي ، فقال في كلامه ذلك :

وابن اللبون إذا مالز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

كأنه يعرض بابن الجوزي يوسف ، لكونه شاباً ابن خمس وعشرين سنة والله أعلم .

وفي يوم الجمعة تاسع محرم دخل مملوك افرنجى من باب مقصورة جامع دمشق وهو سكران وفي
 يده سيف مسلول ، والناس جلوس ينتظرون صلاة الفجر ، فمال على الناس يضربهم بسيفه فقتل
 اثنين أو ثلاثة ، وضرب المنبر بسيفه فانكسر سيفه فأخذوا ودع المارستان ، وشنق في يومه ذلك على
 جسر اللبادين .

وفيها عاد الشيخ شهاب الدين السهر وردي من دمشق بهدايا الملك العادل فتلقاء الجيش ومعه
 أموال كثيرة أيضاً لنفسه ، وكان قبل ذلك فقيراً زاهداً ، فلما عاد منع من الوعظ وأخذت منه الربط
 التي يباشرها ، ووكل إلى ما بيده من الأموال ، فشرع في تفريقها على الفقراء والمساكين ، فاستغنى
 منه خلق كثير ، فقال المحيي ابن الجوزي في مجلس وعظه : لا حاجة بالرجل يأخذ أموالاً من غير حقها
 ويصرفها إلى من يستحقها ، ولو ترك على ما كان كان تركها أولى به من تناولها ، وإنما أراد أن ترتفع

منزلته ببذلها . ويعود على حاله كما كان مباشره لما بذلها ، فليحذر العبد الدنيا فانها خداعة غرارة تسترق
فحول العلماء والعباد ، وقد وقع ابن الجوزي فيما بعد فيما وقع فيه السهروردي وأعظم . وفيها قصدت
الفرنج حمص وعبروا على العاصي بجسر عدوة ، فلما عرف بهم العساكر ركبوا في آثارهم فهربوا منهم
فقتلوا خلقا كثيرا منهم وغنم المسلمون منهم غنيمة جيدة والله الحمد .

وفيها قتل صاحب الجزيرة ، وكان من أسوأ الناس سيرة وأخبثهم سريرة ، وهو الملك سنجر
شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الانابكي ، ابن عم نور الدين صاحب الموصل ، وكان
الذي تولى قتله ولده غازي ، توصل إليه حتى دخل عليه وهو في الخلاء سكران ، فضربه بسكين أربع
عشرة ضربة ، ثم ذبحه ، وذلك كله ليأخذ الملك من بعده فخرمه الله إياه ، فبويع بالملك لأخيه محمود
وأخذ غازي القاتل قتلته من يومه ، فسلبه الله الملك والحياة ، ولكن أراح الله المسلمين من ظلم
أبيه وغشمه وفسقه .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار ﴾

ابن علي الواسطي المعروف بابن السنداي ، آخر من روى المسند عن أحمد بن الحسين ،
وكان من بيت فقه وقضاء وديانة ، وكان ثقة عدلا متورعا في النقل ، ومما أنشده من حفظه :
ولو أن ليلى مطلع الشمس دونها * وكانت من وراء الشمس حين تغيب
لحدثت نفسى بانتظار نوالها * وقال المنى لى : إنها لقريب

﴿ قاضى القضاة بمصر ﴾

صدر الدين عبد الملك بن درباس الماردانى الكردي والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستائة ﴾

في المحرم وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، ومعه
هدايا كثيرة ، وتناظر هو وشيخ النظامية مجد الدين يحيى بن الربيع في مسألة وجوب الزكاة في مال
اليقيم والمجنون ، وأخذ الحنفى يستدل على عدم وجوبها ، فاعترض عليه الشافعى فأجاد كل منهما في
الذى أورده ، ثم خلع على الحنفى وأصحابه بسبب الرسالة ، وكانت المناظرة بمحضرة نائب الوزير ابن
شكر . وفي يوم السبت خامس جمادى الآخرة وصل الجمال يونس بن بدران المصرى رئيس الشافعية
بدمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، فتلقاء الجيش مع حاجب الحجاب ، ودخل معه ابن أخى
صاحب إربل مظفر الدين كوكرى ، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل والسؤال في الرضا
عنه ، فأجيب إلى ذلك . وفيها ملك العادل الخابور ونصيبين وحاصر مدينة سنجار مدة فلم يظفر بها
ثم صالح صاحبها ورجع عنها .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ القاضي الأسعد بن مماتي ﴾

أبو المسكرم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهنّب بن مينا بن زكريا الأسعد بن مماتي بن أبي قدامة ابن أبي مليح المصري الكاتب الشاعر ، أسلم في الدولة الصلاحية وتولى نظر الدواوين بمصر مدة قال ابن خلكان : وله فضائل عديدة ، ومصنفات كثيرة ، ونظم سيرة صلاح الدين وكيّلة ودمنة ، وله ديوان شعر . ولما تولى الوزير ابن شكر هرب منه إلى حلب فمات بها وله ثنتان وستون مسنة . فمن شعره في ثقليل زاره بدمشق :

حكى نهرين وما في الأثر * ض من يحكيهما أبدا
حكى في خلقه ثوراً * أراد وفي أخلاقه بردا

﴿ أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل ﴾

ابن عبد الرحمن بن عبد السلام اللعماني ، أحد الأعيان من الحنفية ببغداد ، سمع الحديث ودرس بجامع السلطان ، وكان معتزلياً في الأصول ، بارعاً في الفروع ، اشتغل على أبيه وعمه ، وأتقن الخلاف وعلم المناظرة ، وقارب التسعين .

﴿ أبو عبد الله محمد بن الحسن ﴾

المعروف بابن الخراساني ، المحدث الناسخ ، كتب كثيراً من الحديث وجمع خطباً له ولغيره

وخطه جيد مشهور ﴿ أبو المواهب معتوق بن منيع ﴾

ابن مواهب الخطيب البغدادي ، قرأ النحو واللغة على ابن الخشاب ، وجمع خطباً كان يخطب منها ، وكان شيخاً فاضلاً له ديوان شعر ، فنه قوله :

ولا ترجو الصداقة من عدو * يمادى نفسه سرّاً وجهراً

فلو أجدت مودته انتفاعاً * لكان النفع منه إليه أجراً

﴿ ابن خروف ﴾

شارح سيبويه ، علي بن محمد بن يوسف أبو الحسن ابن خروف الأندلسي النحوي شرح سيبويه ، وقدمه إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار ، وشرح جمل الزجاجي ، وكان يتنقل في البلاد ولا يسكن إلا في الخانات ، ولم يتزوج ولا تسرى ، ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل ، وقد تغير عقله في آخر عمره ، فكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس ، توفي عن خمس وثمانين سنة .

﴿ أبو علي يحيى بن الربيع ﴾

ابن سليمان بن حرار الواسطي البغدادي ، اشتغل بالنظامية على فضلان وأعاد عنه ، وسافر إلى محمد بن يحيى فأخذ عنه طريقته في الخلاف ، ثم عاد إلى بغداد ثم صار مدرساً بالنظامية وناظراً

على أوقافها ، وقد سمع الحديث وكان لديه علوم كثيرة ، ومعرفة حسنة بالمذهب ، وله تفسير في أربع مجلدات كان يدرس منه ، واختصر تاريخ الخطيب والذيل عليه لابن السمعاني وقارب الثمانين .

﴿ ابن الأثير صاحب جامع الأصول والنهاية ﴾

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد محمد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي ، المعروف بابن الأثير ، وهو أخو الوزير ووزير الأفضل ضياء الدين نصر الله ، وأخو الحافظ عز الدين أبي الحسن علي صاحب الكامل في التاريخ ، ولد أبو السعادات هذا في إحدى الربيعة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وسمع الحديث الكثير وقرأ القرآن وأتقن علومه وحررها ، وكان مقامه بالموصل ، وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة ، منها جامع الأصول الستة الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي ، ولم يذكر ابن ماجه فيه ، وله كتاب النهاية في غريب الحديث وله شرح مسند الشافعي والتفسير في أربع مجلدات ، وغير ذلك في فنون شتى ، وكان معظماً عند ملوك الموصل ، فلما آل الملك إلى نور الدين أرسلان شاه ، أرسل إليه مملوكه لؤلؤ أن يستوزره فأبى فركب السلطان إليه فامتنع أيضاً وقال له : قد كبرت سني واشتهرت بنشر العلم ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشيء من العسف والظلم ، ولا يليق بي ذلك ، فأعفاه . قال أبو السعادات : كنت أقرأ علم العربية على سعيد بن الدهان ، وكان يأمرني بصنعة الشعر فكنت لا أقدر عليه ، فلما توفي الشيخ رأيته في بعض الليالي ، فأمرني بذلك ، فقلت له : ضع لي مثلاً أعمل عليه فقال :

حب العلامدنا إن فأتك الظفر * فقلت أنا : وخذت خد الثرى والليل معتكر

فالعز في صهوات الليل مركزه * والمجد ينتجه الاسراء والسهر

فقال : أحسنت ، ثم استيقظت فأتتمت عليها نحواً من عشرين بيتاً . كانت وفاته في سلخ ذي الحجة عن ثنتين وستين سنة ، وقد ترجمه أخوه في الذيل فقال : كان عالماً في عدة علوم منها الفقه وعلم الأصول والنحو والحديث واللغة ، وتصانيفه مشهورة في التفسير والحديث والفقه والحساب وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة ، وكان مغلقاً يضرب به المثل ذا دين متين ، ولزم طريقة مستقيمة رحمه الله ، فلقد كان من محاسن الزمان . قال ابن الأثير وفيها توفي .

﴿ المجد المطرزي النحوي الخوارزمي ﴾

كان إماماً في النحو له فيه تصانيف حسنة ،

قال أبو شامة . وفيها توفي : ﴿ الملك المغيث ﴾

فتح الدين عمر بن الملك العادل ، ودفن في تربة أخيه المعظم بسفح قايسون . والملك المؤيد .

﴿ مسعود بن صلاح الدين ﴾

بمدرسة رأس العين فحمل إلى حلب فدفن بها . وفيها توفى .

﴿ الفخر الرازى ﴾

المتكلم صاحب التيسير والتصانيف ، يعرف بابن خطيب الرى ، واسمه محمد بن عمر بن الحسين ابن على القرشى التيمى البكرى ، أبو المعالى وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازى ، ويقال له ابن خطيب الرى ، أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتى مصنف ، منها التفسير الحافل والمطالب العالية ، والمباحث الشرقية ، والأربعين ، وله أصول الفقه والمحصول وغيره ، وصنف ترجمة الشافعى فى مجلد مفيد ، وفيه غرائب لا يوافق عليها ، وينسب إليه أشياء عجيبة ، وقد ترجمته فى طبقات الشافعية ، وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم ، وبنيت له مدارس كثيرة فى بلدان شتى ، وملك من الذهب العين ثمانين ألف دينار ، وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والأثاث والملابس ، وكان له خمسون مملوكاً من الترك ، وكان يحضر فى مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامّة ، وكانت له عبادات وأوراد ، وقد وقع بينه وبين الكرامية فى أوقات وكان يبغضهم ويبغضونه ويبالغون فى الخط عليه ، ويبالغ هو أيضاً فى ذمهم . وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما تقدم ، وكان مع غزارة علمه فى فن الكلام يقول : من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز ، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه . وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى الذيل فى ترجمته : كان يعظ وينال من الكرامية وينالون منه سباً وتكفيراً بالكبائر ، وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاه سمات ففرحوا بموته ، وكانوا يرمونه بالمعاصى مع المماليك وغيرهم ، قال : وكانت وفاته فى ذى الحجة ، ولا كلام فى فضله ولا فيما كان يتعاطاه ، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعاً زائداً ، وليس ذلك من صفة العلماء ، ولهذا وأمثاله كثرت الشناعات عليه ، وقامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله : قال محمد البادى ، يعنى العربى يريد به النبي ﷺ ، نسبة إلى البادية . وقال محمد الرازى يعنى نفسه ، ومنها أنه كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بعبارات كثيرة ويجيب عن ذلك بأدنى إشارة وغير ذلك ، قال وبلغنى أنه خلف من الذهب العين مائتى ألف دينار غير ما كان يملكه من الدواب والثياب والعقار والآلات ، وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار ، وكان ابنه الأكبر قد تجند وخدم السلطان محمد بن تكش . وقال ابن الأثير فى الكامل : وفيها توفى فخر الدين الرازى محمد بن عمر بن خطيب الرى الفقيه الشافعى صاحب التصانيف المشهورة والفقه والأصول ، كان إمام الدين فى عصره ،

بلغنى أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ومن شعره قوله :

إليك إله الخلق وجهى ووجهى * وأنت الذى أدعوه فى السر والجهر

وأنت غيائى عند كل ملة * وأنت ملاذى فى حياتى وفى قبرى

ذكره ابن الساعى عن ياقوت الحموى عن ابن لفخر الدين عنه وبه قال :

تمتة أبواب السعادة للخلق * بذكر جلال الواحد الأحد الحق

مدبر كل الممكنات بأسرها * ومبدعها بالعدل والقصد والصدق

أجل جلال الله عن شبه خلقه * وأنصر هذا الدين فى الغرب والشرق

إله عظيم الفضل والعدل والعلى * هو المرشد المغوى هو المسعد المشقى

ومما كان يندسه :

وأرواحنا فى وحشة من جسمنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم يقول : لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا ولا تشفى

غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ فى الاثبات (الرحمن على العرش استوى) (إليه

يصعد الكلم الطيب) وفى النفى (ليس كمنله شئ) (هل تعلم له سميا) .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستائة ﴾

ذكر الشيخ أبوشامة أن فى هذه السنة تملأت ملوك الجزيرة : صاحب الموصل وصاحب سنجار

وصاحب إربل والظاهر صاحب حلب وملك الروم ، على مخالفة العادل ومنابدته ومقاتلته واصطلام

الملك من يده ، وأن تكون الخطبة للملك كنجر بن قلاج أرسلان صاحب الروم ، وأرسلوا إلى

الكرج ليقدموا لحصار خلاط ، وفيها الملك الأوحى بن العادل ، ووعدهم النصر والمعونة عليه .

قلت : وهذا بغى وعدوان ينهى الله عنه ، فأقبلت الكرج بملكهم إيوانى فحاصروا خلاط فضاق بهم

الأوحى ذرعا وقال : هذا يوم عصيب ، فقدّر الله تعالى أن فى يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر

اشتد حصارهم للبلد وأقبل ملكهم إيوانى وهو راكب على جواده وهو سكران فسقط به جواده فى

بعض الحفر التى قد أعدت مكيدة حول البلد ، فبادر إليه رجال البلد فأخذوه أسيرا حقيرا ، فأسقط فى

أيدى الكرج ، فلما أوقف بين يدي الأوحى أطلقه ومنّ عليه وأحسن إليه ، وفاداه على مائتى ألف

دينار وأتى أسير من المسلمين ، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لبلاد الأوحى ، وأن يزوج

ابنته من أخيه الأشرف موسى ، وأن يكون عوناً له على من يحاربه ، فأجابه إلى ذلك كله فأخذت منه

الايمان بذلك وبعث الأوحى إلى أبيه يستأذنه فى ذلك كله وأبوه نازل بظاهر حراب فى أشد حدة

مما قد داهمه من هذا الأمر الفظيع ، فبينما هو كذلك إذ أتاه هذا الخبر والأمر الهائل من الله العزيز الحكيم ، لا من حولهم ولا من قوتهم ، ولا كان في بالهم ، فكاد يذهل من شدة الفرح والسرور ، ثم أجاز جميع ما شرطه ولده ، وطارت الأخبار بما وقع بين الملوك فغضبوا وذلوا عند ذلك ، وأرسل كل منهم يعتذر مما نسب إليه ويحيل على غيره ، فقبل منهم اعتذاراتهم وصالحهم صلحاً أكيداً واستقبل الملك عصراً جديداً ، ووفى ملك الكرج الأوحيد بجميع ما شرطه عليه ، وتزوج الأشرف ابنته . ومن غريب ما ذكره أبو شامة في هذه السكائنة أن قسيس الملك كان ينظر في النجوم فقال للملك قبل ذلك بيوم : أعلم أنك تدخل غداً إلى قلعة خلاط ولكن بزى غير ذلك أذان العصر ، فوافق دخوله إليها أسيراً أذان العصر . ﴿ ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين ﴾

أرسل الملك نور الدين شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل يخاطب ابنة السلطان الملك العادل ، وأرسل وكيله لقبول العقد على ثلاثين ألف دينار ، فاتفق موت نور الدين ووكيله سائر في أثناء الطريق ، فعقد العقد بعد وفاته ، وقد آثني عليه ابن الأثير في كامله كثيراً وشكر منه ومن عدله وشهامته وهو أعلم به من غيره ، وذكر أن مدة ملكه سبعة عشر سنة وإحدى عشر شهراً ، وأما أبو المظفر السبسط فانه قال كان جباراً ظالماً بخيلاً سفاكاً للدماء فأنه أعلم به . وقام بالملك ولده القاهر عز الدين مسعود ، وجعل تدبير مملكته إلى غلامه بدر الدين لؤلؤ الذي صار الملك إليه فيما بعد .

قال أبو شامة : وفي سابع شوال شرع في عمارة المصلى ، وبنى له أربع جدر مشرفة ، وجعل له أبواباً صوناً لمكانه من الميار ونزول القوافل ، وجعل في قبلته محراباً من حجارة ومنبراً من حجارة وعقدت فوق ذلك قبة . ثم في سنة ثلاث عشرة عمل في قبلته رواقان وعمل له منبر من خشب ورتب له خطيب وإمام راتبان ، ومات العادل ولم يتم الرواق الثاني منه ، وذلك كله على يد الوزير الصفي ابن شكر . قال وفي ثاني شوال منها جددت أبواب الجامع الأموي من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر ، وركبت في أماكنها . وفي شوال أيضاً شرع في إصلاح الفوارة والشاذروان والبركة وعمل عندها مسجد ، وجعل له إمام راتب ، وأول من تولاه رجل يقال له النفيس المصري ، وكان يقال له بوق الجامع لطيب صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضير المصدر فيجتمع عليه الناس الكثيرون . وفي ذي الحجة منها توجهت مراكب من عكا إلى البحر إلى ثغر دمياط وفيها ملك قبرص المسمى إلبان فدخل الثغر ليلاً فأغار على بعض البلاد فقتل وسبي وكر راجعاً فركب مراكبه ولم يدركه الطلب ، وقد تقدمت له مثلها قبل هذه ، وهذا شيء لم يتفق لغيره لعنه الله .

وفيها عانت الفرنج بنواحي القدس فبرز إليهم الملك المعظم ، وجلس الشيخ شمس الدين أبو

المظفر ابن قرع على الخنفي وهو سبط ابن الجوزي ابن ابنته رابعة ، وهو صاحب مرآة الزمان ، وكان فاضلا في علوم كثيرة ، حسن الشكل طيب الصوت ، وكان يتكلم في الوعظ جيدا وتحميه العامة على صيت جده ، وقد رحل من بغداد فنزل دمشق وأكرمه ملوكها ، وولى التدريس بها ، وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد على بن الحسين زين العابدين إلى السارية التي يجلس عندها الوعاظ في زماننا هذا ، فكان يكثر الجمع عنده حتى يكونوا من باب الناطقانيين إلى باب المشهد إلى باب الساعات ، الجلوس غير الوقوف ، فحزر جمعه في بعض الأيام ثلاثين ألفا من الرجال والنساء ، وكان الناس يبيتون ليلة السبت في الجامع ويدعون البساتين ، يبيتون في قراءة ختمات وأذكار ليحصل لهم أما كن من شدة الزحام ، فاذا فرغ من وعظه خرجوا إلى أما كتبهم وليس لهم كلام إلا فيما قال يومهم ذلك أجمع ، يقولون قال الشيخ وسمعنا من الشيخ فيحتمهم ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوي ، وكان يحضر عنده الأكارب ، حتى الشيخ تاج الدين أبوالمين الكندي ، كان يجلس في القبة التي عند باب المشهد هو وإلى البلد المعتمد وإلى البر ابن تيمرك وغيرهم . والمقصود أنه لما جلس يوم السبت خامس ربيع الأول كما ذكرنا حث الناس على الجهاد وأمر باحضار ما كان تحصل عنده من شعور التائبين ، وقد عمل منه شكالات تحمل الرجال ، فلما رآها الناس ضجوا ضجة واحدة وبكوا بكاء كثيرا وقطعوا من شعورهم نحوها ، فلما انقضى المجلس ونزل عن المنبر فتلقاها الوالى مبادر الدين المعتمد بن إبراهيم ، وكان من خيار الناس ، فمشى بين يديه إلى باب الناطقانيين يعضده حتى ركب فرسه والناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فخرج من باب الفرج وبات بالمصلى ثم ركب من الغد في الناس إلى الكسوة ومعه خلأق كثير ون خرجوا بنية الجهاد إلى بلاد القدس ، وكان من جملة من معه ثلاثمائة من جهة زمليكا بالعدد الكثيرة التامة ، قال : فحتمنا عقبة أفيق والطير لا يتجاسر أن يطير من خوف الفرنج ، فلما وصلنا نابلس تلقانا المعظم ، قال ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك ، فلما رأى الشكالات من شعور التائبين جعل يقبلها ويمرغها على عينيه ووجهه ويبكي ، وعمل أبو المظفر ميعادا بنابلس وحث على الجهاد وكان يوما مشهودا ، ثم سار هو ومن معه وصحبته المعظم نحو الفرنج فقتلوا خلقا وخرابوا أما كن كثيرة ، وغنموا وعادوا سالمين ، وشرع المعظم في تحصين جبل الطور وبنى قلعة فيه ليكون إلبا على الفرنج ، ففرم أموالا كثيرة في ذلك ، فبعث الفرنج إلى العادل يطلبون منه الأمان والمصالحة ، فهادنهم وبطلت تلك العمارة وضاع ما كان المعظم غرم عليها والله أعلم .

﴿ الشيخ أبو عمر ﴾

وفيها توفي من الأعيان

باني المدرسة بسفح قايسون للفقراء المشتغلين في القرآن رحمه الله ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة

الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي ، باني المدرسة التي بالسفح يقرأ بها القرآن العزيز ، وهو أخو الشيخ
 موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، وكان أبو عمر أسن منه ، لأنه ولد سنة ثمان وعشرين
 وخمسمائة بقرية الساوييا ، وقيل بجماعيل ، والشيخ أبو عمر ربي الشيخ موفق الدين وأحسن إليه
 وزوجه ، وكان يقوم بمصالحه ، فلما قدموا من الأرض المقدسة نزلوا بمسجد أبي صالح خارج باب شرقي
 ثم انتقلوا منه إلى السفح ، وليس به من العمارة شيء سوى دير الحوراني ، قال فقهيل لنا الصالحين
 نسبة إلى مسجد أبي صالح لا أنا صالحون ، وسميت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا ،
 فقرأ الشيخ أبو عمر القرآن على رواية أبي عمرو ، وحفظ مختصر الخرقى في الفقه ، ثم إن أخاه موفق
 شرحه فيما بعد فكتب شرحه بيده ، وكتب تفسير البغوي والحلية لأبي نعيم والابانة لابن بطة ، وكتب
 مصاحف كثيرة بيده للناس ولأهله بلا أجر ، وكان كثير العبادة والزهادة والتهجد ، ويصوم الدهر
 وكان لا يزال متبسما ، وكان يقرأ كل يوم سبعا بين الظهر والعصر ويصلي الضحى ثمان ركعات يقرأ
 فيهن ألف مرة قل هو الله أحد ، وكان يزور مغارة الدم في كل يوم اثنين وخميس ، ويجمع في طريقه
 الشيخ فيعطيه الأرامل والمساكين ، ومهما تهيأ له من فتوح وغيره يؤثر به أهله والمساكين ، وكان
 متقللا في اللبس وربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها سراويل ولا قميصاً ، وكان يقطع من عمامته
 قطعاً يتصدق بها أو في تكميل كفن ميت ، وكان هو وأخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغني وأخوه
 الشيخ العماد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج ، وقد حضروا معه
 فتح القدس والسواحل وغيرها ، وجاء الملك العادل يوماً إلى ختمهم أي خصهم لزيارة أبي عمر وهو قائم
 يصلي ، فما قطع صلاته ولا أوجز فيها ، فجلس السلطان واستمر أبو عمر في صلاته ولم يلتفت إليه حتى
 قضى صلاته رحمه الله . والشيخ أبو عمر هو الذي شرع في بناء المسجد الجامع أولاً بمال رجل فامي ،
 فنقد ما عنده وقد ارتفع البناء قائمة فبعث صاحب إربل الملك المظفر كوكري مالا فأكمل به ، وولى
 خطابته الشيخ أبو عمر ، فكان يخطب به وعليه لباسه الضعيف وعليه أنوار الخشية والتقوى والخوف
 من الله عز وجل ، والمسك كيف خبأته ظهر عليك وبان ، وكان المنبر الذي فيه يومئذ ثلاث مراتي
 والرابعة للجلوس ، كما كان المنبر النبوي ، وقد حكى أبو المظفر أنه حضر يوماً عنده الجمعة وكان الشيخ
 عبد الله البوتاني حاضراً الجمعة أيضاً عنده ، فلما انتهى في خطبته إلى الدعاء للسلطان قال : اللهم أصلح
 عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، فلما قال ذلك نهض الشيخ عبد الله البوتاني وأخذ
 نعليه وخرج من الجامع وترك صلاة الجمعة ، فلما فرغنا ذهبنا إلى البوتاني فقلت له : ماذا نعمت
 عليه في قوله ؟ فقال يقول لهذا الظالم العادل ؟ لاصليت معه ، قال فبينما نحن في الحديث إذ أقبل
 الشيخ أبو عمر ومعه رغيف وخيارتان فكسر ذلك الرغيف وقال الصلاة ، ثم قال قال النبي ﷺ

« بعثت في زمن الملك العادل كسرى » فتبسم الشيخ عبدالله البوتاني ومد يده فأكل فلما فرغوا قام الشيخ أبو عمر فذهب فلما ذهب قال لي البوتاني يا سيدنا ماذا إلا رجل صالح .

قال أبو شامة كان البوتاني من الصالحين الكبار ، وقد رأيتُه وكانت وفاته بعد أبي عمر بعشر سنين فلم يسامح الشيخ أبو عمر في تساهله مع ورعه ، ولعله كان مسافراً والمسافر لا جمعة عليه ، وعذر الشيخ أبي عمر أن هذا قد جرى مجرى الأعلام العادل الكامل الأشرف ونحوه ، كما يقال سالم وغاتم ومسعود ومحمود ، وقد يكون ذلك على الضد والعكس في هذه الأسماء ، فلا يكون سالماً ولا غاتماً ولا مسعوداً ولا محموداً ، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم ، والتجار وغيرهم ، كما يقال شمس الدين و بدر الدين وعز الدين وتاج الدين ونحو ذلك قد يكون معكوساً على الضد والانقلاب ومثله الشافعي والحنبلي وغيرهم ، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك ، وكذلك العادل يدخل إطلاقه على المشترك والله أعلم . قلت : هذا الحديث الذي احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له ، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة ، ومجيباً له ولأبي المظفر ثم لأبي شامة في قبول مثل هذا وأخذه منه مسلماً إليه فيه والله أعلم .

ثم شرع أبو المظفر في ذكر فضائل أبي عمر ومناقبه وكراماته وما رآه هو وغيره من أحواله الصالحة . قال : وكان على مذهب السلف الصالح سمتاً وهدياً ، وكان حسن العقيدة متمسكاً بالكتاب والسنة والآثار المروية يمرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وكان ينهى عن صحبة المتبذعين ويأمر بصحبة الصالحين الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وربما أنشدني لنفسه في ذلك :

أوصيكم بالقول في القرآن * بقول أهل الحق والاتقان
ليس بمخلوق ولا بفان * لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعاني * متلوة لله باللسان
محفوطة في الصدر والجنان * مكتوبة في الصحف بالبنان
والقول في الصفات يا إخواني * كالذات والعلم مع البيان
إمرارها من غير ما كفران * من غير تشبيه ولا عطلان

قال وأنشدني لنفسه :

ألم يك ملهاة عن اللهو أنني * بدالي شيب الرأس والضعف والألم
ألم بي الخطب الذي لو بكيته * حياتي حتى يذهب الدمع لم ألم
قال ومرض أياماً فلم يترك شيئاً مما كان يعمل من الأوراد ، حتى كانت وفاته وقت السحر في ليلة

الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول فغسل في الدير وحمل إلى مقبرته في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان الحر شديداً فأظلت الناس سحابة من الحر ، كان يسمع منها كدوى النحل ، وكان الناس يذهبون أكرهه وبيعت ثيابه بالغالي الغالي ، ورتاه الشعراء بمرائي حسنة ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله . وترك من الأولاد ثلاثة ذكور : عمر ، وبه كان يكنى ، والشرف عبد الله وهو الذي ولي الخطابة بعد أبيه ، وهو والد العز أحمد . وعبد الرحمن . ولما توفى الشرف عبد الله صارت الخطابة لأخيه شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر ، وكان من أولاد أبيه الذكور ، فهؤلاء أولاده الذكور ، وترك من الأنث بنات كما قال الله تعالى (مسلمات مؤمنات قانتات نائبات عابدات ساجدات ثيبات وأبكارا) قال وقبره في طريق مغارة الجوع في الزقاق المقابل لدير الحوراني رحمه الله وإيانا .

﴿ ابن طبرزد شيخ الحديث ﴾

عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طبرزد البغدادي الدراقزي ، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة ، سمع الكثير وأسمع ، وكان خليعاً ظريفاً ماجناً ، وكان يؤدب الصبيان بدارالقرن قدم مع حنبل بن عبد الله المكبر إلى دمشق فسمع أهلها عليهما ، وحصل لهما أموال وعادا إلى بغداد فمات حنبل سنة ثلاث وتأخر هو إلى هذه السنة [في تاسع شهر رجب] فمات وله سبع وتسعون سنة ، وترك مالا جيداً ولم يكن له وارث إلا بيت المال ، ودفن بباب حرب .

﴿ السلطان الملك العادل أرسلان شاه ﴾

نور الدين صاحب الموصل ، وهو ابن أخي نور الدين الشهيد ، وقد ذكرنا بعض سيرته في الحوادث ، كان شافعي المذهب ، ولم يكن بينهم شافعي سواه ، وبني للشافعية مدرسة كبيرة بالموصل وبها تربته ، توفي في صفر ليلة الأحد من هذه السنة .

﴿ ابن سكينه عبد الوهاب بن علي ﴾

ضياء الدين المعروف بابن سكينه الصوفي ، كان يعد من الأبدال ، سمع الحديث الكثير وأسمعه ببلاد شتى ، ولد في سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وكان صاحباً لأبي الفرج ابن الجوزي ملازماً لمجلسه وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً لكثرة الخلق ولكثرة ما كان فيه من الخاصة والعامه رحمه الله .

﴿ مظفر بن ساسير ﴾

الواعظ الصوفي البغدادي ، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وسمع الحديث ، وكان يعظ في الأعزبية والمساجد والقرى ، وكان ظريفاً مطبوعاً قام إليه إنسان فقال له فيما بينه وبينه : أنا مريض جائع ، فقال : احمد ربك فقد عوفيت . واجتاز مرة على قصاب يبيع لحماً ضعيفاً وهو يقول أين من

حلف لا يغبين ، فقال له حتى تحننه . قال : وعملت مرة مجلساً بيمقوبا فجعل هذا يقول عندي للشيخ نصفية وهذا يقول عندي للشيخ نصفية وهذا يقول مثله حتى عدوا نحواً من خمسين نصفية ، فقلت في نفسي : استغنيت الليلة فأرجع إلى البلد تاجراً ، فلما أصبحت إذا صبرة من شمير في المسجد فتقيل لي هذه النصافي التي ذكر الجماعة ، وإذا هي بكيلة يسمونها نصفية مثل الزبدية ، وعملت مرة مجلساً بباصرا فجمعوا لي شيئاً لا أدرى ما هو ، فلما أصبحنا إذا شيء من صوف الجواميس وقرونها ، فقام رجل ينادي عليكم عندي في قرون الشيخ ووصوفه ، فقلت لا حاجة لي بهذا وأنتم في حل منه .

ذكره أبو شامة ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستائة ﴾

استهلت والعدل مقيم على الطور لعمارة حصنه ، وجاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن عبد المؤمن قد كسر الفرنج بطليطة كسرة عظيمة ، وربما فتح البلاد عنوة وقتل منهم خلقاً كثيراً . وفيها كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة ، هدمت منها دوراً كثيرة ، وكذلك بالكرك والشوبك هدمت من قلعتها أبراجاً ، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم ، ورؤى دخان نازل من السماء فيما بين المغرب والعشاء عند قبر عاتكة غربي دمشق . وفيها أظهرت الباطنية الاسلام وأقامت الحدود على من تعاطى الحرام ، وبنوا الجوامع والمساجد ، وكتبوا إلى إخوانهم بالشام بمضات وأمثالها بذلك ، وكتب زعيمهم جلال الدين إلى الخليفة يعلمه بذلك ، وقدمت أمة منهم إلى بغداد لأجل الحج فأكرموا وعظموا بسبب ذلك ، ولكن لما كانوا يعرفات ظفر واحد منهم على قريب لأمير مكة قتادة الحسيني فقتله ظاناً أنه قتادة فثارت فتنة بين سودان مكة وركب العراق ، ونهب الركب وقتل منهم خلق كثير . وفيها اشترى الملك الأشرف جوسق الريس من النيرب من ابن عم الظاهر حضر بن صلاح الدين وبناه بناء حسناً ، وهو المسمى بزماننا بالدهشة .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ الشيخ عماد الدين ﴾

محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصلي صاحب التصانيف والفنون الكثيرة ، كان رئيس الشافعية بالموصل ، وبعث رسولا إلى بغداد بعد موت نور الدين أرسلان ، وكان عنده وسوسة كثيرة في الطهارة ، وكان يعامل في الأموال بمسألة العينة كما قيل تصفون البعض من شرايكم وتسترون بطون الجمال بأحمالها ، ولو عكس الأمر لكان خيراً له ، فلقبه يوماً قضيبي البان الموكه فقال له : يا شيخ بلغني عنك أنك تغسل العضو من أعضائك ببريق من الماء فلم لا تغسل اللقمة التي تأكلها لتستنظف قلبك وباطنك ؟ ففهم الشيخ ما أراد فترك ذلك . توفي بالموصل في رجب عن ثلاث وسبعين سنة .

﴿ ابن حمدون تاج الدين ﴾

أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، كان فاضلاً بارعاً ، اعتنى بجمع

الكتب المنسوبة وغيرها ، وولاه الخليفة المارستان العضدى ، توفى بالمدائن وحمل إلى مقابر قریش
فدفن بها ﴿ صاحب الروم خسر وشاه ﴾

ابن قليج أرسلان ، مات فيها وقام بالملك بعده ولده كيكارس ، فلما توفى فى سنة خمس عشرة
ملك أخوه كيقياذ صارم الدين برغش العادلى نائب القلعة بدمشق ، مات فى صفر ودفن بقرنته غربى
الجامع المظفرى ، وهذا الرجل هو الذى نفي الحافظ عبد الغنى المقدسى إلى مصر وبين يديه كان عقد
المجلس ، وكان فى جملة من قام عليه ابن الزكى والخطيب الدولعى ، وقد توفوا أربعتهم وغيرهم ممن قام
عليه واجتمعوا عند ربهم الحكم العدل سبحانه .

﴿ الأمير نحر الدين سرکس ﴾

ويقال له جهارکس أحد أمراء الدولة الصلاحية وإليه تنسب قباب سرکس بالسفح تجاه تربة
خاتون وبها قبره . قال ابن خلکان : هذا هو الذى بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة إليه
وبنى فى أعلاها مسجدا معلقا وربعا ، وقد ذكر جماعة من التجار أنهم لم يروا لها نظيراً فى البلدان
فى حسنها وعظمتها وإحكام بنائها . قال : وجها ركس بمعنى أربعة أنفس . قلت : وقد كان نائبا
للعادل على بانياس وتينين وهو بين ، فلما توفى ترك ولدا صغيراً فأقره العادل على ما كان يليه أبوه وجعل
له مدبرا وهو الأمير صارم الدين قطلبا التنيسى ، ثم استقل بها بعد موت الصبى إلى سنة خمس عشرة
﴿ الشيخ الكبير المعمر الرحلة أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح ﴾

منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوى النيسابورى ، سمع أباه وجد أبيه
وغيرهما ، وعنه ابن الصلاح وغيره ، توفى بنيسابور فى شعبان فى هذه السنة عن خمس وثمانين سنة

﴿ قاسم الدين التركانى ﴾

العقبي والد والى البلد ، كانت وفاته فى شوال منها والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسمائة ﴾

ففيها اجتمع العادل وأولاده الكامل والمعظم والفائز بدمياط من بلاد مصر فى مقاتلة الفرنج
فاغتم غيبتهم سامة الجبلى أحد أكبر الأمراء ، وكانت بيده قلعة عجولون وكوكب فسار مسرعا إلى
دمشق ليستلم البلدين ، فأرسل العادل فى إثره ولده المعظم فسبقه إلى القدس وحمل عليه فرسم عليه
فى كنيسة صهيون ، وكان شيعيا كبيرا قد أصابه النقرس ، فشرع يرده إلى الطاعة بالملاطفة فلم ينفع فيه
فاستولى على حواصله وأملاكه وأرسله إلى قلعة الكرك فاعتقله بها ، وكان قيمة ما أخذه منه
قريبا من ألف دينار ، من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة ، وداره هى التى جعلها
البادرانى مدرسة للشافعية ، وخرّب حصن كوكب ونقل حواصله إلى حصن الطور الذى استجده

العادل وولده المعظم . وفيها عزل الوزير ابن شكر واحتيط على أمواله ونفي إلى الشرق ، وهو الذي كان قد كتب إلى الديار المصرية بنفي الحافظ عبد الغنى منها بعد نفيه من الشام ، فكتب أن ينفي إلى المغرب ، فتوفي الحافظ عبد الغنى رحمه الله قبل أن يصل الكتاب ، وكتب الله عز وجل بنفي الوزير إلى الشرق محل الزلازل والفتن والشر ، ونفاه عن الأرض المقدسة جزاء وفاقا . ولما استولى صاحب قبرص على مدينة أنطاكية حصل بسببه شر عظيم وتمكن من الغارات على بلاد المسلمين ، لا سيما على التراكين الذين حول أنطاكية ، قتل منهم خلقا كثيرا وغنم من أغنامهم شيئا كثيرا ، فتمرد الله عز وجل أن أمكنهم منه في بعض الأودية فقتلوه وطاقوا برأسه في تلك البلاد ، ثم أرسلوا رأسه إلى الملك العادل إلى مصر فطيف به هنالك ، وهو الذي أغار على بلاد مصر من ثغر دمياط مرتين فقتل وسبي وعجز عنه الملوك .

وفي ربيع الأول منها توفي الملك الأوحده .

﴿ نجم الدين أيوب ﴾

ابن العادل صاحب خلاط ، يقال إنه كان قد سفك الدماء وأساء السيرة فقصف الله عمره ، ووليها بعده أخوه الملك الأشرف موسى ، وكان محمود السيرة جيد السريرة فأحسن إلى أهلها فأحبوه كثيرا . وفيها توفي من الأعيان .

﴿ فقيه الحرم الشريف بمكة ﴾

محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليمنى ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القفصى المقرئ المحدث ، كتب كثيرا وسمع الكثير ودفن بمقابر الصوفية .

﴿ أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي ﴾

من أهل مرو ، له كتاب المحصل في شرح المفصل للزخشرى في النحو . كان ثقة عالما سمع الحديث توفي فيها عن ثنتين وتسعين سنة .

﴿ الشيخ الصالح الزاهد العابد ﴾

أبو البقاء محمود بن عثمان بن مكارم النعمالي الحنبلى ، كان له عبادات ومجاهدات وسياحات ، وبنى رباطاً بباب الأرح يأوى إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم ، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم ، وقد سمع الحديث وقرأ القرآن ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . توفي وقد جاوز الثمانين .

﴿ ثم دخلت سنة عشر وستائة ﴾

فيها أمر العادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أفواه الطرق إلى الجامع لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانة للمسلمين عن الأذى بهم ، ولئلا يضيقوا على المارين إلى الصلاة . وفيها ولد الملك

العزیز للظاهر غازی صاحب حلب ، وهو والد الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصريتين داخل دمشق ، إحداهما داخل باب الفراديس ، والأخرى بالسفح ذات الحائط الهائل والعمارة المتينة ، التي قيل إنه لا يوجد مثلها إلا قليلا ، وهو الذي أسره التتار الذين مع هلاك كوك ملك التتار . وفيها قدم بالفيل من مصر فحمل هدية إلى صاحب الكرج فتمعجب الناس منه جدا ، ومن بديع خلقه . وفيها قدم الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين من حلب قاصدا الحج ، فتلقاه الناس وأكرمه ابن عمه المعظم ، فلما لم يبق بينه وبين مكة إلا مراحل يسيرة تلقته حاشية الكامل صاحب مصر وصدوه عن دخول مكة ، وقالوا إنما جئت لأخذ اليمن ، فقال لهم قيديني وذروني أقضى المناسك ، فقالوا : ليس معنا مرسوم وإنما أمرنا برك وصدك ، فهم طائفة من الناس بقتالهم فخاف من وقوع فتنة فتحال من حجه ورجع إلى الشام ، وتأسف الناس على ما فعل به وتباكوا لما ودعهم ، تقبل الله منه . وفيها وصل كتاب من بعض فقهاء الحنفية بخراسان إلى الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي يخبر به أن السلطان خوارزم شاه محمد بن تنكش تنكر في ثلاثة نفر من أصحابه ، ودخل بلاد التتر ليكشف أخبارهم بنفسه ، فأنكر وهم فقبضوا عليهم فضربوا منهم اثنين حتى ماتا ولم يقرأ بما جاؤا فيه واستوثقوا من الملك وصاحبه الآخر أمرا ، فلما كان في بعض الليالي هربا ورجع السلطان إلى ملكه وهذه المرة غير نوبة أسره في المعركة مع ابن مسعود الأمير .

وفيها ظهرت بلاطة وهم يحفرون في خندق حلب فوجد تحتها من الذهب خمسة وسبعون رطلا ، ومن الفضة خمسة وعشرون بالرطل الحلبي .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ شيخ الحنفية ﴾

مدرس مشهد أبي حنيفة ببغداد ، الشيخ أبو الفضل أحمد بن مسعود بن علي الرساني ، وكان إليه المظالم ، ودفن بالمشهد المذكور .

﴿ والشيخ أبو محمد بن إسماعيل ﴾

ابن علي بن الحسين نحر الدين الحنبلي ، يعرف بابن المشطة ، ويقال له الفخر غلام ابن المنى ، له تعلية في الخلاف وله حلقة بجامع الخليفة ، وكان يلي النظر في قرايا الخليفة ، ثم عزله فلزم بيته فقيرا لا شيء له إلى أن مات رحمه الله ، وكان ولده محمد مدبرا شيطانا مريدا كثير الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياء الأمر بالباطل ، فقطع لسانه وحبس إلى أن مات .

﴿ والوزير معز الدين أبو المعالي ﴾

سميد بن علي بن أحمد بن حديدة ، من سلالة الصحابي قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري ، ولي الوزارة للناصر في سنة أربع وثمانين ، ثم عزله عن سفارة ابن مهدي فهرب إلى مراغة ، ثم عاد

بعد موت ابن مهدي فأقام ببغداد معظماً محترماً ، وكان كثير الصدقات والاحسان إلى الناس إلى أن مات رحمه الله * وسنجر بن عبد الله الناصري *

الخليفتي ، كانت له أموال كثيرة وأملاك وإقطاعات متسعة ، وكان مع ذلك بخيلاً ذليلاً ساقط النفس ، اتفق أنه خرج أمير الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فاعترضه بعض الأعراب في نفر يسير ، ومع سنجر خمسمائة فارس ، فدخله الذل من الأعرابي ، فطلب منه الأعرابي خمسين ألف دينار فخبأها سنجر من الحجيج ودفمها إليه ، فلما عاد إلى بغداد أخذ الخليفة منه خمسين ألف دينار ودفمها إلى أصحابها وعزله وولى طاشتكين مكانه .

﴿ قاضي السلامة ﴾

ظهير الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ، الفقيه الشافعي الأديب ، ذكره العماد في الجريدة وابن خلكان في الوفيات ، وأثني عليه وأنشد من شعره ، في شيخ له زاوية ، وفي أصحابه يقال له مكي :

ألا قل لمكي قول النصوص * وحق النصيحة أن تستمع
متى سمع الناس في دينهم * بأن الغنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير * ويرقص في الجمع حتى يقع
ولو كان طاوى الحشا جائعاً * لما دار من طرب واستمع
وقالوا : سكرنا بحب الاله * وما أسكر القوم إلا القمص
كذلك الحمر إذا أخصبت * يهيجها ربهما والشبع
تراهم يهزوا لحام إذا * ترنم حادهم بالبدع
فيصرخ هذا وهذا يثن * ويس لو تلتين ما انصدع

﴿ وتاج الأماناء ﴾

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر من بيت الحديث والرواية ، وهو أكبر من إخوته زين الفخر والأماناء ، سمع عميه الحافظ أبي القاسم والصائغ ، وكان صديقاً للكندي توفي يوم الأحد ثاني رجب ودفن قبلي محراب مسجد القدم .

﴿ والنسابة الكلبى ﴾

كان يقال له تاج العلى الحسيني ، اجتمع بآمد بابن دحية ، وكان ينسب إلى دحية الكلبى ، ودحية الكلبى لم يعقب ، فرماه ابن دحية بالكذب في مسائله الموصلية . قال ابن الأثير : وفي المحرم منها توفي

﴿ المهذب الطيب المشهور ﴾

وهو علي بن أحمد بن مقبل الموصلي ، سمع الحديث وكان أعلم أهل زمانه بالطب ، وله فيه تصنيف حسن ، وكان كثير الصدقة حسن الأخلاق .

﴿ الجزولي صاحب المقدمة المسماة بالقانون ﴾

وهو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي - بطن من البربر - ثم البردكيني النحوي المصري ، مصنف المقدمة المشهورة البديعة ، شرحها هو وتلامذته ، وكلهم يعترفون بتقديرهم عن فهم مراده في أماكن كثيرة منها ، قدم مصر وأخذ عن ابن بري ، ثم عاد إلى بلاده وولى خطابة مرا كش ، توفي في هذه السنة وقيل قبلها فإله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستائة ﴾

فيها أرسل الملك خوارزم شاه أميراً من أخصائه أمرائه عنده ، وكان قبل ذلك سيروانياً فصار أميراً خاصاً ، فبعثه في جيش ففتح له كرمان وتكران و إلى حدود بلاد السند ، وخطب له بتلك البلاد ، وكان خوارزم شاه لا يصيف إلا بناوحي سمرقند خوفاً من التتار وكشلي خان أن يثبوا على أطراف تلك البلاد التي تتأخهم . قال أبو شامة : وفيها شرع في تبليط داخل الجامع الأموي و بدأوا من ناحية السبع الكبير ، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حفراً وجورا ، فاستراح الناس في تبليطه . وفيها وسع الخندق مما يلي التيازية فأخربت دور كثيرة وحمام قايماز وفرن كان هناك وقفا على دار الحديث النورية . وفيها بنى المعظم الفندق المنسوب إليه بناحية قبر عائكة ظاهر باب الجابية . وفيها أخذ المعظم قلعة صرخد من ابن قراجا وعوضه عنها وسلمها إلى مملوكه عز الدين أيبك المعظمي ، فثبتت في يده إلى أن انتزعها منه نجم الدين أيوب سنة أربع وأربعين . وفيها حج الملك المعظم ابن العادل ركب من الكرك على الهجن في حادي عشر ذي القعدة ومعه ابن موسك ومملوك أبيه وعز الدين أستاذ داره وخلق ، فسار على طريق تبوك والعلال . و بنى البركة المنسوبة إليه ، ومصانع أخرى . فلما قدم المدينة النبوية تلقاه صاحبها سالم وسلم إليه مفاتيحها وخدمه خدمة تامة ، وأما صاحب مكة قتادة فلم يرفع به رأساً ، ولهذا لما قضى نسكته ، وكان قارناً ، وأنفق في المجاورين ما حملة إليهم من الصدقات وكرراً جمعاً استصحب معه سالماً صاحب المدينة وتشكى إلى أبيه عند رأس الماء ما لقيه من صاحب مكة ، فأرسل العادل ، مع سالم جيشاً يطردون صاحب مكة ، فلما انتهوا إليها هرب منهم في الأودية والجبال والبراري ، وقد أثر المعظم في حجته هذه آثراً حسنة بطريق الحجاز أتاه الله ،

وفيها تعامل أهل دمشق في القراطيس السود العادلية ثم بطلت بعد ذلك ودفنت . وفيها مات

صاحب اليمن وتولاها سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاق الأمراء عليه ، فأرسل العادل إلى ولده الكامل أن يرسل إليها ولده أضييس ، فأرسله فتملكها فظلم بها وقتل وغشم ، وقتل من الأشراف نحواً من ثمانمائة ، وأما من عداهم فكثير ، وكان من أجرة الملوك وأكثرتهم فسقا وأقاهم حياء ودينا ، وقد ذكروا عنه ما تقشع منه الأبدان وتنكره القلوب ، نسأل الله العافية وفيها توفي من الأعيان ﴿ إبراهيم بن علي ﴾

ابن محمد بن بكر وس الفقيه الحنبلي ، أفقي وناظر وعدل عند الحكم ، ثم انسلخ من هذا كله وصار شرطياً بباب النوى يضرب الناس ويؤذيهم غاية الأذى ، ثم بعد ذلك ضرب إلى أن مات وألقي في دجلة وفرح الناس بموته ، وقد كان أبوه رجلاً صالحاً .

﴿ الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ﴾

ابن الشيخ عبد القادر ، كان أبوه صالحاً وكان هو متمهما بالفلسفة ومخاطبة النجوم ، ووجد عنده كتب في ذلك ، وقد ولي عدة ولايات ، وفيه وفي أمثاله يقال : نعم الجدود ولكن بئس ما نسلوا . رأى عليه أبوه يوماً ثوباً بخارياً فقال : سمعنا بالبخاري ومسلم ، وأما بخاري وكافر فهذا شيء عجيب ، وقد كان مصاحباً لآبي القاسم ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وكان الآخر مديراً فاسقاً ، وكانا يجتمعان على الشراب والمردان قبهما الله .

﴿ أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك ﴾

البنار المعروف بابن الأخضر البغدادي المحدث المكثّر الحافظ المصنف الحرر ، له كتب مفيدة متقنة ، وكان من الصالحين ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً رحمه الله .

﴿ الحافظ أبو الحسن علي بن الأتجيب ﴾

أبي المكارم المفضل [بن أبي الحسن علي بن أبي الفيث مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن] اللخمي المقدسي ، ثم الاسكندراني المالكي ، سمع السلفي وعبد الرحيم المنذري وكان مدرساً للمالكية بالأسكندرية ، ونائب الحكم بها . ومن شعره قوله :

أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل * وأصحابه والتابعين تمسكي

عسا كي إذا بالفت في نشر دينه * بما طاب من عرف له أن تمسكي

وخافي غدا يوم الحساب جهنما * إذا لفتحت نيرانها أن تمسكي

توفي بالقاهرة في هذه السنة قاله ابن خلكان .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستائة ﴾

فيها شرع في بناء المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق ، وفيها عزل القاضي ابن الزكي وفوض الحكم

إلى القاضي جمال الدين بن الخرستاني ، وهو ابن ثمانين أو تسعين سنة ، فحكم بالعدل وقضى بالحق ، ويقال إنه كان يحكم بالمدرسة المجاهدية قريبا من النورية عند باب القواسين . وفيها أبطل العادل ضمان الحجر والقيان جزاء الله خيراً ، فزال بزوال ذلك عن الناس ومنهم شر كثير . وفيها حاصر الأمير قتادة أمير مكة المدينة ومن بها وقطع نخلا كثيراً ، فقاتله أهلها فكر خائباً خاسراً حسيراً ، وكان صاحب المدينة بالشام فطلب من العادل نجدة على أمير مكة ، فأرسل معه جيشاً فأسرع في الأوبة فمات في أثناء الطريق ، فاجتمع الجيش على ابن أخيه جواز فقصد مكة فالتقاه أميرها بالصفراء فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهرب المكيون وغنم منهم جواز شديداً كثيراً ، وهرب قتادة إلى ينبع فساروا إليه فحاصروه بها وضيقوا عليه . وفيها أغارت الفرنج على بلاد الاسماعيلية فقتلوا ونهبوا . وفيها أخذ ملك الروم كيكارس مدينة أنطاكية من أيدي الفرنج ثم أخذها منه ابن لاون ملك الأرمن ، ثم منه إيريس طرابلس . وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكش مدينة غزنة بغير قتال .

وفيها كانت وفاة ولي العهد أبي الحسن علي بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، ولما توفي حزن الخليفة عليه حزناً عظيماً ، وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صدقاته وإحسانه إلى الناس ، حتى قيل إنه لم يبق بيت ببغداد إلا حزنوا عليه ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً وناح أهل البلد عليه ليلاً ونهاراً ، ودفن عند جدته بالقرب من قبر معروف ، توفي يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة وصلى عليه بعد صلاة العصر ، وفي هذا اليوم قدم بغداد برأس منسكلى الذي كان قد عصى على الخليفة وعلى أستاذه ، فطيف به ولم يتم فرحه ذلك اليوم لموت ولده وولى عهده ، والدنيا لا تسر بقدر ماتضر ، وترك ولدين أحدهما المؤيد أبو عبد الله الحسين ، والموفق أبو الفضل يحيى .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ الحافظ عبدالقاهر الرهاوى ﴾

ابن عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الحافظ المحدث المخرج المفيد المحرر المتقن البارع المصنف ، كان مولياً لبعض المواصلة ، وقيل لبعض الجوابين ، اشتغل بدار الحديث بالموصل ، ثم انتقل إلى حران ، وقد رحل إلى بلدان شتى ، وسمع الكثير من المشايخ ، وأقام بجران إلى أن توفي بها ، وكان مولده في سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، كان ديناً صالحاً رحمه الله .

﴿ الوجيه الأعمى ﴾

أبو بكر المبارك بن سعيد بن الدهان النحوى الواسطى الملقب بالوجيه ، ولد بواسط وقدم ببغداد فاشتغل بعلم العربية ، فأتقن ذلك وحفظ شيئاً كثيراً من أشعار العرب ، وسمع الحديث وكان حنبلياً ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم صار شافعيًا ، وولى تدريس النحو بالنظامية ، وفيه يقول الشاعر :

فن مبلغ عنى الوجيه رسالة * وإن كان لا تجدى إليه الرسائل

تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكل
وما أخذت برأى الشافعي ديانة * ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * إلى مالك فانظر إلى ما أنت قائل

وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والأمثال والملح ، ويعرف العربية والتركية والمعجمية
والرومية والحبشية والزنجية ، وكانت له يد طويلة في نظم الشعر . فمن ذلك قوله :

ولو وقفت في لجة البحر قطرة * من المزن يوماً ثم شاء لما زها
ولو ملك الدنيا فأضحى ملوكها * عبيد الله في الشرق والغرب مازها

وله في التجنيس :

أطلت ملاحي في اجتنابي لمعشر * طعام لثام جودهم غير مرتجى
حوا ملهم والدين والعرض منهم * مباح ، فما يخشون من عب أو هجا
إذا شرع الأجواد في الجود منهجاً * لهم شرعوا في البخل سبعين منهجا

وله مدائح حسنة وأشعار رائقة ومعاني فائقة ، وربما عارض شعر البحترى بما يقاربه ويدانيه ،
قالوا وكان الوجيه لا يغضب قط ، قتراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا ، فجاء إليه
فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها بالجواب ، فقال له السائل : أخطأت أيها الشيخ ، فأعاد عليه
الجواب بعبارة أخرى ، فقال : كذبت وما أراك إلا قد نسيت النحو ، فقال الوجيه : أيها الرجل فلعلك
لم تفهم ما أقول لك ، فقال بلى ولكنك تخطئ في الجواب ، فقال له فقل أنت ما عندك لنستفيد منك ،
فأغلظ له السائل في القول فتبسم ضاحكا وقال له : إن كنت راهنت فقد غلبت ، وإنما مثلك
مثل البعوضة - يعنى الناموسة - سقطت على ظهر الفيل ، فلما أرادت أن تطير قالت له استمسك
فاني أحب أن أطير ، فقال لها الفيل : ما أحسست بك حين سقطت ، فما أحتاج أن أستمسك إذا
طرت ، كانت وفاته رحمه الله في شعبان منها ودفن بالوردية .

﴿ أبو محمد عبد العزيز بن أبي المعالي ﴾

ابن غنيمة المعروف بابن منينا ، ولد سنة خمس عشرة وخمسة مائة وسمع الكثير وأسمعه ، توفي في
ذي الحجة منها عن سبع وتسعين سنة .

﴿ الشيخ الفقيه كمال الدين مودود ﴾

ابن الشاغوري الشافعي كان يقرىء بالجامع الأموي الفقه وشرح التنبيه للطلبة ، ويتأني عليهم
حتى يفهموا احتسابا تجاه المقصورة . ودفن بمقابر باب الصغير شمالي قبور الشهداء وعلى قبره شعر ذكره
أبو شامة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستائة ﴾

قال أبو شامة : فيها أحضرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قبة الذسر ، طول كل واحد اثنتان وثلاثون ذراعاً بالنجار . وفيها شرع في تجديد خندق باب السر المقابل لدار الطعم العتيقة إلى جانب بانياس . قلت : هي التي يقال لها اليوم اصطبل السلطان ، وقد نقل السلطان بنفسه التراب ومما ليكه تحمل بين يديه على قربوس السروج القفاف من التراب فيفرغونها في الميدان الأخضر ، وكذلك أخوه الصالح ومما ليكه يعمل هذا يوماً وهذا يوماً . وفيها وقعت فتنة بين أهل الشاغور وأهل العقيبة فاقتتلوا بالرحبة والسيارف ، فركب الجيش إليهم ملبسين وجاء المعظم بنفسه فسك رؤسهم وجبسهم . وفيها رتب بالمصلى خطيب مستقل ، وأول من بشره الصدر معيد الفلكية ، ثم خطب به بعد بهاء الدين بن أبي اليسر ، ثم بنو حسان وإلى الآن .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ الملك الظاهر أبو منصور ﴾

غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان من خيار الملوك وأسد م سيره ، ولكن كان فيه عسف ويعاقب على الذنب اليسير كثيراً ، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء ، أقام في الملك ثلاثين سنة وحضر كثيراً من الغزوات مع أبيه ، وكان ذكياً له رأى جيد وعبارة سديدة وفطنة حسنة ، بلغ أربعاً وأربعين سنة ، وجعل الملك من بعده لولده العزيز غياث الدين محمد ، وكان حينئذ ابن ثلاث سنين ، وكان له أولاد كبار ولكن ابنه هذا الصغير الذي عهد إليه كان من بنت عمه العادل وأخواله الأشرف والمعظم والكامل ، وجده وأخواله لا ينازعونه ، ولو عهد لغيره من أولاده لأخذوا الملك منه ، وهكذا وقع سواء ، بايع له جده العادل وأخواله ، وهم المعظم بنقض ذلك وبأخذ الملك منه فلم يتفق له ذلك ، وقام بتدبير ملكه الطواشي شهاب الدين طغر بك الرومي الأبيض ، وكان ديناً عاقلاً .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ زيد بن الحسن ﴾

ابن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة الشيخ الامام وحيد عصره تاج الدين أبو اليمن الكندي ، ولد ببغداد ونشأ بها واشتغل وحصل ، ثم قدم دمشق فأقام بها وفاق أهل زمانه شرقاً وغرباً في اللغة والنحو وغير ذلك من فنون العلم ، وعلو الاسناد وحسن الطريقة والسيرة وحسن العقيدة ، وانتفع به علماء زمانه وأثنوا عليه وخضعوا له . وكان حنبلياً ثم صار حنفياً . ولد في الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمائة ، فقرأ القرآن بالروايات وعمره عشر سنين ، وسمع الكثير من الحديث العالي على الشيوخ الثقات ، وعنى به وتعلم العربية واللغة واشتهر بذلك ، ثم دخل الشام في سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، ثم سكن مصر واجتمع بالقاضي الفاضل ، ثم انتقل إلى دمشق فسكن بدار

العجم منها وحظى عند الملوك والوزراء والأمرء ، وتردد إليه العلماء والملوك وأبناؤهم ، كان الأفضل ابن صلاح الدين وهو صاحب دمشق يتردد إليه إلى منزله ، وكذلك أخوه المحسن والمعظم ملك دمشق ، كان ينزل إليه إلى درب العجم يقرأ عليه في المفصل الزمخشري ، وكان المعظم يعطى لمن حفظ المفصل ثلاثين دينارا جائزة ، وكان يحضر مجلسه بدرب العجم جميع المصدرين بالجامع ، كالشيخ علم الدين السخاوى و يحيى بن معطى الوجيه اللغوى ، والفخر التركى وغيرهم ، وكان القاضى الفاضل يثنى عليه . قال السخاوى : كان عنده من العلوم مالا يوجد عند غيره . ومن العجب أن سيبويه قد شرح عليه كتابه وكان اسمه عمرو ، واسمه زيد . فقلت في ذلك :

لم يكن في عهد عمرو مثله * وكذا الكندى في آخر عصر

فهما زيد وعمرو إنما * بنى النحو على زيد وعمرو

قال أبو شامة : وهذا كما قال فيه ابن الدهان المذكور في سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة :

يا زيد زادك ربى من مواهبه * نعمما يقصر عن إدراكها الأمل

النحو أنت أحق العالمين به * أليس باسمك فيه يضرب المثل

وقد مدحه السخاوى بقصيدة حسنة ، وأثنى عليه أبو المظفر سبط ابن الجوزى ، فقال قرأت عليه وكان حسن العقيدة ظريف الخلق لا يسأم الانسان من مجالسته ، وله النوادر العجيبة والخط المليح والشعر الرائق ، وله ديوان شعر كبير ، وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شوال منها وله ثلاث وتسعون سنة وشهر وسبعة عشر يوماً ، وصلى عليه بجامع دمشق ثم حمل إلى الصالحية فدفن بها ، وكان قد وقف كتبه - وكانت نفيسة - وهى سبعمائة وإحدى وستون مجلداً ، على معتقه نجيب الدين ياقوت ، ثم على العلماء فى الحديث والفقه واللغة وغير ذلك ، وجعلت فى خزانة كبيرة فى مقصورة ابن سنان الحلبيّة المجاورة لمشهد على بن زين العابدين ، ثم إن هذه الكتب تفرقت وبيع كثير منها ولم يبق بالخرزانة المشار إليها إلا القليل الرث ، وهى بمقصورة الحلبيّة ، وكانت قديماً يقال لها مقصورة ابن سنان ، وقد ترك نعمة وافرة وأموالاً جزيلة ، ومماليك متعددة من الترك الحسان ، وقد كان رقيق الحاشية حسن الأخلاق يعامل الطلبة معاملة حسنة من القيام والتعظيم ، فلما كبر ترك القيام لهم وأنشأ يقول :

تركت قيامى للصدى يزورنى * ولا ذنب لى إلا الاطالة فى عمرى

فان بلغوا من عشر تسعين نصفها * تبين فى ترك القيام لهم عذرى

ومما مدح فيه الملك المظفر شاهنشاه ما ذكره ابن السامى فى تاريخه :

وصال الغوانى كان أورى وأرجا * وعصر التدانى كان أبهى وأبهجا

ليالى كان العمر أحسن شافع * تولى وكان اللهو أوضح منهجا
 بدا الشيب فأنجابت طماعية الصبا * وقبح لى ما كان يستحسن الحجا
 بلهنية ولت كأن لم أكن بها * أجلى بها وجه النعيم مسرجا
 ولا اختلت في برد الشباب مجرراً * ذبولى إعجابا به وتبرجا
 أعارك غيداء المعاطف طفلة * وأغيد معسول المراشف أدعجا
 نقضت لياليها بطيب كأنه * لتقصيره منها محتطف الدجا
 فان أمس مكروب الفؤاد حزينه * أعافر من در الصباية منهجا
 وحيدا على أنى بفضلى متم * مروعا بأعداء الفضائل مزعجا
 فيارب دينى قد سررت وسرني * وأبهجتني بالصالحات وأبهجا
 ويارب ناد قد شهدت وماجد * شهدت دعوته فتلجلجا (١)
 صدعت بفضلى نقصه فتركته * وفي قلبه شجو وفي حلقة شجا
 كأن ثنائى فى مسامع حسدى * وقد ضم أبكار المعاني وأدرجا
 حسام تقى الدين فى كل مارق * يقدر إلى الأرض السكى المدججا
 وقال يمدح أخاه معز الدين فر وخشاه بن شاهنشاه بن أيوب :

هل أنت راحم عبرة ومدله * ومجبر صب عند ما منه وهى
 هيهات يرحم قاتل مقتوله * وسنانه فى القلب غير منهيه
 مذ بل من ذاك الغرام فأننى * مذ حل بي مرض الهوى لم أنقه
 إنى بليت بحب أغيد ساحر * بلحاظه رخص البنان بزوه
 أبغى شفاء تدلنى من واله * ومتى يرق مدلل لمدله
 كم آهة لى فى هواه وأنة * لو كان ينفعنى عليه تأوهى
 وما رب فى وصله لو أنها * تقضى لكأنت عند مبسمه الشهى
 يا مفردا بالحسن إنك منته * فيه كما أنا فى الصباية منتهى
 قد لام فيك معاشر كى أنتهى * باللوم عن حب الحياة وأنت هى
 أبكى لديه فان أحس بلوعة * وتشهق أرمى بطرف مقهقه
 يا من محاسنه وحالى عنده * حيران بين تفكر وتكفه
 ضدان قد أجمعا بلفظ واحد * لى فى هواه بمعنيين موجه

(١) كذا بالأصل والبیت غير مستقيم .

أو لست رب فضائل لوحاز أد * ناها وما أزهى بها غيرى زهى
والذى أنشده تاج الدين الكندى فى قتل عمارة البنى حين كان مالا الكفرة والملاحدين على قتل
الملك صلاح الدين ، وأرادوا عودة دولة الفاطميين فظهر على أمره فصلب مع من صلب فى سنة
تسع وتسعين وخمسمائة .

عمارة فى الاسلام أبدى خيانة * وحالف فيها بيعة وصليبا
فأسى شريك الشرك فى بعض أحمد * وأصبح فى حب الصليب صليبا
وكان طبيب الملتقى إن عجمته * تجمد منه عوداً فى النفاق صليبا (١)
وله صحبنا الدهر أياماً حسانا * نعوم بهن فى اللذات عوماً
وكانت بعد ما ولت كأتى * لدى نقصانها حلما ونوماً
أناخ بى المشيب فلا براح * وإن أوسعته عتباً ولوما
نزىل لا يزال على التأتى * يسوق إلى الردى يوماً فيوما
وكنت أعد لى عاماً فعاما * فصرت أعد لى يوماً فيوما
﴿ العز محمد بن الحافظ عبد الغنى المقدسى ﴾

ولد سنة ست وستين وخمسمائة وأسمعه والده الكثير ورحل بنفسه إلى بغداد وقرأ بها مسند أحمد
وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وكان من أصحاب المعظم ، وكان صالحاً ديناً ورعاً حافظاً رحمه الله
ورحم أباه

﴿ أبو الفتوح محمد بن على بن المبارك ﴾
اخلاخلى البغدادى ، سمع الكثير ، وكان يتردد فى الرسلية بين الخليفة والملك الأشرف ابن العادل
وكان عاقلاً ديناً ثقة صدوقاً .

﴿ الشريف أبو جعفر ﴾
يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن على العلوى الحسينى ، نقيب الطالبين بالبصرة بعد
أبيه ، كان شيخاً أديباً فاضلاً عالماً بفنون كثيرة لا سيما علم الأنساب وأيام العرب وأشعارها ، يحفظ
كثيراً منها ، وكان من جلساء الخليفة الناصر ، ومن لطيف شعره قوله :

لهنك سمع لا يلائمه العذل * وقلب قريح لا يمل ولا يساو
كان على الحب أضحى فريضة * فليس لقلبي غيره أبداً شغل
وإنى لأهوى الهجر ما كان أصله * دلالاً ولولا الهجر ما عذب الوصل
وأما إذا كان الصدود ملالة * فأيسر ما هم الحبيب به القتل
﴿ أبو على مزيد بن على ﴾

ابن مزيد المعروف بابن الخشكرى الشاعر المشهور ، من أهل النعمانية جمع لنفسه ديواناً أورد
له ابن الساعى قطعة من شعره فمن ذلك قوله :

سألتك يوم النوى نظرة * فلم تسمحي فمز الا سلم
فأعجب كيف تقولين لا * ووجهك قد خط فيه نعم
أما النون يا هذه حاجب * أما العين عين أما الميم فم

﴿ أبو الفضل رشوان بن منصور ﴾

ابن رشوان الكردي المعروف بالنقف ولد باربل وخدم جنديا وكان أديباً شاعرا خدم مع الملك
العادل ، ومن شعره قوله :

سلى عنى الصوارم والرماحا * وخيلا تسبق الهوج الرياحا
وأسدأ حبيسها سمر العوالى * إذا ما الأسد حاولت الكفاحا
فانى ثابت عقلا ولباً * إذا ما صائح فى الحرب صاحا
وأورد مهجتي ليج المنايا * إذا ما جت ولم أخف الجراحا
وكم ليل سهرت وبت فيه * أراعى النجم أرتقب الصباحا
وكم فى فدند فرسى ونضوى * بقائلة الهجير غدا وراحا
لعينك فى العجاجة ما ألقى * وأثبت فى الكريهة لا براحا

﴿ محمد بن يحيى ﴾

ابن هبة الله أبو نصر النحاس الواسطى كتب إلى السبط من شعره :

وقائلة لما عمرت وصار لى * ثمانون عاما عش كذا وابق واسلم
ودم وانتشق روح الحياة فانه * لا طيب من بيت بصعدة مظلم
فقلت لها عذرى لديك ممد * ببيت زهير فاعلمى وتعلمى
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا محالة يسأم

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وستائة ﴾

فى ثالث المحرم منها كل تبليط داخل الجامع الأموى وجاء المعتمد مبارز الدين إبراهيم المتولى
بدمشق ، فوضع آخر بلاطة منه بيده عند باب الزيارة فرحاً بذلك . وفيها زادت دجلة ببغداد زيادة
عظيمة وارتفع الماء حتى ساوى القبور إلا مقدار أصبعين ، ثم طفح الماء من فوقه وأيقن الناس بالهلكة
واستمر ذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، ثم من الله فتناقص الماء وذهبت الزيادة ، وقد بقيت
بغداد تلولا وتهدمت أكثر البنايات . وفيها درس بالنظامية محمد بن يحيى بن فضلان وحضر عنده
القضاة والأعيان . وفيها صدر الصدر بن حمويه رسولا من العادل إلى الخليفة . وفيها قدم ولده الفخر
ابن الكامل إلى المعظم يخطب منه ابنته على ابنه أقيس صاحب اليمن ، فعقد العقد بدمشق على

صداق هائل . وفيها قدم السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش من همدان قاصدا إلى بغداد في أر بمائة ألف مقاتل ، وقيل في ستمائة ألف ، فاستعد له الخليفة واستخدم الجيوش وأرسل إلى الخليفة يطلب منه أن يكون بين يديه على قاعدة من تقدمه من الملوك السلاجقة ، وأن يخطب له ببغداد ، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك ، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهر وردى ، فلما وصل شاهد عنده من العظمة وكثرة الملوك بين يديه وهو جالس في حركة من ذهب على سرير ساج ، وعليه قباء بخارى ما يساوى خمسة دراهم ، وعلى رأسه جلدة ما تساوى درهما ، فسلم عليه فلم يرد عليه من الكبر ولم يأذن له في الجلوس ، فقام إلى جانب السرير وأخذ في خطبة هائلة فذكر فيها فضل بنى العباس وشرفهم ، وأورد حديثا في النهى عن أذاهم والترجمان يعيد على الملك ، فقال الملك أما ما ذكرت من فضل الخليفة فانه ليس كذلك ، ولكنى إذا قدمت بغداد أقت من يكون بهذه الصفة ، وأما ما ذكرت من النهى عن أذاهم فاقى لم أؤذ منهم أحدا ولكن الخليفة في سجنونه منهم طائفة كثيرة يتناسلون في السجون ، فهو الذى آذى بنى العباس ، ثم تركه ولم يرد عليه جوابا بعد ذلك ، وانصرف السهر وردى راجعا ، وأرسل الله تعالى على الملك وجنوده ثلجا عظيما ثلاثة أيام حتى طم الحزايكى وانخيام ، ووصل إلى قريب رؤس الأعلام ، وتقطعت أيدي رجال وأرجلهم ، وعصم من البلاء مالا يحصى ولا يوصف ، فمدحهم الله خائبين والحمد لله رب العالمين .

وفيها انقضت الهدنة التي كانت بين العادل والفرنج واتفق قدوم العادل من مصر فاجتمع هو وابنه المعظم ببيسان ، فركبت الفرنج من عسكا ومحببتهم ملوك السواحل كلهم وساقوا كلهم قاصدين معانصة العادل ، فلما أحس بهم فرمنهم لكثرة جيوشهم وقلة من معه ، فقال ابنه المعظم إلى أين يا أبة ؟ فشتبه بالمعجمية وقال له أقطعت الشام ممالكك وتركت أبناء الناس ، ثم توجه العادل إلى دمشق وكتب إلى واليها المعتمد ليحصنها من الفرنج وينقل إليها من الغلات من داريا إلى القلعة ، ويرسل الماء على أراضي داريا وقصر حجاج والشاغور ، ففرح الناس من ذلك وابتهلوا إلى الله بالدعاء وكثر الضجيج بالجامع ، وأقبل السلطان فنزل مرج الصفر وأرسل إلى ملوك الشرق ليقدموا لقتال الفرنج ، فكان أول من قدم صاحب حمص أسد الدين ، فتلقيه الناس فدخل من باب الفرج وجاء فسلم على ست الشام بدارها عند المارستان ، ثم عاد إلى داره ، ولما قدم أسد الدين سرى عن الناس فلما أصبح توجه نحو العادل إلى مرج الصفر . وأما الفرنج فانهم قدموا بيسان فتهبوا ما كان بها من الغلات والدواب ، وقتلوا وسبوا شيئا كثيرا ، ثم عاثوا في الأرض فسادا يقتلون وينهبون ويأسرون ما بين بيسان إلى بانياس ، وخرجوا إلى أراضي الجولان إلى نوى وغيرها ، وسار الملك المعظم فنزل على عقبة اللين بين القدس ونابلس خوفا على القدس منهم ، فانه هو الأهم الأكبر ، ثم حاصر الفرنج

حصن الطور حصاراً هائلاً ومانع عنه الذين به من الأبطال - أمة هائلة ، ثم كر الزنج راجعين إلى عكا ومعهم الأسارى من المسلمين ، وجاء الملك المعظم إلى الطور فخلع على الأمراء الذين به وطيب نفوسهم ، ثم اتفق هو وأبوه على هدمه كما سيأتى .

وفيهما توفى من الأعيان . ﴿ الشيخ الامام العلامة الشيخ العماد ﴾

أخو الحافظ عبدالغنى ، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسى ، الشيخ العمادى أصغر من أخيه الحافظ عبد الغنى بسنتين ، وقدم مع الجماعة إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، ودخل بغداد مرتين وسمع الحديث وكان عابداً زاهداً ورعاً كثير الصيام ، يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان فقيهاً مفتياً ، وله كتاب الفروع وصنف أحكاماً ولم يتمه ، وكان يؤم بمحراب الحنابلة مع الشيخ الموفق ، وإنما كانوا يصلون بغير محراب ، ثم وضع المحراب في سنة سبع عشرة وستمائة ، وكان أيضاً يؤم بالناس لقضاء الفوائت ، وهو أول من فعل ذلك . صلى المغرب ذات ليلة وكان صائماً ثم رجع إلى منزله بدمشق فأفطر ثم مات نجاة ، فصلى عليه بالجامع الأموى ، صلى عليه الشيخ الموفق عند مصلاه ، ثم صعدوا به إلى السفح ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً من كثرة الناس . قال سبط ابن الجوزى كان انطلق من الكهف إلى مغارة الدم إلى المنطور لو بدر السمسما ما وقع إلا على رؤس الناس ، قال فلما رجعت تلك الليلة فكرت فيه وفي جنازته وكثرت من شهدها وقلت : هذا كان رجلاً صالحاً ولعله أن يكون نظر إلى ربه حين وضع في قبره ، ومر بذهنى أبيات الثورى التى أنشدها بعد موته فى المنام :

نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لى * هنيئاً رضائى عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى * بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أى قصر أردته * وزرنى فانى عنك غير بعيد

ثم قلت أرجو أن يكون العماد رأى ربه كما رآه الثورى ، فتمت فرأيت الشيخ العماد فى المنام وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء ، وهو فى مكان متسع كأنه روضة ، وهو يرقى فى درج متسعة ، فقلت يا عماد الدين كيف بت فانى والله مفكر فىك ؟ فنظر إلى وتبسم على عاداته التى كنت أعرفه فيها فى الدنيا

ثم قال : رأيت إلهى حين أنزلت حفرتى * وفارقت أصحابى وأهلى وجيرتى

وقال جزيت الخير عنى فانى * رضيت فها عفوى لديك ورحمى

دأبت زماناً تأمل العفو والرضا * فوقيت نيرانى ولقيت جنتى

قال فانتهت وأنا مذعور وكتبت الأبيات والله أعلم .

﴿ القاضى جمال الدين ابن الحرسنانى ﴾

عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل أبو القاسم الأنصارى ابن الحرسنانى قاضى القضاة بدمشق

ولد سنة عشرين وخمسمائة ، وكان أبوه من أهل حرستان ، فنزل داخل باب توما وأم بمسجد الزينبي ونشأ ولده هذا نشأة حسنة سمع الحديث الكثير وشارك الحافظ ابن عساكر في كثير من شيوخه ، وكان يجلس للاسماع بمقصورة الخضر ، وعندها كان يصلي دائماً لا تفوته الجماعة بالجامع ، وكان منزله بالحرورية ودرس بالمجاهدية وعمر دهرآ طويلاً على هذا القدم الصالح والله أعلم . وناب في الحكم عن ابن أبي عصرون ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وصلاته بالجامع ، ثم عزل العادل القاضي ابن الزكي وألزم هذا بالقضاء وله ثنتان وتسعون سنة وأعطاه تدريس العزيزية . وأخذ التقوية أيضاً من ابن الزكي وولاهما نجر الدين ابن عساكر . قال ابن عبد السلام ما رأيت أحداً أفقه من ابن الحرستاني ، كان يحفظ الوسيط للغزالي . وذكر غير واحد أنه كان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لأثم ، وكان ابنه عماد الدين يخطب بجامع دمشق ، وولى مشيخة الاشرفية ينوب عنه ، وكان القاضي جمال الدين يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية ، وأرسل إليه السلطان طراحة ومسندة لأجل أنه شيخ كبير ، وكان ابنه يجلس بين يديه ، فاذا قام أبوه جالس في مكانه ، ثم إنه عزل ابنه عن نيابته لشيء بلغه عنه ، واستناب شمس الدين بن الشيرازي ، وكان يجلس تجاهه في شرقي الايوان ، واستناب معه شمس الدين ابن سنا الدولة ، واستناب شرف الدين ابن الموصل الحنفي ، فكان يجلس في محراب المدرسة ، واستمر حاكماً سنتين وأربعة أشهر ، ثم مات يوم السبت رابع الحجة وله من العمر خمس وتسعون سنة ، وصلى عليه بجامع دمشق ثم دفن بسفح قايسون

﴿ الامير بدر الدين محمد بن أبي القاسم ﴾

المهكاري باني المدرسة التي بالقدس ، كان من خيار الامراء ، وكان يتعنى الشهادة دائماً فقتله الفرنج بحصن الطور ، ودفن بالقدس بتربة عاملها وهو يزار إلى الآن رحمه الله

﴿ الشجاع محمود المعروف بابن الدماغ ﴾

كان من أصدقاء العادل يضحكه ، فحصل أموالاً جزيلة منهم ، كانت داره داخل باب الفرنج فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية ، ووقفت عليها أوقافاً داراً

﴿ الشبيخة الصالحة العابدة الزاهدة ﴾

شبيخة العالمات بدمشق ، تلقب بدهن اللوز ، بنت نورنجان ، وهي آخر بناته وفاة وجعلت أموالها وقفا على تربة أختها بنت العصبة المشهورة

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة وستائة ﴾

استهلمت والعدل بمرج الصفر لمناجزة الفرنج وأمر ولده المعظم بتخريب حصن الطور فأخربه ونقل ما فيه من آلات الحرب وغيرها إلى البلدان خوفاً من الفرنج . وفي ربيع الاول نزلت الفرنج على

دمياط وأخذوا برج السلسلة في جمادى الاولى ، وكان حصناً منيعاً ، وهو قفل بلاد مصر . وفيها التقى المعظم والفرنج على القيمون فكسروهم وقتل منهم خلقاً وأسروا من الداوية مائة فأدخلهم إلى القدس منسكة أعلامهم . وفيها جرت خطوط كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها أولاد قرا أرسلان واحداً بعد واحد ، وتغلب مملوك أبيهم بدر الدين لؤلؤ على الأمور والله أعلم . وفيها أقبل ملك الروم كيكاريس سنجر يريد أخذ مملكة حلب ، وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط ، فصدّه عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه وردّه خائباً . وفيها تملك الأشرف مدينة سنجار مضافاً إلى ما بيده من الممالك .

وفيها توفي السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، فأخذت الفرنج دمياط ثم ركبوا وقصدوا بلاد مصر من ثغر دمياط فحاصروه مدة أربعة شهور ، والملك الكامل يقاتلهم ويمانهم ، فتملكوا برج السلسلة وهو كالثقل على ديار مصر ، وصفته في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ، ومنه إلى دمياط ، وهو على شاطئ البحر وحافة سلسلة منه إلى الجانب الآخر ، وعليه الجسر وسلسلة أخرى تمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل ، فلا يمكن الدخول ، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر تأوه لذلك تأوهاً شديداً ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وبلادها ، ومرض من ساعته مرض الموت لأمر يريده الله عز وجل ، فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة توفي بقرية غالقين ، فجاءه ولده المعظم مسرعاً فجمع حواصله وأرسله في محفة ومعه خادم بصفة أن السلطان مريض ، وكلما جاء أحد من الأمراء ليسلم عليه بلغهم الطواشي عنه ، أي أنه ضعيف ، عن الرد عليهم ، فلما انتهى به إلى القلعة دفن بها مدة ثم حول إلى تربته بالعادية الكبيرة ، وقد كان الملك سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شادي من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، ديناً عاقلاً صبوراً وقوراً ، أبطل المحرمات والخمور والمعارف من مملكته كلها وقد كانت ممتدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همدان كلها ، أخذها بعد أخيه صلاح الدين سوى حلب فانه أقرها بيد ابن أخيه الظاهر غازي لأنه زوجه ابنته صفية الست خاتون . وكان العادل حليماً صفوحاً صبوراً على الأذى كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه حضر معه مواقفه كلها أو أكثرها في مقاتلة الفرنج ، وكانت له في ذلك اليد البيضاء ، وكان ماسك اليد وقد أنفق في عام الغلاء بمصر أموالاً كثيرة على الفقراء وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئاً كثيراً جداً ، ثم إنه كفن في العام الثاني من بعد عام الغلاء في الفناء مائة ألف إنسان من الغرباء والفقراء ، وكان كثير الصدقة في أيام مرضه حتى كان يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه ، وكان كثير الأكل ممتعا بصحة وعافية مع كثرة صيامه ، كان يأكل في اليوم الواحد أكالات جيدة ، ثم بعد

هذا يأكل عند النوم رطلا بالدمشق من الحلوى السكرية اليابسة ، وكان يعتره مرض في أنفه في زمن الورد وكان لا يقدر على الإقامة بدمشق حتى يفرغ زمن الورد ، فكان يضرب له الوطاق بمرج الصفر ثم يدخل البلد بعد ذلك . توفي عن خمس وسبعين سنة ، وكان له من الأولاد جماعة : محمد الكامل صاحب مصر ، وعيسى المعظم صاحب دمشق ، وموسى الأشرف صاحب الجزيرة ، وخلاط وحران وغير ذلك ، والأوحد أيوب مات قبله ، والفائز إبراهيم ، والمظفر غازي صاحب الرها ، والعزير عثمان والأبجد حسن وهما شقيقا المعظم ، والمقيت محمود ، والحافظ أرسلان صاحب جعبر ، والصالح إسماعيل ، والقاهر إسحاق ، ومجير الدين يعقوب ، وقطب الدين أحمد ، وخليل وكان أصغرهم ، وتقي الدين عباس وكان آخرهم وفاة ، بقي إلى سنة ستين وستمائة ، وكان له بنات أشهرهن الست صفية خاتون زوجة الظاهر غازي صاحب حلب وأم الملك العزيز والد الناصر يوسف الذي ملك دمشق ، وإليه تنسب الناصريتان إحداهما بدمشق والأخرى بالسفح وهو الذي قتله هلاكو كما سيأتي .

﴿ صفة أخذ الفرنج دمياط ﴾

لما اشتهر الخبر بموت العادل ووصل إلى ابنه الكامل وهو بشرف دمياط مرابط الفرنج ، أضعف ذلك أعضاء المسلمين وفشلوا ، ثم بلغ الكامل خبر آخر أن الأمير ابن المشطوب وكان أكبر أمير بمصر ، قد أراد أن يبايع للفائز عوضا عن الكامل ، فساق وحده جريدة فدخل مصر ليستدرك هذا الخطاب الجسيم ، فلما فقدته الجيش من بينهم انحل نظامهم واعتقدوا أنه قد حدث أمر أكبر من موت العادل ، فركبوا وراهه فدخلت الفرنج بأمان إلى الديار المصرية ، واستحوذوا على معسكر الكامل وأتقاله ، فوقع خبط عظيم جدا ، وذلك تقدير العزيز العليم ، فلما دخل الكامل مصر لم يقع مما ظنه شيء ، وإنما هي خديعة من الفرنج ، وهرب منه ابن المشطوب إلى الشام ، ثم ركب من فوره في الجيش إلى الفرنج فاذا الأمر قد تزايد ، وتمكنوا من البلدان وقتلوا خلقا وغنموا كثيرا ، وعانت الأعراب التي هنالك على أموال الناس ، فكانوا أضرب عليهم من الفرنج ، فنزل الكامل تجاه الفرنج يمانعهم عن دخولهم إلى القاهرة بعد أن كان يمانعهم عن دخول الثغر ، وكتب إلى إخوانه يستحثهم ويستنجدهم ويقول الوحا الوحا العجل العجل ، أدركوا المسلمين قبل تملك الفرنج جميع أرض مصر . فأقبلت العساكر الإسلامية إليه من كل مكان ، وكان أول من قدم عليه أخوه الأشرف بيض الله وجهه ، ثم المعظم وكان من أمرهم مع الفرنج ما سنذكره بعد هذه السنة .

وفيها ولي حسبة بغداد صاحب محبي الدين يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي ، وهو مع ذلك يعمل ميعاد الوعظ على قاعدة أبيه ، وشكر في مباشرته للحسبة . وفيها فوض إلى المعظم النظر في التربة البدرية تجاه الشبلية عند الجسر الذي على ثور ، ويقال له جسر كحيل ، وهي مذبوبة إلى

حسن بن الداية ، كان هو وإخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي ، وقد جعلت في حدود الأربعين وستمائة جامعا يخطب فيه يوم الجمعة . وفيها أرسل السلطان علاء الدين محمد بن تكش إلى الملك العادل وهو مخيم بمرج الصفر رسولا ، فرد إليه مع الرسول خطيب دمشق جمال الدين محمد بن عبد الملك الدولى ، واستنيب عنه فى الخطابة الشيخ الموفق عمر بن يوسف خطيب بيت الأبار ، فأقام بالعزبية يباشر عنه ، حتى قدم وقد مات العادل .

وفىها توفى الملك القاهر صاحب الموصل . فأقيم ابنه الصغير مكانه . ثم قتل وتشتت شمل البيت الأتابكى ، وتغلب على الأمور بدر الدين لؤلؤ غلام أبيه . وفىها كان عود الوزير صفى الدين عبد الله ابن على بن شكر من بلاد الشرق بعد موت العادل ، فعمل فيه علم الدين مقامة بالغ فى مسدحه فيها ، وقد ذكروا أنه كان متواضعا يحب الفقراء والفقهاء ، ويسلم على الناس إذا اجتاز بهم وهو راكب فى أبهة وزارته ، ثم إنه نكب فى هذه السنة ، وذلك أن الكامل هو الذى كان سبب طرده وإبعاده كتب إلى أخيه المعظم فيه ، فاحتاط على أمواله وحواصله ، وعزل ابنه عن النظر من الدواوين ، وقد كان ينوب عن أبيه فى مدة غيبته . وفى رجب منها أعاد المعظم ضمان القيان والخجور والمغنيات وغير ذلك من الفواحش والمنكرات التى كان أبوه قد أبطلها ، بحيث إنه لم يكن أحد يتجاسر أن ينقل ماء كف خمر إلى دمشق إلا بالحيلة الخفية ، فجزى الله العادل خيرا ، ولا جزى المعظم خيرا على ما فعل ، واعتذر المعظم فى ذلك بأنه إنما صنع هذا المنكر لقلّة الأموال على الجند ، واحتياجهم إلى النفقات فى قتال الفرنج . وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمور ، فان هذا الصنيع يديل عليهم الأعداء وينصرهم عليهم ، ويتمكن منهم الداء ويثبط الجند عن القتال ، فيولون بسببه الأذبار ، وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويديل الدول ، كما فى الأثر « إذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى » . وهذا ظاهر لا يخفى على فطن .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ القاضى شرف الدين ﴾

أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى اللخمي الضريير البغدادى ، كان ينسب إلى علم الأوائل ، ولكنه كان يتستر بمذهب الظاهرية ، قال فيه ابن الساعى : الداودى المذهب ، المعرى أدبا واعتقادا ، ومن شعره :

إلى الله أشكو ما ألقى * غداة عدوا على هوج النياق

سألتكم بمن زم المطايا * أمر بكم أمر من الفراق ؟

وهل ذل أشد من التنائى * وهل عيش أذل من التلاق ؟

قاضى قضاة بغداد .

﴿ عماد الدين أبو القاسم ﴾

عبد الله بن الحسين بن الداغاني الحنفي ، سمع الحديث وتفقه على مذهب أبي حنيفة ، وولى القضاء ببغداد مرتين نحواً من أربع^(١) عشرة سنة ، وكان مشكور السيرة عارفاً بالحساب والفرائض وقسمة التركات

﴿ أبو اليمين نجاح بن عبد الله الحبشى ﴾

السوداني نجم الدين مولى الخليفة الناصر ، كان يسمى سلمان دار الخلافة ، وكان لا يفارق الخليفة ، فلما مات وجد عليه الخليفة وجداً كثيراً ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، كان بين يدي نعشه مائة بقرة وألف شاة وأحمال من التمر والخبز والماورد ، وقد صلى عليه الخليفة بنفسه تحت التاج ، وتصدق عنه بعشرة آلاف دينار على المشاهد ، ومثلها على المجاورين بالحرمين ، وأعتق بمالها ، ووقف عنه خمسمائة مجلد . ﴿ أبو المظفر محمد بن علوان ﴾

ابن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصلى ، تفقه بالنظامية وسمع الحديث ، ثم عاد إلى الموصل فساد أهل زمانه بها ، وتقدم في الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها ، وكان صالحاً ديناً .

﴿ أبو الطيب رزق الله بن يحيى ﴾

ابن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سليمان بن رزق الله بن غانم بن غنم الناخدرى المحدث الجوال الرحال الثقة الحافظ الأديب الشاعر ، أبو العباس أحمد بن برتكوش بن عبد الله العمادى ، كان من أمراء سنجار ، وكان أبوه من موالى الملك عماد الدين زنكى صاحبها ، وكان أحمد هذا ديناً شاعراً ذا مال جزيل ، وأملاك كثيرة ، وقد احتاط على أمواله قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى وأودعه سجناً ففسى فيه ومات كذا ، ومن شعره :

تقول وقد ودعتها ودموعها * على خدها من خشية البين تلتقى
مضى أكثر العمر الذى كان نافعاً * رويدك فاعمل صالحاً فى الذى بقى

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وستائة ﴾

فيها أمر الشيخ محيى الدين بن الجوزى محتسب بغداد بإزالة المنكر وكسر الملاحى عكس ما أمر به المعظم ، وكان أمره فى ذلك فى أول هذه السنة والله الحمد والمنة .

﴿ ظهور جنكزخان وعبور التتار نهر جيحون ﴾

وفيها عبرت التتار نهر جيحون صحبة ملكهم جنكزخان من بلادهم ، وكانوا يسكنون جبال طمغاج من أرض الصين ولغتهم مخالفة للغة سائر التتار ، وهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال ، وسبب دخولهم نهر جيحون أن جنكزخان بعث تجاراً له ومعهم أموال كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه ينتضعون له

(١) فى المصرية : نحواً من سبع عشرة سنة .

ثيابا للكسوة ، فكتب نائبا إلى خوارزم شاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال ، فأرسل إليه بأن يقتلهم . يأخذ ما معهم ، ففعل ذلك ، فلما بلغ جنكزخان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه ، ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلا جيدا ، فلما تهدده أشار من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم ، فسار إليهم وهم في شغل شاغل بقتال كشيلى خان ، فهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذرارهم وأطفالهم ، فأقبلوا إليه محروبين فاقتلوا معه أربعة أيام قتالا لم يسمع بمثله ، أولئك يقاتلون عن حريمهم والمسلمون عن أنفسهم ، يعلون أنهم متى ولوا استأصلوهم ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، حتى أن الخيول كانت تزلق في الدماء ، وكان جملة من قتل من المسلمين نحو من عشرين ألفا ، ومن التتار ضعاف ذلك ، ثم تحاجز الفريقان وولى كل منهم إلى بلاده ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى وسمرقند فخصنها وبالغ في كثرة من ترك فيها من المقاتلة ، ورجع إلى بلاده ليجيز الجيوش الكثيرة ، فقصدت التتار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل فحاصرها جنكزخان ثلاثة أيام ، فطلب منه أهلها الأمان فأمنهم ودخلها فأحسن السيرة فيهم مكرًا وخديعة ، وامتنعت عليه القلعة فحاصرها واستعمل أهل البلد في طم خندقها وكانت التتار يأتون بالمنابر والربعات فيطرحونها في الخندق يطمونه بها ففتحوها قسرا في عشرة أيام ، فقتل من كان بها . ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها وأحلها لجنده فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وأسروا الذرية والنساء ، وفعلوا معهن الفواحش بمحضرة أهليهن ، فن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل ، ومنهم من أسرف عذب بأنواع العذاب ، وكثر البكاء والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال ، ثم ألقوا التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها ، ثم كروا راجعين عنها قاصدين سمرقند ، وكان من أمرهم ما سنذكره في السنة الآتية .

وفي مستهل هذه السنة خرب سور بيت المقدس عمره الله بذكره ، أمر بذلك المعظم خوفا من استيلاء الفرنج عليه بعد مشورة من أشار بذلك ، فان الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه ، فشرع في تخريب السور في أول يوم المحرم فهرب منه أهله خوفا من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلا أو نهاراً ، وتركوا أموالهم وأثامهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق ، حتى قيل إنه يبيع القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم . وضج الناس وابتهلوا إلى الله عند الصخرة وفي الأقصى ، وهى أيضاً فعلة شنعاء من المعظم ، مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضى ، فقال بعضهم يهجو المعظم بذلك .

في رجب حلال الحميا * وأخرب القدس في المحرم

وفيها استحوذت الفرنج على مدينة دمياط ودخلوها بالأمان فغدروا بأهلها وقتلوا رجالها وسبوا

نساءها وأطفالها ، ونجروا بالنساء وبعثوا بمنبر الجامع والربعات ورؤس القتلى إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة . وفيها غضب المعظم على القاضي زكي الدين بن الزكي ، وسببه أن عمته ست الشام بنت أيوب مرضت في دارها التي جعلتها بعدها مدرسة فأرسلت إلى القاضي لتوصي إليه ، فذهب إليها بشهود معه فكتب الوصية كما قالت ، فقال المعظم يذهب إلى عمتي بدون إذني ، ويسمع هو والشهود كلامها ؟ واتفق أن القاضي طلب من جابي العززية حسابها وضربه بين يديه بالمقارع ، وكان المعظم يبغض هذا القاضي من أيام أبيه ، فعند ذلك أرسل المعظم إلى القاضي ببقعة فيها قباء وكوتة ، القباء أبيض والكوتة صفراء . وقيل بل كانا حراوين مدرنين ، وحلف الرسول عن السلطان ليلبسهما ويحكم بين الخصوم فيهما ، وكان من لطف الله أن جاءت الرسالة بهذا وهو في دهليز داره التي بباب البريد ، وهو منتصب للحكم ، فلم يستطع إلا أن يلبسهما وحكم فيهما ، ثم دخل داره واستقبل مرض موته ، وكانت وفاته في صفر من السنة الآتية بعدها ، وكان الشرف بن عنين الزرعي الشاعر قد أظهر النسك والتعبد ، ويقال : إنه اعتكف بالجامع أيضاً فأرسل إليه المعظم بخمر ونرد ليشتغل بهما . فكتب إليه ابن عنين :

يا أيها الملك المعظم سنة * أحدثتها تبقى على الآباد
تجري الملوكة على طريقك بعدها * خلع القضاة وتحفة الزهاد

وهذا من أقبح ما يكون أيضاً ، وقد كان نواب ابن الزكي أربعة : شمس الدين بن الشيرازي إمام مشهد على ، كان يحكم بالمشهد بالشباك ، وربما برز إلى طرف الرواق تجاه البلاطة السوداء . وشمس الدين ابن سفي الدولة ، كان يحكم في الشباك الذي في الكلاسة تجاه تربة صلاح الدين عند الغزالية ، وكان الدين المصري وكيل بيت المال كان يحكم في الشباك السكالي بمشهد عثمان ، وشرف الدين الموصل الحنفي كان يحكم بالمدرسة الطرخانية بجبرون والله تعالى أعلم .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ ست الشام ﴾

واقفة المدرستين البرانية والجوانية الست الجليلة المصونة خاتون ست الشام بنت أيوب بن شادي ، أخت الملوكة وعمة أولادهم ، وأم الملوكة ، كان لها من الملوكة الحارم خمسة وثلاثون ملكا ، منهم شقيقها المعظم توران شاه بن أيوب صاحب اليمن ، وهو مدفون عندها في القبر القبلي من الثلاثة ، وفي الأوسط منها زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي صاحب حمص ، وكانت قد تزوجته بعد أبي ابنها حسام الدين عمر بن لاجين ، وهي وابنها حسام الدين عمر في القبر الثالث ، وهو الذي يلي مكان الدرس ، ويقال للتربة والمدرسة الحسامية نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين عمر بن لاجين ، وكان من أكبر العلماء عند خاله صلاح الدين ، وكانت ست الشام

من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج ، وكانت تعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك وتفترقه على الناس ، وكانت وفاتها يوم الجمعة آخر النهار السادس عشر من ذى القعدة من هذه السنة في دارها التي جعلتها مدرسة ، وهي عند المارستان وهي الشامية الجوانية ، ونقلت منها إلى تربتها بالشامية البرانية ، وكانت جنازتها حافلة رحمها الله .

﴿ أبو البقاء صاحب الاعراب واللباب ﴾

عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، الشيخ أبو البقاء العكبرى الضرير النحوى الحنبلى صاحب إعراب القرآن العزيز وكتاب اللباب في النحو ، وله حواش على المقامات ومفصل الزمخشري وديوان المتنبي وغير ذلك ، وله في الحساب وغيره ، وكان صالحاً ديناً ، مات وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وكان إماماً في اللغة فقيهاً مناظراً عارفاً بالأصلين والفقهاء ، وحكى القاضى ابن خلكان عنه أنه ذكر في شرح المقامات أن عنقاء مغرب كانت تأتي إلى جبل شاهق عند أصحاب الرس ، فربما اختطفت بعض أولادهم فشكوها إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فهلكت . قال : وكان وجهها كوجه الانسان وفيها شبه من كل طائر ، وذكر الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار أنها كانت في زمن موسى لها أربعة أجنحة من كل جانب ، ووجه كوجه الانسان ، وفيها شبه كثير من سائر الحيوان ، وأنها تأخرت إلى زمن خالد بن سنان العبسى الذى كان في الفترة فدعا عليها فهلكت والله أعلم . وذكر ابن خلكان أن المعز الفاطمى جىء إليه بطائر غريب الشكل من الصعید يقال له عنقاء مغرب . قلت : وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة ، وكان صالحاً ولم يكن نبينا لقول رسول الله ﷺ « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبي » وقد تقدم ذلك .

﴿ الحافظ عماد الدين أبو القاسم ﴾

على ابن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر دمشق ، سمع الكثير ورحل فمات ببغداد في هذه السنة ، ومن لطيف شعره قوله في المروحة

ومروحة تروح كل هم * ثلاثة أشهر لا بد منها
حزيران وتموز وآب * وفي أيلول يغنى الله عنها

﴿ ابن الدواى ﴾ الشاعر وقد أورد له ابن الساعى جملةً صالحةً من شعره ﴿ وأبو سعيد بن الوزان الدواى ﴾ وكان أحد المعدلين ببغداد وسمع البخارى من أبي الوقت ﴿ وأبو سعيد محمد بن محمود ﴾ بن عبد الرحمن المروزى الأصل الهمداني المولد البغدادي المنشأ والوفاء ، كان حسن الشكل كامل الأوصاف له خط حسن ويعرف فنونا كثيرة من العلوم ، شافعي المذهب ، يتكلم في مسائل الخلاف حسن الأخلاق ومن شعره قوله :

ارى قسم الأرزاق أعجب قسمة * لذي دعة ومكديّة لذي كد
وأحق ذو مال وأحق معدم * وعقل بلا حظ وعقل له حد
يعم الغنى والفقر ذا الجهل والحجا * والله من قبل الأمور ومن بعد

﴿ أبو زكريا يحيى بن القاسم ﴾

ابن الفرج بن درع بن الخضر الشافعي شيخ تاج الدين التكريتي قاضيها ، ثم درس بنظامية بغداد ، وكان متقنا لهلوم كثيرة منها التفسير والفقّه والأدب والنحو واللغة ، وله المصنفات في ذلك كله وجمع لنفسه تاريخاً حسناً . ومن شعره قوله :

لا بد للمرء من ضيق ومن سعة * ومن سرور يوافيه ومن حزن
والله يطلب منه شكر نعمته * مادام فيها ويبنى الصبر في المحن
فكن مع الله في الحالين معتقاً * فريضك هذين في سر وفي علن
فما على شدة يبقى الزمان يكن * ولا على نعمة تبقى على الزمن
وله أيضاً : إن كان قاضي الهوى على ولي * ماجار في الحكم من على ولي
يا يوسف الجمال عندك لم * تبق لي حيلة من الحيل
إن كان قد القميص من دبر * ففنيك قد الفؤاد من قبل

﴿ صاحب الجواهر ﴾

الشيخ الامام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن نجم بن ساس بن نزار بن عشار بن عبد الله بن محمد بن سلس الجذامي المالكي الفقيه ، مصنف كتاب الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، وهو من أكثر الكتب فوائد في الفروع ، رتبته على طريقة الوجيز للغزالي . قال ابن خلدكان : وفيه دلالة على غزارة علمه وفضله والطائفة المالكية بمصر عا كفة عليه لحسنه وكثرة فوائده ، وكان مدرساً بمصر ومات بدمياط رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وستائة ﴾

في هذه السنة عم البلاء وعظم العزاء بجنكز خان المسمى بتموجين لعنه الله تعالى ، ومن معه من التتار قبهم الله أجمعين ، واستفحل أمرهم واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها ، فلكوا في سنة واحدة وهي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر ، وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية والقفجاق والكرج واللان والخزر وغيرهم ، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار ما لا يحصى ولا يوصف ، وبالجملة فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة

والرجال ، وكثيراً من النساء والأطفال ، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه ، وبالحرىق إن لم يحتاجوا إليه ، حتى أنهم كانوا يجمعون الخرب السكثير الذى يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه ، ويخربون المنازل وما عجزوا عن تخريبه يحرقوه ، وأكثرت ما يحرقون المساجد والجوامع ، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم ، وإن لم ينصحوا فى القتال قتلوهم . وقد بسط ابن الأثير فى كامله خبرهم فى هذه السنة بسطاً حسناً مفصلاً ، وقد علم على ذلك كلاماً هائلاً فى تعظيم هذا الخطب العجيب ، قال فنقول : هذا فصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عمقت الليالى والأيام عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يدانها ، ومن أعظم ما يذكر من الحوادث ما فعل بخت نصر ببنى إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس ، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاحين من البلاد التى كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس ، وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا ، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بنى إسرائيل ، ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفتى الدنيا إلا بأجوج ومأجوج ، وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة . فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، لهذه الحادثة التى استطار شررها وعم ضررها ، وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح ، فإن قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل صمرقند وبخارا وغيرهما ، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يجاوزونها إلى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية ويخربونه ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلا الشريد النادر فى أقل من سنة ، هذا ما لم يسمع بمثله ، ثم ساروا إلى دربند شروان فهلكوا مدنه ولم يسلم غير قلعة التى بها ملكهم ، وعبروا عندها إلى بلد اللان اللكز ومن فى ذلك الصقع من الأمم المختلفة ، فأوسعهم قتلاً ونهباً وتخريباً ، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً فقتلوا كل من وقف لهم وهرب الباقون إلى الغياض وملكوا عليهم بلادهم ، وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل أفعال هؤلاء وأشد ، هذا ما لم يطرقت الأسماع مثله ، فإن الاسكندر الذى اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها فى سنة واحدة ، إنما ملكها فى نحو عشر سنين ، ولم يقتل أحداً بل رضى من الناس بالطاعة وهؤلاء قد

ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه وأحسنه عمارة وأكثره أهلا وأعد لهم أخلاقا وسيرة في نحو سنة ، ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطارقوها بقاء إلا هو خائف مترقب ووصولهم ، وهم مع ذلك يسجدون للشمس إذا طلعت ، ولا يجرمون شيئا ، ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والميتات لعنهم الله تعالى . قال : وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع لأن السلطان خوارزم شاه محمداً كان قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمور ، فلما انهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم وساقوا وراءه فهرب فلا يدري أين ذهب ، وهلك في بعض جزائر البحر ، خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، وإلى الله ترجع الأمور . ثم شرع في تفصيل ما ذكره مجملا ، فذكر أولا ما قدمنا ذكره في العام الماضي من بعث جنكزخان أولئك التجار بمال له ليأتونه بشعنه كسوة ولباسا ، وأخذ خوارزم شاه تلك الأموال فحنق عليه جنكزخان وأرسل يهدده فسار إليه خوارزم شاه بنفسه وجنوده فوجد التتار مشغولين بقتال كشيلى خان ، فنهب أنقاهم ونساءهم وأطفالهم فرجعوا وقد انتصروا على عدوهم ، وازدادوا حنقا وغيظا ، فتواقعوهم وإياه وابن جنكزخان ثلاثة أيام فقتل من الفريقين خلق كثير ، ثم تجاوزوا ورجع خوارزم شاه إلى أطراف بلاده فحصنها ثم كر راجعا إلى مقره ومملكته بمدينة خوارزم شاه ، فأقبل جنكزخان فحصر بخارا كما ذكرنا فافتتحها صلحا وغدر بأهلها حتى افتتح قلعتها قهرا وقتل الجميع ، وأخذ الأموال وسبي النساء والأطفال وخرّب الدور والمحال ، وقد كان بها عشرون ألف مقاتل ، فلم يبق عندهم شيئا ، ثم سار إلى سمرقند فحاصرها في أول المحرم من هذه السنة وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فنكحوا وبرز إليهم سبعون ألفا من العامة فقتل الجميع في ساعة واحدة وألقى إليهم الخمسون ألف السلم فسلبهم سلاحهم وما يمتنعون به ، وقتلهم في ذلك اليوم واستباح البلد فقتل الجميع وأخذ الأموال وسبي الذرية وحرقه وتركه بلاقع ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وأقام لعنه الله هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فأرسل سرية إلى بلاد خراسان وتسميها التتار الغربية ، وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه ، وكانوا عشرين ألفا قال اطلبوه فأدركوه ولو تعاق بالسماء فساروا وراءه فأدركوه وبينهم وبينه نهري جيحون وهو آمن بسببه ، فلم يجدوا سفنا فعملوا لهم أحواضا يحملون عليها الأسلحة ويرسل أحدهم فرسه ويأخذ بدننها فتجره الفرس بالماء وهو يجري الحوض الذي فيه سلاحه ، حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر ، فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه ، فهرب منهم إلى نيسابور ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يمهونهم يجمع لهم فصار كلما أتى بلداً ليجتمع فيه عساكره له يدركونه فهرب منهم ، حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت فيها وفاته ، وقيل إنه لا يعرف بعد ركوبه في البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يدري أين ذهب ، ولا إلى أي مفر هرب ، ومملكة التتار حواصله فوجدوا في خزائنه عشرة آلاف

ألف دينار، وألف حمل من الأطلس وغيره وعشرون ألف فرس وبغل، ومن الغلمان والجواري والخيام شيئا كثيرا، وكان له عشرة آلاف مملوك كل واحد مثل ملك، فتمزق ذلك كله، وقد كان خوارزم شاه فقيها حنفيا فاضلا له مشاركات في فنون من العلم، يفهم جيدا، وملك بلادا متسعة وممالك متعددة إحدى وعشرين سنة وشهورا، ولم يكن بعد ملوك بني سلجوق أكثر حرمة منه ولا أعظم ملكا منه، لأنه إنما كانت همته في الملك لا في اللذات والشهوات، ولذلك قهر الملوك بتلك الأراضي وأحل بالخطأ بأسا شديدا، حتى لم يبق ببلاد خراسان وما وراء النهر وعراق العجم وغيرها من الممالك سلطان سواه، وجميع البلاد تحت أيدي نوابه. ثم ساروا إلى مازندران وقلاعها من أمنع القلاع، بحيث إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسعين من أيام سليمان بن عبد الملك، ففتحها هولاء في أيسر مدة ونهبوا ما فيها وقتلوا أهلها كلهم وسبوا وأحرقوا، ثم ترحلوا عنها نحو الري فوجدوا في الطريق أم خوارزم شاه ومعها أموال عظيمة جدا، فأخذوها وفيها كل غريب ونفيس مما لم يشاهد مثله من الجواهر وغيرها، ثم قصدوا الري فدخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلهم وسبوا وأسروا، ثم ساروا إلى همدان فلكوها ثم إلى زنجان فقتلوا وسبوا، ثم قصدوا قزوین فتهبوا وقتلوا من أهلها نحو ما من أربعين ألفا، ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أربك بن البهلوان على مال حمله إليهم لشغله بما هو فيه من السكر وارتكاب السيئات والانهماك على الشهوات، فتركوه وساروا إلى موقان فقاتلهم الكرج في عشرة آلاف مقاتل فلم يقفوا بين أيديهم طرفة عين حتى انهزمت الكرج فأقبلوا إليهم بخدم وحديد، فكسرتهم التتار وقعة ثانية أقبح هزيمة وأشنعها. وهنأقال ابن الأثير: ولقد جرى هؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه: طائفة تخرج من حدود الصين لاتنفضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همدان وتالله لا أشك أن من يجي بعدنا إذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها، والحق بيده، فحق استبعد ذلك فليتنظر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة، قد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها، يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوظهم، فلقد دفعوا من العدو إلى أمر عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تعدى همته بطنه وفرجه، وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه. قال: وانقضت هذه السنة وهم في بلاد الكرج، فلما رأوا منهم ممانعة ومقاتلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم، وكذلك كانت عادتهم فساروا إلى تبريز فصالحهم أهلها بمال. ثم ساروا إلى مراغة فحصرها ونصبوا عليها المجانيق وتترسوا بالأسارى من المسلمين، وعلى البلاد امرأة - وإن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة - ففتحوا البلد بعد أيام وقتلوا من أهله خلقا لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، وغنموا منه شيئا كثيرا، وسبوا وأسروا على

عادتهم لعنهم الله لعنة تدخلهم نار جهنم ، وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى إنه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلد وبه مائة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه ، وما زال يقتلهم واحداً بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه ، ونهب ذلك الدرب وحده . ودخلت امرأة منهم في زى رجل [بيتنا] فقتلت كل من في ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسير معها أنها امرأة فقتلها لعنهما الله ، ثم قصدوا مدينة إربل فضاقت المسلمون لذلك ذرعا وقال أهل تلك النواحي هذا أمر عصيب ، وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول إني قد جهزت عسكريا فكونوا معه لقتال هؤلاء التتار ، فأرسل الأشرف يعتمر إلى الخليفة بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب ما قدمه المسلمين هناك من الفريج ، وأخذهم دمياط الذي قد أشرفوا بأخذهم لها على أخذ الديار المصرية قاطبة ، وكان أخوه المعظم قد قدم على والى حران يستنجد به لأخيها الكامل ليتحاجزوا الفريج بدمياط وهو على أهبة المسير إلى الديار المصرية ، فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على العساكر التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل ، فلم يقدم عليه منهم ثمانمائة فارس ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولكن الله سلم بأن صرف همه التتار إلى ناحية همدان فصالحهم أهلها وترك عندهم التتار شحنة ، ثم اتفقوا على قتل شحنتهم فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسراً وقتلوا أهلها عن آخرهم ، ثم ساروا إلى أذربيجان ففتحوا أذربيل ثم تبريز ثم إلى بيلقان فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا ووجا غفيرا ، وحرقوها وكانوا يفجرون بالنساء ثم يقتلونهم ويشقون بطونهم عن الأجنة ثم عادوا إلى بلاد الكرج وقد استمدت لهم الكرج فاقنتلوا معهم فكسروهم أيضاً كسرة فظيعة ، ثم فتحوا بلادنا كثيرة يقتلون أهلها ويسبون نساءها ويأسرون من الرجال ما يقاتلون بهم الحصون ، يجملونهم بين أيديهم ترساً يتقون بهم الرمي وغيره ، ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب ، ثم ساروا إلى بلاد اللان والقبجاق فاقنتلوا معهم قتلا عظيما فكسروهم وقصدوا أكبر مدائن القبجاق وهي مدينة سوداق وفيها من الأمتعة والسياب والتجاثر من البرطاسي والقندر والسنجاب شيء كثير جدا ، ولجأت القبجاق إلى بلاد الروس وكانوا نصارى فاتفقوا معهم على قتل التتار فالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرة فظيعة جدا ، ثم ساروا نحو بلقار في حدود العشرين وستمائة فرغوا من ذلك كله ورجعوا نحو ملكهم جنكزخان لعنهم الله وإياهم . هذا ما فعلته هذه السرية المغربية ، وكان جنكزخان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى كلانة وأخرى إلى فرغانة فملكوها ، وجهز جيشاً آخر نحو خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها ، وكذلك صالحوا مدنا كثيرة أخرى ، حتى انتهوا إلى الطالقان فأعجزتهم قلعته وكانت حصينة فحاصروها سنة أشهر حتى أعجزوا فكتبوا إلى جنكزخان فقدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر

أخرى حتى فتحها قهرا ، ثم قتل كل من فيها وكل من في البلد بكاه خاصة وعامة ، ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكزخان فقد عسكر بظاهرها نحو من مائتي ألف مقاتل من العرب وغيرهم فاقتتلوا معه قتالا عظيما حتى انكسر المسلمون فانا لله وإنا إليه راجعون ، ثم حصروا البلد خمسة أيام واستنزلوا نائبيها خديعة ثم غدروا به وبأهل البلد فقتلوهم وغنموهم وسلبوهم وعاقبوهم بأنواع العذاب ، حتى إنهم قتلوا في يوم واحد سبعمائة ألف إنسان ، ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها ما فعلوا بأهل مرو ، ثم إلى طوس فقتلوا وخرّبوا مشهد على بن موسى الرضى سلام الله عليه وعلى آبائه ، وخرّبوا تربة الرشيد الخليفة فتركوه خرابا ، ثم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم ثم عادوا إلى ملكهم جنكزخان لعنه الله وإياهم ، وأرسل جنكزخان طائفة أخرى إلى مدينة خوارزم فحاصروها حتى فتحوا البلد قهرا فقتلوا من فيها قتلا ذريعا ، ونهبوها وسبوا أهلها وأرسلوا الجسر الذي يمنع ماء جيحون منها ففرقت دورها وهلك جميع أهلها ثم عادوا إلى جنكزخان وهو مخيم على الطالقان فجهز منهم طائفة إلى غزنة فاقتتل معهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم جلال الدين كسرة عظيمة ، واستنقذ منهم خلقا من أسارى المسلمين ، ثم كتب إلى جنكزخان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله ، فقصدته جنكزخان فتواجهها وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه ولم يبق بد من القتال ، فاقتتلوا ثلاثة أيام لم يمهّد قبلها مثلها من قتالهم ، ثم ضعفت أصحاب جلال الدين فذهبوا فركبوا بجر الهند فسارت التتار إلى غزنة فأخذوها بلا كلفة ولا ممانعة ، كل هذا أو أكثره وقع في هذه السنة .

وفيهما أيضا ترك الأشرف موسى بن العادل لأخيه شهاب الدين غازي ملك خلاط وميا فارقين وبلاد أرمينية واعتاض عن ذلك بالرها وسروج ، وذلك لاشتغاله عن حفظ تلك النواحي بمساعدة أخيه الكامل ونصرته على الفرنج لعنهم الله تعالى . وفي المحرم منها هبت رياح بيغداد وجاءت بروق وصحمت رعود شديدة وسقطت صاعقة بالجانب الغربي على المنارة المجاورة لعون ومعين فثلثتها ، ثم أصلحت ، وغارت الصاعقة في الأرض . وفي هذه السنة نصب محراب الحنابلة في الرواق الثالث الغربي من جامع دمشق بعد ممانعة من بعض الناس لهم ، ولكن ساعدتهم بعض الأمراء في نصبه لهم ، وهو الأمير ركن الدين المعظمي ، وصلى فيه الشيخ موفق الدين بن قدامة . قلت : ثم رفع في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيارة ، كما عوض الحنفية عن محرابهم الذي كان في الجانب الغربي من الجامع بالمحراب المجدد لهم شرقي باب الزيارة ، حين جدد الخائط الذي هو فيه في الأيام التنكزية ، على يد ناظر الجامع تقي الدين ابن مراحل أثابه الله تعالى كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . وفيها قتل صاحب سنجار أخاه فملكها مستقلا بها

الملك الأشرف بن العادل . وفيها نافق الأمير عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف وكان قد آواه وحفظه من أذى أخيه الكامل حين أراد أن يبايع للفائز ، ثم إنه سعى في الأرض فساداً في بلاد الجزيرة فسجنه الأشرف حتى مات كذا وذلا وعذابا . وفيها أوقع الكامل بالفرنج الذين على دمياط بأساً شديداً فقتل منهم عشرة آلاف ، وأخذ منهم خيولهم وأموالهم والله الحمد .

وفيها عزل المعظم المعتمد مفاخر الدين إبراهيم عن ولاية دمشق وولاه للعزير خليل ، ولما خرج الحاج إلى مكة شرفها الله تعالى كان أميرهم المعتمد فحصل به خير كثير ، وذلك أنه كف عبيد مكة عن نهب الحجاج بعد قتلهم أمير حاج العراقيين أقباش الناصري ، وكان من أكبر الأمراء عند الخليفة الناصر وأخصهم عنده ، وذلك لأنه قدم معه بخلع للأمرحسين بن أبي عزيز قتادة بن إدريس ابن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني الزيدي بولايته لامرأة مكة بعد أبيه ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنزع في ذلك راجح وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال لا يتأمر عليها غيري ، فوعدت فتنة أفضى الحال إلى قتل أقباش غلطاً ، وقد كان قتادة من أكبر الأشراف الحسنيين الزيديين وكان عادلاً منصفاً منعماً ، نعمة على عبيد مكة والمفسدين بها ، ثم عكس هذا السير فظلم وجدد المكوس ونهب الحاج غير مرة فسلط الله عليه ولده حسناً فقتله وقتل عمه وأخاه أيضاً ، فلهدا لم يمهل الله حسناً أيضاً ، بل سلبه الملك وشرده في البلاد ، وقيل بل قتل كما ذكرنا ، وكان قتادة شيعياً طويلاً مهيئاً لا يخاف من أحد من الخلفاء والملوك ، ويرى أنه أحق بالأمر من كل أحد ، وكان الخليفة بود لو حضر عنده فيكرمه ، وكان يأبى من ذلك ويمتنع عنه أشد الامتناع ، ولم يفتد إلى أحد قط ولا ذل لخليفة ولا ملك ، وكتب إليه الخليفة مرة يستدعيه فكتب إليه .

ولى كف ضرغام أذل يبطشها * وأشرى بها بين الورى وأبيع

تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها * وفي بطنها للمجد بين ربيع

أجعلها تحت الرحي ثم أبتغى * خلاصاً لها إني إذاً لرقيع

وما أنا إلا المسك في كل بقعة * يצוע وأما عندكم فيضيع

وقد بلغ من السنين سبعين سنة ، وقد ذكر ابن الأثير وفاته في سنة ثمانى عشرة فالفه أعلم .

وفيها توفى من الأعيان : ﴿ الملك الفائز ﴾

غياث الدين إبراهيم بن العادل ، كان قد انتظم له الأمر في الملك بعد أبيه على الديار المصرية على يدى الأمير عماد الدين بن المشطوب ، لولا أن الكامل تدارك ذلك سريعاً ، ثم أرسله أخوه في هذه السنة إلى أخيهما الأشرف موسى يستحثه في سرعة المسير إليهم بسبب الفرنج ، فمات بين سنجاب والموصل ، وقد ذكر أنه سم فرود إلى سنجاب فدفن بها رحمه الله تعالى .

﴿ شيخ الشيوخ صدر الدين ﴾

أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجويني ، من بيت رئاسة وإمرة عند بني أيوب ، وقد كان صدر الدين هذا فقيهاً فاضلاً ، درس بتربة الشافعي بمصر ، وبمشهد الحسين وولي مشيخة سعيد السعداء والنظر فيها ، وكانت له حرمة وافرة عند الملوك ، أرسله الكامل إلى الخليفة يستنصره على الفرنج فمات بالموصل بالأسهال ، ودفن بها عند قضيبة البان عن ثلاث وسبعين سنة .

﴿ صاحب حماه ﴾

الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وكان فاضلاً له تاريخ في عشر مجلدات سماه المضمار ، وكان شجاعاً فارساً ، فقام بالملك بعده ولده الناصر قلعج أرسلان ، ثم عزله عنها الكامل وحبسه حتى مات رحمه الله تعالى وولي أخاه المظفر بن المنصور

﴿ صاحب آمد ﴾

الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق ، وكان شجاعاً محباً للعلماء ، وكان مصاحباً للأشرف موسى بن العادل بجيء إلى خدمته مراراً ، وملك بعده ولده المسعود ، وكان بخيلاً فاسقاً ، فأخذته معه الكامل وحبسه بمصر ثم أطلقه فأخذ أمواله وسار إلى التتار ، فأخذته منه .

﴿ الشيخ عبد الله اليوناني ﴾

الملقب أسد الشام رحمه الله ورضي عنه من قرية ببعليك يقال لها يونين ، وكانت له زاوية يقصد فيها للزيارة ، وكان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والرياضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له همة عالية في الزهد والورع ، بحيث إنه كان لا يقطن شيئاً ولا يملك مالا ولا ثياباً ، بل يلبس عارية ولا يتجاوز قميصاً في الصيف وفروة فوقه في الشتاء ، وعلى رأسه قبعاً من جلود المعز ، شعره إلى ظاهر ، وكان لا ينقطع عن غزاة من الغزوات ، ويرمي عن قوس زنته ثمانون رطلاً ، وكان يجاور في بعض الأحيان بجبل لبنان ، ويأتي في الشتاء إلى عيون العامرية في سفح الجبل المطل على قرية دومة شرقي دمشق ، لاجل سخونة الماء ، فيقصد الناس للزيارة هناك ، ويجيء تارة إلى دمشق فينزل بسفح قاسيون عند القادسية وكانت له أحوال ومكاشفات صالحة ، وكان يقال له أسد الشام ، حكى الشيخ أبو المظفر سبط ابن الجوزي عن القاضي جمال الدين يعقوب الحاكم بترك البقاع أنه شاهد مرة الشيخ عبد الله وهو يتوضأ من ثور عند الجسر الأبيض إذ مر نصراني ومعه حمل بغل خمرآ فعمرت الدابة عند الجسر فسقط الحمل فرأى الشيخ وقد فرغ من وضوئه ولا يعرفه ، واستعان به على رفع الحمل فاستدعاني الشيخ فقال : تعال يا فقيه ، فتساعدنا على تحميل ذلك الحمل على الدابة وذهب النصراني فتمعجت من ذلك وتبعته الحمل وأنا ذاهب إلى المدينة ، فأنتهى به إلى العقبة فأورده إلى

الجار بها فاذا خل فقال له الجار: ويحك هذا خل ، فقال النصراني أنا أعرف من أين أتيت ، ثم ربط الدابة في خان ورجع إلى الصالحية فسأل عن الشيخ فعرّفه فجاء إليه فأسلم على يديه ، وله أحوال وكرامات كثيرة جدا ، وكان لا يقوم لاحد دخل عليه ويقول : إنما يقوم الناس لرب العالمين ، وكان الأجد إذا دخل عليه جلس بين يديه فيقول له : يا أجد فعلت كذا وكذا ويأمره بما يأمره ، وينهاه عما ينهاه عنه ، وهو يمثل جميع ما يقوله له ، وما ذاك إلا لصدقه في زهده وورعه وطريقه ، وكان يقبل الفتوح ، وكان لا يدخر منه شيئا لعد ، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق اللوز ففركه واستغه ويشرب فوقه الماء البارد رحمه الله تعالى وأكرم مثواه ، وذكروا أنه كان يحج في بعض السنين في الهواء ، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحى العباد ، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء ، وأول من يذكر عنه هذا حبيب العجمي ، وكان من أصحاب الحسن البصرى ، ثم من بعده من الصالحين رحمهم الله أجمعين . فلما كان يوم جمعة من عشر ذى الحجة من هذه السنة صلى الصبح عبد الله اليونيني وصلاة الجمعة بجامع بعلبك ، وكان قد دخل الحمام يومئذ قبل الصلاة وهو صحيح ، فلما انصرف من الصلاة قال للشيخ داود المؤذن ، وكان يغسل الموتى ، انظر كيف تكون غدا ، ثم صعد الشيخ إلى زاويته فبات يذكر الله تعالى تلك الليلة ويتذكر أصحابه ، ومن أحسن إليه ولو بأدنى شيء ويدعو لهم ، فلما دخل وقت الصبح صلى بأصحابه ثم استند يذكر الله وفي يده سبحة ، فبات وهو كذلك جالس لم يسقط ، ولم تسقط السبحة من يده ، فلما انتهى الخبر إلى الملك الأجد صاحب بعلبك فجاء إليه فباينه كذلك فقال لو بنينا عليه بنيانا هكذا يشاهد الناس منه آية ، فقيل له : ليس هذا من السنة ، فحجى وكفن وصلى عليه ودفن تحت اللوزة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالى ، رحمه الله ونور ضريحه . وكانت وفاته يوم السبت وقد جاوز ثمانين عاماً أكرمه الله تعالى ، وكان الشيخ محمد الفقيه اليونيني من جملة تلاميذه ، ومن يلوذ به وهو نجد هؤلاء المشايخ بمدينة بعلبك .

﴿ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أبي بكر ﴾

المجلى الموصلى ، ويعرف بابن الجهنى ، شاب فاضل ولى كتابة الانشاء لبدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل ، ومن شعره :

نفسى فداء الذى فكرت فيه وقد * غدوت أغرق فى بحر من العجب
يبدو بليل على صبح على قر * على قضيب على وهم على كشب
﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستائة ﴾

فيها استولت التتر على كثير من البلدان بكلادة وهمدان وأردبيل وتبريز وكنجة ، وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها ، واستأسروا ذرارها ، واقتربوا من بغداد فانزعج الخليفة لذلك وحصن

بعداد واستخدم الأجناد ، وقتت الناس في الصلوات والأوراد . وفيها قهروا الكرج واللان ، ثم قاتلوا القبحاق فكسروهم ، وكذلك الروس ، وينهبون ما قدروا عليه ، ثم قاتلوهم وسبوا نساءهم وذرايرهم ، وفيها سار المعظم إلى أخيه الأشرف فاستعطفه على أخيه الكامل ، وكان في نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعاً نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الفرنج الذين قد أخذوا ثغر دمياط واستحكم أمرهم هنالك من سنة أربع عشرة ، وعرض عليهم في بعض الأوقات أن يرد إليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل ويتركوا دمياط ، فامتنعوا من ذلك ولم يفعلوا ، فقدر الله تعالى أنهم ضاقت عليهم الأقوات فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذها الأسطول البحري وأرسات المياه على أراضي دمياط من كل ناحية فلم يمكنهم بعد ذلك أن يتصرفوا في أنفسهم ، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن ، فعند ذلك أتوا إلى المصالحة بلا معاوضة ، فجاء مقدمهم إليه وعنده أخواه المعظم عيسى وموسى الأشرف ، وكانا قائمين بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً ، فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد بيض الله وجهه ، وملوك الفرنج والعساكر كلها واقفة بين يديه ، ومد سماطاً عظيماً ، فاجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقام راجح الحلى الشاعر فأنشد :

هنيئاً فان السعد راح مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
 حباناً إله الخلق فتحاً بدا لنا * مبيناً وإنعاماً وعزاً مؤبدا
 تهلل وجه الدهر بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
 ولما طغى البحر الخضم بأهله الط * غاة وأضحى بالمرابك مزبدا
 أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلاً كما سل الحسام مجردا
 فلم ينبج إلا كل شلو مجدل * نوى منهم أو من تراه مقيدا
 ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً * عقيرته في الخافقين ومنشدا
 أعباد عيسى إن عيسى وحزبه * وموسى جميعاً يخدمون محمداً

قال أبو شامة : وبلغني أنه أشار عند ذلك إلى المعظم عيسى والأشرف موسى والكامل محمد ، قال : وهذا من أحسن شيء اتفق ، وكان ذلك يوم الأربعاء التاسع عشر رجب من هذه السنة ، وتراجعت الفرنج إلى عكا وغيرها ، ورجع المعظم إلى الشام واصطلح الأشرف والكامل على أخيهما المعظم . وفيها ولي الملك المعظم قضاء دمشق كمال الدين المصري الذي كان وكيل بيت المال بها ، وكان فاضلاً بارعاً يجلس في كل يوم الجمعة قبل الصلاة بالعادية بعد فراغها لإثبات المحاضر ، ويحضر عنده في المدرسة جميع الشهود من كل المراكز حتى يقيس على الناس إثبات كتبهم في الساعة الواحدة ، جزاه الله خيراً .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ يا قوت الكاتب الموصلى رحمه الله ﴾
 أمين الدين المشهور بطريقتة ابن البواب . قال ابن الأثير : لم يكن في زمانه من يقاربه ،
 وكانت لديه فضائل جمّة والناس متفقون على الثناء عليه ، وكان نعم الرجل . وقد قال فيه نقيب الدين
 الواسطي قصيدة بمدحه بها :

جامع شارد المعلوم ولولا * ه لكنت أم الفضائل ثمكلى
 ذوبراع تخاف ريقته الأس * د ، وتمنوه له السكتائب ذلا
 وإذا افتخر ثغره عن بياض * في سواد فالسمر والبيض خجلا
 أنت بدر والكاتب ابن هلال * كآبسه لا نخر فيمن تولى
 إن يكن أولى فانك بالتنفض * بل أولى فقد سبقت وصلى

﴿ جلال الدين الحسن ﴾

من أولاد الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية ، وكان قد أظهر في قومه شعائر الاسلام ، وحفظ
 الحدود والمحرمات والقيام فيها بالزواج الشرعية .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

شهاب الدين محمد بن خلف بن راجح المقدسى الحنبلى الزاهد العابد الناسك ، كان يقرأ على الناس
 يوم الجمعة الحديث النبوى وهو جالس على أسفل منبر الخطابة بالجامع المظفرى ، وقد سمع الحديث
 الكثير ، ورحل وحفظ مقامات الحريرى فى خمسين ليلة ، وكانت له فنون كثيرة ، وكان ظريفا
 مطبوعا رحمه الله ﴿ والخطيب موفق الدين ﴾

أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل المقدسى ، خطيب بيت الأبار ، وقد ناب
 فى دمشق عن الخطيب جمال الدين الدولعى حين سار فى الرسلية إلى خوارزم شاه ، حتى عاد .

﴿ المحدث البارع تقي الدين أبوطاهر ﴾

إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطى ، قرأ الحديث ورحل وكتبه ، وكان حسن الخط
 متقنا فى علوم الحديث ، حافظا له ، وكان الشيخ تقي الدين ابن الصلاح يثنى عليه ويمدحه ، وكانت
 له كتب بالبيت الغربى من الكلاسة الذى كان الملك المحسن بن صلاح الدين ، ثم أخذ من ابن
 الأنماطى وسلم إلى الشيخ عبد الصمد الدكاوى ، واستمر بيد أصحابه بعد ذلك ، وكانت وفاته بدمشق
 ودفن بمقابر الصوفية وصلى عليه بالجامع الشيخ موفق الدين ، وبباب النصر الشيخ فخر الدين بن
 عساكر ، وبالمقبرة قاضى القضاة جمال الدين المصرى رحمه الله تعالى .

﴿ أبو الغيث شعيب بن أبي طاهر بن كليب ﴾

ابن مقبل الضرير الفقيه الشافعي ، أقام ببغداد إلى أن توفي ، وكانت لديه فضائل وله رسائل ،
ومن شعره قوله :

إذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالجدود والبذل
وسوسوا لثام الناس بالذل يصلحوا * عليه ، فإن الذل أصلح للندل

﴿ أبو العز شرف بن علي ﴾

ابن أبي جعفر بن كامل الخالصي المقرئ الضرير الفقيه الشافعي ، تفقه بالنظامية وسمع الحديث
ورواه ، وأنشد عن الحسن بن عمرو الحلبي :

تمنتم لي والديار بعيدة * نخيل لي أن الفؤاد لكم معنى
وناجاكم قلبي على البعد بيننا * فأوحشتم لفظا وآنستم معنى

﴿ أبو سليمان داود بن إبراهيم ﴾

ابن مندار الحلبي ، أحد المعيدين بالمدرسة النظامية ، ومما أنشده .

أيا جامعا أمسك عنانك مقصراً * فان مطايا الدهر تكبو وتقصر
ستفرع سنا أو تعض ندامة * إذا خان الزمان واقصر^(١)
ويلقاك رشد بعد غيك واعظ * ولكنه يلقاك والأمر مدبر

﴿ أبو المظفر عبد الودود بن محمود بن المبارك ﴾

ابن علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الأصل ، البغدادي الدار والمولد ، كمال الدين المعروف
والده بالمجيد ، تفقه على أبيه وقرأ عليه علم الكلام ، ودرس بمدرسه عند باب الأزج ، ووكله الخليفة
الناصر واشتهر بالديانة والأمانة ، وبأشرف مناصب كباراً ، وحجج مراراً عديدة ، وكان متواضعاً حسن
الأخلاق وكان يقول :

وما تركت ست وستون حجة * لنا حجة أن نركب اللهو مركبا
وكان ينشد العلم يأتي كل ذي خف * ض ويأبى على كل آبي
كلاء ينزل في الوها * دوليس يصعد في الروابي

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعمائة ﴾

فيها نقل تابوت العادل من القلعة إلى تربته العادلية الكبيرة ، فصلى عليه أولاً تحت النسر
بالجامع الأموي ، ثم جاؤا به إلى التربة المذكورة فدفن فيها ، ولم تكن المدرسة مكنت بعد ، وقد تكامل
بناؤها في هذه السنة أيضاً ، وذكر الدرس بها القاضي جمال الدين المصري ، وحضر عنده السلطان

(١) كذا في الاصل والبيت مكسور .

المعظم فجلس في الصدر وعن شماله القاضي وعن يمينه صدر الدين الحصري شيخ الحنفية ، وكان في المجلس الشيخ تقي الدين بن الصلاح إمام السلطان ، والشيخ سيف الدين الأمدى إلى جانب المدرس ، وإلى جانبه شمس الدين بن سناء الدولة ، ويليه النجم خليل قاضي العسكر ، وتحت الحصري شمس الدين بن الشيرازي ، وتحت محي الدين التركي ، وفيه خلق من الأعيان والأكابر ، وفيهم نحر الدين بن عساكر . وفيها أرسل الملك المعظم الصدر الكشفي^(١) محتسب دمشق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه يستعينه على أخويه الكامل والأشرف اللذين قد تمالآ عليه ، فأجابته إلى ذلك بالسمع والطاعة ، ولما عاد الصدر المذكور أضاف إليه مشيخة الشيوخ . وحج في هذه السنة الملك مسعود بن أقسيس بن الكامل صاحب اليمن فبدت منه أفعال ناقصة بالحرم من سكر ورشق حمام المسجد بالبندق من أعلا قبة زوزم ، وكان إذا نام في دار الامارة يضرب الطائفون بالمسعى بأطراف السيوف لتلايشوشوا عليه وهو نوم سكر قبحه الله ، ولكن كان مع هذا كله مهيباً محترماً وبالبلاد به آمنة مطمئنة ، وقد كاد يرفع سنجق أبيه يوم عرفة على سنجق الخليفة فيجري بسبب ذلك فتنة عظيمة ، وما يمكن من طلوعه وعوده إلى الجبل إلا في آخر النهار بعد جهد جهيد . وفيها كان بالشام جراد كثير أكل الزرع والثمار والأشجار . وفيها وقعت حروب كثيرة بين القبجاق والكرج ، وقتال كثير بسبب ضيق بلاد القبجاق عليهم . وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو عبد الله محمد بن فلان . ولبس الخلع في باب دار الوزارة مؤيد الدين محمد بن محمد القميقي بمحضرة الأعيان والكبراء ، وقرىء تقليده بحضورهم وساقه ابن الساعي بحروفه

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ عبد القادر بن داود ﴾

أبو محمد الواسطي الفقيه الشافعي الملقب بالحب ، استقل بالنظامية دهرآ ، واشتغل بها ، وكان فاضلاً ديناً صالحاً ، ومما أنشده من الشعر :

الفرقدان كلاهما شهدا له * والبدر ليلة تمه بسهاده
دنف إذا اعتبق الظلام تضرمت * نار الجوى في صدره وفؤاده
فجرت مدامع جفنه في خده * مثل المسيل يسيل من أطواره
شوقاً إلى مضميه لم أر هكذا * مشتاق مضمي جسمه بيماده
ليت الذي أضناه سحر جفونه * قبل المات يكون من عواده

﴿ أبو طالب يحيى بن علي ﴾

اليمقوي الفقيه الشافعي أحد المعيدين ببغداد ، كان شيخاً مليح الشيبة جميل الوجه ، كان يلي بعض الاوقاف ، ومما أنشده لبعض الفضلاء :

(١) هو صدر الدين أبو الحسن محمد بن أبي الفتح .

لحل تهامة وجبال أحد * وماء البحر ينقل بالزبيل
ونقل الصخر فوق الظهر عريا * لأهون من مجالسة الثقل
ولبعضهم أيضاً ، وهو مما أنشده المذكور :

وإذا مضى للمرء من أعوامه * خمسون وهو إلى التقي لا يجنح
عكفت عليه الخزيات فقولها * حالفتنا ، فأقم كذا لا تبرح
وإذا رأى الشيطان غرة وجهه * حيا ، وقال فديت من لا يفلح
اتفق أنه طولب بشيء من المال فلم يقدر عليه فاستعمل شيئاً من الأفيون المصرى فمات من
بومه ودفن بالوردية . وفيها توفى .

﴿ قطب الدين العادل ﴾

بالفيوم ونقل إلى القاهرة . وفيها توفى إمام الحنابلة بمكة .

﴿ الشيخ نصر بن أبي الفرج ﴾

المعروف بابن الحصرى ، جاور بمكة مدة لم يسافر ، ثم ساقته المنية إلى اليمن ، فمات بها فى هذه
السنة . وقد سمع الحديث من جماعة من المشايخ .

وفيها فى ربيع الأول توفى بدمشق الشهاب ﴿ عبد الكريم بن نجم النبيلى ﴾ أخو البهاء والناصح ،
وكان فقيها مناظراً بصيراً بالحماكات . وهو الذى أخرج مسجد الوزير من يد الشيخ علم الدين السخاوى
رحمه الله تعالى بمنه وكرمه . ﴿ ثم دخلت سنة عشرين وثمانمائة ﴾

فيها عاد الأشرف موسى بن العادل من عند أخيه الكامل صاحب مصر . فتلقاه أخوه المعظم
وقد فهم أنهما تمالآ عليه ، فبات ليلة بدمشق وسار من آخر الليل ولم يشعر أخوه بذلك ، فسار إلى
بلاده فوجد أخاه الشهاب غازى الذى استنابه على خلاط وميفارقين وقد قوا رأسه وكتبه المعظم
صاحب إربل وحسنوا له مخالفة الأشرف ، فكتب إليه الأشرف ينهيه عن ذلك فلم يقبل ، فجمع
له العساكر ليقاتله . وفيها سار أقيس الملك مسعود صاحب اليمن ابن الكامل من اليمن إلى مكة
شرفها الله تعالى فقاتله ابن قتادة ببطن مكة بين الصفا والمروة ، فهزمه أقيس وشرده ، واستقل
بملك مكة مع اليمن ، وجرت أمور فظيعة وتشرد حسن بن قتادة قاتل أبيه وعمه وأخيه فى تلك
الشعاب والأودية .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الامام .

﴿ موفق الدين عبد الله بن أحمد ﴾

ابن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر . شيخ الاسلام ، مصنف المغنى فى المذهب ، أبو محمد المقدسى

إمام عالم بارع . لم يكن في عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أفقه منه ، ولد بجماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقدم مع أهله إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين ، وقرأ القرآن وسمع الحديث الكثير ، ورحل مرتين إلى العراق إحداهما في سنة إحدى وستين مع ابن عمه الحافظ عبد الغني ، والأخرى سنة سبع وستين ، وحج في سنة ثلاث وسبعين ، وتفقه ببغداد على مذهب الامام أحمد ، وبرع وأفقي وناظر وتبحر في فنون كثيرة ، مع زهد وعبادة وورع وتواضع وحسن أخلاق وجود وحياء وحسن سمع ونور وبهاء وكثرة تلاوة وصلاة وصيام وقيام وطريقة حسنة واتباع للسلف الصالح ، وكانت له أحوال ومكاشفات ، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى : إن لم تكن العلماء العاقلون أولياء الله فلا أعلم الله وليا ، وكان يؤم الناس للصلاة في محراب الحنابلة هو والشيخ العماد ، فلما توفي العماد استقل هو بالوظيفة ، فان غاب صلى عنه أبو سليمان ابن الحافظ عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني ، وكان يتنفل بين العشاءين بالقرب من محرابه ، فاذا صلى العشاء انصرف إلى منزله بدرب الدولعي بالرصيف وأخذ معه من الفقراء من تيسر يأكلون معه من طعامه ، وكان منزله الأصلي بقاسيون فينصرف بعض الليالي بعد العشاء إلى الجبل ، فاتفق في بعض الليالي أن خطف رجل عمامته وكان فيها كاعد فيه رمل ، فقال له الشيخ : خذ الكاعد وألق العمامة ، فظن الرجل أن ذلك نفقة فأخذه وألقى العمامة . وهذا يدل على ذكاء مفرط واستخصار حسن في الساعة الراهنة ، حتى خالص عمامته من يده بتلطف . وله مصنغات عديدة مشهورة ، منها المغني في شرح مختصر الخرق في عشرة مجلدات ، والشافعي في مجلدين والمقنع للحفظ ، والروضة في أصول الفقه ، وغير ذلك من التصانيف المفيدة ، وكانت وفاته في يوم عيد الفطر في هذه السنة ، وقد بلغ الثمانين ، وكان يوم سبت وحضر جنازته خاق كثير ، ودفن بتربته المشهورة ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله تعالى ، وكان له أولاد ذكور وإناث ، فلما كان حياً ماتوا في حياته . ولم يعقب منهم سوى ابنه عيسى ولدين ثم ماتا وانقطع نسله ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : نقلت من خط الشيخ موفق رحمه الله تعالى :

لا تجلسن بباب من * يابى عليك وصول داره
وتقول حاجاتي إليه * ه يعوقها إن لم أداره
واتركه واقصد ربها * تقضى ورب الدار كاره

ومما أنشده الشيخ موفق الدين لنفسه رحمه الله تعالى ورضى عنه قوله :

أبعد بياض الشعر أعمار مسكنا * سوى القبر ، إني إن فعلت لأحمق
يخبزني شيبى بأنى ميت * وشيكا ، فينعاني إلى ويصدق
يخرق عمرى كل يوم وليلة * فهل مستطاع رقع ما يتخرق

كأني بجسمي فوق نعتي ممدداً * فمن ساكت أو معول يتحرق
 إذا سئلوا عني أجابوا وعولوا * وأدمعهم تنهل هذا الموقف
 وغابت في صدع من الأرض ضيق * وأودعت لحداً فوقه الصخر مطبق
 ويحشو على التراب أوثق صاحب * ويسلمني للتبر من هو مشفق
 فيارب كن لي مؤنساً يوم وحشتي * فاني بما أنزلته لمصدق
 وماضرنى أني إلى الله صائر * ومن هو من أهلي أبروأرفق
 نحر الدين ابن عساكر ﴿ عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ﴾

أبو منصور الدمشقي شيخ الشافعية بها ، وأمه اسمها أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر القدسية
 المعروف والدها بأبي البركات ابن المران ، وهو الذي جدد مسجد القدم في سنة سبع عشرة وخمسةائة
 وبه قبره وقبرها ، ودفن هناك طائفة كبيرة من العلماء ، وهي أخت آمنة والدة القاضي يحيى الدين
 محمد بن علي بن الزكي ، اشتغل الشيخ نحر الدين من صغره بالعلم الشريف على شيخه قطب الدين
 مسعود النيسابوري ، فتزوج بابنته ودرس مكانه بالحرورية ، وبها كان يسكن في إحدى القاعتين
 اللتين أنشأهما وبها توفي غربي الايوان ، ثم تولى تدريس الصلاحية الناصرية بالقدس الشريف ، ثم
 ولاه العادل تدريس التقوية ، وكان عنده أعيان الفضلاء ، ثم تفرغ فلزم المجاورة في الجامع في البيت
 الصغير إلى جانب محراب الصحابة يخلو فيه للعبادة والمطالعة والفتاوى ، وكانت تفتد إليه من الأقطار ،
 وكان كثير الذكر حسن السميت ، وكان يجلس تحت النسر في كل اثنين وخميس مكان عمه لا سماع
 الحديث بعد العصر ، فيقرأ عليه دلائل النبوة وغيره ، وكان يحضر مشيخة دار الحديث النورية ، ومشهد
 ابن عروة أول ما فتح ، وقد استدعاه الملك العادل بعد ما عزل قاضيه ابن الزكي فأجلسه إلى جانبه
 وقت السماط ، وسأل منه أن يلى القضاء بدمشق ، فقال حتى أستخير الله تعالى ، ثم امتنع من ذلك فشق
 على السلطان امتناعه ، وهم أن يؤذيه فقبل له احمد الله الذي فيه مثل هذا . ولما توفي العادل وأعاد ابنه
 المعظم الخورأنكر عليه الشيخ نحر الدين ، فبقي في نفسه منه ، فانترع منه تدريس التقوية ، ولم يبق معه
 سوى الحرورية ودار الحديث النورية ومشهد ابن عروة ، وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد العصر
 عاشر رجب من هذه السنة وله خمس وستون سنة ، وصلى عليه بالجامع وكان يوماً مشهوداً ، وحملت
 جنازته إلى مقابر الصوفية فدفن في أولها قريباً من قبر شيخه قطب الدين مسعود بن عروة .

﴿ سيف الدين محمد بن عروة الموصلي ﴾

المنسوب إليه مشهد ابن عروة بالجامع الأموي ، لأنه أول من فتحه ، وقد كان مشحوناً
 بالحواصل الجامعية وبنى فيه البركة ووقف فيه على الحديث درساً ، ووقف خزائن كتب فيه ، وكان

مقياً بالقدس الشريف ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم ، فانتقل إلى دمشق حين خرب
سور بيت المقدس إلى أن توفي بها ، وقبره عند قباب أتابك طفتكين قبلي المصلي رحمه الله .

﴿ الشيخ أبو الحسن الروزبهاري ﴾

دفن بالمكان المنسوب إليه عند باب الفرائيس .

﴿ الشيخ عبد الرحمن البني ﴾

كان مقياً بالمنارة الشرقية ، كان صالحاً زاهداً ورعاً وفيه مكارم أخلاق ، ودفن بمقابر الصوفية .

﴿ الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد ﴾

ابن حمزة التميمي ابن القلانسي ، أحد رؤساء دمشق وكبرائها ، وجده أبو يعلى حمزة له تاريخ
ذيل به علي ابن عساكر ، وقد سمع عز الدين هذا الحديث من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر
وغيره ، ولزم مجالسة الكندي وانتفع به .

﴿ الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة ﴾

محمد بن سليمان بن قتلش بن تركانشاه بن منصور السمرقندي ، وكان من أولاد الأمراء ، وولى
حاجب الحجاب بالديوان العزيز الخليلي ، وكان يكتب جيداً وله معرفة حسنة بعلوم كثيرة ، منها
الأدب وعلوم الرياضة ، وعمر دهره ، وله حظ من نظم الشعر الحسن ومن شعره قوله :

سئمت تكاليف هذى الحياة * وكذا الصباح بها والمساء

وقد كنت كالطفل في عقله * قليل الصواب كثير الهراء

أنام إذا كنت في مجلس * وأسهر عند دخول الغناء

وقصر خطوى قيد المشيب * وطال على ما عناني عناء

وغودرت كالفرخ في عشه * وخلفت حلماً وراء وراء

وما جر ذلك غير البقاء * فكيف بدا سوء فعل البقاء

وله أيضاً ، وهو من شعره الحسن رحمه الله :

إلهي يا كثير العفو عفوا * لما أسلفت في زمن الشباب

فقد سودت في الآنام وجهاً * ذليلاً خاضعاً لك في التراب

فبيضه بحسن العفو عني * وساحني وخفف من عذابي

ولما توفي صلى عليه بالنظامية ودفن بالشونيزية ورآه بعضهم في المنام فقال ما فعل بك ربك ؟ فقال

تخاشيت اللقاء لسوء فعلي * وخوفاً في المعاد من الندامة

فلما أن قدمت على إلهي * وحقاق في الحساب على قلامه

وكان العدل أن أصلى جرحيا * تعطف بالكارم والكرامه
وناداني لسان العفو منه * ألا يا عبد يهنيك السلامه
﴿ أبو على الحسن بن أبي المحاسن ﴾

زهرة بن علي بن زهرة العلوي الحسيني الحلبي ، تقيب الأشراف بها ، كان لديه فضل وأدب وعلم
بأخبار الناس والتواريخ والسير والحديث ، ضابطا حافظا للقرآن المجيد ، وله شعر جيد فمنه قوله :

لقد رأيت المعشوق وهو من الـ * هجر تنبو النواظر عنه
أثر الدهر فيه آثار سوء * وأدالت يد الحوادث منه
عاد مستذلا ومستبدلا * عزا بذل كأن لم يصنه
﴿ أبو على يحيى بن المبارك ﴾

ابن الجلاجلي من أبناء التجار ، سمع الحديث وكان جميل الهيئة يسكن بدار الخلافة وكان عنده
علم وله شعر حسن ، فمنه قوله :

خير إخوانك المشارك في المر * وأين الشريك في المر أينا
الذي إن شهدت شرك في القو * م وإن غبت كان أذنا وعينا
مثل العقيق إن مسه النا * رجلاه الجلاء فازداد زينا
وأخو السوء إن يغب عنك يش * نك وإن يحضر يكن ذاك شينا
جيبه غير ناصح ومناه أن * يصب الخليل إفكا ومينا
فاخش منه ولا تلهف عليه * إن غرماً له كنتك دينا
﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ﴾

فيها وصلت سرية من جهة جنكزخان غير الأولتين إلى الري ، وكانت قد عمرت قليلا
فقتلوا أهلها أيضاً ، ثم ساروا إلى ساوة ، ثم إلى قم وقاسان ، ولم تكونا طرفتنا إلا هذه المرة ، ففعلوا بها
مثل ما تقدم من القتل والسبي ، ثم ساروا إلى همذان فقتلوا أيضاً وسبوا ، ثم ساروا إلى خلف
الخورزمية إلى أذربيجان فكسروهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، فهربوا منهم إلى تبريز فلحقوهم وكتبوا
إلى ابن البهلوان : إن كنت مصالحا لنا فابعث لنا بالخورزمية وإلا فأنت مثلهم ، فقتل منهم خلقا
وأرسل برؤسهم إليهم ، مع تحف وهدايا كثيرة ، هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف
والخورزمية وأصحاب البهلوان أضعاف أضعافهم ، ولكن الله تعالى ألقى عليهم الخلدان والفشل ،
فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها ملك غياث الدين بن خوارزم شاه بلاد فارس مع ما في يده من مملكة أصفهان وهمذان

وفيهما استعاد الملك الأشرف مدينة خلاط من أخيه شهاب الدين غازي ، وكان قد جعلها إليه مع جميع بلاد أرمينية وميا فارقين وجاي وجبل حوز ، وجعله ولي عهده من بعده ، فلما عصى عليه وتشعب دماغه بما كتب إليه المعظم من تحسينه له مخالفته ، فركب إليه وحاصره بمخلاط فسلمت إليه وامتنع أخوه في القلعة ، فلما كان الليل نزل إلى أخيه معتذراً لقبول عذره ولم يعاقبه بل أقره على ميافارقين وحدها ، وكان صاحب إربل والمعظم متفقين مع الشهاب غازي على الأشرف ، فنكتب الكامل إلى المعظم يتهده اثن ساعد على الأشرف ليأخذنه وبلاده ، وكان بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل مع الأشرف ، فركب إليه صاحب إربل فحاصره بسبب قلة جنده لأنه أرسلهم إلى الأشرف حين نازل خلاط ، فلما انفصلت الأمور على ما ذكرنا ندم صاحب إربل ، والمعظم بدمشق أيضاً .

وفيهما أرسل المعظم ولده الناصر داود إلى صاحب إربل يقويه على مخالفة الأشرف ، وأرسل صوفيا من الشميساطية يقال له الملق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه - وكان قد أخذ أذربيجان في هذه السنة وقوى جأشه - يتفق معه على أخيه الأشرف ، فوعده النصر والرفادة . وفيها قدم الملك مسعود أقيس ملك اليمن على أبيه الكامل بالديار المصرية ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف ، من ذلك مائتا خادم وثلاثة أفيصلة هائلة ، وأحمال عود وند ومسك وعنبر ، وخرج أبوه الكامل لتلقيه ومن نية أقيس أن ينزع الشام من يد عمه المعظم . وفيها كل عمارة دار الحديث الكاملة بمصر ، وولي مشيختها الحافظ أبو الخطاب ابن دحية الكسبي ، وكان مكثراً كثير الفنون ، وعنده فوائد ومجائب رحمه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن علي القادسي الضرير الحنبلي ، والد صاحب الذيل على تاريخ ابن الجوزي ، وكان القادسي هذا يلزم حضور مجلس الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، ويزهر لما يسمعه من الغرائب ، ويقول والله إن ذا مليح ، فاستقرض منه الشيخ مرة عشرة دنانير فلم يعطه ، وصار يحضر ولا يتكلم ، فقال الشيخ مرة : هذا القادسي لا يقرضنا شيئاً ولا يقول والله إن ذا مليح ؟ رحمهم الله تعالى ، وقد طلب القادسي مرة إلى دار المستضيء ليصلي بالخليفة التراويح فقيل له والخليفة يسمع : ما مذهبك ؟ فقال حنبلي ، فقال له لا اتصل بدار الخلافة وأنت حنبلي ، فقال أنا حنبلي ولا أصلي بكم ، فقال الخليفة أتركوه لا يصلي بنا إلا هو ﴿ أبو الكرم المظفر بن المبارك ﴾

ابن أحمد بن محمد البغدادي الحنفي شيخ مشهد أبي حنيفة وغيره ، ولي الحسبة بالجانب الغربي من بغداد ، وكان فاضلاً ديناً شاعراً ومن شعره :

فصن بجميل الصبر نفسك واغتمم * شريف المزايا لا يفتك ثوابها
وعش سالما والقول فيك مهذب * كريماً وقد هانت عليك صعباتها
وتندرج الأيام والكل ذاهب * قليل ويفنى عندها وعذابها
وما الدهر إلا مرٌّ يوم وليلة * وما العمر إلا طيها وذهابها
وما الحزم إلا في إخاء عزيمة * وفيك المعالي صفوها ولباؤها
ودع عنك أحلام الأمانى فانه * سيسفر يوماً غيها وصوابها
﴿ محمد بن أبي الفرج بن بركة ﴾

الشيخ نجر الدين أبو المعالي الموصلي ، قدم بغداد واشتغل بالنظامية وأعادها ، وكانت له معرفة
بالقراءات ، وصنف كتاباً في مخارج الحروف ، وأسند الحديث وله شعر لطيف .

﴿ أبو بكر بن حلبة الموازيني البغدادي ﴾

كان فرداً في علم الهندسة وصناعة الموازين بختراع أشياء عجبية ، من ذلك أنه ثقب حبة خشخاش
سبعة ثقوب وجعل في كل ثقب شعرة ، وكان له حظوة عند الدولة .

﴿ أحمد بن جعفر بن أحمد ﴾

ابن محمد أبو العباس الديببي البيع الواسطي ، شيخ أديب فاضل له نظم ونثر ، عارف بالأخبار
والسير ، وعنده كتب جيدة كثيرة ، وله شرح قصيدة لأبي العلاء المعري في ثلاث مجلدات ، وقد
أورد له ابن الساعي شعراً حسناً فصيحاً حلوا لذيذاً في السمع لطيفاً في القلب .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة ﴾

فيها عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مقهورين من
التتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق ، فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه . وفيها استحوذ
جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثيراً من بلاد الكرج ، وكسر الكرج وهم في
سبعين ألف مقاتل ، فقتل منهم عشرين ألفاً من المقاتلة ، واستفحل أمره جناباً وعظم شأنه ، وفتح
تفليس فقتل منها ثلاثين ألفاً . وزعم أبو شامة أنه قتل من الكرج سبعين ألفاً في المعركة ، وقتل
من تفليس تمام المائة ألف ، وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد ، وذلك أنه لما حاصر دقوقا سبه
أهلها ففتحها قسراً وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وخرب سورها وعزم على قصد الخليفة ببغداد
لأنه فيما زعم عمل على أبيه حتى هلك ، واستولت التتر على البلاد ، وكتب إلى المعظم بن العادل
يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك ، فامتنع المعظم من ذلك ، ولما علم الخليفة بقصد
جلال الدين بن خوارزم شاه بغداد انزعج لذلك وحسن بغداد واستخدم الجيوش والأجناد ، وأنفق

في الناس ألف ألف دينار ، وكان جلال الدين قد بعث جيشاً إلى الكرج فكتبوا إليه أن أدر كنا قبل أن نهلك عن آخرنا ، وبغداد ما تفوت ، فسار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا .

وفيهما كان غلاء شديد بالعراق والشام بسبب قلة الأمطار وانتشار الجراد ، ثم أعقب ذلك فناء كثير بالعراق والشام أيضاً ، فمات بسببه خلق كثير في البلدان ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

✽ وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر ✽

لما كان يوم الأحد آخر يوم من شهر رمضان المعظم من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله ، أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله ، أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، أبي عبد الله أحمد بن المقتدى بأمر الله ، أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله ، أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد بن محمد المتوكل أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق ، أبي أحمد بن محمد المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي ، أمير المؤمنين ، ولد ببغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين [وخمسمائة] ، وتوفي في هذه السنة وله من العمر تسع وستون سنة وشهران وعشرون يوماً ، وكانت مدة خلافته سبعا وأربعين سنة إلا شهرا ، ولم يرقم أحد من الخلفاء العباسيين قبله في الخلافة هذه المدة الطويلة ، ولم تطل مدة أحد من الخلفاء مطلقاً أكثر من المستنصر العبيدي ، أقام بمصر حاكماً ستين سنة ، وقد انتظم في نسبه أربعة عشر خليفة ، وولي عهد على ما رأيت ، وبقية الخلفاء العباسيين كلهم من أعمامه وبنى عمه . وكان مرضه قد طال به وجمهوره من عسار البول ، مع أنه كان يجلب له الماء من مراحل عن بغداد ليكون أصفى ، وشق ذكره مرات بسبب ذلك ، ولم يفن عنه هذا الحذر شيئاً ، وكان الذي ولي غسله محيي الدين ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، وصلى عليه ودفن في دار الخلافة ، ثم نقل إلى التراب من الرصافة في ثاني ذي الحجة من هذه السنة ، وكان يوماً مشهوداً ، قال ابن الساعي : أما سيرته فقد تقدمت في الحوادث ، وأما ابن الأثير في كامله فإنه قال : وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً من الحركة بالكلية ، وقد ذهبت إحدى عينيه والأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً ، وآخر الأمر أصابه دوسنطارية عشرين يوماً ومات ، وزرله عدة وزراء ، وقد تقدم ذكرهم ، ولم يطلق في أيام مرضه ما كان أحدثه من الرسوم الجائرة ، وكان قبيل السيرة في رعيته ظالماً لهم ، فخرّب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وكان يفعل الشيء وضده ، فمن ذلك أنه عمل دوراً

للافتار في رمضان ودورا لضيافة الحجاج ، ثم أبطل ذلك ، وكان قد أسقط مكوساً ثم أعادها وجعل
 جل همه في رمي البندق والطيور المناسبين وسراويلات الفتوة . قال ابن الأثير : وإن كان ما ينسبه
 العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتار في البلاد وراسلهم فهو الطامة الكبرى التي يصغر
 عندها كل ذنب عظيم . قلت ، وقد ذكر عنه أشياء غريبة ، من ذلك أنه كان يقول للرسول الوافدين
 عليه فعلمت في مكان كذا كذا ، وفعلت في الموضوع الفلاني كذا ، حتى ظن بعض الناس أو أكثرهم أنه
 كان يكشف أو أن جنياً يأتيه بذلك ، والله أعلم .

﴿ خلافة الظاهر بن الناصر ﴾

لما توفي الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد إلى ابنه أبي نصر محمد هذا ولقبه بالظاهر ،
 وخطب له على المنابر ، ثم عزله عن ذلك بأخيه علي ، فتوفي في حياة أبيه سنة ثلثي عشرة ، فاحتاج إلى
 إعادة هذا لولاية العهد فخطب له ثانياً ، فحين توفي بوبيع بالخلافة ، وعمره يومئذ ثنتان وخمسون سنة ،
 فلم يلب الخلافة من بني العباس أسن منه ، وكان عاقلاً وقوراً دينا عادلاً محسناً ، رد مظالم كثيرة وأسقط
 مكوساً كان قد أحدثها أبوه ، وسار في الناس سيرة حسنة ، حتى قيل : إنه لم يكن بمدع من عبد العزيز
 أعدل منه لو طال مدته ، ولكنه لم يحل إلى الحول ، بل كانت مدته تسعة أشهر أسقط الخراج الماضي
 عن الاراضي التي قد تعطلت ، ووضع عن أهل بلدة واحدة وهي يعقوبا سبعين ألف دينار كان أبوه
 قد زادها عليهم في الخراج ، وكانت صنجة المخزن تزيد على صنجة البلد نصف دينار في كل مائة إذا
 قبضوا وإذا أقبضوا دفعوا بصنجة البلد ، فكتب إلى الديوان (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على
 الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم
 الناس لرب العالمين) فكتب إليه بعض الكتاب يقول : يا أمير المؤمنين إن تفاوت هذا عن العام
 الماضي خمسة وثلاثون ألفاً ، فأرسل ينكر عليه ويقول : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلثمائة ألف
 وخمسين ألفاً ، رحمه الله . وأمر للقاضي أن كل من ثبت له حق بطريق شرعي يوصل إليه بلا مراجعة ،
 وأقام في النظر على الأموال الجردة رجال صالحا واستخلص على القضاء الشيخ العلامة عماد الدين أبا
 صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي في يوم الأربعاء ثامن ذي الحجة ، فكان من
 خيار المسلمين ومن القضاة العادلين ، رحمه الله أجمعين . ولما عرض عليه القضاء لم يقبله إلا بشرط
 أن يورث ذوى الأرحام ، فقال : أعط كل ذي حق حقه واتفق الله ولا تتق سواه ، وكان من عادة
 أبيه أن يرفع إليه حراس الدروب في كل صباح بما كان عندهم في الحال من الاجتماعات الصالحة
 والطالحة ، فلما ولي الظاهر أمر بتبديل ذلك كله وقال : أي فائدة في كشف أحوال الناس وهتك
 أستارهم ؟ فقيل له : إن ترك ذلك يفسد الرعية ، فقال نحن ندعو الله لهم أن يصالحهم ، وأطلق من كان

في السجون معتقلا على الأموال الديوانية ، ورد عليهم ما كان استخرج منهم قبل ذلك من المظالم وأرسل إلى القاضي بعشرة آلاف دينار يوفى بها ديون من في سجونهم من المدنيين الذين لا يجدون وفاء ، وفرق في العلماء بقية المائة ألف ، وقد لاهم بعض الناس في هذه التصرفات فقال : إنما فتحت الدكان بعد العصر ، فذروني أعمل صالحا وأفعل الخير ، فكم مقدار ما بقيت أعيش ؟ ! ولم تزل هذه سيرته حتى توفي في العام الآتي كما سيأتي . ورخصت الأسعار في أيامه وقد كانت قبل ذلك في غاية الغلاء حتى أنه فيما حكى ابن الأثير أكلت السكلاب والسنانير ببلاذ الجوزة والموصل ، فزال ذلك والحمد لله . وكان هذا الخليفة الظاهر حسن الشكل مليح الوجه أبيض مشربا حلوا الشمائل شديد القوى .

ومن توفي فيها من الأعيان * أبو الحسن علي الملقب بالملك الأفضل *

نور الدين ابن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب ، كان ولي عهد أبيه ، وقد ملك دمشق بعده مدة سنتين ثم أخذها منه عمه العادل ، ثم كاد أن يملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز فأخذها منه عمه العادل أبو بكر ، ثم اقتصر على ملك صرخد فأخذها منه أيضا عمه العادل ، ثم آل به الحال أن ملك سميساط وبها توفي في هذه السنة ، وكان فاضلا شاعرا جيد الكتابة ، ونقل إلى مدينة حلب فدفن بها بظاهرها . وقد ذكر ابن خلكان أنه كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يشكو إليه عمه أبا بكر وأخاه عثمان وكان الناصر شيعيا مثله :

مولاي إن أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قدولاه والده * عليهما فاستقام الأمر حين ولي
نخالفاه وحلا عقد بيعته * والأمر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف اتقى * من الأواخر مالاتي من الأول
﴿ الأمير سيف الدين علي ﴾

ابن الأمير علم الدين بن سليمان بن جندر ، كان من أكابر الأمراء بحلب ، وله الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين إحداها على الشافعية والأخرى على الحنفية ، وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات والغزوات رحمه الله .

﴿ الشيخ علي الكردي ﴾

المولود المقيم بظاهر باب الجابية ، قال أبو شامة : وقد اختلفوا فيه فبعض الدما شقة يزعم أنه كان صاحب كرامات ، وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا ما رآه أحد يصلي ولا يصوم ولا لبس مداسا ، بل كان يدوس النجاسات ويدخل المسجد على حاله ، وقال آخرون كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه حكى السببط عن امرأة قالت جاء خبر بموت أمي باللذقية أنها ماتت وقال لي بعضهم إنها لم تمت ،

قالت فررت به وهو قاعد عند المقابر فوقفت عنده فرفع رأسه وقال لي ماتت ماتت إيش تعملين ؟ فكان كما قال . وحكى لي عبد الله صاحبي قال صبحت يوماً وما كان معي شيء فاجتزت به فسدفع إلي نصف درهم وقال : يكفي هذا للخبز والفت بدبس ، وقال مر يوماً على الخطيب جمال الدين الدولعي فقال له يا شيخ على أكلت اليوم كسيرات يا بسة وشربت عليها الماء فكفتني ، فقال له الشيخ على الكردي وماتطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟ قال لا ، فقال يا مسلمين من يقنع بكسرة يابسة يجلس نفسه في هذه المقصورة ولا يقضى ما فرضه الله عليه من الحج

﴿ الفخر ابن تيمية ﴾

محمد بن أبي القاسم بن محمد الشيخ نخر الدين أبو عبد الله بن تيمية الحراني ، عالمها وخطيبها وواعظها ، اشتغل على مذهب الامام أحمد وبرع فيه وبرز وحصل وجمع تفسيراً حافلاً في مجلدات كثيرة وله الخطب المشهورة المنسوبة إليه ، وهم عم الشيخ محمد الدين صاحب المنتقى في الأحكام ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : سمعته يوم جمعة بعد الصلاة وهو يعظ الناس ينشد :

أحبابنا قد ندرت مقلتي * ما تلتقي بالنوم أو نلتقي

رفقاً بقلب مغرم واعظفوا * على سقام الجسد المحرق

كم تطلوني بليالي الالقا * قد ذهب العمر ولم نلتقي

وقد ذكرنا أنه قدم بغداد حاجاً بعد وفاة شيخه أبي الفرج ابن الجوزي ووعظ بها في مكان وعظه .

﴿ الوزير بن شكر ﴾

صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الخالق بن شكر ، ولد بالديار المصرية بدميرة بين مصر واسكندرية سنة أربعين وخمسة ، ودفن بتربته عند مدرسته بمصر ، وقد وزر للملك العادل وعمل أشياء في أيامه منها تبليط جامع دمشق وأحاط سور المصلى عليه ، وعمل الفوارة ومسجدها وعمارة جامع المزة ، وقد نكب وعزل سنة خمس عشرة وثمانية وبقى معزولاً إلى هذه السنة فكانت فيها وفاته ، وقد كان مشكور السيرة ومنهم من يقول كان ظالماً فالله أعلم

﴿ أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر ﴾

ابن إبراهيم بن علي المعروف بابن البندى الواعظ البغدادي ، أخذ الفن عن شيخه أبي الفرج ابن الجوزي وسمع الحديث الكثير ، ومن شعره قوله في الزهد :

ما هذه الدنيا بدار مسرة * فتخوف مكرها وخداها

بيننا الفتى فيها يسر بنفسه * وبماله يستمتع استمتاعا

حتى سقته من المنية شربة * وجمته فيه بعد ذاك رضاعا

فعدا بما كسبت يده رهينة * لا يستطيع لما عرته دفعا
لو كان ينطق قال من تحت الثرى * فليحسن العمل الفقى ما استطاعا

﴿ أبو الحسن على بن الحسن ﴾

الرازى ثم البغدادي الواعظ ، عنده فضائل وله شعر حسن ، فمنه قوله في الزهد :
استعدى يانفس للموت واسمى * لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت أنه ليس للحى * خلود ولا من الموت بد
إنما أنت مستعيرة ماسو * ف تزدن والعواري ترد
أنت تسهين والحوادث لا * تسهو وتلهين والمنايا تجد
لانرجى البقاء في معدن المو * ت ولا أرضا بها لك ورد
أى ملك في الارض أم أى حظ * لامرى محظه من الارض لحد ؟
كيف يهوى امرؤ لذادة أيا * م عليه الانفاس فيها تعد
﴿ البها السنجارى ﴾

أبو السعادات أسعد بن محمد بن موسى الفقيه الشافعى الشاعر ، قال ابن خلكان : كان فقيها
وتكلم في الخلاف إلا أنه غلب عليه الشعر ، فأجاد فيه واشتهر بنظمه وخدم به الملوك ، وأخدمهم
الجواز وطاف البلاد ، وله ديوان بالتربة الأشرفية بدمشق ، ومن رقيق شعره ورائقه قوله :

وهواك ما خطر السلو بيباله * ولأنت أعلم في الغرام بحاله
ومتى وشى واش إليك بأنه * سال هواك فذاك من عداله
أوليس للكلف المعنى شاهد * من حاله يغنيك عن تسآله
جددت ثوب سقامه وهتكت سته * ر غرامه وصرمت حبل وصاله

وهى قصيدة طويلة امتدح فيها القاضى كمال الدين الشهر زورى وله :

لله أيامى على رامة * وطيب أوقانى على حاجر
تكاد للسرعة فى مرها * أولها يعثر بالآخر

وكانت وفاته فى هذه السنة عن تسعين سنة رحمه الله بمنه وفضله .

﴿ عثمان بن عيسى ﴾

ابن درباس بن قسر بن جهم بن عبدوس الهدباني الماراني ضياء الدين أخو القاضى صدر الدين
عبد الملك حاكم الديار المصرية فى الدولة الصلاحية ، وضياء الدين هذا هو شارح المهذب إلى كتاب
الشهادات فى نحو من عشرين مجلدا ، وشرح المع فى أصول الفقه والتنبيه للشيرازى ، وكان بارعا
علما بالمذهب رحمه الله .

﴿ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الرسوي ﴾

البواريجي ثم البغدادي ، شيخ فاضل له رواية ، ومما أنشده :

ضيق العذري الضراعة أنا * لو قنعنا بقسمنا لكفانا
مالنا نعبد العباد إذا كان * إلى الله فقرنا وغنانا

﴿ أبو الفضل عبد الرحيم بن نصر الله ﴾

ابن علي بن منصور بن الكيال الواسطي من بيت الفقه والقضاء ، وكان أحد المعدلين ببغداد ومن شعره :

فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها * تسري سيراً ثم تبدى المساويا
تريك رواء في النقب وزخرفا * وتسفر عن شوهاء طحياء عاميا

ومن ذلك قوله :

إن كنت بعد الطاعتين تسامحت * بالفحص أجفاني فما أجفاني
أو كنت من بعد الأحبة ناظرا * حسنا بانساني فما أنساني
الدهر مغفور له زلاته * إن عاد أوطاني علي أوطاني

﴿ أبو علي الحسن بن علي ﴾

ابن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمار بن فهر بن وقاح الياسري نسبة إلى عمار بن ياسر ، شيخ بغدادى فاضل ، له مصنفات في التفسير والفرائض ، وله خطب ورسائل وأشعار حسنة وكان مقبول الشهادة عند الحكام .

﴿ أبو بكر محمد بن يوسف بن الطباخ ﴾

الواسطي البغدادى الصوفى ، باشر بعض الولايات ببغداد ، ومما أنشده :

ما وهب الله لامرئ هبة * أحسن من عقله ومن أدبه
نما جمال الفتى فان فقدا * ففقده للحياة أجمل به

﴿ ابن يونس شارح التنبيه ﴾

أبو الفضل أحمد بن الشيخ كمال الدين أبي الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعيد بن سعيد بن عاصم بن عابد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الأربلى الأصل ثم الموصلى من بيت العلم والرياسة ، اشتغل على أبيه في فنونه وعلومه فبرع وتقدم . وقد درس وشرح التنبيه واختصر إحياء علوم الدين للغزالي مرتين صغيراً وكبيراً ، وكان يدرس منه . قال ابن خلكان : وقد ولى بأربل مدرسة الملك المظفر بعد موت والدي في سنة عشر وستائة ، وكنت أحضر عنده

وأنا صغير ولم أر أحدا يدرس مثله ، ثم صار إلى بلده سنة سبع عشرة ، ومات في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة عن سبع وأربعين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة ﴾

فيها التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج فكسروهم كسرة عظيمة ، وضد إلى أكبر معاقلتهم تغليس ففتحها عنوة وقتل من فيها من الكفرة وسبي ذرارهم ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها ، واستقر ملكه عليها ، وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنفذها منهم جلال الدين هذا ، فكان فتحاً عظيماً والله المنة . وفيها سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف فلم يتمكن من أخذها وقاتله أهلها قتالاً عظيماً فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائبه بمدينة كرمان وخلافه له ، فسار إليهم وتركهم . وفيها اصلطح الملك الأشرف مع أخيه المعظم وسار إليه إلى دمشق ، وكان المعظم ممالئاً عليه مع جلال الدين وصاحب إربل وصاحب ماردين وصاحب الروم ، وكان مع الأشرف أخوه الكامل وصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ، ثم استمال أخاه المعظم إلى ناحيته يقوى جانبه . وفيها كان قتال كسبير بين إبراش إنطاكية وبين الأرمن ، وجرت خطوب كثيرة بينهم . وفيها أوقع الملك جلال الدين بالتركان الإيوانية بأساً شديداً ، وكانوا يقطعون الطرق على المسلمين .

وفيها قدم محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن الجوزي من بغداد في الرسلية إلى الملك المعظم بدمشق ، ومعه الخلع والتشريف لأولاد العادل من الخليفة الظاهر بأمر الله ، ومضمون الرسالة نهيته عن موالاة جلال الدين بن خوارزم شاه ، فانه خارجي من عزمه قتال الخليفة وأخذ بغداد منهم ، فأجابه إلى ذلك وركب القاضي محيي الدين بن الجوزي إلى الملك الكامل بالديار المصرية ، وكان ذلك أول قدومه إلى الشام ومصر ، وحصل له جوائز كثيرة من الملوك ، منها كان بناء مدرسته الجوزية بالشبابين بدمشق . وفيها ولي تدريس الشبلية بالسفح شمس الدين محمد بن قرغلي سبط ابن الجوزي بمرسوم الملك المعظم ، وحضر عنده أول يوم القضاة والأعيان .

﴿ وفاة الخليفة الظاهر وخلافة ابنه المستنصر ﴾

كانت وفاة الخليفة رحمه الله يوم الجمعة ضحى الثالث عشر من رجب من هذه السنة ، أعنى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ولم يعلم الناس بموته إلا بعد الصلاة ، فدعا له الخطباء يومئذ على المنابر على عادتهم فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وعمره اثنتان وخمسون سنة ، وكان من أجود بني العباس وأحسنهم سيرة وسريرة ، وأكثرهم عطاء وأحسنهم منظراً ورواء ، ولو طالت مدته لصلحت الأمة صلاحاً كثيراً على يديه ، ولكن أحب الله تربيته وإزلافه لديه ، فاختر له ما عنده وأجزل له إحساناً

ورفده ، وقد ذكرنا ما اعتمده في أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية ورد المظالم وإسقاط المكوس ، وتخفيف الخراج عن الناس ، وأداء الديون عن عجز عن أدائها ، والاحسان إلى العلماء والفقراء وتولية ذوى الديانة والأمانة ، وقد كان كتب كتابا لولاة الرعية فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلموا أنه ليس إهمالنا إهمالا ، ولا إغضاؤنا احتمالا ، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملا ، وقد غفرنا لكم ما سلف من إخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة ، وإظهار الباطل الجلى في صورة الحق الخفى ، حيلة ومكيدة ، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيقاف واستدرا كالأغراض انتهزتم فرصها مختلسة من برائن ليث باسل ، وأنياب أسدمهيب ، تنفقون بالألفاظ المختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناءه وثقاته فتميلون رأيه إلى هواكم ، وتزجون باطلكم بحقه ، فيطعمكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا ، وبفقركم غنى ، وبياطلكم حقا ، ورزقكم سلطانا يقيل العثرة ، ولا يؤاخذ إلا من أصر ، ولا ينتقم إلا من استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريد منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم ، يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه ، وإلا هلكتم والسلام . » ووجد في داره رقع مختومة لم يفتحها سترأ للناس ودرأ عن أعراضهم رحمه الله ، وقد خلف من الأولاد عشرة ذكورا وإناثا ، منهم ابنه الأكبر الذى بويع له بالخلافة من بعده أبو جعفر المنصور ، ولقب بالمستنصر بالله ، وغسله الشيخ محمد الخياط الواعظ ، ودفن في دار الخلافة ، ثم نقل إلى التراب من الرصافة .

✽ خلافة المستنصر بالله العباسي ✽

أمير المؤمنين أبو جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد ، بويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم جمعة ثالث عشر رجب من هذه السنة ، سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، استدعوا به من التاج فبايعه الخاصة والعامة من أهل العقد والحل ، وكان يوما مشهودا ، وكان عمره يومئذ خمسا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وأحد عشر يوما ، وكان من أحسن الناس شكلا وأبهام منظرا ، وهو كما قال القائل :

كأن الثريا علفت في جبينه * وفي خده الشعرى وفي وجهه القمر

وفي نسبه الشريف خمسة عشر خليفة ، منهم خمسة من آباءه ولوا نسقا ، وتلقى هو الخلافة عنهم ورائه كبرا عن كبر ، وهذا شيء لم يتفق لأحد من الخلفاء قبله ، وسار في الناس كسيرة أبيه الظاهر في الجود وحسن السيرة والاحسان إلى الرعية ، وبنى المدرسة الكبيرة المستنصرية التى لم تبين مدرسة في الدنيا مثلها ، وسيأتى بيان ذلك في موضعه إن شاء الله ، واستمر أرباب الولايات الذين كانوا في عهد أبيه على ما كانوا عليه ، ولما كان يوم الجمعة المقبلة خطب للإمام المستنصر بالله على المنابر ونثر الذهب والفضة عند ذكر اسمه ، وكان يوما مشهودا ، وأنشد الشعراء المدائح والمراني ، وأطلقت لهم

الطلع والجواز ، وقدم رسول من صاحب الموصل يوم غرة شعبان من الوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن الأثير ، فيها التهنية والتعزية بعبارة فصيحة بليغة .

ثم إن المستنصر بالله كان يواظب على حضور الجمعة راكبا ظاهراً للناس ، وإنما معه خادمان وراكب دار ، وخرج مرة وهو راكب فسمع ضجة عظيمة فقال : ما هذا ؟ فقيل له التأذين ، فترجل عن مركوبه وسعى ماشياً ، ثم صار يدمن المشى إلى الجمعة رغبة في التواضع والخشوع ، ويجلس قريباً من الامام ويستمع الخطبة ، ثم أصلح له المطبق فكان يمشى فيه إلى الجمعة ، وركب في الثاني والعشرين من شعبان راكبا ظاهراً للناس عامة ، ولما كانت أول ليلة من رمضان تصدق بصدقات كثيرة من الدقيق والغنم والنفقات على العلماء والفقراء والمحاويج ، إغاثة لهم على الصيام ، وتقوية لهم على القيام . وفي يوم السابع والعشرين من رمضان نقل تابوت الظاهر من دار الخلافة إلى التربة من الرصافة ، وكان يوماً مشهوداً ، وبعث الخليفة المستنصر يوم العيد صدقات كثيرة وإنعاماً جزيلاً إلى الفقهاء والصوفية وأئمة المساجد ، على يدي محي الدين ابن الجوزي . وذكر ابن الأثير أنه كانت زلزلة عظيمة في هذه السنة ، هدمت شيئاً كثيراً من القرى والقلاع ببلادهم ، وذكر أنه ذبح شاة ببسلاهم فوجد لحمها مرا حتى رأسها وأكارعها [ومعاليقها وجميع أجزائها] .

ومن توفي فيها من الأعيان بعد الخليفة الظاهر كما تقدم :

﴿ الجمال المصري ﴾

يونس بن بدران بن فيروز جمال الدين المصري ، قاضي القضاة في هذا الحين ، اشتغل وحصل وبرع واختصر كتاب الأم للإمام الشافعي ، وله كتاب مطول في الفرائض ، وولى تدريس الأمانة بعد التقي صالح الضرير ، الذي قتل نفسه ، وولاه إياه الوزير صفى الدين بن شكر ، وكان معتقياً بأمره ثم ولى وكالة بيت المال بدمشق ، وترسل إلى الملوك والخلفاء عن صاحب دمشق ، ثم وولاه المعظم قضاء القضاة بدمشق بعد عزله الزكي ابن الزكي ، وولاه تدريس العادلية الكبيرة ، حين كمل بناؤها فكان أول من درس بها وحضره الأعيان كما ذكرنا . وكان يقول أولاً درسا في التفسير حتى أكل التفسير إلى آخره ، ويقول درس الفقه بعد التفسير ، وكان يعتمد في أمر إثبات السجلات اعتماداً حسناً ، وهو أنه كان يجاس في كل يوم جمعة بكرة ويوم الثلاثاء ويستحضر عنده في إيوان العادلية جميع شهود البلد ، ومن كان له كتاب يثبتته حضر واستدعى شهوده فأدوا على الحاكم وثبت ذلك سريعاً ، وكان يجلس كل يوم جمعة بعد العصر إلى الشباك الكمالى بمشهد عثمان فيحكم حتى يصلى المغرب ، وربما مكث حتى يصلى العشاء أيضاً ، وكان كثير المذاكرة للعالم كثير الاشتغال بحسن الطريقة ، لم ينقم عليه أنه أخذ شيئاً لأحد . قال أبو شامة : وإنما كان ينقم عليه أنه كان يشير على

بعض الورثة بمصالحة بيت المال ، وأنه استتاب ولده التاج محمدا ولم يكن مرضى الطريقة ، وأما هو فكان عفيفا في نفسه نزها مهيبا . قال أبو شامة : وكان يدعى أنه قرشي شيبى فتكلم الناس فيه بسبب ذلك ، وتولى القضاء بعده شمس الدين أحمد بن الخليلي الجويني . قلت : وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بداره التي في رأس درب الریحان من ناحية الجامع ، ولترتبه شبك شرق المدرسة الصدرية اليوم ، وقد قال فيه ابن عنين وكان هجاء .

ما أقصر المصري في فعله * إذ جعل التربة في داره

أراح للاحياء من رجه * وأبعد الأموات من ناره

✽ المعتمد والى دمشق ✽

المبارز إبراهيم المعروف بالمعتمد والى دمشق ، من خيار الولاة وأعفهم وأحسنهم سيرة وأجودهم سريرة ، أصله من الموصل ، وقدم الشام فخدم فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، ثم استتابه البدر مودود أخو فروخشاه ، وكان شحنة دمشق ، فخدمت سيرته في ذلك ، ثم صار هو شحنة دمشق أربعين سنة ، فجرت في أيامه عجائب وغرائب ، وكان كثير الستر على ذوى الهيئات ، ولا سيما من كان من أبناء الناس وأهل البيوتات ، واتفق في أيامه أن رجلا حائكا كان له ولد صغير في آذانه حلق فعدا عليه رجل من جيرانهم فقتله غيلة وأخذ ما عليه من الخلى ودفنه في بعض المقابر ، فاشتكوا عليه فلم يقر ، فبكت والدته من ذلك وسألت زوجها أن يطلقها ، فطلقها فذهبت إلى ذلك الرجل وسألته أن يتزوجها وأظهرت له أنها أحبته فتروجها ، ومكثت عنده حيناً ، ثم سألته في بعض الأوقات عن ولدها الذى اشتكوا عليه بسببه فقال : نعم أنا قتلته . فقالت أشتهى أن ترى قبره حتى أنظر إليه ، فذهب بها إلى قبر خشنكاشة ففتحه فنظرت إلى ولدها فاستعبرت وقد أخذت معها سكيناً أعدتها لهذا اليوم ، فضربت به حتى قتلته ودفنته مع ولدها في ذلك القبر ، فجاء أهل المقبرة فحملوها إلى الوالى المعتمد هذا فسألها فذكرت له خبرها ، فاستحسن ذلك منها وأطلقها وأحسن إليها ، وحكى عنه السبط قال بينما أنا يوما خارج من باب الفرج وإذا برجل يحمل طبلا وهو سكران فأمرت به فضرب الحد ، وأمرتهم فكسروا الطبل ، وإذا ذكرة كبيرة جدا فشقوها [فاذا فيها خمر] وكان العادل قد منع أن يعصر خمر ويحمل إلى دمشق شئ منه بالكلية ، فكان الناس يتحولون بأنواع الخيل ولطائف المكر ، قال السبط فسألته من أين علمت أن فى الطبل شيئا . قال رأيته يمشى ترجف سيقانه فعرفت أنه يحمل شيئا ثقيلًا فى الطبل . وله من هذا الجنس غرائب ، وقد عزله المعظم وكان فى نفسه منه وسجنه فى القلعة نحوًا من خمس سنين ، ونادى عليه فى البلد فلم يجبه أحد ذكر أنه أخذ منه حبة خردل ، ولما مات رحمه الله دفن بترتبه المجاورة لمدرسة أبى عمر من شامها قبل السوق ، وله عند تربته مسجد

يعرف به رحمه الله . ﴿ واقف الشبلية التي بطريق الصالحية ﴾

شبل الدولة كافور الحسامي نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين ، ولد ست الشام ، وهو الذي كان مستحثاً على عمارة الشامية البرانية لمولاه ست الشام ، وهو الذي بنى الشبلية للحنفية والخطاه على الصوفية إلى جانبها ، وكانت منزله ، ووقف القناة والمصنع والسباط ، وفتح للناس طريقاً من عند المقبرة غربي الشامية البرانية إلى طريق عين السكرش ، ولم يكن الناس لهم طريق إلى الجبل من هناك ، إنما كانوا يسلكون من عند مسجد الصفي بالمقبية ، وكانت وفاته في رجب ودفن إلى جانب مدرسته ، وقد صمم الحديث على الكندي وغيره رحمه الله تعالى

﴿ واقف الرواحية بدمشق وحلب ﴾

أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة ، كان أحد التجار ، وفي الثروة والمقدار ومن المعدلين بدمشق ، وكان في غاية الطول والعرض ولا حية له ، وقد ابنتى المدرسة الرواحية داخل باب الفراديس ووقفها على الشافعية ، وفوض نظرها وتدريسها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهر زوري ، وله بحلب مدرسة أخرى مثلها ، وقد انقطع في آخر عمره في المدرسة التي بدمشق وكان يسكن البيت الذي في إيوانها من الشرق ، ورغب فيما بعد أن يدفن فيه إذا مات فلم يمكن من ذلك ، بل دفن بمقابر الصوفية ، وبعد وفاته شهد محي الدين ابن عربي الطائى الصوفى ، وتقى الدين خزعل النحوى المصرى ثم المقدسى إمام مشهد ، على شهدا على ابن رواحة بأنه عزل الشيخ تقي الدين عن هذه المدرسة ، فجرت خطوب طويلة ولم ينتظم ما راماه من الأمر ، ومات خزعل في هذه السنة أيضاً قبطل ما سلكوه ﴿ أبو محمد محمود بن مودود بن محمود ﴾

البلدجى الحنفى الموصلى ، وله بها مدرسة تعرف به ، وكان من أبناء الترك ، وصار من مشايخ العلماء وله دين متين وشعر حسن جيد ، فمنه قوله :

من ادعى أن له حاله * تخرجه عن منهج الشرع
فلا تكونن له صاحباً * فانه خراء بلا نفع

كانت وفاته بالموصل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله نحو من ثمانين سنة . ﴿ ياقوت ويقال له يعقوب بن عبد الله ﴾

نجيب الدين متولى الشيخ تاج الدين الكندى ، وقد وقف إليه الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق ، وكانت سبعمائة وإحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحقت هذه الكتب وبيع أكثرها ، وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد ، وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب ، ودفن بمقبرة الخيزران بالقرب من مشهد أبي حنيفة :

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستائة ﴾

فيها كانت عامة أهل تفلين الكرج فجاءوا إليهم فدخلوها فقتلوا العامة والخاصة ، ونهبوا وسبوا وخرّبوا وأحرقوا ، وخرجوا على حمية ، وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريعاً ليديركم فلم يديركم . وفيها قتلت الاسماعيلية أميراً كبيراً من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه ، فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وخرّب مدينتهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم ، وقد كانوا قبجهم الله من أكبر العون على المسلمين ، لما قدم التتار إلى الناس ، وكانوا أضّر على الناس منهم .

وفيها تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة من التتار فهزموهم وأوسعهم قتلاً وأمرأ ، وساق وراءهم أياماً فقتلهم حتى وصل إلى الري فبلغه أن طائفة قد جاؤا لقصده فأقام يثبطهم ، وكان من أمره وأمرهم ما سيأتي في سنة خمس وعشرين . وفيها دخلت عساكر الملك الأشرف بن العادل إلى أذربيجان فملكوا منها مدناً كثيرة وغنموا أموالاً جزيلة ، وخرجوا معهم بزوجة جلال الدين بنت طغرل ، وكانت تبغضه وتماديه ، فأزلوها مدينة خلط وسيأتي ما كان من خبرهم في السنة الآتية . وفيها قدم رسول الانبور ملك الفرنج في البحر إلى المعظم يطلب منه ما كان فتحه عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدين من بلاد السواحل ، فأغلظ لهم المعظم في الجواب وقال له : قل لصاحبك ما عندي إلا السيف والله أعلم . وفيها جهز الأشرف أخاه شهاب الدين غازي إلى الحج في محمل عظيم يحمل ثقله ستائة جبل ، ومعه خمسون هجيناً ، على كل هجين مملوك ، فسار من ناحية العراق وجاءته هدايا من الخليفة إلى أثناء الطريق ، وعاد على طريقه التي حج منها . وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد نجم الدين أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي ، وخلع عليه كما هي عادة الحكام ، وكان يوماً مشهوداً . وفيها كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة وقل اللحم حتى حكي ابن الأثير أنه لم يذبح بمدينة الموصل في بعض الأيام سوى خروف واحد في زمن الربيع ، قال : وسقط فيها عاشر أذار ثلج كثير بالجزيرة والعراق مرتين فأهلك الأزهار وغيرها ، قال : وهذا شيء لم يعمد مثله ، والمعجب كل المعجب من العراق مع كثرة حره كيف وقع فيه مثل هذا .

﴿ جنكيزخان ﴾

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان الأعظم عند التتار والد ملوكهم اليوم ، ينتسبون إليه و من عظم القان إنما يريد هذا الملك وهو الذي وضع لهم السياسة ^(١) التي يتحاكون إليها ، ويحكمون بها ، وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه ، وهو شيء اقترحه من عند نفسه ، وتبعوه في ذلك ، وكانت تزعم أمه أنها حملته من شعاع الشمس ، فلهذا لا يعرف له أب ، والظاهر أنه مجهول النسب ، وقد رأيت مجللاً جمعه الوزير

(١) السياسة : مركبة من « سى » بمعنى ثلاثة . و « يسا » بمعنى الترتيب ، ثم حرفها العرب

فقالوا : سياسة .

ببغداد علاء الدين الجويني في ترجمته فذكر فيه سيرته ، وما كان يشتمل عليه من العقل السياسي والكرم والشجاعة والتدبير الجيد للملك والرعايا ، والحروب ، فذكر أنه كان في ابتداء أمره خصيصاً عند الملك أربك خان ، وكان إذ ذاك شاباً حسناً وكان اسمه أولاً ترمجى ، ثم لما عظم سمى نفسه جنكيزخان ، وكان هذا الملك قد قر به وأذناه ، فحسده عظماء الملك وشوا به إليه حتى أخرجه عليه ، ولم يقتله ولم يمجده له طريقاً في ذنب يتسلط عليه به ، فهو في ذلك إذ تغضب الملك على مملوكين صغيرين فهربا منه ولجأ إلى جنكيزخان فأكرمهما وأحسن إليهما فأخبراه بما يضره الملك أربك خان من قتله ، فأخذ حذره وتجز بدولة واتبعه طوائف من التتار وصار كثير من أصحاب أربك خان ينفرون إليه ويفدون عليه فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكته وكثرت جنوده ، ثم حارب بعد ذلك أربك خان فظفر به وقتله واستحوز على مملكته وملكه ، وانضاف إليه عدده وعدده ، وعظم أمره وبعد صيته وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمعاج كلها حتى صار يركب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل ، وأكثر القبائل قبيلته التي هو منها يقال لهم قيان ، ثم أقرب القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتا العدد وهما أزان وقنوران وكان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم . قال الجويني : وكان يضرب الحلقة يكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر ثم تتضايق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شيء كثير لا يحمد كثرة ، ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك علاء الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك والأقاليم والملك ، فقهره جنكيزخان وكسره وغلبه وسلبه ، واستحوز على سائر بلاده بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث ، وكان ابتداء ملك جنكيزخان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستمائة ، ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا ، فاستحوز حينئذ على الممالك بلا منازع ولا ممانع ، وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستمائة فجعلوه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك وأما كتابه الياسا فانه يكتب في مجلدين بخط غليظ ، ويحمل على بعير عندهم ، وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلاً ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مرارا حتى يعي ويقع مغشياً عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه حينئذ ، فان كان هذا هكذا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها . وذكر الجويني أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد للعبادة فسمع قائلاً يقول له إنا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض قال الجويني فمشايخ المغول يصدقون بهذا يأخذونه مسلماً .

ثم ذكر الجويني تنفا من الياسا من ذلك : أنه من زنا قتل ، محصنا كان أو غير محصن ، وكذلك من لاط قتل ، ومن تعمد الكذب قتل ، ومن سحر قتل ، ومن تجسس قتل ، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل ، ومن أطعم أسيراً

أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل ، ومن وجد هارباً ولم يرده قتل ، ومن أطعم أسيراً أو رمى إلى أحد شيئاً من الماء كقول قتل ، بل يناوله من يده إلى يده ، ومن أطعم أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً ولو كان المطعوم أميراً لا أسيراً ، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل ، ومن ذبح حيواناً ذبح مثله بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولاً . وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزل على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر باجماع المسلمين . قال الله تعالى (أخرجكم الجاهلية يبيعون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسليماً) صدق الله العظيم

ومن آدابهم : الطاعة للسلطان غاية الاستطاعة ، وأن يعرضوا عليه أبكارهم الحسان ليختار لنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء ممنه ، ومن شأنهم أن يخاطبوا الملك باسمه ، ومن مر بقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان ولا يتخطى موقد النار ولا طبق الطعام ، ولا يقف على أسكفة الخركاه ولا يفسلون ثيابهم حتى يبدو وسخها ، ولا يكافون العلماء من كل ما ذكر شيئاً من الجنائيات ، ولا يتعرضون لمال ميت ، وقد ذكر علاء الدين الجويني طرفاً كبيراً من أخبار جنكيزخان ومكارم كان يفعلها لسجيته وما آداه إليه عقله وإن كان مشركاً بالله كان يعبد معه غيره ، وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ، ولكن كان البداية من خوارزم شاه ، فانه لما أرسل جنكيزخان تجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فاتموا إلى إيران فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه ، وهو والد زوجة كاشلي خان ، وأخذ جميع ما كان معهم ، فأرسل جنكيزخان إلى خوارزم شاه يستعلمه هل وقع هذا الأمر عن رضى منه أو أنه لا يعلم به ، فأنكره وقال له فيما أرسل إليه : من المعبود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم ، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة ، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك ، فان كان أمراً أمرت به طلبنا بدمائهم ، وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك . فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير ، وقد كان خرق وكبرت سنه ، وقد ورد الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » فلما بلغ ذلك جنكيزخان تجهز لقتاله وأخذ بلاده ، فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع ، فما ذكره الجويني أنه قدم له بعض الفلاحين بالصيد ثلاث بطيخات فلم يتفق أن عند جنكيزخان أحد من الخزندارية ، فقال لزوجته خاتون أعطيه هذين القرطين اللذين في أذنك ، وكان فيهما جوهرتان نفستان جداً ، فشحت المرأة بهما

وقالت : أنظره إلى غد ، فقال إنه يبئيت هذه الليلة مقلقل الخاطر ، وربما لا يجعل له شيء بعد هذا ، وإن هذين لا يمكن أحد إذا اشتراها إلا جاء بهما إليك . فانزعتهما فدفعتهما إلى الفلاح فطار عقله بهما وذهب بهما فباعهما لأحد التجار بألف دينار ، ولم يعرف قيمتهما ، فحملهما التاجر إلى الملك فردهما على زوجته ، ثم أنشد الجويني عند ذلك :

ومن قال إن البحر والقطر أشبها * نداء فقد أثنى على البحر والقطر

قالوا : واجتاز يوماً في سوق فرأى عند بقال عناباً فأعجبه لونه ومالت نفسه إليه فأمر الحاجب أن يشتري منه ببالس ، فاشتري الحاجب ربع بالس ، فلما وضعه بين يديه أعجبه وقال : هذا كاه ببالس ؟ قال وبقى منه هذا - وأشار إلى مائتي معه من المال - فغضب وقال : من يجد من يشتري منه مثلي تمعوا له عشرة بوالس . قالوا : وأهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب فاستحسنه جنكيزخان فوهن أمره عنده بعض خواصه وقال : خوند هذا زجاج لا قيمة له ، فقال : أليس قد حمله من بلاد بعيدة حتى وصل إلينا سالماً ؟ أعطوه مائتي بالس . قال : وقيل له إن في هذا المسكان كنزاً عظيماً إن فتحته أخذت منه مالا جزيلاً ، فقال الذي في أيدينا يكفيننا ، ودع هذا يفتحه الناس ويا كلونه فهم أحق به منا ، ولم يتعرض له ^(١) قال واشتهر عن رجل في بلاده يقول أنا أعرف موضع كنز ولا أقول إلا للقان ، وألح عليه الأمراء أن يعلمهم فلم يفعل ، فذكر ذلك للقان فأحضره على خيل الأولاق - يعني البريد - سريماً فلما حضر إلى بين يديه سأله عن الكنز فقال : إنما كنت أقول ذلك حيلة لأرى وجهك . فلما رأى تغير كلامه غضب وقال له : قد حصل لك ما قلت ، وورده إلى موضعه سالماً ولم يمه شياً . قال : وأهدى له إنسان رمانة فكسرها وفرق حبها على الحاضرين وأمر له بعدد حبها بوالس ثم أنشد :

فلذلك تزدحم الوفود بيبابه * مثل ازدحام الحب في الرمان

قال : وقدم عليه رجل كافر يقول رأيت في النوم جنكيزخان يقول قل لابني يقتل المسلمين ، فقال له هذا كذب ، وأمر بقتله ^(٢) . قال وأمر بقتل ثلاثة قد قضت الياسا بقتلهم ، فاذا امرأة تبكي

(١) وجد بهامش التريّة مانصه : « هذا منقول عن ابنه قان الذي قام مقامه ، ولعله هو الصحيح لأن قان هذا المنسوب إلى السكرم الجبلي العظيم والسخاء المفرط ، ويحكى عنه حكايات عظيمة في هذا الشأن . وأما أبوه جنكيزخان فإنه متوسط في الجود بل وفي سائر سجايه وأخلاقه وأفعاله إلا في أمر سفك الدماء قبجه الله تعالى . (٢) فيه تخليط والصحيح أن أعرابيسا جاء إلى قان وقال له : رأيت في النوم أباك جنكيزخان فقال لي : قل لابني قان يقتل المسلمين ، وكان قان يميل إلى المسلمين ، مخالفاً لأهل بيته ، فسأل الرجل : هل تعرف اللغة المغولية ؟ فقال : لا . فقال الملك له : أنت كاذب لأن أبي ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المغولية ، فأمر بضرب عنقه وأراح المسلمين من كيد .

وتلطم فقال : ماهذه ؟ أحضر وها ، فقالت : هذا ابني ، وهذا أخي ، وهذا زوجي ، فقال اختاري واحداً منهم حتى أطلقه لك ، فقالت : الزوج يجيء مثله ، والابن كذلك ، والأخ لا عوض له ، فاستحسن ذلك منها وأطلق الثلاثة لها . قال : وكان يحب المصارعين وأهل الشطارة ، وقد اجتمع عنده منهم جماعة ، فذكر له إنسان بخراسان فأحضره فصرع جميع من عنده ، فأكرمه وأعطاه وأطلق له بنتان بنات الموك حسناء . فكثت عنده مدة لا يتعرض لها ، فاتفق مجيئها إلى الاردوا فجعل السلطان يمازجها ويقول : كيف رأيت المستعرب ؟ فذكرت له أنه لم يقربها ، فتمعجب من ذلك وأحضره فسأله عن ذلك فقال : ياخوند أنا إنما حظيت عندك بالشطارة ومتى قربتها نقصت منزلتي عندك ، فقال لا بأس عليك وأحضر ابن عم له وكان مثله ، فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان : أنما قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بمال جزيل .

قال : ولما احتضر أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق ، وضرب لهم في ذلك الأمثال ، وأحضر بين يديه نشاباً وأخذسهما أعطاه لواحد منهم فكسره ، ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة فلم يطيقوا كسرها ، فقال : هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم ، وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلقتهم ، قال : وكان له عدة أولاد ذكور وإناث منهم أربعة هم عظام أولاده أكبرهم يوسى وهريول وباتو وبركة وتركجار ، وكان كل منهم له وظيفة عنده . ثم تكلم الجويني على ملك ذريته إلى زمان هو لا كوخان ، وهو يقول في اسمه يادشاه زاره هو لا كو ، وذكر ما وقع في زمانه من الأوابد والأموار المعروفة المزعجة كما بسطناه في الحوادث والله أعلم .

﴿ السلطان الملك المعظم ﴾

عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، ملك دمشق والشام ، كانت وفاته يوم الجمعة سلخ ذي القعدة من هذه السنة ، وكان استقلاله بملك دمشق لما توفي أبوه سنة خمس عشرة ، وكان شجاعاً باسلاً عالماً فاضلاً ، اشتغل في الفقه على مذهب أبي حنيفة على الحصري مدرس النورية ^(١) ، وفي اللغة والنحو على التاج السكندی ، وكان محفوظه مفصل الزخشرى ، وكان يجيز من حفظه بثلاثين دينارا وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة يشمل صحاح الجوهري والجمهرة لابن دريد والتهذيب للزهري وغير ذلك ، وأمر أن يرتب له مسند الامام أحمد ، وكان يحب العلماء ويكرمهم ، ويجهد في متابعة الخير ويقول أنا على عقيدة الطحاوي ، وأوصى عند وفاته أن لا يكفن إلا في البياض ، وأن يلحد له ويدفن في الصحراء ولا يبنى عليه ، وكان يقول : واقعة دمياط أذخرها عند الله تعالى وأرجو أن يرحمني بها - يعني أنه أبلى بها بلاء حسناً - رحمه الله تعالى ، وقد جمع له بين الشجاعة والبراعة والعلم ومحبة أهله ، وكان يجيء في كل جمعة إلى تربة والده فيجلس قليلاً ثم إذا ذكر المؤذنون ينطلق إلى تربة عمه صلاح الدين

(١) وهو مؤلف كتاب « السهم المصيب في الرد على الخطيب » فيما ذكره في تاريخ بغداد في

ترجمة الامام أبي حنيفة رحمه الله .

فيصلى فيها الجمعة ، وكان قليل التعاطف ، يركب في بعض الأحيان وحده ثم يلحقه بعض غلمانه سوقا .
وقال فيه بعض أصحابه وهو محب الدين بن أبي السعود البغدادي .

لئن غودرت تلك المحاسن في الثرى * بوال فما وجدى عليك ببال
ومذغبت عنى ما ظفرت بصاحب * أخى ثقة إلا خطرت ببالى
وملك بعده دمشق ولده الناصر داود بن المعظم ، وياومه الأمراء .
[أبو المعالى أسعد بن يحيى]

ابن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب الفقيه الشافعى البخارى ، شيخ أديب فاضل
خير ، له نظم ونثر ظريف ، وله نوادر حسنة وجاوز التسعين . قد استوزره صاحب حماة في وقت
وله شعر رائع أورد منه ابن الساعى قطعة جيدة . فن ذلك قوله :

وهواك ما خطر السلو بباله * ولأنت أعلم فى الغرام بجماله
ففى وشى واش إليك بشأنه * سائل هواك فذاك من أعداله
أوليس للدنف المعنى شاهد * من حاله يغنيك عن تسأله
جددت نوب سقامه ، وهتكت سته * ر غرامه ، وصرمت حبل وصاله
ياللعجائب من أسير دأبه * يفدى الطليق بنفسه وبجماله
وله أيضاً : لام العواذل فى هواك فأكثروا * هيهات ميعاد السلو المحشر
جهلوا مكانك فى القلوب وحاولوا * لو أنهم وجدوا كوجدى أقصروا
صبراً على عذب الهوى وعذابه * وأخوالهوى أبدا يلام ويعذر [١]

[أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد]

ابن أحمد بن حمدان الطبيعى المعروف بالصابن ، أحد المعيدىن بالنظامية ، ودرس بالثقفية ، وكان
عارفاً بالمذهب والفرائض والحساب ، صنف شرحاً للتنبيه . ذكره ابن الساعى .

[أبو النجم محمد بن القاسم بن هبة الله الشكرى]

الفقيه الشافعى ، تفقه على أبى القاسم بن فضلان ثم أعاد بالنظامية ودرس بغيرها ، وكان يشتغل
كل يوم عشرين درساً ، ليس له دأب إلا الاشتغال وتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً ، وكان بارعاً كثير العلوم ،
قد أتقن المذهب والخلاف ، وكان يقى فى مسألة الطلاق الثلاث بواحدة فتغيب عليه قاضى القضاة
أبو القاسم عبد الله بن الحسين الدامغانى ، فلم يسمع منه ، ثم أخرج إلى تسكرت فأقام بها ، ثم استدعى
إلى بغداد ، فعاد إلى الاشتغال وأعاد قاضى القضاة نصر بن عبد الرزاق إلى إعادته بالنظامية ، وعاد
إلى ما كان عليه من الاشتغال والفتوى والوجاهة إلى أن توفى فى هذه السنة رحمه الله تعالى . وهذا

ذكره ابن الساعي . ﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستائة ﴾

فيها كانت حروب كثيرة بين جلال الدين والتتر ، كسروه غير مرة ، ثم بعد ذلك كله كسروهم كسرة عظيمة ، وقتل منهم خلقا وأما لا يمحسون ، وكان هؤلاء التتر قد انفردوا وعصوا على جنكيزخان فكتب جنكيزخان إلى جلال الدين يقول له : إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعدهم ، ولكن ستري مناما لا قبل لك به . وفيها قدمت طائفة كبيرة من الفرنج من ناحية صقلية فنزلوا عكا وصور وحلوا على مدينة صيدا فانزعوها من أيدي المؤمنين ، وعبروها وقويت شوكتهم ، وجاء الانبرور ملك الجزيرة القبرصية ثم سار فنزل عكا فخاف المسلمون من شره وبالله المستعان . وركب الملك الكامل محمد بن العادل صاحب مصر إلى بيت المقدس الشريف فدخله ، ثم سار إلى نابلس فخاف الناصر داود بن المعظم من عمه الكامل ، فكتب إلى عمه الأشرف فقدم عليه جريدة ، وكتب إلى أخيه الكامل يستعطفه ويكفه عن ابن أخيه ، فأجابه الكامل بأني إنما جئت لحفظ بيت المقدس وصونه عن الفرنج الذين يريدون أخذه ، وحاشى لله أن أحاصر أخى أو ابن أخى ، وبعد أن جئت أنت إلى الشام فأنت تحفظها وأنا راجع إلى الديار المصرية ، فغشى الأشرف وأهل دمشق إن رجع الكامل أن تمتد أطماع الفرنج إلى بيت المقدس ، فركب الأشرف إلى أخيه الكامل فنبطه عن الرجوع ، وأقاما جميعا هنالك جزأهما الله خيرا ، يحوطان جناب القدس عن الفرنج لعنهم الله . واجتمع إلى الملك جماعة من ملوكهم ، كأخيه الأشرف وأخيهما الشهاب غازي بن العادل وأخيهما الصالح إسماعيل بن العادل ، وصاحب حمص أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين ، وغيرهم ، واتفقوا كلهم على نزع الناصر داود عن ملك دمشق وتسليمها إلى الأشرف موسى . وفيها عزل الصدر التكريتي عن حسبة دمشق ومشيخة الشيوخ وولى فيها اثنتان غيره .

قال أبو شامة : وفي أوائل رجب توفى الشيخ الصالح الفقيه أبو الحسن علي بن المرزا كشي المقيم بالمدرسة المالكية ، ودفن بالمقبرة التي وقفها الزين خليل بن زوزان قبلي مقابر الصوفية ، وكان أول من دفن بها رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وستائة ﴾

استهلت هذه السنة وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون ، قد صاروا أحزابا وفرقا ، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر ، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف ، فقويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر ، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك ، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم ، فوعدت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده ، وتبقى بأيديهم بقية البلاد ، فسلموا القدس الشريف ، وكان

المعظم قد هدم أسواره ، فمعظم ذلك على المسلمين جدا وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم ، فانا لله
وإنا إليه راجعون . ثم قدم الملك الكامل فحاصر دمشق وضيق على أهلها فقطع الأنهار ونهبت
الحواصل وغلت الأسعار ، ولم يزل الجنود حولها حتى أخرج منها ابن أخيه صلاح الدين الملك
الناصر داود بن المعظم ، على أن يقيم ملكاً بمدينة الكرك والشوبك و نابلس و برا ما بين الغور
والبلقاء ويكون الأمير عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم صاحب صرخد ، ثم تقايض الأشرف
وأخاه الكامل فأخذ الأشرف دمشق وأعطى أخاه حران والرها والرقه ورأس العين وسروج ، ثم
سار الكامل فحاصرها وكان صاحبها الملك المنصور بن تقي الدين عمر قد توفى وعهد بالأمر من بعده
لملى أكبر ولده المظفر محمد ، وهو زوج بنت الكامل ، فاستحوذ على حماة أخوه صلاح الدين قلعج أرسلان
فحاصره الكامل حتى أنزله من قلعتها وسلمها إلى أخيه المظفر محمد ، ثم سار فتسلم البلاد التي قايض
بها عن دمشق من أخيه الملك الأشرف كما ذكرنا ، وكان الناس بدمشق قد اشتغلوا بعلم الأوائل في
أيام الملك الناصر داود ، وكان يعانى ذلك وقديما نسبة بعضهم إلى نوع من الانحلال فأنه أعلم ، فنأدى
الملك الأشرف بالبلدان أن لا يشتغل الناس بذلك وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقه ،
وكان سيف الدين الأمدى مدرسا بالعز يزىة فعزله عنها وبقى ملازماً منزله حتى مات في سنة إحدى
وثلاثين كما سيأتى .

وفيها كان الناصر داود قد أضاف إلى قاضى القضاة شمس الدين بن الخولى القاضى محيى الدين
يحيى بن محمد بن على بن الزكى ، فحكم أياما بالشباك ، شرقي باب الكلاسة ، ثم صار الحكم بداره ،
مشاركا لابن الخولى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الملك المسعود أقيس بن الكامل ﴾

صاحب اليمن ، وقد ملك مكة سنة تسع عشرة فأحسن بها المعدلة ، ونفى الزيدية منها ، وأمنت
الطرق والحجاج ، ولكنه كان مسرفا على نفسه ، فيه عسف وظلم أيضا . وكانت وفاته بمكة ودفن
بياب المعلى ﴿ محمد السبتي النجار ﴾

كان يعمده بعضهم من الأبدال ، قال أبو شامة : وهو الذى بنى المسجد غربى دار الزكاة عن يسار
المارفى الشارع من ماله ، ودفن بالجبل . وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى

﴿ أبو الحسن على بن سالم ﴾

ابن يزبك بن محمد بن مقلد العبادى الشاعر من الحديثة ، قدم بغداد مرارا وامتدح المستظهر
وغيره ، وكان فاضلا شاعرا يكثر التغزل

* أبو يوسف يعقوب بن صابر الحراني *

ثم البغدادي المنجنيقي ، كان فاضلاً في فنه ، وشاعراً مطبقاً لطيف الشعر حسن المعاني ، قد أورد له ابن الساعي قطعة صالحة ، ومن أحسن ما أورد له قصيدة فيها تعزية عظيمة لجميع الناس وهي :

هل لمن يرتجى البقاء خلود * وسوى الله كل شيء يبيد
والذي كان من تراب وإن * عاش طويلاً للتراب يعود
فصير الأنام طراً إلى ما * صار فيه آباؤهم والجدود
أين حواء أين آدم إذا * تهم الخلد والنوى والخلود ؟
أين هابيل أين قابيل إذ * لنا لهذا معاند وحسود ؟
أين نوح ومن نجامه بالفل * لك والعالمون طراً فقيد
أسلمته الأيام كالطفل للمو * ت ولم يفن عمره الممدود
أين عاد ؟ بل أين جنة عاد * أم ترى أين صالح وثمود ؟
أين إبراهيم الذي شاد يد * ت الله فهو المعظم المقصود
حسدوا يوسف أخاهم فكادو * ه ومات الحاسد والمحسود
وسليمان في النبوة والملك * قضى مثل ما قضى داود
فعدوا بعد ما أطيع لذا الخلد * ق وهذا له ألين الحديد
وابن عمران بعد آياته التس * ع وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح ابن مريم وهو روح الاله * ه كادت تقضى عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والها * دى إلى الحق أحمد المحمود
وبنوه وآله الطاهرو * ن الزهر صلى عليهم المعبود
ونجوم السماء منتثرات * بعد حين وللهماء ركود
ولنار الدنيا التي توقد الصخر * ر خمود وللماء جمود
وكذا للثرى غداة يؤم الذ * اس منها تزلزل وهمود
هذه الامهات نار وترب * وهواء رطب وماء برود
سوف يفنى كما فنينا فلا * يبقى من الخلق والد ووليد
لا الشقى الغوى من نوب الايا * م ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفا * فالوالى حصيدها والعبيد

ومن توفي فيها ﴿ أبو الفتوح نصر بن علي البغدادي ﴾

الفيق الشافعي ويلقب بشعلب ، اشتغل في المذهب والخلاف ومن شعره قوله :

جسمي معي غير أن الروح عندكم * فالجسم في غربه والروح في وطن

فليعجب الناس مني أن لي بدنا * لا روح فيه ولي روح بلا بدن

﴿ أبو الفضل جبرائيل بن منصور ﴾

ابن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن بن غالب بن الحسن بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر المعروف بابن زطينا البغدادي كاتب الديوان بها ، أسلم - وكان نصرانيا - فحسن إسلامه ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة ، ومن ذلك قوله « خير أوقانك ساعة صفت لله ، وخلصت من الفكرة لغيره والرجاء لسواه ، وما دمت في خدمة السلطان فلا تغتر بالزمان ، ا كفف كففك واصرف طرفك وأكثر صومك وأقل نومك يؤمنك ، واشكر ربك بحمد أمرك . وقال : زاد المسافر يقدم على رحيله ، فأعد الزاد تبليغ بالمعاد المراد . وقال : إلى متى تنهدي في الغفلة كأنك قد أمنت عواقب المهلة ، عمر الالهومضي وعمر الشيبية انقضى ، وما حصلت من ربك على ثقة بالرضا ، وقد انتهى بك الأمر إلى سن التخاذل وزمن التسكسل ، وما حظيت بطائل . وقال : روحك تخضع وعينك لا تدمع ، وقلبك يخشع ونفسك تجشع ، وتظلم نفسك وأنت لها تنوجع ، وتظهر الزهد في الدنيا وفي الحال تطمع ، وتطلب ما ليس لك بحق وما وجب عليك من الحق لا تدفع ، وتروم فضل ربك وللماعون تمنع ، وتعيب نفسك الامارة وهي عن الله لا ترجع ، وتوقظ الغافلين بانذارك وتتناوم عن سهمك وتهجع ، وتخص غيرك بخيرك ونفسك الفقيرة لا تنفع ، وتحوم على الحق وأنت بالباطل مولع ، وتتعمر في المضايق وطرق النجاة مهيب ، وتهجم على الذنوب وفي الجرمين تشفع وتظهر القناعة بالقليل وبالكثير لا تشبع ، وتعمر الدار الفانية ودارك الباقية خراب بلقع ، وتستوطن في منزل رحيل كأنك إلى ربك لا ترجع ، وتظن أنك بلا رقيب وأعمالك إلى المراقب ترفع ، تقدم على الكبار وعن الصغار تتورع ، وتؤمل الغفران وأنت عن الذنوب لا تفلح ، وترى الأحوال محيطة بك وأنت في ميدان الله وترتع ، وتستبجح أفعال الجهال وباب الجهل تفرع ، وقد آن لك أن تأنف من التعنيف وعن الدنيا تترفع ، وقد سار الخفون وتخلفت فماذا تتوقع . »

وقد أورد ابن الساعي له شعراً حسناً منه :

إن سهرت عينك في طاعة * فذاك خير لك من نوم

أمسك قد فات بعلاته * فاستدرك الفائت في اليوم

إن ربا هداك بعد ضلال * سبل الرشده مستحق للعبادة

وله

فتعبد له تجمد منه عتقا * واستدم فضله بطول الزهاده
وله : إذا تعفنت عن حرام * عوضت بالطيب الحلال
فأقع تجمد في الحرام حلا * فضلا من الله ذي الجلال

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستائة ﴾

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأشرف موسى بن العادل وبين جلال الدين بن خوارزم شاه ، وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خلاط في الماضي وخرّبها وشرّد أهلها ، وحرّبه علاء الدين كيقباد ملك الروم وأرسل إلى الأشرف يستحثه على القدوم عليه ولو جريده وحده ، فقدم الأشرف في طائفة كبيرة من عسكر دمشق ، وانضاف إليهم عسكر بلاد الجزيرة ومن تبقى من عسكر خلاط ، فكانوا خمسة آلاف مقاتل ، معهم العدة الكاملة ، والخيول الهائلة ، فالتقوا مع جلال الدين بأذر بيجان وهو في عشرين ألف مقاتل ، فلم يقدّم لهم ساعة واحدة ، ولا صبر فتهتقروا وانهمزوا واتبعوه على الأثر ، ولم يزالوا في طلبهم إلى مدينة خوى وعاد الأشرف إلى مدينة خلاط فوجدها خاوية على عروشها ، فهدمها [وأطدها ، ثم تصالح جلال الدين وعاد إلى مستقر ملكه حرسها الله] (١) وفيها تسلم الأشرف قلعة بعلبك من الملك الأحمدي بهرام شاه بعد حصار طويل ، ثم استخلف على دمشق أخاه الصالح إسماعيل ، ثم سار إلى الأشرف بسبب أن جلال الدين الخوارزمي استحوذ على بلاد خلاط وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهب أموالا كثيرة ، فالتقى معه الأشرف واقتتلوا قتالا عظيما فهزموه الأشرف هزيمة منكورة ، وهلك من الخوارزمية خلق كثير ، ودقت البشار في البلاد فرحاً بنصرة الأشرف على الخوارزمية ، فانهم كانوا لا يفتحون بلدا إلا قتلوا من فيه ونهبوا أموالهم ، فكسروهم الله تعالى . وقد كان الأشرف رأى النبي ﷺ في المنام قبل الوقعة وهو يقول له : يا موسى أنت منصور عليهم ولما فرغ من كسرتهم عاد إلى بلاد خلاط فرمى شعنها وأصلح ما كان فسد منها . ولم ينجح أحد من أهل الشام في هذه السنة ولا في التي قبلها ، وكذا فيما قبلها أيضاً ، فهذه ثلاث سنين لم يسر من الشام أحد إلى الحج . وفيها أخذت الفرنج جزيرة سوريّة وقتلوا بها خلقا وأسروا آخرين ، فقدموا بهم إلى الساحل فاستقبلهم المسلمون فأخبروا بما جرى عليهم من الفرنج .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ زين الأمانة الشيخ الصالح ﴾

أبو البركات ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن زين الأمانة بن عساكر دمشق الشافعي ، سمع على عمه الحافظ أبي القاسم والصائغ وغير واحد ، وعمر وتفرد بالرواية وجاوز الثمانين

(١) زيادة من المصرية ، وفي التركيّة بياض .

بنحو من ثلاث سنين ، وأقعد في آخر عمره فكان يحمل في محفة إلى الجامع وإلى دار الحديث النورية لاسماع الحديث ، وانتفع به الناس مدة طويلة ، ولما توفى حضر الناس جنازته ودفن عند أخيه الشيخ نجر الدين بن عساكر بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى .

✽ الشيخ بريم المارديني ✽

كان صالحا منقطعاً محباً للعزلة عن الناس ، وكان مقبياً بالزاوية الغربية من الجامع ، وهي التي يقال لها الغزالية ، وتعرف بزاوية الدولمي وبزاوية القطب النيسابوري ، وبزاوية الشيخ أبي نصر المقدسي ، قاله الشيخ شهاب الدين أبوشامة ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستائة ﴾

استهلت هذه السنة والملك الأشرف موسى بن العادل مقيم بالجزيرة مشغول فيها باصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده ، وقد قدمت التتار في هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر فعمثوا بالفساد يمينا وشمالا ، فقتلوا ونهبوا وسبوا على عادتهم خذلهم الله تعالى . وفيها رتب إمام بمشهد أبي بكر من جامع دمشق وصليت فيه الصلوات الخمس . وفيها درس الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهرزوري الشافعي في المدرسة الجوانية في جانب المارستان في جمادى الأولى منها . وفيها درس الناصر ابن الحنبلي بالصالحية بسفح قاسيون التي أنشأها الخاتون ربيعة خاتون بنت أيوب أخت ست الشام .

وفيها حبس الملك الأشرف الشيخ علي الحريري بقلعة عزتنا . وفيها كان غلاء شديد بديار مصر وبلاد الشام وحلب والجزيرة بسبب قلة المياه السماوية والأرضية ، فكانت هذه السنة كما قال الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والخيرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) وذكر ابن الأثير كلاما طويلا مضمونه خروج طائفة من التتار مرة أخرى من بلاد ما وراء النهر ، وكان سبب قدومهم هذه السنة أن الاسماعيليين كتبوا إليهم يخبرونهم بضعف أمر جلال الدين بن خوارزم شاه ، وأنه قد عادى جميع الملوك حوله حتى الخليفة ، وأنه قد كسره الأشرف بن العادل مرتين ، وكان جلال الدين قد ظهرت منه أفعال ناقصة تدل على قلة عقله ، وذلك أنه توفى له غلام خصى يقال له قلعج ، وكان يحبه ، فوجد عليه وجدا عظيما بحيث إنه أمر الأمراء أن يمشوا بجنازته فمشوا فراسخ ، وأمر أهل البلد أن يخرجوا بحزن وتعداد عليه فتوانى بعضهم في ذلك فهم يقتلهم حتى تشفع فيهم بعض الأمراء ثم لم يسمح بدفن قلعج فكان يحمل معه بمحفة ، وكلما أحضر بين يديه طعام يقول احموا هذا إلى قلعج

فقال له بعضهم : أيها الملك إن قلج قدمات ، فأمر بقتله قتل ، فكانوا بعد ذلك يقولون : قبله وهو يقبل الأرض ، ويقول هو الآن أصلح مما كان - يعنى أنه صريض وليس بميت - فيجد الملك بذلك راحة من قلة عقله ودينه قبحه الله . فلما جاءت التتار اشتغل بهم وأمر بدفن قلج وهرب من بين أيديهم وامتلأ قلبه خوفاً منهم ، وكان كلما سار من قطر لحقوه إليه وخر بوا ما اجتازوا به من الأقاليم والبلدان حتى انتهوا إلى الجزيرة وجاوزوها إلى سنجار وما ردين وآمد ، يفسدون ما قدروا عليه قتلاً ونهباً وأسراً ، وتمزق شمل جلال الدين وتفرق عنه جيشه ، فصاروا شذر مذر ، وبدلوا بالأمن خوفاً ، وبالعز ذلاً ، وبالاجتماع تفريقاً ، فسبحان من بيده الملك لا إله إلا هو . وانقطع خبر جلال الدين فلا يدرى أين سلك ، ولا أين ذهب ، وتمكنت التتار من الناس في سائر البلاد لا يجدون من يمنعهم ولا من يردعهم ، وألقى الله تعالى الوهن والضعف في قلوب الناس منهم ، كانوا كثيراً يقتلون الناس فيقول المسلم : لا بالله ، لا بالله ، فكانوا يلعبون على الخيل ويغنون ويحسون كونه الناس لا بالله لا بالله ، وهذه طامة عظمى وداهية كبرى ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وحج الناس في هذه السنة من الشام وكان ممن حج فيها الشيخ تقي الدين أبو عمر بن الصلاح ، ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضاً لكثرة الحروب والخوف من التتار والفرنج ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها تكامل بناء المدرسة التي بسوق العجم ببغداد المنسوبة إلى إقبال الشرايى ، وحضر الدرس بها ، وكان يوماً مشهوداً ، اجتمع فيه جميع المدرسين والمفتيين ببغداد ، وعمل بصحنها قباب الحلوى فحمل منها إلى جميع المدارس والربط ، ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك الدارة في كل يوم ، والحلوى في أوقات المواسم ، والفواكه في زمانها ، وخلع على المدرس والمعيد والفقهاء في ذلك اليوم ، وكان وقتاً حسناً تقبل الله تعالى منه . وفيها سار الأشرف أبو العباس أحمد بن القاضي الفاضل في الرسالة عن الكامل محمد صاحب مصر إلى الخليفة المستنصر بالله ، فأكرم وأعيد معظماً . وفيها دخل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين صاحب إربل إلى بغداد ولم يكن دخلها قط ، فتلقاه الموكب وشافه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين ، وكان ذلك شرفاً له غبطه به سائر ملوك الآفاق وسألوا أن يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك ، فلم يمكنوا لحفظ الثغور ، ورجع إلى مملكته معظماً مكرماً .
ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ يحيى بن معطى بن عبد النور ﴾

النحوى صاحب الألفية وغيرها من المصنفات النحوية المفيدة ، ويلقب زين الدين ، أخذ عن الكندي وغيره ، ثم سافر إلى مصر فكانت وفاته بالقاهرة في مستهل ذى الحجة من هذه السنة ، وشهد جنازته الشيخ شهاب الدين أبوشامة ، وكان قد رحل إلى مصر في هذه السنة ، وحكى أن الملك الكامل شهد جنازته أيضاً ، وأنه دفن قريباً من قبر المزنى بالقرافة في طريق الشافعى عن يسرة المار رحمهم الله .

﴿الدخوار الطيب﴾

مذهب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد ، المعروف بالدخوار شيخ الأطباء بدمشق ، وقد وقف داره بدرب العميد بالقرب من الصاغة العتيقة على الأطباء بدمشق مدرسة لهم ، وكانت وفاته بصفر من هذه السنة ، ودفن بسفح قاسيون ، وعلى قبره قبة على أعمدة في أصل الجبل شرقي الركتية ، وقد ابتلى بستة أمراض متعاقبة ، منها ريح القوة ، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمائة وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . قال ابن الأثير : وفيها توفى .

﴿القاضي أبو غانم بن العديم﴾

الشيخ الصالح ، وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة ، من العاملين بعلمهم ، ولوقال قائل إنه لم يكن في زمانه أعبد منه لكان صادقاً ، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه ، فانه من جماعة شيوخنا ، سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه ، قال : وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول توفى صديقنا .

﴿أبو القاسم عبد المجيد بن المعجمي الحلبي﴾

وهو وأهل بيته مقدموا السنة بحلب ، وكان رجلاً ذا مروءة غزيرة ، وخلق حسن ، وحلم وافر ورياسة كثيرة ، يحب إطعام الطعام ، وأحب الناس إليه من أكل من طعامه ويقبل يده ، وكان يلقي أضيافه بوجه منبسط ، ولا يقعد عن إيصال راحة وقضاء حاجة ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة . قلت وهذا آخر ما وجد من الكامل في التاريخ للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير رحمه الله تعالى .

﴿أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم﴾

ابن أبي السعادات بن كريم الموصل ، أحد الفقهاء الحنفيين ، شرح قطعة كبيرة من القدوري ، وكتب الانشاء لصاحبها بدر الدين لؤلؤ ، ثم استقال من ذلك ، وكان فاضلاً شاعراً ، من شعره :

دعوه كما شاء الغرام يكون * فلست وإن خان المهود أخون
ولينوا له في قولكم ما استنطعم * عسى قلبه القاسمى على يلين
وبثوا صباباتي إليه وكرروا * حديثي عليه فالحديث شجون
بنفسى الأولى بانواع العين حصة * وجههم في القلب ليس يبين
وسلوا على العشاق يوم تحملوا * سيوفا لها وطف الجفون جفون

﴿المجد البهنسى﴾

وزير الملك الأشرف ثم عزله وصادره ، ولما توفى دفن بتربته التي أنشأها بسفح قاسيون وجعل كتبه بها وقفاً ، وأجرى عليها أوقافاً جيدة دارة رحمه الله تعالى .

﴿ جمال الدولة ﴾

خليل بن زوزان رئيس قصر حجاج ، كان كيسا ذا مروءة ، له صدقات كثيرة ، وله زيارة في مقابر الصوفية من ناحية القبلة ، ودفن بتربته عند مسجد قلوس رحمه الله تعالى .

﴿ الملك الأجد ﴾

واقف المدرسة الأجدية . وفيها كانت وفاة .

﴿ بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه ﴾

ابن أيوب صاحب بعلبك ، لم يزل بها حتى قدم الأشرف موسى بن العادل إلى دمشق فلحقها في سنة ست وعشرين ، فأنزعه من يده بعلبك في سنة سبع وعشرين ، وأسكنه عنده بدمشق بدار أبيه ، فلما كان شهر شوال من هذه السنة عدا عليه مملوك من مماليكه تركي فقتله ليلا ، وكان قد اتهمه في صاحبة له وحبسه ، فتغلب عليه في بعض الليالي فقتله وقتل المملوك بعده ، ودفن الأجد في تربته التي إلى جانب تربة أبيه في الشرق الشمالي رحمه الله تعالى ، وقد كان شاعرا فاضلا له ديوان شعر ، وقد أورد له ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الرائق الغائق ، وترجمته في طبقات الشافعية ، ولم يذكره أبو شامة في الذيل ، وهذا عجيب منه ، ومما أورد له ابن الساعي في شاب رآه يقطع قضبان بان فأنشأ على البديهة :

من لى بأهيف قال حين عتبه * في قطع كل قضيب بان رائق
نحكي شمائله الرشاء إذا انثى * ريان بين جداول وحدائق
سرفت غصون البان لين شمائلى * فقطعتها والقطع حد السارق
ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى .

يؤرقنى حنين وادكار * وقد خلت المربع والديار
تنامى الظاعنون ولى فؤاد * يسير مع الهوادج حيث ساروا
حنين مثلما شاء التنائى * وشوق كلما بعد المزار
وليل بعد بينهم طويل * فأين مضت ليالى القصار ؟
وقد حكم السهاد على جفونى * تساوى الليل عندى والنهار
سهادى بعد نأهم كثير * ونومى بعد ما رحلوا غرار
فن ذا يستعير لنا عيوننا * تنام وهل ترى عينا تعار
فلا لبلى له صبح منير * ولا وجدى يقال له عثار
وكم من قائل والحى غاد * يحجب ظعنه النقع المثار

وقوفك في الديار وأنت حي * وقد رحل الخليط عليك عار

وله دوبيت :

كم يذهب هذا العمر في الخسران * ما أغفلني فيه وما أنساني

ضيعت زماني كله في لعب * يا عمر هل بعدك عمر ثاني

وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال :

كنت من ديني على وجل * زال عني ذلك الوجل

أمنت نفسي بوائقها * عشت لمامت لما رحل

رحمه الله وعفا عنه . * جلال الدين تنكش *

وقيل محمود بن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تنكش الخوارزمي ، وهم من سلالة طاهر بن الحسين ، وتنكش جدهم هو الذي أزال دولة السلجوقية . كانت التتار قهروا أباه حتى شردوه في البلاد فمات في بعض جزائر البحر ، ثم ساقوا وراء جلال الدين هذا حتى مزقوا عساكره شذر منذر وتفرقوا عنه أيدي سبا ، وانفرد هو وحده فاقبىه فلاح من قرية بأرض ميا فارقين فأنكره لما عليه من الجواهر الذهب ، وعلى فرسه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ملك الخوارزمية - وكانوا قد قتلوا للفلاح أخا - فأنزله وأظهر إكرامه ، فلما نام قتله بغأس كانت عنده ، وأخذ ما عليه ، فبلغ الخبر إلى شهاب الدين غازي ابن العادل صاحب ميافارقين فاستدعى بالفلاح فأخذ ما كان عليه من الجواهر ، وأخذ الفرس أيضاً ، وكان الأشرف يقول هو سد ما بيننا وبين التتار ، كما أن السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج .

* ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة *

فيها عزل القاضيان بدمشق : شمس الخوى وشمس الدين بن سنى الدولة ، وولى قضاء القضاة عماد الدين ابن الخرستاني ، ثم عزل في سنة إحدى وثلاثين وأعيد شمس الدين بن سنى الدولة كما سيأتي . وفيها سابع عشر شوالها عزل الخليفة المستنصر وزيره مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي ، وقبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه نغر الدين أحمد بن محمد القمي وأصحابهم وحبسوا ، واستوزر الخليفة مكانه أستاذ الدار شمس الدين أبا الأزهر ، أحمد بن محمد بن الناقد ، وخلع عليه خلعة سنوية وفرح الناس بذلك . وفيه أقبلت طائفة من التتار فوصلوا إلى شهزور فندب الخليفة صاحب إربل مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين ، وأضاف إليه عساكر من عنده ، فساروا نحوهم فهربت منهم التتار وأقاموا في مقابلاتهم مدة شهرين ، ثم تمرض مظفر الدين وعاد إلى بلده إربل ، وتراجعت التتار إلى بلادها .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحافظ محمد بن عبد الغنى ﴾

ابن أبي بكر البغدادي ، أبو بكر بن نقطة الحافظ المحدث الفاضل ، صاحب الكتاب النافع المسمى بالنقييد في تراجم رواة الكتب والمشاهير من المحدثين ، وكان أبوه فقيها فقيراً منقطعاً في بعض مساجد بغداد ، يؤثر أصحابه بما يحصل له ، ونشأ ولده هذا معني بعلم الحديث وسماعه والرحلة فيه إلى الآفاق شرقاً وغرباً ، حتى برز فيه على الأقران ، وفاق أهل ذلك الزمان ، ولد سنة تسع وسبعين وخمسة ، وتوفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

﴿ الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسي ﴾

كان فاضلاً كريماً حياً ، سمع الكثير ، ثم خالط الملوك وأبناء الدنيا ، فتغيرت أحواله ومات ببستان ابن شكر عند الصالح إسماعيل بن العادل ، وهو الذي كفنه ودفن بسفح قاسيون

﴿ أبو علي الحسين بن أبي بكر المبارك ﴾

ابن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مسلم الزبيدي ثم البغدادي ، كان شيخاً صالحاً حنفياً فاضلاً ذافنون كثيرة ، ومن ذلك علم الفرائض والعروض ، وله فيه أرجوزة حسنة ، انتخب منها ابن الساعي من كل بحر بيتين ، وسرد ذلك في تاريخه .

﴿ أبو الفتح مسعود بن إسماعيل ﴾

ابن علي بن موسى السامسي ، فقيه أديب شاعر ، له تصانيف ، وقد شرح المقامات والجل في النحو ، وله خطب وأشعار حسنة رحمه الله تعالى .

﴿ أبو بكر محمد بن عبد الوهاب ﴾

ابن عبد الله الأنصاري نخر الدين ابن الشيرجي الدمشقي ، أحد المعدلين بها ، ولد سنة تسع وأربعين وخمسة ، وسمع الحديث وكان يلي ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب ، وفوضت إليه أمر أوقافها . قال السبط : وكان ثقة أميناً كيساً متواضعاً . قال وقد وزر ولده شرف الدين للناصر داود مدة يسيرة ، وكانت وفاة فخر الدين في يوم عيد الاضحى ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى وعفا عنه .

﴿ حسام بن غزى ﴾

ابن يونس عماد الدين أبو المناقب المحلي المصري ، ثم الدمشقي ، كان شيخاً صالحاً فاضلاً فقيهاً شافعيًا حسن المحاضرة وله أشعار حسنة . قال أبو شامة : وله في معجم القوصي ترجمة حسنة ، وذكر أنه توفي عاشر ربيع الآخر ودفن بمقابر الصوفية . قال السبط : وكان مقبلاً بالمدرسة الأئمانية ، وكان لا يأكل لأحد شيئاً ولا للسلطان ، بل إذا حضر طعاماً كان معه في كفه شيء يأكله ، وكان لا يزال معه ألف دينار على وسطه ، وحكى عنه قال : خلع على الملك العادل ليلة طيلساناً فلما خرجت مشى بين يدي تعاط

يحيى القاضى ، فلما وصلت باب البريد عند دار سيف خلعت الطيلسان وجعلته فى كفى وتباطأت فى المشى ، فالتفت فلم ير وراءه أحدا ، فقال لى : أين القاضى ؟ فأشرت إلى ناحية النورية وقلت : ذهب إلى داره ، فلما أسرع إلى ناحية النورية هرولت إلى المدرسة الأمينية واسترحت منه . قال ابن الساعى كان مولده سنة ستين وخمسمائة ، وخاف أموالا كثيرة ورثها عصبته ، قال : وكانت له معرفة حسنة بالأخبار والتواريخ وأيام الناس ، مع دين وصلاح وورع ، وأورد له ابن الساعى قطعاً من شعره فمن ذلك قوله :

قيل لى من هويت قد عبث الش * مرفى خديه . قلت ما ذاك عاره
حرة الخد أحرقت عنبر الخا * ل فن ذاك الدخان عذاره
وله شوق إليكم دون أشواقكم * لكن لا بد أن يشرح
لأنى عن قلبكم غائب * وأنتم فى القلب لن تبرحوا
﴿ أبو عبد الله محمد بن على ﴾

ابن محمد بن الجارود الماراني ، الفقيه الشافعى ، أحد الفضلاء ، ولى القضاء باربل وكان ظريفاً خليعاً ، وكان من محاسن الأيام ، وله أشعار رائقة ومعان فائقة منها قوله :

مشيب أتى وشباب رحل * أحل العناية حيث حل
وذنبك جم ، ألا فارجمى * وعودى فقد حان وقت الأجل
ودينى الآله ولا تقصرى * ولا يخذ عنك طول الأمل
﴿ أبو الثناء محمود بن رالى ﴾

ابن على بن يحيى الطائى الرقى نزيل إربل ، وولى النظر بها للملك مظفر الدين ، وكان شيعياً أديباً فاضلاً ، ومن شعره قوله :

وأهيف ما الخطى إلا قوامه * وما الغصن إلا ما يثنيه لينه
وما الدعص إلا ما تحمل خصره * وما النبل إلا ما تريش جفونه
وما الخمر إلا ما يروق ثفره * وما السحر إلا ما تكن عيونه
وما الحسن إلا كاهن الذى * إذا ما رآه لا يزيد جنونه
﴿ ابن معطى النحوى يحيى ﴾

ترجمه أبو شامة فى السنة الماضية ، وهو أضيف لأنه شهد جنازته بمصر ، وأما ابن الساعى فانه ذكره فى هذه السنة ، وقال إنه كان حظياً عند الكامل محمد صاحب مصر ، وإنه كان قد نظم أرجوزة فى القراءات السبع ، ونظم أفاظ الجهرة ، وكان قد عزم على نظم صحاح الجوهرى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وستمائة ﴾

فيها باشر خطابة بغداد ونقابة العباسيين العدل مجد الدين أبو القاسم هبة الله بن المنصوري ،
 وخلق عليه خلعة سنوية ، وكان فاضلا قد صحب الفقراء والصوفية وتزهد برهة من الزمان ، فلما دعي إلى
 هذا الأمر أجاب سرعياً وأقبلت عليه الدنيا بزهرتها ، وخدمه الغلمان الأتراك ، ولبس لباس المترفين
 وقد عاتبه بعض تلامذته بقصيدة طويلة ، وعنفته على ما صار إليه ، وسردها ابن الساعي بطولها في
 تاريخه . وفيها سار القاضي محي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج في الرسالة من الخليفة
 إلى الكامل صاحب مصر ، ومعه كتاب هائل فيه تقليده الملك ، وفيه أوامر كثيرة مليحة من إنشاء
 الوزير نصر الدين أحمد بن الناقد ، سرده ابن الساعي أيضا بكلامه . وقد كان الكامل محييا بظاهر
 آمد من أعمال الجزيرة ، قد افتتحها بعد حصار طويل وهو مسرور بما نال من ملكها . وفيها فتحت
 دارالضيافة ببغداد للحجيج حين قدموا من حجهم ، وأجريت عليهم النفقات والكساوى والصلوات
 وفيها سارت العساكر المستنصرية صحبة الأمير سيف الدين أبي الفضائل إقبال الخالص المستنصرى
 إلى مدينة إربل وأعمالها ، وذلك لمرض مالكا مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين ، وأنه ليس له
 من بعده من يملك البلاد ، فحين وصلها الجيش منعه أهل البلد فحاصروه حتى افتتحوه عنوة في السابع
 عشر من شوال في هذه السنة ، وجاءت البشائر بذلك فضربت الطبول ببغداد بسبب ذلك ، وفرح
 أهلها ، وكتب التقليد عليها لإقبال المذكور ، فرتب فيها المناصب وسار فيها سيرة جيدة ، وامتدح
 الشعراء هذا الفتح من حيث هو ، وكذلك مدحوا فاتحها إقبال ، ومن أحسن ما قال بعضهم في ذلك
 يا يوم سابع عشر شوال الذى * رزق السعادة أولا وأخيرا
 هنيئ فيه بفتح إربل مثلما * هنيئ فيه وقد جلست وزيرا

يعنى أن الوزير نصير الدين بن العلقمى ، قد كان وزرى في مثل هذا اليوم من العام الماضى ، وفي
 مستهل رمضان من هذه السنة شرع في عمارة دارالحديث الأشرفية بدمشق ، وكانت قبل ذلك دارا
 للأمر قايماز وبها حمام فهدمت وبنيت عوضها . وقد ذكر السبط في هذه السنة أن في ليلة النصف
 من شعبان فتحت دار الحديث الأشرفية المجاورة لقلعة دمشق ، وأملى بها الشيخ تقي الدين بن
 الصلاح الحديث ، ووقف عليها الأشرف الأوقاف ، وجعل بها نعل النبي ﷺ . قال وسمع الأشرف
 صحيح البخارى في هذه السنة على الزبيدى ، قلت : وكذا سمعوا عليه بالدار وبالصالحية . قال : وفيها
 فتح الكامل آمد وحصن كيفا ووجد عند صاحبها خمسمائة حرة للفراش فعذبه الأشرف عذابا ألما .
 وفيها قصد صاحب ماردين وجيش بلاد الروم الجزيرة فقتلوا وسبوا وفعالوا ما لم يفعله التتار بالمسلمين .
 ومن توفى فيها من الأعيان في هذه السنة من المشاهير .

﴿ أبو القاسم علي بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ﴾

كان شيخا لطيفا ظريفا ، سمع الكثير وعمل صناعة الوعظ مدة ، ثم ترك ذلك ، وكان يحفظ شيئا كثيرا من الأخبار والنوادر والأشعار ، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وكانت وفاته في هذه السنة وله تسع وسبعون سنة . وقد ذكر السبب وفاة .

﴿ الوزير صفي الدين بن شكر ﴾

في هذه السنة ، وأثنى عليه وعلى محبته للعلم وأهله ، وأن له مصنفا سماه البصائر ، وأنه تفضب عليه العادل ثم ترضاه الكامل وأعادته إلى وزارته وحرمته ، ودفن بمدرسته المشهورة بمصر ، وذكر أن أصله من قرية يقال لها دميرة بمصر . ﴿ الملك ناصر الدين محمود ﴾

ابن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن قطب الدين مودود بن عماد الدين بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل ، كان مولده في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد أقامه بدر الدين لؤلؤ صورة حتى تمكن أمره وقويت شوكته ، ثم حجج عليه فكان لا يصل إلى أحد من الجوارى ولا شيء من السرارى ، حتى لا يعقب ، وضيق عليه في الطعام والشراب ، فلما توفي جده لأنه مظفر الدين كوكبرى صاحب إربل منعه حينئذ من الطعام والشراب ثلاث عشرة يوما حتى مات كندا وجوعا وعطشا رحمه الله ، وكان من أحسن الناس صورة ، وهو آخر ملوك الموصل من بيت الأتابكي .

﴿ القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم ﴾

أحد مشايخ الحنفية ، وله مصنفات في الفرائض وغيرها ، وهو ابن خالة القاضي شمس الدين ابن الشيرازي الشافعي ، وكلاهما كان ينوب عن ابن الزكي وابن الحرساني ، وكان يدرس بالطرخانية . وفيها سكنه ، فلما أرسل إليه المظفر أن يفتي باباحة نبيذ التمر وماء الرمان امتنع من ذلك وقال أناعلى مذهب محمد بن الحسن في ذلك ، والرواية عن أبي حنيفة شاذة ، ولا يصح حديث ابن مسعود في ذلك ، ولا الأثر عن عمر أيضا . ففضب عليه المظفر وعزله عن التدريس وولاه لتلميذه الزين ابن العتال ، وأقام الشيخ بمنزله حتى مات .

قال أبو شامة : ومات في هذه السنة جماعة من السلاطين منهم المغيث بن المغيث بن العادل ، والعزير عثمان بن العادل ، ومظفر الدين صاحب إربل . قلت أما صاحب إربل فهو :

﴿ الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى ﴾

ابن زين الدين علي بن تمبكتكين أحد الاجواد والسادات الكبراء والملوك الامجاد ، له آثار حسنة وقد عمر الجامع المظفري بسفوح قاسيون ، وكان قدم بسياقة الماء إليه من ماء بديرة فمنعه المظفر من ذلك ، واعتل بأنه قد يمر على مقابر المسلمين بالسفوح ، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول

ويحتفل به احتفالا هائلا ، وكان مع ذلك شهما شجاعا فاتكا بطلا عاقلا عالما عادلا رحمه الله وأكرم مثواه . وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلدا في المولد النبوي سماه التنوير في مولد البشير النذير ، فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته في الملك في زمان الدولة الصلاحية ، وقد كان محاصر عكا وإلى هذه السنة محمود السيرة والسريرة ، قال السبط : حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد كان يعد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة ألف زبديّة ، وثلاثين ألف محن حلوى ، قال : وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سمعا من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة ، وكانت صدقاته في جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما ، ويتفك من الفرج في كل سنة خلقا من الأسارى ، حتى قيل إن جملة من استنكحه من أيديهم ستون ألف أسير ، قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب - وكان قد زوجه إياها أخوها صلاح الدين ، لما كان معه على عكا - قالت : كان قيمه لا يساوي خمسة دراهم فماتت به بذلك فقال : لبسى ثوبا بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير المسكين ، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار . وعلى الحرمين والمياه بدرب الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى صدقات السر ، رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته بقلعة إربل ، وأوصى أن يحمل إلى مكة فلم يتفق فدفن بمشهد على .

﴿ والملك العزيز بن عثمان بن العادل ﴾

وهو شقيق المعظم ، كان صاحب بانياس وتملك الحصون التي هنالك ، وهو الذي بنى المعظمية ، وكان عاقلا قليل الكلام مطيعاً لأخيه المعظم ، ودفن عنده . وكانت وفاته يوم الاثنين عاشر رمضان بيستانه الناعمة من هيا رحمه الله وعفا عنه .

﴿ أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر ﴾

ابن الحسين بن علي بن محمد بن غالب الأنصاري ، المعروف بابن عنين الشاعر . قال ابن الساعي أصله من الكوفة وولد بدمشق ونشأ بها ، وسافر عنها سنين ، فنجاب الأقطار والبلاد شرقا وغربا ودخل الجزيرة وبلاد الروم والعراق وخراسان وما وراء النهر والهند واليمن والحجاز وبغداد ، ومدح أكثر أهل هذه البلاد ، وحصل أموالا جزيلة ، وكان ظريفا شاعرا مطيقا مشهورا ، حسن الاخلاق جميل المعاشرة ، وقد رجع إلى بلده دمشق فكان بها حتى مات هذه السنة في قول ابن الساعي ، وأما السبط وغيره فأرخوا وفاته في سنة ثلاث وثلاثين ، وقد قيل إنه مات في سنة إحدى وثلاثين والله أعلم . والمشهور أن أصله من حوران مدينة زرع ، وكانت إقامته بدمشق في الجزيرة قبل الجامع ،

وكان هجاء له قدرة على ذلك ، وصنف كتاباً سماه مقراض الأعراض ، مشتمل على نحو من خمسمائة بيت ، قل من سلم من الدماشقة من شره ، ولا الملك صلاح الدين ولا أخوه العادل ، وقد كان بُزْنَ بترك الصلاة المكتوبة فالله أعلم . وقد نفاه الملك الناصر صلاح الدين إلى الهند فامتدح ملوكها وحصل أهوالاً جزيلة ، وصار إلى اليمن فيقال إنه وزر لبعض ملوكها ، ثم عاد في أيام العادل إلى دمشق ولما ملك المعظم استوزره فأساء السيرة واستقال هو من تلقاء نفسه فعزله ، وكان قد كتب إلى الدماشقة من بلاد الهند :

فعلام أبعدمم أختة * لم يقترف ذنباً ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم * إن كان ينفي كل من صدقا
ومما هجابه الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى :

سلطاننا أعرج وكتبه * ذو عمش ووزيره أحذب
والدولمي الخطيب معتكف * وهو على قشر بيضة يثب
ولابن باقا وعظ يفش به الذ * اس وعبد اللطيف محتسب
وصاحب الامر خلقه شرس * وعارض الجيش داؤه عجب

وقال في السلطان الملك العادل سيف الدين رحمه الله تعالى وعفا عنه .

إن سلطاننا الذي نرتجيه * واسع المال ضيق الانفاق
هو سيف كما يقال ولكن * قاطع للرسوم والأرزاق

وقد حضر مرة مجلس الفخر الرازي بخراسان وهو على المنبر يعظ الناس ، فجاءت حمامة خلفها جارح فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمستجيرة به ، فأنشأ ابن عنين يقول :

جاءت سليمان الزمان حمامة * والموت يلمع من جناحي خاطف
قرم لواه الجوع حتى ظله * بازائه بقلب واجف
من أعلم الورقاء أن محلكم * حرم وأنك ملجأ للخائف

﴿ الشيخ شهاب الدين السهروردي ﴾

صاحب عوارف المعارف ، عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن حمويه ، واسمه عبد الله البكري البغدادي ، شهاب الدين أبو حفص السهروردي ، شيخ الصوفية ببغداد ، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين ، وتردد في الرسلية بين الخلفاء والملوك مرارا ، وحصلت له أموال جزيلة ففرقها بين الفقراء والمحتاجين ، وقد حج مرة وفي صحبته خلق من الفقراء لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وكانت فيه مروءة وإغاثة للملهوفين ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وكان يعظ الناس

وعليه ثياب البذلة ، قال مرة في ميعاده هذا البيت وكرره :

ما في الصحاب أخو وجد تطارحه * إلا محب له في الركب محبوب

فقام شاب وكان في المجلس فأنشده :

كأنما يوسف في كل راحلة * وفي كل بيت منه يعقوب

فصاح الشيخ ونزل عن المنبر وقصد الشاب ليعتذر إليه فلم يجده ووجد مكانه حفرة فيها دم كثير من كثرة ما كان يفحص برجليه عند إنشاد الشيخ البيت . وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة من أناشيده وأثنى عليه خيرا ، وأنه توفي في هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ابن الأثير مصنف أسد الغابة والكمال ﴾

هو الامام العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلى المعروف بابن الأثير مصنف كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة ، وكتاب الكامل في التاريخ وهو من أحسنها حوادث ، ابتداء من المبتدأ إلى سنة ثمان وعشرين وستائة ، وقد كان يتردد إلى بغداد خصيصاً عند ملوك الموصل ، ووزر لبعضهم كما تقدم بيانه ، وأقام بها في آخر عمره موقراً معظماً إلى أن توفي بها في شعبان في هذه السنة ، عن خمس وسبعين سنة رحمه الله . وأما أخوه أبو السعادات المبارك فهو مصنف كتاب جامع الأصول وغيره ، وأخوهما الوزير ضياء الدين أبو الفتح نصر الله كان وزيراً للملك الأفضل علي بن الناصر فاتح بيت المقدس ، صاحب دمشق كما تقدم ، وجزيرة ابن عمر ، قيل إنها منسوبة إلى رجل يقال له عبد العزيز بن عمر ، من أهل برقيد ، وقيل بل هي منسوبة إلى ابني عمر ، وهما أوس وكامل ابنا عمر بن أوس .

﴿ ابن المستوفى الأربلي ﴾

مبارك بن أحمد بن مبارك ابن موهوب بن غنيمة بن غالب العلامة شرف الدين أبو البركات اللخمي الأربلي ، كان إماماً في علوم كثيرة كالحدِيث وأسماء الرجال والأدب والحساب ، وله مصنفات كثيرة وفضائل غزيرة ، وقد بسط ترجمته القاضي شمس الدين بن خلكان في الوفيات ، فأجاد وأفاد رحمهم الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستائة ﴾

فيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد ولم يُبين مدرسة قبلها مثلها ، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً ، وأربعة معيدين ، ومدرس لكل مذهب ، وشيخ حديث وقارئان وعشرة مستمعين ، وشيخ طب ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ، ومكتب للايتام وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد . ولما كان يوم الخميس خامس رجب حضرت الدروس بها وحضر الخليفة المستنصر بالله بنفسه الكريمة وأهل دولته من

الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفية والشعراء ، ولم يتخلف أحد من هؤلاء ، وعمل سباط عظيم بها أكل منه الحاضرون ، وحمل منه إلى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام ، وخلع على جميع المدرسين بها والحاضرين فيها ، وعلى جميع الدولة والفقهاء والمعيرين ، وكان يوماً مشهوداً ، وأنشدت الشعراء الخليفة المدائح الرائجة والقصائد الفائقة ، وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخه مطولاً مبسوطاً شافياً كافياً ، وقدر لتدريس الشافعية بها الامام محي الدين أبو عبد الله بن فضلان ، وللحنفية الامام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني ، وللحنابلة الامام العالم محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، ودرس عنه يومئذ ابنه عبد الرحمن نيابة لعيته في بعض الرسائل إلى الملوك ، ودرس للمالكية يومئذ الشيخ الصالح العالم أبو الحسن المغربي المالكي نيابة أيضاً ، حتى يعين شيخ غيره ، ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلهما في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها . وكان المتولى لعمارة هذه المدرسة مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي الذي وزر بعد ذلك ، وقد كان إذ ذاك أستاذاً دار الخلافة ، وخلع عليه يومئذ وعلى الوزير نصير الدين . ثم عزل مدرس الشافعية في رابع عشر ذي القعدة بقاضي القضاة أبي المعالي عبد الرحمن بن مقبل ، مضافاً إلى ما بيده من القضاء ، وذلك بعد وفاة محيي الدين بن فضلان ، وقد ولي القضاء مدة ودرس بالنظامية وغيرها ، ثم عزل ثم رضى عنه ثم درس آخر وقت بالمستنصرية كما ذكرنا ، فلما توفى ولها بعده ابن مقبل رحمهم الله تعالى .

وفيها عمر الأشرف مسجد جراح ظاهر باب الصغير . وفيها قدم رسول الأنبر ورمك الفرنج إلى الأشرف ومعه هدايا منها دب أبيض شعره مثل شعر الأسد ، وذكروا أنه ينزل إلى البحر فيخرج السمك فيأكله . وفيها طاووس أبيض أيضاً . وفيها كملت عمارة القيسارية التي هي قبل النحاسين ، وحول إليها سوق الصاغة وشغرسوق اللؤلؤ الذي كان فيه الصاغة العتيقة عند الحدادين . وفيها جددت الدكاكين التي بالزيادة . قلت وقد جددت شرقي هذه الصاغة الجديدة قيساريتان في زماننا ، وسكنها الصياغ وتجار الذهب ، وهما حسنتان وجميعهما وقف الجامع المعمور .
ومن توفى في هذه السنة من الأعيان .

﴿ أبو الحسن علي بن أبي علي ﴾

ابن محمد بن سالم الثعلبي ، الشيخ سيف الدين الأمدى ، ثم الحموي ثم الدمشقي ، صاحب المصنفات في الأصول وغير ذلك ، من ذلك أبحاث الأفكار في الكلام ، ودقائق الحقائق في الحكمة ، وأحكام الأحكام في أصول الفقه ، وكان حنبلي المذهب فصار شافعيًا أصولياً منطقيًا جدليًا خلافيًا ، وكان حسن الأخلاق سليم الصدر كثير البكاء رقيق القلب ، وقد تكلموا فيه بأشياء الله أعلم

بصحتها ، والذي يغلب على الظن أنه ليس لغالبها صحة ، وقد كانت ملوك بني أيوب كالمعظم والكامل يكرمونه وإن كانوا لا يحبونه كثيرا ، وقد فوض إليه المعظم تدريس العزيزية ، فلما ولي الأشرف دمشق عزله عنها ونادى بالمدارس أن لا يشتغل أحد بغير التفسير والحديث والفقہ ، ومن اشتغل بعلوم الأوائل نفيتہ ، فأقام الشيخ سيف الدين بمنزله إلى أن توفي بدمشق في هذه السنة في صفر ، ودفن بقرنته بسفح قاسيون . وذكر القاضي ابن خلدان أنه اشتغل ببغداد على أبي الفتح نصر بن فتيان بن المنى الحنبلي ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن ابن فضلان وغيره ، وحفظ طريقة الخلف للشريف وزوائد طريقة أسعد الميهني ، ثم انتقل إلى الشام واشتغل بعلوم المعقول ، ثم إلى الديار المصرية فأعاد بمدرسة الشافعية بالقرافة الصغرى ، وتصدر بالجامع الظافري ، واشتهر فضله وانتشرت فضائله ، فحسده أقوام فسعوا فيه وكتبوا خطوطهم بانهامه بمذهب الأوائل والتعطيل والانحلال ، فطلبوا من بعضهم أن يوافقهم فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصوم

فانتقل سيف الدين إلى حماه ثم تحول إلى دمشق فدرس بالعزيزية ، ثم عزل عنها ولزم بيته إلى أن مات في هذه السنة ، وله ثمانون عاماً رحمه الله تعالى وعفا عنه .

﴿ واقف الركنية الأمير الكبير ركن الدين منكورس الفلكي ﴾

غلام فلك الدين أخى الملك العادل ، لأنه وقف الفلكية كما تقدم ، وكان هذا الرجل من خيار الأمراء ، ينزل في كل ليلة وقت السحر إلى الجامع وحده بطوافه ويواظب على حضور الصلوات فيه مع الجماعة ، وكان قليل الكلام كثير الصدقات ، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون ، ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمل عندها تربة ، وحين توفي بقرية حدود حمل إليها رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الامام العالم رضى الدين ﴾

أبو سليمان بن المظفر بن غنأم الجبلي الشافعي ، أحد فقهاء بغداد والمفتيين بها والمشغلين للطلبة مدة طويلة ، له كتاب في المذهب نحو من خمسة عشر مجلدا ، يحكى فيه الوجوه الغريبة والاقوال المستغربة وكان لطيفا ظريفا ، توفي رحمه الله يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ببغداد .

﴿ الشيخ طي المصري ﴾

أقام مدة بالشام في زاوية له بدمشق ، وكان لطيفا كيسا زاهداً ، يتردد إليه الأكابر ودفن بزوايته المذكورة رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ عبد الله الأرمني ﴾

أحد العباد الزهاد الذين جابوا البلاد وسكنوا البراري والجبال والوهاد ، واجتمعوا بالأقطاب

والأبدال والأوتاد ، وممن كانت له الأحوال والمكاشفات والمجاهدات والسياحات في سائر النواحي والجهات ، وقد قرأ القرآن في بدايته وحفظ كتاب القدوري على مذهب أبي حنيفة ، ثم اشتغل بالمعاملات والرياضات ، ثم أقام آخر عمره بدمشق حتى مات بها ودفن بسفح قاسيون ، وقد حكي عنه أشياء حسنة منها أنه قال اجتزت مرة في السياحة ببلدة فطالبتني نفسي بدخولها فأليت أن لا أستطعم منها بطعام ، ودخلتها فررت برجل غسل فنظر إلى شزرا فخفت منه وخرجت من البلد هاربا ، فلحقني ومعه طعام فقال : كل فقد خرجت من البلد ، فقلت له وأنت في هذا المقام وتفسل الثياب في الأسواق ؟ فقال : لا ترفع رأسك ولا تنظر إلى شيء من عملك ، وكن عبداً لله فان استعملك في الحش فارض به ، ثم قال رحمه الله .

ولو قيل لي مت قلت سمعا وطاعة * وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

وقال اجتزت مرة في سيا حتى براهب في صومعة فقال لي : يا مسلم ما أقرب الطرق عندكم إلى الله عز وجل ؟ قلت : مخالفة النفس ، قال فرد رأسه إلى صومعته ، فلما كنت بمكة زمن الحج إذا رجل يسلم على عند الكعبة فقلت من أنت ؟ فقال أنا الراهب ، قلت : بم وصلت إلى هاهنا ؟ قال بالذي قلت . وفي رواية عرضت الاسلام على نفسي فأبت ، فعلمت أنه حق فأسلمت وخالفتها ، فأفلح وأنجح . وقال بينا أنا ذات يوم بجبل لبنان إذا حرامية الفرنج فأخذوني فقيدوني وشدوا وثاق فكنت عندهم في أضيح حال ، فلما كان النهار شربوا وناموا ، فبينما أنا موثوق إذا حرامية المسلمين قد أقبلوا نحوهم فأنبهتهم فلجأوا إلى مغارة هنالك فسلموا من أولئك المسلمين ، فقالوا : كيف فعلت هذا وقد كان خلاصك على أيديهم ؟ فقلت إنكم أطعمتموني فكان من حق الصحبة أن لا أغشكم ، فعرضوا على شيئا من متاع الدنيا فأبيت وأطلقوني . وحكى السبط قال : زرته مرة ببيت المقدس وكنت قد أكلت سمكا مالحاً ، فلما جلست عنده أخذني عطش جدا وإلى جانبه إبريق فيه ماء بارد فجعلت أستحجي منه ، فمديده إلى الإبريق وقد احمر وجهه وناولني وقال خذ ، كم تكاسر ، فشربت . وذكروا أنه لما ارتحل من بيت المقدس كان سورها بعد قائما جديدا على عمارة الملك صلاح الدين قبل أن يخر به المعظم ، فوقف لأصحابه يودعهم ونظر إلى السور ، وقال : كأني بالمعاول وهي تعمل في هذا السور عما قريب ، فقيل له معاول المسلمين أو الفرنج ؟ فقال بل معاول المسلمين ، فكان كما قال . وقد ذكرت له أحوال كثيرة حسنة ، ويقال إن أصله أرمني وإنه أسلم على يدي الشيخ عبد الله اليوناني ، وقيل بل أصله رومي من قونية ، وأنه قدم على الشيخ عبد الله اليوناني وعليه برنس كبرانس الرهبان ، فقال له أسلم فقال أسلمت لرب العالمين . وقد كانت أمه داية امرأة الخليفة ، وقد جرت له كائنة غريبة فسلمه الله بسبب ذلك ، وعرفه الخليفة فأطلقه .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ﴾

فيها خرب الملك الأشرف بن العادل خان الزنجاري الذي كان بالعقبة فيه خواطى و خجور
ومنكرات متعددة ، فهدمه وأمر بعمارة جامع مكانه سمي جامع التوبة ، تقبل الله تعالى منه .

وفيها توفى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شداد الحلبي ، أحد رؤسائها من بيت
العلم والسيادة ، له علم بالتواريخ وأيام الناس وغير ذلك ، وقد سمع الكثير وحدث ، والشيخ شهاب
الدين عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عصرون الحلبي أيضاً ، كان فقيها زاهدا عابداً
كانت له نحو من عشرين سرية ، وكان شيخا يكثر من الجماع ، فاعترتة أمراض مختلفة فأتلفته ومات
بدمشق ودفن بقاسيون ، وهو والد قطب الدين وتاج الدين ، والشيخ الامام العالم صائغ الدين أبو
محمد عبد العزيز الجبلي الشافعي أحد الفقهاء المفتين المشغولين بالمدرسة النظامية ببغداد ، وله شرح
على التنبيه للشيخ أبي إسحاق ، توفى في ربيع الأول رحمه الله تعالى . والشيخ الامام الخطيب
الأديب أبو محمد حمد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن مفتاح التيمي
الدينوري ، الخطيب بها والمفتي لأهلها ، الفقيه الشافعي ، تفقه ببغداد بالنظامية ، ثم عاد إلى بلده
المشار إليها ، وقد صنف كتباً . وأنشده ابن الساعي سماعاً منه :

روت لي أحاديث الفرام صباقي * باسنادها عن بانه العلم الفرد
وحدثني مر النسيم عن الحمي * عن الدوح عن وادي الغضاعن ربانجد
بان غرامى والأسى قد تلازما * فلن يبرحا حتى أوسد في لحدي

وقد أرخ أبو شامة في الذيل وفاة الشهاب السهر وردى صاحب عوارف المعارف في هذه السنة ،
وذكر أن مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وأنه جاوز التسعين . وأما السبط فأنما أرخ وفاته في
سنة ثلاثين كما تقدم .

﴿ قاضى القضاة بجلب ﴾

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي الموصلى الشافعي ، كان رجلاً فاضلاً
أديباً مقرأً ذا وجهة عند الملوك ، أقام بجلب وولى القضاء بها ، وله تصانيف وشعر ، توفى في هذه
السنة رحمه الله تعالى .

﴿ ابن الفارض ﴾

ناظم النائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ، هو أبو حفص عمر بن أبي
الحسن علي بن المرشد بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة ، وكان أبوه يكتب
فروض النساء والرجال ، وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها ، وقد
ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه . مات في هذه السنة وقد قارب السبعين .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستائة ﴾

فيها قطع الكامل وأخوه الأشرف الفرات وأصلحا ما كان أفسده جيش الروم من بلادهما ،
 وخرّب الكامل قلعة الرها وأحل بدنيسر بأساً شديداً ، وجاء كتاب بدر الدين صاحب الموصل بأن
 الروم أقبلوا بمائة طلب كل طلب بمائة فارس ، فرجع الملكان إلى دمشق سرّياً وعاد جيش الروم
 إلى بلادها بالجزيرة وأعادوا الحصار كما كان ، ورجعت التتار عامهم ذلك إلى بلادهم والله تعالى أعلم .
 ومن توفى فيها من الأعيان والمشاهير ابن عنين الشاعر وقد تقدمت ترجمته في سنة ثلاثين .

﴿ الحاجري الشاعر ﴾

صاحب الديوان المشهور ، وهو عيسى بن منجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتكين بن طاشتكين
 الأربلي شاعر مطبق ، ترجمه ابن خلكان وذكر أشياء من شعره كثيرة ، وذكر أنه كان صاحبهم
 وأنه كتب إلى أخيه ضياء الدين عيسى يستوحش منه :

الله يعلم ما أبقى سوى رفق * متى فراقك يا من قر به الأمل

فابعث كتابك واستودعه تعزية * فربما مت شوقاً قبل ما يصل

وذكر له في الخال رحمه الله تعالى .

ومهفهف من شعره وجبينه * أمسى الوري في ظلمة وضياء

لا تنكروا الخال الذي في خده * كل الشقيق بنقطة سوداء

﴿ ابن دحية ﴾

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف بن قومس بن مزلال بن بلال بن
 بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة الكلابي الحافظ ، شيخ الديار المصرية في الحديث ، وهو أول من
 باشر مشيخة دار الحديث الكاملة بها ، قال السبط : وقد كان كابن عنين في ثلب المسلمين والوقية
 فيهم ، ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه ، وقد كان الكامل مقبلاً عليه ، فلما
 انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانته ، توفي في ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر ،
 وقد قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وللشيخ السخاوي فيه أبيات حسنة . وقال القاضي ابن
 خلكان بعد سياق نسبه كما تقدم ، وذكر أنه كتبه من خطه ، قال وذكر أن أمه أمة الرحمن بنت
 أبي عبد الله بن البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن
 جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فلها كان يكتب بخطه ذو النسيب ابن دحية
 ابن الحسن والحسين قال ابن خلكان : وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقناً لعلم الحديث
 وما يتعاق به ، عارفاً بالزحو واللغة وأيام العرب وأشعارها ، اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل إلى الشام ثم

إلى العراق واجتاز باربل سنة أربع وستمئة ، فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتنى بالمولد النبوى ، فعمل له كتاب التنوير فى مولد السراج المنير وقرأه عليه بنفسه ، فأجازه بألف دينار ، قال وقد سمعناه على الملك المعظم فى ستة مجالس فى سنة ست وعشرين وستمئة . قلت وقد وقفت على هذا الكتاب وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة . قال ابن خلكان : وكان مولده فى سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، وقيل ست أو تسع وأربعين وخمسمئة ، وتوفى فى هذه السنة ، وكان أخوه أبو عمر و عثمان قد باشر بعده دار الحديث السكلمية بمصر ، وتوفى بعده بسنة . قلت : وقد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث فى قصر صلاة المغرب ، وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم كيف رجاله ، وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر ، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمئة ﴾

فيها حاصرت التتار إربل بالمجانيق ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة فقتلوا أهلها وسبوا ذرارهم ، وامتنعت عليهم القلعة مدة ، وفيها النائب من جهة الخليفة ، فدخل فصل الشتاء فأقلعوا عنها وانشروا إلى بلادهم ، وقيل إن الخليفة جهز لهم جيشاً فانهزم التتار . وفيها استخدم الصالح أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا الخوارزمية الذين تبقوا من جيش جلال الدين وانفصلوا عن الرومى ، فقوى جأش الصالح أيوب . وفيها طلب الأشرف موسى بن العادل من أخيه الكامل الرقة لتكون قوة له وعلفا لدوابه إذا جاز الفرات مع أخيه فى البواكير ، فقال الكامل : أما يكفيه أن معه دمشق مملكة بنى أمية ؟ فأرسل الأشرف الأمير فلك الدين بن المسيرى إلى الكامل فى ذلك ، فأغلظ له الجواب ، وقال : إيش يعمل بالملك ؟ يكفيه عشرته للمغانى وتعلمه لصناعتهم . فغضب الأشرف لذلك وبدت الوحشة بينهما ، وأرسل الأشرف إلى حماه وحلب وبلاد الشرق يخالف أولئك الملوك على أخيه الكامل ، فلوطال عمر الأشرف لأفسد الملك على أخيه ، وذلك لكثرة ميل الملوك إليه لكرمه وشجاعته وشح أخيه الكامل ، ولكنه أدركته منيته فى أول السنة الداخلة رحمه الله تعالى .

﴿ ومن توفى فيها من الأعيان ﴾

صاحب حلب محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازى بن الملك الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف ، وهو وأبوه وابنه الناصر أصحاب ملك حلب من أيام الناصر ، وكانت أم العزيز الخاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وكان حسن الصورة كريماً عفيفاً ، توفى وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وكان مدبر دولته الطواشى شهاب الدين ، وكان من الأمراء رحمه الله

تعالى . وقام في الملك بعده ولده الناصر صلاح الدين يوسف ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ صاحب الروم ﴾

كقياد الملك علاء الدين صاحب بلاد الروم ، كان من أكبر الملوك وأحسنهم سيرة ، وقد زوجه العادل ابنته وأولادها ، وقد استولى على بلاد الجزيرة في وقت وأخذ أكثرها من يد الكامل محمد ، وكسر الخوارزمية مع الأشرف موسى رحمهما الله .

﴿ الناصح الحنبلي ﴾

في ثالث المحرم توفي الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الشيرازي ، وهم ينتسبون إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ولد الناصح سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وقرأ القرآن وسمع الحديث ، وكان يهبط في بعض الأحيان . وقد ذكرنا قبل أنه وعظ في حياة الشيخ الحافظ عبد الغني ، وهو أول من درس بالصالحية التي بالجبل ، وله بنيت ، وله مصنفات . وقد اشتغل على ابن المنى البغدادي ، وكان فاضلاً صالحاً ، وكانت وفاته بالصالحية ودفن هناك رحمه الله .

﴿ السكّال بن المهاجر ﴾

التاجر كان كثير الصدقات والاحسان إلى الناس ، مات فجأة في جمادى الأولى بدمشق فدفن بقاسيون ، واستحوذ الأشرف على أمواله ، فبلغت التركة قريباً من ثلثمائة ألف دينار ، من ذلك سبحة فيها مائة حبة لؤلؤ ، كل واحدة مثل بيضة الحمامة .

﴿ الشيخ الحافظ أبو عمرو عثمان بن دحية ﴾

أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية ، كان قد ولي دار الحديث الكاملة حين عزل أخوه عنها ، حتى توفي في عامه هذا ، وكان ندر في صناعة الحديث أيضاً رحمه الله تعالى .

﴿ القاضي عبد الرحمن التكريتي ﴾

الحاكم بالكرك ، ومدرس مدرسة الزبداني ، فلما أخذت أوقافها سار إلى القدس ثم إلى دمشق ، فكان ينوب بها عن القضاة ، وكان فاضلاً نزهةً عفيفاً ديناراً رحمه الله تعالى ورضي عنه .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة الأشرف ثم أخوه الكامل ، أما الأشرف موسى بن العادل باني دار الحديث الأشرفية وجامع التوبة وجامع جراح ، فإنه توفي في يوم الخميس رابع المحرم من هذه السنة ، بالقلعة المنصورة ، ودفن بها حتى نجزت تربته التي بنيت له شمالي الكلاسة ، ثم حول إليها رحمه الله تعالى ، في جمادى الأولى ، وقد كان ابتداء مرضه في رجب من السنة الماضية ، واختلفت عليه الأدوية حتى كان الجراثمي يخرج العظام من رأسه وهو يسبح الله عز وجل ، فلما كان آخر السنة تزايد به المرض

واعتراه إسهال مفرط نخرت قوته فشرع في التهيء للقاء الله عز وجل ، فأعتق مائتي غلام وجارية ، ووقف دار فر وخشاه التي يقال لها دار السعادة ، و بستانه بالنيرب على ابنه ، وتصدق بأموال جزيلة ، وأحضر له كفننا كان قد أعدده من ملابس الفقراء والمشايع الذين لقيهم من الصالحين . وقد كان رحمه الله تعالى شهما شجاعا كريما جوادا لأهل العلم ، لا سيما أهل الحديث ، ومقار بيته الصالحة ، وقد بنى لهم دار حديث بالسفح وبالمدينة للشافعية أخرى ، وجعل فيها نعل النبي ﷺ الذي ما زال حرا يصأ على طلبه من النظام ابن أبي الحديد التاجر ، وقد كان النظام ضنينا به فغزم الأشرف أن يأخذ منه قطعة ، ثم ترك ذلك خوفا من أن يذهب بالكلية ، فقدر الله موت ابن أبي الحديد بدمشق فأوصى للملك الأشرف به ، فجعله الأشرف بدار الحديث ، ونقل إليها كتباً سنوية نفيسة ، وبنى جامع التوبة بالمقبية ، وقد كان خاناً للزنجارى فيه من المنكرات شيء كثير ، وبنى مسجد القصب وجامع جراح ومسجد دار السعادة ، وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسة ، ونشأ بالقدس الشريف بكفالة الأمير نجر الدين عثمان الزنجارى ، وكان أبوه يحبه ، وكذلك أخوه المعظم ثم استنابه أبوه على مدن كثيرة بالجزيرة منها الرها وحران ، ثم اتسعت مملكته حين ملك خلاط ، وكان من أعف الناس وأحسنهم سيرة وسريرة ، لا يعرف غير نسائه وسراريه ، مع أنه قد كان يعانى الشراب ، وهذا من أعجب الأمور . حكى السبط عنه قال : كنت يوماً بهذه المنظرة من خلاط إذ دخل الخادم فقال : بالباب امرأة تستأذن ، فدخلت فاذا صورة لم أر أحسن منها ، وإذا هي ابنة الملك الذي كان بخلاط قبلى ، فذكرت أن الحاجب على قد استحوذ على قرية لها ، وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكرى ، وأنها إنما تتقوت من عمل النقوش للنساء ، فأمرت بردضيعتها إليها وأمرت لها بدار تسكنها ، وقد كنت قمت لها حين دخلت وأجلستها بين يدي وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت عنه ، ومعها عجوز ، فحين قضت شغلها قلت لها انهضى على اسم الله تعالى ، فقالت العجوز : ياخوند إنما جاءت لتحظى بخدمتك هذه الليلة ، فقلت : معاذ الله لا يكون هذا ، واستحضرت في ذهني ابنتي ربما يصيبها نظير ما أصاب هذه ، فقامت وهى تقول بالأرمنى : سترك الله مثل ماسترتنى ، وقلت لها : مهما كان من حاجة فانهبها إلى أقضها لك ، فدعت لى وانصرفت ، فقالت لى نفسى : فى الحلال مندوحة عن الحرام ، فتروجها ، فقلت : لا والله لا كان هذا أبداً ، أين الحياء والكرم والمروءة ؟ قال : ومات مملوك من مماليكى وترك ولداً ليس يكون فى الناس بتلك البلاد أحسن شباباً ، ولا أحلى شكلاً منه ، فأحببته وقربته ، وكان من لا يفهم أمرى يتهمنى به ، فاتفق أنه عدا على إنسان فضر به حتى قتله ، فاشتكى عليه إلى أولياء المقتول ، فقلت اثبتوا أنه قتله ، فأثبتوا ذلك فحاجمت عنه مماليكى وأرادوا إرضاءهم بعشر ديات فلم يقبلوا ، ووقفوا لى فى الطريق وقالوا قد أثبتنا أنه قتله ، فقلت

خذوه فقتلوه ، ولو طلبوا منى ملكى فداء له لدفعته إليهم ، ولكن استجيت من الله أن أعرض شرعه بحفظ نفسى رحمه الله تعالى وعفا عنه .

ولما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وستمائة نادى مناديه فيها أن لا يشتغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه ، ومن اشتغل بالمنطق وعلوم الأوائل نفي من البلد . وكان البلديه في غاية الامن والعدل ، وكثرة الصدقات والخيرات ، كانت القلعة لا تغلق في ليالى رمضان كلها ، وصحون الحلاوات خارجة منها إلى الجامع والخانات والربط ، والصالحية وإلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم ، وكان أكثر جلوسه بمسجد أبي الدرداء الذى جده وزخرفه بالقلعة ، وكان ميمون النقيية ما كسرت له راية قط ، وقد استدعى الزبيدي من بغداد حتى سمع هو والناس عليه صحيح البخارى وغيره ، وكان له ميل إلى الحديث وأهله ، ولما توفى رحمه الله رآه بعض الناس وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين ، فقال : ما هذا وقد كنت تعاني الشراب في الدنيا ؟ فقال ذاك البدن الذى كنا نفعل به ذاك عندهم ، وهذه الروح التى كنا نحب بها هؤلاء فىهم معهم ، ولقد صدق رحمه الله ، قال رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب » وقد كان أوصى بالملك من بعده لأخيه الصالح إسماعيل ، فلما توفى أخوه ركب فى أبهة الملك ومشى الناس بين يديه ، وركب إلى جانبه صاحب حمص وعز الدين أيبك المعظمى حامل الغاشية على رأسه ، ثم إنه صادر جماعة من الدماشقة الذين قيل عنهم إنهم مع الكامل ، منهم العالم تعاسيف وأولاد ابن مزهر وحبسهم ببصرى ، وأطلق الحريرى من قلعة عزاز ، وشرط عليه أن لا يدخل دمشق ، ثم قدم الكامل من مصر وانضاف إليه الناصر داود صاحب الكرك ونابلس والقدس ، فحاصروا دمشق حصاراً شديداً ، وقد حصنها الصالح إسماعيل ، وقطع المياه ورد الكامل ماء بردى إلى ثورا ، وأحرق العقبية وقصر حجاج ، فانقر خلق كثير واحترق آخرون ، وجرت خطوب طويلة ، ثم آل الحال فى آخر جمادى الأولى إلى أن سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل ، على أن له بعلبك وبصرى ، وسكن الامر ، وكان الصلح بينهما على يدى القاضى محيى الدين يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى ، اتفق أنه كان بدمشق قد قدم فى رسلية من جهة الخليفة إلى دمشق فجزاه الله تعالى خيراً . ودخل الكامل دمشق وأطلق الفلك بن المسيرى من سجن الحيات بالقلعة الذى كان أودعه فيه الأشرف ، ونقل الأشرف إلى تربته ، وأمر الكامل فى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة أئمة الجامع أن لا يصل أحد منهم المغرب سوى الامام الكبير ، لما كان يقع من التشويش والاختلاف بسبب اجتماعهم فى وقت واحد ، ولنعم ما فعل رحمه الله . وقد فعل هذا فى زماننا فى صلاة التراويح ، اجتمع الناس على قارىء واحد وهو الامام الكبير فى الحراب المقدم عند المنبر ، ولم يبق به إمام يومئذ سوى الذى بالحلبية عند مشهد على

لو ترك لكان حسناً والله أعلم . ﴿ ذكر وفاة الملك الكامل ﴾

محمد بن العادل رحمه الله تعالى . تملك الكامل مدة شهرين ثم أخذه أمراض مختلفة ، من ذلك سعال وإسهال ونزلة في حلقه ، ونقرس في رجله ، فاتفق موته في بيت صغير من دار القصبية ، وهو البيت الذي توفي فيه عمه الملك الناصر صلاح الدين ، ولم يكن عند الكامل أحد عند موته من شدة هيبته ، بل دخلوا فوجدوه ميتاً رحمه الله تعالى . وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وكان أكبر أولاد العادل بعد مودود ، وإليه أوصى العادل لعله بشأنه وكمال عقله ، وتوفر معرفته ، وقد كان جيد الفهم يحب العلماء ، ويسألهم أسئلة مشككة ، وله كلام جيد على صحيح مسلم ، وكان ذكياً مهيباً ذا بأس شديد ، عادل منصف له حرمة وافرة ، وسطوة قوية ، ملك مصر ثلاثين سنة ، وكانت الطرقات في زمانه آمنة ، والرعايا متناصفة ، لا يتجاسر أحد أن يظلم أحداً ، شنع جماعة من الأجناد أخذوا شهيراً لبعض الفلاحين بأرض آمد ، واشتكى إليه بعض الركبدارية أن أستاذه استعمله ستة أشهر بلا أجر ، فأحضر الجندی وألبسه قباب الركبدارية ، وألبس الركبداري ثياب الجندی ، وأمر الجندی أن يخدم الركبدار ستة أشهر على هذه الهيئة ، ويحضر الركبدار الموكب والخدمة حتى ينقضي الأجل فتأدب الناس بذلك غاية الأدب . وكانت له اليد البيضاء في رد ثغر دمياط إلى المسلمين بعد أن استحوذ عليه الفرنج لعنهم الله ، فرابطهم أربع سنين حتى استنقذه منهم ، وكان يوم أخذه له واسترجاعه إياه يوماً مشهوداً ، كما ذكرنا مفصلاً رحمه الله تعالى . وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة ، ودفن بالقلعة حتى كملت تربته التي بالحائط الشمالي من الجامع ذات الشباك الذي هناك قريباً من مقصورة ابن سنان ، وهي السكندية التي عند الحلبية ، نقل إليها ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رمضان من هذه السنة ، ومن شعره يستحث أخاه الأشرف من بلاد الجزيرة حين كان محاصراً بدمياط :

يا مسعفي إن كنت حقاً مسعفي * فارحل بغير تقييد وتوقف
واطو المنازل والديار ولا تنخ * إلا على باب الملك الأشرف
قبل يديه لا عدت وقل له * عنى بحسن تعطف وتلطف
إن مات صنوك عن قريب تلقه * ما بين حد مهند ومثقف
أو تبط عن إنجاز فلقاؤه * يوم القيامة في عراض الموقف

﴿ ذكر ما جرى بعده ﴾

كان قد عهد لولده العادل وكان صغيراً بالديار المصرية ، وبالبلاد الدمشقية ، ولولده الصالح أيوب ببلاد الجزيرة ، فأمضى الأمراء ذلك ، فأما دمشق فاختلف الأمراء بها في الملك الناصر داود بن

المعظم، والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن الملك العادل، فكان ميل عماد الدين ابن الشيخ إلى الجواد، وآخرون إلى الناصر، وكان نازلاً بدار أسامة، فانتظم أمر الجواد وجاءت الرسالة إلى الناصر أن أخرج من البلد، فركب من دار أسامة والعامرة وراه إلى القلعة لا يشكون في ولايته الملك، فسلك نحو القلعة فلما جاوز العمادية عطف برأس فرسه نحو باب الفرج، فصرخت العامرة: لالالا، فسار حتى نزل القبابون عند وطأة برزة. فعزم بعض الأمراء الأشرفية على مسكه، فساق فبات بقصر أم حكيم، وساقوا وراه فتقدم إلى عجلون فتحصن بها وأمن.

﴿ وأما الجواد ﴾

فانه ركب في أبهة الملك وأنفق الأموال والخلع على الأمراء قال السبط: فرق ستة آلاف ألف دينار وخمسة آلاف خلعة، وأبطل المكوس والخور، ونفى الخواطي واستقر مديكته بدمشق، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون، ورحل الناصر داود من عجلون نحو غزة وبلاد الساحل فاستحوذ عليها، فركب الجواد في طلبه ومعه العساكر الشامية والمصرية، وقال للأشرفية كاتبوه وأطمعوه، فلما وصلت إليه كتبهم طمع في موافقتهم، فرجع في سبعمائة راكب إلى نابلس، فقصد الجواد وهو نازل على جيتين، والناصر على سبسطية، فهرب منه الناصر فاستحوذوا على حواصله وأثقاله، فاستغنوا بها وافنقر بسببها فقراً مدقعاً، ورجع الناصر إلى الكرك جريدة قد سلب أمواله وأثقاله، وعاد الجواد إلى دمشق مؤيداً منصوراً.

وفيها اختلفت الخوارزمية على الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب كيفا، وتلك النواحي، وعزموا على القبض عليه، فهرب منهم ونهبوا أمواله وأثقاله، ولجأ إلى سنجار فقصد به بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليحاصره ويأخذه في قفص إلى الخليفة، وكان أهل تلك الناحية يكرهون مجاورته لتكبره وقوة سطوته، فلم يبق إلى أخذه إلا القليل، فكاتب الخوارزمية واستنجد بهم ووعدهم بأشياء كثيرة، فقدموا إليه جرائد ليمنعه من البدر لؤلؤ، فلما أحس بهم لؤلؤ هرب منهم فاستحوذوا على أمواله وأثقاله، فوجدوا فيها شيئاً كثيراً لا يحصى ولا يوصف، ورجع إلى بلده الموصل جريدة خائباً، وسلم الصالح أيوب مما كان فيه من الشدة.

﴿ محمد بن زيد ﴾ ومن توفي فيها من الأعيان:

ابن ياسين الخطيب جمال الدين الدولعي، نسبة إلى قرية بأصل الموصل، وقد ذكرنا ذلك عند ترجمة عمه عبد الملك بن ياسين الخطيب بدمشق أيضاً، وكان مدرساً بالغزالية مع الخطابة، وقد منعه المعظم في وقت عن الأفتاء، فعاتبه السبط في ذلك، فاعتذر بأن شيوخ بلده هم الذين أشاروا عليه بذلك، لكثرة خطئه في فتاويه، وقد كان شديد المواظبة على الوظيفة حتى كاد أن لا يفارق بيت

الخطابة، ولم يحج قط مع أنه كانت له أموال جزيلة، وقف مدرسة بجيرون وسبعا في الجامع . ولما توفى ودفن بمدرسته التي بجيرون ولي الخطابة بعده أخ له وكان جاهلا ، ولم يستقر فيها وتولاها الكمال بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النصيبي ، وولى تدريس الغزالية الشيخ عبدالعزيز بن عبد السلام

﴿ محمد بن هبة الله بن جميل ﴾

الشيخ أبو نصر بن الشيرازي ، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وسمع الكثير على الحافظ ابن عساكر وغيره ، واشتغل في الفقه وأفتى ودرس بالشامية البرانية ، وناب في الحكم عدة سنين ، وكان فقيها عالما فاضلا ذكيا حسن الأخلاق عارفا بالأخبار وأيام العرب والأشعار ، كريم الطباع حميد الآثار ، وكانت وفاته يوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

﴿ القاضي شمس الدين يحيى بن بركات ﴾

ابن هبة الله بن الحسن الدمشقي قاضيا بن سنا الدولة ، كان عالما عفيفا فاضلا عادلا منصفًا نزيها كان الملك الأشرف يقول : ما ولي دمشق مثله ، وقد ولي الحكم ببلده المقدس وناب بدمشق عن القضاة ، ثم استقل بالحكم ، وكانت وفاته يوم الأحد السادس ذى القعدة ، وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون ، وتأسف الناس عليه رحمه الله تعالى . وتوفى بعده .

﴿ الشيخ شمس الدين بن الحوئي ﴾

القاضي زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي ، عرف بابن الاستاذ الحلبي قاضيا بعد بهاء الدين بن شداد ، وكان رئيسا عالما عارفا فاضلا ، حسن الخلق والسمت ، وكان أبوه من الصالحين الكبار رحمهم الله تعالى .

﴿ الشيخ الصالح المعمر ﴾

أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي ، ظهر سماعه من أبي الوقت في سنة خمس عشرة وستمائة فانثال الناس عليه يسمعون منه ، وتفرد بالرواية عنه في الدنيا بعد الزبيدي وغيره ، توفى ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله تعالى .

﴿ صارم الدين ﴾

خطيبا بن عبد الله مملوك شركس ونائبه بعده مع ولده على تنين وتلك الحصون ، وكان كثير الصدقات ، ودفن مع استاذه بقباب شركس ، وهو الذي بناها بعد استاذه ، وكان خيرا قليل الكلام كثير الغزو ومرابطا مدة سنين رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة ﴾

فيها قضى الملك الجواد على الصفي بن مرزوق وصادره بأربعمائة ألف دينار ، وحبس بقلعة

حصن ، فمكث ثلاث سنين لا يرى الضوء . وكان ابن مرزوق محسناً إلى الجواد قبل ذلك إحساناً كثيراً . وساطع الجواد خادماً لزوجته يقال له الناصح فصادر الدماشقة وأخذ منهم نحواً من ستمائة ألف دينار ، ومسك الأمير عماد الدين بن الشيخ الذي كان سبب تملكه دمشق ، ثم خاف من أخيه نجر الدين بن الشيخ الذي بديار مصر ، وقلق من ملك دمشق ، وقال إيش أعمل بالملك ؟ باز وكاب أحب إلى من هذا . ثم خرج إلى الصيد وكاتب الصالح نجم الدين أيوب بن السكامل ، فتقايضا من حصن كيفا وسنجار وما تبع ذلك إلى دمشق ، فلك الصالح دمشق ودخلها في مستهل جمادى الأولى من هذه السنة ، والجواد بين يديه بالغاشية ، وندم على ما كان منه ، فأراد أن يستدرك الفأنت فلم يتفق له ، وخرج من دمشق والناس يلعنونه بوجهه ، بسبب ما أسداه إليهم من المصادرات ، وأرسل إليه الصالح أيوب ليرد إلى الناس أموالهم فلم يلتفت إليه ، وسار وبقيت في ذمته . ولما استقر الصالح أيوب في ملك مصر كما سيأتي حبس الناصح الخادم ، فمات في أسوأ حالة ، من القلة والقمل ، جزاء وفاقا (وما ربك بظلام للعبيد)

وفيهما ركب الصالح أيوب من دمشق في رمضان قاصدا الديار المصرية ليأخذها من أخيه العادل لصغره ، فنزل بنابلس واستولى عليها وأخرجها من يد الناصر داود ، وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ليقدّم عليه ليكون في صحبته إلى الديار المصرية ، وكان قد جاء إليه إلى دمشق لبيابته فحمل يسوف به ويعمل عليه ويحالف الأمراء بدمشق ليكون ملكهم ، ولا يتجاسر أحد من الصالح أيوب لجبروته أن يخبره بذلك ، وانقضت السنة وهو مقيم بنابلس يستدعى إليه وهو يماطله .
ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ جمال الدين الحصري الحنفي ﴾

محمود بن أحمد العلامة شيخ الحنفية بدمشق ، ومدرس النورية ، أصله من قرية يقال لها حصير من معاملة بخارى ، تفقه بها وسمع الحديث الكثير ، وصار إلى دمشق فانتهت إليه رئاسة الحنفية بها ، لا سيما في أيام المعظم ، كان يقرأ عليه الجامع الكبير ، وله عليه شرح ، وكان يحترمه ويظمه ويكرمه ، وكان رحمه الله غزير الدعة كثير الصدقات ، عاقلاً نزهةً عفيفاً ، توفى يوم الأحد ثامن صفر ودفن بمقابر الصوفية نعمة الله برحمته . توفى وله تسعون سنة ، وأول درسه بالنورية في سنة إحدى عشر وستمائة ، بهد الشرف داود الذي تولاهما بهد البرهان مسعود ، وأول مدرسيها رحمهم الله تعالى الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين علي بن حمويه ، كان سبباً في ولاية الجواد دمشق ثم سار إلى مصر فلما صاحبها العادل بن السكامل بن العادل ، فقال الآن أرجع إلى دمشق وأمر الجواد بالسير إليك ، على أن تكون له اسكندرية عوض دمشق ، فان امتنع عزلته عنها وكنت أماً نائبك فيها ، فنهاه أخوه نجر الدين بن الشيخ عن تعاطي ذلك فلم يقبل ، ورجع إلى دمشق فتلقاه

الجواد إلى المصلى وأنزله عنده بالقلمة بدار المسرة ، وخادعه عن نفسه ثم دس إليه من قتله جهرة في صورة مستغيث به ، واستحوذ على أمواله وحواصله ، وكانت له جنازة حافلة ، ودفن بقاسيون

﴿ الوزير جمال الدين علي بن حديد ﴾

وزر للأشرف واستوزره الصالح أيوب أياماً ، ثم مات عقب ذلك ، كان أصله من الرقة ، وكان له أملاك يسيرة يعيش منها ، ثم آل أمره أن وزر للأشرف بدمشق ، وقد هجاه بعضهم ، وكانت وفاته بالجواليق في جمادى الآخرة ، ودفن بمقابر الصوفية .

﴿ جعفر بن علي ﴾

ابن أبي البركات بن جعفر بن يحيى الهمداني ، راوية السلفي ، قدم إلى دمشق صحبة الناصر داود ، وسمع عليه أهلها ، وكانت وفاته بها ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى ، وله تسعون سنة .

﴿ الحافظ الكبير زكي الدين ﴾

أبو عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشبيلي ، أحد من اعتنى بصناعة الحديث وبرز فيه ، وأفاد الطلبة ، وكان شيخ الحديث بمشهد ابن عروة ، ثم سافر إلى حلب ، فتوفي بحماه في رابع عشر رمضان من هذه السنة ، وهو جد شيخنا الحافظ علم الدين بن القاسم بن محمد البرزالي ، مؤرخ دمشق الذي ذيل على الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، وقد ذيلت أنا على تاريخه بعون الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة ﴾

استهل هذه السنة وسلطان دمشق نجم الدين الصالح أيوب بن الكامل مخيم عند نابلس ، يستدعي عمه الصالح إسماعيل ليسير إلى الديار المصرية ، بسبب أخذها من صاحبها العادل بن الكامل ، وقد أرسل الصالح إسماعيل ولده وابن يغمور إلى صحبة الصالح أيوب ، فهما ينفقان الأموال في الأمراء ويحلفانهم على الصالح أيوب للصالح إسماعيل ، فلما تم الأمر وتمكن الصالح إسماعيل من مراده أرسل إلى الصالح أيوب يطلب منه ولده ليكون عوضه ببعليك ، ويسير هو إلى خدمته ، فأرسله إليه وهو لا يشعر بشيء مما وقع ، وكل ذلك عن ترتيب أبي الحسن غزال المتطبب وزير الصالح - وهو الأمين واقف أمينية ببعليك - فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر هجم الملك الصالح إسماعيل وفي صحبته أسد الدين شيركوه صاحب حمص إلى دمشق ، فدخلاها بغتة من باب الفراديس ، فنزل الصالح إسماعيل بداره من درب الشعارين ، ونزل صاحب حمص بداره ، وجاء نجم الدين بن سلامة فهنا الصالح إسماعيل ورقص بين يديه وهو يقول : إلى بينك جئت . وأصبحوا فحاصروا القلعة وبها المغيث عمر بن الصالح نجم الدين ، ونقبوا القلعة من ناحية باب الفرج ، وهتكوا حرمتها ودخلوها وتسلموها واعتقلوا المغيث في برج هنالك . قال أبو شامة : واحتوت دار الحديث وما هنالك من الحوانيت

والدور حول القلعة . ولما وصل الخبر بما وقع إلى الصالح أيوب تفرق عنه أصحابه والأمراء خوفاً على أهاليهم من الصالح إسماعيل ، وبقى الصالح أيوب وحده بمماليكه وجاريته أم ولده خليل ، وطمع فيه الفلاحون والفوارنة ، وأرسل الناصر داود صاحب الكرك إليه من أخذه من نابلس مهاناً على بغلة بلا مهماز ولا مقدمة ، فاعتقله عنده سبعة أشهر ، وأرسل العادل من مصر إلى الناصر يطلب منه أخاه الصالح أيوب ويعطيه مائة ألف دينار ، فما أجابه إلى ذلك ، بل عكس ما طلب منه باخراج الصالح من سجنه والافراج عنه وإطلاقه من الحبس يركب وينزل ، فعند ذلك حاربت الملوك من دمشق ومصر وغيرها الناصر داود ، وبرز العادل من الديار المصرية إلى بلبيس قاصداً قتال الناصر داود ، فاضطرب الجيش عليه واختلفت الأمراء ، وقيدوا العادل واعتقلوه في خرگاه ، وأرسلوا إلى الصالح أيوب يستدعونه إليهم ، فامتنع الناصر داود من إرساله حتى اشترط عليه أن يأخذ له دمشق وحمص وحلب بلاد الجزيرة وبلاد ديار بكر ونصف مملكة مصر ، ونصف مافي الخزان من الحواصل والأموال والجواهر . قال الصالح أيوب : فأجبت إلى ذلك مكرهاً ، ولا تقدر على ما اشترط جميع ملوك الأرض ، وسرنا فأخذته معي خائفاً أن تكون هذه الكائنة من المصريين مكيدة ، ولم يكن لي به حاجة ، وذكر أنه كان يسكر ويخبط في الأمور ويخالف في الآراء السديدة . فلما وصل الصالح إلى المصريين ملكوه عليهم ودخل الديار المصرية سالماً مؤيداً منصوراً مظفراً محبوباً مسروراً ، فأرسل إلى الناصر داود عشرين ألف دينار فردها عليه ولم يقبلها منه . واستقر ملكه بمصر . وأما الملك الجواد فإنه أساء السيرة في سنجار وصادر أهلها وعسفهم ، فكاتبوا بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقصدهم - وقد خرج الجواد للصيد - فأخذ البلد بغير شيء وصار الجواد إلى غانة ، ثم باعها من الخليفة بعد ذلك .

وفي ربيع الأول درس القاضي الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد الجبلي بالشامية البرانية . وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر ولي الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي خطابة جامع دمشق ، وخطب الصالح إسماعيل لصاحب الروم ببلد دمشق وغيرها ، لأنه حالفه على الصالح أيوب . قال أبو شامة : وفي حزيران أيام الشمس جاء مطر عظيم هدم كثيراً من الحيطان وغيرها ، وكنت يومئذ بالمرزة .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ صاحب حمص ﴾

الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي ، وولاه إياها الملك الناصر صلاح الدين بعد موت أبيه سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، فكث فيها سبعاً وخمسين سنة ، وكان من أحسن الملوك سيرة ، طهر بلاده من الخمر والمكوس والمنكرات ، وهي في غاية الأمن والعدل ، لا يتجاسر أحد من الفرنج ولا العرب يدخل بلاده إلا أهانه غاية الإهانة ،

وكانت ملوك بني أيوب يتقونونه لأنه يرى أنه أحق بالأمر منهم ، لأن جده هو الذي فتح مصر ، وأول من ملك منهم ، وكانت وفاته رحمه الله بمصر ، وعمل عزاءه بجامع دمشق عفا الله عنه بمنه .

﴿ القاضي الحوبى شمس الدين أحمد بن خليل ﴾

ابن سعادة بن جعفر الحوبى قاضى القضاة بدمشق يومئذ ، وكان عالماً بفتون كثيرة من الأصول والفروع وغير ذلك ، وكانت وفاته يوم السبت بعد الظهر السابع من شعبان ، وله خمس وخمسون سنة بالمدرسة العادلية ، وكان حسن الأخلاق جميل المعاشرة ، وكان يقول لا أقدر على إيصال المناصب إلى مستحقها ، له مصنفات منها عروض قال فيه أبو شامة :

أحمد بن الخليل أرشده ال * له لما أرشدا لخليل بن أحمد

ذلك مستخرج العروض وه * إذما ظهر السرمنه والمواد أحمد

وقد ولى القضاء بعد رفيع الدين عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل بن عبد الهادى الحنبلى مع تدريس العادلية ، وكان قاضياً ببعلبك . فأحضره إلى دمشق الوزير أمين الدين الذى كان سامرياً فأسلم ، ووزر للصالح إسماعيل ، واتفق هو وهذا القاضى على أكل أموال الناس بالباطل . قال أبو شامة : ظهر منه سوء سيرة وعسف وفسق وجور ومصادرة فى الأموال . قلت : وقد ذكر غيره عنه أنه ربما حضر يوم الجمعة فى المشهد السكالى بالشباك وهو سكران ، وأن قناتى الخمر كانت تكون على بركة العادلية يوم السبت ، وكان يعتمد فى التركات اعتماداً سيئاً جداً ، وقد عامله الله تعالى بنقيض مقصوده ، وأهلكه الله على يدي من كان سبب سعادته ، كما سيأتى بيانه قريباً إن شاء الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستائة ﴾

فيها سلم الصالح إسماعيل صاحب دمشق حصن سعييف أربون لصاحب صيدا الفرنجى ، فاشتد الانكار عليه بسبب ذلك من الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب البلد ، والشيخ أبى عمرو بن الحاجب شيخ المالكية ، فاعتقلهما مدة ثم أطلقهما وأزهما منازلهما ، وولى الخطابة وتدريس الغزالية لعهاد الدين داود بن عمرو بن يوسف المقدسى خطيب بيت الأبار ، ثم خرج الشيخان من دمشق فقصد أبو عمرو والناصر داود بالكرك ، ودخل الشيخ عز الدين الديار المصرية ، فتلقاء صاحبها أيوب بالاحترام والاكرام ، وولاه خطابة القاهرة وقضاء مصر ، واشتغل عليه أهلها فكان ممن أخذ عنه الشيخ اتقى الدين ابن دقيق العيد رحمهما الله تعالى .

وفيها قدم رسول من ملك التتار تولى بن جنكيزخان إلى ملوك الاسلام يدعوهم إلى طاعته

و يأمرهم بتخريب أسوار بلادهم . وعنوان الكتاب : من نائب رب السماء مسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب قان قان . وكان الكتاب مع رجل مسلم من أهل أصبهان لطيف الأخلاق ، فأول ما ورد على شهاب الدين غازي بن العادل بميا فارقين ، وقد أخبر بمجائب في أرضهم غريبة ، منها أن في البلاد المتاخمة للسد أناساً أعينهم في مناكبهم ، وأفواههم في صدورهم ، يأكلون السمك وإذا رأوا أحداً من الناس هربوا . وذكر أن عندهم بزرا يثبت الغنم يعيش الخروف منها شهرين وثلاثة ، ولا يتناسل . ومن ذلك أن بما زنديران عينا يطلع فيها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة ، فتقيم طول النهار فاذا غابت الشمس غابت في العين فلا ترى إلى مثل ذلك الوقت ، وأن بعض الملوك احتال لمسكوها بسلاسل ربطت فيها ففارت وقطعت تلك السلاسل ، ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلاسل وهي إلى الآن كذلك . قال أبو شامة : وفيها قلت المياه من السماء والأرض ، وفسد كثير من الزرع والثمار والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير .

﴿ محي الدين بن عربي ﴾

صاحب الفصوص وغيره ، محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة ، وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً ، فيها ما يعقل وما لا يعقل ، وما ينكر وما لا ينكر ، وما يعرف وما لا يعرف ، وله كتابه المسمى بفصوص الحسك فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح ، وله كتاب العبادلة وديوان شعر رائع ، وله مصنفات أخر كثيرة جداً ، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته ، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتغال وبه احتفال ولجميع ما يقوله احتمال . قال أبو شامة : وله تصانيف كثيرة وعليه التصنيف سهل ، وله شعر حسن وكلام طويل على طريق التصوف ، وكانت له جنازة حسنة ، ودفن بمقبرة القاضي محي الدين بن الزكي بقاسيون ، وكانت جنازته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة . وقال ابن السبط كان يقول إنه يحفظ الأسم الأعظم ويقول إنه يعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ، وكان فاضلاً في علم التصوف ، وله تصانيف كثيرة .

﴿ القاضي نجم الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن محمد بن خفاف بن راجح المقدسي الحنبلي الشافعي ، المعروف بابن الحنبلي ، كان شيخاً فاضلاً دينياً بارعاً في علم الخلاف ، ويحفظ الجمع بين الصحيحين للحميدي ، وكان متواضعاً حسن الأخلاق ، قد طاف البلدان يطلب العلم ثم استقر بدمشق ودرس بالفداوية والصارمية والشامية الجوانية وأم الصالح ، وناب في الحسك عن جماعة من القضاة إلى أن توفي بها ، وهونائب الرفيع الجبلي ، وكانت

وفاته يوم الجمعة سادس شوال ودفن بقاسيون .

﴿ ياقوت بن عبد الله أمين الدين الرومي ﴾

منسوب إلى بيت أتابك ، قدم بغداد مع رسول صاحب الموصل لؤلؤ . قال ابن الساعي ، اجتمعت به وهو شاب أديب فاضل ، يكتب خطا حسنا في غاية الجودة ، وينظم شعرا جيدا ، ثم روى عنه شيئا من شعره . قال وتوفي في جمادى الآخرة محبوبا .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ﴾

فيها قصد الملك الجواد أن يدخل مصر ليكون في خدمة الصالح أيوب ، فلما وصل إلى الرمل توهم منه الصالح أيوب وأرسل إليه كمال الدين ابن الشيخ ليقبض عليه ، فرجع الجواد فاستجار بالناصر داود ، وكان إذ ذاك بالقدس الشريف ، وبعث منه جيشا فالتقوا مع ابن الشيخ فكسروه وأمسروه فوبخه الناصر داود ثم أطلقه ، وأقام الجواد في خدمة الناصر حتى توهم منه فقيدته وأرسله تحت الحوطة إلى بغداد ، فأطلقه بطن من العرب عن قوة فلجأ إلى صاحب دمشق مدة ، ثم انتقل إلى الفرنج ، ثم عاد إلى دمشق فحبسه الصالح إسماعيل بعزتا إلى أن مات في سنة إحدى وأربعين كما سيأتي .

وفيها شرع الصالح أيوب في بناء المدارس بمصر ، وبنى قلعة بالجزيرة غرم عليها شيئا كثيرا من بيت المال ، وأخذ أملاك الناس وخرّب نيفا وثلاثين مسجدا ، وقطع ألف نخلة . ثم أخرجها الترك في سنة إحدى وخمسين كما سيأتي بيانه . وفيها ركب الملك المنصور بن إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص ومعه الحلبيون ، فاقتتلوا مع الخوارزمية بأرض حران ، فكسروهم ومزقوهم كل ممزق ، وعادوا منصورين إلى بلادهم ، فاصطلى شهاب الدين غازي صاحب ميا فارقين مع الخوارزمية وآواهم إلى بلاده ليكونوا من حزبه . قال أبو شامة : وفيها كان دخول الشيخ عز الدين إلى الديار المصرية فأكرمه صاحبها وولاه الخطابة بالقاهرة وقضاء القضاة بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين المرقع ثم عزل نفسه مرتين وانقطع في بيته رحمه الله تعالى .

قال : وفيها توفي الشمس بن الخباز النحوي الضرير في سابع رجب . والكامل بن يونس الفقيه في النصف من شعبان ، وكانا فاضلي بلدهما في قههما . قلت . أما :

﴿ الشمس بن الخباز ﴾

فهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور بن علي ، الضرير النحوي الموصل المعروف بابن الخباز ، اشتغل بعلم العربية وحفظ المفصل والايضاح والتكلمة والعروض والحساب ، وكان يحفظ الجمل في اللغة وغير ذلك ، وكان شافعي المذهب كثير النوادر والملح ، وله أشعار جيدة ، وكانت وفاته عاشر رجب وله من العمر خمسون سنة رحمه الله تعالى . وأما :

﴿ السكال بن يونس ﴾

فهو موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العقيلي ، أبو الفتح الموصلى شيخ الشافعية بها ، ومدرس بعدة مدارس فيها ، وكانت له معرفة تامة بالاصول والفروع والمعقولات والمنطق والحكمة ، ورحل إليه الطلبة من البلدان ، وبلغ ثمانياً وثمانين عاماً ، وله شعر حسن . فن ذلك ما امتدح به البدر لؤلؤ صاحب الموصل وهو قوله :

لئن زينت الدنيا بمالك أمرها * فملكها الدنيا بكم تقشرف
بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعيك مشكور ورحمك ينصف

كان مولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وتوفى للنصف من شعبان هذه السنة ، رحمه الله تعالى قال أبو شامة : وفيها توفى بدمشق :

﴿ عبد الواحد الصوفي ﴾

الذي كان قسا راهباً في كنيسة مريم سبعين سنة ، أسلم قبل موته بأيام ، ثم توفى شيخاً كبيراً بعد أن أقام بخانقاه السيمساطية أياماً ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكانت له جنازة حافلة ، حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله تعالى .

﴿ أبو الفضل أحمد بن اسفنديار ﴾

ابن الموفق بن أبي علي البوسنجي الواعظ ، شيخ رباط الأرجوانية . قال ابن الساعي : كان جميل الصورة حسن الأخلاق كثير التودد والتواضع ، متكلماً متفوهاً منطقياً حسن العبارة جيد الوعظ طيب الانشاد عذب اليراد ، له نظم حسن ، ثم ساق عنه قصيدة يمدح بها الخليفة المستنصر .

﴿ أبو بكر محمد بن يحيى ﴾

ابن المظفر بن علم بن نعيم المعروف بابن الحسر السلمي ، شيخ عالم فاضل ، كان حنبلياً ثم صار شافعيّاً ، ودرس بعدة مدارس ببغداد للشافعية ، وكان أحد المعدلين بها ، تولى مباشرات كثيرة ، وكان فقيهاً أصولياً عالماً بالخلاف ، وتقدم ببطله وعظم كثيراً ، ثم استنابه ابن فضلان بدار الحرير ، ثم صار من أمره أن درس بالنظامية وخلع عليه ببغلة ، وحضر عنده الأعيان ، وما زال بها حتى توفى عن ثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

﴿ قاضي القضاة ببغداد ﴾

أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل بن علي الواسطي الشافعي ، اشتغل ببغداد وحصل وأعاد في بعض المدارس ، ثم استنابه قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر في أيام الخليفة الظاهر بن الناصر ، ثم ولي قضاء القضاة مستقلاً ، ثم ولي تدريس المستنصرية بعد

موت أول من درس بها محي الدين محمد بن فضلان ، ثم عزل عن ذلك كله وعن مشيخة بعض الربط .
ثم كانت وفاته في هذا العام ، وكان فاضلاً ديناً متواضعاً رحمه الله تعالى وعفا عنه .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وستمائة ﴾

فيها توفي الخليفة المستنصر بالله وخلافة ولده المستعصم بالله ، فكانت وفاة الخليفة أمير المؤمنين
بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة ، وله من العمر إحدى وخمسون سنة ، وأربعة أشهر وسبعة أيام ،
وكنتم موته حتى كان الدعاء له على المنابر ذلك اليوم ، وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وعشرة
أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى التربة من الرصافة . وكان جميل
الصورة حسن السريرة جيد السيرة ، كثير الصدقات والبر والصلوات ، محسناً إلى الرعية بكل ما
يقدر عليه ، كان جده الناصر قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة ، فكان يقف
على حافتها ويقول : أتري أعيش حتى أملاًها ، وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول أتري أعيش
حتى أنفقها كلها . فكان يبني الربط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات ، وقد عمل بكل
محلة من محال بغداد دار ضيافة للمقراء ، لا سيما في شهر رمضان ، وكان يتقصد الجوارى اللاتي قد
بلغن الأربعين فيشتريهن له فيعتقهن ويجهزهن ويزوجهن ، وفي كل وقت يبرز صلواته ألوف متعددة
من الذهب ، تفرق في المحال ببغداد على ذوى الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم ، تقبل الله تعالى
منه جزاءه خيراً ، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، وجعل فيها دار حديث
وحماما ودار طب ، وجعل لمستحقها من الجوامك والأطعمة والحلاوات والفاكهة ما يحتاجون إليه في
أوقاته ، ووقف عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل إن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها .
ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير ، فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد وسائر
البلاد ، وقد احترق في أول هذه السنة المشهد الذي بسامرا المنسوب إلى علي الهادي والحسن
العسكري ، وقد كان بناه أرسلان البساسيري في أيام تغلبه على تلك النواحي ، في حدود سنة خمسين
وأربعمائة ، فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه ، وقد تكلمت الروافض في الاعتذار عن
حريق هذا المشهد بكلام طويل بارد لا حاصل له ، وصنفوا فيه أخباراً وأنشدوا أشعاراً كثيرة لا معنى
لها ، وهو المشهد الذي يزعمون أنه يخرج منه المنتظر الذي لاحقيقة له ، فلاعين ولا أثر ، ولولم يكن
أجدر ، وهو الحسن بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي
ابن محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بكر بلاء بن علي بن أبي طالب رضی الله
عنهم أجمعين ، وقببح من يفلو فيهم ويبيض بسببهم من هو أفضل منهم .
وكان المستنصر رحمه الله كريماً حليماً رئيساً متودداً إلى الناس ، وكان جميل الصورة حسن الأخلاق

بهى المنظر ، عليه نور بيت النبوة رضى الله عنه وأرضاه . وحكى أنه اجتاز راكبا فى بعض أزقة بغداد قبل غروب الشمس من رمضان ، فرأى شيخا كبيرا ومعه إناء فيه طعام قد حمله من محلة إلى محلة أخرى ، فقال : أيها الشيخ لم لأخذت الطعام من محلتك ؟ وأنت محتاج تأخذ من المحلتين ؟ فقال لا والله يا سيدى - ولم يعرف أنه الخليفة - ولكنى شيخ كبير ، وقد نزل بى الوقت وأنا أستحي من أهل محلتى أن أراهم وقت الطعام ، فيشمت بى من كان يبغضنى ، فأنا أذهب إلى غير محلتى فأخذ الطعام وأتبعين وقت كون الناس فى صلاة المغرب فأدخل بالطعام إلى منزلى بحيث لا يرانى أحد . فبكى الخليفة رحمه الله وأمر له بألف دينار ، فلما دفعت إليه فرح الشيخ فرحا شديدا حتى قيل إنه انشق قلبه من شدة الفرح ، ولم يعيش بعد ذلك إلا عشرين يوما ، ثم مات فخلف الألف دينار إلى الخليفة ، لأنه لم يترك وارثا . وقد أنفق منها دينارا واحدا ، فتمعجب الخليفة من ذلك وقال : شئ قد خرجنا عنه لا يعود إلينا ، تصدقوا بها على فقراء محلتنا ، فرحمه الله تعالى .

وقد خلف من الاولاد ثلاثة ، اثنان شقيقان وهما أمير المؤمنين المستعصم بالله الذى ولى الخلافة بعده وأبو أحمد عبدالله ، والأمير أبو القاسم عبد العزيز وأختهما من أم أخرى كريمة صان الله حجابها . وقد رثاه الناس بأشعار كثيرة أورد منها ابن الساعى قطعة سالحة ، ولم يستوزر أحدا بل أقرأها الحسن محمد بن محمد القمى على نيابة الوزارة ، ثم كان بعده نصر الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد الناقد الذى كان أستاذ دار الخلافة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

✽ خلافة المستعصم بالله ✽

أمير المؤمنين وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد ، وهو الخليفة الشهيد الذى قتله التتار بأمر هلاكو ابن تولى ملك التتار بن جنكيزخان لعنهم الله ، فى سنة ست وخمسين وستمائة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وهو أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن أمير المؤمنين المستنصر بالله أبى جعفر المنصور بن أمير المؤمنين الظاهر بالله أبى نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضى بالله أبى محمد الحسن بن أمير المؤمنين المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن أمير المؤمنين المقتدى لأمر الله أبى عبد الله محمد بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبى العباس أحمد بن الخليفة المقتدى بأمر الله أبى القاسم عبد الله وبقية نسبه إلى العباس فى ترجمة جده الناصر ، وهؤلاء الذين ذكرناهم كلهم ولى الخلافة يتلو بعضهم بعضاً ، ولم يتفق هذا لأحد قبل المستعصم ، أن فى نسبه ثمانية نسقا ولوا الخلافة لم يتخلطهم أحد ، وهو التاسع رحمه الله تعالى بمنه .

لما توفى أبوه بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة أربعين وستمائة استدعى هو من التاج يومئذ بعد الصلاة فبويع بالخلافة ، ولقب بالمستعصم ، وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وشهور ، وقد

أتقن في شببته تلاوة القرآن حفظاً وتجويداً ، وأتقن العربية والخط الحسن وغير ذلك من الفضائل على الشيخ شمس الدين أبي المظفر علي بن محمد بن النيار أحد أئمة الشافعية في زمانه ، وقد أكرمه وأحسن إليه في خلافته ، وكان المستنصر على ما ذكر كثير التلاوة حسن الأداء طيب الصوت ، يظهر عليه خشوع وإناة ، وقد نظر في شيء من التفسير وحل المشكلات ، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً مقتدياً بأبيه المستنصر جهده وطاقته ، وقد مشت الأمور في أيامه على السداد والاستقامة بحمد الله ، وكان القائم بهذه البيعة المستعصمية شرف الدين أبو الفضائل إقبال المستنصرى ، فبايعه أولاً بنو عمه وأهله من بني العباس ، ثم أعيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومن بعدهم من أولى الحل والمعتمد والعامية وغيرهم ، وكان يوماً مشهوداً ومجمعاً محموداً ورأياً سعيدياً ، وأمراً حميداً ، وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار والبلدان والأمصار ، وخطب له في سائر البلدان ، والأقاليم والرساتيق ، وعلى سائر المنابر شرقاً وغرباً ، بعداً وقرباً ، كما كان أبوه وأجداده ، رحمهم الله أجمعين .

وفيها وقع من الحوادث أنه كان بالعراق وباء شديد في آخر أيام المستنصر وغلا السكر والأدوية فتصدق الخليفة المستنصر بالله رحمه الله بسكر كثير على المرضى ، تقبل الله منه . وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان أذن الخليفة المستنصر بالله لأبي الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزى - وكان شاباً ظريفاً فاضلاً - في الوعظ بباب البدرية ، فتكلم وأجاد وأفاد وامتح الخليفة المستنصر بقصيدة طويلة فصيحة ، سردها ابن الساعى بكاملها ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، والشبل في الخبز مثل الأسد . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الحلبيين وبين الخوارزمية ، ومع الخوارزمية شهاب الدين غازى صاحب ميا فارقين ، فكسروهم الحلبيون كسرة عظيمة منكسة ، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً جداً ، ونهبت نصيبين مرة أخرى ، وهذه سابع عشر مرة نهبت في هذه السنين ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وعاد الغازى إلى ميا فارقين وتفرقت الخوارزمية يفسدون في الأرض صحبة مقدمهم بركات خان ، لا بارك الله فيه ، وقدم على الشهاب غازى منشور بمدينة خلاط فتسلمها وما فيها من الحواصل . وفيها عزم الصالح أيوب صاحب مصر على دخول الشام فقيل له إن العساكر مختلفة فجهز عسكراً إليها وأقام هو بمصر يدير مملكتها .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ المستنصر بالله ﴾

أمير المؤمنين كما تقدم . والحزمة المصونة الجليلة .

﴿ خاتون بنت عز الدين مسعود ﴾

ابن مودود بن زنى بن آقسنقر الأتابكية واقعة المدرسة الأتابكية بالصالحية ، وكانت زوجة

السلطان الملك الأشرف رحمه الله وفي ليلة وفاتها كانت وقفت مدرستها وتربتها بالجبل قاله أبو شامة :
ودفنت بها رحمه الله تعالى وتقبل منها .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة ﴾

فيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق ،
على أن يرد إليه ولده المغيث عمر بن الصالح أيوب المعتقل في قلعة دمشق ، وتستقر دمشق في يد
الصالح إسماعيل ، فوقع الصلح على ذلك ، وخطب للصالح أيوب بدمشق ، فخاف الوزير أمين الدولة
أبو الحسن غزال المسلماني ، وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر ، فقال لمخدومه : لا ترد هذا
الغلام لأبيه تخرج البلاد من يدك ، هذا خاتم سليمان بيدك للبلاد ، فعند ذلك أبطل ما كان وقع من
الصلح ورد الغلام إلى القلعة ، وقطعت الخطبة للصالح أيوب ، ووقعت الوحشة بين الملكين ، وأرسل
الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستحضرهم لحصار دمشق فأن الله وإنا إليه راجعون . وكانت الخوارزمية قد
فتحوها في هذه السنة بلاد الروم وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين ، وكان قليل العقل يلعب
بالكلاب والسباع ، ويسلطها على الناس ، فاتفق أنه عضه سبع فمات فتغلبوا على البلاد حينئذ .
وفيها احتيط على أعوان القاضي الرفيع الجبلي ، وضرب بعضهم بالمقارع ، وصودروا ورسم على
القاضي الرفيع بالمدرسة المقدمة داخل باب الفراديس ، ثم أخرج ليلا وذهب به فسجن بمغارة أفتقه من
نواحي البقاع ، ثم انقطع خبره . وذكروا أبو شامة أنه توفي ، ومنهم من قال إنه ألقى من شاهق ، ومنهم
من قال خنق ، وذلك كله بنى الحججة من هذه السنة . وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه قرئ
منشور ولاية القضاء بدمشق لحى الدين بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي ، بالشباك السكالي
من الجامع ، كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة . وزعم السبط أن عزله إنما كان في السنة
الآتية ، وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له : إنه قد أورد إلى خزانته من
الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس . فأنكر الصالح ذلك ، ورد عليه الجواب أنه لم يرد سوى
ألف ألف درهم ، فأرسل القاضي يقول فأننا أحاقق الوزير ، وكان الصالح لا يخالف الوزير ، فأشار
حينئذ على الصالح فعزله لتبرأ ساحة السلطان من شناعات الناس ، فعزله وكان من أمره ما كان .
وفوض أمر مدرسه إلى الشيخ تقي الدين ابن الصلاح فعين العادلية للسكالي التفليسى ، والعندراوية
لحى الدين بن الزكي الذي ولي القضاء بعده ، والأمينية لابن عبد الكافي ، والشامية البرانية للثقي
الحموي ، وغيب القاضي الرفيع وأسقط عدالة شهوده ، قال السبط : أرسله الأمين مع جماعة على بغل
بألف لبعض النصارى إلى مغارة أفتقه في جبل لبنان من ناحية الساحل ، فأقام بها أياما ثم أرسل
إليه عدلين من بعلبك ليشهدا عليه ببيع أملاكه من أمين الدولة ، فذكرا أنهما شاهداه وعليه

بمخيفة وقندورة ، وأنه استطمعها شيئا من الزاد وذكر أن له ثلاثة أيام لم يأكل شيئا ، فأطعماه من زوادتهما وشهدا عليه وانصرفا ، ثم جاءه داود النصراني فقال له قم فقد أمرنا بمملك إلى بعلبك ، فأيقن بالهلاك حينئذ ، فقال دعوني أصلي ركعتين ، فقال له قم ، فقام يصلي فأطال الصلاة فرسه النصراني فألقاه من رأس الجبل إلى أسفل الوادي الذي هناك ، فما وصل حتى تقطع ، وحكى أنه تعلق ذيله بسن الجبل فما زال داود يرميه بالحجارة حتى ألقاه إلى أسفل الوادي ، وذلك عند السقيف المطل على نهر إبراهيم . قال السبط : وقد كان فاسد العقيدة دهر يا مستهزئا بأمر الشرع ، يخرج إلى المجلس سكرانا ويحضر إلى الجمعة كذلك ، وكانت داره كالحانات . فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال : وأخذ الموفق الواسطي أحد أمنائه - وكان من أكبر البلايا - أخذ لنفسه من أموال الناس ستمائة ألف درهم ، فعوقب عقوبة عظيمة حتى أخذت منه ، وقد كسرت ساقاه ومات تحت الضرب ، فألقي في مقابر اليهود والنصارى ، وأكته الكلاب .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ شمس الدين أبو الفتوح ﴾

أسعد بن المنجى التنوخي المعري الحنبلي ، قاضي حران قديما ، ثم قدم دمشق ودرس بالمسارية وتولى خدمات في الدولة العظيمة ، وكانت له رواية عن ابن صابر والقاضيين الشهزوري وابن أبي عصرون ، وكانت وفاته في سابع ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الحافظ الصالح ﴾

تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفي ، كان يدري الحديث وله به معرفة جيدة ، أثنى عليه أبو شامة وصلى عليه بجامع دمشق ودفن بقاسيون رحمه الله .

﴿ واقف الكروسية ﴾

محمد بن عقيل بن كروس ، جمال الدين محتسب دمشق ، كان كيساً متواضعا ، توفي بدمشق في شوال ودفن بداره التي جعلها مدرسة ، وله دار حديث رحمه الله تعالى وعفا عنه .

﴿ الملك الجواد يونس بن ممدود ﴾

ابن العادل أبي بكر بن أيوب الملك الجواد ، وكان أبوه أكبر أولاد العادل ، تقلبت به الأحوال وملك دمشق بعد عمه الكامل محمد بن العادل ، وكان في نفسه جيدا محبا للصالحين ، ولكن كان في بابه من يظلم الناس وينسب ذلك إليه ، فأبغضته العامة وسبوه وأجؤوه إلى أن قايض بدمشق الملك الصالح أيوب بن الكامل إلى سنجار وحصن كيفا ، ثم لم يحفظهما بل خرجتا عن يده ، ثم آكل به الحال إلى أن سجنه الصالح إسماعيل بمحصن عزنا ، حتى كانت وفاته في هذه السنة ، ونقل في شوال إلى تربة المعظم بسفح قاسيون ، وكان عنده ابن يغمور معتقلا فحوله الصالح إسماعيل إلى قلعة دمشق ، فلما

ملكها الصالح أيوب نقله إلى الديار المصرية وشنقه مع الأمين غزال وزير الصالح إسماعيل ، على قلعة القاهرة ، جزاء على صنعهما في حق الصالح أيوب رحمه الله تعالى . أما ابن يغمور فإنه عمل عليه حتى حول ملك دمشق إلى الصالح إسماعيل ، وأما أمين الدولة فإنه منع الصالح من تسليم ولده عمر إلى أبيه فانتقم منهما بهذا ، وهو معذور بذلك

﴿ مسعود بن أحمد بن مسعود ﴾

ابن مازة الحاربي أحد الفقهاء الحنفية الفضلاء ، وله علم بالتفسير وعلم الحديث ، ولديه فضل غزير قدم بغداد صحبة رسول التتار للحج ، فحبس مدة سنين ثم أفرج عنه ، فخرج ثم عاد ، فمات ببغداد في هذه السنة ، رحمه الله تعالى ﴿ أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسن ﴾

ابن الحسين بن علي بن محمد البطريق بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدي الحلبي ، ثم الواسطي ، ثم البغدادي ، الكاتب الشاعر الشيعي ، فقيه الشيعة ، أقام بدمشق مدة وامتدح كثير أمن الأمراء والملوك ، منهم الكامل صاحب مصر وغيره ، ثم عاد إلى بغداد فكان يشغل الشيعة في مذهبهم ، وكان فاضلاً ذكياً جيد النظم والنثر ، لكنّه مخذول محبوب عن الحق . وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من أشعاره الدالة على غزارة مادته في العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة ﴾

فيها استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد العلقمي المشؤم على نفسه ، وعلى أهل بغداد ، الذي لم يعصم المستعصم في وزارته ، فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضى الطريقة ، فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاء كو وجنوده قبحه الله وإياهم ، وقد كان ابن العلقمي قبل هذه الوزارة أستاذ دار الخلافة ، فلما مات نصر الدين محمد بن الناقد استوزر ابن العلقمي وجعل مكانه في الاستادارية الشيخ محي الدين يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان من خيار الناس ، وهو واقف الجوزية التي بالنشابين بدمشق تقبل الله منه . وفيها جعل الشيخ شمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن النيار مؤدب الخليفة شيخ الشيوخ ببغداد ، وخلع عليه ، ووكّل الخليفة عبد الوهاب ابن المطهر وكالة مطلقة ، وخلع عليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر استقدمهم ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق ، فنزلوا على غزة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال والأقشعة والمساكر ، فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك ، والمنصور صاحب حمص ، مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً ، فهزمتهم الخوارزمية كسرة منكرة فظيعة ، هزمت الفرنج بصلبانها ، وراياتها العالية ، على رؤس أطلاب المسلمين ، وكانت كوؤس الخرد دائرة بين الجيوش فنابت كوؤس

المنون عن كوؤس الزرجون ، ققتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألف ، وأسروا جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم ، وخلقا من أمراء المسلمين ، وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر ، وكان يومئذ يوما مشهودا وأمرا محمودا ، والله الحمد . وقد قال بعض أمراء المسلمين قد علمت أنا لما وقفنا تحت صليبان الفرنج أنا لا نفلح . وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كان معهم شيئا كثيرا ، وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها ، فخصنها الصالح إسماعيل وخرب من حولها ربعا كشيخة ، وكسر جسر باب توما فسار النهر فتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة ، ففرق جميع ما كان بينهما من العمران ، وافترق كثير من الناس ، فانا لله وإنا إليه راجعون .
 ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب ﴾

كان الصالح إسماعيل قد أمره وسجنه في برج قلعة دمشق ، حين أخذها في غيبة الصالح أيوب . فاجتهد أبوه بكل ممكن في خلاصه فلم يقدر ، وعارضه فيه أمين الدولة غزال المسلماني ، واقف المدرسة الأمينية التي ببعلبك ، فلم يزل الشاب محبوبا في القلعة من سنة ثمان وثلاثين إلى ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر من هذه السنة ، فأصبح ميتا في محبسه غما وحزنا ، ويقال إنه قتل فأنه أعلم . وكان من خيار أبناء الملوك ، وأحسنهم شكلا ، وأكملهم عقلا . ودفن عند جده الكامل في تربته شمالي الجامع ، فاشتد حنق أبيه الصالح أيوب على صاحب دمشق . ومن توفى فيها شيخ الشيوخ بدمشق : ﴿ تاج الدين أبو عبد الله بن عمر بن حمويه ﴾

أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين ، له كتاب في ثمانى مجلدات ، ذكر فيه أصول ، وله السياسة الملوكية صنفها للكامل محمد وغير ذلك ، وسمع الحديث وحفظ القرآن ، وكان قد بلغ الثمانين ، وقيل إنه لم يبلغها ، وقد سافر إلى بلاد المغرب في سنة ثلاث وتسعين ، واتصل بمرا كس عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، فأقام هناك إلى سنة ستائة ، فقدم إلى ديار مصر وولى مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه رحمه الله تعالى .

﴿ الوزير نصر الدين أبو الأزهر ﴾

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الناقد البغدادي وزير المستنصر ثم ابنه المستعصم ، كان من أبناء التجار ، ثم توصل إلى أن وزر لهذين الخليفين ، وكان فاضلا بارعا حافظا للقرآن كثير التلاوة ، نشأ في حشمة باذخة ، ثم كان في وجاهة هائلة ، وقد أقعد في آخر أمره ، وهو مع هذا في غاية الاحترام والاكرام ، وله أشعار حسنة أورد منها ابن الساعي قطعة صالحة ، توفى في هذه السنة وقد جاوز الخمسين رحمه الله تعالى . ﴿ نقيب النقباء خطيب الخطباء ﴾

وكيل الخلفاء أبو طالب الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن معين بن هبة الله بن محمد بن علي

ابن الخليفة المهتدي بالله العباسي ، كان من سادات العباسيين وأئمة المسلمين ، وخطباء المؤمنين ، استمرت أحواله على السداد والصلاح ، لم ينقطع قط عن الخطابة ولم يمرض قط حتى كانت ليلة السبت الثامن والعشرين من هذه السنة ، قام في أثناء الليل لبعض حاجاته فسقط على أم رأسه ، فسقط من فمه دم كثير وسكت فلم ينطق كلمة واحدة يومه ذلك إلى الليل ، فمات وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة ﴾

وهي سنة الخوارزمية ، وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركات خان في صحبة معين الدين ابن الشيخ ، فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح أبا الجيش صاحب دمشق ، وحرقت قصر حجاج ، وحكر السماق ، وجامع جراح خارج باب الصغير ، ومساجد كثيرة ، ونصب المنعنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ، ونصب من داخل البلد منعنيقان أيضاً ، وتراوى الفريقان وأرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق وأرسل يقول: اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك ، فأرسل إليه المعين بزمر وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر ، وأرسل يقول له : أما السجادة فأنها تصلح لي ، وأما أنت فهذا أولى بك . ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق ، وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل ، وامتد الحريق في زقاق الرمان إلى العقبية فأحرقت بأسرها ، وقطعت الأنهار وغلت الأسعار ، وأخيفت الطرق وجرى بدمشق أمور بشعة جدا ، لم يتم عليها قط ، وامتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادى الأولى ، فأرسل أمين الدولة يطلب من ابن الشيخ شيئا من ملابسه ، فأرسل إليه بفرجية وعمامة وقيص ومنديل ، فلبس ذلك الأمين وخرج إلى معين الدين ، فاجتمع به بعد العشاء طويلا ، ثم عاد ثم خرج مرة أخرى فاتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب ، فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك ودخل معين الدين ابن الشيخ فنزل في دار أسامة ، فولى وعزل وقطع ووصل ، وفوض قضاء القضاة إلى صدر الدين بن سنى الدولة ، وعزل القاضي محي الدين بن الزكي ، واستناب ابن سنى الدولة التفليسي الذي ناب لابن الزكي والفرز السنجاري ، وأرسل معين الدين ابن الشيخ أمين الدولة غزال ابن المسلماني وزير الصالح إسماعيل تحت الحوطة إلى الديار المصرية .

وأما الخوارزمية فأنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح ، فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا قهوبها وساقوا نحو بلاد الشرق ، وكتبوا الصالح إسماعيل فخالفوه على الصالح أيوب ، ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه ، وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق ، وجاء إليهم الصالح

إسماعيل من بعلبك فضاق الحال على الدماشقة ، فعدمت الأموال وغلت الأسعار جداً ، حتى إنه بلغ ثمن الفرارة ألف وستائة ، وقنطار الدقيق تسماية ، والخبز كل وقيتين إلابع بدرهم ، ورطل اللحم بسبعة وبيعت الأملاك بالدقيق ، وأكلت القطاط والكلاب والميتات والجيفات ، وتموت الناس في الطرقات وعجزوا عن النغسيل والتكفين والاقبار ، فكانوا يلقون موتاهم في الآبار ، حتى أنتنت المدينة وضجر الناس ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي هذه الأيام توفي الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، شيخ دار الحديث وغيرها من المدارس ، فما أخرج من باب الفرج إلا بعد جهد جهيد ، ودفن بالصوفية رحمه الله

قال ابن السبط : ومع هذا كانت الخور دائرة والفسق ظاهراً ، والمكوس بحالها وذكر الشيخ شهاب الدين أن الأسعار غلت في هذه السنة جداً ، وهلك الصعاليك بالطرقات ، كانوا يسألون لقمة ثم صاروا يسألون لبابة ثم تنازلوا إلى فاس يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها ، كاللجاج . قال : وأنا شاهدت ذلك . وذكر تفاصيل الأسعار وغلاءها في الأطعمة وغيرها ، ثم زال هذا كله في آخر السنة بعد عيد الأضحى والله الحمد .

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد مالوا عليه وصالحوا عمه الصالح إسماعيل ، كاتب الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، فاستماله إليه وقوى جانب نائب دمشق معين الدين حسين ابن الشيخ ، ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة كما سيأتي في الوفيات . ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالاته الصالح إسماعيل شرع في جمع الجيوش من الحلبيين والتركمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية ، وحصارهم إياها ، فبلغ ذلك الخوارزمية نخافوا من غائلة ذلك ، وقالوا دمشق ماتفت ، والمصالحة قتاله عند بلده ، فساروا إلى بحيرة حمص ، وأرسل الناصر دواد جيشه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية ، وساق جيش دمشق فانضافوا إلى صاحب حمص ، والتقوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص ، وكان يوماً مشهوداً ، قتل فيه عامة الخوارزمية ، وقتل ملكهم بركات خان ، وجيء برأسه على رمح ، فنفرق شملهم وتمزقوا شذر مذر ، وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فتسلمها الصالح أيوب ، وجاء إلى دمشق فنزل بيستان سامة خدمة للصالح أيوب ، ثم حدثته نفسه بأخذها فاتفق مرضه ، فمات رحمه الله في السنة الآتية ، ونقل إلى حمص ، فكانت مدة ملكه بعد أبيه عشر سنين ، وقام من بعده فيها ابنه الملك الأشرف مدة سنتين ، ثم أخذت منه على ماسياني وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك وبصرى ، ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلدياوى إليه ولا أهل ولا ولد ولا مال ، بل أخذت جميع أمواله ونقلت عياله تحت الحوطة إلى الديار المصرية ، وسار هو فاستجار بالملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب ، فأواه وأكرمه واحترمه ، وقال

الانابك لؤاؤ الحلبي لابن أستاذة الناصر ، وكان شاباً صغيراً : انظر إلى عاقبة الظلم . وأما الخوارزمية فانهم ساروا إلى ناحية الكرك فأكرمهم الناصر داود صاحبها ، وأحسن إليهم وصاهرهم وأنزهم بالصلت فأخذوا معها نابلس ، فأرسل إليهم الصالح أيوب جيشاً مع نحر الدين ابن الشيخ فكسروهم على الصلت وأجلاهم عن تلك البلاد ، وحاصر الناصر بالكرك وأهانته غاية الاهانة ، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية فدخل دمشق في أهبة عظيمة ، وأحسن إلى أهلها ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، وسار إلى بعلبك وإلى بصرى وإلى صرخد ، ففسلها من صاحبها عز الدين أيوب المعظمي ، وعوضه عنها ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً . وهذا كله في السنة الآتية .

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله ، فكسروهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم ، وهزموا من بين أيديهم ، فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم ، خوفاً من غائلة مكروهم وعملاب قوله ﷺ « اتركوا الترك ما تركوكم » . وفي هذه السنة ظهر ببلاد خوزستان على شق جبل داخله من الابنية الغربية العجيبة ما يحار فيه الناظر ، وقد قيل إن ذلك من أبناء الجن ، وأورد صفته ابن الساعي في تاريخه

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

﴿ الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ﴾

عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الامام العلامة ، مفتي الشام ومحدثها ، الشهرزوري ثم الدمشقي ، سمع الحديث ببلاد الشرق وتفقه هنالك بالموصل وحلب وغيرها ، وكان أبوه مدرساً بالأسدية التي بحلب ، وواقفها أسد الدين شيركوه ابن شاذي ، وقدم هو الشام وهو في عداد الفضلاء الكبار . وأقام بالقدس مدة ودرس بالصلاحية ، ثم تحول منه إلى دمشق ، ودرس بالرواحية ثم بدار الحديث الأشرفية ، وهو أول من وليها من شيوخ الحديث ، وهو الذي صنف كتاب وقفها ، ثم بالشامية الجوانية ، وقد صنف كتباً كثيرة مفيدة في علوم الحديث والفقهِ [وله] تعاليق حسنة على الوسيط وغيره من الفوائد التي يرسل إليها . وكان ديناً زاهداً ورعاً ناسكاً ، على طريق السلف الصالح ، كما هو طريقة متأخرى أكثر المحدثين ، مع الفضيلة النامة في فنون كثيرة ، ولم يزل على طريقة جيدة حتى كانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرفية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وصلى عليه بجوامع دمشق وشيعة الناس إلى داخل باب الفرج ، ولم يمكنهم البروز لظاهرة لحصار الخوارزمية ، وما صحبه إلى جبانة الصوفية إلا نحو العشرة رحمه الله وتعمده برضوانه . وقد أثنى عليه القاضي شمس الدين بن خلصان ، وكان من شيوخه . قال السبط أنشدني الشيخ تقي الدين من لفظه رحمه الله :

احذر من الواوات أربعة * فمن من الختوف
 واو الوصية والوديمة * والوكالة والوقوف

وحكى ابن خلكان عنه أنه قال : ألهمت في المنام هؤلاء الكلمات : ادفع المسألة ما وجدت
 التعمل يمكنك فان لكل يوم رزقا جديدا ، واللاحاح في الطلب يذهب البهاء ، وما أقرب الصنيع
 من الملهوف ، وربما كان العسر نوعا من آداب الله ، والحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة قبل أن
 تدرك فانك ستناولها في أوانها ، ولا تعجل في حوائجك فتضيق بها ذرعا ، وينشاك القنوط .

﴿ ابن النجار الحافظ صاحب التاريخ ﴾

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ابن النجار ، أبو عبد الله البغدادي الحافظ
 الكبير ، سمع الكثير ورحل شرقا وغربا ، ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وشرع في كتابة التاريخ
 وعمره خمسة عشر سنة ، والقراءات وقرأ بنفسه على المشايخ كثيرا حتى حصل نحو من ثلاثة آلاف
 شيخ ، من ذلك نحو من أربعمئة امرأة ، وتغرب ثمانيا وعشرين سنة ، ثم جاء إلى بغداد وقد جمع
 أشياء كثيرة ، من ذلك القمر المنير في المسند الكبير ، يذكر لكل صحابي ما روى . وكثر الأيام
 في معرفة السنن والأحكام ، والمختلف والمؤتلف ، والسابق واللاحق ، والمتفق والمفترق ، وكتاب
 الألقاب ، ونهج الاصابة في معرفة الصحابة ، والكافي في أسماء الرجال ، وغير ذلك مما لم يتم أكثره
 وله كتاب الذيل على تاريخ مدينة السلام ، في ستة عشر مجلدا كاملا ، وله أخبار مكة والمدينة وبيت
 المقدس ، وغرر الفوائد في خمس مجلدات ، وأشياء كثيرة جدا سردها ابن الساعي في ترجمته ،
 وذكر أنه لما عاد إلى بغداد عرض عليه الإقامة في المدارس فأبى وقال : معي ما أستغني به عن ذلك
 فاشترى جارية وأولادها وأقام برهة ينفق مدة على نفسه من كيسه ، ثم احتاج إلى أن نزل محدثا في
 جماعة المحدثين بالمدرسة المستنصرية حين وضعت ، ثم مرض شهرين وأوصى إلى ابن الساعي في أمر
 تركته وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس من شعبان من هذه السنة ، وله من العمر خمس وسبعون سنة
 وصلى عليه بالمدرسة النظامية ، وشهد جنازته خلق كثير ، وكان ينادى حول جنازته هذا حافظ
 حديث رسول الله ﷺ ، الذي كان ينفي الكذب عنه . ولم يترك وارثا ، وكانت تركته عشرين
 ديناراً وثياب بدنه ، وأوصى أن يتصدق بها ، ووقف خزانتي من الكتب بالنظامية تساوي ألف
 دينار ، فأمضى ذلك الخليفة المستعصم ، وقد أنفى عليه الناس ورثوه بمرات كثيرة ، سردها ابن
 الساعي في آخر ترجمته ﴿ الحافظ ضياء الدين المقدسي ﴾

ابن الحافظ محمد بن عبد الواحد ^(١) سمع الحديث الكثير وكتب كثيراً وطوف وجمع وصنف

(١) بياض بجميع الأصول .

وألف كتباً مفيدة حسنة كثيرة الفوائد ، من ذلك كتاب الأحكام ولم يتمه ، وكتاب المختارة وفيه علوم حسنة حديثة ، وهي أجود من مستدرک الحاكم لو كمل ، وله فضائل الأعمال وغير ذلك من الكتب الحسنة الدالة على حفظه واطلاعه وتضلعه من علوم الحديث متناً وإسناداً . وكان رحمه الله في غاية العبادة والزهادة والورع والخير ، وقد وقف كتباً كثيرة عظيمة لخزانة المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من المحدثين والفقهاء ، وقد وقفت عليها أوقاف أخرى كثيرة بعد ذلك .

﴿ الشيخ علم الدين أبو الحسن السخاوي ﴾

علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني المصري ، ثم الدمشقي شيخ القراء بدمشق ، ختم عليه أوف من الناس ، وكان قد قرأ على الشاطبي وشرح قصيدته ، وله شرح المفصل وله تفاسير وتصانيف كثيرة ، ومدائح في رسول الله ﷺ ، وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وولى مشيخة القراء بترربة أم الصالح ، وبها كان مسكنه وبه توفي ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون . وذكر القاضي ابن خلكان أن مولده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وذكر من شعره قوله :

قالوا غدا تأتي ديار الحمي * وينزل الركب بمفناهم
وكل من كان مطيعاً لهم * أصبح مسروراً بلبقياهم
قلت فلي ذنب فما حيلتي * بأى وجه أتلقاهم
قالوا أليس العفو من شأنهم * لا سباً عن ترجمهم

﴿ ربيعة خاتون بنت أيوب ﴾

أخت السلطان صلاح الدين ، زوجها أخواها أولاً بالأمر ساعد الدين مسعود بن معين الدين وتزوج هو بأخته عصمة الدين خاتون ، التي كانت زوجة الملك نور الدين واقفة الخاتونية الجوانية ، والخانقاه البرانية ، ثم لما مات الأمير ساعد الدين زوجها من الملك مظفر الدين صاحب إربل ، فأقامت عنده باربل أزيد من أربعين سنة حتى مات ، ثم قدمت دمشق فسكنت بدار العقيق حتى كانت وفاتها في هذه السنة وقد جاوزت الثمانين ، ودفنت بقاسيون ، وكانت في خدمتها الشبيخة الصالحة العاملة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي ، وكانت فاضلة ، ولها تصانيف ، وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة ، ووقفت أمة اللطيف على الحنابلة مدرسة أخرى وهي الآن شرقي الرباط الناصري ، ثم لما ماتت الخاتون وقعت العاملة بالمصادرات وحبست مدة ثم أفرج عنها وتزوجها الأشرف صاحب حمص ، وسافرت معه إلى الرحبة وتل راشد ، ثم توفيت في سنة ثلاث وخمسين ، ووجد لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة ، تقارب سنائة ألف درهم ، غير

الأملاك والأوقاف رحمها الله تعالى .

﴿ معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ ﴾

وزير الصالح نجم الدين أيوب ، أرسله إلى دمشق فحاصرها مع الخوارزمية أول مرة حتى أخذها من يد الصالح إسماعيل ، وأقام بها نائباً من جهة الصالح أيوب ، ثم ملأ الخوارزمية مع الصالح إسماعيل عليه فحصره بدمشق ، ثم كانت وفاته في العشر الآخر من رمضان هذه السنة ، عن ست وخمسين سنة ، فكانت مدة ولايته بدمشق أربعة أشهر ونصف . وصلى عليه بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين . وفيها كانت وفاة واقف القليجية للحنفية . وهو الأمير :

﴿ سيف الدين بن قلعج ﴾

ودفن بقرية التي بمدرسته المذكورة ، التي كانت سكنه بدار فلوس تقبل الله تعالى منه . وخطيب الجبل شرف الدين عبد الله بن الشيخ أبي عمر رحمه الله . والسيف أحمد بن عيسى بن الامام موفق الدين بن قدامة . وفيها توفي إمام الكلاسة الشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أبي جعفر مسند وقته ، وشيخ الحديث في زمانه رواية وصلاً رحمه الله تعالى . والمحدثان الكبيران الحافظان المفيدان شرف الدين أحمد بن الجوهري وتاج الدين عبد الجليل الأبهري .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستائة ﴾

فيها كسر المنصور الخوارزمية عند بحيرة حمص واستقرت يد نواب الصالح أيوب على دمشق وبعليك وبصرى ، ثم في جمادى الآخرة كسر نجر الدين بن الشيخ الخوارزمية على الصلت كسرة فرق بقية شملهم ، ثم حاصر الناصر بالكرك ورجع عنه إلى دمشق . وقدم الصالح أيوب إلى دمشق في ذي القعدة فأحسن إلى أهلها وتسلم هذه المدن المذكورة ، وانتزع صرخد من يد عز الدين أيوب ، وعوضه عنها ، وأخذ الصلت من الناصر داود بن المعظم وأخذ حصن الصبية من السعيد بن العزيز بن العادل ، وعظم شأنه جدا ، وزار في رجوعه بيت المقدس وتفقد أحواله وأمر باعادة أسواره أن تعمر كما كانت في الدولة الناصرية ، فاتح القدس ، وأن يصرف الخراج وما يتحصل من غلات بيت المقدس في ذلك ، وإن عاز شيئاً صرفه من عنده . وفيها قدمت الرسل من عند البابا الذي للناصرى تخبر بأنه قد أباح دم الابدور ملك الفرنج لهاونه في قتال المسلمين ، وأرسل طائفة من عنده ليقتلوه ، فلما انتهوا إليه كان استعدلم وأجلس مملوكه على السريير فاعتقدوه الملك فقتلوه ، فعند ذلك أخذهم الابدور فصلبهم على باب قصره بعد ماذبهم وسلخهم وحشى جلودهم تبنياً ، فلما بلغ ذلك البابا أرسل إليه جيشاً كثيفاً لقتاله فأوقع الله الخلف بينهم بسبب ذلك ، وله الحمد والمنة .

وفيها هبت رياح عاصفة شديدة بمكة في يوم الثلاثاء من عشر ربيع الآخر ، فألقت ستارة

الكعبة المشرفة ، وكانت قد عتقت ، فانها من سنة أربعين لم تجدد لعدم الحج في تلك السنين من ناحية الخليفة ، فما سكنت الريح إلا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ، وكان هذا فألا على زوال دولة بني العباس ، ومنذراً بما سيقع بعد هذا من كائنة التتار لعنهم الله تعالى . فاستأذن نائب اليمن عمر بن سول شيخ الحرم المكي في منعة في أن يكسو الكعبة ، فقال لا يكون هذا إلا من مال الخليفة ، ولم يكن عنده مال فاقترض ثلثمائة دينار واشترى ثياب قطن وصبغها سواداً وركب عليها طرازاتها العتيقة وكسى بها الكعبة ومكثت الكعبة ليس عليها كسوة إحدى وعشرين ليلة . وفيها فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد الملقب بدار الوزارة ، وكانت في نهاية الحسن ، ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة شئاً كثيراً ، وامتدحها الشعراء بأبيات وقصائد حسانا وفي أواخر ذي الحجة طهر الخليفة المستعصم بالله ولديه الأئمة من أبا العباس أحمد ، وأبا الفضائل عبد الرحمن ، وعملت ولائم فيها كل أفراح ومسرة ، لا يسمع بمثلها من أزمان متطاولة ، وكان ذلك وداعاً لمسرات بغداد وأهلها في ذلك الزمان .

وفيها احتاط الناصر داود صاحب الكرك على الأمير عماد الدين داود بن موسك بن حسكو ، وكان من خيار الأمراء الأجواد ، واصطفى أمواله كلها وسجنه عنده في الكرك ، فشفع فيه فخر الدين ابن الشيخ لما كان محاصره في الكرك فأطلقه ، فخرجت في حلقة جراحة فبسطها فمات ودفن عند قبر جعفر والشهداء بحوته رحمه الله تعالى .

وفيها توفي ملك الخوارزمية قبلا بركات خان لما كسرت أصحابه عند بحيرة حمص كما تقدم ذكره
 وفيها توفي ﴿ الملك المنصور ﴾

ناصر الدين إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص بدمشق ، بعد أن سلم بملك للصالح أيوب ، ونقل إلى حمص ، وكان نزوله أولاً ببستان سامة ، فلما مرض حمل إلى الدهشة ببستان الأشرف بالنيرب فمات فيه . وفيها توفي .

﴿ الصائغ محمد بن حسان ﴾

ابن رافع العامري الخطيب ، وكان كثير السماع مسنداً ، وكانت وفاته بقصر حجاج رحمه الله تعالى .
 وفيها توفي ﴿ الفقيه العلامة محمد بن محمود بن عبد المنعم ﴾

المرامى الحنبلي وكان فاضلاً ذا فنون ، أثنى عليه أبو شامة . قال : صحبته قديماً ولم يترك بعده بدمشق مثله في الحنابلة ، وصلى عليه بجامع دمشق ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

﴿ والضياء عبد الرحمن الغماري ﴾

المالكي الذي ولى وظائف الشيخ أبي عمرو ابن الحاجب حين خرج من دمشق سنة ثمان

وثلاثين وجلس في حلقة ودرس مكانه بزواية المالكية والفقهاء تاج الدين إسماعيل بن جميل بحلب ، وكان فاضلاً ديناً سليم الصدر رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة ﴾

فيها كان عود السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل من الشام إلى الديار المصرية ، وزار في طريقه بيت المقدس وفرق في أهله أموالاً كثيرة ، وأمر باعادة سورته كما كان في أيام عم أبيه الملك الناصر فاتح القدس ، ونزل الجيوش لحصار الفرنج ففتحت طبرية في عاشر صفر وفتحت عسقلان في أواخر جمادى الآخرة ، وفي رجب عزل الخطيب عماد الدين داود بن خطيب بيت الأبار عن الخطابة بجامع الأموي ، وتدريس الغزالية ، وولى ذلك للقاضي عماد الدين بن عبد الكريم بن الحرساني شيخ دار الحديث بعد ابن الصلاح . وفيها أرسل الصالح أيوب يطلب جماعة من أعيان الدمشقة اتهموا بمالأة الصالح إسماعيل ، منهم القاضي محي الدين بن الزكي ، وبنو صصرى وابن العماد الكاتب ، والحليمي مملوك الصالح إسماعيل ، والشهاب غازي والي بصرى ، فلما وصلوا إلى مصر لم يكن إليهم شيء من العقوبات والاهانة ، بل خلع على بعضهم وتركوا باختيارهم مكرمين .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ الحسين بن الحسين بن علي ﴾

ابن حمزة العلوي الحسيني ، أبو عبد الله الانصاسي النقيب قطب الدين ، أصله من الكوفة وأقام ببغداد ، وولى النقابة ، ثم اعتقل بالكوفة ، وكان فاضلاً أديباً شاعراً مطبقاً ، وأورد له ابن الساعي أشعاراً كثيرة رحمه الله .

﴿ الشلوطين النحوي ﴾

هو عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي ، أبو علي الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بالشلوطين . وهو بلغة الأندلسيين الأبيض الأشقر . قال ابن خلكان : ختم به أئمة النحو ، وكان فيه تفعل ، وذكر له شعراً ومصنفات ، منها شرح الجزولية وكتاب التوطئة . وأرخ وفاته بهذه السنة . وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى وعفا عنه .

﴿ الشيخ علي المعروف بالحريري ﴾

أصله من قرية بسر شرقي ذرع ، وأقام بدمشق مدة يعمل صنعة الحرير ، ثم ترك ذلك وأقبل يعمل الفقيري على يد الشيخ علي المغربي ، وابتقى له زاوية على الشرف القبلي ، وهدرت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم ، فلما كانت الدولة الأشرفية حبس في قلعة عز نامدة سنين ثم أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق ، فلزم بلده بسر مدة حتى كانت وفاته في

هذه السنة ، قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل : وفي رمضان أيضاً توفي الشيخ علي المعروف بالحريري المقيم بقرية بسر في زاويتيه ، وكان يتردد إلى دمشق ، وتبعه طائفة من الفقراء وهم المعروفون بأصحاب الحريري أصحاب المنافي للشريعة ، وباطنهم شر من ظاهريهم ، إلا من رجع إلى الله منهم ، وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون فيها من إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق وصاروا على زى أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار ، يجمع مجلسه الغنا الدائم والرقص والمردان ، وترك الإنكار على أحد فيما يفعله ، وترك الصلوات وكثرت النفقات ، فأضل خلقا كثيرا وأفسد جما خفيرا ، ولقد أفتى في قتله مرارا جماعة من علماء الشريعة ، ثم أراح الله تعالى منه . هذا لفظه بجزءه .

﴿ واقف العزيرة الأمير عز الدين أبيك ﴾

أستاذ دار المعظم ، كان من العقلاء الأجواد الأجماد ، استنابه المعظم علي صرخد وظهرت منه نهضة وكفاية وسداد ، ووقف العزيتين الجوانية والبرانية ، ولما أخذ منه الصالح أيوب صرخد عوضه عنها وأقام بدمشق ثم وشى عليه بأنه يكاتب الصالح إسماعيل فاحتيط عليه وعلى أمواله وحواصله فرض وسقط إلى الأرض ، وقال : هذا آخر عهدي . ولم يتكلم حتى مات ودفن بباب النصر بمصر رحمه الله تعالى ، ثم نقل إلى تربته التي فوق الوراق . وإنما أرخ السبط وفاته في سنة سبع وأربعين فآله أعلم .

﴿ الشهاب غازي بن العادل ﴾

صاحب ميا فارقين وخلاط وغيرهما من البلدان ، كان من عقلاء بني أيوب وفضلاتهم ، وأهل الديانة منهم ، ومما أنشد قوله :

ومن عجب الأيام أنك جالس * على الأرض في الدنيا وأنت تسير

فسيرك يا هذا كسير سفينة * بقوم جلوس والقلوع تطير

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وستائة ﴾

فيها قدم السلطان الصالح نجم الدين من الديار المصرية إلى دمشق وجهاز الجيوش والمجانيق إلى حصص ، لأنه كان صاحبها الملك الأشرف بن موسى بن المنصور بن أسد الدين قد قايض بها إلى تل باشر لصاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز ، ولما علمت الحلبيون بخروج الدماشقة برزوا أيضاً في جحفل عظيم لينموا حصص منهم ، واتفق الشيخ نجم الدين البادزاي مدرس النظامية ببغداد في رسالة فأصلح بين الفريقين ، ورد كلا من الفئتين إلى مستقرها والله الحمد . وفيها قتل مملوك تركي شاب صبي لسيدته على دفعه عنه لما أراد به من الفاحشة ، فصلب الغلام مسمرا ، وكان شابا حسنا جدا فتأسف الناس له لكونه صغيرا ومظلوما وحسنا ، ونظموا فيه قصائد ، ومن نظم فيه الشيخ شهاب

الدين أبو شامة في الذيل ، وقد أطال قصته جدا . وفيها سقطت قنطرة رومية قديمة البناء بسوق الدقيق من دمشق ، عند قصر أم حكيم ، فهدم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين ، وكان سقوطها نهارا . وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع حريق بالمنارة الشرقية فأحرق جميع حشوها ، وكانت سالما سقالات من خشب ، وهلك للناس ودائع كثيرة كانت فيها ، وسلم الله الجامع وله الحمد . وقدم السلطان بعد أيام إلى دمشق فأمر بإعادتها كما كانت ، قلت : ثم احترقت وسقطت بالكيفية بعد سنة أربعين وسبعمائة وأعيدت عمارتها أحسن مما كانت والله الحمد . وبقيت حينئذ المنارة البيضاء الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى عليه السلام عليها ، كما سيأتي بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالى . ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضا في محفة إلى الديار المصرية وهو ثقل مدنف ، شغله ما هو فيه عن أمره بقتل أخيه العادل أبي بكر بن الكامل الذي كان صاحب الديار المصرية بعد أبيه ، وقد كان سجنه سنة استحوذ على مصر ، فلما كان في هذه السنة في شوالها أمر بمخنقه فخفق بتربة شمس الدولة ، فمات بعده إلا إلى النصف من شعبان في العام القابل في أسوأ حال ، وأشد مرض ، فسبحان من له الخلق والأمر .
وفيها كانت وفاة قاضي القضاة بالديار المصرية .

﴿ فضل الدين الخولنجي ﴾

الحكيم المنطقي البارع في ذلك ، وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه قال أبو شامة : أثنى عليه . غير واحد .
﴿ علي بن يحيى جمال الدين أبو الحسن المحرمي ﴾

كان شابا فاضلا أديبا شاعرا ماهرا ، صنف كتابا مختصرا وجيزا جامعا لفنون كثيرة في الرياضة والعقل وذم الهوى ، وسماه نتائج الأفكار . قال فيه من الكام المستفادة الحكيمية : السلطان إمام متبوع ، ودين مشروع ، فان ظلم جارت الأحكام لظلمه ، وإن عدل لم يجر أحد في حكمه ، من مكنه الله في أرضه وبلاده وأثمنه على خلقه وعباده ، وبسط يده وسلطانه ، ورفع محله ومكانه ، فحقيق عليه أن يؤدي الأمانة ، ويخلص الديانة ، ويجمل السريرة ، ويحسن السيرة ، ويجعل العدل دأبه المعهود ، والأجر غرضه المقصود ، فالظلم يزل القدم ، ويزيل النعم ، ويجلب الفقر ، ويهلك الأمم . وقال أيضا : معارضة الطبيب توجب التعذيب ، رب حيلة أنفع من قبيلة ، صميم الغضب مهزول ، وإلى الغدر معزول ، قلوب الحكماء تستشف الأسرار من لحسات الأبصار ، أرض من أخيك في ولايته بعشر ما كنت تعهده في مودته ، التواضع من مصائد الشرف ، ما أحسن حسن الظن لولا أن فيه العجز . ما أقبح سوء الظن لولا أن فيه الحزم . وذكر في غضون كلامه أن خادما لعبد الله بن عمر أذنب فأراد ابن عمر أن يعاقبه على ذنبه فقال : يا سيدي أما لك ذنب تخاف من الله فيه ؟ قال بلى ،

قال بالذي أمهك لما أمهلتني ، ثم أذنب العبد ثانياً فأراد عقوبته فقال له مثل ذلك فعفا عنه ، ثم أذنب الثالثة فعاقبه وهو لا يتسكلم فقال له ابن عمر : مالك لم تقل مثل ما قلت في الأولتين ؟ فقال : يا سيدي حياء من حلمك مع تكرار جرمي . فبكى ابن عمر وقال : أنا أحق بالحياء من ربي ، أنت حر لوجه الله تعالى . ومن شعره يمدح الخليفة .

يا من إذا بجمل السحاب بمائه * هطلت يدها على البرية عسجدا
جورت كسرى يا مبخل حاتم * ففقدت بنو الآمال نحوك سجدا
وقد أورد له ابن الساعي أشعاراً كثيرة حسنة رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ﴾

المالكي عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الرويني ثم المصري ، العلامة أبو عمرو و شيخ المالكية كان أبوه صاحباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي ، واشتغل هو بالعلم فقرأ القراءات وحرر النحو تحريراً بليغاً ، وتفقه و ساد أهل عصره ، ثم كان رأساً في علوم كثيرة ، منها الأصول والفروع والعربية والتصريف والعروض والتفسير وغير ذلك . وقد كان استوطن دمشق في سنة سبع عشرة وستائة ، ودرس بها للمالكية بالجامع حتى كان خروجه بصحبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام في سنة ثمان وثلاثين ، فصاروا إلى الديار المصرية حتى كانت وفاة الشيخ أبي عمرو في هذه السنة بالاسكندرية ، ودفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد . قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وكان من أذكي الأئمة قريحة ، وكان ثقة حجة متواضعاً عفيفاً كثير الحياء منصفاً محباً للعلم وأهله ، تأسراً له محتملاً للأذى صبوراً على البلوى ، قدم دمشق مراراً آخرها سنة سبع عشرة ، فأقام بها مدرساً للمالكية وشيخاً للمستفيدين عليه في علمي القراءات والعربية ، وكان ركناً من أركان الدين في العلم والعمل ، بارعاً في العلوم متقناً لمذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالى . وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر أنه جاء إليه في أداء شهادة حين كان نائباً في الحكم بمصر وسأله عن مسألة اعتراض الشرط على الشرط ، إذا قال إن أكلت إن شربت فأنت طالق ، لم كان يقع الطلاق حين شربت أولاً ؟ وذكر أنه أجاب عن ذلك في تؤدة وسكون . قلت ومختصره في الفقه من أحسن المختصرات ، انتظم فيه فوائد ابن شاش ، ومختصره في أصول الفقه ، استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي ، وقد من الله تعالى على بحفظه وجمعت كراريس في الكلام على ما أودعه فيه من الأحاديث النبوية ، والله الحمد . وله شرح المفصل والآمال في العربية والمقدمة المشهورة في النحو ، اختصر فيها مفصل الزمخشري وشرحها ، وقد شرحها غيره أيضاً ، وله التصريف وشرحها ، وله عروض على وزن الشاطبية رحمه الله ورضي عنه .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستائة ﴾

فيها كانت وفاة الملك الصالح أيوب ، وقتل ابنه توران شاه وتولية المعز عز الدين أيوب التركي .
 وفي رابع المحرم يوم الاثنين توجه الملك الصالح من دمشق إلى الديار المصرية في محفة . قاله ابن السبط .
 وكان قد نادى في دمشق : من له عندنا شيء فليأت ، فاجتمع خلق كثير بالقلعة ، فدفعت إليهم أموالهم
 وفي عاشر صفر دخل إلى دمشق نائبها الأمير جمال الدين بن يغمور من جهة الصالح أيوب فنزل
 بدرب الشعارين داخل باب الجابية ، وفي جمادى الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين الحديثة
 وسط باب البريد ، وأمر أن لا يبقى فيها دكان سوى ما في جانبيه إلى جانب الخياطين القبلي والشامي ،
 وما في الوسط يهدم . قال أبو شامة : وقد كان العادل هدم ذلك ثم أعيد ثم هدمه ابن يغمور ، والمرجو
 استمراره على هذه الصفة . وفيها توجه الناصر داود من الكرك إلى حلب فأرسل الصالح أيوب إلى
 نائبه بدمشق جمال الدين بن يغمور بخراب دار أسامة المنسوبة إلى الناصر بدمشق ، وبستانه الذي
 بالقابون ، وهو بستان القصر ، وأن تقلع أشجاره ويخرب القصر ، وتسلم الصالح أيوب الكرك من
 الأجد حسن بن الناصر ، وأخرج من كان بها من بيت المعظم ، واستحوذ على حواصلها وأموالها ،
 فكان فيها من الذهب ألف ألف دينار ، وأقطع الصالح الأجد هذا إقطاعاً جيداً . وفيها طفى الماء
 ببغداد حتى أتلف شيئاً كثيراً من المحال والدور الشهيرة ، وتعذرت الجمع في أكثر الجوامع بسبب
 ذلك سوى ثلاث جوامع ، ونقلت توابيت جماعة من الخلفاء إلى التراب من الرصافة خوفاً عليهم من
 أن تفرق محالهم ، منهم المقتصد بن الأمير أبي أحمد المتوكل ، وذلك بعد دفنه بنيف وخمسين سنة
 وثلاثمائة سنة ، وكذا نقل ولده المكتفي وكذا المكتفي بن المقتدر بالله رحمهم الله تعالى . وفيها هجمت
 الفرنج على دمياط فهرب من كان فيها من الجند والعامّة واستحوذ الفرنج على الثغر وقتلوا خلقاً كثيراً
 من المسلمين ، وذلك في ربيع الأول منها ، فنصب السلطان الخيم تجاه العدو بجميع الجيش ، وشنق
 خلقاً ممن هرب من الفرنج ، ولا مهم على ترك المصابرة قليلاً ليرهبوا عدو الله وعدوم ، وقوى المرض
 وتزايد بالسلطان جداً ، فلما كانت ليلة النصف من شعبان توفى إلى رحمة الله تعالى بالمنصورة ،
 فأخفت جاريته أم خليل المدعوة شجرة الدر موته ، وأظهرت أنه مريض مدنف لا يوصل إليه ،
 وبقيت تعلم عنه بعلامته سواء . وأعلنت إلى أعيان الأمراء فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظم توران شاه
 وهو بمحصن كيفا ، فأقدموه إليهم سريراً ، وذلك بإشارة أكبر الأمراء منهم نحر الدين ابن الشيخ ،
 فلما قدم عليهم ملكوه عليهم وبايعوه أجمعين ، فركب في عصائب الملك وقاتل الفرنج فكسروهم
 وقتل منهم ثلاثين ألفاً والله الحمد . وذلك في أول السنة الداخلة . ثم قتلوه بعد شهرين من ملكه ،
 ضربه بعض الأمراء وهو عز الدين أيوب التركي ، فضربه في يده فقطع بعض أصابعه فهرب إلى

قصر من خشب في الخيم فحاصروه فيه وأحرقوه عليه ، فخرج من بابه مستجيراً برسول الخليفة فلم يقبلوا منه ، فهرب إلى النيل فأنعم فيه ثم خرج فقتل سريراً ثم قتلته وداسوه بأرجلهم ودفن كالجيفة ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكان فيمن ضربه البندقدارى على كتفه فخرج السيف من تحت إبطه الآخر وهو يستغيث فلا يغاث .

ومن قتل في هذه السنة ﴿ نجر الدين يوسف بن الشيخ بن حمويه ﴾

وكان فاضلاً ديناً مهيباً وقوراً خليقاً بالملك ، كانت الأمراء تعظمه جداً ، ولو دعاهم إلى مبايعته بعد الصالح لما اختلف عليه اثنتان ، ولكنه كان لا يرى ذلك حماية لجانب بني أيوب ، قتلته الداوية من الفرنج شهيداً قبل قدوم المعظم توران شاه إلى مصر ، في ذى القعدة ، ونهبت أمواله وحواصله وخيوله ، وخربت داره ولم يتركوا شيئاً من الأفعال الشنيعة البشعة إلا صنعوه به ، مع أن الذين تعاطوا ذلك من الأمراء كانوا معظمين له غاية التعظيم . ومن شعره :

عصيت هوى نفسى صغيراً فعندما * رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبير

أطعت الهوى عكس القضية ليتنى * خلقت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ﴾

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم توران شاه للفرنج على ثغر دمياط ، فقتل منهم ثلاثين ألفاً وقيل مائة ألف ، وغنموا شيئاً كثيراً والله الحمد . ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا ، وكان فيمن أسر ملك الفرنسي وأخوه ، وأرسلت غفارة ملك الأفرنسيس إلى دمشق فلبسها نائبها في يوم الموكب ، وكانت من سقر لاط تحتها فر وسنجاب ، فأنشد في ذلك جماعة من الشعراء فرحاً بما وقع ، ودخل الفقراء كنيسة مريم فأقاموا بها فرحاً لما نصر الله تعالى على النصارى ، وكادوا أن يخرجوها وكانت النصارى يبعلبك فرحوا حين أخذت النصارى دمياط ، فلما كانت هذه الكسرة عليهم سخموا وجوه الصور ، فأرسل نائب البلد فجنهم وأمر اليهود فصفعهم ، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم توران شاه ، ودفنوه إلى جانب النيل من الناحية الأخرى رحمه الله تعالى ورحم أسلافه بمنه وكرمه .

﴿ تملك الملك المعز عز الدين أيك التركاني بمصر بعد بني أيوب ، وهذا أول دولة الأتراك ﴾

لما قتل الأمراء البحرية وغيرهم من الصالحية ابن أستاذهم المعظم غياث الدين توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن المادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب ، وكان ملكه بعد أبيه بشهرين كما تقدم بيانه ، ولما انفصل أمره بالقتل نادوا فيما بينهم لا بأس لا بأس ، واستدعوا من بينهم الأمير عز الدين أيك التركاني ، فملكوه عليهم وبايعوه ولقبوه بالملك المعز ، وركبوا إلى القاهرة ، ثم بعد خمسة أيام أقاموا

لهم صبياً من بني أيوب ابن عشر سنين وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف ابن المسعود إقسيس بن الكامل ، وجعلوا المعز أتابكه فكانت السكة والخطبة بينهما ، وكانوا أمراء الشام بذلك ، فاتم لهم الأمر بالشام ، بل خرج عن أيديهم ولم تستقر لهم المملكة إلا على الديار المصرية ، وكل ذلك عن أمر الخاتون شجرة الدر أم خليل حظية الصالح أيوب ، فتزوجت بالمعز ، وكانت الخطبة والسكة لها ، يدعى لها على المنابر أيام الجمع بمصر وأعمالها ، وكذا تضرب السكة باسمها أم خليل ، والعلامة على المناشير والتواقيع بخطها واسمها ، مدة ثلاثة أشهر قبل المعز ، ثم آل أمرها إلى ماسند كره من الهوان والقتل .

﴿ ذكر ملك الناصر بن العزيز بن الظاهر صاحب حلب لدمشق رحمهما الله تعالى ﴾

لما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء للمعظم توران شاه بن الصالح أيوب ركب الحلبيون معهم ابن أستاذهم الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف فاتح بيت المقدس ، ومن كان عندهم من ملوك بني أيوب منهم الصالح إسماعيل بن العادل ، وكان أحق الموجودين بالملك ، من حيث السن والتعدد والحرمة والرياسة ، ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل ، والأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه ، الذي كان صاحب حمص وغيرهم ، فجاؤا إلى دمشق فحاصروها فملكوها سريعاً ، ونهبت دارا بن يغمور وحبس في القلعة وتسلموا ما حولها كعبلبك وبصرى والصلت وصرخد ، وامتنعت عليهم الكرك والشوبك بالملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل ، كان قد تغلب عليهما في هذه الفتنة حين قتل المعظم توران شاه ، فطلبه المصريون ليملكوه عليهم فخاف مما حل بابني عمه ، فلم يذهب إليهم . ولما استقرت يد الحلبيين على دمشق وما حولها جلس الناصر في القلعة وطيب قلوب الناس ، ثم ركبوا إلى غزة ليتسلموا الديار المصرية ، فبرز إليهم الجيش المصري فاقتلوا معهم أشد القتال ، فكسر المصريون أولاً بحيث إنه خطب للناصر في ذلك بها ، ثم كانت الدائرة على الشاميين فانهزموا وأسروا من أعيانهم خلقاً كثيراً ، وعدم من الجيش الصالح إسماعيل رحمه الله تعالى ، وقد أنشد هنا الشيخ أبو شامة لبعضهم :

ضيع إسماعيل أموالنا * وخرب المغني بلا معنى

وراح من جلق هذا جزاء * من أفقر الناس وما استغنى

﴿ ذكر شيء من ترجمة الصالح إسماعيل « أبي الحسن واقف تربة الصالح » ﴾

وقد كان الصالح رحمه الله ملكاً عاقلاً حازماً تتقلب به الأحوال أطواراً كثيرة ، وقد كان الأشرف أوصى له بدمشق من بعده ، فملكها شهوراً ثم انتزعها منه أخوه الكامل ، ثم ملكها من يد الصالح أيوب خديعة ومكراً ، فاستمر فيها أزيد من أربع سنين ، ثم استعادها منه الصالح أيوب

عام الخوارزمية سنة ثلاث وأربعين ، واستقرت بيده بلاد بعلبك وبصرى ، ثم أخذنا منه كما ذكرنا ، ولم يبق له بلدياوى إليه ، فلجأ إلى المملكة الحلبية في جوار الناصر يوسف صاحبها ، فلما كان في هذه السنة ما ذكرنا عدم بالديار المصرية في المعركة فلا يدري ما فعل به والله تعالى أعلم . وهو واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والافراء بدمشق رحمه الله بكرمه .
ومن توفى في هذه السنة من الأعيان .

﴿ الملك المعظم توران شاه بن الصالح أيوب ﴾

ابن الكامل ابن العادل ، كان أولا صاحب حصن كيفا في حياة أبيه ، وكان أبوه يستدعيه في أيامه فلا يجيبه ، فلما توفى أبوه كما ذكرنا استدعاه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم فملكوه عليهم ، ثم قتلوه كما ذكرنا ، وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم ، وقد قيل إنه كان متخلفا لا يصلح للملك ، وقد رؤى أبوه في المنام بعد قتل ابنه وهو يقول :

قتلوه شر قتله * صار للعالم مثله

لم يراعوا فيه إلا * لاولا من كان قبله

ستراهم عن قريب * لأقل الناس أكله

فكان كما ذكرنا من اقتتال المصريين والشاميين . ومن عدم فيما بين الصفيين من أعيان الأمراء والمسلمين ففهم الشمس لؤلؤ مدبر ممالك الحلبيين ، وكان من خيار عباد الله الصالحين الأمرين بالمعروف وعن المنكر ناهين . وفيها كانت وفاة .

﴿ الخاتون ارغوانية ﴾

الحافظية سميت الحافظية لخدمتها وتربيتها الحافظ ، صاحب قلعة جعبر ، وكانت امرأة عاقلة مدبرة عمرت دهرها ولها أموال جزيلة عظيمة ، وهي التي كانت تصلح الأطعمة للمغيث عمر بن الصالح أيوب ، فصادرها الصالح إسماعيل فأخذ منها أربعمائة صندوق من المال ، وقد وقفت دارها بدمشق على خدامها ، واشترت بستان النجيب ياقوت الذي كان خادما الشيخ تاج الدين الكندي ، وجعلت فيه تربة ومسجدا ، ووقفت فيه عليها أوقافا كثيرة جيدة رحمه الله .

واقف الأمانة التي بعلبك . ﴿ أمين الدولة أبو الحسن غزال المتطبب ﴾

وزير الصالح إسماعيل أبي الجيش الذي كان مشؤما على نفسه ، وعلى سلطانه ، وسببا في زوال النعمة عنه وعن مخدميه ، وهذا هو وزير السوء ، وقد اتهمه السبب بأنه كان مستهترا بالدين ، وأنه لم يكن له في الحقيقة دين ، فأراح الله تعالى منه عامة المسلمين ، وكان قتله في هذه السنة لما عدم الصالح إسماعيل بديار مصر ، عمد من عمد من الأمراء إليه وإلى ابن يغمور فشنقوها وصلبوها على القلعة

بمصر متناوحين . وقد وجد لأمين الدولة غزال هذا من الأموال والنحف والجواهر والأثاث ما يساوي ثلاثة آلاف ألف دينار ، وعشرة آلاف مجلد بخط منسوب وغير ذلك من الخطوط النفيسة الفاتحة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة ﴾

فيها عاد الملك الناصر صاحب حلب إلى دمشق وقدمت عساكر المصريين فحكروا على بلاد السواحل إلى حد الشريعة ، فجهز لهم الملك الناصر جيشاً فطردوهم حتى ردوهم إلى الديار المصرية ، وقصر وهم عليها ، وتزوجت في هذه السنة أم خليل شجرة الدر بالملك الممزعز الدين أيبك التركماني ، مملوك زوجها الصالح أيوب . وفيها نقل تابوت الصالح أيوب إلى تربته بمدرسته ، ولبست الأتراك ثياب العزاء ، وتصدقت أم خليل عنه بأموال جزيلة . وفيها خربت الترك دمياط ونقلوا الأهالي إلى مصر وأخلوا الجزيرة أيضاً خوفاً من عود الفرنج . وفيها كل شرح الكتاب المسمى بهج البلاغة في عشرين مجلداً مما ألفه عبد الحميد بن داود بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني ، الكاتب للوزير مؤيد الدين بن العلقمي ، فأطلق له الوزير مائة دينار وخلمة وفرسا ، وامتدحه عبد الحميد بقصيدة ، لانه كان شيعياً معتزلياً . وفي رمضان استدعى الشيخ سراج الدين عمر بن بركة النهر قلى مدرس النظامية ببغداد فولى قضاء القضاة ببغداد مع التدريس المذكور ، وخلع عليه . وفي شعبان ولى تاج الدين عبد الكريم بن الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي حاسبة ببغداد بعد أخيه عبد الله الذي تركها تزهداً عنها ، وخلع عليه بطرحة ، ووضع على رأسه غاشية ، وركب الحجاب في خدمته . وفي هذه السنة صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر ، وهذا اتفاق غريب . وفيها وصل إلى الخليفة كتاب من صاحب اليمن صلاح الدين بن يوسف بن عمر بن رسول يذكر فيه أن رجلاً باليمن خرج فادعى الخلافة ، وأنه أنفذ إليه جيشاً فكسروه وقتلوا خلقاً من أصحابه وأخذ منهم صنعا وهرب هو بنفسه في شردمة ممن بقي من أصحابه . وفيها أرسل الخليفة إليه بالخلع والتقليد وفيها كانت وفاة .

﴿ بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة الحميري ﴾

خطيب القاهرة ، رحل في صفره إلى العراق فسمع بها وغيرها ، وكان فاضلاً قد أتقن معرفة مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، وكان ديناً حسن الأخلاق واسع الصدر كثير البر ، قل أن يقدم عليه أحد إلا أطعمه شيئاً ، وقد سمع الكثير على السلفي وغيره ، وأسمع الناس شيئاً كثيراً من مروياته ، وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة ، وله تسعون سنة ، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

﴿ أفضى القضاة أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام ﴾

ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللعماني الحنفي من بيت العلم والقضاء ، درس بمشهد أبي حنيفة وناب عن قاضي القضاة ابن فضلان الشافعي ، ثم عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن

عبدالرزاق الحنبلي ، ثم عن قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل الواسطي ، ثم بعد وفاته في سنة ثلاث وثلاثين استقل القاضي عبد الرحمن اللمعاني بولاية الحكم ببغداد ، ولقب أفضى القضاة ، ولم يخاطب بقاضي القضاة ، ودرس للحنفية بالمستنصرية في سنة خمس وثلاثين ، وكان مشكور السيرة في أحكامه ونقضه وإبرامه . ولما توفي تولى بعده قضاء القضاة ببغداد شيخ النظامية سراج الدين النهر قلى رحمهما الله تعالى ونجاوز عنهما بمنه وكرمه آمين .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وستمائة هجرية ﴾

فيها وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما إلى هذه البلاد ، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخرّبوا فانا لله وإنا إليه راجعون . ووقعوا بسنجار يسرون بين حران ورأس العين ، فأخذوا منهم ستائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية ، وستائة ألف دينار ، وكان عدة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحواً من عشرة آلاف قتيل ، وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال السبط : وفيها حج الناس من بغداد ، وكان لهم عشر سنين لم يحجوا من زمن المستنصر . وفيها وقع حريق بحلب احترق بسببه ستائة دار ، ويقال إن الفرنج لعنهم الله ألقوه فيه قصدا . وفيها أعاد قاضي القضاة عمر بن علي النهر قلى أمر المدرسة التاجية التي كان قد استحوذ عليها طائفة من العوام ، وجعلوها كالتيسارية يبتاعون فيها مدة طويلة ، وهي مدرسة جيدة حسنة قريبة الشبه من النظامية ، وقد كان بانيتها يقال له تاج الملك ، وزير ملك شاه السلجوقي ، وأول من درس بها الشيخ أبو بكر الشاشي .

﴿ جمال الدين بن مطروح ﴾

وفيها كانت وفاة

وقد كان فاضلاً رئيساً كيساً شاعراً من كبار المتعممين ، ثم استنابه الملك الصالح أيوب في وقت على دمشق فلبس لبس الجنند . قال السبط : وكان لا يليق في ذلك . ومن شعره في الناصر داود صاحب الكرك لما استعاد القدس من الفرنج حين سلمت إليهم في سنة ست وثلاثين في الدولة الكاملة فقال هذا الشاعر ، وهو ابن مطروح رحمه الله :

المسجد الأقصى له عادة * سارت فصارت مثلاً سائراً

إذا غدا للكفر مستوطناً * أن يبعث الله له ناصراً

فناصر طهره أولاً * وناصر طهره آخراً

ولما عزله الصالح من النيابة أقام خاملاً وكان كثير البر بالفقراء والمساكين ، وكانت وفاته بمصر

﴿ شمس الدين محمد بن سعد المقدسي ﴾

وفيها توفي .

الكاتب الحسن الخط ، كان كثير الأدب ، وسمع الحديث كثيراً ، وخدم السلطان الصالح

إسماعيل والناصر داود ، وكان ديننا فاضلا شاعرا له قصيدة ينصح فيها السلطان الصالح إسماعيل وما يلقاه الناس من وزيره وقاضيه وغيرهما ، من حواشيه .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ عبد العزيز بن علي ﴾

ابن عبد الجبار المغربي ، أبوه ولد ببغداد ، وسمع بها الحديث ، وعنى بطلب العلم وصنف كتابا في مجلدات على حروف المعجم في الحديث ، وحرر فيه حكاية مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ أبو عبد الله محمد بن غانم بن كريم ﴾

الأصبهاني ، قدم بغداد وكان شابا فاضلا ، فتعلم للشيخ شهاب الدين السهروردي ، وكان حسن الطريقة ، له يد في التفسير ، وله تفسير على طريقة التصوف ، وفيه لطافة ، ومن كلامه في الوعظ : العالم كالذرة في فضاء عظمته ، والذرة كالعالم في كتاب حكمته ، الأصول فروع إذا تجلى جمال أوليته ، والفروع أصول إذا طلعت من مغرب نبي الوسائط شمس أخريته ، أستار الليل مسدولة ، وشموع الكواكب مشعولة ، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة ، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل معزولة ما هذه الوقعة والحبيب قد فتح الباب ؟ ما هذه الفترة والمولى قد خرق حاجب الحجاب ؟

وقوفى بأكناف العقيق عقوق * إذا لم أرد والدمع فيه عقيق

وإذا لم أمت شوقا إلى ساكن الحى * فما أنا فيما أدعيه صدوق

أياربع ليلي ما المحبون في الهوى * سواء ، ولا كل الشراب رحيق

ولا كل من تلقاه يلقاك قلبه * ولا كل من يحنو إليك مشوق

تسكثرت الدعوى على الحب فاستوى * أسير صبايات الهوى وطليق

أيها الأمنون ، هل فيكم من يصعد إلى السماء ؟ أيها المحبوسون في مطامير مسمياتهم ، هل فيكم سليم في الفهم يفهم رموز الوحوش والأطيوار ؟ هل فيكم موسوى الشوق يقول بلسان شوقه أرني أنظر إليك ، فقد طال الانتظار ؟ ولما استسقى الناس قال بعد الاستسقاء : لما صعدت إلى الله عز وجل نفس المشتاق بكت آفاق الآفاق ، وجادت بالدر مرضعة السحاب ، وامتنص لبن الرحمة رضيع التراب وخرج من أخلاف الغمام نطاف الماء النخير ، فاهتزت به الهامدة ، وقرت عيون المسدر ، وتزينت الرياض بالسندس الأخضر ، فخر الصبغ جبرها أحسن تجبير ، وانفلق بأنملة الصبا أحكام الأنوار ، وانشقت بنفحات أنفاسه جيوب الأزهار ، ونطقت أجزاء الكائنات بلغات صفاتها ، وعادات عبرها : أيها النائمون تيقظوا ، أيها المبعدون تعرضوا (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لحجى الموتى إنه على كل شئ قدير) .

﴿ أبو الفتح نصر الله بن هبة الله ﴾

ابن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن صاعدة الغفاري الكناني المصري ثم الدمشقي كان من أخصاء الملك المعظم ، وولده الناصر داود ، وقد سافر معه إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وكان أديبا مليح المحاضرة رحمه الله تعالى . ومن شعره قوله :

ولما أبيتم سادتي عن زيارتي * وعوضتموني بالبعاد عن القرب
ولم تسمعوا بالوصل في حال يقظتي * ولم يصطبر عنكم لرقته قلبي
نصبت لصيد الطيف جفني حباله * فأدرت خفض العيش بالنوم والنصب

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة ﴾

فيها دخل الشيخ نجم الدين البادراني رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام ، وأصلح بين الجيشين ، وكانوا قد اشتد الحرب بينهم ونشبت ، وقد مالا الجيش المصري الفرنج ووعدهم أن يسلموا إليهم بيت المقدس إن نصرهم على الشاميين ، وجرت خطوب كثيرة ، فأصلح بينهم وخلص جماعة من بيوت الملوك من الديار المصرية ، منهم أولاد الصالح إسماعيل ، وبنت الأشرف وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم ، جزاه الله خيرا . وفيها فيما ذكر ابن الساعي كان رجل ببغداد على رأسه زبادى قابسى فزاق فتكسرت ووقف يبكي ، فأتاه الناس له لعقره وحاجته ، وأنه لم يكن يملك غيرها ، فأعطاه رجل من الحاضرين دينارا ، فلما أخذه نظر فيه طويلا ثم قال : والله هذا الدينار أعرفه ، وقد ذهب منى في جملة دنانير عام أول ، فشتمه بعض الحاضرين فقال له ذلك الرجل : فما علامة ما قلت ؟ قال زنة هذا كذا وكذا ، وكان معه ثلاثة وعشرون دينارا ، فوزنوه فوجدوه كما ذكر ، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين دينارا ، وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه ، فتعجب الناس لذلك . قال : ويقرب من هذا أن رجلا بمكة نزع ثيابه ليغتسل من ماء زمزم وأخرج من عضده دملجا زنته خمسون مثقالا فوضعه مع ثيابه ، فلما فرغ من اغتساله لبس ثيابه ونسى الدملج ومضى ، وصار إلى بغداد وبقى مدة سنتين بعد ذلك وأيس منه ، ولم يبق معه شيء إلا يسير فاشترى به زجاجا وقوارير ليبيعهما ويتكسب بها ، فبينما هو يطوف بها إذ زلق فسقطت القوارير فتكسرت فوقف يبكي واجتمع الناس عليه يتألمون له ، فقال في جملة كلامه والله يا جماعة لقد ذهب منى من مدة سنتين دملج من ذهب زنته خمسون دينارا ، ما باليت لعقره كما باليت لتكسير هذه القوارير ، وما ذلك إلا لأن هذه كانت جميع ما أملك ، فقال له رجل من الجماعة : فأنا والله لقيت ذلك الدملج ، وأخرجه من عضده فتهجيب الناس والحاضرون . والله أعلم بالصواب .

ومن توفى فيها من الأعيان (١) .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وستائة ﴾

قال سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان : فيها وردت الأخبار من مكة شرفها الله تعالى بأن نارا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها بحيث إنه يطير شررها إلى البحر في الليل ، ويصعد منها دخان عظيم في أثناء النهار ، فما شكوا أنها النار التي ذكر النبي ﷺ أنها تظهر في آخر الزمان ، فتاب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد ، وشرعوا في أفعال الخير والصدقات . وفيها قدم الفارس أقطاي من الصعيد ونهب أموال المسلمين وأسر بعضهم ، ومعه جماعة من البحرية المفسدين في الأرض ، وقد بغوا وطغوا وتجبروا ، ولا يلتفتون إلى الملك المعز أيك التركاني ، ولا إلى زوجته شجرة الدر . فشاور المعز زوجته شجرة الدر في قتل أقطاي ، فأذنت له ، فعمل عليه حتى قتله في هذه السنة بالقلمة المنصورة بمصر ، فاستراح المسلمون من شره . وفيها درس الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمدرسة الصالح أيوب بين القصرين . وفيها قدمت بنت ملك الروم في تجمل عظيم وإقامات هائلة إلى دمشق زوجة لصاحبها الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر ، وجرت أوقات حافلة بدمشق بسببها .

ومن توفى فيها من المشاهير ﴿ عبد الحميد بن عيسى ﴾

الشيخ شمس الدين بن الخسر وشاهي ، أحد مشاهير المتكلمين ، ومن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها ، ثم قدم الشام فلزم الملك الناصر داود بن المعظم وحظي عنده . قال أبو شامة : وكان شيخاً مهيباً فاضلاً متواضعاً حسن الظاهر رحمه الله تعالى . قال السبط : وكان متواضعاً كيساً محضراً خيراً ، لم ينقل عنه أنه آذى أحداً فان قدر على نفع وإلا سكت ، توفى بدمشق ودفن بقاسيون على باب تربة الملك المعظم رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ مجد الدين بن تيمية صاحب الاحكام ﴾ [عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن علي بن تيمية الحرائي الحنبلي ، جد الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، ولد في حدود سنة تسعين وخمسة مائة وتفقه في صغره على عمه الخطيب نحر الدين ، وسمع الكثير ورحل إلى البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره ، ودرس وأفتى وانتفع به الطلبة ومات يوم الفطر بجران] (٢) .

(١) بياض بجميع الأصول وقال الذهبي . وفيها توفى أبو البقاء صالح بن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجي انخياط في الحرم . وسبط السلفي أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحرم المكي بن عبد الرحمن الطرابلسي الاسكندراني في شوال عن إحدى وثمانين سنة . وأبو محمد بن جميل البندنيجي البواب : آخر من روى عن عبد الحق اليوسفي .

(٢) بياض بأصل التركية والمصرية . وكملت الترجمة من النجوم الزاهرة .

﴿ الشيخ كمال الدين بن طلحة ﴾

الذي ولى الخطابة بدمشق بعد الدواعي ، ثم عزل وصار إلى الجزيرة فولى قضاء نصيبين ، ثم صار إلى حلب فتوفي بها في هذه السنة . قال أبو شامة : وكان فاضلا عالما طلب أن يلي الوزارة فامتنع من ذلك ، وكان هذا من التأييد رحمه الله تعالى .

﴿ السيد بن علان ﴾

آخر من روى عن الحافظ ابن عساكر سماعا بدمشق .

﴿ الناصح فرج بن عبد الله الحبشي ﴾

كان كثير السماع مسندا خيرا صالحا مواظبا على سماع الحديث وإسماعه إلى أن مات بدمشق .
الحديث النورية بدمشق رحمه الله .

﴿ النصر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ﴾

توفي بحلب في هذه السنة . وآخرون رحمهم الله أجمعين .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستائة ﴾

قال السبط فيها عاد الناصر داود من الأنبار إلى دمشق ، ثم عاد وحج من العراق وأصلح بين العراقيين ، وأهل مكة ، ثم عاد معهم إلى الحلة . قال أبو شامة : وفيها في ليلة الاثنين ثامن عشر صفر توفي بحلب الشيخ الفقيه .

﴿ ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم ﴾

وكان فاضلا دينيا ، ومن شعره قوله رحمه الله تعالى .

من ادعى أن له حالة * تخرجه عن منهج الشرع

فلا تكونن له صاحبا * فانه ضر بلا نفع

وهو واقف القوصية . ﴿ أبو العز^(١) إسماعيل بن حامد ﴾

ابن عبد الرحمن الأنصاري القوصي ، واقف داره بالقرب من الرحبة على أهل الحديث وبها قبره ، وكان مدرسا بحلقة جمال الاسلام تجاه البدارة^(٢) ، فعرفت به ، وكان ظريفا مطبوعا حسن المحاضرة ، وقد جمع له معجما حكي فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة . قال أبو شامة : وقد طالعت بخطه فرأيت فيه أغاليل وأوهاما في أسماء الرجال وغيرها ، فمن ذلك أنه انتسب إلى سعد بن عبادة ابن دلم فقال سعد بن عبادة بن الصامت وهذا غلط ، وقال في شدة خرقه التصوف فغلط وعصف حيايا أبا محمد حسينا . قال أبو شامة : رأيت ذلك بخطه ، توفي يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول من

(١) في « نسخة أبو المعز » (٢) في « نسخة البرادة »

هذه السنة رحمه الله . وقد توفي الشريف المرتضى نقيب الأشراف بحلب ، وكانت وفاته بها ، رحمه الله تعالى .

✽ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة ✽

فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاعت لها أعناق الابل ببصرى ، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه ، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الامام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسى في كتابه الذيل وشرحه ، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاينة ، وكيفية خروجها وأمرها ، وهذا محرر في كتاب : دلائل النبوة من السيرة النبوية ، في أوائل هذا الكتاب والله الحمد والمنة . وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال : وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، بخر وج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكتبت الكتب في خامس رجب ، والنار بحالها ، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان ثم قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى » فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بقباء على ضوئها الكتب . قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي ، وكان في دار كل واحد منا سراج ، ولم يكن لها حر ولفح على عظمها ، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل . قال أبو شامة : وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها .

« لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة النبوية دوى عظيم ، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات ، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء ، وقد مدت مسيل شظا وما عاد يسيل ، والله لقد طلعتنا جماعة نبصرها فاذا الجبال تسيل نيرانا ، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي ، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعد ما أشفقنا أن تجيء إلينا ، ورجعت تسيل في الشرق فخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة ، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه (إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جملة صفر) وقد أكلت الأرض ، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمائة والنار في زيادة ما تغيرت ، وقد عادت إلى الحرار في قريظة طريق

غير الحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل نبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج .
وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حمر ، والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند
قریظة ، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أى شيء يتم بعد ذلك ، والله يجعل العاقبة إلى خير ،
فما أقدر أصف هذه النار .

قال أبو شامة : « وفي كتاب آخر : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة
ووقع في شرق المدينة المشرفة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم : انفجرت من الأرض
وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ، ثم وقفت وعادت إلى الساعة ، ولاندرى ماذا نفعل ،
ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين إلى ربهم
تعالى ، وهذه دلائل القيامة . »

قال « وفي كتاب آخر : لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة ، سنة أربع وخمسين وستمائة
وقع بالمدينة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة ، أقام على هذه الحالة يومين ، فلما كانت ليلة
الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلازل ، فلما كان يوم الجمعة خامس
الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله ﷺ ، وهي برأى
العين من المدينة ، نشاهدها وهي ترمى بشرر كالتصر ، كما قال الله تعالى ، وهي بموضع يقال له أخيلين ^(١)
وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربع فراسخ ، وعرضه أربعة أميال ، وعمقه قامة
ونصف ، وهي تجرى على وجه الأرض ويخرج منها أمها دوجبال صغار ، وتسير على وجه الأرض
وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك . فاذا جمد صار أسود ، وقبل الجلود لونه أحمر ، وقد حصل
بسبب هذه النار إقلاع عن المعاصي ، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات ، وخرج أمير المدينة عن
مظالم كثيرة إلى أهلها . »

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، « ومن كتاب شمس الدين بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة
الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث
بالمدينة بالثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها ، وباتت باقى تلك الليلة تنزل كل يوم
وليلة قدر عشر نوبات ، والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله ﷺ اضطرب لها المنبر
إلى أن أوجسنا منه [إذ سمعنا] صوتا للحديد الذى فيه ، واضطربت قناديل الحرم الشريف ، وتمت
الزلزلة إلى يوم الجمعة ضحى ، ولها دوى مثل دوى الرعد القاصف ، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة
(١) « في النسخة المصرية الراجلين » وفي النجوم الزهرة « أخيلين » وبها مشه : في تاريخ
مكة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة « أخيلين » .

في رأس أجيلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة ، وما بان لنا إلا ليلة السبت وأشفقنا منها وخفنا خوفا عظيما ، وطلعت إلى الأمير كلمته وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ، ارجع إلى الله تعالى ، فأعق كل مما يليك ورد على جماعة أموالهم ، فلما فعل ذلك قلت اهبط الساعة معنا إلى النبي ﷺ ، فهبط وبقنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ، وما بقي أحدنا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي ﷺ ، ثم سال منها نهر من نار ، وأخذ في وادي أجيلين وسد الطريق ثم طلع إلى بحرة الحاج وهو بحر نار يجري ، وفوقه حجر يسير إلى أن قطعت الوادي وادي الشظا ، وما عاد يجي في الوادي سيل قط لأنها حضرته نحو قاتنين وثلاث علوها ، والله يا أخي إن عيشتنا اليوم مكدره والمدينة قد تاب جميع أهلها ، ولا بقي يسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب ، وتمت النار تسيل إلى أن سدت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج ، وجاء في الوادي إلينا منها يسير^(١) وخفنا أنه يجيئنا فاجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وتابوا عنده جميعهم ليلة الجمعة ، وأما قتيورها الذي مما يلينا فقد طفي بقدره الله وأنها إلى الساعة وما نقصت إلا ترى مثل الجمال حجارة ولها دوى ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب ، وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الأهوال ، وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا إليها ، وما صبح يقدر يصفها من عظمها ، وكتب الكتاب يوم خامس رجب ، وهي على حالها ، والناس منها خائفون ، والشمس والقمر من يوم ما طلعت ما يطلعان إلا كاسفين ، فنسأل الله العافية .

قال أبو شامة : وبان عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان ، وكنا حيارى من ذلك إيش هو ؟ إلى أن جاءنا هذا الخبر عن هذه النار .

قلت : وكان أبو شامة قد أرخ قبل مجيء الكسوف بأمر هذه النار ، فقال : وفيها في ليلة الاثنين السامس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل ، وكان شديدا حمرا ثم انجلى ، وكسفت الشمس ، وفي غده احمرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أياما متغيرة اللون ضعيفة النور ، والله على كل شيء قدير ، ثم قال : واتضح بذلك ما صوره الشافعي من اجتماع الكسوف والعيده ، واستبعده أهل النجامة .

ثم قال أبو شامة : «ومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه : وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى طفق الماء من أعلى أسوار بغداد إليها ، وغرق كثير منها ، ودخل الماء دار الخلافة وسط البلد ، وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمانون داراً ، وانهدم مخزن الخليفة ، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير ، وأشرف الناس

على الهلاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلدة ، ونخترق أزقة بغداد . قال وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم : لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين ، عاد الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد ، فانزعج لها الناس كلهم ، وانتبهوا من مراقبتهم وضع الناس بالاستغفار إلى الله تعالى ، وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه ، وتمت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى الصبح ، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء ليلة الخميس كلها وليلة الجمعة ، وصبح يوم الجمعة ارتجت الأرض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض ، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم ، وأشفق الناس من ذنوبهم ، وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر ، ثم ظهرت عندنا بالحره وراء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من الأرض ، فارتاع لها الناس روعة عظيمة ، ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض ، فيصل إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة ، ثم ظهرت النار لها ألسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها القلعة ، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وإلى الحجرة الشريفة ، واستجار الناس بها وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رؤسهم وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا بنبيه عليه الصلاة والسلام ، وأتى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل ، وخرج النساء من البيوت والصبيان ، واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله ، وغطت حمرة النار السماء كلها حتى بقى الناس في مثل ضوء القمر ، وبقيت السماء كالعقمة ، وأيقن الناس بالهلاك أو العذاب ، وبات الناس تلك الليلة بين مصل ونال للقرآن وراكم وساجد ، وداع إلى الله عز وجل ، ومننصل من ذنوبه ومستغفر ونائب ، ولزمت النار مكانها وتناقص تضاعفها ذلك ولهيها ، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه ، فطرح المكس وأعتق مماليكه كلهم وعبيده ، ورد علينا كل مالنا تحت يده ، وعلى غيرنا ، وبقيت تلك النار على حالها تلتهب التهاها ، وهي كالجبل العظيم [ارتفاعاً و] كالمدينة عرضاً ، يخرج منها حصى يصعد في السماء ويهوى فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمى كالرعد . وبقيت كذلك أياماً ثم سالت سيلاناً إلى وادي أجلين تنحدر مع الوادي إلى الشظا ، حتى لحق سيلانها بالبحرة بحرة الحاج ، والحجارة معها تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة العريض ، ثم سكنت ووقفت أياماً ، ثم عادت ترمى بحجارة خلفها وأمامها ، حتى بنت لها جبلين وما بقى يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياماً ، ثم إنها عظمت وسنأها إلى الآن ، وهي تنقد كأعظم ما يكون ، ولها كل يوم صوت عظيم في آخر الليل إلى ضحوة ، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على السكال ، وإنما هذا طرف يكفى . والشمس والقمر كأنهما منكسفتان إلى الآن . وكتب هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر .

وقد قال فيها بعضهم أبياتاً :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا * لقد أحاطت بنا يارب بأساء
 نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها * حملاً ونحن بها حقا أحقاء
 زلازل تخشع الصم الصلاب لها * وكيف يقوى على الزلزال شماء
 أقام سبغاً يرج الأرض فانصدعت * عن منظر منه عين الشمس عشواء
 بحر من النار تجرى فوقه سفن * من الهضاب لها في الأرض أرساء
 كأنما فوقه الأجيال طافية * موج عليه لفرط البهج وعثاء
 ترمى لها شرراً كالفصر طائشة * كأنها ديمة تنصب هطلاء
 تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت * رعباً وترعد مثل السعف أضواء
 منها تكاثف في الجو الدخان إلى * أن عادت الشمس منه وهي دهماء
 قد أثرت سفة في البدر لفتحها * فليلة التم بعد النور ليلاء
 تحدث النيرات السبع ألسنها * بما يلاقى بها تحت الثرى الماء
 وقد أحاط لظاها بالبروج إلى * أن كاد يلحقها بالأرض إهواء
 فيلها آية من معجزات رسو * ل الله يعقلها القوم الألباء
 فباصمك الأعظم المكنون إن عظمت * منا الذنوب وساء القلب أسواء
 فاصمح وهب وتفضل وامح واعف وجد * واصفح فكل لفرط الجهل خطأ
 فقوم يونس لما آمنوا كشف الـ * مذاب عنهم وعم القوم نعماء
 ونحن أمة هذا المصطفى ولنا * منه إلى عفوك المرجو دواء
 هذا الرسول الذي لولاه ماسلكت * محجة في سبيل الله بيضاء
 فارحم وصل على المختار ماخطبت * على علا منبر الأوراق ورقاء

قلت : والحديث الوارد في أمر هذه النار مخرج في الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الأبل ببصرى » وهذا لفظ البخارى .

وقد وقع هذا في هذه السنة - أعنى سنة أربع وخمسين وستائة - كما ذكرنا ، وقد أخبرني قاضى القضاة صدر الدين على بن أبى القاسم التميمى الحنفى الحاكم بدمشق فى بعض الأيام فى المذاكرة ، وجرى ذكر هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار فى هذه السنة فقال : سمعت رجلاً من الأعراب يخبر والدى ببصرى فى تلك الليالى أنهم رأوا أعناق الأبل فى ضوء هذه النار التى ظهرت فى أرض الحجاز .

قلت : وكان مولده فى سنة ثنتين وأربعين وستائة ، وكان والده مدرساً للحنفية ببصرى وكذلك

كان جده ، وهو قد درس بها أيضاً ثم انتقل إلى دمشق فدرس بالصادرية وبالعلمية ، ثم ولى قضاء القضاة الحنفية ، وكان مشكور السيرة في الأحكام ، وقد كان عمره حين وقعت هذه النار بالحجاز ثنتا عشرة سنة ، ومثله ممن يضبط ما يسمع من الخبر أن الأعرابي أخبر والده في تلك الليالي ، وصلوات الله وسلامه على نبيه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .
ومما نظمه بعض الشعراء في هذه النار الحجازية وغرق بغداد قوله :

سبحان من أصبحت مشيئته * جارية في الورى بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما * أحرقت أرض الحجاز بالنار
قال أبو شامة : والصواب أن يقال :

في سنة أغرق العراق وقد * أحرقت أرض الحجاز بالنار

وقال ابن الساعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وسبعمائة : في يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعنى من هذه السنة - كنت جالساً بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول ﷺ صحبة قاصد يعرف بقباز العالوى الحسنى المدنى ، فنأوله الكتاب فقرأه وهو يتضمن أن مدينة الرسول ﷺ زلزلت يوم الثلاثاء فاني جمادى الآخرة حتى ارتج القبر الشريف النبوى ، وسمع صرير الحديد ، وتحرك السلاسل ، وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة ، وكانت ترمى بزبد كأنه رؤس الجبال ، ودامت خمسة عشر يوماً . قال القاصد : وجئت ولم تنقطع بعد ، بل كانت على حالها ، وسأله إلى أى الجهات ترمى ؟ فقال : إلى جهة الشرق ، واجتزت عليها أنا ونجابة اليمن ورمينا فيها سعفة فلم تحرقها ، بل كانت تحرق الحجارة وتذيقها . وأخرج قباز المذكور شيئاً من الصخر المحترق وهو كالفحم لونا وخفة . قال وذكر في الكتاب وكان بخط قاضى المدينة أنهم لما زلزلوا دخلوا الحرم وكشفوا رؤسهم واستغفروا وأن نائب المدينة أعتق جميع مماليكه ، وخرج من جميع المظالم ، ولم يزالوا مستغفرين حتى سكنت الزلزلة ، إلا أن النار التي ظهرت لم تنقطع . وجاء القاصد المذكور ولها خمسة عشر يوماً وإلى الآن .
قال ابن الساعي : وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الامعانى شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، يقول : إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة ، وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة ، فالسعيد من انتهز الفرصة قبل الموت ، وتدارك أمره باصلاح حاله مع الله عز وجل قبل الموت . وهذه النار في أرض ذات حجر لا شجر فيها ولا نبت ، وهى تأكل بعضها بعضاً إن لم تجد ما تأكله ، وهى تحرق الحجارة وتذيقها ، حتى تعود كالطين المبلول ، ثم يضربه الهواء حتى يعود كخبث الحديد الذى يخرج من الكير ، فالله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين ، بمحمد وآله الطاهرين .

قال أبو شامة : وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق مسجد المدينة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، ابتداء حريقه من زاويته الغربية من الشمال ، وكان دخل أحد القومة إلى خزانة ثم معه نار فعلقت في الأبواب ثم ، واتصلت بالسقف بسرعة ، ثم دبت في السقوف ، وأخذت قبلة فأعجبت الناس عن قطعها ، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ، ووقعت بعض أساطينه وذاب رصاصها ، وكل ذلك قبل أن ينام الناس ، واحترق سقف الحجر النبوية ووقع ما وقع منه في الحجر ، وبقي على حاله حتى شرع في عمارة سقفه وسقف المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وأصبح الناس فعزلوا موضعاً للصلاة ، وعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات ، وكأنها كانت منذرة بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره . هذا كلام الشيخ شهاب الدين أبي شامة . وقد قال أبو شامة : في الذي وقع في هذه السنة وما بعدها شعرا وهو قوله :

بعد ست من المئين والخمس * بين لدى أربع جرى في العام
نار أرض الحجاز مع حرق المس * جدد معه تغريق دار السلام
ثم أخذ التتار بغداد في أو * ل عام ، من بعد ذلك وعام
لم يعن أهلها وللکفر أعوا * ن عليهم ، يا ضيعة الاسلام
وانقضت دولة الخلافة منها * صار مستعصم بغير اعتصام
فحنانا على الحجاز ومصر * وسلاما على بلاد الشام
رب سلم وحن وعاف بقايا * المدن ، يا ذا الجلال والاکرام

وفي هذه السنة كملت المدرسة الناصرية الجوانية داخل باب الفراديس ، وحضر فيها الدرس واقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي فاتح بيت المقدس ، ودرس فيها قاضي البلد صدر الدين ابن سناء الدولة ، وحضر عنده الأمراء والدولة والعلماء وجمهور أهل الحل والعقد بدمشق . وفيها أمر بعمارة الرباط الناصري بسفح قاسيون .
ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

﴿ الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسن بن النحاس ﴾

ترك الخلائق وأقبل على الزهادة والتلاوة والعبادة والصيام المتتابع والانتطاع بمسجده بسفح قاسيون نحو من ثلاثين سنة ، وكان من خيار الناس . ولما توفي دفن عند مسجده بترية مشهورة به ، وحمام ينسب إليه في مساريق الصالحية ، وقد أثنى عليه السبط ، وأرخوا وفاته كما ذكرنا .

﴿ يوسف بن الأمير حسام الدين ﴾

قزأوغلى بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلى رحمه الله تعالى . الشيخ شمس الدين .

أبوالمظفر الحنفى البغدادى ثم دمشق ، سبط ابن الجوزى ، أمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى الواعظ ، وقد كان حسن الصورة طيب الصوت حسن الوعظ كثير الفضائل والمصنفات ، وله مرآة الزمان فى عشرين مجلداً من أحسن التواريخ ، نظم فيه المنتظم لجده وزاد عليه وذيل إلى زمانه ، وهو من أبهج التواريخ ، قدم دمشق فى حدود الستمائة وحظى عند ملوك بنى أيوب ، وقدموه وأحسنوا إليه ، وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية التى تقوم عندها الوعظ اليوم عند باب مشهد على بن الحسين زين العابدين ، وقد كان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون البساتين فى الصيف حتى يسمعوا ميعاده ، ثم يسرعون إلى بساتينهم فيتذاكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن ، على طريقة جده . وقد كان الشيخ تاج الدين الكندى ، وغيره من المشايخ ، يحضرون عنده تحت قبة يزيد ، التى عند باب المشهد ، ويستحسنون ما يقول . ودرس بالعزية البرانية التى بناها الأمير عز الدين أيبك المعظمى ، أستاذ دار المعظم ، وهو واقف العزية الجوانية التى بالكشك أيضاً ، وكانت قديماً تعرف بدور ابن منقذ . ودرس السبط أيضاً بالشبلية التى بالجبل عند جسر كحيل ، وفوض إليه البدرية التى قبالتها ، فكانت سكنه ، وبها توفى ليلة الثلاثاء الحسادى والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وحضر جنازته سلطان البلد الناصر ابن العزيز فن دونه . وقد أثنى عليه الشيخ شهاب الدين أبوشامة فى علومه وفضائله ورياسته وحسن وعظه وطيب صوته ونضارة وجهه ، وتواضعه وزهده وتودده ، لكنه قال : وقد كنت مريضاً ليلة وفاته فرأيت وفاته فى المنام قبل اليقظة ، ورأيت فى حالة منكرة ، ورآه غيرى أيضاً ، فذسأل الله العافية . ولم أقدر على حضور جنازته ، وكانت جنازته حافلة حضره السلطان والناس ، ودفن هناك . وقد كان فاضلاً عالماً نظرياً منقطعاً منكراً على أرباب الدول ما هم عليه من المنكرات ، وقد كان مقتصداً فى لباسه مواظباً على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف ، منصفاً لأهل العلم والفضل ، مبيناً لأولى الجهل ، وتأتى الملوك وأرباب المناصب إليه زائرين وقاصدين ، وربى فى طول زمانه فى حياة طيبة وجاءه عريض عند الملوك والعوام نحو خمسين سنة ، وكان مجلس وعظه مطرباً ، وصوته فيما يورده حسناً طيباً ، رحمه الله تعالى ورضى عنه . وقد سئل فى يوم عاشوراء زمن الملك الناصر صاحب حلب أن يذكر للناس شيئاً من مقتل الحسين فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى شديداً ثم أنشأ يقول وهو يبكى :

ويل لمن شفاؤه خصاؤه * والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن ترد القيامة فاطم * وقيصها بدم الحسين ملطخ
ثم نزل عن المنبر وهو يبكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك رحمه الله .

﴿ واقف مرستان الصالحية ﴾

الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن يوسف ابن أبي الفوارس بن موسك القيصرى الكردى ،
أكبر أمراء القيمرية ، كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك ، ومن أكبر حسناته وقفه المرستان
الذى بسفح قاسيون ، وكانت وفاته ودفنه بالسفح فى القبة التى تجاه المرستان المذكور ، وكان ذا مال
كثير وثروة رحمه الله .

﴿ مجير الدين يعقوب بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ﴾

دفن عند والده بتربة العادلية .

﴿ الأمير مظفر الدين إبراهيم ﴾

ابن صاحب صرخد عز الدين أيك أستاذ دارالمعظم واقف المعزيتين [البرانية والجوانية] على
الحنفية ، ودفن عند والده بالتربة تحت القبة عند الوراقه رحمهما الله تعالى .

﴿ الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح ﴾

المقدسى الفقيه الشافعى مدرس الرواحية بعد شيخه تقي الدين ابن الصلاح ، ودفن بالصوفية
أيضا ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله .

قال أبو شامة : وكثر فى هذه السنة موت الفجأة . فمات خلق كثير بسبب ذلك ، ومن توفى فيها
زكى الدين أبو الغورية ^(١) أحد المعدلين بدمشق . و بدر الدين بن السنى أحد رؤسائها . وعز الدين
عبد العزيز بن أبى طالب بن عبد الغفار الثعلبى أبى الحسين ، وهو سبط القاضى جمال الدين بن
الحرستانى ، رحمه الله تعالى وعفا عنهم أجمعين .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستائة ﴾

فيها أصبح الملك المعظم صاحب مصر عز الدين أيك بداره ميتا وقد ولى الملك بعد أستاذه
الصلاح نجم الدين أيوب بشهور . كان فيها ملك توران شاه المعظم بن الصالح ، ثم خلفته شجرة الدر
أم خليل مدة ثلاثة أشهر ثم أقيم هو فى الملك ، ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقيس
ابن الكامل مدة ، ثم استقل بالملك بلا منازعة ، وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية وقتل
الفراس إقطاى فى سنة ثنتين وخمسين ، وخلع بعده الأشرف واستقل بالملك وحده ، ثم تزوج بشجرة

(١) نسخة « ابن القويرة » .

الدر أم خليل. وكان كريماً شجاعاً حياً ديناً، ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول، وهو واقف المدرسة المعزية بمصر ومجازها من أحسن الأشياء، وهي من داخل ليست بتلك الفاتنة. وقد قال بعضهم: هذه مجاز لا حقيقة له. ولما قتل رحمه الله فاتهم مماليكه زوجته أم خليل شجرة الدر به، وقد كان عزم على تزوج ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ، فأمرت جواريتها أن يسكنه لها فما زالت تضربه بقباقيبها والجوارى يمركن في معاربه حتى مات وهو كذلك، ولما سمعوا مماليكه أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر سيف الدين قطز، فقتلوهما وألقوا على مزبلة غير مستورة العورة، بعد الحجاب المنيع والمقام الرفيع، وقد علمت على المناشير والتواقيع، وخطب الخطباء باسمها، وضربت السكة برسمها، فذهبت فلا تعرف بعد ذلك بعينها ولا رسمها (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) وأقامت الأتراك بعد استاذم عز الدين أيبك التركي، بإشارة أكبر مماليكه الأمير سيف الدين قطز، ولده نور الدين علياً ولقبوه الملك المنصور، وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه وجرت الأمور على ما يختاره برأيه ورسمه.

وفيهما كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، فتهب الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي، وكان ذلك من أقوى الأسباب في مما لآته للتتار. وفيها دخلت الفقراء الحيدرية الشام، ومن شعارهم لبس الراحي والطراير ويقصون لحامهم ويتركون شواربهم، وهو خلاف السنة، تركوها لمتابعة شيخهم حيدر حين أمره الملاحدة فقصوا لحيته وتركوا شواربه، فاقصدوا به في ذلك، وهو معذور ماجور. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وليس لهم في شيخهم قدوة. وقد بنيت لهم زاوية بظاهر دمشق قريباً من العونية. وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة المباركة عمل عزاء واقف البادرانية بها الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادراني البغدادي مدرس النظامية، ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة، وإصلاح الأحوال المدلومة، وقد كان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً، وقد ابتنى بدمشق مدرسة حسنة مكان دار الأمير أسامة، وشرط على المقيم بها العزوبة وأن لا يكون الفقيه في غيرها من المدارس، وإنما أراد بذلك توفر خاطر الفقيه وجمعه على طلب العلم، ولكن حصل بذلك خلل كثير وشر لبعضهم كبير وقد كان شيخنا الامام العلامة شيخ الشافعية بالشام وغيرها برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين الفزاري مدرس هذه المدرسة وابن مدرستها، يذكر أنه لما حضر الواقف في أول يوم درس بها وحضر عنده السلطان الناصري، قرأ كتاب الوقف وفيه ولا تدخلها امرأة. فقال السلطان ولا صبي؟ فقال الواقف: يا مولانا السلطان ربنا ما يضرب بمصابتين. فاذا ذكر هذه الحكاية تبسم

عندها رحمه الله تعالى . وكان هو أول من درس بها ثم ولده كمال الدين من بعده ، وجعل نظرها إلى وجيه الدين بن سويد ، ثم صار في ذريته إلى الآن . وقد نظر فيه بعض الأوقات القاضي شمس الدين ابن الصائغ ثم انتزع منه حيث أثبت لهم النظر ، وقد أوقف البادراني على هذه المدرسة أوقافاً حسنة دارة ، وجعل فيها خزانة كتب حسنة نافعة ، وقد عاد إلى بغداد في هذه السنة فولى بها قضاء القضاة كرها منه ، فأقام فيه سبعة عشر يوماً ثم توفي إلى رحمة الله تعالى في مستهل ذي الحجة من هذه السنة . ودفن بالشونيزية رحمه الله تعالى .

وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت البادراني بأيام قلائل نزلت التتار على بغداد مقدمة للملكم هولاء كو بن تولى بن جنكيزخان عليهم لعائن الرحمن ، وكان افتتاحهم لها وجناباتهم عليها في أول السنة الآتية على ماسياتي بيانه وتفصيله - وبالله المستعان .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان البادراني واقف البادرانية التي بدمشق كما تقدم بيانه رحمه الله تعالى .

﴿ والشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم ﴾

اليلداني بها في ثامن ربيع الأول ودفن فيها ، وكان شيخاً صالحاً مشتغلاً بالحديث سماعاً وكتابة وإسماً ، إلى أن توفي وله نحو مائة سنة . قلت : وأكثرت كتبه ومجاميعه التي بخطه موقوفة بخزانة الفاضلية من السكلاسة ، وقد رأى في المنام رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ما أنا رجل جيد ؟ قال : بلى أنت رجل جيد ، رحمه الله وأكرم مثواه .

﴿ الشيخ شرف الدين ﴾

محمد بن أبي الفضل المرسى ، وكان شيخاً فاضلاً متقناً محققاً للبحث كثير الحج ، له مكانة عند الأكابر ، وقد اقتنى كتباً كثيرة ، وكان أكثر مقامه بالحجاز ، وحيث حل عظمه رؤساء تلك البلدة وكان مقتصداً في أموره ، وكانت وفاته رحمه الله بالذعقة بين العريش والداروم في منتصف ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله .

﴿ المشد الشاعر الأمير سيف الدين ﴾

علي بن عمر بن قزل مشد الديوان بدمشق ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وقد رآه بعضهم بعد موته فسأله عن حاله فأنشده :

نقلت إلى رمس القبور وضيعها * وخوفي ذنوبي أنها بي تعثر
فصادفت رحماناً رءوفاً وأنما * حبابي بها سقيا لما كنت أحذر
ومن كان حسن الظن في حال موته * جميلاً بعفو الله فالعفو أجدر

﴿ بشارة بن عبد الله ﴾

الأرمي الأصل بدر الدين الكاتب مولى شبل الدولة المعظمى ، سمع الكندي وغيره ، وكان يكتب خطا جيدا ، وأسند إليه مولاة النظر في أوقافه وجماله في ذريته ، فهم إلى الآن ينظرون في الشبليتين ، وكانت وفاته في النصف من رمضان من هذه السنة .

﴿ القاضي تاج الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة جمال الدين المصري ناب عن أبيه ودرس بالشامية ، وله شعر فنه قوله :

صيرت في لفيه بالثم لثام * عمدا ورشفت من ثناياه مدام
فازور وقال أنت في الفقه إمام * ريقى خمر وعندك الخمر حرام

﴿ الملك الناصر ﴾

داود بن المعظم عيسى بن العادل ، ملك دمشق بعد أبيه ، ثم انتزعت من يده وأخذها عمه الأشرف واقتصر على الكرك و نابلس ، ثم تنقلت به الأحوال و جرت له خطوب طوال حتى لم يبق معه شيء من المال ، وأودع وديعة تقارب مائة ألف دينار عند الخليفة المستنصر فأنكره إياها ولم يردها عليه ، وقد كان له فصاحة وشعر جيد ، ولديه فضائل جمّة ، واشتغل في علم الكلام على الشمس الخسر وشاهي تلميذ الفخر الرازي ، وكان يعرف علوم الأوائل جدا ، وحكوا عنه أشياء تدل إن صحّت على سوء عقيدته فالله أعلم . وذكر أنه حضر أول درس ذكر بالمستنصرية في سنة ثنتين وثلاثين وستمائة ، وأن الشعراء أنشدوا المستنصر مدائح كثيرة ، فقال بعضهم في جملة قصيدة له :

لو كنت في يوم السقيفة شاهدا * كنت المقدم والامام الأعظما

فقال الناصر داود للشاعر : اسكت فقد أخطأت ، قد كان جد أمير المؤمنين العباس شاهدا يومئذ ، ولم يكن المقدم ، وما الامام الأعظم إلا أبو بكر الصديق رضی الله عنه ، فقال الخليفة : صدقت فكان هذا من أحسن ما نقل عنه رحمه الله تعالى ، وقد تقاصر أمره إلى أن رسم عليه الناصر بن العزيز بقرية البويضا لعمه مجد الدين يعقوب حتى توفي بها في هذه السنة ، فاجتمع الناس بجزائره ، وحمل منها فصلى عليه ودفن عند والده بسفح قاسيون .

﴿ الملك المعز ﴾

عز الدين أيبك التركماني ، أول ملوك الأتراك ، كان من أكبر ممالك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل ، وكان دينا صينا عفيفا كريما ، مكث في الملك نحو من سبع سنين ثم قتلته زوجته شجرة الدر أم خليل ، وقام في الملك من بعده ولده نور الدين علي ، ولقب بالملك المنصور ، وكان مدبر

مملكته مملوك أبيه سيف الدين قطز ، ثم عزله واستقل بالملك بعده نحو من سنة وتلقب بالمظفر ، فقدر الله كسرة التتار على يديه بعين جالوت . وقد بسطنا هذا كله في الحوادث فيما تقدم وما سيأتي .

﴿ شجرة الدر بنت عبد الله ﴾

أم خليل التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان ولدها منه خليل من أحسن الصور ، فمات صغيراً ، وكانت تكون في خدمته لا تفارقه حضراً ولا سفراً من شدة محبته لها وقد ملكت الديار المصرية بدمقتل ابن زوجها المعظم توران شاه ، فكان يخطب لها وتضرب السكة باسمها وعلمت على المناشير مدة ثلاثة أشهر ، ثم تملك المعز كما ذكرنا ، ثم تزوجها بعد تملكه الديار المصرية بسنوات ، ثم غارت عليه لما بلغها أنه يريد أن يتزوج بنت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فعملت عليه حتى قتلته كما تقدم ذكره ، قتلاً عليها مماليكه المعزية فقتلوها وأقوها على مزبلة ثلاثة أيام ، ثم نقلت إلى تربة لها بالقرب من قبر السيدة نفيسة رحمها الله تعالى ، وكانت قوية النفس ، لما علمت أنه قد أحيط بها أتلفت شيئاً كثيراً من الجواهر النفيسة والآلي المثمينة ، كسرتة في الهاون لالهها ولا لغيرها ، وكان وزيرها في دولتها الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليمان المعروف بابن حنا وهو أول مناصبه .

﴿ الشيخ الأسعد هبة الله بن صاعد ﴾

شرف الدين الفانزي لخدمته قديماً الملك الفانز سابق الدين إبراهيم بن الملك العادل ، وكان نصرانياً فأسلم ، وكان كثير الصدقات والبر والصلوات ، استوزره المعز وكان حظياً عنده جداً ، لا يفعل شيئاً إلا بعد مراجعته ومشاورته ، وكان قبله في الوزارة القاضي ^(١) تاج الدين ابن بنت الأعرز ، وقبله القاضي بدر الدين السنجاري ، ثم صارت بعد ذلك كله إلى هذا الشيخ الأسعد المسلماني ، وقد كان الفانزي يكتبه المعز بالملوك ، ثم لما قتل المعز أهين الأسعد حتى صار شقياً ، وأخذ الأيرسيف الدين قطز خطه بمائة ألف دينار ، وقد هجاه بهاء الدين زهير بن علي ، فقال :

لعن الله صاعدا * وأباه ، فصاعدا

وبنيه فنازلا * واحداً ثم واحداً

ثم قتل بعد ذلك كله ودفن بالقرافة ، وقدرناه القاضي ناصر الدين ابن المنير ، وله فيه مدائح وأشعار حسنة فصيحة رائعة .

﴿ ابن أبي الحديد الشاعر العراقي ﴾

عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد عز الدين المدائني ، الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي ، له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلداً ، ولد بالمداين سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بالديوان الخليفة ، وكان

حظياً عند الوزير ابن الملقمى ، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشابهة فى التشيع والأدب والفضيلة ، وقد أورد له ابن الساعى أشياء كثيرة من مدائحه وأشعاره الفائقة الرائعة ، وكان أكثر فضيلة وأدبا من أخيه أبى المعالى موفق الدين بن هبة الله ، وإن كان الآخر فضلاً بارعاً أيضاً ، وقد ماتا فى هذه السنة رحمهما الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة ﴾

[فيها أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة ، وانقضت دولة بنى العباس منها] (١)
استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار ، هولاء كوخان ، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدهم على البغدادية وميرته وهداياه ونحفه ، وكل ذلك خوفاً على نفسه من التتار ، ومصانعة لهم قبهم الله تعالى ، وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة التى لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئاً ، كما ورد فى الأثر « لن يغنى حذر عن قدر » وكما قال تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) وقال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وأضحك ، وكانت من جملة حظاياها ، وكانت مولدة تسمى عرفة ، جاءها سهم من بعض الشبايك فقتلها وهى ترقص بين يدي الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً ، وأحضر السهم الذى أصابها بين يديه فاذا عليه مكتوب إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوى العقول عقولهم ، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت الستائر على دار الخلافة - وكان قدوم هلا كوخان بجنوده كلها ، وكانوا نحو مائتى ألف مقاتل - إلى بغداد فى ثمانى عشر المحرم من هذه السنة ، وهو شديد الخلق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذى قدره الله وقضاه وأنفذه وأفضاه ، وهو أن هلا كوخان كان أول بروزه من همدان متوجهاً إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن الملقمى على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يريد من قصد بلادهم فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره ، وقالوا إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث بشئ يسير ، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها هلا كوخان ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، وسليمان شاه ، فلم يبعثهما إليه ولا بالابه حتى أرفق قدومه ، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الفاشمة ، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجيوش

(١) زيادة من بعض النسخ التركية .

بعداد في غاية القلة ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، وهم وبقية الجيش ، كلهم قد صرفوا عن إقطاعهم حتى استعطي كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الاسلام وأهله ، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضى ، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتد حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الاسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذى لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد ، وإلى هذه الأوقات ، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو ، نخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه ، فاجتمع بالسلطان هلا كوخان لعنه الله ، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لنقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن يخرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤس الأمرء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولا كوخان حجباوعن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مرابهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدي هلا كوخان عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الاهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسى ، والوزير ابن العلقمي وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلى والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملاء من الرافضة وغيرهم من المناققين على هولا كوخان أن لا يصالح الخليفة ، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولا كوخان أمر بقتله ، ويقال إن الذى أشار بقتله الوزير ابن العلقمي ، والمولى نصير الدين الطوسى ، وكان النصير عند هولا كوخان قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الأموت ، وانزعها من أيدي الاسماعيلية ، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدى ، وانتخب هولا كوخان النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولا كوخان وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً ، وهو في جوالق اثلا يقع على الأرض شىء من دمه ، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قبل لهم ، وقيل بل خنق ، ويقال بل أغرق فأنه أعلم ، فباءوا بأثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمرء وأولى الحل والعقد ببلادهم - وستأتى ترجمة الخليفة فى الوفيات - ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ودخل كثير من الناس فى الآبار وأماكن الحشوش ، وقنى الوسخ ، وكنوا كذلك أياماً لا يظهر ون ،

وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعلى الأماكن فيقتلونهم بالأسطحة ، حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكذلك في المساجد والجوامع والربط ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً ، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم . وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ، وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل ، منهم من الأمراء من هو كالمملك الأكبر الأكر ، فلم يزل يجتهد في تقليصهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف ، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد ، وسهل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال ، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكيفية ، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين ، وأن يبديد العلماء والمفتيين ، والله غالب على أمره ، وقد رد كيده في نحره ، وأذله بعد العزة القعساء ، وجعله حوشكاشا للتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء ، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال ، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء .

وقد جرى على بني إسرائيل ببيت المقدس قريب مما جرى على أهل بغداد كما قص الله تعالى علينا ذلك في كتابه العزيز ، حيث يقول (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدنا مفعولاً) الآيات . وقد قتل من بني إسرائيل خلق من الصلحاء وأسر جماعة من أولاد الأنبياء ، وخرّب بيت المقدس بعد ما كان معموراً بالعباد والزهاد والأخبار والأنبياء ، فصارخاويًا على عرشه واهى البناء .

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة . فقيل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر الحرم ، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً ، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعفي قبره ، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر ، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام ، وقُتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد ، وله خمس وعشرون سنة ، ثم قُتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة ، وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت

أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم ، وأسر من دار الخلافة من الأبطال ما يقارب ألف بكر فيما قيل والله أعلم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان عدو الوزير ، وقتل أولاده الثلاثة : عبدالله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، وأكابر الدولة واحداً بعد واحد ، منهم الديودار الصغير مجاهد الدين أيوب ، وشهاب الدين سليمان شاه ، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد . وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال ، تجاه المنطرة فيذبح كما تذبح الشاة ، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه . وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار ، وقتل الخطباء والأئمة ، وحمل القرآن ، وتمطت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد ، وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض ، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعلمهم بها وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة ، وأتبعه بولده فاجتمعوا والله أعلم بالدرك الأسفل من النار .

ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقتلى في الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الرياح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقبور والمقابر كأنهم الموتى إذ انبشوا من قبورهم ، وقد أنكروا بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه ، وأخذهم الوباء الشديد فتقاتوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . وكان رحيل السلطان المسلم هولاء كوخان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه ، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر ، فوض إليه الشحنة بها وإلى الوزير ابن العلقمي فلم يمهله الله ولا أهمله ، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر ، في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سنة ، وكان عنده فضيلة في الإنشاء ولديه فضيلة في الأدب ، ولكنه كان شيعياً جلداً رافضياً خبيثاً ، فمات جهداً وغماً وحزنًا وندمًا ، إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم ، فولى بعده الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد ، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام ، والله الحمد والمنة .

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين البيهقي أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد ، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو ، فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام فآله أعلم .

وفي هذه السنة اقتتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المقيث عمر بن العادل الكبير ، وكان في حبيسه جماعة من أمراء البحرية ، منهم ركن الدين بيبرس البندقداري ، فكسروهم المصريون ونهبوا ما كان معهم من الأثقال والأموال ، وأسروا جماعة من رموس الأمراء فقتلوا صبورا ، وعادوا إلى الكرك في أسوأ حال وأشنع ، وجعلوا يفسدون في الأرض ويعيثون في البلاد ، فأرسل الله الناصر صاحب دمشق فبعث جيشا ليكفهم عن ذلك ، فكسروهم البحرية واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتوا إليه وقطعوا أطناب خيمته التي هو فيها بإشارة ركن الدين بيبرس المذكور ، وجرت حر وب وخطوب يطول بسطها وبالله المستعان .
ومن توفي في هذه السنة من الأعيان .

﴿ خليفة الوقت المستعصم بالله ﴾

أمير المؤمنين آخر خلفاء بني العباس بالعراق رحمه الله ، وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتدي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الأمير الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد أبي محمد هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد ابن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي العباسي ، مولده سنة تسع وستمائة ، وبويع له بالخلافة في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين ، وكان مقتله في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ست وخمسين وستمائة ، فيكون عمره يوم قتل سبعا وأربعين سنة رحمه الله تعالى . وقد كان حسن الصورة جيد السريرة ، صحيح العقيدة مقتديا بأبيه المستنصر في المعدلة وكثرة الصدقات وإكرام العلماء والعباد ، وقد استجاز له الحافظ ابن النجار من جماعة من مشايخ خراسان منهم المؤيد الطوسي ، وأبو روح عبد العزيز بن محمد الهروي وأبو بكر القاسم بن عبد الله بن الصفار وغيرهم ، وحدث عنه جماعة منهم مؤدبه شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن النيار ، وأجاز هو للامام محيي الدين ابن الجوزي ، وللشيخ نجم الدين البادرائي ، وحدثا عنه بهذه الاجازة . وقد كان رحمه الله سنيا على طريقة السلف واعتقاد

الجماعة كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ ومحبة للعمال وجمعه ، ومن جملة ذلك أنه استحل الوديعة التي استودعه إياها الناصر داود بن المعظم وكانت قيمتها نحواً من مائة ألف دينار فاستقبح هذا من مثل الخليفة ، وهو مستقبح ممن هو دونه بكثير ، بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، كما قال الله تعالى (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) .

قتلته التتار مظلوماً مضطهداً في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة ، وله من العمر ستة وأربعون سنة وأربعة أشهر . وكانت مدة خلافته خمسة عشر سنة وثمانية أشهر وأياماً ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، وبل بالرأفة تراه . وقد قتل بعده ولداً وأمر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه ، وشغل منصب الخلافة بعده ، ولم يبق في بني العباس من سد مسده ، فكان آخر الخلفاء من بني العباس الحاكمين بالعدل بين الناس ، ومن يرتجى منهم النوال ويخشى الباس ، وختموا بعبد الله المستعصم كما فتحوا بعبد الله السفاح ، بويع له بالخلافة وظهر ملكه وأمره في سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، بعد انقضاء دولة بني أمية كما تقدم بيانه ، وآخرهم عبد الله المستعصم وقد زال ملكه وانقضت خلافته في هذا العام ، فجملة أيامهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ، وزال ملكهم عن العراق والحكم بالكلية مدة سنة وشهور في أيام البساسيري بعد الحسين وأربعمائة ، ثم عادت كما كانت . وقد بسطنا ذلك في موضعه في أيام القائم بأمر الله والله الحمد .

ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار ، فانه خرج عن بني العباس بلاد المغرب ، ملكها في أوائل الأمر بعض بني أمية ممن بقي منهم من ذرية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ثم تغلب عليه الملوك بعددهور متطاولة كما ذكرنا ، وقارن بني العباس دولة المدعين أنهم من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب ، وما هنالك ، وبلاد الشام في بعض الأحيان والحرمين في أزمان طويلة [وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر ، وتداولتها الملوك دولا بعد دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق ، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطاً في الحوادث والوفيات] (١)

واستمرت دولة الفاطميين قريباً من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد الذي مات بعد الستين وخمسمائة في الدولة الصلاحية الناصرية القدسية ، وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكاً متخلفاً ، ومدة ملكهم تحريراً من سنة سبع وتسعين ومائتين إلى أن توفي العاضد سنة بضع وستين وخمسمائة ، والمعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله ﷺ كانت ثلاثين سنة كما نطق بها

(١) زيادة من نسخة أخرى بالاستانة .

الحديث الصحيح ، فكان فيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم ابنه الحسن بن علي ستة شهور حتى كملت الثلاثون كما قررنا ذلك في دلائل النبوة ، ثم كانت ملكا فكان أول ملوك الاسلام من بني أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، ثم ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية ابن يزيد بن معاوية ، وانقرض هذا البطن المفتوح بمعاوية الختم بمعاوية ، ثم ملك مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، ثم ابنه عبد الملك ، ثم الوليد بن عبد الملك ، ثم أخوه سليمان ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ، ثم أخوه إبراهيم الناقص وهو ابن الوليد أيضاً ، ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالبحار ، وكان آخرهم ، فكان أولهم اسمه مروان وآخرهم اسمه مروان ، ثم انقرضوا من أولهم إلى خاتمهم . وكان أول خلفاء بني العباس عبد الله السفاح ، وآخرهم عبد الله المستعصم . وكذلك أول خلفاء الفاطميين فالأول اسمه عبد الله العاضد ، وآخرهم عبد الله العاضد ، وهذا اتفاق غريب جدا قل من يقنبه له ، والله سبحانه أعلم . وهذه أرجوزة لبعض الفضلاء ذكر فيها جميع الخلفاء :

الحمد لله العظيم عرشه * القاهر الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام والدهور * وجامع الأنام للنشور
ثم الصلاة بدوام الأبد * على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الكرام * السادة الأئمة الأعلام
وبعد فان هذه أرجوزة * نظمتها لطيفة وجيزة
نظمت فيها الراشدين الخلفاء * من قام بعد النبي المصطفى
ومن تلامه وهلم جرا * جعلتها تبصرة وذكرى
ليعلم العاقل ذو التصوير * كيف جرت حوادث الأمور
وكل ذي مقدرة وملك * معرضون للفناء والهلك
وفي اختلاف الليل والنهار * تبصرة لكل ذي اعتبار
والملك الجبار في بلاده * يورثه من شاء من عباده
وكل مخلوق فلفناء * وكل ملك فإلى انتهاء
ولا يدوم غير ملك الباري * سبحانه من ملك قهار
منفرد بالعز والبقاء * وما سواه فإلى انقضاء
أول من بويع بالخلافة * بعد النبي ابن أبي قحافة

أعنى الامام الهادى الصديقا * ثم ارتضى من بعده الفاروقا
 ففتح البلاد والأمصارا * واستأصلت سيوفه الكفارا
 وقام بالعدل قياماً يرضى * بذلك جبار السما والأرض
 ورضى الناس بندى النورين * ثم على والد السبطين
 ثم أتت كتائب مع الحسن * كادوا بأن يجددوا بها الفتن
 فأصلح الله على يديه * كما عزا نبينا إليه
 وجمع الناس على معاوية * ونقل القصة كل راويه
 فهمد الملك كما يريد * وقام فيه بعده يزيد
 ثم ابنه وكان براً راشداً * أعنى أبا ليلى وكان زاهداً
 فترك الامر لا عن غلبه * ولم يكن إليها منه طلبه
 وابن الزبير بالحجاز يد أب * فى طلب الملك وفيه ينصب
 وبالشام بايعوا مروانا * بحكم من يقول كن فكانا
 ولم يدم فى الملك غير عام * وعافضته أسهم الحمام
 واستوثق الملك لعبد الملك * ونار نجم سعده فى الفلك
 وكل من نازعه فى الملك * خر صريعاً بسيوف الهلك
 وقتل المصعب بالعراق * وسير الحجاج ذا الشقاق
 إلى الحجاز بسيوف النقم * وابن الزبير لائذ بالحرم
 فجار بعد قتله بصلبه * ولم يخف فى أمره من ربه
 وعندما صفت له الأمور * تقلبت بجسمه الدهور
 ثم أتى من بعده الوليد * ثم سليمان الفقى الرشيد
 ثم استفاض فى الورى عدل عمر * تابع أمر ربه كما أمر
 وكان يدعى بأشج القوم * وذى الصلاة والتقى والصوم
 فجاء بالعدل والاحسان * وكف أهل الظلم والطغيان
 مقتدياً بسنة الرسول * والراشدين من ذوى العقول
 فجرع الاسلام كأس فقهه * ولم يروا مثلاً له من بعده
 ثم يزيد بعده هشام * ثم الوليد فت منه الهام
 ثم يزيد وهو يدعى الناقصا * فجاءه حمامه معافصا

ولم تطل مدة إبراهيم * وكان كل أمره سقياً
 وأسند الملك إلى مروان * فكان من أموره ما كانا
 وانقرض الملك على يديه * وحادث الدهر سطا عليه
 وقتله قد كان بالصعيد * ولم تفده كثرة العبيد
 وكان فيه حنف آل الحكم * واستنزعت عنهم ضرب النعم
 ثم أتى ملك بنى العباس * لازال فينا ثابت الأساس
 وجاءت البيعة من أرض المعجم * وقلدت بيعتهم كل الأمم
 وكل من نازعهم من أمم * خر صريعاً لليدين والغم
 وقد ذكرت من تولى منهم * حين تولى القائم المستعصم
 أولهم ينعت بالسفاح * وبعده المنصور ذو الجناح
 ثم أتى من بعده المهدي * يتلوه موسى الهادي الصفي
 وجاء هارون الرشيد بعده * ثم الأمين حين ذاق فقده
 وقام بعد قتله المأمون * وبعده المعتصم المكين
 واستخلف الواثق بمد المعتصم * ثم أخوه جعفر موفى الذمم
 وأخلص النية في المتوكل * للهذي العرش القديم الأول
 فأدحض البدعة في زمانه * وقامت السنة في أوانه
 ولم يبق فيها بدعة مضلة * وألبس المعتزلى ثوب ذله
 فرحمة الله عليه أبدا * ماغار نجم في السماء أبدا
 وبعده استولى وقام المعتمد * ومهد الملك وساس المقنصد
 وعندما استشهد قام المنتصر * والمستعين بعده كما ذكر
 وجاء بعد موته المعتز * والمهتدى الملتزم الأعز
 والمكتفي في صحف العلاء سطر * وبعده ساس الأمور المقنطر
 واستوثق الملك بعز القاهر * وبعده الراضي أخو المغاخر
 والمتقي من بعد ذا المستكفي * ثم المطيع مابه من خلف
 والطائع الطائع ثم القادر * والقائم الزاهد وهو الشاكر
 والمقتدى من بعده المستظهر * ثم أتى المسترشد الموقر
 وبعده الراشد ثم المقتفي * وحين مات استنجدوا بيبوسف

المستضى العادل في أفعاله * الصادق الصدوق في أقواله
 والناصر الشهم الشديد الباس * ودام طول مكثه في الناس
 ثم تلاه الظاهر الكريم * وعدله كل به علم
 ولم تطل أيامه في المملكه * غير شهور واعتزته الهلكه
 وعهده كان إلى المستنصر * العادل البر الكريم العنصر
 دام يسوس الناس سبع عشرة * وأشهرآ بعزمت بره
 ثم توفي عام أربعينا * وفي جمادى صادف المنونا
 وبائع الخلائق المستمصا * صلى عليه ربنا وسلمنا
 فأرسل الرسل إلى الآفاق * يقضون بالبيعة والوفاق
 وشرفوا بذكره المنابرا * ونشروا في جوده المفاخرا
 وسار في الآفاق حسن سيرته * وعدله الزائد في رعيته

قال الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى : ثم قلت أنا بعد ذلك أبياتا :

ثم ابتلاه الله بالنتار * أتباع جنسكيزخان الجبار
 صحبته ابن ابنه هولاء كو * فلم يكن من أمره فكك
 فزقوا جنوده وشمله * وقتلوه نفسه وأهله
 ودمروا بغداد والبلاد * وقتلوا الأحفاد والأجدادا
 وانتهبوا المال مع الحریم * ولم يخافوا سطوة العظيم
 وغرم إنظاره وحلمه * وما اقتضاه عدله وحكمه
 وشغرت من بعده الخلافة * ولم يؤرخ مثلها من آفة
 ثم أقام الملك أعنى الظاهرا * خليفة أعنى به المستنصرا
 ثم ولي من بعد ذلك الحاكم * مسيم بيبرس الامام العالم
 ثم ابنه الخليفة المستكنى * وبعض هذا للبيب يكنى
 ثم ولي من بعده جماعة * ما عندهم علم ولا بضاعة
 ثم تولى وقتنا المعتضد * ولا يكاد الدهر مثله يجرد
 في حسن خلق واعتقاد وحلى * وكيف لا وهو من السيم الأولى
 سادوا البلاد والعباد فضلا * وملاوا الأقطار حكام عدلا
 أولاد عم المصطفى محمد * وأفضل الخلق بلا تردد

صلى عليه الله ذو الجلال * ما دامت الأيام والليالي

﴿فصل﴾

والفاطميون قليلوا العده * لكنهم مدتهم في المده
فملكوا بعضاً وستين سنة * من بعده مائتين وكان كالسنة
والعده أربع عشرة المهدي * والقائم المنصور المعدي
أعنى به المعز بنى القاهرة * ثم العزيز الحاكم الكوافره
والظاهر المستنصر المستعلي * فالأمر الحافظ عنه سوء الفعل
والظافر الفائز ثم العاضد * آخرهم وما لهذا جاحد
أهلك بعد البضع والسنينا * من قبلها خمسمائة سفينا
وأصلهم يهود ليسوا شرفا * بذلك أفنى السادة الأئمة
* أنصاردين الله من ذى الأمة *

﴿فصل﴾

وهكذا خلفاء بنى أمية * عدتهم كعدة الرافضية
ولكن المدة كانت ناقصة * عن مائة من السنين خالصة
وكلهم قد كان ناصبياً * إلا الامام عمر النقيبا
معاوية ثم ابنه يزيد * وابن ابنه معاوية السديد
مروان ثم ابن له عبد الملك * منابذ لابن الزبير حتى هلك
ثم استقل بعده بالملك * فى سائر الأرض بغير شك
ثم الوليد النجل بنى الجاهع * وليس مثله بشكله من جامع
ثم سليمان الجواد وعمر * ثم يزيد وهشام وغدر
أعنى الوليد بن يزيد الفاسقا * ثم يزيد بن الوليد فائقا
يلقب الناقص وهو كامل * ثم إبراهيم وهو عاقل
ثم مروان الحمار الجعدي * آخرهم فاظفر بنا من عندي
والحمد لله على التمام * كذلك نحمده على الانعام
ثم الصلاة مع تمام العدد * على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الأخيار * فى سائر الأوقات والأعصار
وهذه الأبيات نظم الكاتب * ثمانية تمة المناقب

وممن قتل مع الخليفة واقف الجوزية بدمشق أستاذ دار الخلافة محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حماد بن أحمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن محمد بن أبي بكر الصديقي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي ، ولد في ذي القعدة سنة ثمانين وخمسمائة ، ونشأ شاباً حسناً ، وحين توفي أبوه وعظ في موضعه فأحسن وأجاد وأفاد ، ثم لم يزل متقدماً في مناصب الدنيا ، فولى حاسبة بغداد مع الوعظ الفائق والأشعار الحسنة ، ثم ولى تدريس الحنابلة بالمستنصرية سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكانت له تداريس أخر ، ولى أستاذ دار الخلافة ، وكان رسولا للملوك من بني أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء ، وانتصب ابنه عبد الرحمن مكانه للحاسبة والوعظ ، ثم كانت الحاسبة تنقل في بنيه الثلاثة عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبد الكريم . وقد قتلوا معه في هذه السنة رحمهم الله . ولحمي الدين هذا مصنف في مذهب أحمد ، وقد ذكره ابن الساعي أشعاراً حسنة يهني بها الخليفة في المواسم والأعياد ، تدل على فضيلة وفصاحة ، وقد وقف الجوزية بدمشق وهي من أحسن المدارس ، تقبل الله منه .

﴿ الصرصرى المادح رحمه الله ﴾

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر عبد السلام الشيخ الامام العلامة البارع الفاضل في أنواع من العلوم ، جمال الدين أبو زكريا الصرصرى ، الفاضل المادح الحنبلي الضرير البغدادي ، معظم شعره في مدح رسول الله ﷺ ، وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكر ، ويقال إنه كان يحفظ صحاح الجوهرى بتمامه في اللغة . وصحب الشيخ على بن إدريس تلميذ الشيخ عبدالقادر ، وكان ذكياً يتوقد نوراً ، وكان ينظم على البديهة سريعاً أشياء حسنة فصيحة بليغة ، وقد نظم الكافي الذى ألفه موفق الدين بن قدامة ، ومختصر الخرقى ، وأما مدائحه في رسول الله ﷺ فيقال إنها تبلغ عشرين مجلداً ، وما اشتهر عنه أنه مدح أحداً من المخلوقين من بنى آدم إلا الأنبياء ، ولما دخل التتار إلى بغداد دعى إلى ذارها كرمون بن هلا كوفأبى أن يجيب إليه ، وأعد في داره حجارة فحين دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار فهشم منهم جماعة ، فلما خلصوا إليه قتل بمكازه أحدهم ، ثم قتلوه شهيداً رحمه الله تعالى ، وله من العمر ثمان وستون سنة . وقد أورد له قطب الدين اليونينى من ديوانه قطعة صالحة في ترجمته في الذيل ، استوعب حروف المعجم ، وذكر غير ذلك قصائد طوالا كثيرة حسنة .

﴿ البهاء زهير صاحب الديوان ﴾

وهو زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسين بن جعفر المهلبى العتسكى المصرى ، ولد بمكة ونشأ بقوص ، وأقام بالقاهرة ، الشاعر المطبق الجواد في حسن الخط له ديوان مشهور ، وقدم على السلطان

الصالح أيوب ، وكان غزير المروءة حسن التوسط في إيصال الخير إلى الناس ، ودفع الشر عنهم ، وقد أثنى عليه ابن خلكان وقال أجازلي رواية ديوانه ، وقد بسط ترجمته القطب اليوناني .

﴿ الحافظ زكي الدين المنذرى ﴾

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد ، الامام العلامة محمد أبو زكي الدين المنذرى الشافعي المصري ، أصله من الشام وولد بمصر ، وكان شيخ الحديث بها مدة طويلة ، إليه الوفادة والرحلة من سنين متطاولة ، وقيل إنه ولد بالشام سنة إحدى وثمانين وخمسةائة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وعنى بهذا الشأن ، حتى فاق أهل زمانه فيه ، وصنف وخرج ، واختصر صحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وهو أحسن اختصاراً من الأول ، وله اليد الطولى في اللغة والفقه والتاريخ ، وكان ثقة حجة متحرراً زاهداً ، توفي يوم السبت رابع ذي القعدة من هذه السنة بدار الحديث الكاملية بمصر . ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

﴿ النور أبو بكر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز ﴾

ابن عبد الرحيم بن رستم الأشعري الشاعر المشهور الخليع ، كان القاضي صدر الدين بن سناء الدولة قد أجلسه مع الشهود تحت الساعات ، ثم استدعاه الناصر صاحب البلد فجعله من جلسائه وندمائيه ، وخلع عليه خلع الاجناد ، فانسلخ من هذا الفن إلى غيره ، وجمع كتاباً سماه « الزرجون في الخلاعة والمجون » وذكر فيه أشياء كثيرة من النظم والنثر والخلاعة ، ومن شعره الذي لا يحمد :

لذة العمر خمسة فاقنيتها * من خليع غدا أديبا فقيها

في نديم وقينة وحبيب * ومدام وسب من لام فيها

﴿ الوزير ابن العلقمي الرافضى قبجه الله ﴾

محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب ، الوزير مؤيد الدين أبو طالب ابن العلقمي ، وزير المستعصم البغدادي ، وخدمه في زمان المستعصم أستاذ دار الخلافة مدة طويلة ، ثم صار وزير المستعصم وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين ، مع أنه من الفضلاء في الانشاء والأدب ، وكان رافضياً خبيثاً ردى الطوية على الاسلام وأهله ، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء ، ثم مالاً على الاسلام وأهله الكفار هولاً كوخان ، حتى فعل ما فعل بالاسلام وأهله مما تقدم ذكره ، ثم حصل له بعد ذلك من الاهانة والذل على أيدي التتار الذين مالاهم وزال عنه ستر الله ، وذاق الخزي في الحياة الدنيا ، والمعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وقد رأته امرأة وهو في الذل والهوان وهو راكب في أيام التتار برذواناً وهو منسج عليه ، وسائق يسوق به ويضرب فرسه ، فوقفت إلى جانبه وقالت له : يا ابن العلقمي هكذا كان بشوا العباسيين ايعاملونك ؟ فوقعت كلمتها

في قلبه وانقطع في داره إلى أن مات كذا وغيبته وضيقا ، وقلة وذلة ، في مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، ودفن في قبور الروافض ، وقد سمع بأذنيه ، ورأى بعينه من الاهانة من التتار والمسلمين ما لا يحسد ولا يوصف . وتولى بعده ولده الخبيث الوزارة ، ثم أخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة سريعا ، وقد هجاه بعض الشعراء فقال فيه :

يا فرقة الاسلام نوحوا واندبوا * أسفا على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

﴿ محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة ﴾

فتح الدين أبو عبد الله بن العدل محتسب دمشق ، كان مشكورا حسن الطريقة ، وجدده العدل نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن حيدرة ، وهو واقف المدرسة التي بالزبداني في سنة تسعين وخمسمائة تقبل الله منه وجزاه خيرا .

﴿ القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم ﴾

أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه المحدث المدرس بالاسكندرية ، ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الكثير هناك ، واختصر الصحيحين ، وشرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم ، وفيه أشياء حسنة مفيدة محررة رحمه الله .

﴿ الكمال إسحاق بن أحمد بن عثمان ﴾

أحد مشايخ الشافعية ، أخذ عنه الشيخ محبي الدين النووي وغيره ، وكان مدرسا بالرواحية ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة .

﴿ العماد داود بن عمر بن يحيى بن عمر بن كامل ﴾

أبو المعالي وأبو سليمان الزبيدي المقدسي ثم الدمشقي خطيب بيت الأبار ، وقد خطب بالأموى ست سنين بعد ابن عبد السلام ، ودرس بالغزالية ، ثم عاد إلى بيت الأبار فمات بها .

﴿ علي بن محمد بن الحسين ﴾ صدر الدين أبو الحسن بن النيار شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان أولا مؤدبا للامام المستعصم ، فلما صارت الخلافة إليه برهه من الدهور رفعة وعظمة وصارت له وجاهة عنده ، وانضمت إليه أزمة الأمور ، ثم إنه ذبح بدار الخلافة كما ذبح الشاة على أيدي التتار .

﴿ الشيخ علي العابد الخباز ﴾

كان له أصحاب وأتباع ببغداد ، وله زاوية يزار فيها ، قتلته التتار وألقي على منزلة بيتاب زاوية ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب من لحمه ، ويقال إنه أخبر بذلك عن نفسه في حال حياته رفاهة فيله

﴿ محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفرج أبو عبد الله المقدسي ﴾

خطيب براد ، سمع الكثير ، وعاش تسعين سنة ، ولد في سنة ثلاث وخمسين أربعمائة

عليه الكثير بدمشق ، ثم عاد فمات بببلده برادا في هذه السنة ، رحمه الله .

﴿ البدر لؤلؤ صاحب الموصل ﴾

الملقب بالملك الرحيم ، توفي في شعبان عن مائة سنة ^(١) وقد ملك الموصل نحو من خمسين سنة ، وكان ذاعقل ودهاء ومكر ، لم يزل يعمل على أولاد أستاذه حتى أبادهم ، وأزال الدولة الاتابكية عن الموصل ، ولما انفصل هولا كوخان عن بغداد - بعد الوقعة الفظيعة العظيمة - سار إلى خدمته طاعة له ، ومعه الهدايا والتحف ، فأكرمه واحترمه ، ورجع من عنده فمكث بالموصل أياماً يسيرة ، ثم مات ودفن بمدرسته البدرية ، وتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودة معدلته ، وقد جمع له الشيخ عز الدين كتابه المسمى بالكامل في التاريخ فأجازه عليه وأحسن إليه ، وكان يعطى لبعض الشعراء ألف دينار . وقام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل . وقد كان بدر الدين لؤلؤ هذا أرمينيا اشتراه رجل خياط ، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي ابن آقسنقر الاتابكي صاحب الموصل ، وكان مليح الصورة ، فحظى عنده وتقدم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرة عليه ، والوفود من سائر جهات ملكهم إليه . ثم إنه قتل أولاد أستاذه غيلة واحداً بعد واحد إلى أن لم يبق معه أحد منهم ، فاستقل هو بالملك ، وصفت له الأمور ، وكان يبعث في كل سنة إلى مشهد على قنديلا ذهباً زنته ألف دينار ، وقد بلغ من العمر قريباً من تسعين سنة ، وكان شاباً حسن الشباب من نضارة وجهه ، وحسن شكله ، وكانت العامة تلقبه قضيب الذهب ، وكان ذا همة عالية ودهاية شديد المكر بعيد الغور ، وبعثه إلى مشهد على بذلك القنديل الذهب في كل سنة دليل على قلة عقله وتشيعه والله أعلم .

﴿ الملك الناصر داود بن المعظم ﴾

ترجمه الشيخ قطب الدين البيهقي في تذييله على المرآة في هذه السنة ، وبسط ترجمته جدا وما جرى له من أول أمره إلى آخره . وقد ذكرنا ترجمته في الحوادث ، وأنه أودع الخليفة المستعصم في سنة سبع وأربعين وديمة قيمتها مائة ألف دينار فحجدها الخليفة ، فتكرر وفوده إليه ، وتوسله بالناس في ردها إليه ، فلم يفد من ذلك شيئاً ، وتقدم أنه قال لذلك الشاعر الذي مدح الخليفة بقوله
لو كنت في يوم السقيفة حاضراً * كنت المقدم والامام الاورعا

فقال له الناصر داود : أخطأت فقد كان جده أمير المؤمنين العباس حاضراً يوم السقيفة ولم يكن المقدم ، وهو أفضل من أمير المؤمنين ، وإنما كان المقدم أبو بكر الصديق ، فقال الخليفة صدق وخلع عليه ، ونفى ذلك الشاعر - وهو الوجيه الفزارى - إلى مصر ، وكانت وفاة الناصر داود بقريّة البويضا مرصفاً عليه وشهد جنازته صاحب دمشق .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستائة ﴾

استهلت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة ، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن أبي الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين ، وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا نور الدين علي بن المعز أيبك التركاني ولقبوه بالمنصور ، وقد أرسل الملك الغاشم هولاء كوخان إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستدعيه إليه ، فأرسل إليه ولده العزيز وهو صغير ومعه هدايا كثيرة وتحف ، فلم يحتفل به هولاء كوخان بل غضب على أبيه إذ لم يقبل إليه ، وأخذ ابنه وقال أنا أسير إلى بلاده بنفسى ، فانزعج الناصر لذلك ، وبعث بجرية وأهله إلى الكرك ليحصنهم بها وخاف أهل دمشق خوفا شديدا ، ولا سيما لما بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات ، سافر كثير منهم إلى مصر في زمن الشتاء ، فمات ناس كثير منهم ونهبوا ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وأقبل هولاء كوخان فقصد الشام بجنوده وعساكره ، وقد امتنعت عليه ميا فارقين مدة سنة ونصف ، فأرسل إليها ولده أشموط فافتتحها قسرا وأنزل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن العادل فأرسله إلى أبيه وهو محاصر حلب فقتله بين يديه ، واستناب عليها بعض مماليك الأشراف ، وطيف برأس الكامل في البلاد ، ودخلوا برأسه إلى دمشق ، فنصب على باب الفراديس البراني ، ثم دفن بمسجد الرأس داخل باب الفراديس الجواني ، فنظم أبو شامة في ذلك قصيدة يذكر فيها فضله وجهاده ، وشبهه بالحسين في قتله مظلوما ، ودفن رأسه عند رأسه .

وفيها عمل الخواجه نصير [الدين الطوسي] الرصد بمدينة مراغة ، ونقل إليه شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد ، وعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ، ورتب لكل واحد في اليوم واليلة ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم . وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار ، وأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام ، وقد استولوا على بلاد الجزيرة وغيرها ، وقد جاز أشموط بن هولاء كوخان الفرات وقرب من حلب ، فعند ذلك عقدوا مجلسا بين يدي المنصور بن المعز التركاني ، وحضر قاضي مصر بدر الدين السنجاري ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وتفاوضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند ، وكانت العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام ، وكان حاصل كلامه أنه قال إذا لم يبق في بيت المال شيء ثم أنفقت أموال الخوائض المذهبة وغيرها من الفضة والزينة ، وتساوتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب بحيث لم يبق للجندى سوى فرسه التي يركبها ، ساغ للحاكم حينئذ أخذ شيء من أموال

الناس في دفع الاعداء عنهم ، لأنه إذا دم العدو البلاد ، وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأنفسهم .

﴿ ولاية الملك المظفر قطز ﴾

وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين على الملقب بالمنصور ، وذلك في غيبة أكثر الأمراء من ممالك أبيه وغيرهم في الصيد ، فلما مسكه سيره مع أمه وابنيه وأخوته إلى بلاد الاشكري ، وتسلمن هو وسمى نفسه بالملك المظفر ، وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين ، فان الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وبان عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم ، فانه قال لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوهم ، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة .

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطاء ، برز في جحافل كثيرة من الجيش والمتطوعة والأعراب وغيرهم ، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول ارفض ذلك الجمع ، ولم يسر لا هو ولا هم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .
وفيها توفي من الأعيان .

﴿ واقف الصدرية صدر الدين أسعد بن المنجاه بن بركات بن مؤمل ﴾

التنوخى المغربى ثم الدمشقى الحنبلى أحد المعدلين ، ذوى الأموال ، والمروات والصدقات الدارة البارة ، وقف مدرسة للحنابلة ، وقبره بها إلى جانب تربة الفاضى المصرى فى رأس درب الريحان من ناحية الجامع الأموى ، وقد ولى نظر الجامع مدة ، واستجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبلى الجامع ، ونقل الصاغة إلى مكانها الآن ، وقد كانت قبل ذلك فى الصاغة العتيقة ، وجدد الدكاكين التى بين أعمدة الزيارة ، وثمر الجامع أموالاً جزيلة ، وكانت له صدقات كثيرة ، وذكر عنه أنه كان يعرف صنعة الكيمياء وأنه صح معه عمل الفضة ، وعندى أن هذا لا يصح ولا يصح عنه والله أعلم .

﴿ الشيخ يوسف الأقبينى ﴾

كان يعرف بالأقبينى لأنه كان يسكن قمين حمّام نور الدين الشهيد ، وكان يلبس ثياباً طوالاً تحف على الأرض ، ويبول فى ثيابه ، ورأسه مكشوفة ، ويزعمون أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة ، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته ، وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، كالرهبان وغيرهم ، وكذلك ابن صياد وغيرهم ، فان الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الانسى ، ولا سيما من يكون مجنوناً أو غير نقي الثياب من النجاسة ، فلا بد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة ، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله فهو رجل صالح سواء كشف أو لم يكشف ، ومن لم يوافق فليس

برجل صالح سواء كاشف أم لا . قال الشافعي : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغفروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . ولما مات هذا الرجل دفن بتربة بسفح قاسيون وهي مشهورة به شرقي^(١) الرواحية ، وهي مزخرقة قداعتني بها بعض العوام ممن كان يعتمده ، فزخرقها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة ، وهذا كله من البدع ، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة ، وكان الشيخ إبراهيم بن سيعد جيعانة لا يتجاسر فيما يزعم أن يدخل البلد والقميني حتى ، فيوم مات الاقيني دخلها ، وكانت العوام معه فدخلوا دمشق وهم يصيحون ويصرخون أذن لنا في دخول البلد ، وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ، فقيل لجيعانة : ما منعك من دخولها قبل اليوم ؟ فقال : كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رايضاً فيه فلا أستطيع الدخول ، وقد كان سكن الشاغور ، وهذا كذب واحتيال ومكر وشعبذة ، وقد دفن جيعانة عنده في تربته بالسفح والله أعلم بأحوال العباد . ﴿ الشمس على بن الشبي المحدث ﴾

ناب في الحسبة عن الصدر البكري ، وقرأ الكثير بنفسه ، وسمع وأسمع ، وكتب بخطه كثيراً .

﴿ أبو عبد الله الغامبي شارح الشاطبية ﴾

اشتهر بالكنية ، وقيل إن اسمه القاسم ، مات بجلب ، وكان علماً فاضلاً في العربية والقراءات وغير ذلك ، وقد أجاد في شرحه للشاطبية وأفاد ، واستحسنه الشيخ شهاب الدين أبو شامة شارحها أيضاً . ﴿ النجم أخو البدر مفضل ﴾

وكان شيخ الفاضلية بالكلاسة ، وكان له إجازة من السلفي خطيب العقبية بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ودفن بباب الصغير على جده ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

﴿ سعد الدين محمد بن الشيخ محي الدين بن عربي ﴾

ذكره أبو شامة وأثنى عليه في فضيلته وأدبه وشعره ، هذا إن لم يكن من أتباع أبيه ، وقد ذكر أبو شامة وفاة الناصر داود في هذه السنة .

﴿ سيف الدين بن صبرة ﴾

متولى شرطة دمشق ، ذكر أبو شامة أنه حين مات جاءت حية فهشت أنخاذه ، وقيل : إنها التفت في أ كفانه ، وأعجب الناس دفعها . قال وقيل : إنه كان نصيرياً رافضياً خبيثاً مدمناً خمر ، نسأل الله الستر والعافية ﴿ النجيب بن شعيشعة الدمشقي ﴾

أحد الشهود بها ، له سماع حديث ووقف داره بدرج البانياسي دار حديث ، وهي التي كان يسكنها شيخنا الحافظ المزني قبل انتقاله إلى دار الحديث الأشرفية ، قال أبو شامة وكان ابن شعيشعة

(١) في النسخة المصرية : تربة أبي عمرو المقدسي .

وهو النجيب أبو الفتح نصر الله بن أبي طالب الشيباني، مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك، وهو أحد الشهود المدحوق فيهم، ولم يكن بأهل أن يؤخذ عنه، قال وقد أجلسه أحمد بن يحيى الملقب بالصدر ابن سني الدولة في حال ولايته القضاء بدمشق، فأشدد فيه بعض الشعراء:

جلس الشعيشة الشقي ليشهدا * تبالكم، ماذا عدا فيما بدا؟
هل زلزل الزلزال؟ أم قد نخرج الد * جال أم عدم الرجال ذو والهدى؟
عجبا لمحول العقيدة جاهل * بالشرع قد أذنو له أن يقعدا

قال أبو شامة: في سنة سبع وخمسين وستمائة مات شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علم الأوائل، وكان يسكن مدارس المسلمين، وقد أفسد عقائد جماعة من الشبان المشتغلين فيما بلغنى، وكان أبوه يزعم أنه من تلامذة ابن خطيب الرى الرازى صاحب المصنفات. حية ولد حية.

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة ﴾

استهلت هذه السنة بيوم الخميس وليس للناس خليفة، وملك العراقيين وخراسان وغيرها من بلاد المشرق للسلطان هولاء كوخان ملك التتار، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز، وملك المعز أيبك التركاني، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر، وبلاد الكرك والشوبك للملك المغيث بن العادل بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وهو حرب مع الناصر صاحب دمشق على المصريين، ومعهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، وقد عزموا على قتال المصريين وأخذ مصر منهم. وبينما الناس على هذه الحال وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام إذ دخل جيش المغول صحبة ملكهم هولاء كوخان وجازوا الفرات على جسور عملوها، ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة، فحاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان، ثم غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ونهبوا الأموال، وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بغداد، فنجسوا خلال الديار وجعلوا أعزة أهلها أذلة، فانا لله وإنا إليه راجعون. وامتنعت عليهم القلعة شهراً ثم استلموها بالأمان، وخرّب أسوار البلد وأسوار القلعة وبقيت حلب كأنها حمار أجرب، وكان نائبها الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين وكان عاقلاً حازماً، ولكنه لم يوافق الجيش على القتال، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وقد كان أرسل هولاء كوخان يقول لأهل حلب: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق، فاجعلوا لنا عندكم شحنة، فان كانت النصر لنا فالبلاد كلها في حكمنا، وإن كانت علينا فان شئتم قبلتم الشحنة وإن شئتم أطلقتموه. فأجابوه مالاك عندنا إلا السيف، فتعجب من ضعفهم وجوابهم، فزحف حينئذ إليهم وأحاط بالبلد، وكان ما كان بقدر الله سبحانه. ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماه بمفاتيحها إلى هولاء كوخان، فاستتاب عليها

رجلا من المعجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسرو شاه ، فخر بأسوارها كمدينة حلب
 ﴿ صفة أخذهم دمشق وزوال ملكهم عنها سر يعاً ﴾

أرسل هولاء وهو نازل على حلب جيشا مع أمير من كبار دولته يقال له كسبغانوين ، فوردوا
 دمشق في آخر صفر فأخذوها سر يعاً من غير ممانعة ولا مدافع ، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسعة ،
 وقد كتب هولاء كو أمانا لأهل البلد ، فقرأ بالميدان الأخضر ونودي به في البلد ، فأمن الناس على وجل
 من الغدر ، كما فعل بأهل حلب ، هذا والقلعة متمتعة مستورة ، وفي أعاليها المجانيق منصوبة والحال
 شديدة ، فاحضرت التتار منجنيقا يحمل على عجل والخيول تجرها ، وهم راكبون على الخيل وأسلحتهم
 على أبقار كثيرة ، فنصب المنجنيق على القلعة من غربها ، وخرّبوا حيطانها كثيرة وأخذوا حجارتها
 ورموا بها القلعة رميا متواترا كالطر المتدارك ، فهدموا كثيرا من أعاليها وشرافاتها وتداعت للسقوط
 فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة ، ففتحوها وخرّبوا كل بدنة فيها ، وأعلى بروجها ، وذلك
 في نصف جمادى الأولى من هذه السنة ، وقتلوا المتولى بها بدر الدين بن قراجا ، ونقيبها جمال الدين
 ابن الصير في الحلبى ، وسلّموا البلد والقلعة إلى أمير منهم يقال له ابل سيان ، وكان لعنه الله معظم الدين
 النصارى ، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم ، فعضمهم جدا ، وزار كنائسهم ، فصارت لهم دولة وصولة
 بسببه ، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاء وأخذوا معهم هدايا وتحفا ، وقدموا من عنده ومعهم
 أمان فرمان من جهته ، ودخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤس الناس ، وهم
 ينادون بشعارهم ويقولون : ظهر الدين الصحيح دين المسيح . ويذمون دين الاسلام وأهله ، ومعهم
 أواني فيها خمر لا يبرون على باب مسجد إارشوا عنده خمر ، وقام ملائنة خمر يرشون منها على
 وجوه الناس وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ، ودخلوا
 من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبى البيان ، ورشوا عنده خمرآ ، وكذلك على باب مسجد
 درب الحجر الصغير والكبير ، واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الريحان أو قريب منه ، فتسكّأر
 عليهم المسلمون فردوهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين
 النصارى وذم دين الاسلام وأهله ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم دخلوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم
 وكانت عامرة ولكن كان هذا سبب خرابها والله الحمد . وحكى الشيخ قطب الدين في ذيله على المرأة
 أنهم ضربوا بالناقوس في كنيسة مريم فأنه أعلم .

قال وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بضمير وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخرّبوا كثيرا
 من المساجد وغيرها ، ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا القلعة
 يشكون هذا الحال إلى متسلها ابل سيان فأهينوا وطرّدوا ، وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم فانا لله

وإنا إليه راجعون . وهذا كان في أول هذه السنة وسلطان الشام الناصر بن العزيز وهو مقيم في وطأة برزه ، ومعه جيوش كثيرة من الأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم ، وكان في جملة من معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية ، ولكن الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة ، لما يريد الله عز وجل . وقد عازمت طائفة من الأمراء على خلع الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر على ، فلما عرف الناصر ذلك هرب إلى القلعة وتفرقت العساكر شذراً منذر وساق الأمير ركن الدين بيبرس في أصحابه إلى ناحية غزة ، فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه ، وأقطعته قليوب ، وأنزله بدار الوزارة وعظم شأنه لديه ، وإنما كان حثفه على يديه .

﴿ وقعت عين جالوت ﴾

اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة ، فامضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت ، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا ، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة ، وقد عزموا على الدخول إلى مصر ، وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر ، وليته فعل ، وكان في صحبته الملك المنصور صاحب حماه وخلق من الأمراء وأبناء الملوك ، وقد وصل إلى قطية وأكرم الملك المظفر قطز صاحب حماه ووعده ببلده ووفاه له ، ولم يدخل الملك الناصر مصر بل كر راجعاً إلى ناحية تيه بنى إسرائيل ، ودخل عامة من كان معه إلى مصر ، ولو دخل كان يسرع عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لأجل العداوة فعدل إلى ناحية الكرك فتحصن بها وليته استمر فيها ، ولكنه قلق فركب نحو البرية - وليته ذهب فيها - واستجار ببعض أمراء الأعراب ، فقصدته التتار وأتلفوا ما هنالك من الأموال وخرّبوا الديار وقتلوا الكبار والصغار وهجموا على الأعراب التي بتلك النواحي فقتلوا منهم خلقاً وسبوا من نسلهم ونسائهم ، وقد اقتص منهم العرب بعد ذلك ، فأغاروا على خيل جشارهم في نصف شعبان فساقوها بأسرها ، فساقت وراءهم التتار فلم يدركوا لهم الغبار ولا استردوا منهم فرساً ولا حماراً ، وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه عند بركة زيزى وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكوخان وهو نازل على حلب ، فما زالوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية كما سنذكره . والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تهديد ملكهم بالشام ، بادرم قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ، فخرج في عساكره وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى انتهى إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغاوين ، وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجبر ابن الزكي ، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو

فأبى إلا أن يناجزه سريراً ، فساروا إليه وسار المظفر إليهم ، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، فاقتلوا قتالاً عظيماً ، فكانت النصره والله الحمد للاسلام وأهله ، فهزموهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كتبغاوين وجماعة من بيته ، وقد قيل إن الذي قتل كتبغاوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسى ، واتبعهم الجيش الاسلامى يقتلونهم فى كل موضع ، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حمه مع الملك المظفر قتالاً شديداً ، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب ، وكان أنابك العسكر ، وقد أسر من جماعة كتبغاوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه ، واستأمن الأشراف صاحب حمص ، وكان مع التتار ، وقد جعله هولاء كوخان نائباً على الشام كله ، فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص ، وكذلك رد حمه إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها ، وأطلق سلمية للامير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب ، واتبع الامير بيبرس البندقدارى وجماعة من الشجيمان التتار يقتلونهم فى كل مكان ، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب ، وهرب من بدمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان ، فتنبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم ، وجاءت بذلك البشارة والله الحمد على جبره إياهم بلطفه فجاءتها دق البشائر من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً ، وأيد الله الاسلام وأهله تأييداً وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون ، فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التى خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيها حولها فاحترق دور كثيرة إلى النصارى ، وملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا ، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة ، وهمت طائفة بنهب اليهود ، فقيل لهم إنه لم يكن منهم من الطفغيان كما كان من عبدة الصليبان ، وقتلت العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مصانعا للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف بن محمد السكنجى ، كان خبيث الطوية مشرقياً ممالئاً لهم على أموال المسلمين قبجه الله ، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وقد كان هولاء كوا أرسل تقليداً بولاية القضاء على جميع المدائن : الشام ، والجزيرة ، والموصل ، وماردين ، والأكراد وغير ذلك ، للقاضى كمال الدين عمر بن بدار التفليسى . وقد كان نائب الحكم بدمشق عن القاضى صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله ابن سنى الدولة من مدة خمس عشرة سنة ، فحين وصل التقليد فى سادس عشرين ربيع الأول قرى ، بالميدان الأخضر فاستقل بالحكم فى دمشق وقد كان فاضلاً ، فسار القاضيان المعز ولان صدر الدين بن سنى الدولة ومحيى الدين بن الزكى إلى خدمة هولاء كوخان إلى حلب ، ففدع ابن الزكى لابن سنى الدولة وبذل أموالاً جزيلة ، وتولى القضاء بدمشق ورجعا ، فمات ابن سنى الدولة ببعليك ، وقدم ابن الزكى على القضاء ومعه تقليده وخلعة مذهبة فلبسها وجلس فى خدمة ابل سنان تحت قبة النسر عند الباب

الكبير ، و بينهما الخاتون زوجة ابل سنان حاسرة عن وجهها ، و قرىء التقليد هناك و الحالة كذلك ، و حين ذكر اسم هولاء كو نثر الذهب و الفضة فوق رؤس الناس ، فانا لله و انا اليه راجعون ، قبح الله ذلك القاضي و الأمير و الزوجة و السلطان . و ذكر أبو شامة أن ابن الزكي استحوذ على مدارس كثيرة في مدته هذه القصيرة ، فانه عزل قبل رأس الحول ، فأخذ في هذه المدة العندراوية و السلطانية و الفلكية و الركنية و القيمرية و العزيرية مع المدرستين اللتين كانتا بيده التقوية و العزيرية ، و أخذ لولده عيسى تدريس الامينية و مشيخة الشيوخ ، و أخذ أم الصالح لبعض أصحابه وهو العماد المصري ، و أخذ الشامية البرانية لصاحب له ، و استناب أخاه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن حبيش في القضاء و ولاء الرواحية و الشامية البرانية . قال أبو شامة : مع أن شرط واقفها أن لا يجمع بينها و بين غيرها . و لما رجعت دمشق و غيرها إلى المسلمين ، سعى في القضاء و بذل أموالا ليستمر فيه و فيما بيده من المدارس ، فلم يستمر بل عزل بالقاضي نجم الدين أبي بكر بن صدر الدين بن سنى الدولة ، و قرىء توقيعه بالقضاء يوم الجمعة بعد الصلاة في الحادى و العشرين من ذى القعدة عند الشباك السكالى من مشهد عثمان من جامع دمشق . و لما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق و راءهم و دخل دمشق في أبهة عظيمة و فرح به الناس فرحاً شديداً و دعوا له دعاء كثيراً ، و أقر صاحب حصص الملك الأشرف عليها ، و كذلك المنصور صاحب حماه ، و استرد حلب من يد هولاء كو ، و عاد الحق إلى نصابه و مهد القواعد ، و كان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ليطرده التتار عن حلب و يتسلمها و وعده بنياتها ، فلما طردهم عنها و أخرجهم منها و تسلمها المسلمون استناب عليها غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل ، و كان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما و اقتضت قتل الملك المظفر قطز سريراً ، و لله الأمر من قبل و من بعد . فلما فرغ المظفر من الشام عزم على الرجوع إلى مصر و استناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير و الأمير مجير الدين ابن الحسين بن آقشتمر ، و عزل القاضي ابن الزكي عن قضاء دمشق ، و ولى ابن سنى الدولة ثم رجع إلى الديار المصرية و العساكر الاسلامية في خدمته ، و عيون الأعيان تنظر إليه شزراً من شدة هيئته

﴿ ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ﴾

وهو الأسد الضارى ، و ذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد قاصداً مصر ، وصل إلى ما بين الفزالي و الصالحية ، عدا عليه الأمراء فقتلوه هنالك ، و قد كان رجالاً صالحاً كثير الصلاة في الجماعة ، و لا يتعاطى المسكر و لا شيئاً مما يتعاطاه الملوك ، و كانت مدة ملكه من حين عزل ابن أسناذه المنصور على بن المعز التركانى إلى هذه المدة ، و هى أواخر ذى القعدة نحواً من سنة ، رحمه الله و جزاه عن الاسلام و أهله خيراً . و كان الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى قد اتفق مع جماعة من الأمراء

على قتله ، فلما وصل إلى هذه المنزلة ضرب دهلنزه وساق خلف أرنب ، وساق معه أولئك الأمراء فشفع عنده ركن الدين بيبرس في شيء فشفعه ، فأخذ يده ليقبلها فأمسكها وحمل عليه أولئك الأمراء بالسيوف فضربوه بها ، وألقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى قتله رحمه الله ، ثم كروا راجعين إلى الخيم وبأيديهم السيوف مصلتة ، فأخبروا من هناك بالخبر ، فقال بعضهم من قتله ؟ فقالوا : ركن الدين بيبرس ، فقالوا أنت قتلته ؟ فقال نعم ، فقالوا أنت الملك إذا ، وقيل لما قتل حار الأمراء بينهم فيمن يولون الملك ، وصار كل واحد منهم يخشى غائلة ذلك ، وأن يصيبه ما أصاب غيره سريعاً ، فاتفقت كلمتهم على أن بايعوا بيبرس البندقداري ، ولم يكن هو من أكابر المقدمين ، ولكن أرادوا أن يجربوا فيه ، ولقبوه الملك الظاهر ، فجلس على سرير المملكة وحكمه ، ودقت البشار وضربت الطبول والبوقات وصفرت الشغابة ، وزعقت الشاوشية بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً وتوكل على الله واستعان به ، ثم دخل مصر والعساكر في خدمته ، فدخل قلعة الجبل وجلس على كرسيها ، فحكم وعدل وقطع ووصل وولى وعزل ، وكان شهماً شجاعاً أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه في هذا الوقت الشديد والأمر العسير ، وكان أولاً لقب نفسه بالملك القاهر ، فقال له الوزير : إن هذا اللقب لا يفلح من يلقب به . تلقب به القاهر بن المعتمد فلم تطل أيامه حتى خلع وصحلت عيناه ، ولقب به القاهر صاحب الموصل فسم فمات ، فعدل عنه حينئذ إلى الملك الظاهر ، ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك . وقد كان هولاً كوخان لما بلغه ماجرى على جيشه من المسلمين بعين جالوت أرسل جماعة من جيشه الذين معه كثيرين ليستعيدوا الشام من أيدي المسلمين ، فحبل بينهم وبين ما يشتهون فرجعوا إليه خائبين خاسرين ، وذلك أنه نهض إليهم الهزبر الكاسر والسيوف الباتر الملك الظاهر ، فقدم دمشق وأرسل العساكر في كل وجه لحفظ الثغور والمعازل بالأسلحة ، فلم يقدر التتار على الدنو إليه ، ووجدوا الدولة قد تغيرت ، والسواعد قد شمرت ، وعناية الله بالشام وأهله قد حصلت ، ورحمته بهم قد نزلت ، فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم ، وكروا راجعين القهقري ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وقد كان الملك المظفر قطز رحمه الله استناب على دمشق الأمير علم الدين سننجر الحلبي أحد الأتراك ، فلما بلغه مقتل المظفر دخل القلعة ودعا لنفسه وتسمى بالملك المجاهد ، فلما جاءت البيعة للملك الظاهر خطب له يوم الجمعة السادس من ذي الحجة فدعا الخطيب أولاً للمجاهد ثم للظاهر ثانياً وضربت السكة باسمهما معاً ، ثم ارتفع المجاهد هذا من البين كما سيأتي .

وقد اتفق في هذا العام أمور عجيبة ، وهي أن أول هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر ابن العزيز ، ثم في النصف من صفر صارت لهولاً كوك ملك التتار ، ثم في آخر رمضان صارت للمظفر قطز

ثم في أواخر العقدة صارت للظاهر بيبرس ، وقد شركه في دمشق الملك المجاهد سنجر ، وكذلك كان القضاء في أولها بالشام لابن سني الدولة صدر الدين ، ثم صار للإكمال عمر التغلبي من جهة هولاء كو ثم لابن الزكي ثم لنجم الدين ابن سني الدولة . وكذلك كان خطيب جامع دمشق عماد الدين بن الحرساني من سنين متطاولة ، فعزل في شوال منها بالعماد الاسعدي ، وكان صينا قارنا مجيدا ، ثم أعيد العماد الحرساني في أول ذي القعدة منها . فسبحان من بيده الأمور يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وفيها توفي من الأعيان .

﴿ قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سني الدولة ﴾

أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن محمد بن علي يحيى بن صدقة بن الخياط ، قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سني الدولة التغلبي الدمشقي الشافعي ، وسني الدولة الحسين بن يحيى المذكور كان قاضيا لبعض ملوك دمشق في حدود الخمسة ، وله أوقاف على ذريته . وابن الخياط الشاعر صاحب الديوان وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي هو عم سني الدولة . ولد سني الدولة سنة تسع وخمسين وخمسة ، وسمع الخشوعي وابن طبرزد ، والكندي وغيرهم ، وحدث ودرس في عدة مدارس وأفتى ، وكان عارفا بالمذاهب مشكورا للسيرة ، ولكن أبو شامة ينال منه وينميه فالله أعلم .

وقد ولي الحكم بدمشق استقلالاً سنة ثلاث وأربعين واستمر إلى مدة السنة وسافر حين عزل بالإكمال التغلبي هو والقاضي يحيى الدين ابن الزكي ، وقد سافر هو وابن الزكي إلى هولاء كو لما أخذ حلب فولى ابن الزكي القضاء ، واختار ابن سني الدولة بعلمك قدمها وهو ممرض فمات بها ودفن عند الشيخ عبد الله اليونيني ، وقد كان الملك الناصر يثني عليه كما كان الملك الأشرف يثني على والده شمس الدين . ولما استقر الملك الظاهر بيبرس ولي القضاء ولده نجم الدين ابن سني الدولة وهو الذي حدث في زمن المشمش بطالة الدروس لأنه كان له بستان بأرض السهم ، فكان يشق عليه مفارقة المشمش ، والنزول إلى المدارس ، فبطل الناس هذه الايام واتبعوه في ذلك ، والنفوس إنما تؤثر الراحة والبطالة ، ولا سيما أصحاب البساتين في أيام الغواكه وكثرة الشهوات في تلك الايام ولا سيما القضاة .

﴿ الملك السعيد صاحب ماردين ﴾

وفيها توفي

نجم الدين بن ايل غازي بن المنصور أرتق بن أرسلان بن ايل غازي بن السني بن تمرناش ابن ايل غازي بن اريثي وكان شجاعا ملك يوما ، وقد وقع في قلعته توران شاه بن الملك صلاح الدين كان نائبا للملك الظاهر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر صاحب دمشق على حلب ، وقد حصن

حلب من أيدي المغول مدة شهر ، ثم تسلمها بعد محاصرة شديدة صلحا . كانت وفاته في هذه السنة ودفن بدهلينز داره . وفيها قتل :

﴿ الملك السعيد حسن بن عبد العزيز ﴾

ابن العادل أبي بكر بن أيوب ، كان صاحب الصببية وبانياس بعد أبيه ، ثم أخذنا منه وحبس بقاعة المنيرة ، فلما جاءت التتار كان معهم وردوا عليه بلاده ، فلما كانت وقعة عين جالوت أتى به أسيرا إلى بين يدي المظفر قطز فضرب عنقه ، لأنه كان قد لبس سر قوج التتار وناصحهم على المسلمين .

﴿ عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر ﴾

ابن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، شرف الدين بن العجمي الحلبي الشافعي ، من بيت العلم والرئاسة بحلب ، درس بالظاهرية ووقف مدرسة بها ودفن بها ، توفي حين دخلت التتار حلب في صفر ، فمذبوه وصبوا عليه ماء باردا في الشتاء فقتل حتى مات رحمه الله تعالى .

﴿ الملك المظفر قطز بن عبد الله ﴾

سيف الدين التركي ، أخص ممالك المعز التركي ، أحد ممالك الصالح أيوب بن الكامل . لما قتل أستاذه المعز قام في تولية ولده نور الدين المنصور على ، فلما سمع بأمر التتار خاف أن تختلف الحكامة لصفر ابن أستاذه فزله ودعا إلى نفسه ، فبويع في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة كما تقدم ، ثم سار إلى التتار فجعل الله على يديه نصرته الاسلام كما ذكرنا ، وقد كان شجاعا بطلا كثير الخير ناصحا للاسلام وأهله ، وكان الناس يحبونه ويدعون له كثيرا . ذكر عنه أنه لما كان يوم المعركة بعين جالوت قتل جواده ولم يجد أحدا في الساعة الراهنة من الوشاقية الذين معهم الجنائب ، فترجل وبقى واقفا على الأرض ثابتا ، والقتال عمال في المعركة ، وهو في موضع السلطان من القلب ، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه وحلف على السلطان ليركبها فامتنع وقال لذلك الأمير : ما كنت لأحرم المسلمين نفعك . ولم يزل كذلك حتى جاءته الوشاقية بالخييل فركب ، فلامه بعض الأمراء وقال : ياخوند لم لا ركبت فرس فلان ؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لتنتك وهلك الاسلام بسببك ، فقال : أما أنا فكنت أروح إلى الجنة ، وأما الاسلام فله رب لا يضيعه ، قد قتل فلان وفلان حتى عد خلقا من الملوك ، فأقام للاسلام من يحفظه غيرهم ، ولم يضيع الاسلام . رحمه الله وكان حين سار من مصر في خدمته خلق من كبار الأمراء البحرية وغيرهم ، ومعه المنصور صاحب حماه وجماعة من أبناء الملوك . فأرسل إلى صاحب حماه يقول له لا تتعنى في مد سباط في هذه الأيام ، وليكن مع الجندي لحم يأكلها ، والعجل العجل ، وكان اجتماعه مع عدوه كما ذكرنا في العشر الأخير من رمضان يوم الجمعة ، وهذه بشارة عظيمة ، فان وقعة بدر كانت يوم الجمعة في رمضان ، وكان

فيها نصر الاسلام . ولما قدم دمشق في شوال أقام بها العدل ورتب الأمور ، وأرسل بيبرس خلف التتار ليخرجهم ويطردهم عن حلب ، ووعد بنياتها فلم يف له لما رآه من المصلحة ، فوعدت الوحشة بينهما بسبب ذلك ، فلما عاد إلى مصر تمالأ عليه الأمراء مع بيبرس فقتلوه بين القرابي والصالحية ودفن بالقصر ، وكان قبره يزار ، فلما تمكن الظاهر من الملك بعث إلى قبره فغيبه عن الناس ، وكان لا يعرف بعد ذلك ، قتل يوم السبت سادس عشر من ذى القعدة رحمه الله .

وحكى الشيخ قطب الدين اليونيني في الذيل على المرأة عن الشيخ علاء الدين بن غانم عن المولى تاج الدين أحمد بن الأثير كاتب السرفي أيام الناصر صاحب دمشق ، قال : لما كنا مع الناصر بوطاه برزه جاءت البريدية بخبر أن قطز قد تولى الملك بمصر ، فقرأت ذلك على السلطان ، فقال : أذهب إلى فلان وفلان فأخبرهم بهذا ، قال : فلما خرجت عنه لقيتني بعض الأجناد فقال لي جاءكم الخبر من مصر بأن قطز قد تملك ؟ فقلت : ما عندي من هذا علم وما يدريك أنت بهذا ؟ فقال بلى والله سيلى المملكة ويكسر التتار ، فقلت من أين تعلم هذا ؟ فقال : كنت أخدمه وهو صغير وكان عليه قل كثير فكنت أفليه وأهينه وأذمه ، فقال لي يوما : ويحك إيش تريد أعطيك إذا ملكت الديار المصرية ؟ فقلت له أنت مجنون ؟ فقال لقد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال لي أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتار ، وقول رسول الله ﷺ حق لاشك فيه ، فقلت له حينئذ - وكان صادقا - أريد منك إمرة خمسين فارساً ، فقال نعم أبشر . قال ابن الأثير : فلما قال لي هذا قلت له هذه كتب المصريين بأنه قد تولى السلطنة ، فقال والله ليكسر التتار ، وكان كذلك ، ولما رجع الناصر إلى ناحية الديار المصرية وأراد دخولها ورجع عنها ودخلها أكثر الجيوش الشامية كان هذا الأمير الحامكي في جملة من دخلها ، فأعطاه المظفر إمرة خمسين فارساً ، ووفى له بالوعد ، وهو الأمير جمال الدين التركاني . قال ابن الأثير : فلقيني بمصر بعد أن تأمر فدكرني بما كان أخبرني عن المظفر ، فدكرته ثم كانت وقعة التتار على إثر ذلك فكسروهم وطردهم عن البلاد ، وقد روى عنه أنه لما رأى عصائب التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه : لا تقاتلوا حتى تزول الشمس وتفي الظلال وتهب الرياح ، ويدعوا لنا الخطباء والناس في صلاتهم ، رحمه الله تعالى .

وفيها هلك كتبفانوين نائب هولاء على بلاد الشام لعنه الله ، ومعنى نوين يعني أمير عشرة آلاف ، وكان هذا الخبيث قد فتح لأستاذه هولاء كو من أقصى بلاد العجم إلى الشام ، وقد أدرك جنكيزخان جد هولاء كو ، وكان كتبفان هذا يعتمد في حروبه للمسلمين أشياء لم يسبقه أحد إليها ، كان إذا فتح بلداً ساق مقاتلة هذا البلد إلى البلد الآخر الذي يليه ، ويطلب من أهل ذلك البلد أن يؤوا هؤلاء إليهم ، فان فعلوا حصل مقصوده في تضييق الأطمعة والأشربة عليهم ، فتقصر مدة الحصار

عليه لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم ، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذي فتحه قبل ذلك ، فان حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهؤلاء حتى يفتى تلك المقاتلة ، فان حصل الفتح وإلا قاتلهم بجنده وأصحابه مع راحة أصحابه وتعب أهل البلد وضعفهم حتى يفتحهم سريراً . وكان يبعث إلى الحصن يقول : إن ماءكم قد قل فمخشى أن نأخذكم عنوة فنقتلكم عن آخركم ونسبي نساءكم وأولادكم فابقاؤكم بعد ذهاب مائتكم ، فافتحوا صلحاً قبل أن نأخذكم قسراً فيقولون له : إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماء . فيقول لأصدق حتى أبعث من عندي من يشرف عليه فان كان كثيراً انصرفت عنكم ، فيقولون : ابعث من يشرف عليه ، فيرسل رجلاً من جيشه معهم رماح مجوفة محشوة سما ، فاذا دخلوا الحصن الذي قد أعياه ساطوا ذلك الماء بتلك الرماح على أنهم يفتشونه ويعرفون قدره ، فينفتح ذلك السم ويستقر في ذلك الماء فيكون سبب هلاكهم وهم لا يشعرون لعنة الله لعنة تدخل معه قبره . وكان شيخاً كبيراً قد أسن وكان يميل إلى دين النصارى ولكن لا يمكنه الخروج من حكم جنكيزخان في الياساق .

قال الشيخ قطب الدين اليونيني : وقد رأيت به بعلبك حين حاصر قلعتها ، وكان شيخاً حسناً له حلية طويلة مسترسلة قد ضفرها مثل الدبوق ، وتارة يملقها من خلفه باذنه ، وكان مهيباً شديداً السطوة ، قال وقد دخل الجامع فصعد المنارة ليتأمل القلعة منها ، ثم خرج من الباب الغربي فدخل دكاناً خراباً ففضى حاجته والناس ينظرون إليه وهو مكشوف العورة ، فلما فرغ من حاجته مسح بعض أصحابه بقطان ملبد مسحة واحدة . قال ولما بلغه خروج المظفر بالعساكر من مصر تلوم في أمره وحرار ماذا يفعل ، ثم حملته نفسه الأبيسة على لقاءه ، وظن أنه منصور على جاري عاداته ، فحمل يومئذ على الميسرة فكسرها ثم أيد الله المسلمين وثبتهم في المعركة فحملوا حملة صادقة على التتار فهزموهم هزيمة لا تجبر أبداً ، وقتل أميرهم كتبغانون في المعركة وأسر ابنه ، وكان شاباً حسناً ، فأحضر بين يدي المظفر قطز فقال له أهرب أبوك ؟ قال إنه لا يهرب ، فطلبوه فوجدوه بين القتلى ، فلما رآه ابنه صرخ وبكى ، فلما تحققه المظفر سجد لله تعالى ثم قال : أنام طيباً . كان هذا سعادة التتار وبقته ذهب سدهم ، وهكذا كان كما قال ولم يفلحوا بعده أبداً ، وكان قتله يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، وكان الذي قتله الأمير آقوش الشمسى رحمه الله .

﴿ الشيخ محمد الفقيه اليونيني ﴾

الحنبلي البعلبكي الحافظ ، هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال أحمد بن علي ابن محمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق ، كذا نقل هذه النسبة الشيخ قطب الدين اليونيني من خط أخيه الأكبر أبي الحسين علي وأخبره أن والده قال له نحن من سلالة

جعفر الصادق ، قال وإنما قال له هذا عند الموت ليتخرج من قبول الصدقات .

أبو عبد الله بن أبي الحسين اليوناني الحنبلي تقي الدين الفقيه الحنبلي الحافظ المفيد البارع العابد الناسك ، ولد سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ، وسمع الخشوعي وحنبلًا والكندي والحافظ عبد الغني وكان يثني عليه ، وتفقه على الموفق ، ولزم الشيخ عبد الله اليوناني فانتفع به ، وكان الشيخ عبد الله يثني عليه ويقدمه ويقندي به في الفتاوى ، وقد لبس الخرقة من شيخ شيخه عبد الله البطائحي ، وبرع في علم الحديث وحفظ الجمع بين الصحيحين بالفاء والواو ، وحفظ قطعة سالحة من مسند أحمد ، وكان يعرف العربية أخذها عن التاج الكندي ، وكتب مليحًا حسنًا ، وكان الناس ينتفعون بفنونه الكثيرة ، ويأخذون عنه الطرق الحسنة ، وقد حصلت له وجاهة عظيمة عند الملوك ، توضع مرة عند الملك الأشرف بالقلمة حال سماع البخاري على الزبيدي ، فلما فرغ من الوضوء نفذ السلطان تخفيفته وبسطها على الأرض ليطأ عليها ، وحلف السلطان له إنها طاهرة ولا بد أن يطأ برجليه عليها ففعل ذلك . وقدم الكامل على أخيه الأشرف دمشق فأنزله القلعة وتحول الأشرف لدار السعادة وجعل يذكر للكامل محاسن الشيخ الفقيه ، فقال الكامل : أحب أن أراه ، فأرسل إليه إلى بعلبك بطاقة واستحضره فوصل إلى دار السعادة ، فنزل الكامل إليه وتحدثا وتذاكرا شيئًا من العلم ، فجرت مسألة القتل بالمنقل ، وجرى ذكر حديث الجارية التي قتلها اليهودي فرض رأسها بين حجرين فأمر رسول الله ﷺ بقتله ، فقال الكامل : إنه لم يعترف . فقال الشيخ الفقيه في صحيح مسلم « فاعترف » ، فقال الكامل أنا اختصرت صحيح مسلم ولم أجد هذا فيه ، فأرسل الكامل فأحضر خمس مجلدات اختصاره لمسلم ، فأخذ الكامل مجلداً والأشرف آخر وعماد الدين بن موسك آخر وأخذ الشيخ الفقيه مجلداً فأول ما فتحه وجد الحديث كما قال الشيخ الفقيه ، فتمعجب الكامل من استحضاره وسرعة كشفه ، وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية فأرسله الأشرف سريعا إلى بعلبك ، وقال للكامل : إنه لا يؤثر ببعلمك شيئاً ، فأرسل له الكامل ذهباً كثيراً ، قال ولده قطب الدين : كان والدي يقبل بر الملوك ويقول أنا لي في بيت المال أكثر من هذا ، ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئاً إلا أن يكون هدية ما كؤل ونحوه ، ويرسل إليهم من ذلك فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء .

وذكر أنه أكثر ماله وأثرى ، وصار له سعة من المال كثيرة ، وذكر له أن الأشرف كتب له كتاباً بقرية يونين وأعطاه لحبي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة ، فلما شعر والدي بذلك أخذ الكتاب ومزقه وقال : أنا في غنية عن ذلك ، قال وكان والدي لا يقبل شيئاً من الصدقة ويزعم أنه من ذرية علي بن أبي طالب من جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن

على بن أبي طالب ، قال وقد كان قبل ذلك فقيراً لا شيء له ، وكان للشيخ عبد الله زوجة ولها ابنة جميلة ، وكان الشيخ يقول لها : زوجيها من الشيخ محمد ، فنقول إنه فقير وأنا أحب أن تكون ابنتي سعيدة ، فيقول الشيخ عبد الله كأنى أنظر إليهما إياه وإياها في دار فيها بركة وله رزق كثير والملوك يترددون إلى زيارته ، فزوجهما منه فكان الأمر كذلك ، وكانت أولى زوجاته رحمه الله تعالى .

وكانت الملوك كلهم يحترمونه ويعظمونه ويحييون إلى مدينته ، بنو العادل وغيرهم ، وكذلك كان مشايخ الفقهاء كابن الصلاح ، وابن عبد السلام ، وابن الحاجب ، والحصرى ، وشمس الدين بن سنى الدولة ، وابن الجوزى ، وغيرهم يعظمونه ويرجعون إلى قوله لعلهم وعمله وديانته وأمانته . وقد ذكرت له أحوال ومكاشفات وكرامات كثيرة رحمه الله ، وزعم بعضهم أنه قطب منذ ثنتي عشرة سنة فأنه أعلم . وذكر الشيخ الفقيه قال عزمت مرة على الرحلة إلى حران ، وكان قد بلغنى أن رجلاً بها يعلم علم الفرائض جيداً ، فلما كانت الليلة التي أريد أن أسافر في صبيحتها جاءتنى رسالة الشيخ عبد الله اليونينى يعزم على إلى القدس الشريف ، وكأنى كرهت ذلك وفتحت المصحف فطالع قوله (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) فخرجت معه إلى القدس فوجدت ذلك الرجل الحرانى بالقدس الشريف ، فأخذت عنه علم الفرائض حتى خيل لى أنى صرت أبرع فيه منه . وقال الشيخ أبو شامة كان الشيخ الفقيه رجلاً ضخماً ، وحصل له قبول من الأمراء وغيرهم ، وكان يلبس قبعاً صوفه إلى خارج كما كان شيخه الشيخ عبد الله اليونينى ، قال وقد صنف شيئاً فى المعراج فرددت عليه فى كتاب سميتة الواضح الجلى فى الرد على الحنبلى ، وذكر ولده قطب الدين أنه مات فى التاسع عشر من رمضان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر ﴾

أبو عبد الله البيطار الأكال ، أصله من جبل بنى هلال ، وولد بقصر حجاج ، وكان مقبلاً بالشاغور وكان فيه صلاح ودين وإيثار للفقراء والمحاويج والمحايس ، وكانت له حال غريبة لا يأكل لأحد شيئاً إلا بأجرة ، وكان أهل البلد يترامون عليه لياً كل لهم الأشياء المغتخرة الطيبة فيمتنع إلا بأجرة جيدة ، وكلما امتنع من ذلك حلى عند الناس وأحبوه ومالوا إليه ويأتونه بأشياء كثيرة من الحلوات والشواء وغير ذلك فيرد عليهم عوض ذلك أجرة جيدة مع ذلك ، وهذا غريب جداً ، رحمه الله تعالى ورضى عنه بمنه وكرمه آمين .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستائة ﴾

استهلت بيوم الاثنين لآيام خلون من كانون الأول ، وليس للمسلمين خليفة وصاحب مكة أبو نجي بن أبي سعيد بن على بن قتادة الحسنى ، وعمه إدريس بن على شريكه ، وصاحب المدينة

الأمير عز الدين جواز بن شبيحة الحسيني ، وصاحب مصر والشام السلطان الملك الظاهر بيبرس
البندقداري ، وشريكه في دمشق وبعليك والصببية وبانياس الأمير علم الدين سنجر الملقب بالملك
المجاهد ، وشريكه في حلب الأمير حسام الدين لاشين الجوكنداري العزيزي ، والكرك والشوبك
للكمالي المغيث فتح الدين عمر بن العادل بن سيف الدين أبي بكر الكامل محمد بن العادل الكبير سيف
الدين أبي بكر بن أيوب . وحصن جهيون وبارزيا في يد الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين
مكورس ، وصاحب حمه الملك المنصور بن تقي الدين محمود ، وصاحب حمص الأشرف بن المنصور
إبراهيم بن أسد الدين الناصر ، وصاحب الموصل الملك الصالح بن البدر لؤلؤ ، وأخوه الملك المجاهد
صاحب جزيرة ابن عمر ، وصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين ايل غازی بن أرتق ، وصاحب
بلاد الروم ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو والسلجوقي ، وشريكه في الملك أخوه كيكاوس
والبلاط بينهما نصفين ، وسائر بلاد المشرق بأيدي التتار أصحاب هولوكو ، وبلاد اليمن تملكها غير
واحد من الملوك ، وكذلك بلاد الجوكندى المغرب في كل قطر منها ملك .

وفي هذه السنة أغارت التتار على حلب فلقبهم صاحبها حسام الدين العزيزي ، والمنصور
صاحب حمه ، والأشرف صاحب حمص ، وكانت الواقعة شمالي حمص قريبا من قبر خالد بن الوليد ،
والتتار في ستة آلاف والمسلمون في ألف وأربعمائة فهزمهم الله عز وجل ، وقتل المسلمون أكثرهم فرجع
التتار إلى حلب فحصرها أربعة أشهر وضيقوا عليها الأوقات ، وقتلوا من الغرباء خلقا صبورا ، فانا لله
وإنا إليه راجعون ، والجيوش الذين كسروهم على حمص مقيمون لم يرجعوا إلى حلب بل ساقوا إلى
مصر ، فلتقام الملك الظاهر في أمهة السلطنة وأحسن إليهم ، وبقيت حلب محاصرة لانصر لها في
هذه المدة ولكن سلم الله سبحانه وتعالى .

وفي يوم الاثنين سابع صفر ركب الظاهر في أمهة الملك ومشى الأمراء والاجناد بين يديه ،
وكان ذلك أول ركوبه واستمر بعد ذلك يتابع الركوب واللعب بالكرة .

وفي سابع عشر صفر خرج الأمراء بدمشق على ملكها علم الدين سنجر فقاتلوه فهزموه ،
فدخل القلعة فحاصروه فيها فهرب منها إلى قلعة بعليك ، وتسلم قلعة دمشق الأمير علم الدين أيديكين
البندقداري ، وكان مملوكا لجمال الدين يعمور ثم للصالح أيوب بن الكامل وإليه ينسب الملك الظاهر ،
فأرسله الظاهر ليتسلم دمشق من الحلبي علم الدين سنجر ، فأخذها وسكن قلعتها نيابة عن الظاهر ، ثم
حاصروا الحلبي ببعليك حتى أخذوه فأرسلوه إلى الظاهر على بغل إلى مصر ، فدخل عليه ليلا فعاتبه
ثم أطلق له أشياء وأكرمه .

وفي يوم الاثنين ثامن ربيع الأول استوزر الظاهر بهاء الدين علي بن محمد المعروف بابن الحنا

وفي ربيع الآخر قبض الظاهر على جماعة من الأمراء بلغه عنهم أنهم يريدون الوثوب عليه وفيه أرسل إلى الشوبك فتسلها من أيدي نواب المغيث صاحب الكرك ، وفيها جهز الظاهر جيشاً إلى حلب ليطردوا التتار عنها ، فلما وصل الجيش إلى غزة كتب الفرنج إلى التتار يندرونهم ، فرحلوا عنها مسرعين واستولى على حلب جماعة من أهلها ، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم ، وقدم إليهم الجيش الظاهري فأزالوا ذلك كله ، وصادروا أهلها بألف وستمئة ألف ، ثم قدم الأمير شمس الدين آقوش التركي من جهة الظاهر فاستلم البلد فقطع ووصل وحكم وعدل .

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى باشر القضاء بمصر تاج الدين عبد الوهاب بن القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن رشيد الدين بن أبي الثناء محمود بن بدر العلاءي ، وذلك بعد شروط ذكرها للظاهر شديدة ، فدخل تحتها الملك الظاهر وعزل عن القضاء بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن علي السنجاري ورسم عليه أياماً ، ثم أفرج عنه .

✽ ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر ✽

وكان معتقلاً ببغداد فأطلق ، وكان مع جماعة الأعراب بأرض بالعراق ، ثم قصد الظاهر حين بلغه ملكه ، فقدم مصر صحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة ، منهم الأمير ناصر الدين مهنا في ثامن رجب ، فخرج السلطان ومعه الوزير والشهود والمؤذنون فتلقوه وكان يوماً مشهوداً ، وخرج أهل التوراة بتوراتهم ، والنصارى بتجيلهم ، ودخل من باب النصر في أبهة عظيمة ، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة بالايوان بقلعة الجبل ، والوزير والقاضي والأمراء على طبقاتهم ، وأثبت نسب الخليفة المذكور على الحاكم تاج الدين بن الاعز ، وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باني المستنصرية ، وعم المستعصم ، بويع بالخلافة بمصر بايعه الملك الظاهر والقاضي والوزير والأمراء ، وركب في دست الخلافة بديار مصر والأمراء بين يديه والناس حوله ، وشق القاهرة في ثالث عشر رجب ، وهذا الخليفة هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس بينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً ، وكان أول من بايعه القاضي تاج الدين لما ثبت نسبه ، ثم السلطان ثم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ثم الأمراء والدولة ، وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة وكان منصب الخلافة قد شغل منذ ثلاث سنين ونصف ، لأن المستعصم قتل في أول سنة ست وخمسين وستمئة ، وبويع هذا في يوم الاثنين في ثالث عشر رجب من هذه السنة - أعني سنة تسع وخمسين وستمئة - وكان أمر وسباً شديد القوى على المهمة له شجاعة وإقدام ، وقد لقبوه بالمستنصر كما كان أخاه باني المدرسة ، وهذا أمر لم يسبق إليه أن خليفين أخوين يلقب كل منهما بالآخر ، ولي الخلافة أخوين كهذين السفاح وأخوه المنصور ، وكذا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، والهادي

والرشيد ، والمسترشد والمقتفي ولدا المستظهر ، وأما ثلاثة فلا ميين والمأمون والمعتمد أولاد الرشيد ، والمنتصر والمعتز والمطيع أولاد المقتدر ، وأما أربعة فأولاد عبد الملك بن مروان الوليد وسليمان ويزيد وهشام . وكانت مدة خلافته إلى أن فقد كما سيأتي خمسة أشهر وعشرين يوماً ، أقصر مدة من جميع خلفاء بني العباس ، وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً ، وإبراهيم بن يزيد الناقص سبعين يوماً ، وأخوه يزيد بن الوليد خمسة أشهر . وكانت مدة خلافة الحسن بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً . وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر وعشرة أيام ، وكان في خلفاء بني العباس من لم يستكمل سنة منهم المنتصر بن المتوكل ستة أشهر ، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً ، وقد أنزل الخليفة هذا بقلعة الجبل في برج هو وحشمه ، فلما كان يوم سابع رجب ركب في السواد وجاء إلى الجامع بالقلعة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ، ثم استفتح فقرأ صدرًا من سورة الأنعام ثم صلى على النبي ﷺ ثم ترضى عن الصحابة ودعا للسلطان الظاهر ، ثم نزل فصلى بالناس فاستحسنوا ذلك منه ، وكان وقتنا حسناً ويوما مشهوداً .

﴿ تولية الخليفة المستنصر بالله للملك الظاهر السلطنة ﴾

لما كان يوم الاثنين الرابع من شعبان ، ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء وأهل الحل والعقد إلى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة فجلسوا فيها ، فألبس الخليفة السلطان بيده خلعة سوداء ، وطوقا في عنقه ، وقيدا في رجليه وهما من ذهب ، وصعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان وهو رئيس الكتاب منبرا فقرأ على الناس تقليد السلطان ، وهو من إنشائه ويخط نفسه ، ثم ركب السلطان بهذه الأبهة والقييد في رجليه ، والطوق في عنقه ، والوزير بين يديه ، وعلى رأسه التقليد والأمراء والدولة في خدمته مشاة سوى الوزير ، فشق القاهرة وقد زينت له ، وكان يوما مشهوداً ، وقد ذكر الشيخ قطب الدين هذا التقليد بتمامه ، وهو مطول والله أعلم .

﴿ ذكر ذهاب الخليفة إلى بغداد ﴾

ثم إن الخليفة طلب من السلطان أن يجزه إلى بغداد ، فرتب السلطان له جنداً هائلة وأقام له من كل ما ينبغي للخلفاء والملوك . ثم سار السلطان صحبته قاصدين دمشق ، وكان سبب خروج السلطان من مصر إلى الشام ، أن التركي كما تقدم كان قد استحوذ على حلب ، فأرسل إليه الأمير علم الدين سنجر الحلبي الذي كان قد تغلب على دمشق فطرده عن حلب وتسلمها ، وأقام بها نائباً عن السلطان ، ثم لم يزل التركي حتى استعادها منه وأخرجه منها هاربا ، فاستناب الظاهر على مصر عز الدين أيديمر الحلبي وجعل تدبير المملكة إلى الوزير بهاء الدين بن الحنا ، وأخذ ولده فخر الدين

منه وزيراً وجعل تدبير العساكر والجيوش إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، ثم ساروا فدخلوا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة، وكان يوماً مشهوداً، وصلوا الجمعة بجماع دمشق، وكان دخول الخليفة من باب البريد، ودخل السلطان من باب الزيارة. وكان يوماً مشهوداً أيضاً، ثم جهز السلطان الخليفة إلى بغداد ومعه أولاد صاحب الموصل، وأنفق عليه وعليهم وعلى من استقل معه من الجيش الذين يردون عنه ما لم يقدر الله من الذهب العين ألف ألف دينار، وأطلق له وزاده فجزاه الله خيراً، وقدم إليه صاحب حصص الملك الأشرف نخلع عليه وأطلق له وزاده تل باشر، وقدم صاحب حماه المنصور نخلع عليه وأطلق له وكتب له تقليداً ببيلاده، ثم جهز جيشاً صحبة الأمير علاء الدين البندقداري إلى حلب لمحاربة التركي المنغلب عليها المفسد فيها. وهذا كل ما بلغنا من وقائع هذه السنة ملخصاً

﴿ ثم دخلت سنة ستين وستمائة ﴾

في أوائل هذه السنة في ثالث المحرم قتل الخليفة المستنصر بالله الذي بويع له في رجب في السنة الماضية بمصر، وكان قتله بأرض العراق بعد ما هزم من كان معه من الجنود فانا لله وإنا إليه راجعون، واستقل الملك الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور، ولم يبق له منازع سوى التركي فإنه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها وعصى عليه هنالك. وفي اليوم الثالث من المحرم من هذه السنة خلع السلطان الملك الظاهر ببيلاد مصر على جميع الأمراء والحاشية وعلى الوزير وعلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز وعزل عنها برهان الدين السنجاري، وفي أواخر المحرم أعرس الأمير بدر الدين بيليك الخازندار على بنت الأمير أوثو صاحب الموصل، واحتفل الظاهر بهذا العرس احتفالاً بالغاً قال ابن خلكان: وفي هذه السنة اصطاد بهض أمراء الظاهر بمحدود حماة حمار وحش فطبخوه فلم ينضج ولا أثر فيه كثرة الوقود، ثم افتقدوا جلده فاذا هو مرسوم على أذنه بهرام جور، قال: وقد أحضروه إلى فقراته كذلك، وهو يقتضى أن لهذا الحمار قريراً من ثمانمائة سنة، فإن بهرام جور كان قبل المبعث بمدة متطاولة، وحمر الوحش تعيش دهرًا طويلاً، قلت: يحتمل أن يكون هذا بهرام شاه الملك الأجد، إذ يبعد بقاء مثل هذا بلا اصطيد هذه المدة الطويلة، ويكون المكاتب قد أخطأ فأراد كتابة بهرام شاه فكتب بهرام جور فحصل اللبس من هذا والله أعلم.

﴿ ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي ﴾

في السابع والعشرين من ربيع الآخر دخل الخليفة أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي علي التميمي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد من بلاد الشرق وصحبته جماعة من رؤوس تلك البلاد، وقد شهد الواقعة صحبة المستنصر، وهرب هو في جماعة من المعركة فسلم، فلما كان يوم دخوله تلقاه السلطان الظاهر وأظهر

السرو رله والاحتفال به ، وأنزله في البرج الكبير من قلعة الجبل ، وأجريت عليه الأرزاق الدارة والاحسان . وفي ربيع الآخر عزل الملك الظاهر الأمير جمال الدين آقوش النجيبى عن استداريته واستبدل به غيره و بعد ذلك أرسله نائباً على الشام كما سيأتى .

وفي يوم الثلاثاء تاسع رجب حضر السلطان الظاهر إلى دار العدل في محكمة في بئر إلى بيت القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعر فقام الناس إلا القاضى فانه أشار عليه أن لا يقوم . وتداعيا وكان الحق مع السلطان وله بينة عادلة ، فانزعت البئر من يد الغريم وكان الغريم أحد الأمراء .
وفي شوال استناب الظاهر على حلب الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى وحينئذ انحازعسكر سيس على القلعة من أرض حلب فركب إليهم الشهابى فكسره وأسر منهم جماعة فبعثهم إلى مصر فقتلوا . وفيها استناب السلطان على دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيبى ، وكان من أكابر الأمراء وعزل عنها علاء الدين طيبرس الوزيرى وحمل إلى القاهرة .

وفي ذى القعدة خرج مرسوم السلطان إلى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعر أن يستناب من كل مذهب من المذاهب الثلاثة نائباً فاستناب من الحنفية صدر الدين سليمان الحنفى ، ومن الحنابلة شمس الدين محمد بن الشيخ العماد ، ومن المالكية شرف الدين عمر السبكي المالكي .

وفي ذى الحجة قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأمنين فأكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة ، وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل ورتب لهم رواتب كافية .
وفيها أرسل هولاء طائفة من جنده نحو عشرة آلاف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا ، وضائق بها الأتوات .

وفيها أرسل الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ إلى التركى يستنجده فقدم عليه فهزمت التتار ثم ثبتوا والتقوا معه ، وإنما كان معه سبعمائة مقاتل فهزموه وجرحوه وعاد إلى البيرة وفارقه أكثر أصحابه فدخلوا الديار المصرية ، ثم دخل هو إلى الملك الظاهر فأنعم عليه وأحسن إليه وأقطعته سبعين فارساً ، وأما التتار فأنهم عادوا إلى الموصل ولم يزالوا حتى استنزلوا صاحبها الملك الصالح إليهم ونادوا في البلد بالأمان حتى اطمأن الناس ثم مالوا عليهم فقتلهم تسعة أيام وقتلوا الملك الصالح إسماعيل وولده علاء الدين وخرّبوا أسوار البلد وتركوها بلاقع ثم كروا راجعين قبحهم الله .

وفيها وقع الخلف بين هولاء وبين السلطان بركه خان ابن عمه ، وأرسل إليه بركه يطلب منه نصيباً مما فتحه من البلاد وأخذه من الأموال والأسرار ، على ما جرت به عادة ملوكهم ، فقتل رسله فاشتد غضب بركه ، وكاتب الظاهر ليتفقا على هولاء .

وفيها وقع غلاء شديد بالشام فبيع القمح الغرارة بأربعمائة والشعير بمائتين وخمسين ، واللحم

الرطل بستة أو سبعة . وحصل في النصف من شعبان خوف شديد من التتار فتهجن كثير من الناس إلى مصر ، وبيعت الغلات حتى حواصل القلعة والأمراء ، ورسم أولياء الأمور على من له قدرة أن يسافر من دمشق إلى بلاد مصر ، ووقعت رجفة عظيمة في الشام وفي بلاد الروم ، ويقال إنه حصل لبلاد التتر خوف شديد أيضاً ، فسبحان الفعال لما يريد وبيده الأمر . وكان الأمر لأهل دمشق بالتحول منها إلى مصر نائبها الأمير علاء الدين طبرس الوزيري ، فأرسل السلطان إليه في ذي القعدة فأسسكه وعزله واستناب عليها بهاء الدين النجبي ، واستوزر بدمشق عز الدين بن وداعة . وفيها نزل ابن خلكان عن تدريس الركنية لأبي شامة وحضر عنده حين درس وأخذ في أول مختصر المزني .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ الخليفة المستنصر بن الظاهر بأمر الله العباسي ﴾

الذي بايعه الظاهر بمصر كما ذكرنا ، وكان قتله في ثالث المحرم من هذه السنة ، وكان شهماً شجاعاً بطلا فاتسكا ، وقد أنفق الظاهر عليه حتى أقام له جيشاً بألف ألف دينار وأزيد ، وسار في خدمته ومعه خلق من أكابر الأمراء وأولاد صاحب الموصل ، وكان الملك الصالح إسماعيل من الوفد الذين قدموا على الظاهر فأرسله صحبة الخليفة ، فلما كانت الوقعة فقد المستنصر ورجع الصالح إلى بلاده فجاءته التتار فحاصروه كما ذكرنا ، وقتلوه وخربوا بلاده وقتلوا أهلها ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ العز الضريير النحوى اللغوى ﴾

واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن نجما من أهل نصيبين ونشأ بأربل فاشتغل بعلوم كثيرة من علوم الأوائل ، وكان يشتغل عليه أهل الذمة وغيرهم ، ونسب إلى الأندلس وقلة الدين ، وترك الصلوات ، وكان ذكياً ، وليس بذكي ، عالم اللسان جاهل القلب ، ذكى القول خبيث الفعل ، وله شعر أورد منه الشيخ قطب الدين قطعة في ترجمته ، وهو شبيه بأبي العلاء المعري قبهما الله .

﴿ ابن عبد السلام ﴾

عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المذهب ، الشيخ عز الدين بن عبد السلام أبو محمد السلمى الدمشقي الشافعي شيخ المذهب ومفيد أهله ، وله مصنفات حسان ، منها التفسير ، واختصار النهاية ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وكتاب الصلاة والفتاوى الموصلية وغير ذلك . ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع كثيراً واشتغل على نخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب ، وجمع علوماً كثيرة ، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق ، وولى خطابتها ثم سافر إلى مصر ودرس بها وخطب وحكم ، وانتهت إليه رئاسة الشافية ، وقصد بالفتاوى من الآفاق ، وكان لطيفاً ظريفاً يستشهد بالأشعار ، وكان سبب خروجه من الشام إنكاره على الصالح

إسماعيل تسليمه صغد والتقيف إلى الفرنج ، وواقفه الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي ، فأخرجهما من بلده فسار أبو عمرو إلى الناصر داود صاحب الكرك فأكرمه ، وسار ابن عبيد السلام إلى الملك الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر فأكرمه وولاه قضاء مصر وخطابة الجامع العتيق ، ثم انتزعهما منه وأقره على تدريس الصالحية ، فلما حضره الموت أوصى بها للقاضي تاج الدين ابن بنت الاعز ، وتوفي في عشر جمادى الأولى وقد نيف على الثمانين ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير رحمه الله تعالى .

﴿ كمال الدين بن العديم الحنفي ﴾

عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل الحلبي الحنفي أبو القاسم بن العديم ، الأمير الوزير الرئيس الكبير ، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، سمع الحديث وحدث وتفقه وأفتى ودرس وصنف ، وكان إماماً في فنون كثيرة ، وقد ترسل إلى الخلفاء والملوك مراراً عديدة ، وكان يكتب حسناً طريقة مشهورة ، وصنف حلب تاريخاً مفيداً قريباً في أربعين مجلداً ، وكان جيد المعرفة بالحديث ، حسن الظن بالقرءاء والصالحين كثير الاحسان إليهم ، وقد أقام بدمشق في الدولة الناصرية المتأخرة ، توفي بمصر ودفن بسفح المقطم بعد ابن عبد السلام بعشرة أيام ، وقد أورد له قطب الدين أشعاراً حسنة .

﴿ يوسف بن يوسف بن سلامة ﴾

ابن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد القافاني الزينبي بن إبراهيم ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، محبي الدين أبوالمعز ، ويقال أبو المحاسن الهاشمي العباسي الحوصلي المعروف بابن زبلاق الشاعر ، قتلته التتار لما أخذوا الموصل في هذه السنة عن سبع وخمسين سنة ، ومن شعره قوله :

بعثت لنا من سحر مقلتك الوسنا * سهادا يزود الكرى أن يألف الجفنا
وأبصر جسمي حسن خصرك ناحلا * فخاكاه لكن زاد في دقة المعنى
وأبرزت وجها أخجل الصبح طالماً * وملت بقدر علم الهيف الغصن اللدنا
حكيت أخاك البدر ليلة تمه * سنا وسناء إذ تشابهتما سنا

وقال أيضاً وقد دعى إلى موضع ، فبعث يعتذر بهذين البيتين :

أنا في منزلي وقد وهب الـ * له نديماً وقينة وعقارا
فأبسطوا العذر في التأخر عنكم * شغل الخلى أهل بأن يعارا

قال أبو شامة وفيها في ثاني عشر جمادى الآخرة توفي .

﴿ البدر المراغي الخلفاء ﴾

المعروف بالطويل ، وكان قليل الدين تاركا للصلاة مقتبطا بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين ، راضيا بما لا يفيد .

﴿ محمد بن داود بن ياقوت الصارمي ﴾

المحدث . كتب كثيرا الطبقات وغيرها ، وكان ديننا خيرا يعير كتبه ويداوم على الاشتغال بسماع الحديث رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة ﴾

استهلت وسلطان البلاد الشامية والمصرية الظاهر بيبرس ، وعلى الشام نائبه آقوش النجيبى ، وقاضى دمشق ابن خايلان والوزير بها عز الدين بن وداعة ، وليس للناس خليفة ، وإنما تضرب السكة باسم المستنصر الذى قتل .

﴿ ذكر خلفه الحاكم بأمر الله العباس ﴾

أحمد بن الامير أبى على القبي ابن الامير على بن بكر بن الامام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبى منصور الفضل بن الامام المستظهر بالله أحمد العباسى الهاشمى . لما كان ثاني المحرم وهو يوم الخميس ، جاس السلطان الظاهر والأمراء فى الايوان الكبير بقلعة الجبل ، وجاء الخليفة الحاكم بأمر الله راكبا حتى نزل عند الايوان ، وقد بسط له إلى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه ، ثم قرئ نسبه على الناس ثم أقبل عليه الظاهر بيبرس فبايعه وبايعه الناس بعده ، وكان يوما مشهودا . فلما كان يوم الجمعة ثانياه خطب الخليفة بالناس فقال فى خطبته « الحمد لله الذى أقام لآل العباس ركنا ظهيرا ، وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا ، أحمد على السراء والضراء ، وأستعينه على شكر ما أسبغ من النعماء ، وأستنصره على دفع الاعداء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء ، لا سيما الأربعة ، وعلى العباس كاشف غمه أبى السادة الخلفاء وعلى بقية الصحابة أجمعين والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين ، أيها الناس اعلموا أن الامامة فرض من فروض الاسلام ، والجهاد محتوم على جميع الأنام ، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد ، ولا سببت الحرم إلا بانتهاك المحارم ، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب الجرائم ، فلو شاهدتم أعداء الاسلام لما دخلوا دار السلام ، واستباحوا الدماء والاموال وقتلوا الرجال والأطفال ، وسبوا الصبيان والبنات ، وأيتموهم من الآباء والأمهات ، وهتكوا حرم الخليفة والحريم ، وعلت الصيحات من هول ذلك اليوم الطويل ، فكم من شيخ خضبت شيبته

بدمائه ، وكم من طفل بكى فلم يرحم لبيكائه ، فشمروا عباد الله عن ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد واتفقوا الله ما استطعتم (واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فلم يبق معذرة في القعود عن أعداء الدين ، والمحاماة عن المسلمين ، وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجل العالم العادل المجاهد المؤيد ركن الدنيا والدين ، قد قام بنصر الأمامة عند قلة الأنصار ، وشرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار ، وأصبحت البيعة بهمته منتظمة القود ، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود ، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة ، وأخلصوا نيابكم تنصروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا ، ولا يروكم ما جرى فالجرب سجال والعاقبة للمتقين ، والدهر يومان والأجر للمؤمنين ، جمع الله على الهدى أمركم ، وأعز بالايان نصركم ، وأستغفر الله لى ولسائر المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم . ثم خطب الثانية ونزل فصلى ،

وكتب بيعته إلى الآفاق ليخطب له وضربت السكة باسمه . قال أبو شامة : فخطب له بجماع دمشق وسائر الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرم من هذه السنة . وهذا الخليفة هو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، ولم يل الخلافة من بنى العباس من ليس والده وجده خليفة بعد السفاح والمنصور سوى هذا ، فأما من ليس والده خليفة فكثير منهم المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم ، والمعتضد بن طاحنة بن المتوكل ، والقادر بن إسحاق بن المقتدر ، والمقتدى بن الخليفة ابن القائم بأمر الله .

﴿ ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها ﴾

ركب الظاهر من مصر في العساكر المنصورة قاصدا ناحية بلاد الكرك ، واستدعى صاحبها الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل ، فلما قدم عليه بعد جهد أرسله إلى مصر معتقلا فكان آخر العهد به ، وذلك أنه كاتب هولاء كو وحته على القدوم إلى الشام مرة أخرى ، وجاءته كتب التنار بالثبات ونيابة البلاد ، وأنهم قادمون عليه عشرون ألفا لفتح الديار المصرية ، وأخرج السلطان فتاوى الفقهاء بقتله وعرض ذلك على ابن خلكان ، وكان قد استدعاه من دمشق ، وعلى جماعة من الأمراء ، ثم سار فتسلم الكرك يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى ودخلها يومئذ في أبهة الملك ، ثم عاد إلى مصر مؤيدا منصورا .

وفيهما قدمت رسل بركة خان إلى الظاهر يقول له : قد علمت محبتي للإسلام ، وعلمت ما فعل هولاء كوا بالمسلمين ، فأركب أنت من ناحية حتى آتية أنا من ناحية حتى نصطلمه أو نخرجه من البلاد وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد ، فاستصوب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله وأكرمهم . وفيها زلزلات الموصل زلزلة عظيمة وتهدمت أكثر دورها ، وفي رمضان جهز الظاهر صنعا وأخشابا وآلات كثيرة لهارة مسجد رسول الله ﷺ بعد حريقه فطيب بتلك الأخشاب والآلات

بمصر فرحة وتعظيماً لشأنها ، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية ، وفي شوال سار الظاهر إلى الاسكندرية فنظر في أحوالها وأمورها ، وعزل قاضياً وخطيباً ناصر الدين أحمد بن المنير وولى غيره .

وفيها التقى بركة خان وهولا كو ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقنتلوا فهزم الله هولا كو هزيمة فظيمة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقى وهرب هو في شردمة يسيرة والله الحمد . ولما نظر بركة خان كثرة القتلى قال يعز على أن يقتل المغول بعضهم بعضاً ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنة جنكيز خان ثم أغار بركة خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة خان ، وقد أقام التركي بحلب خليفة آخر لقبه بالحاكم ، فلما اجتاز به المستنصر سار معه إلى العراق وانفقا على المصالحة وإنفاذ الحاكم المستنصر لكونه أكبر منه والله الحمد ، ولكن خرج عليهما طائفة من التتار ففرقوا شملهما وقتلوا خلقاً ممن كان معهما ، وعدم المستنصر وهرب الحاكم مع الأعراب . وقد كان المستنصر هذا فتح بلدانا كثيرة في مسيره من الشام إلى العراق ، ولما قاتله بهادر على شحنة بغداد كسره المستنصر وقتل أكثر أصحابه ، ولكن خرج كمين من التتار نجدة فهرب العربان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر وثبت هو في طائفة ممن كان معه من الترك فقتل أكثرهم وفقد هومن بينهم ، ونجا الحاكم في طائفة ، وكانت الواقعة في أول المحرم من سنة ستين وستائة ، وهذا هو الذي أشبه الحسين بن علي في توغله في أرض العراق مع كثرة جنودها ، وكان الأولى له أن يستقر في بلاد الشام حتى تتمهد له الأمور ويصفو الحال ، ولكن قدر الله وما شاء فعل . وجهز السلطان جيشاً آخر من دمشق إلى بلاد الفرنج فأغاروا وقتلوا وسبوا ورجعوا سالمين ، وطلبت الفرنج منه المصالحة فصالحهم مدة لاشتغاله بحلب وأعمالها ، وكان قد عزل في شوال قاضي مصر تاج الدين ابن بنت الأعرز وولى عليها برهان الدين الخضر بن الحسين السنجارى ، وعزل قاضي دمشق نجم الدين أبا بكر بن صدر الدين أحمد ابن شمس الدين بن هبة الله بن سنى الدولة ، وولى عليها شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، وقد ناب في الحكم بالقاهرة مدة طويلة عن بدر الدين السنجارى ، وأضاف إليه مع القضاء نظر الأوقاف ، والجامع والمارستان ، وتدریس سبع مدارس ، العادلية والناصرية والغدراوية والفلكية والركنية والاقبالية والبهنسية ، وقرىء تقليده يوم عرفة يوم الجمعة بعد الصلاة بالشباك السكالى من جامع دمشق ، وسافر القاضى العزول مرصاً عليه . وقد تكلم فيه الشيخ أبو شامة وذكر أنه خان في وديعة ذهب جعلها فلوساً فأنه أعلم ، وكانت مدة ولايته سنة وأشهر . وفي يوم العيد يوم السبت سافر السلطان إلى مصر ، وقد كان رسول الاسماعيلية قدم على السلطان بدمشق يتهدونه ويتوعدونه ، ويطلبون منه إقطاعات كثيرة ، فلم يزل السلطان يوقع بينهم حتى استأصل شأقتهم واستولى على بلادهم .

وفي السادس والعشرين من ربيع الأول عمل عزاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي فاتح بيت المقدس وكان عمل هذا العزاء بقلعة الجبل بمصر، بأمر السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس، وذلك لما بلغهم أن هولاء كرام ملك التتار قتله، وقد كان في قبضته منذ مدة، فلما بلغ هولاء أن أصحابه قد كسروا بعين جالوت طلبه إلى بين يديه وقال له: أنت أرسلت إلى الجيوش بمصر حتى جاؤا فاقتتلوا مع المغول فكسروهم ثم أمر بقتله، ويقال إنه اعتذر إليه وذكر له أن المصريين كانوا أعداءه وبينه وبينهم شنان، فأقاله ولكنه انحطت رتبته عنده، وقد كان مكرما في خدمته، وقد وعده أنه إذا ملك مصر استنابه في الشام فلما كانت وقعة حمص في هذه السنة وقتل فيها أصحاب هولاء كرام مقدمهم بيدرة غضب وقال له أصحابك في العزيزية أمراء أبيك، والناصرية من أصحابك قتلوا أصحابنا، ثم أمر بقتله. وذكروا في كيفية قتله أنه رماه بالنشاب وهو واقف بين يديه يسأله العفو فلم يعف عنه حتى قتله وقتل أخاه شقيقه الظاهر عليا، وأطلق وليهما العزيز محمد بن الناصر وزبالة بن الظاهر، وكانا صغيرين من أحسن أشكال بني آدم. فأما العزيز فانه مات هناك في أسر التتار، وأما زبالة فانه أسار إلى مصر وكان أحسن من بها، وكانت أمه أم ولد يقال لها وجه القمر، فنزوها بعض الأمراء بعد أستاذها، ويقال إن هولاء كرام أرادوا قتل الناصر أمر بأربع من الشجر متباعدات بعضها عن بعض، فجمعت روسها بحبال ثم ربط الناصر في الأربعة بأربعة ثم أطلقت الحبال فرجعت كل واحدة إلى مركزها بعضو من أعضائه رحمه الله. وقد قيل إن ذلك كان في الخامس والعشرين من شوال في سنة ثمان وخمسين، وكان مولده في سنة سبع وعشرين بحلب. ولما توفي أبوه سنة أربع وثلاثين بربيع بالسلطنة بحلب وعمره سبع سنين، وقام بتدبير مملكته جماعة من مماليك أبيه، وكان الأمر كله عن رأي جدته أم خاتون بنت العادل أبي بكر بن أيوب، فلما توفيت في سنة أربع وستين استقل الناصر بالملك، وكان جيد السيرة في الرعية محببا إليهم، كثير النفقات، ولا سيما لما ملك دمشق مع حلب وأعمالها وبعليك وحران وطائفة كبيرة من بلاد الجزيرة، فيقال إن سماطه كان كل يوم يشتمل أربعمائة رأس غنم سوى الدجاج والأوز وأنواع الطير، مطبوخا بأنواع الأطعمة والقليات غير المشوى والمقلي، وكان مجموع ما يفرم على السماط في كل يوم عشرين ألفا وعامته يخرج من يديه كما هو كأنه لم يؤكل منه شيء، فيباع على باب القلعة بأرخص الأثمان حتى إن كثيرا من أرباب البيوت كانوا لا يطبخون في بيوتهم شيئا من الطرف والأطعمة بل يشترون برخص مالا يقدرون على مثله إلا بكلفة ونفقة كثيرة، فيشتري أحدهم بنصف درهم أو بدرهم مالا يقدر عليه إلا بخسارة كثيرة، ولعله لا يقدر على مثله، وكانت الأرزاق كثيرة دارة في زمانه وأيامه، وقد كان خليعا ظريفا حسن

الشكل أديباً يقول الشعر المتوسط القوى بالنسبة إليه ، وقد أورد له الشيخ قطب الدين في الذيل قطعة صالحة من شعره وهي رائعة لائقة . قتل ببلاد المشرق ودفن هناك ، وقد كان أعدله تربة برباطه الذي بناه بسفوح قاسيون فلم يقدر دفنه بها ، والناصرية البرانية بالسفوح من أغرب الأبنية وأحسنها بفيانا من الموكد المحكم قبلي جامع الافرم ، وقد بنى بعدها بمدة طويلة ، وكذلك الناصرية الجوانية التي بناها داخل باب الفراديس هي من أحسن المدارس ، وبنى الخان الكبير تجاه الزنجارى وحوات إليه دار الطعم ، وقد كانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان اليوم رحمه الله .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن محمد بن يحيى بن سيد الناس أبو بكر اليعمرى الأندلسي الحافظ ولد سنة سبع وتسعين وخمسة مائة وسمع الكثير ، وحصل كتباً عظيمة ، وصنف أشياء حسنة ، وختم به الحفاظ في تلك البلاد ، توفي بمدينة تونس في سابع عشرين رجب من هذه السنة .

ومن توفي فيها أيضاً ﴿ عبد الرزاق بن عبد الله ﴾

ابن أبي بكر بن خلف عز الدين أبو محمد الرسعني المحدث المفسر ، سمع الكثير ، وحدث وكان من الفضلاء والأدباء ، له مكانة عند البدر لؤلؤ صاحب الموصل ، وكان له منزلة أيضاً عند صاحب سنجار ، وبها توفي في ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر وقد جاوز السبعين ، ومن شعره :

نعب الغراب فدلنا بنعيمي * أن الحبيب دنا أو ان مغيبه

ياسائل عن طيب عيشي بعمدم * جدلي بعيش ثم سل عن طيبه

﴿ محمد بن أحمد بن عنتر السلمي الدمشقي ﴾

محتسبها ، ومن عدوها وأعيانها ، وله بها أملاك وأوقاف ، توفي بالقاهرة ودفن بالمقطم .

﴿ علم الدين أبو القاسم بن أحمد ﴾

ابن الموفق بن جعفر المرسى البورقي اللغوي النحوي المقرئ ، شرح الشاطبية شرحاً مختصراً ، وشرح المفصل في عدة مجلدات ، وشرح الجزولية وقد اجتمع بمصنفها وسأله عن بعض مسائلها ، وكان ذا فنون عديدة حسن الشكل مليح الوجه له هيئة حسنة وبزة وجمال ، وقد سمع الكندي وغيره .

﴿ الشيخ أبو بكر الدينوري ﴾

وهو باني الزاوية بالصالحية ، وكان له فيها جماعة مریدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة رحمه الله ﴿ مولد الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ الاسلام ﴾

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وفي هذه السنة ولد شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحلیم بن أبي القاسم بن تيمية الحراني بجران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستمائة .

✽ الأمير الكبير مجير الدين ✽

أبو الهيجاء عيسى بن حثير الازكشى الكردى الأموى ، كان من أعيان الأمراء وشجعانهم ، وله يوم عين جالوت اليد البيضاء في كسر التتار ، ولما دخل الملك المظفر إلى دمشق بعد الواقعة جعله مع الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائبا على دمشق مستشارا ومشاركا في الرأى والمراسيم والتدبير ، وكان يجاس معه في دار العدل وله الاقطاع الكامل والرزق الواسع ، إلى أن توفى في هذه السنة . قال أبو شامة : ووالده الأمير حسام الدين توفى في جيش الملك الأشرف ببلاد الشرق هو والأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب . قلت وولده الأمير عز الدين تولى هذه المدينة أعنى دمشق مدة ، وكان مشكور السيرة وإليه ينسب درب ابن سنون بالصاغة العتيقة ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء لأنه كان يسكنه وكان يعمل الولاية فيه فعرف به ، وبعد موته بقليل كان فيه نزولنا حين قدمنا من حوران وأنا صغير فحتمت فيه القرآن ، والله الحمد .

✽ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستمائة ✽

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله العباسى ، والسلطان الظاهر بيبرس ، ونائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيبى وقاضيه ابن خلكان .

وفىها فى أولها كملت المدرسة الظاهرية التى بين القصرين ، ورتب لتدريس الشافعية بها القاضى تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين ، ولتدريس الحنفية مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر ابن العديم ، ولمشيخة الحديث بها الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الحافظ الدمياطى . وفىها عمر الظاهر بالقدس خانا ووقف عليه أوقافا للنازلىن به من إصلاح نعالهم وأكلهم وغير ذلك ، وبنى به طاحونا وفرنا .

وفىها قدمت رسل بركة خان إلى الملك الظاهر ومعهم الأشرف ابن الشهاب غازى بن العادل ، ومعهم من الكتب والمشافهات ما فيه سرور للإسلام وأهله مما حل بهولا كو وأهله .

وفى جمادى الآخرة منها درس الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى بدار الحديث الأشرفية ، بعد وفاة عماد الدين بن الحرستانى ، وحضر عنده القاضى ابن خلكان وجماعة من القضاة والأعيان ، وذكروا خطبة كتابه المبعث ، وأورد الحديث بسنده ومتمنه وذكروا فوائده كثيرة مستحسنة ، ويقال إنه لم يراجع شيئا حتى ولا درسه ومثله لا يستكثر ذلك عليه والله أعلم . وفىها قدم نصير الدين الطوسى إلى بغداد من جهة هولاكو ، فنظر فى الأوقاف وأحوال البلد ، وأخذ كتباً كثيرة من سائر المدارس وحوها إلى رصده الذى بناه بمرآة ، ثم انجدر إلى واسط والبصرة .

وفيهما كانت وفاة

﴿ الملك الأشرف ﴾

موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، كانوا ملوك حمص كبرا عن كبر إلى هذا الحين ، وقد كان من الكرماء الموصوفين ، وكبراء الدماشقة المترفين ، معتنيا بالمأكل والمشرب والملابس والمرآكِب وقضاء الشهوات والمآرب وكثرة التمتع بالمغانى والحبائب ، ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضعاف أحلام ، أو كظل زائل ، وبقيت تبعاته وعقوباته وحسابه وعاره . ولما توفى وجدت له حواصل من الجواهر النفيسة والأموال الكثيرة ، وصار ملكه إلى الدولة الظاهرية ، وتوفى معه في هذه السنة الأمير حسام الدين الجوكندار نائب حلب .

وفيهما كانت كسرة التتار على حمص وقتل مقدمهم بيدرة بقضاء الله وقدره الحسن الجميل .

وفيهما توفى الرشيد العطار المحدث بمصر . والذي حضر مسخرة الملك الأشرف موسى بن العادل والتاجر المشهور الحاج نصر بن دس وكان ملازما للصلوات بالجامع ، وكان من ذوى اليسار والخير .

﴿ الخطيب عماد الدين بن الحرساني ﴾

عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن الحرساني ، كان خطيبا بدمشق وناب في الحكم عن أبيه في الدولة الأشرفية ، بعد ابن الصلاح إلى أن توفى في دار الخطابة في تاسع عشرين جمادى الأولى ، وصلى عليه بالجامع ودفن عند أبيه بقاسيون ، وكانت جنازته حافلة ، وقد جاوز الثمانين بخمس سنين ، وتولى بعده الخطابة والفزالية ولده مجد الدين ، وبأشر مشيخة دار الحديث الشيخ شهاب الدين أبو شامة .

﴿ محي الدين محمد بن أحمد بن محمد ﴾

ابن إبراهيم بن الحسين بن سراقفة الحافظ المحدث الانصارى الشاطبي أبو بكر المغربي ، عالم فاضل دين أقام بحلب مدة ، ثم اجتاز بدمشق قاصداً مصر . وقد تولى دار الحديث الكاملية بعد زكي الدين عبد العظيم المنذرى ، وقد كان له سماع جيد ببغداد وغيرها من البلاد ، وقد جاوز السبعين .

﴿ الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القبارى الاسكندراني ﴾

كان مقما بغيظ له يقتات منه ويعمل فيه ويبدره ، ويتورع جدا ويطعم الناس من ثماره . توفى في سادس شعبان بالاسكندرية وله خمس وسبعون سنة ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويردع الولاة عن الظلم فيسمعون منه ويطيعونه لزهده ، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلمهم من طاقة المنزل وهم راضون منه بذلك ، ومن غريب ما حكى عنه أنه باع دابة له من رجل ، فلما كان بعد أيام جاء الرجل الذي اشتراها فقال : يا سيدى إن الدابة التى اشتريتها منك لا تأكل عندى شيئا ،

فنظر إليه الشيخ فقال له : ماذا تعاني من الاسباب ؟ فقال رقاص عند الوالى ، فقال له إن دابتنا لا تأكل الحرام ، ودخل منزله فأعطاه دراهم ومعها دراهم كثيرة قد اختلطت بها فلا تميز ، فأشترى الناس من الرقاص كل درهم بثلاثة لأجل البركة ، وأخذ دابته ، ولما توفى ترك من الأساس ما يساوى خمسين درهماً فبيع بمبلغ عشرين ألفاً . قال أبو شامة : وفى الرابع والعشرين من ربيع الآخر توفى

﴿ محيى الدين عبد الله بن صفى الدين ﴾

إبراهيم بن مرزوق بداره بدمشق المجاورة للمدرسة النورية رحمه الله تعالى . قلت داره هذه هى التى جمعت مدرسة للشافعية وقفها الأمير جمال الدين آقوش النجيبى التى يقال لها النجيدية تقبل الله منه . وبها إقامتنا جعلها الله داراً تعقبها دار القرار فى الفوز العظيم . وقد كان أبو جمال الدين النجيبى وهو صفى الدين وزير الملك الأشرف ، وملك من الذهب ستمائة ألف دينار خارجاً عن الأملاك والأناث والبضائع ، وكانت وفاة أبيه بمصر سنة تسع وخمسين ، ودفن بتربته عند المقطم . قال أبو شامة : وجاء الخبر من مصر بوفاة الفخر عثمان المصرى المعروف بيمين غين .

وفى ثامن عشر ذى الحجة توفى الشمس الوبارى الموصلى ، وكان قد حصل شيئاً من علم الأدب ، وخطب بجماع المزة مدة . فأنشدنى لنفسه فى الشيب وخضابه قوله :

وكنت وإياها مذ اختط عارضى * كروحين فى جسم وما نقضت عهدا

فلما أنانى الشيب يقطع بيننا * توهمته سيفاً فألبسته غمدا

وفىها استحضرت الملك هولاء كوخان الزين الحافظى وهو سليمان بن عامر العقبانى المعروف بالزین الحافظى ، وقال له قد ثبت عندى خيانتك ، وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار مع هولاء كوخان دمشق وغيرها ملاً على المسلمين وآذاهم ودل على عوراتهم ، حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات والمثلات (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً) ومن أعان ظالماً سلط عليه ، فان الله ينتقم من الظالم بالظالم ثم ينتقم من الظالمين جميعاً ، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة ﴾

ففىها جهز السلطان الظاهر عسكراً جماً كثيراً إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبيرة ، فلما سمعوا بالعساكر قد أقبلت ولوا مدبرين ، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة ، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد والخوف ، فعمرت وأمنت .

وفىها خرج الملك الظاهر فى عساكره فقصده بلاد الساحل لقتال الفرنج ففتح قيسارية فى ثلاث ساعات من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى يوم نزوله عليها ، وتسلم قلعتها فى يوم الخميس الآخر خامس عشره فهدمها وانتقل إلى غيرها ، ثم جاء الخبر بأنه فتح مدينة أرسوف وقتل من بها من

الفرنج وجاءت البريدية بذلك . فدقت البشائر في بلاد المسلمين وفرحوا بذلك فرحاً شديداً . وفيها ورد خبر من بلاد المغرب بأنهم انتصروا على الفرنج وقتلوا منهم خمسة وأربعين ألفاً ، وأسر وعشرة آلاف ، واسترجعوا منهم ثنتين وأربعين بلدة منها برنس واشبيلية وقرطبة ومرسية ، وكانت النصره في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثنتين وستين .

وفي رمضان من هذه السنة شرع في تبليط باب البريد من باب الجامع إلى القناة التي عند الدرج وعمل في الصف القبلي منها بركة وشاذروان . وكان في مكانها قناة من القنوات يفتنع الناس بها عند انقطاع نهر ماناس فغيرت وعمل الشاذروان ، ثم غيرت وعمل مكانها دكاكين .

وفيها استدعى الظاهر نائبه على دمشق الأمير آقوش ، فسار إليه سامعاً مطيعاً ، وناب عنه الأمير علم الدين الحصني حتى عاد مكرماً معزوزاً .

وفيها ولي الظاهر قضاة من بقية المذاهب في مصر مستقلين بالحكم يولون من جهتهم في البلدان أيضاً كما يولي الشافعي ، فتولى قضاء الشافعية التاج عبد الوهاب ابن بنت الأعرز ، والحنفية شمس الدين سليمان ، والمالكية شمس الدين السبكي ، والحنابلة شمس الدين محمد المقدسي ، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة بدار العدل ، وكان سبب ذلك كثرة توقف القاضي ابن بنت الأعرز في أمور تخالف مذهب الشافعي ، وتوافق غيره من المذاهب ، فأشار الأمير جمال الدين أيد غدي العزيزي على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضياً مستقلاً يحكم بمقتضى مذهبه ، فأجابته إلى ذلك ، وكان يحب رأيه ومشورته ، وبعث بأخشاب ورمصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله ﷺ وأرسل منبراً فنصب هنالك .

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر واتهم النصاري فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة .

وفيها جاءت الأخبار بأن سلطان التتار هولاً كو هلك إلى لعنة الله وغضبه في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع بمدينة مراغة ، ودفن بقلمة تلا وبنيت عليه قبة واجتمعت التتار على ولده أبغا ، فقصدته الملك بركة خان فكسره وفرق جموعه ، وفرح الملك الظاهر بذلك ، وعزم على جمع العساكر ليأخذ بلاد العراق فلم يتمكن من ذلك لتفرق العساكر في الاقطاعات .

وفيها في ثاني عشر شوال سلطان الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأخذ له البيعة من الأمراء وأركبه ومشى الأمراء بين يديه ، وحمل والده الظاهر الغاشية بنفسه والأمير بدر الدين بيسرى حامل الخبز ، والقاضي تاج الدين والوزير بهاء الدين ابن حناراً كبان وبين يديه ، وأعيان الأمراء ركبان وبقيتهم مشاة حتى شقوا القاهرة وهم كذلك .

وفي ذي القعدة ختن الظاهر ولده الملك السعيد المذكور ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء

وكان يوماً مشهوداً .

وفيهما توفي

﴿ خالد بن يوسف بن سعد النابلسي ﴾

الشيخ زين الدين ابن الحافظ شيخ دار الحديث النورية بدمشق ، كان عالماً بصناعة الحديث حافظاً لأسماء الرجال ، وقد اشتغل عليه في ذلك الشيخ محيي الدين النواوي وغيره ، وتولى بعده شيخه دار الحديث النورية الشيخ تاج الدين الفزاري ، كان الشيخ زين الدين حسن الأخلاق فكاهة النفس كثير المزاح على طريقة المحدثين ، رحل إلى بغداد واشتغل بها ، وسمع الحديث وكان فيه خير وصلاح وعبادة ، وكانت جنازته حافلة ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

﴿ الشيخ أبو القاسم الحواري ﴾

هو أبو القاسم يوسف ابن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي الشيخ المشهور صاحب الزاوية بحواري ، توفي ببغداد ، وكان خيراً صالحاً له أتباع وأصحاب يحبونه ، وله مرابدون كثير من قرايا حوران في الحل والنبنية وهم حنابلة لا يرون الضرب بالدف بل بالكف ، وهم أمثل من غيرهم .

﴿ القاضي بدر الدين الكردي السنجاري ﴾

الذي باشر القضاء بمصر مراراً توفي بالقاهرة . قال أبو شامة : وسيرته معروفة في أخذ الرشا من قضاة الاطراف والمتحاكين إليه ، إلا أنه كان جواداً كريماً صودر هو وأهله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة ﴾

استهلت والخليفة الحاكم العباسي والسلطان الملك الظاهر وقضاة مصر أربعة . وفيها جعل بدمشق أربعة قضاة من كل مذهب قاض كما فعل بمصر عام أول ، ونائب الشام آقوش النجبي ، وكان قاضي قضاة الشافعية ابن خلكان ، والحنفية شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا ، والحنابلة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر ، والمالكية عبد السلام بن الزواوي ، وقد امتنع من الولاية فألزم بها حتى قبل ثم عزل نفسه ، ثم ألزم بها فقبل بشرط أن لا يباشر أوقافاً ولا يأخذ جامكية على أحكامه ، وقال : نحن في كفاية فأعفى من ذلك أيضاً رحمهم الله . وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الأول بمصر كما تقدم ، واستقرت الأحوال على هذا المنوال .

وفيهما كمل عمارة الحوض الذي شرقي قناة باب البريد وعمل له شاذروان وقبة وأنايب يجري منها الماء إلى جانب الدرج الشمالية .

وفيهما نازل الظاهر صغد واستدعى بالمنجانيق من دمشق وأحاط بها ولم يزل حتى افتتحها ، ونزل أهلها على حكمه ، فقسلم البلد في يوم الجمعة ثامن عشر شوال ، وقتل المقاتلة وسبي الذرية ، وقد افتتحها الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب في شوال أيضاً في أربع وثمانين وخمسمائة ، ثم استعادها الفرنج فانتزعها الظاهر منهم قهراً في هذه السنة والله الحمد ، وكان السلطان الظاهر في نفسه منهم شيء

كثير ، فلما توجه إلى فتحها طلبوا الأمان ، فأجلس على سرير مملكته الأمير سيف الدين كرمون التتري ، وجاءت رسلهم فخلعوه وانصرفوا ولا يشعرون أن الذي أعطاهم اليهود بالأمان إنما هو الأمير الذي أجلسه على السرير والحرب خدعة ، فلما خرجت الاستنارية والداوية من القلعة وقد فعلوا بالمسلمين الأفاعيل القبيحة ، فأمكن الله منهم فأمر السلطان بضرب رقابهم عن آخرهم ، وجاءت البريدية إلى البلاد بذلك ، فدقت البشائر وزينت البلاد ، ثم بث السرايا يمينا وشمالا في بلاد الفرنج فاستولى المسلمون على حصون كثيرة تقارب عشرين حصنا ، وأسروا قريبا من ألف أسير ما بين امرأة وصبي ، وغنموا شيئا كثيرا .

وفيها قدم ولد الخليفة المستعصم بن المستنصر من الأسر واسمه علي ، فأكرم وأنزل بالدار الأسدية تجاه العزيزية ، وقد كان أسيرا في أيدي التتار ، فلما كسرهم بركة خان تخلص من أيديهم وسار إلى دمشق ، ولما فتح السلطان صغدا أخبره بعض من كان فيها من أسرى المسلمين أن سبب أسرهم أن أهل قرية فأرا كانوا يأخذونهم فيحملونهم إلى الفرنج فيبيعونهم منهم ، فعند ذلك ركب السلطان قاصدا فأرا فأوقع بهم بأسا شديدا وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسرى من أبنائهم ونسائهم أخذوا بئار المسلمين جزاء الله خيرا ، ثم أرسل السلطان جيشا هائلا إلى بلاد سيس ، فجاسوا خلال الديار وفتحوا سيس عنوة وأسروا ابن ملكها وقتلوا أخاه ونهبوها ، وقتلوا أهلها وأخذوا بئار الاسلام وأهله منهم ، وذلك أنهم كانوا أضربوا على المسلمين زمن التتار ، لما أخذوا مدينة حلب وغيرها أسروا من نساء المسلمين وأطفالهم خلقا كثيرا ، ثم كانوا بعد ذلك يغيرون على بلاد المسلمين في زمن هولاء فكتبه الله وأهانته على يدي أنصار الاسلام ، هو وأميره كتبغا ، وكان أخذ سيس يوم الثلاثاء العشرين من ذي القعدة من هذه السنة ، وجاءت الأخبار بذلك إلى البلاد وضربت البشائر ، وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة دخل السلطان وبين يديه ابن صاحب سيس وجماعة من ملوك الأرمن أسارى أذلاء صغرة ، والعساكر صحبته وكان يوما مشهودا . ثم سار إلى مصر مؤيدا منصورا ، وطلب صاحب سيس أن يفادي ولده ، فقال السلطان لا نفاديه إلا بأسير لنا عند التتار يقال له سنقر الأشقر ، فذهب صاحب سيس إلى ملك التتار فنذله له وتمسك وخضع له ، حتى أطلقه له ، فلما وصل سنقر الأشقر إلى السلطان أطلق ابن صاحب سيس .

وفيها عمر الظاهر الجسر المشهور بين قرارا ودامية ، تولى عمارته الأمير جمال الدين محمد بن بهادر وبدر الدين محمد بن رحال والى نابلس والأغوار ، ولما تم بناؤه اضطرب بعض أركانه فقلق السلطان من ذلك وأمر بتأكيده فلم يستطيعوا من قوة جري الماء حينئذ ، فاتفق بأذن الله أن انسلت على النهر أكمة من تلك الناحية ، فسكن الماء بمقدار أن أصلحوا ما يريدون ، ثم عاد الماء كما كان

وذلك بتيسير الله وعونه وعنايته العظيمة .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ أيد غدى بن عبد الله ﴾

الأمير جمال الدين العزيزي ، كان من أكبر الأمراء وأحظاهم عند الملك الظاهر ، لا يكاد الظاهر يخرج عن رأيه ، وهو الذي أشار عليه بولاية القضاة من كل مذهب قاض على سبيل الاستقلال وكان متواضعاً لا يلبس محرماً ، كريماً وقوراً رئيساً معظماً في الدولة ، أصابته جراحة في حصار صغد فلم يزل مريضاً منها حتى مات ليلة عرفة ، ودفن بالرباط الناصري بسفح قاسيون من صلاحية دمشق رحمه الله .

﴿ هولاء كوخان بن تولى خان بن جنكيزخان ﴾

ملك التتار ، وهو والد ملوكهم ، والعامية يقولون هولاء وون مثل قلاوون ، وقد كان هولاء كوخاناً جباراً فاجراً كفاراً لعنه الله ، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجزيه على ذلك شر الجزاء ، كان لا يتقيسد بدين من الأديان ، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق ، وكان هو يتراعى على محبة المعقولات ، ولا يتصور منها شيئاً ، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجهة ومكانة ، وإنما كانت همته في تدبير مملكته وتملك البلاد شيئاً فشيئاً ، حتى أباده الله في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث وستين ، ودفن في مدينة تلا ، لارحمه الله ، وقام في الملك من بعده ولده أبغا خان وكان أبغا أحد إخوة عشرة ذكور . والله سبحانه أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وستائة ﴾

في يوم الأحد ثاني المحرم توجه الملك الظاهر من دمشق إلى الديار المصرية وصحبته العساكر المنصورة ، وقد استوات الدولة الإسلامية على بلاد سويس بكاملها ، وعلى كثير من معقل الفرنج في هذه السنة ، وقد أرسل العساكر بين يديه إلى غزة ، وعدل هو إلى ناحية الكرك لينظر في أحوالها ، فلما كان عند بركة زيزي تصيد هنالك فسقط عن فرسه فانكسرت فخذه ، فأقام هناك أياماً يتداوى حتى أمكنه أن يركب في المحفة ، وسار إلى مصر فبرأت رجله في أثناء الطريق فأمكنه الركوب وحده على الفرس . ودخل القاهرة في أبهة عظيمة ، وتجمل هائل ، وقد زينت البلد ، واحتفل الناس له احتفالا عظيماً ، وفرحوا بقدومه وعافيته فرحاً كثيراً ، ثم في رجب منها رجعت القاهرة إلى صغد ، وحفر خندقاً حول قلعتها وعمل فيه بنفسه وأمرائه وجيشه وأغار على ناحية عكا ، فقتل وأسروغتم وسلم وضربت لذلك البشائر بدمشق . وفي ثاني عشر ربيع الأول صلى الظاهر بالجامع الأزهر الجمعة ، ولم يكن تقام به الجمعة من زمن العبيديين إلى هذا الحين ، مع أنه أول مسجد بني بالقاهرة ، بناه جوهر القائد وأقام فيه الجمعة ، فلما بنى الحاكم جامعاً حول الجمعة منه إليه ، وترك الأزهر لاجتماعه فيه

فصار في حكم بقية المساجد وشعث حاله وتغيرت أحواله ، فأمر السلطان بعمارة وإقامة الجمعة وأمر بعمارة جامع الحسينية وكمل في سنة سبع وستين كما سيأتي إن شاء الله تعالى .
وفيها أمر الظاهر أن لا يبديت أحد من المجاورين بجامع دمشق فيه وأمر باخراج الخزان منه ، والمقاصير التي كانت فيه ، فكانت قريبا من ثلاثمائة ، ووجدوا فيها قوارير البول والغرش والسجاجيد الكثيرة ، فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين .

وفيها أمر السلطان بعمارة أسوار صفد وقلعتها ، وأن يكتب عليها (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذك أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .
وفيها التقى أبنا ومنكو تمر الذي قام مقام بركة خان فكسره أبغا وغنم منه شيئا كثيرا .

وحكى ابن خلكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال : بلغنا أن رجلا يدعى أبا سلامة ^(١) من ناحية بصرى ، كان فيه مجنون واستهتار ، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة ، فقال : والله لا أستاك إلا في المخرج - يعني دبره - فأخذسوا كما فوضعه في مخرجه ثم أخرجه ، فمكث بعده تسعة أشهر [وهو يشكو من ألم البطن والمخرج] ^(٢) فوضع ولدا على صفة الجرذان له أربعة قوائم ، ورأسه كراس السمكة ، [وله أربعة أنياب بارزة ، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع] ^(٣) وله دبر كدبر الأرنب . ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات ، فقامت ابنة ذلك الرجل فوضعت رأسه فمات ، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث ، وكان يقول هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي ، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان ، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حيا ، ومنهم من رآه بعد موته . ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ السلطان بركة خان بن تولى بن جنكيزخان ﴾

وهو ابن عم هولوكو ، وقد أسلم بركة خان هذا ، وكان يحب العلماء والصالحين ومن أكبر حسناته كسره لهولوكو وتفريق جنوده ، وكان يناصر الملك الظاهر ويمظمه ويكرم رسله إليه ، ويطلق لهم شيئا كثيرا ، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته وهو منكو تمر بن طغان بن بابو بن تولى بن جنكيزخان ، وكان على طريقته ومنواله والله الحمد .

﴿ قاضي القضاة بالديار المصرية ﴾

تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر بن بنت الاعز الشافعي ، كان ديننا عفيفا نزها لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يقبل شفاعة أحد ، وجمع له قضاء الديار المصرية بكاملها ، والخطابة ، والحسبة

(١) في شذرات الذهب : قرية يقال لها دير أبي سلامة . كان بها رجل من العربان فيه استهتار الخ

(٢) الزيادة من شذرات الذهب .

ومشيخة الشيوخ ، ونظر الأجيال ، وتدرّس الشافعي والصلحية وإمامة الجامع ، وكان بيده خمسة عشر وظيفة ، وبأشر الوزارة في بعض الأوقات ، وكان السلطان يعظمه ، والوزير ابن حنا يخاف منه كثيرا ، وكان يجب أن ينكبه عند السلطان ويضعه فلا يستطيع ذلك ، وكان يشتهي أن يأتي داره ولو عائدا ، فرض في بعض الأحيان فجاء القاضي عائدا ، فقام إلى تلقيه لوسط الدار ، فقال له اقاضي : إنما جئنا لعيادتك فاذا أنت سوى صحيح ، سلام عليكم ، فرجع ولم يجلس عنده . وكان مولده في سنة أربع وستمئة ، وتولى بعده القضاء تقي الدين ابن رزين

﴿ واقف القيمرية الأمير الكبير ناصر الدين ﴾

أبو المعالي الحسين بن العزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردى ، كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك ، وهو الذى سلم الشام إلى الملك الناصر صاحب حلب ، حين قتل توران شاه بن الصالح أيوب بمصر ، وهو واقف المدرسة القيمرية عند مأذنة فيروز ، وعمل على بابها الساعات التى لم يسبق إلى مثلها ، ولا عمل على شكلها ، يقال إنه غرم عليها أربعين ألف درهم .

﴿ الشيخ شهاب الدين أبو شامة ﴾

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسى الشيخ الامام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة شيخ دار الحديث الاشرفية ، ومدرس الركنية ، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة ، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات كثيرة ، وله شرح الشاطبية ، وله الرد إلى الأمر الأول ، وله فى المبعث وفى الأسراء ، وكتاب الروضتين فى الدولتين النورية والصلاحية ، وله الذيل على ذلك ، وله غير ذلك من الفوائد الحسان والغرائب التى هى كالعقيان . ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسائة ، وذو كرت نفسه ترجمة فى هذه السنة فى الذيل ، وذو كرت مرابه ومنشأه ، وطلبه العلم ، وسماعه الحديث ، وتقفه على الفخر بن عساكر وابن عبد السلام ، والسيف الأمدى ، والشيخ موفق الدين بن قدامة ، ومارى له من المنامات الحسنة . وكان ذا فنون كثيرة ، أخبرنى علم الدين البرزالى الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزارى ، أنه كان يقول : بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد ، وقد كان ينظم أشعارا فى أوقات ، فمنها ما هو مستحلى ، ومنها مالا يستحلى ، فإله يغفر لنا وله . وبالجملة فلم يكن فى وقته مثله فى نفسه وديانته ، وعفته وأمانته ، وكانت وفاته بسبب محنة ألبوا عليه ، وأرسلوا إليه من اغتاله وهو بمنزله بطواحين الأشنان ، وقد كان اتهم برأى ، الظاهر براءته منه ، وقد قال جماعة من أهل الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوما ، ولم يزل يكتب فى التاريخ حتى وصل إلى رجب من هذه السنة ، فذكر أنه أصيب بمحنة فى منزله بطواحين الأشنان ، وكان الذين قتلوه جاءوه قبل فضر به ليموت فلم يموت ، فقيل له : ألا تشكى عليهم ، فلم يفعل وأنشأ يقول :

قلت لمن قال ألا تشتكى * ما قد جرى فهو عظيم جليل
يقبض الله تعالى لنا * من يأخذ الحق ويشفي الغليل
إذا توكلنا عليه كفي * فحسبنا الله ونعم الوكيل

وكانهم عادوا إليه مرة ثانية وهو في المنزل المذكور فقتلوه بالكيفية في ليلة الثلاثاء تاسع عشر رمضان رحمه الله . ودفن من يومه بمقابر دار الفراديس ، وبأشر بعده مشيخة دار الحديث الأشرفية الشيخ محيي الدين الزووي . وفي هذه السنة كان مولد الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي ، وقد ذيل على تاريخ أبي شامة لأن مولده في سنة وفاته ، فحذا حذوه وسلك نحوه ، ورتب ترتيبه وهذب تهذيبه . وهذا أيضاً ممن ينشد في ترجمته .

مازلت تكتب في التاريخ مجتهدا * حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا
ويناسب أن ينشد هنا :

إذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وستائة ﴾

استهلت هذه السنة والحاكم العباسي خليفة، وسلطان البلاد الظاهر، وفي أول جمادى الآخرة خرج السلطان من الديار المصرية بالعساكر المنصورة، فنزل على مدينة يافا بفتة فأخذها عنوة، وسلم إليه أهلها قلعها صاحبا، فأجلاهم منها إلى عكا وخرب القلعة والمدينة وسار منها في رجب قاصداً حصن الشقيف، وفي بعض الطريق أخذ من بعض بريديّة الفرنج كتابا من أهل عكا إلى أهل الشقيف يعلمونهم قدوم السلطان عليهم، ويأمرونهم بتحسين البلد، والمبادرة إلى إصلاح أمانكن يخشى على البلد منها. ففهم السلطان كيف يأخذ البلد وعرف من أين توكل الكتف، واستدعى من فوره رجلا من الفرنج فأمره أن يكتب بدله كتابا على ألسنتهم إلى أهل الشقيف، يحذر الملك من الوزير، والوزير من الملك، ويرمي الخلف بين الدولة. فوصل إليهم فأوقع الله الخلف بينهم بحوله وقوته، وجاء السلطان فحاصره ورماه بالمنجنيق فسلموه الحصن في التاسع والعشرين من رجب وأجلاهم إلى صور، وبعث بالأنفال إلى دمشق، ثم ركب جريدة فيمن نشط من الجيش فشن الغارة على طرابلس وأعمالها، فتهب وقتل وأرعب وكر راجعا مؤيدا منصورا، فنزل على حصن الأكراد لحبته في المرج، فعمل إليه أهله من الفرنج الاقامات فأبى أن يقبلها وقال أنتم قتلتم جنديا من جيشي وأريد ديتي مائة ألف دينار، ثم سار فنزل على حمص، ثم منها إلى حماة، ثم إلى قامية ثم سار منزلة أخرى، ثم سار ليلا وتقدم العسكر فلبسوا العدة وساق حتى أحاط بمدينة أنطاكية .

﴿ فتح أنطاكية على يدي السلطان الملك الظاهر رحمه الله ﴾

وهي مدينة عظيمة كثيرة الخير، يقال إن دور سورها اثنا عشر ميلا، وعدد بروجها مائة وستة

وثلاثون برجاً ، وعدد شرافتها أربعة وعشرون ألف شرافة ، كان نزوله عليها في مستهل شهر رمضان ، فخرج إليه أهلها يطلبون منه الأمان ، وشرطوا شروطاً له عليهم فأبى أن يجيبهم وردهم خائبين وصمم على حصارها ، ففتحها يوم السبت رابع عشر رمضان بحول الله وقوته وتأييده ونصره ، وغنم منها شيئاً كثيراً ، وأطلق الامراء أموالاً جزيلة ، ووجد من أسارى المسلمين من الحلبيين فيها خلقاً كثيراً ، كل هذا في مقدار أربعة أيام . وقد كان الأعريس صاحبها وصاحب طرابلس ، من أشد الناس أذية للمسلمين ، حين ملك التنار حلب وفر الناس منها ، فانتقم الله سبحانه منه بمن أقامه للإسلام ناصراً وللصليب دافعاً كامراً ، والله الحمد والمنة ، وجاءت البشارة بذلك مع البريدية ، فجاءتها البشائر من القلعة المنصورة ، وأرسل أهل بغراس حين سمعوا بقصد السلطان إليهم يطلبون منه أن يبعث إليهم من يتسلمها ، فأرسل إليهم أستاذ داره الأمير آقسنقر الفارقاني في ثالث عشر رمضان فتسلمها ، وتسلموا حصوناً كبيرة وقلعاً كثيرة ، وعاد السلطان مؤيداً منصوراً ، فدخل دمشق في السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة في أهبة عظيمة وهيبة هائلة ، وقد زينت له البلد ودقت له البشائر فرحاً بنصرة الإسلام على الكفرة الطغام ، ولكنه كان قد عزم على أخذ أراضي كثيرة من القرى والبساتين التي بأيدي ملاكها بزعم أنه قد كانت التنار استحوذوا عليها ثم استنقذها منهم ، وقد أفتاه بعض الفقهاء من الحنفية تفرغاً على أن الكفار إذا أخذوا شيئاً من أموال المسلمين ملكوها ، فإذا استرجعت لم ترد إلى أصحابها ، وهذه المسألة مشهورة وللناس فيها قولان (أصحهما) قول الجمهور أنه يجب ردها إلى أصحابها لحديث العضباء ناقة رسول الله ﷺ ، حين استرجعها رسول الله ﷺ ، وقد كان أخذها المشركون ، استدلوا بهذا وأمثاله على أبي حنيفة ، وقال بعض العلماء إذا أخذ الكفار أموال المسلمين وأسلموها وهي في أيديهم استقرت على أملاكهم ، واستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام «وهل ترك لنا عقيل من رباع» وقد كان استحوذ على أملاك المسلمين الذين هاجروا وأسلم عقيل وهي في يده ، فلم تنتزع من يده ، وأما إذا انتزعت من أيديهم قبل ، فانها ترد إلى أربابها لحديث العضباء ، والمقصود أن الظاهر عقد مجلساً اجتمع فيه القضاة والفقهاء من سائر المذاهب وتكلموا في ذلك وصمم السلطان على ذلك اعتماداً على ما بيده من الفتاوى ، وخاف الناس من غائلة ذلك فتوسط صاحب نجر الدين بن الوزير بهاء الدين بن احنا ، وكان قد درس بالشافعي بعد ابن بنت الأعرز ، فقال ياخوند أهل البلد يصلحونك عن ذلك كله بألف درهم ، تقسط كل سنة مائتي ألف درهم ، فأبى إلا أن تكون معجلة بعد أيام ، وخرج متوجهاً إلى الديار المصرية ، وقد أجاب إلى تقسيطها ، وجاءت البشارة بذلك ، ورسم أن يعجلوا من ذلك أربع مائة ألف درهم ، وأن تعاد إليه الغلات التي كانوا قد احتاطوا عليها في زمن القسمة والثمار ، وكانت هذه الفعلة مما شعنت خواطر الناس على السلطان ولما استقر أمر أبغا على التنار أمر باستمرار وزيره نصير الدين الطوسي ، واستناب على بلاد الروم

البر وانه وارتفع قدره عنده جدا واستقل بتدبير تلك البلاد وعظم شأنه فيها .
وفيهما كتب صاحب اليمن إلى الظاهر بالخضوع والانتماء إلى جانبه وأن يخطب له ببلاد اليمن ،
وأرسل إليه هدايا وتحفماً كثيرة ، فأرسل إليه السلطان هدايا وخلعاً وسنجداً وتقليداً .

وفيهما رافع ضياء الدين بن الفقاعى للصاحب بهاء الدين بن الحنا عند الظاهر واستظهر عليه ابن
الحنا ، فسلمه الظاهر إليه ، فلم يزل يضربه بالمقارع ويستخاص أمواله إلى أن مات ، فيقال إنه ضربه
قبل أن يموت سبعة عشر ألف مقرة وسبعائة فأنه أعلم .

وفيهما عمل البر وانه (١) على قتل الملك علاء الدين صاحب قونية وأقام ولده غياث الدين مكانه
وهو ابن عشر سنين وتمكن البر وانه في البلاد والعباد وأطاعه جيش الروم .

وفيهما قتل الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ببغداد ابن الخشكرى النعمانى الشاعر ، وذلك
أنه اشتهر عنه أشياء عظيمة ، منها أنه يعتقد فضل شعره على القرآن المجيد ، واتفق أن الصاحب
أنحدر إلى واسط فلما كان بالعمانية حضر ابن الخشكرى عنده وأنشده قصيدة قد قالها فيه ، فبينما هو
ينشدها بين يديه إذ أذن المؤذن فاستنصته الصاحب ، فقال ابن الخشكرى : يا مولانا اسمع شيئاً
جديداً ، وأعرض عن شيء له سنين ، فثبت عند الصاحب ما كان يقال عنده عنه ، ثم باسطه وأظهر
أنه لا ينكر عليه شيئاً مما قال حتى استعلم ما عنده ، فاذا هو زنديق ، فلما ركب قال لانسان معه
استفرد في أثناء الطريق واقتله ، فسأيره ذلك الرجل حتى إذا انقطع عن الناس قال لجماعة معه : أنزلوه
عن فرسه كالمداعب له ، فأنزلوه وهو يشتمهم ويلعنهم ، ثم قال انزعوا عنه ثيابه فسلبوها وهو
يخاصمهم ، ويقول إنكم أجلاف ، وإن هذا لعب بارد ، ثم قال : اضربوا عنقه ، فتقدم إليه أحدهم
فضربه بسيفه فأبان رأسه ،

وفيهما توفي ﴿ الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال ﴾

شيخ رباط المرزبانبة ، كان صالحاً ورعاً زاهداً حكى عن نفسه قال : كنت بمصر فبلغنى ما وقع
من القتل الذريع ببغداد في فتنة النصارى ، فأنكرت في قلبى وقلت : يارب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن
لا ذنب له ؟ فرأيت في المنام رجلاً وفى يده كتاب فأخذته فقرأته فاذا فيه هذه الأبيات فيها الانكار
على .
دع الاعتراض فما الامر لك * ولا الحكم فى حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله * فن خاض لجة بجرهك
إليه تصير أمور العباد * دع الاعتراض فما أجهلك

(١) كلمة فارسية معناها فى الاصل الحاجب . ثم أطلق فى دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى

على الوزير الاكبر .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحافظ أبو إبراهيم إسحاق بن عبد الله ﴾
ابن عمر المعروف بابن قاضي اليمن ، عن ثمان وستين سنة ، ودفن بالشرف الأعلى ، وكان قد
تفرد بروايات جيدة وانتفع الناس به . وفيها ولد الشيخ شرف الدين عبد الله بن تيمية أخو الشيخ
تقي الدين ابن تيمية ، والخطيب القزويني .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وستائة ﴾

في صفر منها جدد السلطان الظاهر البيعة لولده من بعده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأحضر
الامراء كلهم والقضاة والاعيان وأركبه ومشى بين يديه ، وكتب له ابن لقمان تقليدا هائلا بالملك من
بعد أبيه ، وأن يحكم عنه أيضا في حال حياته ، ثم ركب السلطان في عساكره في جمادى الآخرة
قاصدا الشام ، فلما دخل دمشق جاءته رسل من أباغ ملك التتار معهم مكاتبات ومشافهات ، فمن جملة
المشافهات : أنت مملوك بعت بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض ؟ واعلم أنك لو
صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما اتصلت مني فاعمل لنفسك على مصالحة السلطان إباغا فلم
يلتفت إلى ذلك ولا عنه شيئا بل أجاب عنه أتم جواب ، وقال لرسله : أعلمه أني من ورائه بالمطالبة
ولا أزال حتى أنتزع منه جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة ، وسائر أقطار الأرض .
وفي جمادى الآخرة رسم السلطان الملك الظاهر باراقه الخجور وتبديل المفسدات والخواطىء
بالبلاد كلها ، فتهببت الخواطىء وسلبن جميع ما كان معهن حتى يتزوجن ، وكتب إلى جميع البلاد
بذلك ، وأسقط المكوس التي كانت مرتبة على ذلك ، وعوض من كان محالا على ذلك بغيرها والله
الحمد والمنة . ثم عاد السلطان بعساكره إلى مصر ، فلما كان في أثناء الطريق عند خربة اللصوص
تعرضت له امرأة فذكرت له أن ولدها دخل مدينة صور ، وأن صاحبها الفرنجى غدر به وقتله وأخذ
ماله ، فركب السلطان وشن الغارة على صور فأخذ منها شيئا كثيرا ، وقتل خلقا ، فأرسل إليه ملكها
ما سبب هذا ؟ فذكر له غدره ومكره بالتجار ثم قال السلطان لمقدم الجيوش : أوهم الناس أني مريض
وأني بالحفة وأحضر الاطباء واستوصف لي منهم ما يصلح لمريض به كذا وكذا ، وإذا وصفوا لك
فأحضر الأشربة إلى الحفة وأنتم سائرون . ثم ركب السلطان على البريد وساق مسرعا فكشف
أحوال ولده وكيف الامر بالديار المصرية بعده ، ثم عاد مسرعا إلى الجيش فجلس في الحفة وأظهر
عافيته وتباشروا بذلك . وهذه جراحة عظيمة ، وإقدام هائل .

وفيها حج السلطان الملك الظاهر وفي صحبته الامير بدر الدين الخزندار ، وقاضي القضاة صدر
الدين سليمان الحنفي ، ونفرا الدين بن لقمان ، وتاج الدين بن الأثير ونحو من ثلاثمائة مملوك ، وأجناد
من الخلة المنصورة ، فسار على طريق الكرك ونظر في أحوالها ثم منها إلى المدينة النبوية ، فأحسن
إلى أهلها ونظر في أحوالها ، ثم منها إلى مكة فتصدق على المجاورين ثم وقف بعرفة وطاف طواف

الافاضة وفتحت له الكعبة ففسلها بماء الورد وطيبها بيده ، ثم وقف بباب الكعبة فتناول أيدي الناس ليدخلوا الكعبة وهو بينهم ، ثم رجع فرمى الحجرات ثم تعجل النفر فعاد على المدينة النبوية فزار القبر الشريف مرة ثانية على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله وأهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام أجمعين إلى يوم الدين . ثم سار إلى الكرك فدخلها في التاسع والعشرين من ذى الحجة ، وأرسل البشير إلى دمشق بقدمه سالماً ، فخرج الأمير جمال الدين آقوش النجيبى نائبها ليلتاقى البشير في ناني الحرم ، فاذا هو السلطان نفسه يسير في الميدان الأخضر ، وقد سبق الجميع ، فتمعجب الناس من سرعة سيره وصبره وجلده ، ثم ساق من فوره حتى دخل حلب في سادس المحرم ليتفقد أحوالها ، ثم عاد إلى حماة ثم رجع إلى دمشق ثم سار إلى مصر فدخلها يوم الثلاثاء ثالث صفر من السنة المقبلة رحمه الله .

وفي أواخر ذى الحجة هبت ريح شديدة أغرقت مائتي مركب في النيل ، وهلك فيها خلق كثير ، ووقع هناك مطر شديد جدا ، وأصاب الشام من ذلك صاعقة أهلكت الثمار ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها أوقع الله تعالى الخلف بين التتار من أصحاب إلبغا وأصحاب ابن منكوتمر بن عمه وتفرقوا واشتغلوا ببعضهم بعضاً ، والله الحمد . وفيها خرج أهل حران منها وقدموا الشام ، وكان فيهم شيخنا العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية صحبة أبيه وعمره ست سنين ، وأخوه زين الدين عبدالرحمن وشرف الدين عبد الله ، وهما أصغر منه .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله ﴾

الحلبي الصالحى ، كان من أكبر الأمراء وأحظام عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر ، كان يستنبيه إذا غلب ، فلما كانت هذه السنة أخذته معه وكانت وفاته بقلعة دمشق ، ودفن بتر بته بالقرب من الينغورية ، وخلف أموالا جزيلة ، وأوصى إلى السلطان في أولاده ، وحضر السلطان عزاءه بجماع دمشق .

﴿ شرف الدين أبو الطاهر ﴾

محمد بن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية المصرى ، ولد سنة عشر وستمائة وسمع أباه وجماعة ، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملة مدة ، وحدث وكان فاضلا .

﴿ القاضى تاج الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن وثاب بن رافع البجلي الحنفي ، درس وأفتى عن ابن عطاء بدمشق ، ومات بعد خروجه من الحمام على مساطب الحمام فجأة ودفن بقاسيون .

﴿ الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن ﴾

على بن يوسف بن حيدرة الرحبي شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرس الدخوارية عن وصية واقفها بذلك وله التقدمة في هذه الصناعة على أقرانه من أهل زمانه ، ومن شعره قوله :

يساق بنو الدنيا إلى الختف عنوة * ولا يشعر الباقي بمحالة من يمضي
 كأنهم الأنعام في جهل بعضها * بما ثم من سفك الدماء على بعض
 [الشيخ نصير الدين]

المبارك بن يحيى بن أبي الحسن أبي البركات بن الصباغ الشافعي ، العلامة في الفقه والحديث ،
 درس وأفتى وصنف وانتفع به ، وعمر ثمانين سنة ، وكانت وفاته في حادى عشرة جمادى الأولى
 من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ أبو الحسن ﴾

على بن عبد الله بن إبراهيم الكوفي المقرئ النحوى الملقب بسبيويه ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة
 النحو ، توفي بمارستان القاهرة في هذه السنة عن سبع وستين سنة رحمه الله . ومن شعره :
 عذبت قلبي بهجر منك متصل * يا من هواه ضمير غير منفصل
 فما زادنى غير تأكيد صدك لى * فاعدوك من عطف إلى بدل [١]
 وفيها ولد شيخنا العلامة كمال الدين محمد بن على الأنصارى بن الزمكاكى شيخ الشافعية .
 ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وستائة ﴾

في ثانى المحرم منها دخل السلطان من الحجاز على الهجن فلم يرع الناس إلا وهو في الميدان
 الاخضر يسير ، وفرح الناس بذلك ، وأراح الناس من تلقيه بالهدايا والتحف ، وهذه كانت عادته ،
 وقد عجب الناس من سرعة مسيره وعلو همته ، ثم سار إلى حلب ، ثم سار إلى مصر فدخلها في
 سادس الشهر مع الركب المصرى ، وكانت زوجته أم الملك السعيد في الحجاز هذه السنة ، ثم خرج
 في ثالث عشر صفر هو وولده والأمرء إلى الاسكندرية فتصيد هنالك ، وأطلق للأمرء الأموال
 الكثيرة والخلع ، ورجع مؤيداً منصوراً .

وفي المحرم منها قتل صاحب مرا كش أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف الملقب
 بالوائق ، قتله بنو مزين في حرب كانت بينه وبينهم بالقرب من مرا كش . وفي ثالث عشر ربيع
 الآخر منها وصل السلطان إلى دمشق في طائفة من جيشه ، وقد لقوا في الطريق مشقة كثيرة من
 البرد والوحل ، فغيم على الزنمية وبلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا يقصد جيش المسلمين ،
 فركب إليه سريعاً فوجده قريباً من عكا فدخلها خوفاً منه . وفي رجب تسلم نواب السلطان مصياف
 من الاسماعيلية ، وهرب منها أميرهم الصارم مبارك بن الرضى ، فتحيل عليه صاحب حماه حتى أسره
 وأرسله إلى السلطان فحبسه في بعض الابرجة في القاهرة . وفيها أرسل السلطان الدرابينات إلى الحجرة
 (١) زيادة من المصرية .

النبوية ، وأمر أن تقام حول القبر صيانة له ، وعمل لها أبواباً تفتح وتغلق من الديار المصرية ، فركب ذلك عليها . وفيها استفاضت الاخبار بقصد الفرنج بلاد الشام ، فجهز السلطان العساكر لقتالهم ، وهو مع ذلك مهتم بالاسكندرية خوفاً عليها ، وقد حصنها وعمل جسوراً إليها إن دهمها العدو ، وأمر بقتل الكلاب منها . وفيها انقضت دولة بني عبد المؤمن من بلاد المغرب ، وكان آخرهم إدريس بن عبد الله بن يوسف صاحب مراکش ، قتله بنو مرتين في هذه السنة .
ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ صاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع ﴾

ابن زيد بن مالك المصرى المعروف بابن الزبيرى كان فاضلاً رئيساً ، وزر لملك المظفر قطز ثم للظاهر بيبرس في أول دولته ، ثم عزله وولى بهاء الدين ابن الحنا ، فلزم منزله حتى أدركنته منيته في الرابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة ، وله نظم جيد .

﴿ الشيخ موفق الدين ﴾

أحمد بن القاسم بن خليفة الخزر جى الطبيب ، المعروف بابن أبي أصيبعة ، له تاريخ الأطباء في عشر مجلدات لطاف ، وهو وقف بشهد ابن عروة بالأموى ، توفى بصرخد وقد جاوز التسعين .

﴿ الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم ﴾

ابن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير ، أبو العباس المقدسى النابلسى ، تفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، ولد سنة خمس وسبعين وخسمائة ، وقد سمع ورحل إلى بلدان شتى ، وكان فاضلاً يكتب سريراً ، حكى الشيخ علم الدين أنه كتب مختصر الخرقى في ليلة واحدة ، وخطه حسن قوى ، وقد كتب تاريخ ابن عساكر مرتين ، واختصره لنفسه أيضاً ، وأضر في آخر عمره أربع سنين ، وله شعر أورد منه قطب الدين في تذييله ، توفى بسفح قاسيون وبه دفن في بكرة الثلاثاء عاشر رجب ، وقد جاوز التسعين رحمه الله .

﴿ القاضى محيى الدين ابن الزكى ﴾

أبو الفضل محيى بن قاضى القضاة بهاء الدين أبي المعالى محمد بن على بن محمد بن محيى بن على بن عبد العزيز بن على بن عبد العزيز بن دلى بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد ابن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشى الأموى بن الزكى ، تولى قضاء دمشق غير مرة ، وكذلك آباؤه من قبله ، كل قد وليها ، وقد سمع الحديث من حنبل وابن طبرزد والسكندى وابن الحرستانى وجماعة ، وحدث ودرس في مدارس كثيرة ، وقد ولي قضاء الشام في الهلاونية^(١) فلم يحمد على ما ذكره أبو شامة ، توفى بمصر في الرابع عشر من رجب ، ودفن بالمقطم وقد جاوز السبعين . وله

(١) في شذرات الذهب : ولاء هولاكو قضاء الشام .

شعر جيد قوى ، وحكى الشيخ قطب الدين فى ذلك بعد ما نسبه كما ذكرنا عن والده القاضى بهاء الدين أنه كان يذهب إلى تفضيل على على عثمان موافقة لشيخه محى الدين ابن عربى ، ولما رآه بجامع دمشق معرضاً عنه بسبب ما كان من بنى أمية إليه فى أيام صفين ، فأصبح فنظم فى ذلك قصيدة يذكر فيها ميله إلى على ، وإن كان هو أموى :

أدين بما دان الوصى ولا أرى * سواه وإن كانت أمية محتدى
ولو شهدت صفين خيلى لاعذرت * وشاء بنى حرب هنالك مشهدى
لكنت أسن البيض عنهم تراضياً * وأمنهم نيل الخلافة باليد

ومن شعره :

قالوا ما فى جلق نزهة * تسليك عن أنت به مغرا
يا عاذلى دونك فى لحظة * سهماً وقد عارضه سطرأ

﴿ صاحب فخر الدين ﴾

محمد بن الصحاح بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن الحنا المصرى ، كان وزير الصحبة ، وقد كان فاضلاً ، بنى رباطاً بالقرافة الكبرى ، ودرس بمدسة والده بمصر ، وبالشافعى بعد ابن بنت الأعرز توفى بشعبان ودفن بسفح المقطم ، وفوض السلطان وزارة الصحبة لولده تاج الدين .

﴿ الشيخ أبو نصر بن أبى الحسن ﴾

ابن الخراز الصوفى البغدادى الشاعر ، له ديوان حسن ، وكان جميل المعاشرة حسن المذاكرة ، دخل عليه بعض أصحابه فلم يقم له فأنشده قوله :

نهض القلب حين أقبلت * إجلالاً لما فيه من صحيح الوداد
ونهوض القلوب بالود أولى * من نهوض الأجساد للأجساد

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين وستائة ﴾

فى مستهل صفر منها ركب السلطان من الديار المصرية فى طائفة من العسكر إلى عسقلان فهدم ما بقى من سورها مما كان أهمل فى الدولة الصلاحية ، ووجد فيها هدم كوزين فيها ألفا دينار ففرقهما على الأمراء . وجاءته البشارة وهو هنالك بأن منكوتمر كسر جيش أبغا ففرح بذلك ، ثم عاد إلى القاهرة . وفى ربيع الأول بلغ السلطان أن أهل عكا ضربوا رقاب من فى أيديهم من أسرى المسلمين صبرا بظاهر عكا ، فأمر بمن كان فى يده من أسرى أهل عكا فضربت رقابهم فى صبيحة واحدة ، وكانوا قريباً من مائتى أسير . وفيها كل جامع المنشية ^(١) وأقيمت فيه الجمعة فى الثانى والعشرين من ربيع الآخر . وفيها جرت حروب يطول ذكرها بين أهل تونس والفرنج ، ثم تصالحوا بعد ذلك

(١) كذا فى المصرية . وفى التركية المزة .

على الهدنة ووضع الحرب ، بعد ما قتل من الفريقين خلق لا يحصون .

وفي يوم الخميس ثامن رجب دخل الظاهر دمشق وفي صحبته ولده الملك السعيد وابن الخنا الوزير وجهور الجيش ثم خرجوا متفرقين وتواعدوا أن يلتقوا بالساحل ليشنوا الغارة على جبلة واللاذقية ومرقب وعرقا وما هنالك من البلاد ، فلما اجتمعوا فتحوا صافينا والمجمل ، ثم ساروا فنزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب ، وله ثلاثة أسوار ، فنصبوا المنجنيقات ففتحها قسرا يوم نصف شعبان ، فدخل الجيش ، وكان الذي يحاصره ولد السلطان الملك السعيد ، فأطلق السلطان أهله ومن عليهم وأجلاهم إلى طرابلس ، وتسلم القلعة بعد عشرة أيام من الفتح ، فأجلى أهلها أيضاً وجعل كنيسة البلد جامعاً ، وأقام فيه الجمعة ، وولى فيها نائباً وقاضياً وأمر بهارة البلد ، وبعث صاحب طرسوس بمفاتيح بلده يطلب منه الصلح على أن يكون نصف مغل بلاده للسلطان ، وأن يكون له بها نائباً فأجابته إلى ذلك ، وكذلك فعل صاحب المرقب فصالحه أيضاً على المناصفة ووضع الحرب عشر سنين . وبلغ السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد أن صاحب جزيرة قبرص قد ركب بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفاً من السلطان ، فأراد السلطان أن يغتنم هذه الفرصة فبعث جيشاً كثيفاً في اثني عشرة شبني ليأخذوا جزيرة قبرص في غيبته صاحبها عنها ، فسارت المراكب مسرعة فلما قاربت المدينة جاءتها ريح قاصف فصدم بعضها بعضها فانكسر فيها أربعة عشر مراكباً باذن الله ففرق خلق وأسر الفرنج من الصناعات والرجال قريبا من ألف وثمانمائة إنسان ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم سار السلطان فنصب الجنايق على حصن عكا فسأله أهلها الأمان على أن يخليهم فأجابهم إلى ذلك ، ودخل البلد يوم عيد الفطر فتسلمه ، وكان الحصن شديد الضرر على المسلمين ، وهو واد بين جبلين ، ثم سار السلطان نحو طرابلس فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مراد السلطان في هذه الأرض ؟ فقال جئت لأرعى زروعكم وأخرب بلادكم ، ثم أعود إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه ويطلب منه المصالحة ووضع الحرب بينهم عشر سنين فأجابته إلى ذلك ، وأرسل إليه الاسماعيلية يستعطفونه على والدم ، وكان مسجوناً بالقاهرة ، فقال : سلموا إلى العليقة وانزلوا فخذوا إقطاعات بالقاهرة ، وتسلموا أباكم . فلما نزلوا أمر بحبسهم بالقاهرة واستناب بحصن العليقة .

وفي يوم الأحد الثاني عشر من شوال جاء سيل عظيم إلى دمشق فأتلف شيئا كثيرا ، وغرق بسببه ناس كثير ، لا سيما الحجاج من الروم الذين كانوا نزولا بين النهرين ، أخذهم السيل وجاهلهم وأحماهم ، فهلكوا وغلقت أبواب البلد ، ودخل الماء إلى البلد من مراقي السور ، ومن باب الفراديس ففرق خان ابن المقدم وأتلف شيئا كثيرا ، وكان ذلك في زمن الصيف في أيام المشمش ، ودخل السلطان إلى دمشق يوم الأربعاء الخامس عشر شوال فعزل القاضي ابن خلكان ، وكان له في القضاء

عشر سنين ، وولى القاضى عز الدين بن الصائغ ، وخلع عليه ، وكان تقليده قد كتب بظاهر طرابلس بسفارة الوزير ابن الحنا ، فسار ابن خلكان فى ذى القعدة إلى مصر . وفى ثانى عشرشوال دخل حصن الكردى شيخ السلطان الملك الظاهر وأصحابه إلى كنيسة اليهود فصلوا فيها وأزالوا ما فيها من شعائر اليهود ، ومدوا فيها سباطا وعملوا سماعا ، وبقوا على ذلك أياماً ، ثم أعيدت إلى اليهود ، ثم خرج السلطان إلى السواحل فافتتح بعضها وأشرف على عكا وتأملها ثم سار إلى الديار المصرية ، وكان مقدار غرمة فى هذه المدة وفى الغزوات قريبا من ثمانمائة ألف دينار ، وأخلفها الله عليه ، وكان وصوله إلى القاهرة يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة . وفى اليوم السابع عشر من وصوله أمسك على جماعة من الأمراء منهم الحلبي وغيره ببلغه أنهم أرادوا مسكه على الشقيف .

وفى اليوم السابع عشر من ذى الحجة أمر باراقة الخور من سائر بلادته وتهدد من يعصرها أو يعتصرها بالقتل ، وأسقط ضمان ذلك ، وكان ذلك بالقاهرة وحدها كل يوم ضمانه ألف دينار ، ثم سارت البرد بذلك إلى الآفاق . وفيها قبض السلطان على العزيز بن المغيث صاحب السكر ، وعلى جماعة من أصحابه كانوا عزموا على سلطنته .
ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ الملك تقي الدين عباس بن الملك العادل ﴾

أبى بكر بن أيوب بن شادى ، وهو آخر من بقى من أولاد العادل ، وقد سمع الحديث من الكندى وابن الحرستاني ، وكان محترماً عند الملوك لا يرفع عليه أحد فى المجالس والمواكب ، وكان لين الأخلاق حسن العشرة ، لا تمل مجالسته . توفى يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة بدررب الريحان ، ودفن بتربته بسفح قاسيون .

﴿ قاضى القضاة شرف الدين أبو حفص ﴾

عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى السبكي المالكي ، ولد سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وسمع الحديث وتفقه وأفتى بالصلاحية ، وولى حسة القاهرة ثم ولى القضاء سنة ثلاث وستين ، لما ولوا من كل مذهب قاضيا ، وقد امتنع أشد الامتناع ثم أجاب بعد إكراه بشرط أن لا يأخذ على القضاء جامكية ، وكان مشهوراً بالعلم والدين ، روى عنه القاضى بدر الدين ابن جماعة وغيره . توفى نحس بقين من ذى القعدة .

﴿ الطواشى شجاع الدين مرشد المظفرى الحموى ﴾

كان شجاعا بطلا من الأبطال الشجعان ، وكان له رأى سديد ، كان أستاذه لا يخالفه ، وكذلك الملك الظاهر ، توفى بحماه ودفن بتربته بالقرب من مدرسته بحماه .

﴿ ابن سبعين : عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ﴾

ابن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوطي ، نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية ، ولد سنة أربع عشرة وستائة ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة ، فتولد له من ذلك نوع من الاحاد ، وصنف فيه ، وكان يعرف السيميا ، وكان يلبس بذلك على الأغنياء من الأمراء والأغنياء ، ويزعم أنه حال من أحوال القوم ، وله من المصنفات كتاب البدو ، وكتاب الهو ، وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها ابن سمي ، وجاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجى فيما ينقل عنه أن يأتيه فيه وحى كما أتى النبي ﷺ ، بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة ، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا ، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة ، إن كان مات على ذلك ، وقد كان إذا رأى الطائفتين حول البيت يقول عنهم : كأنهم الحمير حول المدار ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت ، فالحق يحكم فيه وفي أمثاله . وقد نقلت عنه عظام من الأقوال والأفعال ، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين وستائة من الهجرة ﴾

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي ، وسلطان الاسلام الملك الظاهر . وفي يوم الأحد الرابع عشر من المحرم ركب السلطان إلى البحر لالتقاء الشواني التي عملت عوضا عما غرق بجزيرة قبرص ، وهي أربعون شيفيا ، فركب في شيفي منها ومعه الأمير بدر الدين ، فالت بهم فسقط الخزندار في البحر فغاص في الماء فألقى إنسان نفسه وراءه فأخذ بشعره وأقذمه من الغرق ، نفع السلطان على ذلك الرجل وأحسن إليه . وفي أواخر المحرم ركب السلطان في نفر يسير من الخاصكية ، والأمراء من الديار المصرية حتى قدم الكرك ، واستصحب نائبها معه إلى دمشق ، فدخلها في ثاني عشر صفر ، ومعه الأمير عز الدين أيمن نائب الكرك ، فولاه نيابة دمشق وعزل عنها جمال الدين آقوش النجيب في رابع عشر صفر ، ثم خرج إلى حماة وعاد بعد عشرة أيام . وفي ربيع الأول وصلت الجفال من حلب وحماة وحمص إلى دمشق بسبب الخوف من التتار ، وجفل خلق كثير من أهل دمشق . وفي ربيع الآخر وصلت العساكر المصرية إلى حضرة السلطان إلى دمشق فسار بهم منها في سابع الشهر ، فاجتاز بحماة واستصحب ملكها المنصور ، ثم سار إلى حلب فخيم بالميدان الأخضر بها ، وكان سبب ذلك أن عساكر الروم جمعوا نحو من عشرة آلاف فارس وبعثوا طائفة منهم فأغاروا على عين ناب ، ووصلوا إلى نسطون ووقعوا على طائفة من التتركان بين حارم وإنطاكية فاستأصلوهم فلما سمع التتار بوصول السلطان ومعه العساكر المنصورة ارتدوا على أعقابهم راجعين ، وكان بلغه أن الفرنج أغاروا على بلاد قاقون ^(١) ونهبوا طائفة من التتركان ، فقبض على الأمراء الذين هناك حيث لم يهتموا بحفظ البلاد وعادوا إلى الديار المصرية .

وفي ثالث شعبان أمسك السلطان قاضي الخنابلة بمصر شمس الدين أحمد بن العماد المقدسي ، وأخذ ما عنده من الودائع فأخذ زكاتها ورد بعضها إلى أربابها ، واعتقله إلى شعبان من سنة ثنتين وسبعين ، وكان الذي وشى به رجل من أهل حران يقال له شبيب ، ثم تبين للسلطان نزاهة القاضي وبراءته فأعادته إلى منصبه في سنة ثنتين وسبعين ، وجاء السلطان في شعبان إلى أراضى عكا فأغار عليها فسأله صاحبها المهادنة فأجابته إلى ذلك فهادنه عشرة سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشرة ساعات ، وعاد إلى دمشق فقرأ بدارالسعادة كتاب الصالح ، واستمر الحال على ذلك ثم عاد السلطان إلى بلاد الاسماعيلية فأخذ عامتها . قال قطب الدين : وفي جمادى الآخرة ولدت زرافة بقلعة الجبل ، وأرضعت من بقرة . قال وهذا شيء لم يمهده مثله .

وفيهما توفى ﴿ الشيخ كمال الدين ﴾

سَلَّار بن حسن بن عمر بن سعيد الأربلي الشافعي ، أحد مشايخ المذهب ، وقد اشتغل عليه الشيخ محيي الدين النووي ، وقد اختصر البحر للروائي في مجلدات عديدة هي عندي بخط يده وكانت الفتيا تدور عليه بدمشق ، توفي في عشر السبعين ، ودفن بباب الصغير ، وكان مفيداً بالبادرائية من أيام الواقف ، لم يطلب زيادة على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة .

﴿ وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب ﴾

ابن سويد التكريتي التاجر الكبير بين التجار بن سويد ذو الأموال الكثيرة ، وكان معظماً عند الدولة ، ولا سيما عند الملك الظاهر ، كان يجله ويكرمه لأنه كان قد أسدى إليه جميلاً في حال إمرته قبل أن يلي السلطنة ، ودفن برباطه وتربته بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون ، وكانت كتب الخليفة ترد إليه في كل وقت ، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك ، حتى ملوك الفرنج في السواحل . وفي أيام التتار في أيام هولاء ، وكان كثير الصدقات والبر .

﴿ نجم الدين يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن اللبودي ﴾

واقف اللبودية التي عند حمام الفلك المبرر على الأطباء ، ولديه فضيلة بمعرفة الطب ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق ، ودفن بتربته عند اللبودية .

﴿ الشيخ علي البكاء ﴾

صاحب الزاوية بالقرب من بلد الخليل عليه السلام ، كان مشهوراً بالصالح والعبادة والاطعام لمن اجتاز به من المارة والزوار ، وكان الملك المنصور قلاوون يثني عليه ويقول : اجتمعت به وهو أمير وأنه كاشفه في أشياء وقعت جميعها ، ومن جملتها أنه سيملاك . نقل ذلك قطب الدين اليونيني ، وذكر أن سبب بكائه الكثير أنه صحب رجلاً كانت له أحوال وكرامات ، وأنه خرج معه من بغداد

فانتهوا في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة ، وأن ذلك الرجل قال له إني سأموت في الوقت الغلاني ، فأشهدني في ذلك الوقت في البلد الغلاني . قال : فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق ، وقد استدار إلى جهة الشرق فحولته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فحولته أيضاً ففتح عينيه وقال : لا تتعب فاني لا أموت إلا على هذه الجهة ، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فحطنا به إلى دير هناك فوجدناهم في حزن عظيم ، فقلنا لهم : ما شأنكم ؟ فقالوا كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة ، فلما كان اليوم مات على الاسلام ، فقلنا لهم : خذوا هذا بدله وسلمونا صاحبنا ، قال فوليناها فغسلناه وكفنناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين ، وولواهم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى ، نسأل الله حسن الخاتمة . مات الشيخ على في رجب من هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستائة ﴾

في خامس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهدها ، وركب في أواخر المحرم إلى القاهرة فأقام بها سنة ثم عاد فدخل دمشق في رابع صفر ، وفي المحرم منها وصل صاحب النوبة إلى عيذاب قهه تجارها وقتل خلقا من أهلها ، منهم الوالى والقاضى ، فسار إليه الأمير علاء الدين أيد غدى الخزندار فقتل خلقا من بلاده ونهب وحرق وهدم ودوخ البلاد ، وأخذ بالنار والله الحمد والمنة .

وفي ربيع الأول توفي الأمير سيف الدين محمد بن مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون ، ودفن في تربة والده في عشر السبعين ، وكان له في ملك صهيون وبزريه إحدى عشرة سنة ، وأسلمها بعده ولده سابق الدين ، وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور فأذن له ، فلما حضر أقطعه خيزرا وبعث إلى البلدين نوابا من جهته .

وفي خامس جمادى الآخرة وصل السلطان بمسكركه إلى الفرات لانه بلغه أن طائفة من التتار هنالك بغاض إليهم الفرات بنفسه وجنده ، وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلق كثيرا ، وكان أول من اقتحم الفرات يومئذ الأمير سيف الدين قلاوون وبدر الدين بيسرى وتبعهما السلطان ، ثم فعل بالتتار ما فعل ، ثم ساق إلى ناحية البيرة وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى ، فلما سمعوا بقدومه هربوا وتركوا أموالهم وأثقالهم ، ودخل السلطان إلى البيرة في أهبة عظيمة وفرق في أهلها أموالا كثيرة ، ثم عاد إلى دمشق في ثالث جمادى الآخرة ومعه الأسرى . وخرج منها في سابعه إلى الديار المصرية ، وخرج ولده الملك السعيد لتلقيه ودخلا إلى القاهرة ، وكان يوماً مشهوداً . ومما قاله القاضى شهاب الدين محمود السكاتب ، وأولاده يقال لهم بنو الشهاب محمود ، في خوض السلطان الفرات بالجيش :
سر حيث شئت لك المهيمن جار * واحكم فطوع مرادك الأقدار

لم يبق للدين الذى أظهرته * ياركنه عند الأعادى نار
لما تراقت الرؤس تحركت * من مطربات قسيك الأوتار
خضت الفرات بمسكراً فضى به * موج الفرات كما أتى الأتار
حملتك أمواج الفرات ومن رأى * بجرّاً سواك تقله الأنهار
وتقطعت فرقا ولم يك طودها * إذ ذاك إلا جيشك الجرار

وقال بهض من شاهد ذلك :

ولما تراءينا الفرات بئخيلنا * سكرناه منا بالقنا والصوام
ولجنا فاقوقف التيار عن جريانه * إلى حين عدنا بالغنى والغنائم

وقال آخر ولا بأس به :

الملك الظاهر سلطاننا * نغديه بالأموال والأهل
اقتحم الماء ليطفى به * حرارة القلب من المغل

وفى يوم الثلاثاء ثالث رجب خلع على جميع الأمراء من حاشيته ومقدمى الحلقة وأرباب الدولة وأعطى كل إنسان ما يليق به من الخيل والذهب والحوايص ، وكان مبلغ ما أنفق بذلك نحو ثلثمائة ألف دينار . وفى شعبان أرسل السلطان إلى منكوثر هدايا عظيمة ، وفى يوم الاثنين ثمانى عشر شوال استدعى السلطان شيخه الشيخ خضر الكردى إلى بين يديه إلى القلعة وحوقق على أشياء كثيرة ارتكبها ، فأمر السلطان عند ذلك باعتقاله وحبسه ، ثم أمر باغتياله وكان آخر العهد به . وفى ذى القعدة سلمت الاسماعيلية ما كان بقى بأيديهم من الحصون وهى الكهف والقدموس والمنطقة ، وعضوا عن ذلك باقطاعات ، ولم يبق بالشام شىء لهم من القلاع ، واستناب السلطان فيها . وفيها أمر السلطان بعمارة جسورة فى السواحل ، وغرم عليها مالا كثيراً ، وحصل للناس بذلك رفق كبير . وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ تاج الدين أبو المظفر محمد بن أحمد ﴾

ابن حمزة بن على بن هبة الله بن الحوى ، التغلبى الدمشقى ، كان من أعيان أهل دمشق ، ولى نظر الأيتام والحسبة ، ثم وكالة بيت المال ، وسمع الكثير وخرج له ابن بليان مشيخة قرأها عليه الشيخ شرف الدين الفرارى بالجامع ، فسمعها جماعة من الأعيان والفضلاء رحمه الله .

﴿ الخطيب نجر الدين أبو محمد ﴾

عبد القاهر بن عبد الغنى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى الخطيب بها ، وبيته معروف بالعلم والخطابة والرياسة ، ودفن بمقبرة الصوفية وقد قارب الستين رحمه الله . وقد سمع الحديث من جده نجر الدين صاحب ديوان الخطيب المشهورة ، توفى بخانقاه القصر ظاهر دمشق .

﴿ الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني المدوي ﴾

شيخ الملك الظاهر بيبرس ، كان حظيا عنده مكرما لديه ، له عنده المكانة الرفيعة ، كان السلطان ينزل بنفسه إلى زاويته التي بناها له في الحسينية ، في كل أسبوع مرة أو مرتين ، وبنى له عندها جامعاً يخطب فيه للجمعة ، وكان يعطيه مالا كثيرا ، ويطلق له ما أراد ، ووقف على زاويته شيئا كثيرا جدا ، وكان معظما عند الخاص والعام بسبب حب السلطان وتعظيمه له ، وكان يمازحه إذا جلس عنده ، وكان فيه خير ودين وصلاح ، وقد كاشف السلطان بأشياء كثيرة ، وقد دخل مرة كنيسة القمامة بالمقدس فذبح قسيسها بيده ، ووهب ما فيها لأصحابه ، وكذلك فعل بالكنيسة التي بالاسكندرية وهي من أعظم كنائسهم ، نهبا وحولها مسجداً ومدرسة أنفق عليها أموالا كثيرة من بيت المال ، وسماها المدرسة الخضراء ، وكذلك فعل بكنيسة اليهود بدمشق ، دخلها ونهب ما فيها من الآلات والأمتعة ، ومد فيها سماطا ، واتخذها مسجداً مدة ثم سعوا إليه في ردها إليهم وإبقائها عليهم ، ثم اتفق في هذه السنة أنه وقعت منه أشياء أنكرت عليه وحققت عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له منه ما أوجب سجنه ، ثم أمر بإعدامه وهلاكه ^(١) وكانت وفاته في هذه السنة ، ودفن بزاويته سماحه الله ، وقد كان السلطان يحبه محبة عظيمة حتى إنه سمى بعض أولاده خضرا موافقة لاسمه ، وإليه تنسب القبة التي على الجبل غربي الربرة التي يقال لها قبة الشيخ خضر .

﴿ مصنف التمجيز ﴾

العلامة تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن يونس بن محمد بن سعد بن مالك أبو القاسم الموصلي ، من بيت الفقه والرياسة والتدريس ، ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وسمع واشتغل وحصل وصنف واختصر الوجيز من كتابه التمجيز ، واختصر المحصول ، وله طريقة في الخلاف أخذها عن ركن الدين الطاووسي ، وكان جده عماد الدين بن يونس شيخ المذهب في وقته كما تقدم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وستائة ﴾

في صفر منها قدم الظاهر إلى دمشق وقد بلغه أن أبغا وصل إلى بغداد فتصيد بتلك الناحية ، فأرسل إلى المسافر المعمرية أن يتأهبوا للحضور ، واستعد السلطان لذلك . وفي جمادى الآخرة أحضر ملك الكرخ ليين يديه بدمشق ، وكان قد جاء متنكرا لزيارة بيت المقدس فظهر عليه فحمل إلى بين يديه فسجنه بالقلعة . وفيها كمل بناء جامع دير الطين ظاهر القاهرة ، وصلى فيه الجمعة . وفيها سار السلطان إلى القاهرة فدخلها في سابع رجب . وفي أواخر رمضان دخل الملك السعيد ابن الظاهر إلى دمشق في طائفة من الجيش ، فأقام بها شهرا ثم عاد . وفي يوم عيد الفطر ختن السلطان ولده خضرا

(١) في شذرات الذهب : أنه حبسه في القلعة وأجرى عليه المآكل المفتخرة حتى مات في محرم

سنة ٦٧٦ وكذلك في النجوم الزاهرة . وفيها أن حبسه كان في شوال سنة ٦٧١

الذي سماه باسم شيخه ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء ، وكان وقتها هائلا . وفيها فوض ملك التتار إلى علاء الدين صاحب الديوان ببيعداد النظر في تسير وأعمالها ، فسار إليها ليتصفح أحوالها فوجد بها شابا من أولاد التجار يقال له «لى» قد قرأ القرآن وشيئا من الفقه والاشارات لابن سينا ، ونظر في النجوم ، ثم ادعى أنه عيسى ابن مريم ، وصدقه على ذلك جماعة من جهلة تلك الناحية ، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاة العصر وعشاء الآخرة ، فاستحضره وسأله عن ذلك فرآه ذكيا ، إنما يفعل ذلك عن قصد ، فأمر به فقتل بين يديه جزاء الله خيرا ، وأمر العوام فتهبوا أمتعه وأمتعة العوام ممن كان اتبعه . ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ مؤيد الدين أبو المعالي الصدر الرئيس ﴾

أسعد بن غالب المظفرى ابن الوزير مؤيد الدين أسعد بن حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي ابن القلانسي ، جاوز التسعين وكان رئيساً كبيراً واسع النعمة ، لا يفعل أن يباشر شيئا من الوظائف وقد أزموه بعد ابن سويد بمباشرة مصالح السلطان فباشرها بلا جامكية ، وكانت وفاته ببستانه ، ودفن بسفح قاسيون يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم . والد الصدر عز الدين حمزة رئيس البلدين دمشق والقاهرة ، وجدهم مؤيد الدين أسعد بن حمزة الكبير كان وزيراً للملك الأفضل علي بن الناصر فاتح القدس ، كان رئيساً فاضلا له كتاب الوصية في الأخلاق المرضية وغير ذلك ، وكانت له يد جيدة في النظم ، فمن ذلك قوله :

يارب جدلي إذا ما ضمني جدئي * برحمة منك تنجيني من النار

أحسن جوارى إذا أمسيت جارك في * لحدي فانك قد أوصيت بالجار

وأما والد حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي فهو العميد ، وكان يكتب جيدا وصنف تاريخا فيما بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى سنة وفاته في خمس وخمسمائة .

﴿ الأمير الكبير فارس الدين أقطاي ﴾

المستعربى أنابك الديار المصرية ، كان أولا مملوكا لابن يمن ، ثم صار مملوكا للصالح أيوب فأمره ، ثم عظم شأنه في دولة المظفر وصار أنابك العساكر ، فلما قتل امتدت أطماع الأمراء إلى المملكة فبايع أقطاي الملك الظاهر فنبهه الجيش على ذلك ، وكان الظاهر يعرفها له ولا ينساها ، ثم قبل وفاته بقليل انهزم عند الظاهر ، ومات في هذه السنة بالقاهرة .

﴿ الشيخ عبد الله بن غانم ﴾

ابن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسي ، له زاوية بنابلس ، وله أشعار رائقة ، وكلام قوى في علم التصوف ، وقد طول اليونيني ترجمته وأورد من أشعاره شيئا كثيرا .

﴿ قاضى القضاة كمال الدين ﴾

أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر بن علي التغلبي الشافعي ، ولد بتفليس سنة إحدى وستائة ، وكان فاضلاً أصولياً مناظراً ، ولى نيابة الحكم مدة ثم استقل بالقضاء في دولة هلاوون - هولوكو - وكان عفيفاً زهواً لم يرد منصباً ولا تدريسا مع كثرة عياله وقلة ماله ، ولما انقضت أيامهم تغضب عليه بعض الناس ثم أئزم بالمسير إلى القاهرة ، فأقام بها يفيد الناس إلى أن توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بالقرافة الصغرى .

﴿ إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن عبد الله ﴾

التنوخى ، وتنوخ من قضاة ، كان صدرا كبيرا ، وكتب الانشاء للناصر داود بن المعظم ، وتولى نظر المارستان النورى وغيره ، وكان مشكورا لسيرة ، وقد أثنى عليه غير واحد ، وقد جاوز الثمانين ، ومن شعره قوله :

خاب رجاء امرئ له أمل * بغير رب السماء قد وصله
أبتغى غيره أخو ثقة * وهو يبطن الأحشاء قد كفله
وله أيضا : خرس اللسان وكل عن * أوصافكم ماذا يقول وأنتم ما أنتم
الأمر أعظم من مقالة قائل * قد تاه عقل أن يعبر عنكم
المعجز والتقصير وصفى دائما * والبر والاحسان يعرف منكم

﴿ ابن مالك صاحب الألفية ﴾

الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائى الحياتى النحوى ، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة ، منها الكافية الشافية وشرحها ، والتسهيل وشرحه ، والألفية التى شرحها ولده بدر الدين شرحا مفيدا . ولد ببحيان سنة ستائة وأقام بحلب مدة ، ثم بدمشق . وكان كثير الاجتماع بابن خلكان وأثنى عليه غير واحد ، وروى عنه القاضى بدر الدين بن جماعة ، وأجاز لشيخنا علم الدين البرزالى . توفي ابن مالك بدمشق ليلة الأربعاء الثانى عشر رمضان ، ودفن بتربة القاضى عز الدين بن الصائغ بقاسيون .

﴿ النصير الطوسى ﴾

محمد بن عبد الله الطوسى ، كان يقال له المولى نصير الدين ، ويقال الخواجه نصير الدين ، اشتغل فى شببته وحصل علم الأوائل جيدا ، وصنف فى ذلك فى علم الكلام ، وشرح الاشارات لابن سينا ، ووزر لأصحاب قلاع الأملوت من الاسماعيلية ، ثم وزر لهولوكو ، وكان معه فى واقعة بغداد ، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولوكوخان بقتل الخليفة فأنه أعلم ، وعندى أن هذا لا يصدر

من عاقل ولا فاضل . وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه ، وقال : كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله ، وهو الذي كان قد بنى الرصد بمراغة ، ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء ، وبنى له فيه قبة عظيمة ، وجعل فيه كتباً كثيرة جداً ، توفي في بغداد في ثاني عشر ذي الحجة من هذه السنة ، وله خمس وسبعون سنة ، وله شعر جيد قوى وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار بن علي المصري المعتزلي المشيع ، فنزع فيه عروق كثيرة منه ، حتى أفسد اعتقاده .

﴿ الشيخ سالم البرقي ﴾

صاحب الرباط بالقرافة الصغرى ، كان صالحاً متعبداً يقصد للزيارة والتبرك بدعائه ، وله اليوم أصحاب معروفون على طريقه .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة ﴾

فيها اطلع السلطان على ثلاثة عشر أميراً منهم قعقار الحموي ، وقد كانوا كاتبوا التتر يدعونهم إلى بلاد المسلمين ، وأنهم معهم على السلطان ، فأخذوا فأقروا بذلك ، وجاءت كتبهم مع البريدية وكان آخر العهد بهم . وفيها أقبل السلطان بالعساكر فدخل بلاد سييس يوم الاثنين الحادي والعشرين من رمضان ، فقتلوا خلقاً لا يعلمهم إلا الله وضمنوا شيئاً كثيراً من الأبقار والأغنام والأثقال والدواب والأنعام ، فبيع ذلك بأرخص ثمن ، ثم عاد فدخل دمشق مؤيداً منصوراً في شهر ذي الحجة فأقام بها حتى دخلت السنة . وفيها نار على أهل الموصل رمل حتى عم الأفق وخرجوا من دورهم يبتهلون إلى الله حتى كشف ذلك عنهم ، والله تعالى أعلم .

﴿ ابن عطاء الحنفي ﴾

قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهيب الأذرعى الحنفي ، ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، سمع الحديث وتفقه على مذهب أبي حنيفة ، وناب في الحكم عن الشافعي مدة ، ثم استقل بقضاء الحنفية أول ما ولي القضاة من المذاهب الأربعة ، ولما وقعت الحوطة على أملاك الناس أراد السلطان منه أن يحكم بها بمقتضى مذهبه ، فغضب من ذلك فقال : هذه أملاك بيد أصحابها ، وما يحل لمسلم أن يتعرض لها ثم نهض من المجلس فذهب ، فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً ، ثم سكن غضبه فكان يثنى عليه بعد ذلك ويمدحه ، ويقول : لا تثبتوا كتباً إلا عنه . كان ابن عطاء من العلماء الأختار كثير التواضع قليل الرغبة في الدنيا ، روى عنه ابن جماعة وأجاز للبرزالي . توفي يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى ، ودفن بالقرب من المعظمية بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

﴿ بيمند بن بيمند بن بيمند ﴾

ابرنس طرابلس الفرنجى ، كان جده نائباً لبنت صيحل الذى تملك طرابلس من ابن عمار فى حدود الخمائة ، وكانت يقيمة تسكن بعض جزائر البحر ، فتغلب هذا على البلاد لبعدها عنه ، ثم استقل بها ولده ثم حفيده هذا ، وكان شكلاً مليحاً . قال قطب الدين اليونينى : رأيتُه فى بعلبك فى سنة ثمان وخمسين وستائة حين جاء مسلماً على كتبغاثوين ، ورام أن يطلب منه بعلبك ، فشق ذلك على المسلمين . ولما توفى دفن فى كنيسة طرابلس ، ولما فتحها المسلمون فى سنة ثمان وثمانين وستائة نبش الناس قبره وأخرجوه منه وألقوا عظامه على المزابل للكلاب .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستائة ﴾

لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الأولى نزل التتار على البيرة فى ثلاثين ألف مقاتل ، خمسة عشر ألفاً من المغول ، وخمسة عشر ألفاً من الروم ، والمقدم على الجميع البرواناه بأسر أبقا ملك التتار ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين والأكراد ، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً ، فخرج أهل البيرة فى الليل فكبسوا عسكر التتار وأحرقوا المنجنيقات ونهبوا شيئاً كثيراً ، ورجعوا إلى بيوتهم سالمين ، فأقام عليها الجيش مدة إلى تاسع عشر الشهر المذكور ، ثم رجعوا عنها بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . ولما بلغ السلطان نزول التتار على البيرة أنفق فى الجيش ستمائة ألف دينار ، ثم ركب سريعاً وفى صحبته ولده السعيد ، فلما كان فى أثناء الطريق بلغه رحيل التتار عنها فعاد إلى دمشق ، ثم ركب فى رجب إلى القاهرة فدخلها فى ثامن عشر فوجد بها خمسة وعشرين رسولاً من جهة ملوك الأرض ينتظرونه فتلقوه وحدثوه وقبلوا الأرض بين يديه ودخل القلعة فى أبهة عظيمة . ولما عاد البرواناه إلى بلاد الروم حلف الأمراء الكبار منهم شرف الدين مسعود وضياء الدين محمود ابنا الخطيرى ، وأمير الدين ميكائيل ، وحسام الدين ميغار ، وولده بهاء الدين ، على أن يكونوا من جهة السلطان الملك الظاهر وينابذوا أبغاً ، فحلفوا له على ذلك ، وكتب إلى الظاهر بذلك ، وأن يرسل إليه جيشاً ويحمل له ما كان يحمله إلى التتار ، ويكون غياث الدين كنجرى على ما هو عليه ، يجلس على تخت مملكة الروم .

وفى هذه السنة استسقى أهل بغداد ثلاثة أيام فلم يسقوا . وفيها فى رمضان منها وجد رجل وامرأة فى نهار رمضان على فاحشة الزنا ، فأمر علاء الدين صاحب الديوان برجمهما فرجما ، ولم يرجم ببغداد قبلهما قط أحد منذ بنيت . وهذا غريب جداً . وفيها استسقى أهل دمشق أيضاً مرتين . فى أواخر رجب وأوائل شعبان - وكان ذلك فى آخر كانون الثانى - فلم يسقوا أيضاً . وفيها أرسل السلطان جيشاً إلى دنقلة فكسر جيش السودان وقتلوا منهم خلقاً وأسروا شيئاً كثيراً من السودان

بمئذ يبيع الرقيق الرأس منها بثلاثة دراهم ، ورهب ملكهم داوداه إلى صاحب النوبة فأرسله إلى الملك الظاهر محتاطاً عليه ، وقرر الملك الظاهر على أهل دنقلة جزية تحمل إليه في كل سنة . كل ذلك كان في شعبان من هذه السنة .

وفيها عقد عقد الملك السعيد بن الظاهر على بنت الأمير سيف الدين قلاوون الأتني ، في الإيوان بمحضرة السلطان والدولة على صداق خمسة آلاف دينار ، تعجل منها ألفاً دينار ، وكان الذي كتبه وقرأه محيي الدين بن عبد الظاهر ، فأعطى مائة دينار ، وخلع عليه . ثم ركب السلطان مسرعاً فوصل إلى حصن الكرك فجمع القيمرية الذين به فاذا هم ستمائة نفر ، فأمر بشنقهم فشفع فيهم عنده فأطلقهم وأجلاهم منه إلى مصر ، وكان قد بلغه عنهم أنهم يريدون قتل من فيه ويقوموا ملكاً عليهم ، وسلم الحصن إلى الطواشي شمس الدين رضوان السهيلي ، ثم عاد في بقية الشهر إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة ثامن عشر الشهر . وفيها كانت زلزلة بأحلاط واتصلت ببلاد بكر .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

الأديب تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن علي التيمي الصرخدي الحنفي ، كان مشهوراً بالفقه والأدب ، والعفة والصلاح ، ونزاهة النفس ومكارم الأخلاق . ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الحديث وروى ، ودفن بمقابر الصوفية في ربيع الآخر منها ، وله ست وتسعون سنة رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام عماد الدين عبدالعزيز بن محمد ﴾

ابن عبد القادر بن عبد الله بن خليل بن مقلد الأنصاري الدمشقي ، المعروف بابن الصائغ ، كان مدرساً بالعندراوية وشاهداً بالخزانة بالقلعة يعرف الحساب جيداً ، وله سماع ورواية ، ودفن بقاسيون ﴿ ابن الساعي المؤرخ ﴾

تاج الدين بن المحتسب المعروف بابن الساعي البغدادي ، ولد سنة ثلاث وتسعين وسمع الحديث واعتنى بالتاريخ ، وجمع وصنف ، ولم يكن بالحافظ ولا بالضابط المتنقن . وقد أوصى إليه ابن النجار حين توفي ، وله تاريخ كبير عندى أكثره ، ومصنفات أخر مفيدة ، وآخر ما صنف كتاب في الزهاد ، كتب في حاشيته زكي الدين عبد الله بن حبيب السكاتب :

ما زال تاج الدين طول المدى * من عمره يعتق في السير

في طلب العلم وتدوينه * وفعله نفع بلا ضير

علا على بتصانيفه * وهذه خاتمة الخير

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستائة ﴾

في ثالث عشر المحرم منها دخل السلطان إلى دمشق وسبق العساكر إلى بلاد حلب ، فلما توافت إليه أرسل بين يديه الأمير بدر الدين الاتابكي بألف فارس إلى البلستين ، فصادف بها جماعة من عسكر الروم فركبوا إليه وحملوا إليه الاقامات ، وطلب جماعة منهم أن يدخلوا بلاد الاسلام فأذن لهم ، فدخل طائفة منهم بيجار وابن الخطير ، فرسم لهم أن يدخلوا القاهرة فتلقاهم الملك السعيد ، ثم عاد السلطان من حلب إلى القاهرة فدخلها في ثاني عشر ربيع الآخر .

وفي خامس جمادى الأولى عمل السلطان عرس ولده الملك السعيد على بنت قلاوون ، واحتفل السلطان به احتفالا عظيما ، وركب الجيش في الميدان خمسة أيام يلعبون ويتطاردون ، ويحمل بعضهم على بعض ، ثم خلع على الأمراء وأرباب المناصب ، وكان مبلغ ما خلع ألف وثلثمائة خلعة بمصر ، وجاءت مراسيمه إلى الشام بالخلع على أهلها ، ومد السلطان سباطا عظيما حضره الخصاص والعام ، والشارد والوارد ، وحبس فيه رسل التتار ورسول الفرنج وعليهم كلهم الخلع الهائلة ، وكان وقتا مشهودا ، وحمل صاحب حماه هدايا عظيمة وركب إلى مصر لتهنئته . وفي حادى عشر شوال طيف بالحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة ، وكان يوما مشهودا .

﴿ وقعة البلستين وفتح قيسارية ﴾

ركب السلطان من مصر في العساكر فدخل دمشق في سابع عشر شوال ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سار حتى دخل حلب في مستهل ذى القعدة ، فأقام بها يوما ورسم لنائب حلب أن يقيم بعسكر حاب على الفرات لحفظ المنائر ، وسار السلطان فقطع الدر بند في نصف يوم ، ووقع سنقر الأشقر في أثناء الطريق بثلاثة آلاف من المغول فهزمهم يوم الخميس تاسع ذى القعدة وصعد العسكر على الجبال فأشرفوا على وطأة البلستين فرأوا التتار قد رتبوا عسكرهم وكانوا أحد عشر ألف مقاتل ، وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخامرتهم ، فلما تراى الجمعان حملت ميسرة التتار فصدمت سناجق السلطان ، ودخلت طائفة منهم بينهم فشقوها ، وسأقت إلى الميمنة ، فلما رأى السلطان ذلك أورد المسلمين بنفسه ومن معه ، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد كادت أن تتحطم فأمر جماعة من الأمراء بآردافها ، ثم حمل العسكر جميعه حملة واحدة على التتار فترجلوا إلى الأرض عن آخروهم ، وقتلوا المسلمين قتلا شديدا ، وصبر المسلمون صبورا عظيما ، فأنزل الله نصره على المسلمين ، فأحاطت بالتتار العساكر من كل جانب ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقتل من المسلمين أيضا جماعة ، وكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير ، وسيف الدين قباز ، وسيف الدين بنجو الجاشنكير ، وعز الدين أيبك الثقفي ، وأسر جماعة من أمراء المغول ، ومن أمراء

ومن أمراء الروم ، وهرب الرواناه فنجأ بنفسه ، ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة ، وأعلم أمراء الروم ملكهم بكسرة التتار على البلستين ، وأشار عليهم بالهزيمة فانهزموا منها وأخلوها ، فدخلها الملك الظاهر وصلى بها الجمعة سابع ذي القعدة ، وخطب له بها ، ثم كر راجعا مؤيدا منصورا . وسارت البشائر إلى البلدان ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله . ولما بلغ خبر هذه الواقعة أبغا جاء حتى وقف بنفسه وجيشه ، وشاهد مكان المعركة ومن فيها من قتلى المعول ، فغاضه ذلك وأعظمه وحنق على الرواناه إذ لم يعلمه بجمالية الحال ، وكان يظن أمر الملك الظاهر دون هذا كله ، واشتد غضبه على أهل قيسارية وأهل تلك الناحية ، فقتل منهم قريبا من مائتي ألف ، وقيل قتل منهم خمسمائة ألف من قيسارية وأرزن الروم ، وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب ، فاننا لله وإنا إليه راجعون .

ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ الشيخ أبو الفضل ابن الشيخ عبيد بن عبد الخالق الدمشقي ﴾

ودفن بالقرب من الشيخ أرسلان . قال الشيخ علم الدين : وكان يذكر أن مولده كان سنة

أربع وستين وخمسمائة ﴿ الطواشي بمن الحبشي ﴾

شيخ الخدم بالحرم الشريف ، كان ديننا عاقلا عدلا صادق اللهجة ، مات في عشر السبعين رحمه الله

[﴿ الشيخ المحدث شمس الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصلي ، ثم الدمشقي الصوفي ، سمع الكثير وكتب الكتب

الكبار بخط رفيع جيد واضح ، جاوز السبعين [^(١)] ودفن بباب الفراديس .

﴿ الشاعر شهاب الدين أبو المكارم ﴾

محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشيباني التلعفري ، صاحب ديوان

الشعر ، جاوز الثمانين ، مات بحمة ، وكان الشعراء مقرين له معترفين بفضله وتقدمه في هذا الفن .

ومن شعره قوله :

لساني طرى منك يا غاية المنى * ومن وهى أنى خطيب وشاعر

فهذا لمعنى حسن وجهك ناظم * وهذا لدمعى فى تجنيك ناشر

﴿ القاضي شمس الدين ﴾

على بن محمود بن على بن عاصم الشهزوري الدمشقي ، مدرس القيميرية بشرط واقفها له ولذريته

[من بعده التدريس من تأهل منهم ، فدرس بها إلى أن توفي في هذه السنة ، ودرس بعده ولده

(١) زيادة من نسخة أخرى بتركيا ومن النسخة المصرية أيضا .

صلاح الدين ، ثم ابن ابنه بعد ابن جماعة ، وطالت مدة حفيده . وقد ولي شمس الدين على نيابة ابن خلكان في الولاية الأولى ، وكان فقيهاً جيداً نقلاً للمذهب ، رحمه الله ^(١) وقد سافر مع ابن العديم لبغداد فسمع بها ودفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن الصلاح .

﴿ الشيخ الصالح العالم الزاهد ﴾

أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن سنجر الكنتاني الحموي له معرفة بالفقه والحديث ، ولد سنة ست وتسعين بحماة ، وتوفى بالقدس الشريف ودفن بمملأ ، وسمع من الفخر ابن عساكر ، وروى عنه ولده قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة .

﴿ الشيخ الصالح جنبد بن محمد المنيفي ﴾

كانت له عبادة وزهادة وأعمال صالحة ، وكان الناس يترددون إلى زيارته بمنين ، وكان يتكلم بكلام كثير لا يفهمه أحد من الحاضرين ، بألفاظ غريبة ، وحكى عنه الشيخ تاج الدين أنه سمعه يقول : ما تقرب أحد إلى الله بمثل الذل له والتضرع إليه ، وسمعه يقول : المولى منفي من طريق الله يعتقد أنه واصل ولو علم أنه منفي رجع عما هو فيه ، لأن طريق القوم من أهل السلوك لا يثبت عليها إلا ذوو العقول الثابتة . وكان يقول : السماع وظيفة أهل البطالة . قال الشيخ تاج الدين : وكان الشيخ جنبد من أهل الطريق وعلماء التحقيق . قال : وأخبرني في سنة إحدى وستين وسبعمائة أنه قد بلغ من العمر خمساً وتسعين سنة . قلت : على هذا فيكون قد جاوز المائة ، لأنه توفى في رمضان من هذه السنة ، ودفن في زاويته المشهورة بقرية منين ، وتردد الناس لقبره يصلون عليه من دمشق وأعمالها أياماً كثيرة رحمه الله .

﴿ محمد بن عبد الرحمن بن محمد ﴾

الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن النويرة السلمي الحنفي ، اشتغل على الصدر سليمان وابن عطاء وفي النحو على ابن مالك ، وحصل وبرع ونظم ونثر ، ودرس في الشبلية والقصاعين ، وطلب لنيابة القضاء فامتنع ، وكتب الكتابة المنسوبة . رآه بعض أصحابه في المنام بعد وفاته فقال : ما فعل الله بك ؟ فأنشأ يقول :

ما كان لي من شافع عنده * غير اعتقادي أنه واحد

وكانت وفاته في جمادى الآخرة ودفن بظاهر دمشق رحمه الله .

﴿ محمد بن عبد الوهاب بن منصور ﴾

شمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلي تلميذ الشيخ محمد الدين ابن تيمية ، وهو أول من

(١) زيادة من نسخة تركية

حكيم بالديار المصرية من الحنابلة نيابة عن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز ، ثم ولى شمس الدين ابن الشيخ العماد القضاء مستقلاً فاستناب به ، ثم ترك ذلك ورجع إلى الشام يشغل ويفتق إلى أن توفي وقد نيف على الستين رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة ﴾

فيها كانت وفاة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك ، وأقام ولده ناصر الدين أبا المعالي محمد بركة خان الملقب السعيد من بعده ، ووفاة الشيخ محيي الدين النووي إمام الشافعية فيها في اليوم السابع من المحرم منها ، ودخل السلطان الملك الظاهر من بلاد الروم وقد كسر التتار على البلستين ، ورجع مؤيداً منصوراً فدخل دمشق وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، فنزل بالقصر الأبلق الذي بناه غربى دمشق بين الميدانين الأخضرين ، وتواترت الأخبار إليه بأن أبغا جاء إلى المعركة ونظر إليها وتأسف على من قتل من المغول وأمر بقتل الرواناه وذكروا أنه قد عزم على قصد الشام ، فأمر السلطان بجمع الأمراء وضرب مشورة فانفق مع الأمراء على ملاقاته حيث كان ، وتقدم بضرب الدهليز على القصر ، ثم جاء الخبر بأن أبغا قد رجع إلى بلاده فأمر برد الدهليز وأقام بالقصر الأبلق يجتمع عنده الأعيان والأمراء والدولة في أسرحال ، وأنعم بال . وأما أبغا فانه أمر بقتل الرواناه - وكان نائبه على بلاد الروم - وكان اسمه معين الدين سليمان ابن على بن محمد بن حسن ، وإنما قتله لأنه اتهمه بممالأته للملك الظاهر ، وزعم أنه هو الذي حسن له دخول بلاد الروم ، وكان الرواناه شجاعاً حازماً كريماً جواداً ، وله ميل إلى الملك الظاهر ، وكان قد جاوز الخمسين لما قتل .

ثم لما كان يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن السلطان المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، عن أربع وستين سنة ، وكان رجلاً جيداً سليم الصدر كريم الأخلاق ، لين الكلمة كثير التواضع ، يعانى ملابس العرب ومراكبهم ، وكان معظماً في الدولة شجاعاً مقداماً ، وقد روى عن ابن الليثي وأجاز للبرزالي . قال البرزالي ويقال إنه سم ، وذكروا غيره أن السلطان الملك الظاهر سمه في كأس خمر ناوله إياه فشربه وقام السلطان إلى المرتفق ثم عاد وأخذ الساقى الكأس من يد القاهر ففلاه وناوله السلطان الظاهر والساقى لا يشعر بشيء مما جرى ، وأنسى الله السلطان ذلك الكأس ، أوظن أنه غيره لأمر يريد الله ويقضيه ، وكان قد بقي في الكأس بقية كثيرة من ذلك السم ، فشرب الظاهر مافي الكأس ولم يشعر حتى شربه فاشتكى بطنه من ساعته ، ووجد الوهج والحرق والكرب الشديد من فورهِ ، وأما القاهر فانه حمل إلى منزله وهو مغلوب فمات من ليلته . وتمرض الظاهر من ذلك أياماً حتى كانت وفاته يوم الخميس بعد الظهر

في السابع والعشرين من المحرم بالقصر الأبلق ، وكان ذلك يوماً عظيماً على الأمراء ، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيديمر وكبار الأمراء والدولة ، فصلوا عليه سرا وجعلوه في تابوت ورفعوه إلى القلعة من السور وجعلوه في بيت من بيوت البحرية إلى أن نقل إلى تربته التي بناها ولده له بعد موته ، وهي دار العقبي تجاه العادلية الكبيرة ، ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة ، وكنتم موته فلم يعلم جمهور الناس به حتى إذا كان العشر الأخير من ربيع الأول ، وجاءت البيعة لولده السعيد من مصر فحزن الناس عليه حزناً شديداً ، وترحموا عليه ترحماً كثيراً ، وجددت البيعة أيضاً بدمشق وجاء تقليد النيابة بالشام مجدداً إلى عز الدين أيديمر نائبها .

وقد كان الملك الظاهر شهماً شجاعاً على الهمة بعيد الغور مقداماً جسوراً معتنياً بأمر السلطنة ، يشفق على الاسلام ، متحلياً بالملك ، له قصد صالح في نصره الاسلام وأهله ، وإقامة شعار الملك ، واستمرت أيامه من يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين إلى هذا الحين ، ففتح في هذه المدة فتوحات كثيرة قيسارية وأرسون وياق والشقيف وإنطاكية وبعراض وطبرية والقصير وحصن الأكراد وحصن عسكا والغرين وصافينا وغير ذلك من الحصون المنيعه التي كانت بأيدي الفرنج ، ولم يدع مع الاسماعيليه شيئاً من الحصون ، وناصر الفرنج على المرقب ، وبانياس وبلاد أنظر سوس ، وسائر ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون ، وولى في نصيبه مما ناصفهم عليه النواب والعمال وفتح قيسارية من بلاد الروم ، وأوقع بالروم والمغول على البلستين بأساً لم يسمع بمثله من دهور متطاولة ، واستعاد من صاحب سيس بلاداً كثيرة ، وجاس خلال ديارهم وحصونهم ، واسترد من أيدي المتغلبين من المسلمين بعلبك وبصرى وصرخد وحمص ومجلون والصلت وتدمر والرحبة وتل باشر وغيرها ، والكرك والشوبك ، وفتح بلاد النوبة بكاملها من بلاد السودان ، وانتزع بلاداً من التتار كثيرة ، منها شيرزور والبيرة ، واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة ، وعمر شيئاً كثيراً من الحصون والمعازل والجسور على الأنهار الكبار ، وبنى دار الذهب بقلعة الجبل ، وبنى قبة على اثني عشر عموداً ملونة مذهبة ، وصور فيها صور خاصكته وأشكالهم ، وحفر أنهاراً كثيرة وخلجانا ببلاد مصر ، منها نهر السرداس ، وبنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدد بناء مسجد رسول الله ﷺ حين احترق ، ووضع الدرازينات حول الحجره الشريفه ، وعمل فيه منبراً وسقفه بالذهب ، وجدد المارستان بالمدينة ، وجدد قبر الخليل عليه السلام ، وزاد في زاويتيه وما يصرف إلى المقيمين ، وبنى على المكان المنسوب إلى قبر موسى عليه السلام قبة قبلي أريحا ، وجدد بالقدس أشياء حسنة من ذلك قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة وغيرها ، وبنى بالقدس خاناً هائلاً بما ملأ ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر ، وعمل فيه طاحوناً وفرناً

وبستانا ، وجعل للواردين إليه أشياء تصرف إليهم في نفقة وإصلاح أمتعتهم رحمه الله . وبنى على قبر أبي عبيدة بالقرب من عممتنا مشهدا ، ووقف عليه أشياء للواردين إليه ، وعمر جسر دامية ، وجدد قبر جعفر الطيار بناحية الكرك ، ووقف على الزائرين له شيئا كثيرا ، وجدد قلعة صفت وجامعها ، وجدد جامع الرملة وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد أخذتها وخربت جوامعها ومساجدها ، وبنى بحلب داراً هائلة ، ودمشق القصر الأبلق والمدرسة الظاهرية وغيرها ، وضرب الدراهم والدنانير الجيدة الخالصة على النصح والمعاملة الجيدة الجارية بين الناس ، فرحمه الله .

وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يكن مالم يبين في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب ، مع اشتغاله في الجهاد في سبيل الله واستخدم من الجيوش شيئا كثيرا ، ورد إليه نحو من ثلاثة آلاف من المغول فأقطعهم وأمر كثيرا منهم ، وكان مقتصدا في ملبسه ومطعمه وكذلك جيشه ، وهو الذي أنشأ الدولة العباسية بعد ثورها ، وبقى الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين ، وهو الذي أقام من كل مذهب قاضيا مستقلا قاضي قضاة . وكان رحمه الله متيقظا شهما شجاعا لا يفتر عن الأعداء ليلا ولا نهاراً ، بل هو مناجز لأعداء الاسلام وأهله ، ولم شعته واجتماع شمله . وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخر عوناً ونصراً للاسلام وأهله ، وشجاً في حلق المارقين من الفرنج والتتار ، والمشركين . وأبطل الخور ونفى الفساق من البلاد ، وكان لا يرى شيئا من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بجهده وطاقته . وقد ذكرنا في سيرته ما أرشد إلى حسن طويته وسيرته ، وقد جمع له كاتبه ابن عبد الظاهر سيرة مطولة ، وكذلك ابن شداد أيضا . وقد ترك من الأولاد عشرة ثلاثة ذكرور وسبعة إناث ومات وعمره ما بين الخمسين إلى الستين ، وله أوقاف وصلات وصدقات ، تقبل الله منه الحسنات ، وتجاوز له عن السيئات والله سبحانه أعلم .

وقام في الملك بعده ولده السعيد بمبايعة أبيه له في حال حياته ، وكان عمر السعيد يومئذ دون العشرين سنة ، وهو من أحسن الأشكال وأتم الرجال ، وفي صفر وصلت الهدايا من الفنس مع رسله إلى الديار المصرية فوجدوا الساطان قد مات ، وقد أقيم الملك السعيد ولده مكانه والدولة لم تتغير ، والمعرفة بعده ما تنكرت ، ولكن البلاد قد فقدت أسدها بل أسدها وأشدها ، بل الذي بلغ أشدها ، وإذا انفتحت ثغرة من سور الاسلام سدها ، وكلما انحلت عقدة من عرى العزائم سدها ، وكلما رامت فرقة مارقة من طوائف الطغام أن تاج إلى حومة الاسلام سدها وردها ، فسأحه الله ، وبل بالرحمة نراه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

وكانت العساكر الشامية قد سارت إلى الديار المصرية ومعهم محفة يظهر أن السلطان بها مريض ، حتى وصلوا إلى القاهرة فجددوا البيعة للسعيد بعد ما أظهر وموت الملك السعيد الذي هو

إن شاء الله شهيد . وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر خطب في جميع الجوامع بالديار المصرية للملك السعيد ، وصلى على والده الملك الظاهر واستهلت عيناه بالدموع . وفي منتصف ربيع الأول ركب الملك السعيد بالعصائب على عادته وبين يديه الجيش بكامله المصرى والشامى ، حتى وصل إلى الجبل الأحمر وفرح الناس به فرحاً شديداً ، وعمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وعليه أبهة الملك ورياسة السلطنة . وفي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت مدرسة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى بالقاهرة ، بحارة الوزيرية على مذهب أبى حنيفة . وعمل فيها مشيخة حديث وقارئ . وبعده يوم عقد عقد ابن الخليفة المستمسك بالله ابن الحاكم بأمر الله ، على ابنة الخليفة المستنصر ابن الظاهر ، وحضر والده والسلطان وجوه الناس . وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى شرع فى بناء الدار التى تعرف بدار العقبى ، تجاه العادلية ، لتجعل مدرسة وترتبة للملك الظاهر ، ولم تكن قبل ذلك إلا داراً للعقبى ، وهى المجاورة لحمام العقبى ، وأسس أساس التربة فى خامس جمادى الآخرة وأستت المدرسة أيضاً .

وفى رمضان طلعت سحابة عظيمة بمدينة صفت لمع منها برق شديد ، وسطع منها لسان نار ، وسمع منها صوت شديد هائل ، ووقع منها على منارة صفت صاعقة شقتهمان أعلاها إلى أسفلها شقايدخل الكف فيه ومن توفى فيها من الأعيان البرواناه فى العشر الأول من المحرم . والملك الظاهر فى العشر الأخير منه ، وقد تقدم شىء من ترجمتهما .

﴿والأمير الكبير بدر الدين بيلبك بن عبد الله﴾

الخزندار نائب الديار المصرية للملك الظاهر ، كان جواداً ممدحاً له إمام ومعرفة بأيام الناس ، والتواريخ ، وقد وقف درساً بالجامع الأزهر على الشافعية ، ويقال إنه سم فمات ، فلما مات انتقض بعده جبل الملك السعيد ، واضطرت أموره .

﴿وقاضى القضاة شمس الدين الحنبلى﴾

محمد ابن الشيخ العماد أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى ، أول من ولى قضاء قضاة الحنابلة بالديار المصرية ، سمع الحديث خصوصاً على ابن طبرزد وغيره ، ورحل إلى بغداد واشتغل بالفقہ ، وتفنى فى علوم كثيرة ، وولى مشيخة سعيد السعداء ، وكان شيخاً مهيباً حسن الشيبة كثير التواضع والبر والصدقة ، وقد اشترط فى قبول الولاية أن لا يكون له عليها جامكية ليقوم فى الناس بالحق فى حكمه ، وقد عزله الظاهر عن القضاء سنة سبعين واعتقله بسبب الودائع التى كانت عنده ، ثم أطلقه بعد سنتين فلزم منزله واستقر بتدريس الصالحية إلى أن توفى فى أواخر المحرم ، ودفن بجند عم الحافظ عبد الغنى بسفح جبل المقطم ، وقد أجاز للبرزالى .

قال الحافظ البرزالي : وفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول ورد الخبر بموت ستة أمراء من الديار المصرية : سنقر البغدادي ، وبسطا البلدي التتري ، وبدر الدين الوزيري ، وسنقر الرومي ، وآق سنقر الفارقاني رحمهم الله .

[الشيخ خضر الكردي شيخ الملك الظاهر]

خضر بن أبي بكر بن موسى الكردي النهرواني العدوي ، ويقال إن أصله من قرية الحمدية من جزيرة ابن عمر ، كان ينسب إليه أحوال ومكاشفات ، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء ، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير إنه سبى الملك ، فلهذا كان الملك الظاهر يعتمده ويبالغ في إكرامه بهد أن ولي المملكة ، ويعظمه تعظيما زائدا ، وينزل عنده إلى زاويته في الأسبوع مرة أو مرتين ، ويستصحبه معه في كثير من أسفاره ، ويلزمه ويحترمه ويستشير به فيشير عليه برأيه ومكاشفات صحيحة مطابقة ، إما رحمانية أو شيطانية ، أو حال أو سعادة ، لكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء ، وكان لا يحتجبن منه ، فوقع في الفتنة . وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة ، ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الأصحاب ، فلا يسلم العبد ألبتة منهم . فلما وقع ما وقع فيه حوقق عند السلطان وتيسرى وقلالون والفراس إقطاي الأتابك ، فاعترف ، فهم بقتله فقال له : إنما بيني وبينك أيام قلائل ، فأمر بسجنه فسجن سنين عديدة من سنة إحدى وسبعين إلى سنة ست وسبعين ، وقدهم بالقدس كنيسة وذبح قسيسها وعملها زاوية وقد قدمنا ترجمته قبل ذلك فيما تقدم ، ثم لم يزل مسجوناً حتى مات في يوم الخميس سادس المحرم من هذه السنة ، فأخرج من القلعة وسلم إلى قرابته فدفن في تربة أنشأها في زاويته . مات وهو في عشر الستين ، وقد كان يكشف السلطان في أشياء ، وإليه تنسب قبة الشيخ خضر التي على الجبل غربي الربوة ، وله زاوية بالقدس الشريف [(١)]

[الشيخ محي الدين النووي]

يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم ، محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستائة ، ونوى قرية من قرى حوران ، وقد قدم دمشق سنة تسع وأربعين ، وقد حفظ القرآن فشرح في قراءة التنبيه ، فيقال إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف ، وقرأ أربع العبادات من المذهب في بقية السنة ، ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً ، فكان يقرأ في كل يوم اثنا عشر درساً على المشايخ ، ثم اعتنى بالتصنيف فجمع شيئاً كثيراً ، منها ما أكله ومنها ما لم يكله ، فمما كمل شرح مسلم والروضة والمنهاج

(١) سقط من النسخة المصرية وقد تقدمت هذه الترجمة في حوادث سنة ٦٧٢ .

والرياض والأذكار والتبيان ، وتحرير التنبيه وتصحيحه ، وتهذيب الأسماء واللغات ، وطبقات الفقهاء وغير ذلك . ومما لم يتممه ولو كمل لم يكن له نظير في باب : شرح المهذب الذي سماه المجموع ، وصل فيه إلى كتاب الربا ، فأبدع فيه وأجاد وأفاد ، وأحسن الانتقاد ، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره ، وحرر الحديث على ما ينبغي ، والغريب واللغة وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه ، وقد جعله نخبة على ما عن له ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه ، على أنه محتاج إلى أشياء كثيرة تزداد فيه وتضاف إليه ، وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحرى والانجراح عن الناس على جانب كبير ، لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره ، وكان يصوم الدهر ولا يجمع بين إدامين ، وكان غالب قوته مما يحمله إليه أبوه من نوى ، وقد باشر تدريس الاقبالية نيابة عن ابن خلكان ، وكذلك ناب في الفلكية والركنية ، وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ، وكان لا يضيع شيئاً من أوقاته ، وحج في مدة إقامته بدمشق ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم . توفى في ليلة أربع وعشرين من رجب من هذه السنة بنوى ، ودفن هناك رحمه الله وعفا عنا وعنه .

﴿ علي بن علي بن أسفنديار ﴾

نجم الدين الواعظ بجامع دمشق أيام السبوت في الأشهر الثلاثة ، وكان شيخ الخانقاه الجهادية وبها توفى في هذه السنة ، وكان فاضلاً بارعاً ، وكان جده يكتب الانشاء للخليفة الناصر ، وأصلهم من بوشنج . ومن شعر نجم الدين هذا قوله :

إذا زار بالجثمان غيرى فأننى * أزور مع الساعات ربك بالقلب
وما كل ناء عن ديار بنازح * ولا كل دان في الحقيقة ذو قرب
﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وسبعمائة ﴾

كان أولها يوم الأربعاء وكان الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد شاماً ومصرًا وحلباً الملك السعيد . وفي أوائل المحرم اشتهر بدمشق ولاية ابن خلكان قضاء دمشق عوداً على بدء في أواخر ذي الحجة ، بعد عزل سبع سنين ، فامتنع القاضي عز الدين بن الصائغ من الحكم في سادس المحرم وخرج الناس لتأقي ابن خلكان ، فنهزم من وصل إلى الرملة وكان دخوله في يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، فخرج نائب السلطنة عز الدين أيدير بجميع الأمراء والمواكب لتلقيه ، وفرح الناس بذلك ، ومدحه الشعراء ، وأنشد الفقيه شمس الدين محمد بن جعفر :
لما تولى قضاء الشام حاكمه * قاضي القضاة أبو العباس ذو الكرم
من بعد سبع شداد قال خادمه * ذا العام فيه يغاث الناس بالنعيم
وقال سعد الله بن مروان الفارقي :

أذقت الشام سبع سنين جدبا * غداة هجرته هجرا جميلا
فلما زرته من أرض مصر * مدت عليه من كفيك نيلا

وقال آخر :

رأيت أهل الشام طرا * ما فيهم قط غير راض
نالهم الخير بعد شر * فالوقت بسط بلا انقباض
وعوضوا فرحة بحزن * قد أنصف الدهر في التقاضى
وسرم بعد طول غم * بدور قاضى وعزل قاضى
وكلهم شاكر وشاك * بحال مستقبل وماض

قال اليونيني : وفي يوم الأربعاء ثالث عشر صفر ذكر الدرس بالظاهرية وحضر نائب السلطنة
أيدمر الظاهري وكان درسا حافلا حضره القضاة ، وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين محمود
ابن الفارقي ، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي ، ولم يكن بناء المدرسة كمل . وفي
جمادى الأولى باشر قضاء الحنفية صدر الدين سليمان المذكور عوضا عن محمد الدين ابن العديم ،
بحكم وفاته ، ثم توفي صدر الدين سليمان المذكور في رمضان وتولى بعده القضاء حسام الدين أبو
الفضائل الحسن بن أنوشروان الرازي الحنفي ، الذي كان قاضيا بملطية قبل ذلك . وفي العشر الأول
من ذي القعدة فتحت المدرسة النجيبية وحضر تدريسها ابن خلكان بنفسه ، ثم نزل عنها لولده كمال
الدين موسى ، وفتحت الخانقاه النجيبية ، وقد كانتا وأوقافهما تحت الحيطه إلى الآن .

وفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة دخل السلطان السعيد إلى دمشق وقد زينت له وعملت له
قباب ظاهرة وخرج أهل البلاد لتلقيه وفرحوا به فرحا عظيما لمحبتهم والده ، وصلى عيد النحر بالميدان ،
وعمل العيد بالقلمة المنصورة ، واستوزر بدمشق صاحب فتح الدين عبدالله بن القيسراني ، وبالديار
المصرية بعد موت بهاء الدين بن الحنا صاحب برهان الدين بن الحضرمي الحسن السنجاري ،
وفي العشر الأخير من ذي الحجة جهز السلطان المساكر إلى بلاد سيدي صحبة الأمير سيف الدين
قلاوون الصالحى ، وأقام السلطان بدمشق في طائفة يسيرة من الأمراء والخاصية والخواص ،
وجعل يكثر التردد إلى الزنبقية وفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة جلس السلطان
بدار العدل داخل باب النصر ، وأسقط ما كان حدده والده على بساتين أهل دمشق ، فتضاعفت له
منهم الأذعية وأحبوه لذلك حبا شديدا ، فانه كان قد أجحف بكثير من أصحاب الأملاك ، وود
كثير منهم لو تخاص من ملكه جملة بسبب ما عليه . وفيها طلب من أهل دمشق خمسين ألف دينار
ضربت أجرة على أملاكهم مدة شهرين ، وجبيت منهم على القهر والعسف .

ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ آقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيبى ﴾

أبو سعيد الصالحى ، أعتقه الملك نجم الدين أيوب الكامل ، وجعله من أكابر الأمراء ، وولاه أستاذ داريته ، وكان يثق إليه ويعتمد عليه ، وكان مولده فى سنة تسع أو عشر وستمائة ، وولاه الملك الظاهر أيضاً أستاذ داريته ، ثم استنابه بالشام تسع سنين ، فأتخذ فيها المدرسة النجيبية ووقف عليها أوقافاً دارة واسعة ، لكن لم يقرر للمستحقين قدرأ يناسب ماوقفه عليهم ، ثم عزله السلطان واستدعاه لمصر فأقام بها مدة بطالا ، ثم مرض بالفالج أربع سنين ، وقد عادته فى بعضها الملك الظاهر ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرج الملوخية ، ودفن يوم الجمعة قبيل الصلاة بترتبه التى أنشأها بالقرافة الصغرى ، وقد كان بنى لنفسه تربة بالنجيبية ، وفتح لها شبكاتين إلى الطريق ، فلم يقدر دفنه بها . وكان كثير الصدقة محبا للعلماء محسنا إليهم ، حسن الاعتقاد . شافى المذهب ، متغاليا فى السنة ومحبة الصحابة وبنفس الروافض ، ومن جملة أوقافه الحسان البستان والاراضى التى أوقفها على الجسورة التى قبلى جامع كريم الدين اليوم ، وعلى ذلك أوقاف كثيرة ، وجعل النظر فى أوقافه لابن خلكان .

﴿ أيديكين بن عبد الله ﴾

الامير الكبير علاء الدين الشهابى ، واقف اخانقاه الشهابية ، داخل باب الفرج . كان من كبار الأمراء بدمشق ، وقد ولاه الظاهر بحلب مدة ، وكان من خيار الأمراء وشجعانهم ، وله حسن ظن بالفقراء والاحسان إليهم ، ودفن بتربة الشيخ عمار الرومى بسفح قاسيون ، فى خامس عشر ربيع الأول ، وهو فى عشر الحسين ، وخانقاه داخل باب الفرج ، وكان لها شبك إلى الطريق . والشهابى نسبة إلى الطواشى شهاب الدين رشيد الكبير الصالحى .

﴿ قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز ﴾

ابن وهيب أبو الربيع الحنفى شيخ الحنفية فى زمانه ، وعلمهم شرقا وغربا ، أقام بدمشق مدة يفتى ويدرس ، ثم انتقل إلى الديار المصرية يدرس بالصالحية ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالظاهرية ، وولى القضاء بعد محمد الدين بن العديم ثلاثة أشهر ، ثم كانت وفاته ليلة الجمعة سادس شعبان ، ودفن فى الغد بعد الصلاة بداره بسفح قاسيون ، وله ثلاث وثمانون سنة ، ومن لطيف شعره فى مملوك تزوج جارية للملك المعظم .

يا صاحبي قفالى وانظرا عجبا * أتى به الدهر فينا من عجائبه

البدرا أصبح فوق الشمس منزلة * وما العلو عليها من مراتبه

أضحى يماثلها حسنا وشاركها * كفوا وسار إليها في مواكبها
فأشكل الفرق لولا وثى نمنمة * بصدغه واخضرار فوق شاربه
﴿ طه بن إبراهيم بن أبي بكر كمال الدين الهمداني ﴾

الأربلي الشافعي ، كان أديبا فاضلا شاعرا ، له قدرة في تصديف رو بيت ، وقد أقام بالقاهرة حتى
توفي في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد اجتمع مرة بالملك الصالح أيوب ، فجمع يتكلم في علم
النجوم فأنشده على البديهة هذين البيتين :

دع النجوم لطرقى يعيش بها * وبالعزيزمة فانفض أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا * عن النجوم وقد أبصرت ماملوكوا
وكتب إلى صاحب له اسمه شمس الدين يستزيره بعد رمد أصابه فبرأ منه :
يقول لى الكحال عينك قد هدت * فلا تشغلن قلبا وطب بها نفسا
ولى مدة يا شمس لم أركم بها * وآية برء العين أن تبصر الشمس
﴿ عبد الرحمن بن عبد الله ﴾

ابن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عفان جمال الدين ابن الشيخ نجم الدين البادراني
البغدادى ثم الدمشقي ، درس بمدرسة أبيه من بعده حتى حين وفاته يوم الأربعاء سادس رجب ، ودفن
بسفح قاسيون ، وكان رئيسا حسن الأخلاق جاوز خمسين سنة .

﴿ قاضى القضاة مجد الدين عبد الرحمن بن جمال الدين ﴾

عمر بن أحمد بن العديم ، الحلبي ، ثم الدمشقي الحنفي ، ولى قضاء الحنفية بعد ابن عطاء بدمشق ،
وكان رئيسا ابن رئيس ، له إحسان وكرم أخلاق ، وقد ولى الخطابة بجامع القاهرة الكبير ، وهو أول
حنفي ولىه ، توفي بجوسقه بدمشق في ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بالتربة التي أنشأها عند
زاوية الحريرى على الشرف القبلى غربى الزيتون

﴿ الوزير ابن الحنا ﴾

على بن محمد بن سليم بن عبد الله صاحب بهاء الدين أبو الحسن بن الحنا الوزير المصرى ، وزير
الملك الظاهر وولده السعيد إلى أن توفي في سلخ ذى القعدة ، وهو جد جيد ، وكان ذا رأى وعزم
وتدبير ذا تمكن فى الدولة الظاهرية ، لا تمضى الأمور إلا عن رأيه وأمره ، وله مكارم على الامراء
وغيرهم ، وقد امتدحه الشعراء ، وكان ابنه تاج الدين وزير الصحبة ، وقد صودر فى الدولة السعيدية .

﴿ الشيخ محمد ابن الظهير اللغوى ﴾

محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الاربلى الحنفي المعروف بابن

الظهير ، ولد بار بل سنة ثنتين وستمئة ، ثم أقام بدمشق ودرس بالقامازية وأقام بها حتى توفي بها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان بارعاً في النحو واللغة ، وكانت له يد طويلة في النظم وله ديوان مشهور ، وشعر رائق ، فن شعره قوله :

كل حى إلى الممات ما به * ومدى عمره سريع ذهابه
 يخرب الدار وهى دار بقاء * ثم يبني ما عما قريب خرابه
 عجباً وهو فى التراب غريق * كيف يلميه طيبه وعلايه ؟
 كل يوم يزيد نقصاً وإن عم * رحلت أوصاله أوصابه
 والورى فى مراحل الدهر ركب * دائم السير لا يرجى إياه
 فتزود إن التقى خير زاد * ونصيب اللبيب منه لبابه
 وأخواله من يقضى بصدق * شيبته فى صلاحه وشبابه
 وأخو الجهل يستلذ هوى النف * س فيغدو شهداً لديه مصابه

وهى طويلة جداً قريبة من مائة وخمسين بيتاً ، وقد أورد الشيخ قطب الدين شيئاً كثيراً من

شعره الحسن الفائق الرائق . ﴿ ابن إسرائيل الحريرى ﴾

محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين بن نجم الدين أبو المعالي الشيباني الدمشقي ، ولد فى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول سنة ثلاث وستمئة ، وصحب الشيخ على بن أبي الحسن بن منصور اليسرى الحريرى ، فى سنة ثمان عشرة ، وكان قد لبس الخرقة قبله من الشيخ شهاب الدين السهروردى ، وزعم أنه أجلسه فى ثلاث خلوات ، وكان ابن إسرائيل يزعم أن أهله قدموا الشام مع خالد بن الوليد فاستوطنوا دمشق ، وكان أديباً فاضلاً فى صناعة الشعر ، بارعاً فى النظم ، ولكن فى كلامه ونظمه ما يشير به إلى نوع اللول والاتحاد على طريقة ابن عربى وابن الفارض وشيخه الحريرى ، والله أعلم بحاله وحقيقة أمره . توفى بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر هذه السنة ، عن أربع وسبعين سنة ، ودفن بتربة الشيخ رسلان معه داخل القببة ، وكان الشيخ رسلان شيخ الشيخ على المغربلى الذى تخرج على يديه الشيخ على الحريرى شيخ ابن إسرائيل ، فن شعره قوله :

لقد عادنى من لا عجب الشوق عائد * فهل عهد ذات الخلال بالسفح عائد ؟
 وهل نارها بالأجرع الفرد تغلى * لمنفرد شاب الدجى وهو شاهد ؟
 نديمى من سمعدى أديراً حديثها * فذكرى هواها والمدامة واحد
 منعمة الأطراف رقت محاسنا * حلى لى فى جنبها ما أكابد

فلبدر ما لانت عليه خمارها * وللشمس ما جالت عليه القلائد
 أيها المعتاض بالنوم السهر * ذاهلا يسبح في بحر الفكر
 سلم الأمر إلى مالكة * واصطبر فالصبر عقباه الظفر
 لا تكونن آيسا من فرج * إنما الأيام تأتي بالعبير
 كدر يحدث في وقت الصفا * وصفي يحدث في وقت الكدر
 وإذا ما ساء دهر مرة * سر أهليه ومهما ساء سر
 فارض عن ربك في أقداره * إنما أنت أسير للقدر

وله قصيدة في مدح النبي ﷺ طويلة حسنة سمعها الشيخ كمال الدين ابن الزملي وأصحابه
 على الشيخ أحمد الاعقف عنه ، وأورد له الشيخ قطب الدين اليونيني أشعارا كثيرة . فمنها قصيدته
 الدالية المطولة التي أولها :

وافى لي من أهواه جهراً لم وعدى * وأرغم عدالي عليه وحسدى
 وزار على شط المزار مطولا * على مغرم بالوصل لم يتعود
 فيا حسن ما أهدى لعيني جماله * ويا بردما أهدى إلى قلبي الصدى
 ويا صدق أحلامي ببشرى وصاله * ويا نيل آمالي ويا نجيح مقصدي
 تجلى وجودي إذ تجلى لباطني * بجهد سعيد أو بسعد مجدد
 لقد حق لي عشق الوجود وأهله * وقد علفت كفاي جمعا بموجدي
 ثم تغزل فأطال إلى أن قال :

فلما تجلى لي على كل شاهد * وسامرني بالرمز في كل مشهد
 تجنبت تقييد الجمال ترفعا * وطالعت أسرار الجمال المبدد
 وصار سماعي مطلقا منه بدوه * وحاشي لمثلي من سماع مقيد
 فني كل مشهود لقابي شاهد * وفي كل مسموع له لحن معبد
 ثم قال : وصل في مشاهد الجمال

أراه بأوصاف الجمال جميعها * بغير اعتقاد للحلول المبعد
 فني كل هيفاء المعاطف غادة * وفي كل مصقول السوالف أغيد
 وفي كل بدر للاح في ليل شعره * على كل غصن مائس العطف أمدد
 وعند اعتناق كل قدي مهفهب * ورشقي رضابا كالرحيق المبرد
 وفي الدر والياقوت والطيب والحلا * على كل ساجي الطرف لدن المقلد

وفي حلال الأثواب راقت لناظري * بزبرجها من مذهب ومورد
 وفي الراح والريحان والسمع والغنا * وفي سجع ترجيع الحمام المفرد
 وفي الدوح والأنهار والزهر والندى * وفي كل بستان وقصر مشيد
 وفي الروضة الفيحاء تحت ممانها * يضاحك نور الشمس نوارها الندى
 وفي صفو رقرق الغدير إذا حكي * وقد جمعدته الريح صفحة مبرد
 وفي اللهو والأفراح والغفلة التي * تمكن أهل الفرق من كل مقصد
 وعند انتشار الشرب في كل مجلس * بهيج بأنواع الثمار المنضد
 وعند اجتماع الناس في كل جمعة * وعيد وإظهار الرياض المجدد
 وفي لمعان المشرفيات بالوغى * وفي ميل أعطاف القنا المتأود

المظاهر العلوية

وفي الاعوجيات العتاق إذا انبرت * تسابق وفد الريح في كل مطرد
 وفي الشمس تحكي وهي في برج نورها * لدى الافق الشرقى مرآة عسجد
 وفي البدر بدر الأفق ليلة تمه * جلته سماء مثل صرح ممرد
 وفي أنجم زانت دجاها كأنها * نثار لآل في بساط زبرجد
 وفي الغيث روى الأرض بعد مهورها * قبال نداء متهم بعد منجد
 وفي البرق يبدو موهنا في سحابه * كباسم ثغر أو حسام مجرد
 وفي حسن تنميق الخطاب وسرعة الج * واب وفي الخط الأنيق المجود

المظاهر المعنوية

ثم قال :

وفي رقة الأشعار راقت لسامع * بدائمها من مقصر ومقصد
 وفي عود عيد الوصل من بعد جفوة * وفي أمن أحشاء الطريد المشرد
 وفي رحمة المعشوق شكوى محبه * وفي رقة الألفاظ عند التودد
 وفي أريحيات الكريم إلى الندى * وفي عاطفات العفو من كل سيد
 وحالة بسط العارفين وأنسهم * وتحريكهم عند السماع المقيد
 وفي لطف آيات الكتاب التي بها * تنسم روح الوعد بعد التواعد

المظاهر الجلالية

ثم قال :

كذلك أوصاف الجلال مظاهر * أشاهده فيها بغير تردد
 ففي سطوة القاضي الجليل وصمته * وفي سطوة الملك الشديد المررد

وفي حدة الغضبان حالة طيشه * وفي نخوة القرم المهيب المسود
 وفي صولة الصهباء جاز مديرها * وفي بؤس أخلاق النديم المرعب
 وفي الحر والبرد اللذين تقسا الزمان * وفي إيلام كل محسد
 وفي سر تسليط النفوس بشرها * على وتحسين التعدى لمعتدى
 وفي عسر العادات يشعر بالقضا * وتكحيل عين الشمس منه بأمد
 وعند اصطدام الخليل في كل موقف * يعثر فيه بالوشيح المنضد
 وفي شدة الليث الصؤول وبأسه * وشدة عيش بالسقام منكذ
 وفي جفوة المحبوب بعد وصاله * وفي غدره من بعد وعد مؤكد
 وفي روعة البين المسىء وموقف الـ * وداع لحران الجوانح مكذ
 وفي فرقة الألف بعد اجتماعهم * وفي كل تشتيت وشمل مبدد
 وفي كل دار أقفرت بعد أنسها * وفي طلل بال ودارس معمد
 وفي هول أمواج البحار ووحشة الـ * قفار وسيل بالمزاييب مزبد
 وعند قيامى بالفرائض كلها * وحالة تسليم لسر التعبد
 وعند خشوعى فى الصلاة لعزة الـ * مناجى وفي الاطراق عند التهجد
 وحالة إهلال الحجيج بحجهم * وأعمالهم للعيش فى كل فدند
 وفي عسر تخايص الحلال وفترة الـ * ملال لقلب الناسك المتعبد

المظاهر الكجالية

وفي ذكريات العذاب وظلمة الـ * حجاب وقبض الناسك المتزهد
 ويبدو بأوصاف الكمال فلا أرى * برؤيته شيئاً قبيحاً ولا ردى
 فكل مسيء لى إلى كمحسن * وكل مضل لى إلى كمرشد
 فلا فرق عندى بين أنس ووحشة * ونور وإظلام ومدن ومبعد
 وسيان إفطارى وصومى وفترتى * وجهدى ونومى وادعاء تهجدى
 أرى تارة فى حانة الخمر خالعا * عندارى وطوراً فى حنية مسجد
 تجلى لسرى بالحقيقة مشرب * فوققى ممزوج بكشف مسرمد
 تعمرت الاوطان بى وتحققت * مظاهرها عندى بعينى ومشهدى
 وقلبى على الاشياء أجمع قلب * وشربى مقسوم على كل مورد
 فهيسكل أوئان ودير لراهب * وبيت لنيران وقبلة معبدى

ومسرح غزلان وحانة قهوة * وروضة أزهار ومطلع أسعد
 وأسرار عرفان ومفتاح حكمة * وأنفاس وجدان وفيض تبدل
 وجيش لضرغام وخدر لكعاب * وظلمة جيران ونور لمهتدي
 تقابلت الاضداد عندي جميعها * لمحنة مجهود ومنحة مجتدي
 وأحكمت تقرير المراتب صورة * ومعنى ومن عين التفرد موردي
 فما موطن إلا ولى فيه موقف * على قدم قامت بحق التفرد
 فلا غرو إن فت الانام جميعهم * وقد علقت بجبل من جبال محمد
 عليه صلاة الله تشفع دائما * بروح تحيات السلام المردد

✽ ابن العود الرافضى ✽

أبو القاسم الحسين بن العود نجيب الدين الأسدى الحلى ، شيخ الشيعة وإمامهم وعالمهم في
 أنفسهم ، كانت له فضيلة ومشاركة في علوم كثيرة ، وكان حسن المحاضرة والمعاشرة ، لطيف النادرة ،
 وكان كثير التعبد بالليل ، وله شعر جيد . ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وتوفي في رمضان من هذه
 السنة عن ست وتسعين سنة ، والله أعلم بأحوال عبادته وسرائرهم ونياتهم .

✽ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستائة ✽

كان أولها يوم الأحد والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها ، وقد اتفق في هذه السنة
 أمور عجيبة ، وذلك أنه وقع الخلف بين الممالك كلها ، اختلفت التتار فيما بينهم واقتتلوا فقتل منهم خلق
 كثير ، واختلفت الفرنج في السواحل وصال بعضهم على بعض وقتل بعضهم بعضا ، وكذلك الفرنج
 الذين في داخل البحور وجزائرها ، فاختلفوا واقتتلوا ، وقتلت قبائل الأعراب بعضها في بعض
 قتالا شديداً ، وكذلك وقع الخلف بين العشير من الحوارة وقامت الحرب بينهم على ساق ، وكذلك
 وقع الخلف بين الأمراء الظاهرية بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لما بعث الجيش
 إلى سويس أقام بعده بدمشق وأخذ في اللهو واللعب والانبساط مع الخصاصكية ، وتمكنوا من الأمور ،
 وبعد عنه الامراء الكبار ، ففضبت طائفة منهم وناذروه وفارقوه وأقاموا بطريق العساكر الذين توجهوا
 إلى سويس وغيرهم ، فرجعت العساكر إليهم فلما اجتمعوا شعثوا قلوبهم على الملك السعيد ، ووحشوا
 خواطر الجيش عليه ، وقالوا الملك لا ينبغي له أن يلعب ويلهو ، وإنما همة الملوك في العدل ومصالح
 المسلمين والذب عن حوزتهم ، كما كان أبوه . وصدقوا فيما قالوا ، فان لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل
 على زوال النعم وخراب الملك ، وفساد الرعية . ثم راسله الجيش في إبعاد الخصاصكية عنه ودنو ذوى
 الاحلام والنهى إليه كما كان أبوه ، فلم يفعل ، وذلك أنه كان لا يمكنه ذلك لقوة شوكة الخصاصكية

وكثرتهم ، فركب الجيش وساروا قاصدين مرج الصفر ، ولم يمكنهم العبور على دمشق بل أخذوا من شرقها ، فلما اجتمعوا كلهم بمرج الصفر أرسل السلطان أمه إليهم فتلقوها وقبلوا الأرض بين يديها ، فأخذت تتألفهم وتصلح الأمور ، فأجابوها واشترطوا شروطاً على ولدها السلطان ، فلما رجعت إليه لم يلتزم بها ولم تمكنه الخاصكية من ذلك ، فسارت العساكر إلى الديار المصرية ، فساق السلطان خلفهم إبتلافي الأمور قبل تفاقمها وانفراطها ، فلم يلحظهم وسبقوه إلى القاهرة ، وقد كان أرسل أولاده وأهله ونقله إلى الكرك فحصنهم فيها ، وركب في طائفة من الجيش الذين بقوا معه والخاصكية إلى الديار المصرية ، فلما اقترب منها صدوه عنها وقاتلوه فقتل من الفريقين نفر يسير ، فأخذ بعض الأمراء فشق به الصفوف وأدخله قلعة الجبل ليسكن الأمر ، فما زادهم ذلك إلا نفوراً ، فحاصروا حينئذ القلعة وقطعوا عنها الماء ، وجرت خطوب طويلة وأحوال صعبة . ثم اتفق الحال بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي الصالحى - وهو المشار إليه حينئذ - أن يترك الملك السعيد الملك ويتعوض بالكرك والشوبك ، ويكون في صحبته أخوه نجم الدين خضر ، وتكون المملكة إلى أخيه الصغير بدر الدين سلامش ، ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابكه .

﴿ ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سلامش ﴾

لما اتفق الحال على ما ذكرنا نزل السلطان الملك السعيد من القلعة إلى دار العدل في سابع عشر الشهر ، وهو ربيع الآخر ، وحضر القضاة والدولة من أولى الحل والعقد ، فخلع السعيد نفسه من السلطنة وأشهدهم على نفسه بذلك ، وبايعوا أخاه بدر الدين سلامش ولقب بالملك العادل ، وعمره يومئذ سبع سنين ، وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي الصالحى ، وخطب له الخطباء وسمت السكة باسمهما ، وجعل لأخيه الكرك ولأخيه خضر الشوبك ، وكتبت بذلك مكاتيب ، ووضع القضاة والمفتيون خطوطهم بذلك ، وجاءت البريدية إلى الشام بالتحليف لهم على ما حلف عليه المصريون . ومسك الأمير أيمن نائب الشام الظاهرى واعتقل بالقلعة عند نائبها ، وكان نائبها إذ ذاك علم الدين سنجر الدوادارى ، وأحيط على أموال نائب الشام وحواصله ، وجاء على نيابة الشام الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى أبهة عظيمة ، وتحكم مكين ، فنزل بدار السعادة وعظمه الناس وعاملوه معاملة الملوك ، وعزل السلطان قضاة مصر الثلاثة الشافعى والحنفى والمالكى ، ولوا القضاء صدر الدين عمر بن القاضى تاج الدين بن بنت الاعز عوضاً عن الشافعى ، وهو تقي الدين بن رزين وكانهم إنما عزلوه لانه توقف فى خلع الملك السعيد والله أعلم .

﴿ ذكر بيعه الملك المنصور قلاوون الصالحى ﴾

لما كان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من رجب اجتمع الأمراء بقلعة الجبل من مصر وخلصوا

الملك العادل سلامش ابن الظاهر ، وأخرجوه من اليمن ، وإنما كانوا قد بايعوه صورة ليسكن الشرع عند خلع الملك السعيد ، ثم اتفقوا على بيعه الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولقبوه الملك المنصور ، وجاءت البيعة إلى دمشق فوافق الأمراء وحلفوا ، وذكر أن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر لم يحلف مع الناس ولم يرض بما وقع ، وكأنه داخله حسد من المنصور ، لأنه كان يرى أنه أعظم منه عند الظاهر . وخطب للمنصور على المنابر في الديار المصرية والشامية ، وضربت السكة باسمه ، وجرت الأمور بمقتضى رأيه فمزل وولى ونفذت مراسيمه في سائر البلاد بذلك ، فعزل عن الوزارة برهان الدين السنجارى وولى مكانه نغر الدين ابن لقمان كاتب السر ، وصاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية .

وفي يوم الخميس الحادى عشر من ذى القعدة من هذه السنة توفى الملك السعيد ابن الملك الظاهر بالكرك وسيأتى ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . وفيها حمل الأمير أيدير الذى كان نائب الشام في محفة لمرض لحقه إلى الديار المصرية ، فدخلها في أواخر ذى القعدة ، واعتقل بقلعة مصر .

﴿ ذكر سلطنة سنقر الأشقر بدمشق ﴾

لما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذى القعدة ركب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من دار السعادة بعد صلاة العصر وبين يديه جماعة من الامراء والجنود مشاة ، وقصد باب القلعة الذى بلى المدينة ، فهجم منه ودخل القلعة واستدعى الأمراء فبايعوه على السلطنة ، ولقب بالملك الكامل ، وأقام بالقلعة ونادت المنادية بدمشق بذلك ، فلما أصبح يوم السبت استدعى بالقضاة والعلماء والاعيان ورؤساء البلد إلى مسجد أبى الدرداء بالقلعة ، وحلفهم وحلف له بقية الامراء والعسكر ، وأرسل العساكر إلى غزة لحفظ الأطراف وأخذ الغلات ، وأرسل الملك المنصور إلى الشوبك فتسلمها نوابه ولم يمانعهم نجم الدين خضر . وفيها جددت أربع أضلاع في قبة النسر من الناحية الغربية . وفيها عزل فتح الدين بن القيسرانى من الوزارة بدمشق وولياها تقي الدين بن توبة التكريقى . ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ عز الدين بن غانم الواعظ ﴾

عبد السلام بن أحمد بن غانم بن على بن إبراهيم بن عساكر بن حسين عز الدين أحمد الأنصارى المقدسى ، الواعظ المطبق المفلح الشاعر الفصيح ، الذى نسج على منوال ابن الجوزى وأمثاله ، وقد أورد له قطب الدين أشياء حسنة كثيرة مليحة ، وكان له قبول عند الناس ، تكلم مرة تجاه الكعبة المعظمة ، وكان فى الحضرة الشيخ تاج الدين بن الفزارى والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وابن العجيل من اليمن وغيرهم من العلماء والعباد ، فأجاد وأفاد وخطب فأبلغ وأحسن . نقل هذا المجلس الشيخ تاج الدين بن الفزارى ، وأنه كان فى سنة خمس وسبعين .

﴿ الملك السعيد بن الملك الظاهر ﴾

بركة خان ناصر الدين محمد بن بركة خان أبو المعالي ابن السلطان الملك الظاهر . ركن الدين بيبرس البندقدارى ، بايع له أبوه الأمراء في حياته ، فلما توفي أبوه بويع له بالملك وله تسع عشرة سنة ، ومشيت له الأمور في أول الأمر على السعادة ، ثم إنه غلبت عليه الخاصكية فجعل يلعب معهم في الميدان الأخضر فيما قيل أول هوى ، فرجما جاءت النوبة عليه فينزل لهم ، فأنكرت الأمراء الكبار ذلك وأنفوا أن يكون ملكهم يلعب مع الغلمان ، ويجعل نفسه كأحدهم ، فراسلوه في ذلك ليرجع عما هو عليه فلم يقبل ، فخلعوه كما ذكرنا ، وولوا السلطان الملك المنصور قلاوون في أواخر رجب كما تقدم . ثم كانت وفاته في هذه السنة بالكرك في يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة ، يقال إنه سم فأنه أعلم ، وقد دفن أولا عند قبر جعفر وأصحابه الذين قتلوا بموته ، ثم نقل إلى دمشق فدفن في تربة أبيه سنة ثمانين وستمائة ، وتملك الكرك بعده أخوه نجم الدين خضر وتلقب بالملك المسعود ، فانتزعها المنصور من يده كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة ﴾

كان أولها يوم الخميس ثالث إيار ، والخليفة الحاكم بأمر الله وملك مصر الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وبعض بلاد الشام أيضا ، وأما دمشق وأعمالها فقدملكها سنقر الأشقر ، وصاحب الكرك الملك المسعود بن الظاهر ، وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود ، والمراة وبلاد الجزيرة وخراسان والموصل وإربل وأذربيجان وبلاد بكر وخلاط وما والاها وغير ذلك من البلاد بأيدي التنار ، وكذلك بلاد الروم في أيديهم أيضا ، ولكن فيها غياث الدين بن ركن الدين ، ولا حكم له سوى الاسم ، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر ، وصاحب الحرم الشريف نجم الدين بن أبي نبي الحسى ، وصاحب المدينة عز الدين ججاز بن شيعه الحسى .

ففي مستهل السنة المذكورة ركب السلطان الملك الكامل سنقر الأشقر من القلعة إلى الميدان وبين يديه الأمراء ومقدموا الحلقة الفساشية ، وعليهم الخلع والقضاة والاعيان ركاب معه ، فسير في الميدان ساعة ثم رجع إلى القلعة ، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ملك العرب ، فقبل الأرض بين يديه ، وجلس إلى جانبه وهو على السباط ، وقام له الكامل ، وكذلك جاء إلى خدمته ملك الإعراب بالحجاز ، وأمر الكامل سنقر أن تضاف البلاد الحلبية إلى ولاية القاضى شمس الدين بن خلدكان ، وولاه تدريس الأمينية وانتزعها من ابن سنى الدولة .

ولما بلغ الملك المنصور بالديار المصرية ما كان من أمر سنقر الأشقر بالشام أرسل إليه جيشا كثيفا فهزموا عسكر سنقر الأشقر الذى كان قد أرسله إلى غزة ، وساقوهم بين أيديهم حتى وصل جيش

المصريين إلى قريب دمشق ، فأمر الملك الكامل أن يضرب دهلنزه بالجسورة ، وذلك في يوم
 الاربعاء ثاني عشر صفر ، ونهض بنفسه وبين معه فنزل هنالك واستخدم خلقا كثيرا وأنفق أموالا
 جزيلة ، وانضاف إليه عرب الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، وشهاب الدين أحمد بن حجي ،
 وجاءته نجدة حاب ونجدة حماة ورجال كثيرة من رجال بعلبك ، فلما كان يوم الأحد السادس
 عشر من صفر أقبل الجيش المصري صحبة الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، فلما تراء الجمعان وتقابل
 الفريقان تقاتلوا إلى الرابعة في النهار ، فقتل نفر كثير وثبت الملك الكامل سنقر الأشقر ثباتا جيدا ،
 ولكن خامر عليه الجيش فنهزم من صار إلى المصري ومنهم من انهزم في كل وجه ، وتفرق عنه أصحابه
 فلم يسهه إلا الانهزام على طريق المرح في طائفة يسيرة ، في صحبة عيسى بن مهنا ، فسار بهم إلى بركة
 الرحبة فأنزلهم في بيوت من شعر ، وأقام بهم وبدوا بهم مدة مقامهم عنده ، ثم بعث الأمراء الذين
 انهزموا عنه فأخذوا لهم أمانا من الأمير سنجر ، وقد نزل في ظاهر دمشق وهي مغلوقة ، فراسل
 نائب القلعة ولم يزل به حتى فتح باب الفرج من آخر النهار ، وفتحت القلعة من داخل البلد فسلمها
 للمنصور وأفرج عن الأمير ركن الدين بيبرس العجمي المعروف بالخاق ، والأمير لاجين حسام الدين
 المنصوري وغيرهم من الأمراء الذين كان قد اعتقلهم الأمير سنقر الأشقر ، وأرسل سنجر البريدية
 إلى الملك المنصور يعلمونه بصورة الحال ، وأرسل سنجر بثلاثة آلاف في طلب سنقر الأشقر .
 وفي هذا اليوم جاء ابن خلكان ليسلم على الأمير سنجر الحلبي فاعتقله في علو الخانقاه النجيبية ،
 وعزله في يوم الخميس العشرين من صفر ، ورسم للقاضي نجم الدين بن سني الدولة بالقضاء فباشره ،
 ثم جاءت البريدية معهم كتاب من الملك المنصور قلاوون بالعتب على طوائف الناس ، والعفو عنه
 كلهم ، فتضاعفت له الادعية ، وجاء تقليد النيابة بالشام للأمير حسام الدين لاجين السلحداري
 المنصوري ، فدخل معه علم الدين سنجر الحلبي فرتبته في دار السعادة ، وأمر سنجر القاضي ابن خلكان
 أن يتحول من المدرسة العادلية الكبيرة ليسكنها نجم الدين بن سني الدولة ، وألح عليه في ذلك ،
 فاستدعى جمالا لينقل أهله وثقله عليها إلى الصالحية فجاء البريد بكتاب من السلطان فيه تقرير
 ابن خلكان على القضاء والعفو عنه وشكره والثناء عليه ، وذكر خدمته المتقدمة ، ومعه خلعة سنية له
 فلبسها وصلى بها الجمعة وسلم على الأمراء فأكرموه وعظموه ، وفرح الناس به وبما وقع من الصفيح عنه .
 وأما سنقر الأشقر فانه لما خرجت العساكر في طلبه فارق الأمير عيسى بن مهنا وسار إلى
 السواحل فاستحوذ منها على حصون كثيرة ، منها صهيون ، وقد كان بها أولاده وحواصله ، وحصن
 بلاطس وبرزية وعسكا وجبله واللاذقية ، والشفر بسكس وشيزر واستناب فيها الأمير عز الدين
 ازدمر الحاج . فأرسل السلطان المنصور لحصار شيزر طائفة من الجيش ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت

التتار لما سمعوا بتفريق كلمة المسلمين ، فأنجفل الناس من بين أيديهم من سائر البلاد إلى الشام ، ومن الشام إلى مصر ، فوصلت التتار إلى حلب فقتلوا خلقا كثيرا ، ونهبوا جيشا كبيرا ، وظنوا أن جيش سنقر الأشقر يكون معهم على المنصور ، فوجدوا الأمر بخلاف ذلك ، وذلك أن المنصور كتب إلى سنقر الأشقر . إن التتار قد أقبلوا إلى المسلمين ، والمصلحة أن تتفق عليهم لئلا يهلك المسلمون بيننا وبينهم ، وإذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا أحدا . فكتب إليه سنقر بالسمع والطاعة وبرز من حصنه نعيم بجيشه ليكون على أهبة متى طلب أجاب ، ونزلت نوابه من حصونهم وبقوا مستعدين لقتال التتار ، وخرج الملك المنصور من مصر في أواخر جمادى الآخرة ومعه العساكر . وفي يوم الجمعة الثالث من جمادى الآخرة قرى على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان أنه قد عهد إلى ولده علي ، ولقب بالملك الصالح ، فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريدية فأخبروا برجوع التتار من حلب إلى بلادهم ، وذلك لما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين ، وفرح المسلمون بذلك والله الحمد ، وعاد المنصور إلى مصر وكان قد وصل إلى غزة ، أراد بذلك تخفيف الوطأة عن الشام فوصل إلى مصر في نصف شعبان . وفي جمادى الآخرة أعيد برهان الدين السنجاري إلى وزارة مصر ورجع نحر الدين بن لقمان إلى كتابة الانشاء . وفي أواخر رمضان أعيد إلى القضاء ابن رزين وعزل ابن بنت الأعرز ، وأعيد القاضي نفيس الدين بن شكر المالكي ، ومعين الدين الحنفي ، وتولى قضاء الحنابلة عز الدين المقدسي . وفي ذى الحجة جاء تقليد ابن خلسكان بإضافة المعاملة الحلبية إليه يستناب فيها من شاء من نوابه . وفي مستهل ذى الحجة خرج الملك المنصور من بلاد مصر بالعساكر قاصداً الشام ، واستناب على مصر ولده الملك الصالح علي بن المنصور إلى حين رجوعه ، قال الشيخ قطب الدين : وفي يوم عرفة وقع بمصر برد كبير أتلف شيئا كثيرا من المغلات ، ووقعت صاعقة بالاسكندرية وأخرى في يومها تحت الجبل الأحمر على صخرة فأحرقها ، فأخذ ذلك الحديد فسبك فخرج منه أواق بالرطل المصرى . وجاء السلطان فنزل بعساكره تجاه عكا ، تخافت الفرنج منه خوفا شديدا وراسلوه في طلب تجديد الهدنة ، وجاء الأمير عيسى بن مهنا من بلاد العراق إلى خدمة المنصور ، وهو بهذه المنزلة فتلقاه السلطان بجيشه وأكرمه واحترمه وعامله بالصفح والعفو والاحسان ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ الأمير الكبير جمال الدين آقوش الشمسى ﴾

أحد أمراء الاسلام ، وهو الذى باشر قتل كتبغاوين أحد مقدمى التتار ، وهو المطاع فيهم يوم عين جالوت ، وهو الذى مسك عز الدين أيدير الظاهري في حلب من السنة الماضية ، وكانت وفاته بها .

﴿ الشيخ الصالح داود بن حاتم ﴾

ابن عمر الحبال ، كان حنبلي المذهب له كرامات وأحوال صالحة ومكاشفات صادقة ، وأصل آبائه من حران ، وكانت إقامته ببعلبك ، وتوفي فيها رحمه الله عن ست وتسعين سنة ، وقد أثنى عليه الشيخ قطب الدين ابن الشيخ الفقيه اليوناني

﴿ الأمير الكبير ﴾

نور الدين علي بن عمر أبو الحسن الطوري ، كان من أكابر الأمراء ، وقد نيف على تسعين سنة وكانت وفاته بسبب أنه وقع يوم مصاف سنقر الأشقر تحت سنانك الخليل فكسك بعد ذلك متمرصاً إلى أن مات بعد شهرين ودفن بسفح قاسيون .

﴿ الجزار الشاعر ﴾

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي جمال الدين أبو الحسين المصري ، الشاعر الماجن ، المعروف بالجزار . مدح الملوك والوزراء والأمراء ، وكان ماجناً ظريفاً حلوا المناظرة ، ولد في حدود ستائة بعدها بسنة أو سنتين ، وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال من هذه السنة . ومن شعره :

أدركوني فبي من البرد هم * ليس يفسى وفي حشاي التهاب

ألبستني الأطماع وهما فها * جسمي عار ولى فرى وثياب

كلما ازرق لون جسمي من الـ * برد تخيلت أنه سنجاب

وقال وقد تزوج أبوه بعجوزة

تزوج الشيخ أبي شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن

كأنها في فرشها رمة * وشعرها من حوها قطن

وقال لي كم سنها * قلت ليس في فيها سن

لو أسفرت غرتها في الدجى * ما جسرت تبصرها الجن

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وستائة من الهجرة ﴾

استهلت والخليفة الحاكم وسلطان البلاد الملك المنصور قلاوون . وفي عاشر المحرم انعدت الهدنة بين أهل عكا والمرقب والسلطان ، وكان نازلاً على الروحاء وقد قبض على جماعة من الأمراء ممن كان معه ، وهرب آخرون إلى قلعة صهيون إلى خدمة سنقر الأشقر ، ودخل المنصور إلى دمشق في التاسع عشر من المحرم فنزل القلعة وقد زينت له البلاد ، وفي التاسع والعشرين من المحرم أعاد القضاء إلى عز الدين بن الصائغ وعزل ابن خلكان . وفي أول صفر باشر قضاء الحنابلة نجم الدين ابن الشيخ شمس بن أبي عمر ، وقد كان المنصب شاغراً منذ عزل والده نفسه عن القضاء ، وتولى

قضاء حلب في هذا الشهر تاج الدين يحيى بن محمد بن إسماعيل الكردي ، وجلس الملك المنصور في دار العدل في هذا الشهر فحكم وأنصف المظلوم من الظالم ، وقدم عليه صاحب حماة فتلقاه المنصور بنفسه في موكبته ، ونزل بداره بباب الفراديس . وفي ربيع الأول وقع الصلح بين الملك المنصور قلاوون وبين سنقر الأشقر الملك الكامل على أن يسلم للسلطان شيزر ويعوضه عنها بانطاكية وكفر طاب وشغر بكاس وغير ذلك ، وعلى أن يقيم على ما بيده ستمائة فارس ، وتحالفوا على ذلك ، ودقت البشائر لذلك ، وكذلك تصالح صاحب الكرك والملك المنصور خضر بن الظاهر على تقرير ما بيده ونودي بذلك في البلاد . وفي العشر الأول من هذا الشهر ضمن الخمر والزنا بدمشق ، وجعل عليه ديوان ومشد ، فقام في إبطال ذلك جماعة من العلماء والصالحين والعباد ، فأبطل بعد عشرين يوماً ، وأريق الخمر وأقيمت الحدود والله الحمد والمنة .

وفي تاسع عشر ربيع الأول وصلت الخاتون بركة خان زوجة الملك الظاهر ومعها ولدها السعيد قد نقلته من قرية المساجد بالقرب من الكرك لتدفنه عند أبيه بالتربة الظاهرية ، فرفع بجبال من السور ودفن عند والده الظاهر ، ونزلت أمه بدار صاحب حمص ، وهيئت لها الاقامات ، وعمل عزاء ولدها يوم الحادي والعشرين من ربيع الآخر بالتربة المذكورة ، وحضر السلطان المنصور وأرباب الدولة والقراء والوعاظ .

وفي أواخر ربيع الآخر عزل التقي بن توبة التكريتي من الوزارة بدمشق وباشرها بعده تاج الدين السهنوري ، وكتب السلطان المنصور إلى مصر وغيرها من البلاد يستدعي الجيوش لأجل اقتراب مجيئ التتار ، فدخل أحمد بن حنبل ومعه بشر كثير من الأعراب ، وجاء صاحب الكرك الملك المسعود نجدة للسلطان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الآخرة ، وقدم الناس عليه ووفدوا إليه من كل مكان ، وجاءته التركان والأعراب وغيرهم ، وكثرت الأراجيف بدمشق ، وكثرت العساكر بها وجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحي ، وتركوا الغلات والاموال خوفاً من أن يدهمهم العدو من التتار ، ووصلت التتر صحبة منكوتمر بن هولاكو إلى عنتاب ، وسارت العساكر المنصورة إلى نواحي حلب يتبع بعضها بعضاً ، ونازلت التتار بالرحبة في أواخر جمادى الآخرة جماعة من الأعراب ، وكان فيهم ملك التتار إيفانخنيا ينظر ماذا يفعل أصحابه ، وكيف يقاقلون أعداءه ، ثم خرج المنصور من دمشق وكان خروجه منها في أواخر جمادى وقت الخطباء والائمة بالجوامع والمساجد في الصلوات وغيرها وجاء مرسوم من السلطان باستسلام أهل الذمة من الدواوين والكتبة . ومن لا يسلم يصلب ، فأسلموا كرها ، وكانوا يقولون آمنا وحكم الحاكم بأسلامنا بعد أن عرض من امتنع منهم على الصلب بسوق الخليل ، وجعلت الجبال في أعناقهم ، فأجابوا والحالة هذه ، ولما انتهى الملك المنصور إلى حمص كتب

إلى الملك الكامل سنقر الأشقر يطلبه إليه نجدة فجاء إلى خدمته فأكرمه السلطان واحترمه ورتب له الاقامات ، وتكاملت الجيوش كلها في صحبة الملك المنصور عازمين على لقاء العدو لمحالة مخلصين في ذلك ، واجتمع الناس بعد خروج الملك في جامع دمشق ووضعوا المصحف العثماني بين أيديهم ، وجعلوا يبتهلون إلى الله تعالى في نصره الاسلام وأهله على الاعداء ، وخرجوا كذلك والمصحف على رؤسهم إلى المصلى يدعون ويبتهلون ويبكون ، وأقبلت التتار قليلا قليلا فلما وصلوا حماة أحرقوا بستان الملك وقصره وما هنالك من المساكن ، والسلطان المنصور مخيم بمحاص في عساكر من الأتراك والتركان وغيرهم جعفل كثير جداً ، وأقبلت التتار في مائة ألف مقاتل أو يزيدون ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ وقعة حمص ﴾

لما كان يوم الخميس رابع عشر رجب التقى الجمعان وتواجه الخصمان عند طلوع الشمس وعسكر التتر في مائة ألف فارس ، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلا ، والجميع فيما بين مشهد خالد بن الوليد إلى الرستن ، فاقتتلوا قتالا عظيما لم ير مثله من أعصار متطاولة ، فاستظهر التتار أول النهار ، وكسروا الميسرة واضطربت الميمنة أيضاً والله المستعان . وكسر جناح القلب الأيسر وثبت السلطان ثباتا عظيما جداً في جماعة قليلة ، وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين ، والتتار في آثارهم حتى وصلوا وراهم إلى بحيرة حمص ووصلوا حمص وهي مغلقة الأبواب ، فقتلوا خلقا من العامة وغيرهم ، وأشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك ، ثم إن أعيان الأمراء من الشجعمان والفرسان تأمروا فيما بينهم مثل سنقر الأشقر وبيسرى وطبيرس الوزيري وبدر الدين أمير سلاح وايتمش السعدي وحسام الدين لاجين وحسام الدين طرناي والدو يداري وأمثالهم ، لما رأوا ثبات السلطان ردوا إلى السلطان وحملوا حملات متعددة صادقة ، ولم يزالوا يتابعون الحملة بعد الحملة حتى كسر الله بحوله وقوته التتر ، وجرح منكوتمر ، وجاءهم الأمير عيسى بن مهنا من ناحية العرض فصد التتر فاضربت الجيوش لصدمة ، وتمت الهزيمة والله الحمد ، وقتلوا من التتار مقتلة عظيمة جداً ، ورجعت من التتار الذين اتبعوا المنهزمين من المسلمين فوجدوا أصحابهم قد كسروا ، والعساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون ، والسلطان ثابت في مكانه تحت السناجق ، والكوسات تضرب خلفه وما معه إلا ألف فارس ، فظمعو فيه فقاتلوه فثبت لهم ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه فلحقهم فقتل أكثرهم ، وكان ذلك تمام النصر ، وكان انهزام التتار قبيل الغروب ، وافترقوا فرقتين أخذت فرقة منهم إلى ناحية سلمية والبرية ، والأخرى إلى ناحية حلب والفرات ، فأرسل السلطان في آثارهم من يتبعهم وجاءت البطاقة بالبشارة بما وقع من النصر إلى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب ، فدقت البشائر وزينت

البلد ، وأوقدت الشموع وفرح الناس . فلما أصبح الناس يوم السبت أقبلت طائفة من المهزمين منهم بيليك الناصري والحالق وغيرهم ، فأخبروا الناس بما شاهدوه من الهزيمة في أول الأمر ، ولم يكونوا شاهداً بعد ذلك ، فبقي الناس في قلق عظيم ، وخوف شديد ، وتهيباً ناس كثير للهرب ، فبينما الناس في ذلك إذ أقبلت البريدية فأخبروا الناس بصورة ما وقع في أول الأمر وآخره ، فترجع الناس وفرحوا فرحاً شديداً والله الحمد والمنة .

ثم دخل السلطان إلى دمشق الثاني والعشرين من رجب ، وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شقف رؤس القتلى ، وكان يوماً مشهوداً ، ومع السلطان طائفة من أصحاب سنقر الأشقر منهم علم الدين الدويدارى ، فنزل السلطان بالقلعة مؤيداً منصوراً ، وقد كثرت له المحبة والأدعية وكان سنقر الأشقر ودع السلطان من حمص ورجع إلى صهيون ، وأما التتر فانهم انهزموا في أسوأ حال وأنعسه يتخطفون من كل جانب ، ويقتلون من كل فج ، حتى وصلوا إلى الفرات ففرق أكثرهم ، ونزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا آخرين ، والجيوش في آثارهم يطردونهم عن البلاد حتى أراح الله منهم الناس .

وقد استشهد في هذه الواقعة جماعة من سادات الأمراء منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين أزدمر جمدار ، وهو الذى جرح ملك التتار يومئذ منكوتير ، فانه خاطر بنفسه وأوم أنه مقفز إليه وقلب رحمه حتى وصل إليه فطعنه فجرحه فقتلوه رحمه الله ، ودفن بالقرب من مشهد خالد .

وخرج السلطان من دمشق قاصداً الديار المصرية يوم الأحد ثاني شعبان والناس يدعون له ، وخرج معه علم الدين الدويدارى ، ثم عاد من غزة وقد ولاء المشد في الشام والنظر في المصالح ، ودخل السلطان إلى مصر في ثاني عشر شعبان . وفي سلخ شعبان ولى قضاء مصر والقاهرة للقاضى وجيه الدين البهنسى الشافعى ، وفي يوم الأحد سابع رمضان فتحت المدرسة الجوهريّة بدمشق في حياة منشئها وواقفها الشيخ نجم الدين محمد بن عباس بن أبى المكارم التيمى الجوهري ، ودرس بها قاضى الحنفية حسام الدين الرازى . وفي بكرة يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان وقعت مأذنة مدرسة أبى عمر بقاسيون على المسجد العتيق فمات شخص واحد ، وسلم الله تعالى بقية الجماعة . وفي عاشر رمضان وقع بدمشق ثلج عظيم وبرد كثير مع هواء شديد ، بحيث إنه ارتفع عن الارض نحواً من ذراع ، وفسدت الخضراوات ، وتمطل على الناس معاش كثيرة . وفي شوال وصل صاحب سنجار إلى دمشق مقفراً من التتار داخلاً في طاعة السلطان بأهله وماله ، فتلقاه نائب البلاد وأكرمه وسيره إلى مصر معزراً مكرماً .

وفي شوال عقد مجلس بسبب أهل الذمة من الكتاب الذين كانوا قد أسلموا كرها وقد كتب

لهم جماعة من المفتين بأنهم كانوا مكرهين فلهم الرجوع إلى دينهم ، وأثبت الاكراه بين يدي القاضى جمال الدين ابن أبي يعقوب المالكي ، فعاد أكثرهم إلى دينهم وضربت عليهم الجزية كما كانوا ، سود الله وجوههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . وقيل : إنهم غرموا مالا جزيلا جملة مستكثرة على ذلك ، قبضهم الله .

وفى ذى القعدة قبض السلطان على أيتمش السعدى وسجنه بقلعة الجبل ، وقبض نائبه بدمشق على سيف الدين بلبان الهارونى وسجنه بقلعتها . وفى بكرة الخميس التاسع والعشرين من ذى القعدة ، وهو العاشر من آذار ، استنقى الناس بالمصلى بدمشق فسقوا بعد عشرة أيام . وفى هذه السنة أخرج الملك المنصور جميع آل الملك الظاهر من النساء والولدان والخدام من الديار المصرية إلى الكرك ليكنوا فى كنف الملك المسعود خضر بن الظاهر

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أبا مالك التتار بن هولاء كوخان ﴾

ابن تولى بن جنكيزخان ، كان على الهمة بعيد الغور له رأى وتدبير ، وبلغ من العمر خمسين سنة ، ومدة ملكه ثمانى عشرة سنة ، ولم يكن بعد والده فى التدبير والحزم مثله ، ولم تكن وقعة حمص هذه برأيه ولا عن مشورته ، ولكن أخوه منكوتمر أحب ذلك فلم يخالفه . ورأيت فى بعض تاريخ البغاددة أن قدوم منكوتمر إلى الشام إنما كان عن مكاتبة سنقر الاشقر إليه فالله أعلم . وقد جاء إبا هذا بنفسه فنزل قريبا من الفرات ليرى ماذا يكون من الأمر ، فلما جرى عليهم ما جرى ساء ذلك ومات غما وحزنا . توفى بين العيدين من هذه السنة ، وقام بالملك بعده ولده السلطان أحمد . وفيها توفى .

﴿ قاضى القضاة ﴾

نجم الدين أبو بكر بن قاضى القضاة صدر الدين أحمد بن قاضى القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله ابن الحسن بن يحيى بن محمد بن على الشافعى ابن سنى الدولة ، ولد سنة ست عشرة وستائة ، وسمع الحديث وبرع فى المذهب ، وناب عن أبيه فشكرت سيرته ، واستقل بالقضاء فى الدولة المظفرية فحمد أيضا ، وكان الشيخ شهاب الدين ينال منه ومن أبيه ، وقال البرزالى : كان شديدا فى الأحكام متحريرا ، وقد أزم بالمقام بمصر فدرس بجامعة مصر ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالأمنية والركنية ، وباشر قضاء حلب ، وعاد إلى دمشق ، وولاه سنجر قضاء دمشق ، ثم عزل بابن خلسكان كما تقدم ، ثم كانت وفاته يوم الثلاثاء من المحرم ، ودفن من الغد يوم تاسوعاء بتربة جده بقاسيون . وفى عاشر المحرم توفى

﴿ قاضى القضاة صدر الدين عمر ﴾

ابن القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم الغلابى ابن بنت الأعز المصرى ، كان فاضلا بارعا عارفا بالمذهب ، متحريرا فى الأحكام كأبيه ، ودفن بالقرافة .

﴿ الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغوري ﴾

المولود المعروف بالجميعانة ، كان مشهوراً بدمشق ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ومن لا يعقل ، ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ولا يصوم مع الناس ، ومع هذا كان كثير من العوام وغيرهم يعتقدونه . توفي يوم الأحد سابع جمادى الأولى ودفن بتربة الموهين بسفح قاسيون عند الشيخ يوسف القميني ، وقد توفي الشيخ يوسف قبله بمدة ، وكان الشيخ يوسف يسكن إقنين حمام نور الدين الشهيد بالزور بين ، وكان يجلس على النجاسات والقذر ، وكان يلبس ثياباً بدائية تجحف على النجاسات في الأزقة ، وكان له قبول من الناس ومحبة وطاعة ، وكان العوام يغالون في محبته واعتقاده ، وكان لا يصلي ولا يتقى نجاسة ، ومن جاءه زائراً جلس عند باب الأقيين على النجاسة ، وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والموهين . ولما مات الشيخ يوسف القميني خرج خلق في جنازته من العوام وغيرهم ، وكانت جنازته حافلة بهم ، وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون ، وبين يديه غوغاء وغوش كثير وتهليل وأمور لا تجوز من فعل العوام ، حتى جاؤا به إلى تربة الموهين بقاسيون فدفنوه بها ، وقد اعتنى بعض العوام بقبره فعمل عليه حجارة منقوشة وعمل على قبره سقفاً مقرنصاً بالدهان وأنواعه ، وعمل عليه مقصورة وأبواباً ، وغالى فيه مغالاة زائدة ، ومكث هو وجماعة مجاورون عنده مدة في قراءة وتهليل ، ويطبخ لهم الطبخ فيأكلون ويشربون هناك . والمقصود أن الشيخ إبراهيم الجميعانة لما مات الشيخ يوسف الأقيني جاء من الشاغور إلى باب الصغير في جماعة من أتباعه ، وهم في صراخ وضجة وغوش كثير ، وهم يقولون : أذن لنا في دخول البلد أذن لنا في دخول البلد ، يكررون ذلك ، فقيل له في ذلك فقال : لي عشرون سنة ما دخلت داخل سور دمشق ، لأنني كنت كلما أتيت باباً من أبوابها أجد هذا السبع رابضاً بالباب فلا أستطيع الدخول خوفاً منه ، فلما مات أذن لنا في الدخول ، وهذا كله ترويح على الطعام والعوام من الهمج الرعاع ، الذين هم أتباع كل ناعق . وقيل إن الشيخ يوسف كان يرسل إلى الجميعانة مما يأتيه من الفتوح والله سبحانه أعلم بأحوال العباد ، وإليه المنقلب والمآب ، وعليه الحساب .

وقد ذكرنا أنه استشهد في وقعة حمص جماعة من الأمراء منهم الأمير عز الدين أزدهر السلحداري عن نحو من ستين سنة ، وكان من خيار الأمراء وله همة عالية ينبغي أن ينال بها مكاناً عالياً في الجنة

﴿ قاضي القضاة ﴾

تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامري الحموي الشافعي ، ولد سنة ثلاث وستائة ، وقد سمع الحديث وانتفع بالشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وأم بدار الحديث مدة ،

و درس بالشامية ، وولى وكالة بيت المال بدمشق ، ثم سار إلى مصر فدرس بها بعدة مدارس ،
وولى الحكم بها ، وكان مشكوراً ، توفي ليلة الأحد ثالث رجب منها ، ودفن بالمقطم .
وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة توفي .

﴿ الملك الأشرف ﴾

مظفر الدين موسى بن الملك الزاهر محي الدين داود المجاهد بن أسد الدين شيركوه بن الناصر
ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي ابن صاحب حمص ، ودفن بقريةهم بقاسيون .
وفي ذى القعدة توفي ﴿ الشيخ جمال الدين الاسكندري ﴾

الحاسب بدمشق ، وكان له مكتب تحت منارة كبروز ، وقد انتفع به خلق كثير ، وكان شيخ
الحساب في وقته رحمه الله ﴿ الشيخ علم الدين أبو الحسن ﴾

محمد بن الامام أبي علي الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رشيق الربيعي المالكي المصري ،
و دفن بالقرافة ، وكانت له جنازة حافلة ، وقد كان فقيهاً مفتياً ، سمع الحديث وبلغ خمسا وثمانين سنة .
وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى الحجة توفي .

﴿ الصدر الكبير أبو الغنائم المسلم ﴾

محمد بن المسلم مكي بن خاف بن غيلان ، القيسي الدمشقي ، مولده سنة أربع وتسعين ، وكان
من الرؤساء الكبار ، وأهل البيوتات ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق وغير ذلك ، ثم ترك ذلك
كاه وأقبل على العبادة وكتابة الحديث ، وكان يكتب سريعا يكتب في اليوم الواحد ثلاث كراريس
وقد أسمع مسند الامام أحمد ثلاث مرات ، وحدث بصحيح مسلم وجامع الترمذي وغير ذلك ،
وسمع منه البرزالي والمزي وابن تيمية ، ودفن من يومه بسفح قاسيون عن ست وثمانين سنة ، رحمه
الله جميعا ﴿ الشيخ صفي الدين ﴾

أبو القاسم بن محمد بن عثمان بن محمد التيمي الحنفي ، شيخ الحنفية ببصرى ، ومدرس الأئمة
بها مدة سنين كثيرة ، كان بارعاً فاضلاً عالماً عابداً منقطعاً عن الناس ، وهو والد قاضي القضاة صدر
الدين علي ، وقد عمر دهرًا طويلاً ، فانه ولد في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفي ليلة نصف
شعبان من هذه السنة عن تسع وتسعين سنة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة ﴾

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله والسلطان الملك المنصور قلاوون . وفيها أرسل ملك التتار
أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقق الدماء فيما بينهم ، وجاء في الرسالة الشيخ قطب
الدين الشيرازي أحد تلامذة النصير الطوسي ، فأجاب المنصور إلى ذلك وكتب المكاتبات إلى ملك

التتر بذلك . وفي مستهل صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين بيدسرى السعدى ، وعلى الأمير علاء الدين السعدى الشمسى أيضاً .

وفيهما درس القاضى بدر الدين بن جماعة بالقيصرية ، والشيخ شمس الدين ابن الصفى الحريرى بالمرحانية ، وعلاء الدين بن الزملىكانى بالأمينية . وفى يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان وقع حريق بالبابدين عظيم ، وحضر نائب السلطنة إذ ذاك الامير حسام الدين لاجين السلحدار وجماعة كثيرة من الامراء ، وكانت ليلة هائلة جداً وفى الله شرها ، واستدرك بعد ذلك أمرها القاضى نجم الدين بن النحاس ناظر الجامع ، فأصاح الأمر وسد وأعاد البناء أحسن مما كان والله الحمد والممنة .
ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح بقية السلف ﴾

برهان الدين أبو إسحاق ابن الشيخ صفى الدين أبى الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى ابن الرضى الحنفى إمام المعزية بالكشك . وأسمع من جماعة منهم الكندى ابن الحرسباني ولكن لم يظهر سماعه منهما إلا بعد وفاته ، وقد أجاز له أبو نصر الصيدلانى وعفيفة الفارقانية وابن الميدانى ، وكان رجلاً صالحاً محبباً لاسماع الحديث ، كثير البر بالطلبة له ، وقد قرأ عليه الحافظ جمال الدين المزى معجم الطبرانى الكبير ، وسمعه منه بقراءة الحافظ البرزالى وجماعة كثيرين . وكان مولده فى سنة تسع وتسعين [وخمسمائة] وتوفى يوم الأحد سابع صفر ، وهو اليوم الذى قدم فيه الحجاج إلى دمشق من الحجاز ، وكان هو معهم فمات بعد استقراره بدمشق .

﴿ القاضى أمين الدين الاشرى ﴾

أبو العباس أحمد بن شمس الدين أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبي المعروف بالأشرى الشافعى ، المحدث ، سمع الكثير وحصل ووقف أجزاء بدار الحديث الأشرافية وكان الشيخ محى الدين النووى يثنى عليه ويرسل إليه الصبيان ليقروا عليه فى بيته لأمانته عنده ، وصيانته وديانته .
﴿ الشيخ برهان الدين أبو الثناء ﴾

محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن المراغى الشافعى ، مدرس الفلكية ، كان فاضلاً بارعاً ، عرض عليه القضاء فلم يقبل ، توفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عن ست وسبعين سنة ، وسمع الحديث وأسمعه ، ودرس بعده بالفلكية القاضى بهاء الدين بن الزكى .

﴿ القاضى الامام العلامة شيخ القراء زين الدين ﴾

أبو محمد بن عبد السلام بن على بن عمر الزواوى المالكى ، قاضى قضاة المالكية بدمشق ، وهو أول من باشر القضاء بها ، وعزل نفسه عنها تورعاً وزهادة ، واستمر بلا ولاية ثمان سنين ، ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن رجب منها عن ثلاث وثمانين سنة ، وقد سمع الحديث واشتغل على السنجارى

وابن الحاجب .

﴿ الشيخ صلاح الدين ﴾

محمد بن القاضي شمس الدين علي بن محمود بن علي الشهر زورى ، مدرس القيمرية وابن مدرسا ، توفى في أواخر رجب ، وتوفى أخوه شرف الدين بعده بشهر ، ودرس بالقيمرية بعد صلاح المذكور القاضي بدر الدين ابن جماعة .

﴿ ابن خلكان قاضى القضاة ﴾

شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشافعي أحد الأئمة الفضلاء ، والسادة العلماء ، والصدور الرؤساء ، وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من سائر المذاهب ، فاشتغلوا بالأحكام بعد ما كانوا نواباله ، وقد كان المنصب بينه وبين ابن الصائغ دولا يعزل هذا تارة ويولى هذا ، ويعزل هذا ويولى هذا ، وقد درس ابن خلكان في عدة مدارس لم يجتمع لغيره ، ولم يبق معه في آخر وقت سوى الامينية ، ويبدأ ابنه كمال الدين موسى النجيبية . توفى ابن خلكان بالمدرسة النجيبية المذكورة بايوانها يوم السبت آخر النهار ، في السادس والعشرين من رجب ، ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة . وقد كان ينظم نظما حسنا رائفا ، وقد كانت محاضراته في غاية الحسن ، وله التاريخ المفيد الذى رسم بوفيات الاعيان من أبداع المصنفات ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة ﴾

فيها قدم الملك المنصور إلى دمشق في يوم الجمعة سابع رجب في أبهة عظيمة ، وكان يوماً مشهوداً وفيها ولى الخطابة بدمشق الشيخ عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي عوضاً عن محيي الدين ابن الحرستاني الذى توفى فيها كما سيأتى ، وخطب يوم الجمعة الحادى والعشرين من رجب من هذه السنة وفي هذا اليوم قبل الصلاة احتيط على القاضي عز الدين بن الصائغ بالقلعة وأثبت ابن الحصرى نائب الحنفى محضراً يتضمن أن عنده وديعة بمقدار ثمانية آلاف دينار ، من جهة ابن الاسكاف ، وكان الذى أثار ذلك شخص قدم من حلب يقال له تاج الدين بن السنجارى ، وولى القضاء بعده بهاء الدين يوسف بن محيي الدين ابن الزكى ، وحكم يوم الاحد ثالث وعشرين رجب ومنع الناس من زيارة ابن الصائغ ، وسعى بمحضر آخر أن عنده وديعة بقيمة خمسة وعشرين ألف دينار للصالح إسماعيل بن أسد الدين ، وقام فى ذلك ابن الشاكرى والجمال بن الحموى وآخرون ، وتكلموا فى قضية نائلة ، ثم عقد له مجلس تاله فيه شدة شديدة ، وتصبوا عليه ثم أعيد إلى اعتقاله ، وقام فى صفه نائب السلطنة حسام الدين لاجين ، وجماعة من الامراء ، فكلموا فيه السلطان فأطلقه وخرج إلى منزله ، وجاء الناس إلى تهنئته يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان ، وانتقل من

العادلية إلى داره بدرج النقاشة ، وكان عامة جلوسه في المسجد تجاه داره .

وفي رجب باشر حسبة دمشق جمال الدين بن صصرى . وفي شعبان درس الخطيب جمال الدين ابن عبد الكافي بالغزالية عوضاً عن الخطيب ابن الحرساني ، وأخذ منه الدوالية لجمال الدين بن النجار ، الذي كان وكيل بيت المال ، ثم أخذ شمس الدين الاربلي تدريس الغزالية من ابن عبد الكافي المذكور . وفي آخر شعبان باشر نيابة الحكم عن ابن الزكي شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسى أحد أئمة الفضلاء ، وسادات العلماء المصنفين . ولما توفى أخوه شمس الدين محمد في شوال ولى مكانه تدريس الشامية البرانية ، وأخذت منه العادلية الصغيرة ، فدرس فيها القاضي نجم الدين أحمد بن صصرى النغابي في ذى القعدة ، وأخذت من شرف الدين أيضاً الرواحية فدرس فيها نجم الدين البيهقي نائب الحكم رحمهم الله أجمعين .
ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل ﴾

محمد بن القاضي شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، صاحب الطريقة المنسوبة في الكتابة ، سمع الحديث وكان من رؤساء دمشق وأعيانها توفى في صفر منها .

﴿ شيخ الجبل الشيخ العلامة شيخ الاسلام ﴾

شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي ، أول من ولى قضاء الحنابلة بدمشق ، ثم تركه ونولاه ابنه نجم الدين ، وتدريس الاشرفية بالجبل ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان من علماء الناس وأكثرهم ديانة وأمانة في عصره ، مع هدى وسمت صالح حسن ، وخشوع ووقار . توفى ليلة الثلاثاء سابع ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، ودفن بمقبرة والده رحمهم الله

﴿ ابن أبي جفوان ﴾

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباس بن أبي جفوان الانصارى الدمشقي المحدث الفقيه الشافعي البارع في النحو واللغة ، سمعت شيخنا تقي الدين ابن تيمية وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول كل منهما للآخر : هذا الرجل قرأ مسند الامام أحمد وهما يسمان فلم يضبط عليه لجنة متفقا عليها ، وناهيك بهذين ثناء على هذا وهما

﴿ الخطيب محيي الدين ﴾

يحيى بن الخطيب قاضي القضاة عماد الدين عبد الكريم بن قاضي القضاة جمال الدين بن الحرساني الشافعي خطيب دمشق ومدرس الغزالية ، كان فاضلاً بارعاً أفقياً ودرس وولى الخطابة والغزالية بعد

أبيه ، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير ، توفي في جمادى الآخرة عن ثمان وستين سنة ، ودفن بقاسيون . وفي خامس رجب توفي .

﴿ الامير الكبير ملك عرب آل مثرى ﴾

أحمد بن حجي بمدينة بصرى ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب .

﴿ الشيخ الامام العالم شهاب الدين ﴾

عبد الحلیم بن الشيخ الامام العلامة مجد الدين عبد الله بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني ، والد شيخنا العلامة العليم تقي الدين ابن تيمية ، مفتي الفرق ، الفارق بين الفرق ، كان له فضيلة حسنة ، ولديه فضائل كثيرة ، وكان له كرسى يجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه ، وولى مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين ، وبها كان سكنه ، ثم درس ولده الشيخ تقي الدين بها بعده في السنة الآتية كما سيأتي ، ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ﴾

في يوم الاثنين ثاني المحرم منها درس الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني بدار الحديث السكرية التي بالقصاعين ، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي الشافعي ، والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية ، والشيخ زين الدين ابن المرحل ، وزين الدين بن المنجا الحنبلي ، وكان درسا هائلا ، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده ، وكثرة ما استحسنته الحاضرون . وقد أطنب الحاضرون في شكره على حدائثه سنة وصفره ، فانه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وستين ، ثم جلس الشيخ تقي الدين المذكور أيضا يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قدهى له لتفسير القرآن العزيز ، فابتدأ من أوله في تفسيره ، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة والزهادة والعبادة سارت بذكره الركبان في سائر الأقاليم والبلدان ، واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة

وفيها قدم السلطان إلى دمشق من مصر يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة ، فجاء صاحب حماة الملك المنصور إلى خدمته فتلقاه السلطان في موكبه وأكرمه ، فلما كان ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان وقع مطر عظيم بدمشق ، ورعد وبرق ، وجاء سيل عظيم جدا حتى كسر أقفال باب الفراديس ، وارتفع الماء ارتفاعا كثيرا ، بحيث أغرق خلقا كثيرا ، وأخذ جمال الجيش المصرى وأثقالهم ، فخرج السلطان إلى الديار المصرية بعد ثلاثة أيام ، وتولى مشد الدواوين الأمير شمس الدين سنقر عوضا عن الدويدراى علم الدين سنجر . وفيها اختلف التتار فيما بينهم على ملكهم

السلطان أحمد فعزلوه عنهم وقتلوه ، وملكوا عليهم السلطان أرغون بن أبغا ، ونادوا بذلك في جيشهم ، وتأطدت أحوالهم ، ومشت أمورهم على ذلك ، وبادت دولة السلطان أحمد . وقامت دولة أرغون بن أبغا .

﴿ ومن توفي فيها من الاعيان ﴾ الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج
وله زاوية مشهورة به ، وكان يزور بعض المريدين فمات . وفيها مات
﴿ القاضي الامام عز الدين أبوالمفاخر ﴾

محمد بن شرف الدين عبد القادر بن عفيف الدين عبد الخالق بن خليل الانصاري . الدمشقي
ولى القضاء بدمشق مرتين ، عزل بابن خلكان ، ثم عزل ابن خلكان به ثانية ، ثم عزل وسجن وولى
بعده بهاء الدين ابن الزكي ، وبقى معزولا إلى أن توفي ببستانه في تاسع ربيع الأول ، وصلى عليه
بسوق الخليل ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مولده سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وكان مشكور السيرة ،
له عقل وتدبير واعتقاد كثير في الصالحين ، وقد سمع الحديث له ابن بلبان مشيخة قرأها ابن جفوان
عليه ، ودرس بعده بالزروية الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن المرحد ، وكيل بيت المال ،
ودرس ابنه محيي الدين أحمد بالهmadية وزاوية الكلاسة من جامع دمشق ، ثم توفي ابنه أحمد هذا
بعده في يوم الأربعاء ثامن رجب ، فدرس بالهmadية والدماغية الشيخ زين الدين بن الفارقي شيخ
دار الحديث نيابة عن أولاد القاضي عز الدين بن الصائغ بدر الدين وعلاء الدين . وفيها توفي

﴿ الملك السعيد فتح الدين ﴾

عبد الملك بن الملك الصالح أبي الحسن إسماعيل ابن الملك العادل ، وهو والد الملك الكامل
ناصر الدين محمد ، في ليلة الاثنين ثالث رمضان ، ودفن من الغد بتربة أم الصالح ، وكان من خيار
الأمرء محترما كبيرا رئيسا ، روى الموطأ عن يحيى بن بكير عن مكرم بن أبي الصقر ، وسمع
ابن الليثي وغيره .

﴿ القاضي نجم الدين عمر بن نصر بن منصور ﴾

البياني الشافعي ، توفي في شوال منها ، وكان فاضلا ، ولى قضاء زرع ثم قضاء حلب ، ثم
ناب في دمشق ودرس بالرواحية وبأشهرها بعده شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي ، يوم عاشر
شوال . وفي هذا اليوم توفي بحماة ملكها :

﴿ الملك المنصور ناصر الدين ﴾

محمد بن محمود بن عمر بن ملكشاه ، بن أيوب ، ولد سنة ثلاثين وستمائة ، وتملك حماة سنة ثنتين
وأربعين ، وله عشر سنين ، فسكت في الملك أزيد من أربعين سنة ، وكان له بروضقات ، وقد

أعتق في بعض موته خلفاً من الأرقاء ، وقام في الملك بعده ولده الملك المظفر بتقليد الملك المنصور له بذلك .

﴿ القاضي جمال الدين أبو يعقوب ﴾

يوسف بن عبدالله بن عمر الرازي ، قاضي قضاة المالكية ، ومدرسه بعد القاضي زين الزواوي الذي عزل نفسه ، وقد كان ينوب عنه فاستقل بعده بالحكم ، توفي في الخامس من ذي القعدة وهو في طريق الحجاز ، وكان عالماً فاضلاً قليل التكليف والتكاف ، وقد شغل المنصب بعده ثلاث سنين ودرس بعده للمالكية الشيخ جمال الدين الشريشي ، وبعده أبو إسحاق اللوري ، وبعده بدر الدين أبو بكر البريسي ، ثم لما وصل القاضي جمال الدين بن سليمان حاجاً درس بالمدارس والله سبحانه أعلم ﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستائة ﴾

في أواخر المحرم قدم الملك المنصور إلى دمشق ومعه الجيوش وجاء إلى خدمته صاحب حماة الملك المظفر بن المنصور فتلقاه بجميع الجيوش ، وخام عليه خلعاً الملوك ، ثم سافر السلطان بالعساكر المصرية والشامية فنزل المرقب ففتح الله عليهم في يوم الجمعة ثامن عشر صفر ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق فدقت البشائر وزينت البلد وفرح المسلمون بذلك ، لأن هذا الحصن كان مضرراً على المسلمين ، ولم يتفق فتحه لأحد من ملوك الإسلام لا للملك صلاح الدين ، ولا للملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، وفتح حوله بلبنياس ومرقب وهي بلدة صغيرة إلى جانب البحر عند حصن منيع جداً لا يصل إليه سهم ولا حجر من جنينق ، فأرسل إلى صاحب طرابلس فهدمه تقرّباً إلى السلطان الملك المنصور ، واستنقذ المنصور خلقاً كثيراً من أسارى المسلمين ، الذين كانوا عند الفرنج ، والله الحمد . ثم عاد المنصور إلى دمشق ، ثم سافر بالعساكر المصرية إلى القاهرة .

وفي أواخر جمادى الآخرة ولد للمنصور ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفيها عزل محيي الدين ابن النحاس عن نظر الجامع ووليه عز الدين بن محيي الدين بن الزكي ، وباشر ابن النحاس الوزارة عوضاً عن التقي توبة التنكريتي ، وطلب التقي توبة إلى الديار المصرية وأحيط على أمواله وأملاكه ، وعزل سيف الدين طوغان عن ولاية المدينة ، وباشرها عز الدين بن أبي الهيجاء .
ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ الشيخ عز الدين محمد بن علي ﴾

ابن إبراهيم بن شداد ، توفي في صفر ، وكان فاضلاً مشهوراً ، له كتاب سيرة الملك الظاهر ، وكان معنياً بالتاريخ .

﴿ البندقداري ﴾

أستاذ الملك الظاهر بيبرس ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين البندقداري الصالح ، كان من خيار الأمراء سامحه الله . توفي في ربيع الآخر منها ، وقد كان الصالح نجم الدين صادر البندقداري هذا ،

وأخذ منه مملوكه بيبرس فأضافه إليه لشهامته ونهضته ، فتقدم عنده على أستاذه وغيره .

﴿ الشيخ الصالح العابد الزاهد ﴾

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إسماعيل الأخميمي ، كانت له جنازة هائلة ، ودفن بقايمون رحمه الله .
﴿ ابن عامر المقرئ ﴾

الذي ينسب إليه الميعاد الكبير ، الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبي بكر النسولى الحنبلى ، سمع الحديث من الشيخ موفق الدين بن قدامة وغيره ، وكان يعمل الميعاد ليلة الأحد ، فاذا فرغوا من ذلك دعا بهم ثم وعظهم . توفى يوم الاربعاء حادى عشر جمادى الآخرة ودفن بالقرب من تربة الشيخ عبد الله الأرمنى .

﴿ القاضى عماد الدين ﴾

داود بن يحيى بن كامل القرشى النصرولى الحنفى ، مدرس العزية بالكشك ، وتاب فى الحكم عن مجد الدين بن العديم ، وسمع الحديث وتوفى ليلة النصف من شعبان ، وهو والد الشيخ نجم الدين النجفازى ، شيخ الحنفية ، وخطيب جامع تنسكر .

﴿ الشيخ حسن الرومى ﴾

شيخ سعيد السمداء بالقاهرة . وقد وليها بعده شمس الدين الاتابكى . الرشيد سعيد بن على بن سعيد . الشيخ رشيد الدين الحنفى مدرس الشبلية ، وله تصانيف مفيدة كثيرة ، ونظم حسن . فن ذلك

قوله :
قل لمن يحذر أن تدركه * نكبات الدهر لا يغنى الحذر
أذهب الحزن اعتقادى * أن كل شئ بقضاء وقدر
ومن شعره قوله : الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم منها الهداية للحمد
صحيحاً خلقت الجسم منى مسلماً * ولطفك بى مازال مذ كنت فى المهد
وكنت يتيماً قد أحاط بى الردى * فأويت واستنقذت من كل ما يردى
وهبت لى العقل الذى بضياؤه * إلى كل خير يهتدى طالب الرشد
ووفقت للإسلام قلبى ومنطقى * فيا نعمة قد حل موقعها عندى
ولورمت جهدى أن أجازى فضيلة * فضلت بهالم يجز أطرافها جهدى
ألست الذى أرجو حنانك عندما * يخلفنى الاهلون وحدى فى لحدى
فجدلى بلطف منك يهدى سريرتى * وقلبى ويدنينى إليك بلا بعد
توفى يوم السبت ثالث رمضان ، وصلى عليه العصر بالجامع المظفرى ، ودفن بالسفح .

﴿ أبو القاسم علي بن بلبان بن عبد الله ﴾

الناصرى المحدث المفيد الماهر ، توفي يوم الخميس مستهل رمضان .

﴿ الأمير مجير الدين ﴾

محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن تميم الحموي الشاعر ، صاحب الديوان في الشعر ، فن شعره قوله : عاينت ورد الروض يلطم خده * ويقول قولاً في البنفسج يحنق^(١)
لا تقربوه وإن توضع نشره * ما بينكم فهو العدو الأزرق

﴿ الشيخ العارف شرف الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن الشيخ عثمان بن علي الرومي ، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون ، ومن عندهم خرج الشيخ جمال الدين محمد السواحى وحلق ودخل في ذى الجو القية وصار شيخهم ومقدمهم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثمانمائة ﴾

استهات واخليفة الحاكم أبو العباس أحمد ، والسultan الملك المنصور قلاوون ، وزبّه بالشام الأمير حسام الدين لاجين السلحدارى المنصورى ، والأمير بدر الدين الصوابى محاصر مدينة الكرك في أواخر السنة الماضية ، وقدم عليه من مصر عسكر صحبة الأمير حسام الدين طرقتاى ، فاجتمعوا على حصار الكرك حتى أنزلوا منها صاحبها الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر ، في مستهل صفر ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق ، فدقت البشارة ثلاثة أيام ، وعاد طرقتاى بالملك خضر وأهل بيته إلى الديار المصرية ، كما فعل الملك الظاهر أبوه بالملك المغيث عمر بن العادل ، كما تقدم ذلك . واستناب في الكرك نائباً عن أمر المنصور ، ورتب أمورها وأجلوا منها خلقاً من الكركيين ، واستخدموا بقلعة دمشق . ولما اقترب دخول آل الظاهر إلى القاهرة تلقاهم المنصور فأكرم لقيائهم وأحسن إلى الأخوين نجم الدين خضر ، وبدر الدين سلامش ، وجعلهما يركبان مع ابنه على والأشرف خليل ، وجعل عليهما عيوناً يرصدون ما يفعلان ، وأنزلا الدور بالقلعة وأجرى عليهم من الرواتب والنفقات ما يكفيهم وزيادة كثيرة ، وكتب الأمير بدر الدين بكتوت العلالى وهو مجرد بمحص إلى نائب دمشق لاجين ، أنه قد انعقدت زوبعة في يوم الخميس سابع صفر بأرض حمص ثم ارتفعت في السماء كهيئة العمود والحية العظيمة ، وجعلت تختطف الحجارة السكبارة ، ثم تصعد بها في الجو كأنها سهام النشاب وحملت شيئاً كثيراً من الجمال بأحمالها ، والآثاث والخيام والدواب ، فنقد الناس من ذلك شيئاً كثيراً ، فأنالله وإنا إليه راجعون . وفي هذا اليوم وقع مطر عظيم في دمشق وجاء سيل كثير ولا سيما في الصالحية .

وفيها أعيد علم الدين الدويدارى إلى مشد الدواوين بدمشق ، والصاحب تقي الدين بن توبة

(١) في النجوم الزاهرة والشذرات : ويقول وهو على البنفسج يحنق .

إلى الوزارة بدمشق . وفيها تولى قضاء المالكية بمصر زين الدين بن أبي مخلوف البريدي عوضاً عن
القاضي آق الدين برساس الذي توفى بها . وفيها درس بالفزالية بدر الدين بن جماعة انتزعها من يد
شمس الدين إمام الكلاسة ، الذي كان ينوب عن شمس الدين الايكي ، والايكي شيخ سعيد السعدا ،
باشرها شهراً ثم جاء مرسوم باعادتها إلى الايكي ، وأنه قد استناب عنه جمال الدين الباجر يقي ، فباشرها
الباجر يقي في ثالث رجب .

﴿ أحمد بن شيبان ﴾ ومن توفى فيها من الاعيان

ابن تغلب الشيباني أحد مشايخ الحديث المسنين المعمرين بدمشق ، توفى بصفر عن ثمان
وثمانين سنة ، ودفن بقاسيون .

﴿ الشيخ الامام العالم البارع ﴾

الشيخ جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن بجمان البكري الشريشي
المالكي ، ولد بشريش سنة إحدى وستائة ، ورحل إلى العراق فسمع بها الحديث من المشايخ
والقطيعي وابن زوربة وابن الليث وغيرهم ، واشتغل وحصل وساد أهل زمانه ، ثم عاد إلى مصر فدرس
بالمفاضلية ، ثم أقام بالقدس شيخ الحرم ، ثم جاء إلى دمشق فولى مشيخة الحديث بتربة أم الصالح ،
ومشيخة الرباط الناصري بالسفح ، ومشيخة المالكية ، وعرض عليه القضاء فلم يقبل . توفى يوم
الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري بقاسيون ، ودفن بسفح قاسيون تجاه الناصرية
وكانت جنازته حافلة جداً .

﴿ قاضي القضاة ﴾

يوسف ابن قاضي القضاة محيي الدين أبي الفضل يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي
ابن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، القرشي
الدمشقي المعروف بابن الزكي الشافعي ، كان فاضلاً مبرزاً ، وهو آخر من ولي القضاء من بني الزكي
إلى يومنا هذا ، ولد في سنة أربعين وستمائة ، توفى ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة ،
ودفن بقاسيون ، وتولى بعده ابن الخوى شهاب الدين .

﴿ الشيخ مجد الدين ﴾

يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الله المصري ثم الدمشقي الشافعي الكاتب المعروف بابن المهتار ،
كان فاضلاً في الحديث والأدب ، يكتب كتاباً حسنة جداً ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية ،
وقد سمع الكثير وانتفع الناس به وبكتابته ، توفى عاشر ذي الحجة ودفن بباب الفراديس .

﴿ الشاعر الأديب ﴾

شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيمي ، كانت له مشاركة
في علوم كثيرة ، ويد طولى في النظم الرائق ، الفائق جاوز الثمانين وقد تنازع هو ونجم الدين بن

إسرائيل في قصيدة بائية^(١) فتحا كما إلى ابن الفارض فأمرها بنظم أبيات على وزنها فنظم كل منهما فأحسن ، ولكن لابن الخيمي يد طولى عليه ، وكذلك فعل ابن خلكان ، وامتدحه على وزنها بأبيات حسان ، وقد أطل ترجمته الجزرى فى كتابه ، وفيها كانت وفاة .

﴿ الحاج شرف الدين ^(٢) ﴾

ابن مري ، والد الشيخ محي الدين النووى رحمه الله .

﴿ يعقوب بن عبد الحق ﴾

أبو يوسف المدينى سلطان بلاد المغرب ، خرج على الواثق بالله أبى دىوس فسلبه الملك بظاهر مراکش ، واستحوذ على بلاد الأندلس والجزيرة الخضراء ، فى سنة ثمان وستين وستائة ، واستمرت أيامه إلى محرم هذه السنة ، وزالت على يديه دولة الموحدين بها .

﴿ البيضاوى صاحب التصانيف ﴾

هو القاضى الامام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازى ، قاضيا وعالما وعالم أذربيجان وتلك النواحي ، مات بتبريز سنة خمس وثمانين وستائة . ومن مصنفاته المنهاج فى أصول الفقه ، وهو مشهور ، وقد شرحه غير واحد ، وله شرح التنبيه فى أربع مجلدات ، وله الغاية القصوى فى دراية الفتوى ، وشرح المنتخب والكافية فى المنطق ، وله الطوالع وشرح المحصول أيضا ، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة ، وقد أوصى إلى القطب الشيرازى أن يدفن بجانبه بتبريز والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين وستائة ﴾

فى أول المحرم ركبت العساكر صحبة نائب الشام حسام الدين لاجين إلى محاصرة صهيون وحصن برزية ، فما نعمهم الأمير سيف الدين سنقر الأشقر ، فلم يزالوا به حتى استنزله وسلمهم البلاد ، وسار إلى خدمة الساطن الملك المنصور ، فتلقاه بالاحترام ، وأعطاه مقدمة ألف فارس ، ولم يزل معظما فى الدولة المنصورية إلى آخرها ، وانقضت تلك الأحوال . وفى النصف من المحرم حاكم القاضى جلال الدين الحنفى نيابة عن أبيه حسام الدين الرازى ، وفى الثالث عشر من ربيع الأول قدم القاضى شهاب الدين محمد بن القاضى شمس الدين بن الخليل الخوى من القاهرة على قضاء قضاء دمشق ، وقرئ تقليده يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر ، واستمر بنبابة شرف الدين المقدسى وفى يوم الأحد ثلث شوال درس بالرواحية الشيخ صفي الدين الهندى ، وحضر عنده القضاء والشيخ تاج الدين الفزارى ، وعلم الدين الدويدارى ، وتولى قضاء قضاء القاهرة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الاعز ، عوضا عن برهان الدين الخضر السنجارى ، وقد كان وليها شهراً بعد ابن الخوى

(١) مطلعها : يامطلبا ليس لى فى غيره أرب * إليك آل التقصى وانتهى الطلب

(٢) كانت وفاته فى سنة ٦٨٢ .

فاجتمع حينئذ إلى ابن بنت الأعز بين القضاء كله بالديار المصرية ، وذلك في أوائل صفر منها .
 وفيها استدعى سيف الدين السامري من دمشق إلى الديار المصرية ليشتري منه ربع جزر
 ماء الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى ، فذكر لهم أنه وقفه ، وكان المتكلم في ذلك علم
 الدين الشجاعى ، وكان ظلماً ، وكان قد استنابه الملك المنصور بديار مصر ، وجعل يتقرب إليه بتحصيل
 الأموال ، ففتق لهم ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسى أن السامري اشترى هذا من بنت
 الأشرف ، وهى غير رشيدة ، وأثبت سفهها على زين الدين بن مخلوف الجائر الجاهل ، وأبطل البيع
 من أصله ، واسترجع على السامري بمثل مدة عشرين سنة مائتى ألف درهم ، وأخذوا منه حصته من
 الزنبقية قيمتها سبعين ألفاً وعشرة آلاف مائة ، وتركوه فقيراً على برد الديار ، ثم أثبتوا رشدها
 واشتروا منها تلك الحصص بما أرادوه ، ثم أرادوا أن يستدعوا بالدمشق واحداً بعد واحد ،
 ويصادر ونهم ، وذلك أنه بلغهم أن من ظلم بالشام لا يفلح وأن من ظلم بمصر أفلح وطالت مدته ،
 وكانوا يطلبونهم إلى مصر أرض الفراغة والظلم ، فيفعلون معهم ما أرادوا .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الامام أبى العباس أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن
 عبد الله بن أحمد الميمونى القيسى النورى المصرى ، ثم المالكى الشافعى المعروف بالقسطلانى ،
 شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، ولد سنة أربع عشرة وستائة ، ورحل إلى بغداد فسمع الكثير
 وحصل دلوماً ، وكان يفتى على مذهب الشافعى ، وأقام بمكة مدة طويلة ثم صار إلى مصر فولى مشيخة
 دار الحديث ، وكان حسن الأخلاق محبباً إلى الناس ، توفى فى آخر الحرم ودفن بالقرافة الكبرى ،
 وله شعر حسن أورد منه ابن الجزرى قطعة سالحة .

﴿ عماد الدين ﴾

محمد بن العباس الدنيسرى الطيب الماهر ، والحاذق الشاعر ، خدم الاكابر والوزراء وعمر ثمانين
 سنة وتوفى فى صفر من هذه السنة بدمشق .

﴿ قاضى القضاة ﴾

برهان الدين الخضر بن الحسين بن على السنجارى ، تولى الحكم بديار مصر غير مرة ، وولى
 الوزارة أيضاً ، وكان رئيساً وقوراً مهيباً ، وقد باشر القضاء بعده تقي الدين بن بنت الأعز .

﴿ شرف الدين سليمان بن عثمان ﴾

الشاعر المشهور ، له ديوان . مات فى صفر منها .

﴿ الشيخ الصالح عز الدين ﴾

عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل الحرائى ، ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع

الكثير ، ثم استوطن مصر حتى توفي بها في رابع عشر رجب ، وقد جاوز التسعين ، وقد سمع منه الحافظ علم الدين البرزالي لما رحل إلى مصر في سنة أربع وثمانين ، وحكى عنه أنه شهد جنازة في بغداد فتبعهم نباش ، فلما كان الليل جاء إلى ذلك القبر ففتح عن الميت ، وكان الميت شابا قد أصابته سكتة ، فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب الميت جالسا فسقط النباش ميتا في القبر ، وخرج الشاب من قبره ، ودفن فيه النباش . وحكى له قال : كنت مرة بقلوب وبين يدي صبرة قمح ، فجاء زنبور فأخذوا حدة ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى أربع مرات ، قال فاتبعته فاذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك . قال : وحكى لي الشيخ عبد الكافي أنه شهد مرة جنازة فاذا عبد أسود معنا ، فلما صلى الناس عليها لم يصل ، فلما حضرنا الدفن نظر إلى وقال : أنا عمله ، ثم ألقى نفسه في قبر ذلك الميت ، قال فنظرت فلم أر شيئا .

﴿ الحافظ أبو اليمن ﴾

أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي ترك الرياسة والأملك ، وجاور بمكة ثلاثين سنة ، مقبلا على العبادة والزهادة ، وقد حصل له قبول من الناس شاميهم ومصريهم وغيرهم ، توفي بالمدينة النبوية في ثاني رجب منها .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستائة ﴾

فيها قدم الشجاعى من مصر إلى الشام بنيسة المصادرة لأرباب الأموال من أهل الشام وفي أواخر ربيع الآخر قدم الشيخ ناصر الدين عبد الرحمن المقدسى من القاهرة ، على وكالة بيت المال ونظر الأوقاف ، ونظر الخصاص ، ومعه تقاليد وخلع فتردد الناس إلى بابه وتكلم في الأمور وأذى الناس ، وكانت ولايته بسفارة الامير علم الدين الشجاعى المتكلم في الديار المصرية ، توسل إليه بالشيخ شمس الدين الأيكي ويا بن الوحيد الكاتب ، وكانا عنده لهما صورة ، وقد طلب جماعة من أعيان الدماشقة في أول هذه السنة إلى الديار المصرية فطولبوا بأموال كثيرة ، فدافع بعضهم بعضا ، وهذا مما يخفف عقوبته من ظلمهم ، وإلا فلوصبروا لوجع الظالم بالمعقوبة ، ولزال عنهم ما يكرهون سريرا . ولما قدم ابن المقدسى إلى دمشق كان يحكم بتربة أم الصالح ، والناس يترددون إليه ويخافون شره ، وقد استجد باشورة بباب الفراديس ومساطب باب الساعات للشهود ، وجدد باب الجابية الشمالى ورفعها ، وكان متواطئا ، وأصلح الجسر الذى تحته ، وكذلك أصلح جسر باب الفراديس تحت السويقة التى جدها عليه من الجانبين . وهذا من أحسن ما عمله ابن المقدسى ، وقد كان مع ذلك كثير الأذية للناس ظلوما غشوما ، ويفتح على الناس أبوابا من الظلم لاجابة إليها .

وفي عاشر جمادى الأولى قدم من الديار المصرية أيضا قاضى القضاة حسام الدين الحنفى ،

والصاحب تقي الدين توبة التكريتي ، وقاضي القضاة جمال الدين محمد بن سليمان الزواوي المالكي على قضاء المالكية بعد شغوره عن حاكم بدمشق ثلاث سنين ونصف ، فأقام شعار المنصب ودرس ونشر المذهب وكان له مؤدد ورياسة .

وفي ليلة الجمعة رابع شعبان توفي الملك الصالح علاء الدين بن الملك المنصور قلاوون بالسنتارية فوجد عليه أبوه وجداً شديداً ، وقد كان عهد إليه بالأمر من بعده وخطب له على المنابر من مدة سنين ، فدفنه في تربته وجعل ولاية العهد من بعده إلى ابنه الأشرف خليل ، من بعد أبيه ، وخطب له على المنابر من بعد ذكر أبيه يوم الجمعة ، ودقت البشائر وزين البلد سبعة أيام ، ولبس الجيش الخلع وركبوا ، وأظهر الناس سروراً لشهامته ، مع مافي قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعى . وفي رمضان باشر حسبة دمشق شمس الدين بن السلعمسى عوضاً عن شرف الدين ابن الشيزرى وفيه توجه الشيخ بدر الدين بن جماعة إلى خطابة القدس بعد موت خطيبه قطب الدين ، فباشر بعده تدريس القيصرية علاء الدين أحمد بن القاضي تاج الدين بن بنت الأعرز . وفي شهر رمضان كبس نصراني وعنده مسلمة وهما يشربان الخمر في نهار رمضان ، فأمر نائب السلطنة حسام الدين لاجين بتحريق النصراني فبذل في نفسه أموالاً جزيلة فلم يقبل منه ، وأحرق بسوق الخليل ، وعمل الشهاب محمود في ذلك أبياتاً في قصيدة مديحة ، وأما المرأة فجلدت الحد .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الخطيب الامام قطب الدين ﴾

أبو الزكا عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن على بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، القرشى ، الزهرى ، خطيب بيت المقدس أربعين سنة ، وكان من الصلحاء الكبار محبوباً عند الناس ، حسن الهيئة مهيباً عزيز النفس ، يفقى الناس ويذكر التفسير من حفظه في الحراب بعد صلاة الصبح ، وقد سمع الكثير وكان من الاخيار ، ولد سنة ثلاث وستائة ، وتوفي ليلة الثلاثاء سابع رمضان عن أربع وثمانين سنة .

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى ، تقي الدين أبو إسحاق ، أصله من قلعة جعبر ، ثم أقام بالقاهرة ، وكان يعظ الناس وكان الناس يفتنون بكلامه كثيراً . توفي بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من الحرم ، ودفن في تربته بالحسينية ، وله نظم حسن ، وكان من الصلحاء المشهورين رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

يس بن عبد الله المقرئ الحجام ، شيخ الشيوخ محيى الدين النواوى ، وقد حج عشرين حجة ، وكانت له أحوال وكرامات .

﴿ الخو ندة غازية خاتون ﴾

بنت الملك المنصور قلاوون ، زوجة الملك السعيد .

﴿ الحكيم الرئيس ﴾

علاء الدين بن أبي الحزم بن نفيس ، شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد وكان يكتب من حفظه ، وكان اشتغاله على ابن الدخوارى ، وتوفى بمصر فى ذى القعدة .

﴿ الشيخ بدر الدين ﴾

عبد الله بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوى ، شارح الألفية التى عملها أبوه ، وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد ، وكان لطيفاً ظريفاً فاضلاً ، توفى فى يوم الأحد الثامن من المحرم ، ودفن من الغد بباب الصغير . والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ﴾

فبها كان فتح مدينة طرابلس : وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيوش المنصورة المصرية صحبته إلى دمشق ، فدخلها فى الثالث عشر من صفر ، ثم سار بهم وبجيش دمشق وصحبته خلق كثير من المتطوعة ، منهم القاضى نجم الدين الحنبلى ، قاضى الحنابلة ، وخلق من المقداسة وغيرهم ، فنزل طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الأول ، وحاصرها بالمجانيق حصاراً شديداً ، وضيقوا على أهلها تضيقاً عظيماً ، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقاً ، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة فتحت طرابلس فى الساعة الرابعة من النهار عنوة ، وشمل القتل والأسر جميع من فيها ، وفرق كثير من أهل الميناء وسبيت النساء والأطفال ، وأخذت الذخائر والحواصل ، وقد كان لها فى أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ ، وقد كانت قبل ذلك فى أيدي المسلمين من زمان معاوية ، فقد فتحها سفيان بن نجيب لمعاوية ، فأسكنها معاوية اليهود ، ثم كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها وحصنها وأسكنها المسلمين ، وصارت آمنة عامرة مطمئنة ، وبها ثمار الشام ومصر ، فان بها الجوز والموز والتلج والقصب ، والمياه جارية فيها تصعد إلى أماكن عالية ، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة ، ثم صارت بلداً واحداً ، ثم حولت من موضعها كما سيأتى الآن . ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشائر وزينت البلاد وفرح الناس فرحاً شديداً والله الحمد والمنة .

ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلدة بما فيها من العمار والدور والأسوار الحصينة التى كانت عليها ، وأن يبني على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن ، ففعل ذلك ، فهى هذه البلدة التى يقال لها طرابلس ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً مسروراً محبوراً ، فدخلها يوم النصف من جمادى الآخرة ، واسكنه فؤاد الأمور والكلام فى الاموال فيها إلى إلى علم الدين

الشجاعى ، فصادر جماعة وجمع أموالا كثيرة ، وحصل بسبب ذلك أذى الخلق ، وبئس هذا الصنيع فان ذلك تعجيل لدمار الظالم وهلاكه ، فلم يفن عن المنصور ما جمع له الشجاعى من الأموال شيئا ، فانه لم يعيش بعد ذلك إلا اليسير حتى أخذه الله أخذ القرى وهى ظالمة ، كما سيأتى . ثم سافر السلطان فى ثانى شعبان بجيشه إلى الديار المصرية ، فدخلها فى أواخر شعبان . وفيها فتحت قلاع كثيرة بناحية حلب : كركر ، وتلك النواحي ، وكسرت طائفة من التتر هناك ، وقتل ملكهم خربندا نائب التتر على ملطية .

وفىها تولى الحسبة بدمشق جمال الدين يوسف بن التقي توبة التكريتى ثم أخذها بعد شهر تاج الدين الشيرازى . وفيها وضع منبر عند محراب الصحابة بسبب عمارة كانت فى المقصورة ، فصلى برهان الدين الاسكندرى نائب الخطيب بالناس هناك مدة شهر ، الجماعات والجمعات ، ابتدؤا ذلك من يوم الجمعة الثانى والعشرين من ذى الحجة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخة فاطمة بنت الشيخ إبراهيم الزعبي ﴾
زوجة النجم بن إسرائيل ، كانت من بيت الفقر ، لها سلطنة وإقدام وترجمة وكلام فى طريقة الحريرية وغيرهم ، وحضر جنازتها خلق كثير ، ودفنت عند الشيخ رسلان .

﴿ العالم ابن الصاحب ﴾

الشيخ الماجن ، هو الشيخ الفاضل علم الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر ، كان من بيت علم ورياسة ، وقد درس فى بعض المدارس ، وكانت له وجهة ورياسة ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على الحرفشة وصحبة الحرافيش والتشبه بهم فى اللباس والطريقة ، وأكل الحشيش واستعمله ، كان من الفهم فى الخلاعة والمجون والزوائد الرائقة الفائقة التى لا يلحق فى كثير منها ، وقد كان له أولاد فضلاء ينهونه عن ذلك فلم يلتفت إليهم ، ولم يزل ذلك دأبه حتى توفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الأول . ولما ولى القضاة الأربعة كان ابن خالته تاج الدين بن بنت الأعرز مستقلا فى القضاء قبل ذلك ، فقال له ابن الصاحب المذكور : ما مت حتى رأيتك صاحب ربيع ، فقال له : تسكت وإلا خليتهم يسقونك السم ، فقال له : فى قلة دينك تفعل ، وفى قلة عقولهم يسمعون منك ، وقال يمدح الحشيشة الخسيسة :

فى خمار الحشيش معنى مراعى * يا أهيل العقول والافهام
حرموها عن غير عقل ونقل * وحرام تحريم غير الحرام
وله أيضاً : يانفس ميلى إلى التصابى * فاللهو منه الفتى يعيش
ولا تملى من سكر يوم * إن أعوز الخمر فالحشيش

وله أيضاً : جمعت بين الحشيش والحمر * فرحت لا أهتدى من السكر
يا من يرينى لباب مدرستى * يربح والله غاية الأجر
وقال يهجو صاحب بهاء الدين بن الحنا .

أقعد بها وتمنا * لا بد أن تنعفى * تكتب على بن محمد * من ابن لك يا ابن حنا
فاستدعاه فضر به ثم أمر به إلى المارستان فمكث فيه سنة ثم أطلق .

﴿ شمس الدين الاصبهاني ﴾

شارح المحصول : محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني العلامة ، قدم دمشق بعد الحسين
وسمائه ، وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله ، وسمع الحديث وشرح المحصول للرازي ، وصنف القواعد في
أربعة فنون ، أصول الفقه ، وأصول الدين ، والمنطق ، والخلاف . وله معرفة جيدة في المنطق والنحو
والأدب ، وقد رحل إلى مصر فدرس بمشهد الحسين والشافعي وغيرها ، ورحل إليه الطلبة ، توفي في
العشرين من رجب في القاهرة عن ثنتين وسبعين سنة .

﴿ الشمس محمد بن العفيف ﴾

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني ، الشاعر المطبق ، كانت وفاته في حياة أبيه فتألم
له ووجد عليه وجدا شديدا ، ورنه بأشعار كثيرة ، توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من رجب ،
وصلى عليه بالجامع ، ودفن بالصوفية . فن رائق شعره قوله :

وإن ثناياه نجوم لبدرة * وهن لعقد الحسن فيه فرائد

وكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحلى ثغره وهو بارد

وله ينم الحشيشة :

ما للحشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف إلى رشده

صفراء في وجهه خضراء في فمه * حمراء في عينه سوداء في كبده

ومن شعره أيضاً : بدا وجهه من فوق ذابل خده * وقد للاح من سود الذوائب في جنح

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجا * وقد طلعت شمس النهار على رمح

وله من جملة أبيات .

ما أنت عندى والقضية * ب اللدن في حدسوى * هداك حركة الهوا * ء وانت حركت الهوى

﴿ الملك المنصور شهاب الدين ﴾

محمود بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، توفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان ، وصلى عليه
بالجامع ، ودفن من يومه بتربة جده ، وكان ناظرها ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان يحب أهله ،

وكان فيه لطف وتواضع .

﴿ الشيخ نضر الدين أبو محمد ﴾

عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي الحنبلي ، شيخ دار الحديث النورية ومشهد ابن عروة ، وشيخ الصدرية ، كان يفقه ويفيد الناس مع ديانة وصلاح وزهادة وعبادة ، ولد سنة إحدى عشرة وستمائة ، وتوفي في رجب منها .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة ﴾

فيها كانت وفاة الملك المنصور قلاوون ، وكان الخليفة الحاكم العباسي ، ونائب مصر حسام الدين طرطاي ، ونائب الشام حسام الدين لاجين ، وقضاة الشام شهاب الدين بن الخوى الشافعي ، وحسام الدين الحنفي ، ونجم الدين بن شيخ الجبل ، وجمال الدين الزواوي المالكي ، وجاء البريد يطالب شمس الدين سنقر الأشقر إلى الديار المصرية ، فأكرمه السلطان وقواه وشديده وأمره باستخلاص الأموال ، وزاده مشد الجيوش ، والكلام على الحصون إلى البيرة وكختا وغير ذلك ، فقويت نفسه وزاد تجبره . ولكن كان يرجع إلى مروءة وستر وينفع من ينتمى إليه ، وذلك مودة في الدنيا في أيام قلاوون ، وفي جمادى الآخرة جاء البريد بالكشف على ناصر الدين المقدسي وكيل بيت المال ، وناظر الخاص ، فظهرت عليه مخازي من أكل الأوقاف وغيرها ، فرسم عليه بالعندراوية وطولبتك الأموال وضيق عليه ، وعمل فيه سيف الدين أبو العباس السامري قصيدة يتشفي فيها لما كان أسدى إليه من الظلم والأيذاء ، مع أنه راح إليه وتعم له وتمازحاً هنالك ، ثم جاء البريد بطلبه إلى الديار المصرية تخاف النواب من ذهابه ، فأصبح يوم الجمعة وهو مشنوق بالمدرسة العندراوية ، فطلبت القضاة والشهود فشاهدوه كذلك ، ثم جهز وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر الصوفية عند أبيه ، وكان مدرساً بالرواحية وتربة أم الصالح ، مع الوكالتين والنظر .

وجاء البريد بعمل مجانبق لحصار عكا فركب الأعرس إلى أراضى بعلبك لما هنالك من الأخشاب العظيمة التي لا يوجد مثلها بدمشق ، وهي تصلح لذلك ، فكثرت الجنائيات والجبايات والسخر ، وكلفوا الناس تكاليفاً كثيراً ، وأخذوا أخشاب الناس ، وحملت إلى دمشق بكلفة عظيمة وشدة كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ وفاة الملك المنصور قلاوون ﴾

بينما الناس في هذا الهم والمصادرات وأمثال ذلك إذ وردت بريدياً فأخبروا بوفاة الملك المنصور يوم السبت سادس ذي القعدة من هذه السنة ، بالنجيم ظاهر القاهرة ، ثم حمل إلى قلعة الجبل ليلاً وجلس بعده ولده الملك الأشرف خليل بولاية العهد له ، وحلف له جميع الأمراء ، وخطب له على المنابر ، وركب في أبيه الملك ، والعساكر كلهم في خدمته مشاة من قلعة الجبل إلى الميدان الأسود الذي هو سوق الخليل ، وعلى الأمراء والمقدمين الخلع ، وعلى القضاة والأعيان ، ولما جاءت الأخبار

بذلك حاف له الامراء بالشام ، وقبض على حسام الدين طرقتاى نائب أبيه وأخذ منه أموالا جزيلة أنفق منها على العساكر .

وفيهما ولي خطابة دمشق زين الدين عمر بن مكى بن المرحل عوضا عن جمال الدين بن عبد الكافي وكان ذلك بمساعدة الأعرس ، وتولى نظر الجامع الرئيس وجيه الدين بن المنجى الحنبلى ، عوضا عن ناصر الدين بن المقدسى ، ومرو وقفه وعمره وزاد مائة وخمسين ألفا . وفيها احترقت دار صاحب حماة ، وذلك أنه وقع فيها نار في غيبته فلم يتجاسر أحد يدخلها ، فعملت النار فيها يومين فاحترقت واحترق كل ما فيها .

وفي شوال درس بتربة أم الصالح بعد ابن المقدسى القاضى إمام الدين القونوى ، وفيها باشر الشرف حسين بن أحمد بن الشيخ أبى عمر قضاء الخطابة عوضا عن ابن عمه نجم الدين بن شيخ الجبل ، عن مرسوم الملك المنصور قبل وفاته . وحج بالناس في هذه السنة من الشام الأمير بدر الدين بكتوت الدوباسى ، وحج قاضى القضاة شهاب الدين بن الخوى ، وشمس الدين بن السلعموس ومقدم الركب الأمير عتبة ، فتوهم منه أبو نى ، وكان بينهما عداوة ، فأغلق أبواب مكة ومنع الناس من دخولها فاحرق الباب وقتل جماعة ونهب بهض الاماكن ، وجرت خطوب فظيعة ، ثم أرسلوا القاضى ابن الخوى ليصالح بين الفريقين ، ولما استقر عند أبى نى رحل الركوب وبقي هو فى الحرم وحده وأرسل معه أبو نى من أخفقه بهم سالما معظما . وجاء الخبر بموت المنصور إلى الناس وهم بمرفات وهذا شئ عجيب . وجاء كتاب يستحث الوزير ابن السلعموس فى المسير إلى الديار المصرية ، وبين الأسطر بنخط الملك الأشرف : يا شقير يا وجه الخير احضر لتستلم الوزارة . فساق إلى القاهرة فوصلها يوم الثلاثاء عاشر المحرم ، فتسلم الوزارة كما قال السلطان .

ومن توفى فيها من الأعيان . (السلطان الملك المنصور قلاوون)

ابن عبد الله التركى الصالحى الأتقى ، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، بألفى دينار ، وكان من أكابر الأمراء عنده وبعده ، ولما تزوج الملك السعيد بن الظاهر بابنته غازية خاتون ، عظم شأنه جدا عند الظاهر ، وما زال يترفع فى الدولة حتى صار أتاكب سلامش بن الظاهر ، ثم رفعه من البين واستقل بالملك فى سنة أربع وثمانين ، وفتح طراباس سنة ثمان وثمانين ، وعزم على فتح عكا وبرز إليها فعاجلته المنية فى السادس والعشرين من ذى القعدة ، ودفن بتربته بمدرسته الهائلة التى أنشأها بين القصرين ، التى ليس بديار مصر ولا بالشام مثلها . وفيها دار حديث ومارستان . وعليها أوقاف دارة كثيرة عظيمة ، مات عن قريب من ستين سنة ، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة ، وكان حسن الصورة مهيبا ، عليه أبهة السلطنة

ومهاية الملك ، تام القامة حسن الاحية على الهمة شجاعا وقورا سامحه الله .

﴿ الأمير حسام الدين طرقتاي ﴾

نائب السلطنة المنصورية بمصر ، أخذته الأشرف فسجنه في قلعة الجبل ، ثم قتله وبقى ثمانية أيام لا يدري به ، ثم لف في حصير وألقى على مزبلة ، وحرزن عليه بعض الناس ، فكفن كآحاد الفقراء بعد النعيم الكثير ، والدنيا المتسعة ، والكامة النافذة ، وقد أخذ السلطان من حواصله ستمائة ألف دينار وسبعين قنطاراً بالمصرى فضة ، ومن الجواهر شيئا كثيرا ، سوى الخيل والبغال والجمال والأمتعة والبسط الجياد ، والأسلحة المثمينة ، وغير ذلك من الحواصل والأملاك بمصر والشام ، وترك ولدين أحدهما أعمى ، وقد دخل هذا الأعمى على الأشرف فوضع المنديل على وجهه وقال شئ لله وذكر له أن لهم أياما لا يجدون شيئا يأكلونه ، فرق له وأطلق لهم الاملاك يأكلون من ريعها ، فسبحان الله المتصرف في خلقه بما يشاء ، يعز من يشاء ويذل من يشاء .

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

رشيد الدين عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي الشافعى ، مدرس الظاهرية ، توفى بها وقد جاوز التسعين ، وجد مخنوقا في المحرم ، ودفن بالصوفية ، وقد سمع الحديث وكان منفردا في فنون من العلوم كثيرة ، منها علم النحو والأدب وحل المترجم والكتابة والانشاء وعلم الفلك والنجوم وضرب الرمل والحساب وغير ذلك ، وله نظم حسن .

﴿ الخطيب جمال الدين أبو محمد ﴾

عبد الكافى بن عبد الملك بن عبد الكافى الربعى ، توفى بدار الخطابة وحضر الناس الصلاة عليه يوم السبت سلخ جمادى الأولى ، وحمل إلى السفح فدفن إلى جانب الشيخ يوسف الفقاعى .

﴿ نخر الدين أبو الظاهر إسماعيل ﴾

ابن عز القضاة أبى الحسن على بن محمد بن عبد الواحد بن أبى اليمن ، الشيخ الزاهد المتقل من متاع الدنيا ، توفى فى العشرين من رمضان ، وصلى عليه فى الجامع ، ودفن بتربة بنى الزكى بقاسيون محبة فى محبى الدين بن عربى ، فانه كان يكتب من كلامه كل يوم ورقتين ، ومن الحديث ورقتين وكان مع هذا يحسن الظن به ، وكان يصلى مع الأئمة كلهم بالجامع ، وقد أخبر عنه بعض العلماء أنه رأى بخطه .

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه عينه

وقد صحح على « عينه » وإنما الصحيح الروى عن أنشد هذا الشعر

* تدل على أنه واحد *

وله شعر منه : والنهر منجن فى الغصون هوى * فراح فى قلبه يملها

فغار منه النسيم عاشقها * فجاء عن وصله يميلها
وله أيضا : لما تحقق بالامكان فوقكم * وقد بدا حكمه في عالم الصور
فبجز الجمع عنه وهو متخذ * فلاح فرقكم في عالم الصور
وله : لي سادة لا أرى سواهم * هم عين معنای وعين جوفى
لقدأ حاطوا بكل جزء * منى وعزوا عن درك طرفى
هم نظروا في عموم قبرى * وطول ذلى وفرط ضعفى
فعاملوني ببيحت جود * وصرف برومحض لطف
فلاتلم إن جررت ذيلى * نخرآ بهم أو ثنيت عطفى
مواهب ذى الجلال لدى تبرى * فقد أخرستنى ونطقن شكرا
وله : فنعنى إثر نعنى إثر نعنى * وبشرى بعد بشرى بعد بشرى
لها بدء وليس لها انتهاء * يعم مزيدها دنيا وأخرى

﴿ الحاج طبيرس بن عبد الله ﴾

علاء الدين الوزير ، صهر الملك الظاهر ، كان من أكابر الأمراء ذوى الحل والعقد ، وكان ديناً
كثير الصدقات ، له خان بدمشق أوقفه ، وله في فكك الاسرى وغير ذلك ، وأوصى عند موته
بثلاثمائة ألف تصرف على الجند بالشام ومصر ، فحصل لكل جندي خمسون درهما ، وكانت وفاته
في ذى الحجة ، ودفن بتربته بسفح المقطم .

﴿ قاضى القضاة ﴾

نجم الدين أبو العباس بن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر المقدسى ، توفى ثلثى عشر رجب
بسوا ، وكان فاضلاً بارعاً خطيباً مدرسا بأكثر المدارس ، وهو شيخ الحنابلة وابن شيخهم ، وتولى
بعده القضاة الشيخ شرف الدين حسين بن عبد الله بن أبي عمر ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين وستائة من الهجرة ﴾

فيها فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج من مدد متطاولة ، ولم يبق لهم فيها
حجر واحد والله الحمد والمنة

استهات هذه السنة والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس العباسى ، وسلطان البلاد الملك الأشرف
خليل بن المنصور قلاوون ، ونائبه بمصر وأعمالها بدر الدين بيسدرا ، ووزيره ابن السلعوس
الصاحب شمس الدين ، ونائبه بالشام حسام الدين لاجين السلحدارى المنصورى ، وقضاة الشام

هم المذكورون في التي قبلها، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، وصاحب مكة نجم الدين أبو نعيم محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسيني، وصاحب المدينة عز الدين جهاز بن شيحة الحسيني، وصاحب الروم غياث الدين كنجسهر، وهو ابن ركن الدين قليج أرسلان السلجوقي، وصاحب حماة تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمد، وسلطان بلاد العراق وخراسان وتلك النواحي أرغون بن أبقا بن هولاقو بن تولى بن جنكزخان.

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جداً من الذهب والفضة، وأنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة فدفن بها تحت القبة، ونزل في قبره بدر الدين بيدرا، وعلم الدين الشجاعى، وفرقت صدقات كثيرة حينئذ، ولما قدم صاحب شمس الدين بن السلعموس من الحجاز خلع عليه للوزارة، وكتب تقليده بها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب الانشايه، وركب الوزير في أبهة الوزارة إلى داره، وحكم. ولما كان يوم الجمعة قبض على شمس الدين سنقر الأشقر وسيف الدين بن جرمك الناصرى، وأفرج عن الأمير زين الدين كتبغا وكان قد قبض عليه مع طرقتاى، ورد عليه أقطاعه، وأعيد التقي توبة إلى وزارة دمشق مرة أخرى. وفيها أثبت ابن الخوى محضراً يتضمن أن يكون تدريس الناصرية للقاضي الشافعى وانتزعا من زين الدين الفارقي.

﴿ ذكر فتح عكا وبقية السواحل ﴾

وفيها جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا، ونودي في دمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا، وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين فقتلواهم وأخذوا أموالهم، فأبرزت المناجيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة والمتطوعة بجزون في العجل حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء، وتولى ساقها الأمير علم الدين الدويدارى، وخرجت العساكر بين يدي نائب الشام، وخرج هو في آخرهم، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر وخرج الناس من كل صوب، واتصل بهم عسكر طرابلس، وركب الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصداً عكا، فتوافت الجيوش هنالك، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر ونصبت عليها المناجيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق على أهلها، واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيح البخارى، فقرأه الشيخ شرف الدين الفزارى، فحضر القضاة والفضلاء والأعيان. وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخييط من نائب الشام حسام الدين لاجين، فتوهم أن السلطان يريد مسكه، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذى يقال له أبو خرص، فركب هاربا فردده علم الدين الدويدارى بالمسابة وجاء به إلى السلطان فطيب قلبه وخلع عليه ثم

أمسكه بعد ثلاثة أيام وبعثه إلى قلعة صفد واحتاط على حواصله، ورسم على أستاذ داره بدر الدين بكداش، وجري مالا يليق وقوعه هنالك، إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار. وصمم السلطان على الحصار فرتب الكوسات ثلثمائة حمل، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ودقت الكوسات جملة واحدة عند طلوع الشمس، وطاع المسلمون على الأسوار مع طلوع الشمس، ونصبت السناجق الإسلامية فوق أسوار البلد، فوات الفرنج عند ذلك الأدبار، وركبوا هاربين في مراكب التجار، وقتل منهم عدد لا يعلمه إلا الله تعالى، وغنموا من الأمتعة والرقيق والبضائع شيئاً كثيراً جداً، وأمر السلطان بهدمها وتخريبها، بحيث لا ينتفع بها بعد ذلك، فيسر الله فتحها نهار الجمعة، كما أخذتها الفرنج من المسلمين في يوم الجمعة، وسلت صور وصيدا قيادتهما إلى الأشرف، فاستوثق الساحل للمسلمين، وتنظف من الكافرين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وجاءت البطاقة إلى دمشق بذلك ففرح المسلمون، ودقت البشائر في سائر الحصون، وزينت البلاد ليتنزه فيها الناظر ونال المتفرجون، وأرسل السلطان إلى صور أمير أفهم أسوارها وعفا آثارها. وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثمان عشرة وخمسة مائة. وأما عكا فقد كان الملك الناصر يوسف بن أيوب أخذها من أيدي الفرنج، ثم إن الفرنج جاؤا فأحاطوا بها بجيوش كثيرة، ثم جاء صلاح الدين ليانهم عنها مدة سبعة وثلاثين شهراً، ثم آخر ذلك استملكوها وقتلوا من كان فيها من المسلمين، كما تقدم ذلك.

ثم إن السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سار من عكا قاصداً دمشق في أبهة الملك وحرمة وافرة، وفي صحبته وزيره ابن السلموس والجيوش المنصورة، وفي هذا اليوم استناب بالاشام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وسكن بدار السعادة، وزيد في إقطاعه حرساً ولم تقطع لغيره، وإنما كانت لمصالح حواصل القلعة، وجعل له في كل يوم ثلثمائة على دار الطعام، وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة، وأرسله السلطان إلى صيدا لأنه كان قد بقي بها برج عصى، ففتحها ودقت البشائر بسببه، ثم عاد سريعاً إلى السلطان فودعه، وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب، وبعثه إلى بيروت ليفتحها فسار إليها ففتحها في أقرب وقت، وسلت عنلية وانظرطوس وجبيل. ولم يبق بالسواحل والله الحمد معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين، وأراح الله منهم البلاد والعباد، ودخل السلطان إلى القاهرة في تاسع شعبان في أبهة عظيمة جداً، وكان يوماً مشهوداً. وأفرج عن بدر الدين بيسرى بعد سبع سنين. ورجع علم الدين سنجر الشجاعى نائب دمشق إلى دمشق في سابع عشرين الشهر المذكور، وقد نظف السواحل من الفرنج بالكلية، ولم يبق لهم بها حجر. وفي رابع رمضان أفرج عن حسام الدين لاجين من قلعة صفد ومعه جماعة

أمراء ، ورد عليهم إقطاعاتهم ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

وفي أوائل رمضان طلب القاضي بدر الدين ابن جماعة من القدس الشريف وهو حاكم به ، وخطيب فيه ، على البريد إلى الديار المصرية فدخلها في رابع عشره ، وأفطر ليلته عند الوزير ابن السلعوس وأكرمه جداً واحترمه ، وكانت ليلة الجمعة ، فصرح الوزير بمنزل تقي الدين ابن بنت الاعز وتولية ابن جماعة بالديار المصرية قضاء القضاة ، وجاء القضاة إلى تهنئته وأصبح الشهود بخدمته ، ومع القضاء خطابة الجامع الأزهر ، وتدريس الصالحية ، وركب في الخلعة والطرحة ورسم لقبية القضاة أن يستمروا بلبس الطرحات ، وذهب نخطب بالجامع الأزهر ، وانتقل إلى الصالحية ودرس بها في الجمعة الأخرى وكان درساً حافلاً ، ولما كان يوم الجمعة رسم السلطان للحاكم بأمر الله أن يخطب هو بنفسه الناس يومئذ وأن يذكر في خطبته أنه قد ولي السلطنة للأشرف خليل بن المنصور ، فلبس خلعة سوداء وخطب الناس بالخطبة التي كان يخطب بها في الدولة الظاهرية ، وكانت من إنشاء الشيخ شرف الدين المقدسي في سنة ستين وستائة ، فيكون بين الخطبتين أزيد من ثلاثين سنة ، وذلك بجامع قلعة الجبل ، ثم استمر ابن جماعة يخطب بالقلعة عند السلطان ، وكان يستنيد في الجامع الأزهر .

وأما ابن بنت الأعز ففاله من الوزير إخراج ومصادرة وإهانة بالغة ، ولم يترك له من مناصبه شيئاً ، وكان بيده سبعة عشر منصباً ، منها القضاء والخطابة ونظر الأعباس ومشايخ الشيوخ ، ونظر الخزانة وتداريس كبار ، وصادره بنحو من أربعين ألف ، غير مرا كبه وأشياء كثيرة ، ولم يظهر منه استكانة له ولا خضوع ، ثم عاد فرضى عنه وولاه تدريس الشافعي ، وعملت ختمة عند قبر المنصور في ليلة الاثنين رابع ذي القعدة وحضرها القضاة والأمراء ، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت السحر ، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة ، حرض الناس على غزو بلاد العراق واستنناذها من أيدي التتر ، وقد كان الخليفة قبل ذلك محتجباً فرآه الناس جبهة ، وركب في الاسواق بعد ذلك ، وعمل أهل دمشق ختمة عظيمة بالميدان الأخضر إلى جانب القصر الأبلق ، فقرئت ختمات كثيرة ثم خطب الناس بعدها الشيخ عز الدين القاروني ، ثم ابن البرزوري ، ثم تكلم من له عادة بالكلام وجاءت البريدية بالتهيبؤ لغزو العراق ، ونودي في الناس بذلك ، وعملت سلاسل عظام بسبب الجسورة على دجلة بغداد ، وحصلت الأجور على المقصود وإن لم يقع المقصود ، وحصل لبعض الناس أذى بسبب ذلك .

وفيهما نادى نائب الشام الشجاعى أن لا تلبس امرأة عمامة كبيرة ، وخرب الأبنية التي على نهر بانياس والجداول كلها والمساح والسقايات التي على الأنهار كلها ، وأخرب جسر الزلاية وما عليه من الدكاكين ، ونادى أن لا يمشی أحد بعد العشاء الآخرة ، ثم أطلق لهم هذه فقط ، وأخرب الحمام

الذى كان بناه الملك السعيد ظاهر باب النصر ، ولم يكن بدمشق أحسن منه ، ووسع الميدان الأخضر من ناحية الشمال مقدار سدسه ، ولم يترك بينه وبين النهر الا مقداراً يسيراً ، وعمل هو بنفسه والأمراء بحيطانه .

وفيهما حبس جمال الدين آقوش الأفرم المنصورى وأميراً آخر معه فى القلعة .
وفيهما حمل الأمير علم الدين الدويدارى إلى الديار المصرية مقيداً . وقد نظم الشيخ شهاب الدين محمود قصيدة فى فتح عكا .

الحمد لله زالت دولة الصلب * وعز بالترك دين المصطفى العربى
هذا الذى كانت الآمال لو طلبت * رؤياه فى النوم لاستحييت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها * فى البحر للترك عند البر من أرب
لم يبق من بعدها للكفر إذ خربت * فى البحر والبر ما ينجى سوى الهرب
أم الحروب فكم قد أنشأت فتناً * شاب الوليد بها هولاً ولم تشب
يايوم عكا لقد أنسيت ما سبقت * به الفتوح وما قد خط فى الكتب
لم يبالغ النطق حد الشكر فيك فإ * عسى يقوم به ذو الشعر والأدب
أغضبت عباد عيسى إذ أبدتهم * لله أى رضى فى ذلك الغضب
وأشرف الهادى المصطفى البشير على * ما أسلف الأشرف السلطان من قرب
فقر عينا لهذا الفتح وابتهجت * ببشره الكعبة الغراء فى الحجب
وسار فى الأرض سيراً قد سمعت به * فالبر فى طرب ، والبحر فى حرب

وهى طويلة جداً ، وله ولنغيره فى فتح عكا أشعار كثيرة . ولما رجع البريد أخبر بأن السلطان لما عاد إلى مصر خلع على وزيره ابن السلعوس جميع ملابسه التى كانت عليه ، ومر كونه الذى كان تحتها ، فركبه و رسم له ثمانية وسبعين ألفاً من خزانة دمشق ، ليشتري له بها قرية قرحتا من بيت المال .

وفى هذه السنة انتهت عمارة قلعة حلب بعد الخراب الذى أصابها من هولاء كواصحابه عام ثمان وخمسين . وفيها فى شوال شرع فى عمارة قلعة دمشق وبناء الدور السلطانية والطارمة والقبعة الزرقاء ، حسب ما رسم به السلطان الأشرف خليل بن قلاوون لنائبه علم الدين سنجر الشجاعى . وفيها فى رمضان أعيد إلى نيابة القلعة الأمير أرجواش وأعطى إقطاعات سنوية . وفيها أرسل الشيخ الرجيعى من ذرية الشيخ يونس مضيقة عليه محصوراً إلى القاهرة ، وفيها درس عز الدين القارونى بالمدرسة النجيبية عوضاً عن كمال الدين ابن خلكان ، وفى ذلك اليوم درس نجم الدين مكى بالرواحية

عوضاً عن ناصر الدين ابن المقدسى ، وفيه درس كمال الدين الطيب بالمدرسة الدخارية الطبية ، وفي هذا الشهر درس الشيخ جلال الدين الخبازى بالخانوية البرانية ، وجمال الدين بن الناصر بقى بالفتحية ، وبرهان الدين الاسكندرى بالقوصية التى بالجامع ، والشيخ نجم الدين الدمشقى بالشريفية عند حارة الغرباء . وفيها أعيدت الناصرية إلى الفاروق وفيه درس بالأمينية القاضى نجم الدين ابن صصرى بعد ابن الزملكانى ، وأخذت منه العادلية الصغيرة لجمال الدين ابن الزملكانى .

ومن توفى فيها من الأعيان : ﴿ أرغون بن أبغما ملك التتار ﴾

كان شهماً شجاعاً سفاكاً للدماء ، قتل عمه السلطان أحمد بن هولوكو ، فمظم فى أعين المغول فلما كان فى هذه السنة مات من شراب شر به فيه سم ، فاتهمت المغول اليهود به - وكان وزيره سعد الدولة ابن الصفى يهودياً - فقتلوا من اليهود خلقاً كثيراً ، ونهبوا منهم أموالاً عظيمة جداً فى جميع مدائن العراق ، ثم اختلفوا فىمن يقيمونه بعده ، فمالت طائفة إلى كيخوتو فأجسلوه على سرير المملكة ، فبقى مدة ، قيل سنة وقيل أقل من ذلك ، ثم قتلوه وملكوا بعده بيدرا . وجاء الخبر بوفاة أرغون إلى الملك الأشرف وهو محاصر عكا ففرح بذلك كثيراً ، وكانت مدة ملك أرغون ثمان سنين ، وقد وصفه بعض مؤرخى العراق بالعدل والسياسة الجيدة .

﴿ المسند المعمر الرحالة ﴾

فخر الدين بن النجار وهو أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى المعروف بابن النجار ، ولد فى سلخ أو مستهل سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وسمع الكثير ورحل مع أهله ، وكان رجلاً صالحاً عبداً زاهداً ورعاً ناسكاً ، تفرد بروايات كثيرة لطول عمره ، وخرجت له مشيخات وسمع منه الخلق الكثير والجم الغفير ، وكان منصوباً لذلك حتى كبر وأسن وضمف عن الحركة ، وله شعر حسن ، منه قوله :

تكررت السنون على حتى * بليت وصرت من سقط المتاع
وقل النفع عندى غير أنى * أعلل بالرواية والسماع
فان يك خالصاً فله جزاء * وإن يك مالقاً فالى ضياع
وله أيضاً : إليك اعتذارى من صلاتى قاعداً * وعجزى عن سعى إلى الجمعات
وتركى صلاة الفرض فى كل مسجد * تجمع فيه الناس للصلوات
فيارب لا تمقت صلاتى ونجى * من النار واصفح لى عن الهفوات

توفى ضحى نهار الأربعاء الثانى ربيع الآخر من هذه السنة ، عن خمس وتسعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن عند والده الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الواحد بسفح قاسيون .

﴿ الشيخ تاج الدين الفزاري ﴾

عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الدين أبو محمد الفزاري ، الامام العلامة العالم ، شيخ الشافعية في زمانه ، حاز قصب السبق دون أقرانه ، وهو والد شيخنا العلامة برهان الدين . كان مولد الشيخ تاج الدين في سنة ثلاثين وستائة ، وتوفي ضحى الاثنين خامس جمادى الآخرة ، بالمدرسة البادرانية وصلى عليه بعد الظهر بالاموى ، تقدم للصلاة عليه قاضى القضاة شهاب الدين بن الخوي ، ثم صلى عليه عند جامع جراح الشيخ زين الدين الفارقي ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وكان يوما شديد الزحام . وقد كان ممن اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة ، والأخلاق اللطيفة ، وفصاحة المنطق ، وحسن التصنيف ، وعلو الهمة ، وفقه النفس ، وكتابه الأقليد الذى جمع على أبواب التنبيه وصل فيه إلى باب الغصب ، دليل على فقه نفسه وعلوقدره ، وقوة همته ونفوذ نظره ، واتصافه بالاجتهاد الصحيح في غالب ما سطره ، وقد انتفع به الناس ، وهو شيخ أكابر مشايخنا هو ومحمى الدين النووى ، وله اختصار الموضوعات لابن الجوزى ، وهو عندي بخطه ، وقد سمع الحديث الكثير وحضر عند ابن الزبيدى صحيح البخارى ، وسمع من ابن اللبثى وابن الصلاح واشتغل عليه ، وعلى ابن عبد السلام وانتفع بهما ، وخرج له الحافظ علم الدين البرزالى أحد تلاميذه مشيخة في عشرة أجزاء عن مائة شيخ فسمعها عليه الأعيان : وله شعر جيد فنه :

الله أيام جمع الشمل ما برحت * بها الحوادث حتى أصبحت سمرا
ومبتدا الحزن من تاريخ مسألتى * عنكم ، فلم ألق لاعينا ولا أثرا
ياراحلين قدرتم فالنجاة لكم * ونحن للعجز لا نستعجز القدرا

وقد ولى الدرس بعده بالبادرانية والحلقة والفتيا بالجامع ولده شيخنا برهان الدين ، فشى على طريقة والده وهديه وصمته رحمه الله . وفي ثالث شعبان توفي

﴿ الطبيب الماهر عز الدين إبراهيم بن محمد بن طرخان ﴾

السويدي الأنصارى ، ودفن بالسفح عن تسعين سنة ، وروى شيئا من الحديث ، وفاق أهل زمانه في صناعة الطب ، وصنف كتباً في ذلك ، وكان يرمى بقلة الدين وترك الصلوات وانحلال في العقيدة ، وإنكار أمور كثيرة مما يتعلق باليوم الآخر ، والله يحكم فيه وفي أمثاله بأمره العدل الذى لا يجور ولا يظلم . وفي شعره ما يدل على قلة عقله ودينه وعدم إيمانه ، واعتراضه على تحريم الخمر ، وأنه قد طال رمضان عليه في تركها وغير ذلك .

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

علاء الدين أبو الحسن على بن الامام العلامة كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن

خلف الانصارى الزملى كافي ، وقد درس بعد أبيه المذكور بالأمينية ، وكانت وفاة والده هذا ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر بالأمينية ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده الأمير الكبير بدر الدين على بن عبد الله الناصري ، ناظر الرباط بالصالحية ، عن وصية أستاذه ، وهو الذي ولى الشيخ شرف الفزارى مشيخة الرباط بعد ابن الشريشي جمال الدين ، وقد دفن بالتربة الكبيرة داخل الرباط المذكور .

﴿ الشيخ الامام أبو حفص عمر بن يحيى بن عمر الكرخي ﴾

صهر الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وأحد تلاميذه ، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ومات يوم الاربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن إلى جانب ابن الصلاح .

﴿ الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر ﴾

الذي كان قد بويع بالملك بعد أخيه الملك السعيد ، وجعل الملك المنصور قلاوون أتابكه ، ثم استقل قلاوون بالملك ، وأرسلهم إلى الكرك ثم أعادهم إلى القاهرة ثم سفرهم الأشرف خليل في أول دولته إلى بلاد الاشكري من ناحية اصطنبول ، فمات سلامش هناك وبقى أخوه نجم الدين خضر وأهلوم بتلك الناحية ، وقد كان سلامش من أحسن الناس شكلاً وأبهام منظرًا ، وقد افتتن به خلق كثير ، والوطنية الذين يحبون المردان ، وشبب به الشعراء وكان عاقلاً رئيساً مهيباً وقوراً

﴿ العفيف التلمساني ﴾

أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن يس العابد الكومي ثم التلمساني الشاعر المتقن المتنقن في علوم منها النحو والأدب والفقه والأصول ، وله في ذلك مصنفات ، وله شرح مواقف النفر وشرح أسماء الله الحسنى ، وله ديوان مشهور ، ولولده محمد ديوان آخر ، وقد نسب هذا الرجل إلى عظام في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر الحض ، وشهرته تفتى عن الاطناب في ترجمته ، توفي يوم الاربعاء خامس رجب ودفن بالصوفية ، ويذكر عنه أنه عمل أربعين خلوة كل خلوة أربعين يوماً متتابعة فإله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة ﴾

فيها فتحت قلعة الروم وسلطان البلاد من دنقلة إلى مصر إلى أقصى بلاد الشام بكامله وسواحه بلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون ، ووزيره شمس الدين بن السملوس ، وقضاته بالشام ومصرهم المذكورون في التمهيد ، ونائب مصر بدر الدين بندار ونائب الشام علي الدين سنجر الشجاعى ، وسلطان التتر بيدار بن أرغون بن أبغا ، والعمارة في الطارمة وفي دور السلطانية بالقلعة . وفي عشرين المحرم وقع حريق عظيم بقلعة الجبل ببعض

الجزائر أتلف شيئا كثيراً من الذخائر والنفائس والكتيب . وفي التاسع والعشرين من ربيع الأول خطب الخليفة الحاكم وحث في خطبته على الجهاد والنفير ، وصلى بهم الجمعة وجهر بالبسملة . وفي ليلة السبت ثالث عشر صفر جرى بهذا الجزر الأحمر الذي يباب البرادة من عكا ، فوضع في مكانه . وفي ربيع الأول كمل بناء الطارمة وما عندها من الدور والقبة الزرقاء ، وجاءت في غاية الحسن والسكال والارتفاع . وفي يوم الاثنين ثاني جمادى الأولى ذكر الدير بالظاهرة الشيخ صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي ، عوضاً عن علاء الدين بن بنت الاعز . وفي هذا اليوم درس بالدولعية كمال الدين بن الزكي . وفي يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة درس بالنجيبية الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الطوسي ، بمقتضى نزول الفارقي له عنها . والله أعلم بالصواب .

﴿ فتح قلعة الروم ﴾

وفي ربيع الأول منها توجه السلطان الأشرف بالعساكر نحو الشام فقدم دمشق ومعه وزيره ابن السلعوس فاستعرض الجيوش وأنفق فيهم أموالاً جزيلاً ، ثم سار بهم نحو بلاد حلب ، ثم سار إلى قلعة الروم فافتتحها بالسيف قهراً في يوم السبت حادي عشر رجب ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق ، وزينت البلد سبعة أيام وبارك الله لجيش المسلمين في سعيهم ، وكان يوم السبت إلباعى أهل يوم الأحد ، وكان الفتح بعد حصار عظيم جداً ، مدة ثلاثين يوماً ، وكانت المنجنيقات تزيد على ثلاثين منجنيقاً ، واستشهد من الأمراء شرف الدين بن الخطير ، وقد قتل من أهل البلد خلق كثير وغنم المسلمون منها شيئا كثيراً ، ثم عاد السلطان إلى دمشق وترك الشجاعى بقلعة الروم يعمرها ما وهى من قلعتها بسبب رمى المنجنيقات عليها وقت الحصار ، وكان دخوله إلى دمشق بكرة يوم الثلاثاء تاسع عشر شعبان ، فاحتفل الناس لدخوله ودعوا له وأحبوه ، وكان يوماً مشهوداً بسط له كما يبسط له إذا قدم من الديار المصرية ، وإنما كان ذلك بإشارة ابن السلعوس ، فهو أول من بسط له ، وقد كسر أبوه التتر على حمص ولم يبسط له ، وكذلك الملك الظاهر كسر التتر والروم على البلستين ، وفي غير موطن ولم يبسط له ، وهذه بدعة شنعاء قد أحدثها هذا الوزير للملوك ، وفيها إسراف وضياع مال وأشر وبطور ورياء وتكليف للناس ، وأخذ أموال ووضعها في غير مواضعها ، والله سبحانه سائله عنها ، وقد ذهب وتركها يتوارثها الملوك والناس عنه ، وقد حصل للناس بسبب ذلك ظلم عظيم ، فليتنق العبد ربه ولا يحدث في الإسلام بسبب هواه ومراد نفسه ما يكون سبب مقت الله له ، وإعراضه عنه ، فإن الدنيا لا تدوم لأحد ، ولا يدوم أحد فيها والله سبحانه أعلم .

وكان ملك قلعة الروم مع السلطان أسيراً ، وكذلك رؤس أصحابه ، فدخل بهم دمشق وهم يحملون رؤس أصحابهم على رؤس الرماح ، وجهد السلطان طائفة من الجيش نحو جبل كسروان والجزر بسبب

مما لا تتم للفرنج قديماً على المسلمين ، وكان مقدم العساكر بندار وفي صحبته سنقر الأشقر ، وافر سنقر المنصوري الذي كان نائب حلب فعزله عنها السلطان وولى مكانه سيف الدين بلبان البطاحي المنصوري ، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار ، فلما أحاطوا بالجبل ولم يبق إلا دمار أهليه حملوا في الليل إلى بندار حملاً كثيراً ففتر في قضيتهم ، ثم انصرف بالجيوش عنهم وعادوا إلى السلطان ، فتلقاهم السلطان وترجل السلطان إلى الأمير بندار وهو نائبه على مصر ، ثم ابن السلموس نبيه السلطان على فعل بندار فلامه وعنفه ، فرض من ذلك مرضاً شديداً أشفى به على الموت حتى قيل إنه مات ، ثم عوفي فعمل ختمة عظيمة بجامع دمشق حضرها القضاة والأعيان ، وأشغل الجامع نظير ليلة النصف من شعبان ، وكان ذلك ليلة العشر الأول من رمضان ، وأطلق السلطان أهل الحبوس وترك بقية الضمان عن أبواب الجهات السلطانية ، وتصديق عنه بشيء كثير ، ونزل هو عن ضمانات كثيرة كان قد حاف فيها على أربابها ، وقد امتدح الشهاب محمود الملك الأشرف خليل على فتحه قلعة الروم بقصيدة هائلة فاضلة أولها :

لك الراية الصفراء يقدمها النصر * فن كيقبادان رآها ويخسرو
 إذا خفقت في الأفق هدت بنورها * هوى الشرك واستعلى الهدى وأنجلى الثغر
 وإن نشرت مثل الاصائل في الوغى * جلى النقع من لآلاء طلعها البدر
 وإن يمت زرق العدى سارتحتها * كتائب خضر دوحها البيض والسمر
 كان مشار النقع ليل وخفقتها * بروق وأنت البدر والفلك الحتر
 وفتح أنى في إثر فتح كأنما * سماء بدت تترى كواكبها الزهر
 فكم فطمت طوعاً وكرها معاقلاً * مضى الدهر عنها وهى عانسة بكر
 بذلت لها عزماً فولوا مهابة * كساها الحيا جاءتك تسمى ولا مهر
 قصدت حى من قلعة الروم لم يتح * لغيرك إذ غرتهم المغل فاغتروا
 ووالهم سرّاً ليخفوا أذام * وفى آخر الأمر استوى السر والجر
 صرفت إليهم همة لو صرقتها * إلى البحر لاستولى على مده الجزر
 وما قلعة الروم التي حزت فتحها * وإن عظمت إلا إلى غيرها جسر
 طليعة ما يأتى من الفتح بعدها * كما لاح قبل الشمس في الأفق الفجر
 فصبحتها بالجيش كالروض بهجة * صوارمه أنهاره والقنا الزهر
 وأبعدت بل كالبحر والبيض موجه * وجرذ المزاكى السفن والخرود الذر
 وأغربت بل كالليل عوج سيوفه * أهلته والنبل أنجمه الزهر

ولحظات لابل كالنهار شموسه * محياك والآصال راياتك الصفر
 ليوث من الاتراك آجامها القنا * لها كل يوم في ذرى ظفر ظفر
 فلا الريح يجرى بينهم لاشتباكها * عليهم ولا ينهل من فوقهم قطر
 عيون إذا الحرب العوان تعرضت * لخطابها بالنفس لم يغلها مهر
 ترى الموت معقوداً بهدب نباهم * إذا مارها القوس والنظر الشزر
 ففي كل سرح غصن بان مهفهف * وفي كل قوس مده ساعد بدر
 إذا صدموا شم الجبال تنزلت * وأصبح سهلاً تحت خيلهم الوعر
 ولو وردت ماء الفرات خيولهم * لقبل هنا قد كان فيما مضى نهر
 أداروا بها سوراً فأضحت كخاتم * لدى خنصر أو تحت منطقته خصر
 وأرخوا إليها من أ كف بحارهم * سحاب ردى لم يخل من قطره قطر
 كأن المجانيق التي قن حولها * رواعد سخط وبلها النار والصخر
 أقامت صلاة الحرب ليلا صخورها * فأكثرها شفع وأكبرها وتر
 ودارت بها تلك النقوب فأسرفت * وليس عليها في الذي فعلت حجر
 فأضحت بها كالصبي يخفي غرامه * حذار أعاديه وفي قلبه جمر
 وشبت بها النيران حتى تمزقت * وباحت بما أخفته وانتهك الستر
 فلاذوا بذيل العفو منك فلم تجب * رجاءهم لو لم يشب قصدهم مكر
 وماكره المغل اشتغالك عنهم * بها عند ما فروا ولكنهم سروا
 فأحزنتها بالسيف قهراً وهكدا * فتوحك فيما قد مضى كله قسر
 وأضحت بحمد لله ثغراً ممنعاً * تبديد الليالي والعدى وهو مقتر
 فيا أشرف الاملاك فزت بغزوة * تحصل منها الفتح والذكر والأجر
 ليهنيك عند المصطفى أن دينه * توالى له في يمن دولتك النصر
 وبشراك أرضيت المسيح وأحمداً * وإن غضب اليعفور من ذلك والكفر
 فسر حيث ما تختار فالأرض كلها * [تطيعك] والأمصا أجمعها مصر
 ودم وابق للدنيا ليحيى بك الهدى * ويرزى على ماضى العصور بك العصر
 حذفت منها أشياء كثيرة .

وفيها تولى خطابة دمشق الشيخ عز الدين أحمد الفاروقى الواسطى بعد وفاة زين الدين بن المرحل
 وخطب واستسقى بالناس فلم يسقوا ، ثم خطب مرة ثانية بعد ذلك بأيام عند مسجد القدم ، فلم يسقوا

ثم ابتهل الناس من غير دعاية واستسقية فسقوا ، ثم عزل الفاروئي بعد أيام بالخطيب موفق الدين أبي المعالي محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن حسن المهراني الحموي ، كان خطيب حماة ثم نقل إلى دمشق في هذه السنة ، فقام وخطب وتآلم الفاروئي لذلك ودخل على السلطان واعتقد أن الوزير عزله من غير علمه ، فاذا هو قد شعر لذلك واعتذر بأنه إنما عزله لضعفه ، فذكر له أنه يصلي ليلة النصف مائة ركعة بمائة قل هو الله أحد ، فلم يقبلوا واستمروا بالحموي . وهذه دناءة وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروئي ، وأصاب السلطان في عزله .

وفي هذا اليوم قبض السلطان على الأمير سنقر الأشقر وغيره فهرب هو والامير حسام الدين لاجين السلحداري ، فنادت عليه المنادية بدمشق : من أحضره فله ألف دينار ، ومن أخفاه شق ، وركب السلطان وماليكه في طلبه ، وصلى الخطيب بالناس في الميدان الأخضر ، وعلى الناس كآبة بسبب تفرق الكلمة ، واضطراب الجيش ، واختبئ الناس ، فلما كان سادس شوال أمسكت العرب سنقر الأشقر فردوه على السلطان فأرسله مقيدا إلى مصر . وفي هذا اليوم ولي السلطان نيابة دمشق لعز الدين أيبك الحموي ، عوضا عن الشجاعى ، وقدم الشجاعى من الروم ثاني يوم عزله فتلقيه الفاروئي فقال : قد عزلنا من الخطابة ، فقال ونحن من النيابة ، فقال الفاروئي (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) فلما بلغ ابن السلعوس تغضب عليه وكان قد عين له القيمرية فترك ذلك ، وسافر السلطان عاشر شوال إلى مصر فدخلها في أبهة الملك ، وفي يوم دخوله أقطع قرا سنقر مائة فارس بمصر عوضا عن نيابة حلب ، وفي هذه السنة اشترى الأمير سيف الدين طغاي الأشقرى قيسارية القطن المعروفة بإنشاء الملك المعظم بن العادل من بيت المال ، بمرسوم من السلطان ، وكان حظيا عنده ، ونقل سوق الحرير بين تلك المدة إليها ، وكان السلطان قد أفرج عن علم الدين الدويدارى بعد رجوعه من قلعة الروم واستحضره إلى دمشق وخلع عليه واستصحبه معه إلى القاهرة ، وأقطعه مائة فارس ، وولاه مشد الدواوين مكرها .

وفي ذى القعدة استحضر السلطان سنقر الأشقر وطقصوا فعاقبهما فاعترفا بأنهما أرادا قتله ، فسألهما عن لاجين فقالا : لم يكن معنا ولا علم له بهذا ، فخنقهما وأطلقه بعد ما جعل الوتر في حلقه ، وكان قد بقي له مدة لا بد أن يبلغها ، وقد ملك بعد ذلك كما سئد كره إن شاء الله تعالى .

وفي ذى الحجة عقد الشيخ برهان الدين بن الشيخ تاج الدين عقده على بنت قاضي القضاة شهاب الدين الخوي بالبادرائية ، وكان حافلا . وفيها دخل الامير سنقر الاعسر على بنت الوزير شمس الدين بن السلعوس على صداق ألف دينار ، وعجل لها خمسمائة ، وفيها قفز جماعة من التتر نحواً من ثلثمائة إلى الديار المصرية فأكرموا .

وعمن توفي فيها من الاعيان . ﴿ الخطيب زين الدين أبو حفص ﴾

عمر بن مكي بن عبد الصمد الشافعي المعروف بابن المرحل ، وهو والد الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، سمع الحديث وبرع في الفقه وفي علوم شتى ، منها علم الهيئة وله فيه مصنف ، تولى خطابة دمشق ودرس وأفتى ، توفي ليلة السبت الثالث والعشرين من ربيع الأول ، وصلى عليه من القدياب الخطابة .

﴿ الشيخ عز الدين الفاروقى ﴾

ولى الخطابة قليلا ثم عزل ثم مات ودفن بباب الصغير عفا الله عنا وعنه .

﴿ صاحب فتح الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر ، كاتب الأسرار في الدولة المنصورية بعد ابن لقمان وكان ماهراً في هذه الصناعة ، وحظى عند المنصور وكذا عند ابنه الأشرف ، وقد طلب منه ابن السلجوس أن يقرأ عليه كل ما يكتبه ، فقال : هذا لا يمكن فإن أسرار الملوك لا يطلع عليها غيرهم ، وابصروا لسم غيرى يكون معكم بهذه المثابة ، فلما بلغ ذلك الأشرف أعجبه منه وازدادت عنده منزلته ، توفي يوم السبت نصف رمضان ، وأخرجت في تركته قصيدة قد رثاها تاج الدين بن الأثير وكان قد شوش فاعتقد أنه يموت فعوفى فبقيت بعده ، وتولى ابن الأثير بعده ورثاه تاج الدين كما رثاه وتوفى ابن الأثير بعده بشهر وأربعة أيام .

﴿ يونس بن علي بن رضوان بن برقش ﴾

الأمير عماد الدين ، كان أحد الأمراء بطبلخانة في الدولة الناصرية ، ثم حمل وبطل الجندية بالسككية في الدولة المظفرية وهلم جرا إلى هذه السنة ، وكان الظاهر يكرمه ، توفي في شوال ودفن عند والده بتربة الخزيميين رحمهم الله .

﴿ جلال الدين الخبازى ﴾

عمر بن محمد بن عمر أبو محمد الخبازى أحد مشايخ الحنفية الكبار ، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلاد يقال لها خجندة ، واشتغل ودرس بخوارزم ، وأعاد ببغداد ، ثم قدم دمشق فدرس بالعزية والخاتونية البرانية ، وكان فاضلاً بارعاً منصفاً مصنفاً في فنون كثيرة ، توفي لخمس بقين من ذى الحجة منها ، وله ثنتان وستون سنة ، ودفن بالصوفية .

﴿ الملك المظفر ﴾

قرا أرسلان الأفرىقى ، صاحب ماردین ، توفي وله ثمانون سنة وقام بعده ولده شمس الدين داود ولقب بالملك السعيد والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة ﴾

في تاريخ ظهر الدين السكاروني ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في هذه السنة نظير ما كان في سنة أربع وخمسين على صفتها ، إلا أن هذه النار كان يعلو لهيبها كثيراً ، وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف ، واستمرت ثلاثة أيام .

استهلت هذه السنة والخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بمصر بدر الدين بيدرا^(١) ، وبالشام عز الدين أيوب الحموي ، وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا في التي قبلها ، والوزير شمس الدين بن السلعوس . وفي جمادى الآخرة قدم الأشرف دمشق فنزل في القصر الأبلق والميدان الأخضر ، وجهاز الجيوش وتبياً لغزو بلاد سويس ، وقدم في غضون ذلك رسل صاحب بلاد سويس يطلبون الصلح ، فشجع الأمراء فيهم فسلموا بهسنا وتل محمدون . ومرعش ، وهي أكبر بلادهم وأحسنها وأحصنها ، وهي في فم الدر بند ، ثم ركب السلطان في ثاني رجب نحو سلمية بأكثر الجيش صورة أنه يريد أن يصيب الأمير حسام الدين لاجين ، فأضافه الأمير مهنا بن عيسى ، فلما انقضت الضيافة أمسك له حسام الدين لاجين ، وكان عنده ، فجاء به فسجنه في قلعة دمشق وأمسك مهنا بن عيسى وولى مكانه محمد بن علي بن حذيفة ، ثم أرسل السلطان جمهور الجيش بين يديه إلى الديار المصرية صحبة نائبه بيدرا ، ووزيره ابن السلعوس ، وتأخر هو في خاصيته ثم لحقهم .

وفي المحرم منها حكم القاضي حسام الدين الرازي الحنفي بالتشريك بين العلويين والجمفرين في الدباغة التي كانوا يتنازعونها من مدة مائتي سنة ، وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس عشر من المحرم ، بدار العدل ، ولم يوافق ابن الخوي ولا غيره ، وحكم للاعنايين بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار . وفيها رسم الأشرف بتخريب قلعة الشوبك فهدمت ، وكانت من أحصن القلاع وأمنها وأنفعها ، وإنما خر بها عن رأى عتبة العقبى ، ولم ينصح للسلطان فيها ولا للمسلمين ، لأنها كانت شجى في حلق الأعراب الذين هناك . وفيها أرسل السلطان الأمير علم الدين الدويدارى إلى صاحب القسطنطينية وإلى أولاد بركة ومع الرسول تحملاً كثيرة جداً ، فلم يتفق خروجه حتى قتل السلطان فعاد إلى دمشق .

وفي عاشر جمادى الأولى درس القاضي إمام الدين القزويني بالظاهرية البرانية . وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة يوم الاثنين طهر الملك الأشرف أخاه الملك الناصر محمد وابن أخيه الملك المعظم مظفر الدين موسى بن الصالح على بن المنصور ، وعمل مهم عظيم ولعب الأشرف بالقبض وتمت لهم فرحة هائلة ، كانت كالوداع لسلطنته من الدنيا . وفي أول

(١) في شذرات الذهب : بندار .

الحرم درس الشيخ شمس الدين بن غانم بالعصرونية ، وفي مستهل صفر درس الشيخ كمال الدين ابن الزملي كافي بالرواحية عوضاً عن نجم الدين بن مكي بحكم انتقاله إلى حلب وإعراضه عن المدرسة المذكورة ، ودخل الركب الشامي في آخر صفر ، وكان ممن حج في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وكان أميرهم الباسطي ونالهم في معان ريح شديدة جداً مات بسببها جماعة ، وحملت الريح جمالا عن أماكنها ، وطارت العمام عن الرؤس ، واشتغل كل أحد بنفسه . وفي صفر منها وقع بدمشق برد عظيم أفسد شيئا كثيراً من المغلات بحيث يبيع القمح كل عشرة أواق بدرهم ، ومات شيء كثير من الدواب ، وفيه زلزلت ناحية السكر وسقط من تلفيتها أما كن كثيرة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الأرموي ﴾

الشيخ الصالح القدوة العارف أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن يونس بن إبراهيم بن سلمان الأرموي ، المقيم بزاوليته بسفوح قاسيون ، كان فيه عبادة واقطاع وله أوراد وأذكار ، وكان محبباً إلى الناس ، توفى بالحرم ودفن عند والده بالسفوح .

﴿ ابن الأعمى صاحب المقامة ﴾

الشيخ ظهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي الغنائم الدمشقي المعروف بابن الأعمى ، ولد سنة عشرة وستائة ، وسمع الحديث وكان فاضلاً بارعاً ، له قصائد يمتدح بها رسول الله ﷺ ، سماها الشفعية ، عدد كل قصيدة اثنان وعشرون بيتاً . قال البرزالي : سمعته وله المقامة البحرية المشهورة ، توفى في المحرم ودفن بالصوفية . ﴿ الملك الزاهر مجير الدين ﴾

أبو سليمان داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص ابن ناصر الدين محمد بن الملك المعظم ، توفى ببستانه عن ثمانين سنة ، وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ودفن بترتبه بالسفوح ، وكان دينياً كثير الصلاة في الجامع ، وله إجازة من المؤيد الطوسى وزينب الشعرية وأبي روح وغيرهم . توفى في جمادى الآخرة . ﴿ الشيخ تقي الدين الواسطي ﴾

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلى ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق ، توفى يوم الجمعة آخر النهار رابع عشر من جمادى الآخرة عن تسعين سنة ، وكان رجلاً صالحاً عابداً ، تفرد بعلم الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد تفقه ببغداد ثم رحل إلى الشام ودرس بالصالحية مدة عشرين سنة ، وبمدرسة أبي عمر ، وولى في آخر عمره مشيخة الحديث بالظاهرية بعد سفر الفاروقى ، وكان داعية إلى مذهب السلف والصدر الأول ، وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان من خيار عباد الله تعالى رحمه الله . وقد درس بعده بالصالحية الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القوى المرادوى ، وبدرار الحديث الظاهرية

شرف الدين عمر بن خواجا إمام الجامع المعروف بالناصح .

﴿ ابن صاحب حماة الملك الأفضل ﴾

نور الدين على بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، توفي بدمشق وصلى عليه بجامعها ، وخرج به من باب الفرديس محمولا إلى مدينة أبيه وتربتهم بها ، وهو والد الأميرين الكبيرين بدر الدين حسن وعماد الدين إسماعيل الذي تملك حماة بعد مدة .

﴿ ابن عبد الظاهر ﴾

محيي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة السعدي ، كاتب الانشاء بالديار المصرية ، وآخر من برز في هذا الفن على أهل زمانه ، وسبق سائر أقرانه ، وهو والد صاحب فتح الدين النديم ، وقد تقدم ذكر وفاته قبل والده ، وقد كانت له مصنفات منها سيرة الملك الظاهر ، وكان ذا مروءة ، وله النظم الفائق والنثر الرائق . توفي يوم الثلاثاء رابع رجب وقد جاوز السبعين ، ودفن بترابته التي أنشأها بالقرافة .

﴿ الأمير علم الدين سنجر الحلبي ﴾

الذي كان نائب قطز على دمشق فلما جاءته بيعة الظاهر دعا لنفسه فبويع وتسمى بالملك المجاهد ثم حوصر وهرب إلى بعلبك فحوصر فأجاب إلى خدمة الظاهر فسجنه مدة وأطلقه وسجنه المنصور مدة وأطلقه الأشرف ، واحترمه وأكرمه ، بلغ الثمانين سنة ، وتوفي في هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستائة ﴾

في أولها كان مقتل الأشرف ، وذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث الحرم ، فلما كان بأرض بوجه بالقرب من الاسكندرية ثانی عشر الحرم ، حمل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين انفرد عن جمهور الجيش ، فأول من صوبه نائبه بيدرا ، وتم عليه لاجين المنصوري ، ثم اختفى إلى رمضان ، ثم ظهر يوم العيد ، وكان ممن اشترك في قتل الأشرف بدر الدين بيسرى وشمس الدين قراسنقر المنصوري ، فلما قتل الأشرف اتفق الأمراء على تملك بيدرا ، ومحمود الملك القاهر أو الاوحد ، فلم يتم له ذلك ، فقتل في اليوم الثاني بأمر كتبغا ، ثم اتفق زين الدين كتبغا ، وعلم الدين سنجر الشجاعى على أن يملكوا أخاه محمد الملك الناصر بن قلاوون ، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهوراً ، فأجلسوه على سرير المملكة يوم الرابع عشر من الحرم ، وكان الوزير ابن السلعوس بالاسكندرية ، وكان قد خرج في صحبة السلطان وتقدم هو إلى الاسكندرية فلم يشعر إلا وقد أحاط به البلاء ، وجاءه العذاب من كل ناحية ، وذلك أنه كان يعامل الأمراء السكبار معاملة

الصغار ، فأخذوه وتولى عقوبته من بينهم الشجاعى ف ضرب ضربا عظيما ، وقرر على الاموال ولم يزالوا يعاقبونه حتى كانت وفاته فى عاشر صفر بعد أن احتيط على حواصله كلها . وأحضر جسد الأشرف فدفن بتربته ، وتأم الناس لعقده وأعظموا قتله ، وقد كان شهما شجاعا على الهممة حسن المنظر ، كان قد عزم على غزو العراق واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار ، واستعد لذلك ونادى به فى بلاده ، وقد فتح فى مدة ملكه - وكانت ثلاث سنين - عكا وسائر السواحل ، ولم يترك للفرنج فيها معاملا ولا حجرا ، وفتح قلعة الروم وبهسنا وغيرها .

فلما جاءت بيعة الناصر إلى دمشق خطب له بها على المنابر ، واستقر الحال على ذلك ، وجعل الأمير كتبغا أتاكبه ، والشجاعى مشاورا كبيرا ، ثم قتل بعد أيام بقلعة الجبل ، وحمل رأسه إلى كتبغا فأمر أن يطاف به فى البلد ، وفرح الناس بذلك وأعطوا الذين حملوا رأسه مالا ، ولم يبق لكتبغا منازع ، ومع هذا كان يشاور الأمراء تطيبيا لقلوبهم .

وفى صفر بعد موت ابن السلجوس عزل بدر الدين بن جماعة عن القضاء وأعيد تقي الدين بن بنت الاعز واستمر ابن جماعة مدرسا بمصر فى كفاية ورياسة ، وتولى الوزارة بمصر صاحب تاج الدين ابن الحنا ، وفى ظهر يوم الاربعاء الحادى والعشرين من صفر رتب إمام بمحراب الصحابة ، وهو كمال الدين عبد الرحمن بن القاضى محيى الدين بن الزكى ، وصلى بعدئذ بعد الخطيب ، ورتب بالمكتب الذى بباب الناطفانيين إمام أيضا ، وهو ضياء الدين بن برهان الدين الاسكندرى ، وباشر نظر الجامع الشريف زين الدين حسين بن محمد بن عدنان ، وعاد سوق الحرير بين إلى سوقه ، وأخلوا قيسارية القطن الذى كان نواب طنجى ألزومهم بسكنها ، وولى خطابة دمشق الشيخ العلامة شرف الدين أحمد بن جمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسى ، بعد عزل موفق الدين الحموى دعوه إلى حماة فخطب المقدسى يوم الجمعة نصف رجب ، وقرئ تقليده وكانت ولايته باشارة تاج الدين ابن الحنا الوزير بمصر ، وكان فصيحًا بليغا عالما بارعا .

وفى أواخر رجب حلف الأمراء للامير زين الدين كتبغا مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وسارت البيعة بذلك فى سائر المدن والمعامل .

﴿ واقعة عساف النصرانى ﴾

كان هذا الرجل من أهل السويداء قد شهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ ، وقد استجار عساف هذا بابن أحمد بن حجى أمير آل على ، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ زين الدين الفارقى شيخ دار الحديث ، فدخلا على الامير عز الدين أيبك الحموى نائب السلطنة فكأماه فى أمره فأجابهما إلى ذلك ، وأرسل ليحضره فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس ،

فرأى الناس عسافا حين قدم ومعه رجل من العرب فسبوه وشتموه ، فقال ذلك الرجل البدوي : هو خير منكم - يعنى النصراني - فرجما الناس بالحجارة ، وأصابت عسافا ووقعت خبطة قوية فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي فضربهما بين يديه ، ورسم عليهما فى العذراوية وقدم النصراني فأسلم وعقد مجلس بسببه ، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة ، فخنق دمه ، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما ، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز ، فانفق قتله قريبا من مدينة رسول الله ﷺ ، قتله ابن أخيه هنالك ، وصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية فى هذه الواقعة كتابه الصارم المسلول على سباب الرسول .

وفى شعبان منهاركب الملك الناصر فى أهبه الملك وشق القاهرة ، وكان يوما مشهودا ، وكان هذا أول ركوبه ، ودقت البشائر بالشام وجاء المرسوم من جهته ، فقرأ على المنبر بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطى الظلم ، وإبطال ضمان الاوقاف والأموال لإبرضى أصحابها . وفى اليوم الثانى والعشرين من شعبان درس بالمسروورية القاضى جمال الدين القزوينى ، أخو إمام الدين ، وحضر أخوه وقاضى القضاة شهاب الدين الخوي ، والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان درسا حافلا . قال البرزالي : وفى شعبان اشتهر أن فى الغيطة بجسر بن تيننا عظيم ابتلع رأسا من المعز كبيرا صحيحا . وفى أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين ، وكان مخنفا منذ قتل الاشرف فاعتذره عند السلطان فقبله وخلع عليه وأكرمه ، ولم يكن قتله باختياره .

وفى شوال منها اشتهر أن مهنا بن عيسى خرج عن طاعة السلطان الناصر ، وانحاز إلى التتر . وفى يوم الاربعاء ثامن ذى القعدة درس بالفزالية الخطيب شرف الدين المقدسى عوضا عن قاضى القضاة شهاب الدين ابن الخوي ، توفى وترك الشامية البرانية ، وقدم على قضاء الشام القاضى بدر الدين أحمد بن جماعة يوم الخميس الرابع عشر من ذى الحجة ، ونزل العادلية وخرج نائب السلطنة والجيش بكاله لتلقيه ، وامتدحه الشعراء ، واستناب تاج الدين الجعبرى نائب الخطابة وباشر تدرىس الشامية البرانية ، عوضا عن شرف الدين المقدسى ، الشيخ زين الدين الفاروقى ، وانترعت من يده الناصرية فدرس بها ابن جماعة ، وفى العادلية فى العشرين من ذى الحجة ، وفى هذا الشهر أخرجوا الكلاب من دمشق إلى الفلاة بأمر واليها جمال الدين اقباي ، وشدد على الناس والبوابين بذلك . وممن توفى فيها من الاعيان

الملك الاشرف خليل بن قلاوون المنصور . وبيدرا والشجاعى ، وشمس الدين بن السلعوس ،

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

تاج الدين موسى بن محمد بن مسعود المراغى ، المعروف بأبى الجواب الشافعى ، درس بالاقبالية

وغيرها وكان من فضلاء الشافعية ، له يد في الفقه والاصول والنحو وفهم جيد ، توفي فجأة يوم السبت ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وقد جاوز السبعين .

﴿ الخاتون مؤنس بنت السلطان العادل أبي بكر بن أيوب ﴾

وتعرف بدار القطبية ، و بدار إقبال ، ولدت سنة ثلاث وستمائة ، وروت الاجازة عن عفيفة الفارقانية ، وعن عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفية ، توفيت في ربيع الآخر بالقاهرة ، ودفنت بباب زويلة .
﴿ صاحب الوزير نجر الدين ﴾

أبو إسحاق إبراهيم بن لثمان بن أحمد بن محمد البناني المصري رأس الموقعين ، وأستاذ الوزراء المشهورين ، ولد سنة ثنتي عشرة وستمائة ، وروى الحديث ، توفي في آخر جمادى الآخرة في القاهرة
﴿ الملك الحافظ غياث الدين بن محمد ﴾

الملك السعيد معين الدين بن الملك الأجددهرام شاه بن المعز عز الدين فروخ شاه بن شاهنشاه ابن أيوب ، وكان فاضلاً بارعاً ، سمع الحديث وروى البخاري ، وكان يحب العلماء والفقراء ، توفي يوم الجمعة سادس شعبان ، ودفن عند جده لأنه ابن المقدم ، ظاهر باب الفراديس .

﴿ قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوي ﴾

أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر ابن عيسى بن محمد الشافعي ، أصابهم من خوى ، اشتغل وحصل علوماً كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة منها كتاب فيه عشرون فناً ، وله نظم علوم الحديث وكفاية المتحفظ وغير ذلك ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان محباً له ولأهله ، وقد درس وهو صغير بالماغية ، ثم ولي قضاء القدس ، ثم بهسنا ، ثم ولي قضاء حلب ، ثم عاد إلى المحلة ، ثم ولي قضاء القاهرة ، ثم قدم على قضاء الشام مع تدريس العادلية والغزالية وغيرهما ، وكان من حسنات الزمان وأكبر العلماء الأعلام ، عفيفاً نزهاً بارعاً محباً للحديث وعلمه وعلمائه ، وقد خرج له شيخنا الحافظ المزي أربعين حديثاً متباينة الاسناد ، وخرج له تقي الدين ابن عتبة الأسودى الاسعدى مشيخة على حروف المعجم ، اشتملت على مائتين وستة وثلاثين شيخاً . قال البرزالي : وله نحو ثلثمائة شيخ لم يذكر وافي هذا المعجم ، توفي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان ، عن سبع وستين سنة ، وصلى عليه ودفن من يومه بتربة والده بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .
﴿ الأمير علاء الدين الأعمى ﴾

ناظر القدس وباني كثيراً من معالمه اليوم ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين بن عبد الله الصالحى النجوى ، كان من أكابر الامراء ، فلما أضر أقام بالقدس الشريف وولى نظره معمره ومثمره وكان مهيباً لا يتخالف مراسيمه ، وهو الذى بنى المطهرة قريباً من مسجد النبي ﷺ ، فانتفع الناس

بها بالوضوء وغيره ، ووجد بها الناس تيسيرا ، وابتنى بالقدس ربطا كثيرة ، وآثاراً حسنة ، وكان يباشر الامور بنفسه ، وله حرمة وافرة ، توفي في شوال منها .

﴿ الوزير شمس الدين محمد بن عثمان ﴾

ابن أبي الرجال التنوخي ، المعروف بابن السلعوس ، وزير الملك الأشرف ، مات تحت الضرب الذي جاوز ألف مقرة ، في عاشر صفر من هذه السنة ، ودفن بالقرافة ، وقيل إنه نقل إلى الشام بعد ذلك . وكان ابتداء أمره تاجراً ، ثم ولي الحسبة بدمشق بسفارة تقي الدين بن توبة ، ثم كان يعامل الملك الأشرف قبل السلطنة فظهر منه على عدل وصدق ، فلما ملك بعد أبيه المنصور استدعاه من الحج فولاه الوزارة ، وكان يتعاطم على أكبر الامراء ويسميهم بأسمائهم ، ولا يقوم لهم ، فلما قتل أستاذه الأشرف تسلموه بالضرب والاهانة وأخذ الأموال ، حتى أعدموه حياته ، وصبروه وأسكنوه الثرى ، بعد أن كان عند نفسه قد باع الثريا ، ولكن حقاً على الله أنه ما رفع شيئاً إلا وضعه .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمانمائة ﴾

استهات والخليفة الحاكم بأمر الله وساطان البلاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره إذ ذلك اثنتا عشرة سنة وأشهرآ ، ومدبر الممالك وأنابك العساكر الأمير زين الدين كتبغا ، ونائب الشام الأمير عز الدين أيبك الحموي ، والوزير بدمشق تقي الدين توبة التكريتي ، وشاد الدواوين شمس الدين الأعرس ، وقاضي الشافعية ابن جماعة ، والحنفية حسام الدين الرازي ، والمالكية جمال الدين الزواوي ، والحنبلة شرف الدين حسن ، والحنسب شهاب الدين الحنفي ، ونقيب الأشراف زين الدين بن عدنان ، ووكيل بيت المال وناظر الجامع تاج الدين الشيرازي ، وخطيب البلد شرف الدين المقدسي .

فلما كان يوم عاشوراء نهض جماعة من ممالك الأشرف وخرقوا حرمة السلطان وأرادوا الخروج عليه ، وجاؤا إلى سوق السلاح فأخذوا ما فيه ، ثم احتبط عليهم ، فمنهم من صلب ومنهم من شق ، وقطع أيدي آخرين منهم وأسنتهم ، وجرت خبطة عظيمة جداً ، وكانوا قريبا من ثلثمائة أوزيدون .

﴿ ذكر سلطنة الملك العادل كتبغا ﴾

وأصبح الأمير كتبغا في الحادي عشر من المحرم فجلس على سرير المملكة ، وخلع الملك الناصر محمد بن المنصور ، وألزمه بيت أهله ، وأن لا يخرج منه ، وبأيامه الأمراء على ذلك ، وهنتوه ومد سباطا حافلا ، وسارت البريدية بذلك إلى الأقاليم ، فبويغ له وخطب له مستقلا وضربت السكة باسمه ، وتم الأمر وزينت البلاد ، ودقت البشائر ، ولقب بالملك العادل ، وكان عمره إذ ذلك نحوآ من خمسين سنة ، فانه من سبي وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين

جالوت ، وكان من الغويرانية ، وهم طائفة من التتر ، واستتاب في مصر الأمير حسام الدين لاجين الساحدارى المنصورى ، وكان بين يديه مدبر الممالك . وقد ذكر الجزرى فى تاريخه عن بعض الأمراء أنه شهد هولاء كوخان قد سأل منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المتقدمين فى عسكره الذى يملك الديار المصرية ، فضرب وحسب وقال له : أجد رجلا يملكها اسمه كتبغا فظنه كتبغانوين ، وهو صهر هولاء كوخا ، فقدمه على العساكر فلم يكن هو ، فقتل فى عين جالوت كما ذكرناه ، وأن الذى ملك مصر هذا الرجل وهو من خيار الأمراء وأجودهم سيرة ومعدلة ، وقصدا فى نصرته الاسلام .

وفى يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول ركب كتبغا فى أبهة الملك ، وشق القاهرة ودعاه الناس وعزل الصحاب تاج الدين بن الحنا عن الوزارة وولى نحر الدين بن الخليلى ، واستسقى الناس بدمشق عند مسجد القدم ، وخطب بهم تاج الدين صالح الجعبرى نيابة عن مستخلفه شرف الدين المقدسى ، وكان مرىضا فعزل نفسه عن القضاء ، وخطب الناس بعد ذلك ، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى ، فلم يسقوا ثم استسقوا مرة أخرى يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمكان المذكور ، وخطب بهم شرف الدين المقدسى ، وكان الجمع أكثر من أول ، فلم يسقوا . وفى رجب حكم جمال الدين ابن الشريشى نيابة عن القاضى بدر الدين بن جماعة ، وفيه درس بالمعظمية القاضى شمس الدين بن العز ، انتزعها من علاء الدين بن الدقاق . وفيه ولى القدس والخليل الملك الأوحى ابن الملك الناصر داود بن المظم . وفى رمضان رسم للحنابلة أن يصلوا قبل الامام الكبير وذلك أنهم كانوا يصلون بعده فلما أحدث لحراب الصحابة إمام كانوا يصلون جميعا فى وقت واحد ، فحصل تشويش بسبب ذلك ، فاستقرت القاعدة على أن يصلوا قبل الامام الكبير ، فى وقت صلاة مشهد على بالصحن عند محرابهم فى الرواق الثالث الغربى .

قلت : وقد تغيرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعمائة كما سيأتى .

وفى أواخر رمضان قدم القاضى نجم الدين بن صصرى من الديار المصرية على قضاء العساكر بالشام ، وفى ظهر يوم الخميس خامس شوال صلى القاضى بدر الدين بن جماعة بمحراب الجامع إماما وخطيبا عوضا عن الخطيب المدرس شرف الدين المقدسى ، ثم خطب من الغد وشكرت خطبته وقرآته ، وذلك مضاف إلى ما بيده من القضاء وغيره .

وفى أوائل شوال قدمت من الديار المصرية توابع شتى منها تدرىس الغزالية لابن صصرى عوضا عن الخطيب المقدسى ، وتوقيع بتدرىس الأئمة لمام الدين القزوينى عوضا عن نجم الدين ابن صصرى ، ورسم لأخيه جلال الدين بتدرىس الظاهرية البرانية عوضا عنه . وفى شوال كملت عمارة الحمام الذى أنشأه عز الدين الحوى بمسجد القصب ، وهو من أحسن الحمامات ، وبأشرف مشيخة

دار الحديث النورية الشيخ علاء الدين بن العطار عوضاً عن شرف الدين المقدسي . وحج فيها الملك المجاهد أنس بن الملك العادل كتبها ، وتصدقوا بصدقات كثيرة في الحرمين وغيرهما ونودي بدمشق في يوم عرفة أن لا يركب أحد من أهل الزمة خيلاً ولا بغلاً ، ومن رأى من المسلمين أحداً من أهل الزمة قد خالف ذلك فله سلبه . وفي أواخر هذه السنة والتي تليها حصل بديار مصر غلاء شديد هلك بسببه خلق كثير ، هلك في شهر ذي الحجة نحو من عشرين ألفاً . وفيها ملك التتار قازان ابن أرغون بن أبقان تولى بن جنكيزخان فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير توزون رحمه الله ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام ونثر الذهب والفضة والؤلؤ على رؤس الناس يوم إسلامه ، وتسمى بمحمود ، وشهد الجمعة والخطبة ، وخرب كنائس كثيرة ، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد ، وظهرت السبوح والهياكل مع التتار والحمد لله وحده .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ الشيخ أبو الرجال المنيني ﴾

الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مرعي من بختر المنين ، كانت له أحوال ومكاشفات وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية منين ، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيكرم ويضاف وكانت له زاوية ببلده ، وكان بريئاً من هذه السماعات الشيطانية ، وكان تلميذ الشيخ جندل ، وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين سالكا طريق السلف أيضاً ، وقد باغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة ، وتوفي بمنين في منزله في عشر المحرم ، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته فنههم من أدر كها ومن الناس من لم يدرك فصلى على القبر ودفن براوئته رحمه الله .

وفيهما في أواخر ربيع الأول جاء الخبر بأن عساف بن أحمد بن حجي الذي كان قد أجاز ذلك النصراني الذي سب الرسول قتل ففرح الناس بذلك .

﴿ الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع ﴾

بقية الشافعي جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن الحرساني بن قاضي القضاة ، وخطيب الخطباء ، عماد الدين عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد ، سمع الحديث وقاب عن أبيه في الإمامة وتدريس الغزالية ، ثم ترك المناصب والدنيا ، وأقبل على العبادة ، وللناس فيه اعتقاد حسن صالح ، يقبلون يده ويسألونه الدعاء ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالسفح عند أهله في أواخر ربيع الآخر .

﴿ الشيخ محب الدين الطبري المسكي ﴾

الشافعي ، سمع الكثير وصنف في فنون كثيرة ، من ذلك كتاب الأحكام في مجلدات كثيرة مفيدة ، وله كتاب على ترتيب جامع المسانيد أسمعه لصاحب اليمن ، وكان مولده يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة منها ، ودفن بمكة ، وله شعر جيد فنه قصيدته في المنازل التي بين

مكة والمدينة يزيد على ثمانمائة بيت ، كتبها عنه الحافظ شرف الدين الدمياطي في معجمه .

﴿ الملك المظفر صاحب اليمن ﴾

يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، أقام في مملكة اليمن بعد أبيه سبعمائة وأربعين سنة ، وعمر ثمانين سنة ، وكان أبوه قد ولي أزيد من مدة عشرين سنة بعد الملك أقيس ابن الكامل محمد ، وكان عمر بن رسول مقدم عساكر أقيس ، فلما مات أقيس وثب على الملك قتم له الأمر وتسمى بالملك المنصور ، واستمر أزيد من عشرين سنة ، ثم ابنه المظفر سبعمائة وأربعين سنة ، ثم قام من بعده في الملك ولده الملك الأشرف مهدي الدين فلم يمكث سنة حتى مات ، ثم قام أخوه المؤيد عز الدين داود بن المظفر فاستمر في الملك مدة ، وكانت وفاة الملك المظفر المذكور في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكان يحب الحديث وسماعه ، وقد جمع لنفسه أربعين حديثاً .

﴿ شرف الدين المقدسي ﴾

الشيخ الامام الخطيب المدرس المفتي ، شرف الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي ، ولد سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، وسمع الكثير وكتب حسناً ووصف فأجاد وأفاد ، وولى القضاء نيابة بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق ، وكان مدرس الغزالية ودار الحديث النورية مع الخطابة ، ودرس في وقت بالشامية البرانية وأذن في الافتاء لجماعة من الفضلاء منهم الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية ، وكان يفخر بذلك ويفرح به ويقول : أنا أذنت لابن تيمية بالافتاء ، وكان يتقن فنونا كثيرة من العلوم ، وله شعر حسن ، ووصف كتاباً في أصول الفقه جمع فيه شيئاً كثيراً ، وهو عندى بخطه الحسن ، توفي يوم الاحد سابع عشر رمضان وقد جاوز السبعين ، ودفن بمقابر باب كيسان عند والده رحمه الله ورحم أباه . وقد خطب بعده يوم العيد الشيخ شرف الدين الفزاري خطيب جامع جراح ثم جاء المرسوم لابن جماعة بالخطابة . ومن شعر الخطيب شرف الدين بن المقدسي :

أحجيج إلى الزهر لتسعى به * وارم جمار الهم مستنفرا

من لم يطف بالزهر في وقته * من قبل أن يخلق قد قصرا

﴿ واقف الجوهريّة الصدر نجم الدين ﴾

أبو بكر محمد بن عياش بن أبي المسكارم التيمي الجوهري ، واقف الجوهريّة على الحنفية بدمشق توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر شوال ، ودفن بمدرسته وقد جاوز الثمانين ، وكانت له خدم على الملوك ، فن دونهم .

﴿ الشيخ الامام العالم المفتي ﴾

الخطيب الطبيب ، مجد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي

الحنفي ، خطيب الزيرب ومدرس الدماغية للحنفية ، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً ، توفي بالزيرب وصلى عليه بجامع الصالحية ، وكان فاضلاً وله شعر حسن ، وروى شيئاً من الحديث ، توفي ليلة السبت خامس ذي القعدة عن خمس وسبعين سنة .

﴿ الفاروئي الشيخ الامام العابد الزاهد ﴾

الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ محيي الدين إبراهيم بن عمر بن الفرغ بن سابور ابن علي بن غنيمة الفاروئي الواسطي ، ولد سنة أربع عشرة وستائة ، وسمع الحديث ورحل فيه ، وكانت له فيه يد جيدة ، وفي التفسير والفقه والوحد والبلغة ، وكان ديناً ورعاً زاهداً ، قدم إلى دمشق في دولة الظاهر فأعطى تدريس الجارضية وإمام مسجد ابن هشام ، ورتب له فيه شيء على المصالح ، وكان فيه إثبات له أحوال صالحة ، ومكاشفات كثيرة ، تقدم يوماً في محراب ابن هشام ليصلي بالناس فقال - قبل أن يكبر للاحرام والتفت عن يمينه - فقال : أخرج فاغتسل ، فلم يخرج أحد ، ثم كر ذلك ثانية وثالثة ، فلم يخرج أحد ، فقال : يا عثمان أخرج فاغتسل ، فخرج رجل من الصف فاغتسل ثم عاد وجاء إلى الشيخ يعتذر إليه ، وكان الرجل صالحاً في نفسه ، ذكر أنه أصابه فيض من غير أن يرى شخصاً ، فاعتقد أنه لا يلزمه غسل ، فلما قال الشيخ ما قال اعتقد أنه يخاطب غيره ، فلما عينه باسمه علم أنه المراد . ثم قدم الفاروئي مرة أخرى في أواخر أيام المنصور قلاوون فخطب بجامع دمشق مدة شهر ، ثم عزل بموفق الدين الحموي ، وتقدم ذكر ذلك ، وكان قد درس بالنجيبية وبتدار الحديث الظاهرية ، فترك ذلك كله وسافر إلى وطنه ، فمات بكرة يوم الأربعاء مستهل ذي الحجة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً بواسطة ، وصلى عليه بدمشق وغيرها رحمه الله ، وكان قد لبس خرقة التصوف من السهر وردى ، وقرأ القراءات العشرة وخاف أني مجلد ومائتي مجلداً ، وحدث بالكثير ، وسمع منه البرزالي كثيراً صحيح البخاري وجامع الترمذي وسنين ابن ماجه ، ومسند الشافعي ، ومسند عبد ابن حميد ، ومعجم الطبراني الصغير ، ومسند الدارمي وفضائل القرآن لأبي عبيد ، وثمانين جزء وغير ذلك .

﴿ الجمال المحقق ﴾

أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي ، اشتغل بالفقه على مذهب الشافعي ، وبرع فيه وأفتى وأعاد ، وكان فاضلاً في الطب ، وقد ولي مشيخة الدخوارية لتقدمه في صناعة الطب على غيره ، وعاد المرضي بالمارستان النوري على قاعدة الأطباء ، وكان مدرسا للشافعية بالفرخشانية ، ومعيداً بعدة مدارس ، وكان جيد الذهن مشاركاً في فنون كثيرة سماحه الله .

﴿ الست خاتون بنت الملك الأشرف ﴾

موسى بن العادل زوجة ابن عمها المنصور بن الصالح إسماعيل بن العادل ، وهي التي أثبت سفنها

زمن المنصور قلاوون حتى اشترى منها حزرماً وأخذت الزنبقية من زين الدين السامري .

﴿ الصدر جمال الدين ﴾

يوسف بن علي بن مهاجر التكريتي أخو الصاحب تقي الدين توبة ، وولي حسبة دمشق في وقت ودفن بقرية أخيه بالسفح ، وكانت جنازته حافلة ، وكان له عقل وافر وثروة ومروءة ، وخلف ثلاث بنين : شمس الدين محمد ، وعلاء الدين علي ، وبدر الدين حسن .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة ﴾

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي ، وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كتبغا ، ونائبه بمصر الأمير حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري ، ووزيره نجر الدين بن الخليلي ، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام عز الدين الجوى ، ووزيره تقي الدين توبة ، وشاد الدواوين الأعسر ، وخطيب البلد وقاضيها ابن جماعة . وفي المحرم ولى نظر الايتام برهان الدين بن هلال عوضاً عن شرف الدين بن الشيرجي .

وفي مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديداً جداً ، وقد تغانى الناس إلا القليل ، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها الفئام من الناس ، والأسعار في غاية الغلاء ، والأقوات في غاية القلة والغلاء ، والموت عمال ، فمات بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفاً ، ووقع غلاء بالشام فبلغت الحرارة إلى مائتين ، وقدمت طائفة من التتر العويرانية لما بلغهم سلطنة كتبغا إلى الشام لانه منهم ، فتلقاهم الجيش بالرحب والسعة ، ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير قراسنقر المنصوري ، وجاء الخبر باشتداد الغلاء والفناء بمصر حتى قيل إنه بيع الفروج بالاسكندرية بستة وثلاثين درهماً ، وبالقاهرة بتسعة عشر ، والبيض كل ثلاثة بدرهم ، وأفئدت الحر والخييل والبغال والسكلاب من أكل الناس لها ، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه .

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولى قضاء القضاة بمصر الشيخ العلامة تقي الدين بن دقيق العيد عوضاً عن تقي الدين بن بنت الأعز ، ثم وقع الرخص بالديار المصرية وزال الضر والجوع في جمادى الآخرة والله الحمد .

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب درس القاضى إمام الدين بالقيصرية عوضاً عن صدر الدين ابن رزين الذى توفى . قال البرزالي : وفيها وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام ، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة ، وكان قد روى شيئاً من الحديث . وفيها قدمت امرأة الملك الظاهر أم سلامش من بلاد الاشكرى إلى دمشق في أواخر رمضان فبعث إليها نائب البلد بالهدايا والتحف ورتبت لها الرواتب والاقامات ، وكان قد فنام خليل

ابن المنصور لما ولي السلطنة .

قال الجزري : وفي رجب درس كمال الدين بن الفلانسي عوضا عن جلال الدين القزويني .
 وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان درس الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين بن
 تيمية الحراني بالمدرسة الحنبلية عوضاً عن الشيخ زين الدين بن المنجي توفى إلى رحمة الله ، ونزل
 ابن تيمية عن حلقة العماد بن المنجا لشمس الدين بن الفخر البعلبكي . وفي آخر شوال ناب القاضي
 جمال الدين الزرعي الذي كان حاكما بزراع ، وهو سليمان بن عمر بن سالم الأزرعي عن ابن جماعة
 بدمشق ، فشكرت سيرته . وفيها خرج السلطان كتبغا من مصر قاصدا الشام في أواخر شوال ،
 ولما جاء البريد بذلك ضربت البشائر بالقلعة ، ونزلوا بالقلعة السلطان ونائبه لاجين ووزيره ابن
 الخليلي . وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة ولي قضاء الحنابلة الشيخ تقي الدين سليمان بن
 حمزة المقدسي عوضا عن شرف الدين مات رحمه الله ، وخام عليه وعلى بقية الحكام وأرباب الولايات
 الكبار وأكابر الامراء ، وولي نجم الدين بن أبي الطيب وكالة بيت المال عوضا عن ابن الشيرازي
 وخام عليه مع الجماعة ، ورسم على الأعسر وجماعة من أصحابه وخلق من الكتبة والولاة وصودروا
 بمال كثير ، واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وعلى بنت ابن السلموس وابن عدنان وخلق ، وجزت
 خبطة عظيمة ، وقدم ابنا الشيخ على الحريري حسن وشيث من بسر لزيارة السلطان فحصل لهما منه
 رفق وإسعاف وعادا إلى بلادهما ، وضيقت القلندرية السلطان بسفح جبل المزة ، فأعطاه نحو من
 عشرة آلاف ، وقدم صاحب حماة إلى خدمة السلطان ولعب معه الكرة بالميدان ، واشتكت الاشراف
 من تقيهم زين الدين بن عدنان ، فرفع صاحب يده عنهم وجعل أمرهم إلى القاضي الشافعي ،
 فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة صلى السلطان الملك العادل كتبغا بمقصورة
 الخطابة ، وعن يمينه صاحب حماة ، وتحتة بدر الدين أمير سلاح ، وعن يساره أولاد الحريري حسن
 وأخواه ، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين ، وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموي ،
 وتحتة بدر الدين بيسري ، وتحتة قرا سنقر وإلى جانبه الحاج بهادر ، وخلفهم أمراء كبار ، وخلق
 على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلعة سنية . ولما قضيت الصلاة سلم على السلطان وزار السلطان
 المصحف العثماني . ثم أصبح يوم السبت فلعب الكرة بالميدان .

وفي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة عزل الأمير عز الدين الحموي عن نيابة الشام وطأته السلطان
 عتابا كثيرا على أشياء صدرت منه ، ثم عفا عنه وأمره بالسير معه إلى مصر ، واستتاب بالشام الامير
 سيف الدين غرلو العادلي ، وخام على المولى وعلى المعزول ، وحضر السلطان دار العدل وحضر عنده
 الوزير والقضاة والأمراء ، وكان عادلا كما سمى ، ثم سافر السلطان في ثاني عشر ذي الحجة نحو بلاد

حلب فاجتاز على حرستا ، ثم أقام بالبرية أياما ثم ، عاد فنزل حمص ، وجاء إليه نواب البلاد وجلس
الأمير غرلو نائب دمشق بدار العدل فحكم وعدل ، وكان محمود السيرة سيد الحكيم رحمه الله تعالى .
ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ زين الدين بن منجى ﴾

الامام العالم العلامة مفتي المسلمين ، الصدر الكامل ، زين الدين أبو البركات بن المنجى بن الصدر
عز الدين أبي عمر عثمان بن أسعد بن المنجى بن بركات بن المتوكل التنوخي ، شيخ الخنازلة وعالمهم ،
ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث وتفقه ، فبرع في فنون من العلم كثيرة من الاصول
والفروع والعربية والتفسير وغير ذلك ، وانتهت إليه رياسة المذهب ، وصنف في الاصول ، وشرح
المنقح ، وله تعاليق في التفسير ، وكان قد جمع له بين حسن السمات والديانة والعلم والوجاهة وصحة
الذهن والعقيدة والمناظرة وكثرة الصدقة ، ولم يزل يواظب على الجامع للاشتغال متبرعا حتى توفي في
يوم الخميس رابع شعبان ، وتوفيت معه زوجته أم محمد ست البها بنت صدر الدين الخجندى ، وصلى
عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق ، وحملوا جميعا إلى سفح قاسيون شمالي الجامع المظفرى تحت الروضة
فدفنا في تربة واحدة رحمهما الله تعالى . وهو والد قاضي القضاة علاء الدين ، وكان شيخ المسماوية
ثم وليها بعده ولداه شرف الدين وعلاء الدين ، وكان شيخ الحنبلية فدرس بها بعده الشيخ
تقي الدين بن تيمية كما ذكرنا ذلك في الحوادث .

﴿ المسعودى صاحب الحمام بالمرزة ﴾

أحد كبار الأمراء ، هو الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودى ، أحد الأمراء
المشهورين بخدمة الملوك ، توفي ببستانه بالمرزة يوم السبت سابع عشرين شعبان ، ودفن صباح يوم
الأحد بقرنته بالمرزة ، وحضر نائب السلطنة جنازته ، وعمل عزاءه تحت النسر بجامع دمشق .

﴿ الشيخ الخالدى ﴾

هو الشيخ الصالح إسماعيل بن علي بن حسين الخالدى ، له زاوية خارج باب السلامة ، كان
يقصد فيها للزيارة ، وكان مشتغلا على عبادة وزهادة ، وكان لا يقوم لأحد ، ولو كان من كان ،
وعنده سكون وخشوع ومعرفة بالطريق ، وكان لا يخرج من منزله إلا إلى الجمعة ، حتى كانت وفاته
بنصف رمضان ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

﴿ الشرف حسين المقدسى (١) ﴾

هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسين ابن الامام الخطيب شرف الدين أبي بكر
عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسى ، سمع الحديث وتفقه وبرع في الفروع واللغة ، وفيه أدب وحسن
محاضرة ، مليح الشكل ، تولى القضاء بعد نجم الدين بن الشيخ شمس الدين في أواخر سنة سبع
(١) في شذرات الذهب : حسن المقدسى .

وثمانين ، ودرس بدار الحديث الأشرفية بالسفح ، توفي ليلة الخميس الثاني والعشرين من شوال ، وقد قارب الستين ، ودفن من الغد بمقبرة جده بالسفح ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان جنازته ، وعمل من الغد عزاءه بالجامع المظفرى ، وبأشر القضاء بعده تقي الدين سليمان بن حمزة ، وكذا مشيخة دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وقد وليها شرف الدين الغابر الحنبلى النابلسى مدة شهر ، ثم صرف عنها واستقرت بيد التقي سليمان المقدسى .

﴿ الشيخ الامام العالم الناسك ﴾

أبو محمد بن أبي حمزة المغربي المالكي ، توفي بالديار المصرية في ذى القعدة ، وكان قوالا بالحق ، أماراً بالمعروف ونهياً عن المنكر .

﴿ صاحب محي الدين بن النحاس ﴾

أبو عبد الله محمد بن بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن عبد الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدى الحلبي الحنفي ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة بحلب ، واشتغل وبرع وسمع الحديث وأقام بدمشق مدة ، ودرس بها بمدارس كبار ، منها الظاهرية والزنجانية ، وولى القضاء بحلب والوزارة بدمشق ، ونظر الخزانة ونظر الدواوين والأوقاف ، ولم يزل مكرماً معظماً معروف بالفضيلة والانصاف في المناظرة ، محباً للحديث وأهله على طريقة السلف ، وكان يحب الشيخ عبد القادر وطائفته ، توفي ببستانه بالمرزة عشية الاثنين سلخ ذى الحجة ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن يوم الثلاثاء مستهل سنة ست وتسعين بمقبرة له بالمرزة ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة .

﴿ قاضى القضاة ﴾

تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضى القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب بن القاضى الاعز أبي القاسم خلف بن بدر العلائى الشافى ، توفي في جمادى الأولى ودفن بالقرافة بترتهم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة ﴾

استهلت والخليفة والسلطان ونائب مصر ونائب الشام والقضاة هم المذكورون فى التى قبلها والسلطان الملك العادل كتبنا فى نواحى حمص يتصيد ، ومعه نائب مصر لاجين وأكابر الامراء ، ونائب الشام بدمشق وهو الامير سيف الدين غرلو العادلى . فلما كان يوم الاربعاء الثانى المحرم دخل السلطان كتبنا إلى دمشق وصلى الجمعة بالمقصورة وزار قبر هود وصلى عنده ، وأخذ من الناس قصصهم بيده ، وجلس بدار العدل فى يوم السبت ووقع على القصص هو ووزيره نجر الدين الخليلى . وفى هذا الشهر حضر شهاب الدين بن محيى الدين بن النحاس فى مدرستى أبيه الزنجانية والظاهرية وحضر الناس عنده ، ثم حضر السلطان دار العدل يوم الثلاثاء وجاء يوم الجمعة فصلى الجمعة بالمقصورة

ثم صعد في هذا اليوم إلى مغارة الدم لزيارتها ، ودعا هنالك وتصدق بجملة من المال ، وحضر الوزير الخليلي ليلة الأحد ثالث عشر المحرم إلى الجامع بعد العشاء فجلس عند شبك الكاملية وقرأ القرآن بين يديه ، ورسم بأن يكمل داخل الجامع بالفرش ففعلوا ذلك ، واستمر ذلك نحواً من شهرين ثم عاد إلى ما كان عليه .

وفي صبيحة هذا اليوم درس القاضي شمس الدين بن الحريري بالقيمازية عوضاً عن ابن النحاس باتفاق بينهم ، وحضر عنده جماعة ، ثم صلى السلطان الجمعة الأخرى بالمقصورة ومعه وزيره ابن الخليلي وهو ضعيف من مرض أصابه ، وفي سابع عشر المحرم أمر للملك الكامل بن الملك السعيد ابن الصالح إسماعيل بن العادل بطبلخانة ولبس الشربوش ، ودخل القلعة ودقت له الكوسات على بابه ، ثم خرج السلطان العادل كتبغا بالعساكر من دمشق بكرة الثلاثاء ثاني عشرين المحرم ، وخرج بعده الوزير فاجتاز بدار الحديث ، وزار الأثر النبوي ، وخرج إليه الشيخ زين الدين الفارقي وشافه بتدريس الناصرية ، وترك زين الدين تدريس الشامية البرانية فولها القاضي كمال الدين بن الشريشي ، وذكر أن الوزير أعطى الشيخ شيثا من حطام الدنيا قبله ، وكذلك أعطى خادم الأثر وهو المعين خطاب . وخرج الاعيان والقضاة مع الوزير لتوديعه . ووقع في هذا اليوم مطر جيد استشفى الناس به وغسل آثار العساكر من الأوساخ وغيرها ، وعاد التقى توبة من توديع الوزير وقد فوض إليه نظر الخزانة وعزل عنها شهاب الدين بن النحاس ، ودرس الشيخ ناصر الدين بالناصرية الجوانية عوضاً عن القاضي بدر الدين بن جماعة في يوم الاربعاء آخر يوم من المحرم .

وفي هذا اليوم تحدث الناس فيما بينهم بوقوع تخبيط بين العساكر ، وخلف وتشويش ، فغلق باب القلعة الذي يلي المدينة ، ودخل الصاحب شهاب الدين إليها من ناحية الخوخة ، وتهايا النائب والأمراء وركب طائفة من الجيش على باب النصر وقوفاً ، فلما كان وقت العصر وصل السلطان الملك العادل كتبغا إلى القلعة في خمسة أنفس أو ستة من مماليكه ، فدخل القلعة فجاء إليه الأمراء وأحضر ابن جماعة وحسام الدين الحنفي ، وجددوا الحلف للأمراء ثانية فحلفوا ، وخلع عليهم ، وأمر بالاحتياط على نواب الأمير حسام الدين لاجين وحواصده ، وأقام العادل بالقلعة هذه الأيام ، وكان الخلف الذي وقع بينهم بوادي فحمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من المحرم ، وذلك أن الأمير حسام الدين لاجين كان قد واطأ جماعة من الأمراء في الباطن على العادل ، وتوثق منهم ، وأشار على العادل حين خرجوا من دمشق أن يستصحب معه الخزانة ، وذلك لتلايق بدمشق شيء من المال يتقوى به العادل إن فاتهم ورجع إلى دمشق ، ويكون قوة له هو في الطريق على ما عزم عليه من الغدر ، فلما كانوا بالمكان المذكور قتل لاجين الأمير سيف الدين بيحاص وبكثوت الازرق العادليين ، وأخذ

الخرزانة من بين يديه والعسكر ، وقصدوا الديار المصرية ، فلما سمع العادل بذلك خرج في الدهليز وساق جريدة إلى دمشق فدخلها كما ذكرنا ، وتراجع إليه بعض مماليكه كزين الدين غلبك وغيره ، ولزم شهاب الدين الحنفي القلعة لتدبير المملكة ، ودرس ابن الشريشى بالشامية البرانية بكرة يوم الخميس مستهل صفر ، وتقلبت أمور كثيرة في هذه الايام ، ولزم السلطان القلعة لا يخرج منها ، وأطلق كثيراً من المكوس ، وكتب بذلك تواقيع وقرئت على الناس ، وغلا السعر جداً فبلغت الغرارة مائتين ، واشتد الحال وتفاقم الأمر ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ ذكر سلطنة الملك المنصور لاجين السلحدارى ﴾

وذلك أنه لما استاق الخزانة وذهب بالجيوش إلى الديار المصرية دخلها في أمة عظيمة ، وقد اتفق معه جمهور الأمراء الكبار وبايعوه وملكوه عليهم ، وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر صفر ، ودقت بمصر البشار ، وزينت البلاد ، وخطب له على المنابر ، وبالقدس والخليل ، ولقب بالملك المنصور ، وكذلك دقت له البشار بالكرك وناپلس وصفد ، وذهبت إليه طائفة من أمراء دمشق ، وقدمت التجريدة من جهة الرحبة صحبة الأمير سيف الدين كجكن فلم يدخلوا البلد بل نزلوا بميدان الحصن ، وأظهروا مخالفة العادل وطاعة المنصور لاجين صاحب مصر ، وركب إليه الامراء طائفة بعد طائفة ، وفوجا بعد فوج ، فضعف أمر العادل جداً ، فلما رأى انحلال أمره قال للامراء : هو خشداشى وأنا وهو شىء واحد ، وأنا سامع له مطيع ، وأنا أجلس فى أى مكان من القلعة أريد ، حتى تسكاتبوه وتنظروا مايقول . وجاءت البريدية بالملكاتبات بالأمر بالاحتياط على القلعة وعلى العادل وبقى الناس فى هرج وأقول ذات ألوان مختلفة ، وأبواب القلعة مغلقة ، وأبواب البلد سوى باب النصر إلا الخوخة ، والعامية حول القلعة قد ازدحمت حتى سقطت طائفة منهم بالخذق فمات بعضهم ، وأمسى الناس عشية السبت وقد أعان باسم الملك المنصور لاجين ، ودقت البشار بذلك بعد العصر ودعا له المؤذنون فى سحر ليلة الأحد بجماع دمشق ، وتلوا قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) الآية .

وأصبح الناس يوم الأحد فاجتمع القضاة والأمراء وفيهم غرلو العادلى بدار السعادة فخلفوا للمنصور لاجين ، ونودى بذلك فى البلد ، وأن يفتح الناس دكاكينهم ، واختفى الصاحب شهاب الدين وأخوه زين الدين المحتسب ، فعمل الوالى ابن النشابى حسبة البلد ، ثم ظهر زين الدين فباشرها على عادته . وكذلك ظهر أخوه شهاب الدين ، وسافر نائب البلد غرلو والأمير جاعان إلى الديار المصرية يعلمان السلطان بوقوع التحليف على ما رسم به ، وجاء كتاب السلطان أنه جلس على السرير يوم الجمعة عاشر صفر ، وشق القاهرة فى سادس عشره فى أمة المملكة ، وعليه الخلع الخليفة

والأمراء بين يديه ، وأنه قد استناب بمصر الأمير سيف الدين سنقر المنصوري ، وخطب المنصور لاجين بدمشق أول يوم ربيع الأول ، وحضر المقصورة القضاة وشمس الدين الاعسر وكجكن ، واستدبر وجماعة من أمراء دمشق ، وتوجه القاضي إمام الدين القزويني وحسام الدين الحنفي وجمال الدين المالكي إلى الديار المصرية مطلوبين ، وقدم الأمير حسام الدين أستاذ دار السلطان ، وسيف الدين جاعان من جهة السلطان فخافوا الأمراء ثانية ودخلوا على العادل القلعة ومعهم القاضي بدر الدين ابن جماعة وكجكن فخلفوه أياماً مؤكدة بعدما طال بينهم الكلام بالتركي ، وذكر وبالتركي في مبايعته أنه راض من البلدان أي بلد كان ، فوقع التعمين بعد التعمين على قلعة صرخد ، وجاءت المراسيم بالوزارة لتقى الدين توبة ، وعزل شهاب الدين الحنفي ، وبالحسبة لأمين الدين يوسف الأرمي الرومي صاحب شمس الدين الايكي ، عوضاً عن زين الدين الحنفي ، ودخل الأمير سيف الدين قبجق المنصوري على نيابة الشام إلى دمشق بكرة السبت السادس عشر من ربيع الأول ، ونزل دار السعادة عوضاً عن سيف الدين غرلو العادلي ، وقد خرج الجيش بكامله لتلقيه ، وحضر يوم الجمعة إلى المقصورة فصلى بها وقرأ بعد الجمعة كتاب سلطاني حسامي بإبطال الضمانات من الأوقاف والأملاك بغير رضى أصحابها ، قرأه القاضي محي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الانشاء ، ونودي في البلد من له مظالم فليات يوم الثلاثاء إلى دار العدل ، وخلع على الامراء والمقدمين وأرباب المناصب من القضاة والكتبة ، وخلع على ابن جماعة خلعين واحدة للقضاة والأخرى للخطابة .

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فآخبر بولاية إمام الدين القزويني القضاة بالشام عوضاً عن بدر الدين بن جماعة ، وإبقاء ابن جماعة على الخطابة ، وتدريس القيمرية التي كانت بيد إمام الدين ، وجاء كتاب السلطان بذلك وفيه احترام وإكرام له ، فدرس بالقيمرية يوم الخميس ثاني رجب ، ودخل إمام الدين إلى دمشق عقيب صلاة الظهر يوم الأربعاء الثامن من رجب فجلس بالعادلية وحكم بين الناس وامتدحه الشعراء بقصائد ، منها قصيدة لبعضهم يقول في أولها :

تبدلت الأيام من بعد عسرها يسرا * فأضحت تغور الشام تغتر بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان ومعه القاضي جمال الدين الزواوي ، قاضي قضاة المالكية وعليه خلعة أيضاً ، وقد شكر سيرة إمام الدين في السفر ، وذكر من حسن أخلاقه ورياضته ما هو حسن جميل ، ودرس بالعادلية بكرة الأربعاء منتصف رجب ، وأشهد عليه بعد الدرس بولاية أخيه جلال الدين نيابة الحكم ، وجلس في الديوان الصغير وعليه الخلعة ، وجاء الناس يهنئونه وقرئ تقليده يوم الجمعة بالشباك السكالي بعد الصلاة بمحاضرة نائب السلطنة وبقية القضاة ، قرأه شرف الدين الفزاري . وفي شعبان وصل الخبر بأن شمس الدين الاعسر تولى بالديار المصرية شد الدواوين

والوزارة ، وباشر المنصبين جميعاً ، وباشر نظر الدواوين بدمشق نجر الدين بن السيرجي عوضاً عن زين الدين بن صصرى ، ثم عزل بعد قليل بشهر أو أقل بأمين الدين بن هلال ، وأعيدت الشامية البرانية إلى الشيخ زين الدين الفارقي مع الناصرية بسبب غيبة كمال الدين بن الشريشى بالقاهرة .

وفى الرابع عشر من ذى القعدة أمسك الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب الديار المصرية لاجين هو وجماعة من الامراء معه ، واحتيط على حواصلهم وأموالهم بمصر والشام ، وولى السلطان نيابة مصر للأمير سيف الدين منكوتر الحسامى ، وهؤلاء الامراء الذين مسكهم هم الذين كانوا قد أعانوه وبايعوه على العادل كتبغا ، وقدم الشيخ كمال الدين الشريشى ومعه توقيع بتدريس الناصرية عوضاً عن الشامية البرانية ، وأمست الأمير شمس الدين سنقر الأعرس وزير مصر وشاد الدواوين يوم السبت الثالث والعشرين من ذى الحجة ، واحتيط على أمواله وحواصله بمصر والشام . ونودى بمصر فى ذى الحجة أن لا يركب أحد من أهل الذمة فرساً ولا بغلاً ، ومن وجد منهم راكباً ذلك أخذ منه . وفيها ملك اليمن السلطان الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر المتقدم ذكره فى التى قبلها : **ومن توفى فيها من الاعيان**

﴿ قاضى قضاة الحنابلة بمصر ﴾

عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى الحنبلى ، سمع الحديث وبرع فى المذهب وحكم بمصر ، وكان مشكوراً فى سيرته وحكمه ، توفى فى صفر ودفن بالمقطم ، وتولى بعده شرف الدين عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر الحرانى بديار مصر .

﴿ الشيخ الامام الحافظ القدوة ﴾

عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المصرى الحنبلى ، توفى بالمدينة النبوية فى أواخر صفر ، ولد سنة خمس وعشرين وستائة ، وسمع الحديث الكثير ، وجاور بالمدينة النبوية خمسين سنة ، وحج فيها أربعين حجة متوالية ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله . **﴿ الشيخ شيث بن الشيخ على الحريرى ﴾**

توفى بقرية بسر من حوران يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر وتوجه أخوه حسن والقراء من دمشق إلى هناك لتعزية أخيهم حسن الأكبر فيه .

﴿ الشيخ الصالح المقرئ ﴾

جمال الدين عبد الواحد بن كثير بن ضرغام المصرى ، ثم الدمشقى ، نقيب السبع الكبير والفزالية ، كان قد قرأ على السخاوى وسمع الحديث ، توفى فى أواخر رجب وصلى عليه

بالجامع الاموى ودفن بالقرب من قبة الشيخ رسلان .

﴿ واقف السامرية ﴾

الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري واقف السامرية التي إلى جانب الكرومية بدمشق ، وكانت داره التي يسكن بها ، ودفن بها ووقفها دار حديث و خانقاه ، وكان قد انتقل إلى دمشق وأقام بها بهذه الدار مدة ، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام ، بناها من حجارة منحوتة كلها ، وكان السامري كثير الأموال حسن الأخلاق معظماً عند الدولة ، جميل المعاشرة ، له أشعار رائقة ومبتكرات فائقة ، توفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان ، وقد كان ببغداد له حظوة عند الوزير ابن العلقمي ، وامتدح المعتصم وخلع عليه خلعة سوداء سنية ، ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب فخطب عنده أيضاً فسمى فيه أهل الدولة فصنف فيهم أرجوزة ففتح عليهم بسببها بابا فصادرهم الملك بعشرين ألف دينار ، فعظموه جداً وتوسلوا به إلى أغراضهم ، وله قصيدة في مدح النبي ﷺ ، وقد كتب عنه الحافظ الديلمياطي شيئاً من شعره .

﴿ واقف النفيسية التي بالرصيف ﴾

الرئيس نفيس الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلام بن علي ابن صدقة الحراني ، كان أحد شهود القيمة بدمشق ، وولى نظر الأيتام في وقت ، وكان ذا ثروة من المال ، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع الحديث ووقف داره دار حديث ، توفي يوم السبت بعد الظهر الرابع من ذي القعدة ، ودفن بسفح قاسيون بكرة يوم الأحد بعد ما صلى عليه بالاموى .

﴿ الشيخ أبو الحسن المعروف بالساروب الدمشقي ﴾

يلقب بنجم الدين ، ترجمه الحريري فاطن ، وذكر له كرامات وأشياء في علم الحروف وغيرها والله أعلم بحاله .

وفيها قتل قازان الامير نوروز الذي كان إسلامه على يديه ، كان نوروز هذا هو الذي استسلمه ودعاه للإسلام فأسلم وأسلم معه أكثر التتر ، فان التتر شوشوا خاطر قازان عليه واستمالوه منه وعنه ، فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينسب إليه ، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان وكان ذا عبادة وصدق في إسلامه وأذكاره وتطوعاته ، وقصده الجيد رحمه الله وعفا عنه ، ولقد أسلم على يديه منهم خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، واتخذوا السبوح والهيكل وحضروا الجمع والجماعات وقرأوا القرآن والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة ﴾

استهلت والخليفة الحاكم والسلطان لاجين ونائب مصر منكوتمر ونائب دمشق قبجق . وفي عاشر صفر تولى جلال الدين بن حسام الدين القضاء مكان أبيه بدمشق ، وطلب أبوه إلى مصر فأقام

عند السلطان وولاه قضاء قضاء مصر للحنفية عوضاً عن شمس الدين السروجي ، واستقر ولده بدمشق قاضي قضاء الحنفية ، ودرس بمدرستي أبيه الخاتونية والمقدمية ، وترك مدرسة الفصاعين والشبيلية وجاء الخبر على يدي البريد بعافية السلطان من الوقعة التي كان وقمها فدقت البشائر وزينت البلد ، فانه سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة ، فكان كما قال الشاعر :

حويت بطشاً وإحساناً ومعرفة * وليس يحمل هذا كله الفرس

وجاء على يديه تقليد وخلعة لنائب السلطنة ، فقرأ التقليد وباس العتبة . وفي ربيع الأول درس بالجوزية عز الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان وحضر عنده إمام الدين الشافعي وأخوه جلال الدين وجماعة من الفضلاء ، وبعد التدريس جلس وحكم عن أبيه باذنه في ذلك .

وفي ربيع الأول غضب قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وترك الحكم بمصر أياماً ، ثم استرضى وعاد وشرطوا عليه أن لا يستنيد ولده المحب ، وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالمدرسة العظمية وخطب فيها مدرسها القاضي شمس الدين بن المعز الحنفي ، واشتهر في هذا الحين القبض على بدر الدين بيدسرى واحتياط على أمواله بديار مصر ، وأرسل السلطان بجزيرة صحبة علم الدين الدويداري إلى تل حمدون ففتحته بحمد الله ومنه ، وجاء الخبر بذلك إلى دمشق في الثاني عشر من رمضان ، وخربت به الخليلية وأذن بها الظهر ، وكان أخذها يوم الأربعاء سابع رمضان ، ثم فتحت مرعش بعدها فدقت البشائر ، ثم انتقل الجيش إلى قلعة حموص فأصيب جماعة من الجيش منهم الأمير علم الدين سنجر طقصبا أصابه زيار في فخذه ، وأصاب الأمير علم الدين الدويداري حجر في رجله .

ولما كان يوم الجمعة سابع عشر شوال عمل الشيخ تقي الدين بن تيمية ميعاداً في الجهاد وحرص فيه وبالغ في أجور المجاهدين ، وكان ميعاداً حافلاً جليلاً .

وفي هذا الشهر عاد الملك المسعود بن خضر بن الظاهر من بلاد الأشكري إلى ديار مصر بعد أن مكث هناك من زمن الأشرف بن المنصور ، وتلقاه السلطان بالموكب وأكرمه وعظمه . وحين الأمير خضر بن الظاهر في هذه السنة مع المصريين وكان فيهم الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي . وفي شهر شوال جلس المدرسون بالمدرسة التي أنشأها نائب السلطنة بمصر وهي المنكوتيرية داخل باب القنطرة . وفيها دقت البشائر لاجل أخذ قلعتي حميمص ونجم من بلاد سيس .

وفيها وصلت الجريدة من بلاد مصر قاصدين بلاد سيس مسدداً لأصحابهم ، وهي نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، وفي منتصف ذي الحجة أمسك الأمير عز الدين أيك الحموي الذي كان نائب الشام هو وجماعة من أهله وأصحابه من الأمراء . وفيها قلت المياه بدمشق جداً حتى بقي ثوراني

بعض الأماكن لا يصل إلى ركبته الانسان ، وأما بردى فإنه لم يبق فيه مسكة ماء ولا يصل إلى جسر
حسرين ، وغلا سعر التلج بالبلد . وأما نيل مصر فإنه كان في غاية الزيادة والكثرة
ومن توفي فيهما الأعيان . ﴿ الشيخ حسن بن الشيخ علي الحريري ﴾
في ربيع الأول بقرية بسر ، وكان من كبار الطائفة ، وللناس إليه ميل لحسن أخلاقه وجودة
معاشرته ، ولد سنة إحدى وعشرين وستمائة .

﴿ الصدر الكبير شهاب الدين ﴾

أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي الرجا بن أبي الزهر التنوخي المعروف بابن السلموس ، أخو
الوزير ، قرأ الحديث وسمع الكثير ، وكان من خيار عباد الله ، كثير الصدقة والبر ، توفي بداره في
جمادى الأولى ، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير ، وعمل عزائه بمسجد ابن هشام ، وقبولي في
وقت نظر الجامع وشكرت سيرته ، وحصل له وجاهة عظيمة عريضة أيام وزارة أخيه ، ثم عاد إلى
ما كان عليه قبل ذلك حتى توفي ، وشهد جنازته خلق كثير من الناس .

﴿ الشيخ شمس الدين الأيبي ﴾

محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي ، المعروف بالأيبي ، أحد الفضلاء الخلالين للمشكلات ، الميسرين
المعضلات ، لاسيما في علم الأصول والمنطق ، وعلم الاوائل ، باشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر ، وأقام
مدرس الغزالية قبل ذلك ، توفي بقرية المزة يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت ومشى الناس في جنازته ، منهم
قاضي القضاة امام الدين القزويني ، وذلك في الرابع من رمضان ودفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ شملة
وعمل عزائه بمخافتاه السيمساطية ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان معظماني نفوس كثير من العلماء وغيرهم

﴿ الصدر ابن عقبة ﴾

إبراهيم بن أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البصراوي ، درس وأعاد ، وولى في وقت قضاء
حلب ، ثم سافر قبل وفاته إلى مصر فجاؤ بتوقيع فيه قضاء قضاء حلب ، فلما اجتاز بدمشق توفي بها
في رمضان من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة . يشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص وطول الأمل

﴿ الشهاب العابر ﴾

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي الخنبلي شهاب الدين عابر الرؤيا ، جمع
الكثير وروى الحديث . وكان عجبا في تفسير المنامات ، وله فيه اليد الطولى ، وله تصنيف فيه ليس
كالذي يؤثر عنه من الفرائب والمعائب ، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، توفي في ذي القعدة ودفن
بباب الصغير وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

ثم الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية . ويليه الجزء الرابع عشر . وأوله سنة ثمان وتسعين وستمائة

فهرست الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية

الموضوع	صحيفة	الموضوع	صحيفة
من توفى فيها من الاعيان .	٢١	سنة تسع وثمانين وخمسمائة وفيها كانت وفاة	٢
سنة ست وتسعين وخمسمائة	٠٠	الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وابتداء	
وفاة السلطان علاء الدين خوارزم شاه	٢٢	مرضه وكيفية وفاته	
وغیره .		ذكر تركته وشيء من ترجمته	٤
وفاة الامير لؤلؤ	٢٣	ذكر أنه لم يخلف أموالاً ولا أملاً كما وسبب	٥
وفاة القاضي الفاضل وزير مصر وما رثى به	٢٤	ذلك	
سنة سبع وتسعين وخمسمائة	٢٦	فصل في تقسيمه بلاد مملكته بين أولاده	٦
ما وقع فيها من الحوادث	٢٧	ذكر من توفى في هذه السنة	٧
من توفى فيها من الاعيان	٢٨	سنة تسعين وخمسمائة	٨
ابن الجوزي وعلمه وشعره وأدبه	٠٠	ما وقع في هذه السنة من الحوادث	٩
العماد الكاتب الاصبهاني	٣٠	من توفى في هذه السنة	٠٠
بهاء الدين قراقوش	٣١	وفاة ابن الشاطبي ناظم الشاطبية	١٠
سنة ثمان وتسعين وخمسمائة	٣٢	سنة إحدى وتسعين وخمسمائة	٠٠
وفاة القاضي ابن الزكي	٠٠	ما وقع فيها من الحوادث ومن توفى فيها	١١
الخطيب الدولعي	٣٣	سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة ومن توفى فيها	١٢
سنة تسع وتسعين وخمسمائة	٣٤	سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة	١٣
وفاة القاضي الشهر زوري	٣٥	رسالة القاضي الفاضل من مصر إلى الملك	١٤
سنة ستائة من الهجرة . وما وقع فيها من	٣٦	العادل بدمشق يحثه على قتال الفرنج لانهاء	
الحوادث		مدة هدنتهم مع صلاح الدين الايوبي	
وفاة الحافظين ابن عساكر وعبد الغني	٣٨	موت ملك الفرنج ومن توفى من أعيان المسلمين	١٥
المقسي		سنة أربع وتسعين وخمسمائة	١٦
سنة إحدى وستائة وما وقع فيها من الحوادث	٤٠	وما حصل فيها بين الفرنج والمسلمين	٠٠
من توفى فيها من الأعيان	٤١	من توفى في هذه السنة من الاعيان	١٧
سنة اثنتين وستائة . وما حصل فيها من الحرب	٤٣	سنة خمس وتسعين وخمسمائة .	١٨
بين الكرج والمسلمين		وفاة العزيز ملك مصر وكيفية وفاته	
من توفى فيها من الأعيان	٤٤	وفاة سلطان المغرب : ابن عبد المؤمن	١٩
سنة ثلاث وستائة	٤٥	ما وقع في هذه السنة من الحوادث	٢٠

الموضوع	صحيفة	الموضوع	صحيفة
الفرنج مدينة دمياط		من توفي فيها من الأعيان	٤٦
٨١ وفاة الملك القاهر صاحب الموصل		٤٧ سنة أربع وستمائة	
٨٢ سنة ست عشرة وستمائة		٤٩ من توفي فيها من الأعيان .	
٥٠ ظهور جنكيز خان وعبور التتار نهر جيحون		٥١ سنة خمس وستمائة	
٨٣ تخريب سور بيت المقدس		٥٢ « ست »	
٨٤ وفاة ست الشام واقفة المدرستين		٥٤ وفاة ابن الأثير صاحب جامع الأصول والنهاية	
٨٥ « أبي البقاء صاحب كتابي الاعراب واللباب		٥٥ « الفخر الرازي	
٥٠ « الحافظ الكبير ابن عساكر		٥٦ سنة سبع وستمائة	
٨٦ سنة سبع عشرة وستمائة .		٥٧ وفاة صاحب الموصل نور الدين	
وفيها استفحل أمر التتار وعم البلاء بهم		٥٨ وفيها توفي من الاعيان الشيخ أبي عمر	
وذكر حوادثهم مع خوارزم شاه وأمراء المسلمين		٦٢ سنة ثمان وستمائة	
وما حصل من الفتن والحروب		٦٣ « تسع »	
٩٣ وفاة الشيخ عبد الله اليوناني الملقب أسد الشام		٦٤ سنة عشر وستمائة	
٩٤ سنة ثمان عشرة وستمائة وفيها استولت التتار		٦٦ وفاة النسابة ابن السكبي	
على كثير من البلدان		٦٧ سنة إحدى عشرة وستمائة	
٩٧ سنة تسع عشرة وستمائة		٦٨ من توفي فيها من الاعيان	
٩٩ « عشرين »		٥٠ سنة اثنتي عشرة وستمائة	
٥٠ وفاة موفق الدين بن قدامة المقدسي		٦٩ وفاة ولي العهد ابن أمير المؤمنين الناصر	
١٠٣ سنة إحدى وعشرين وستمائة		لدين الله .	
وفيها حاربت طائفة من التتار أهل الري		٥٠ وفاة الوجيه الأعمى أبي المبارك الواسطي	
١٠٥ سنة اثنتين وعشرين وستمائة .		٧١ سنة ثلاث عشرة وستمائة .	
١٠٦ وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه		٥٠ وفاة الكندي تاج الدين زيد بن الحسن	
الظاهر		وتاريخ حياته وأعماله وأشعاره	
١٠٧ خلافة الظاهر بن الناصر		٧٥ سنه أربع عشرة وستمائة	
١٠٨ وفاة الملك الافضل نور الدين بن صلاح الدين		٧٦ انقضاء الهدنة بين العادل والفرنج	
الأيوبي		٧٧ وفاة العماد المقدسي أخو عبد الغني	
١٠٩ وفاة الفخر ابن تيمية		٥٠ . . . جمال الدين الحرساني	
١١٢ وفاة الخليفة الظاهر وخلافة ابنه المستنصر		٧٨ سنة خمس عشرة وستمائة	
١١٣ خلافة المستنصر بالله العباسي		٧٩ وفاة الملك العادل أبو بكر بن أيوب وأخذ	

مصحفة	الموضوع	مصحفة	الموضوع
١١٤	وفاة الجمال المصري قاضي القضاة	١٥٤	وفاة صاحب حمص أسد الدين شيركوه
١١٥	« المعتمد والى دمشق	١٥٥	سنة ثمان وثلاثين وستمائة
١١٧	سنة أربع وعشرين وستمائة	١٥٦	وفاة محيي الدين بن عربي
٥٠٠	وفاة ملك التتار جنكيزخان لعنه الله	١٥٧	سنة تسع وثلاثين وستمائة
١٢١	« السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل	١٥٩	« أربعين وستمائة . وفيها كانت وفاة الخليفة المستنصر بالله
١٢٣	سنة خمس وعشرين وستمائة	١٦٠	خلافة المستنصر بالله بن المستنصر بالله
٥٠٠	« ست وعشرين وستمائة	١٦١	وفيها وقع غلاء شديد بالعراق وتوفيت الست خاتون بنت عز الدين مسعود
١٢٤	من توفي فيها من الأعيان	١٦٢	سنة إحدى وأربعين وستمائة
١٢٧	سنة سبع وعشرين وستمائة	وفيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب بمصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق	
١٢٨	« ثمان »	١٦٣	من توفي فيها من الأعيان
١٢٩	وفاة ابن معطى صاحب ألفية النحو	١٦٤	سنة اثنتين وأربعين وستمائة
١٣٢	سنة تسع وعشرين وستمائة	١٦٥	وفاة الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب . والوزير نصر الدين أبو الأزهر
١٣٣	من توفي فيها من الأعيان	١٦٦	سنة ثلاث وأربعين وستمائة وهي سنة الخوارزمية فانهم حاصروا الصالح إسماعيل بدمشق وأخذوا منه ثم صالحوه . وكانت حروب بين الصالح أيوب صاحب مصر والصالح إسماعيل بدمشق
١٣٥	سنة ثلاثين وستمائة	١٦٨	وفاة تقي الدين ابن الصلاح
١٣٨	وفاة الشيخ شهاب الدين السهروردي	١٦٩	وفاة ابن النجار الحافظ صاحب التاريخ والحافظ ضياء الدين المقدسي وغيرهما .
١٣٩	« ابن الأثير مصنف أسد الغابة والكمال	١٧١	سنة أربع وأربعين وستمائة
٥٠٠	سنة إحدى وثلاثين وستمائة	انتصار الصالح أيوب وجنوده على الخوارزمية والصالح إسماعيل .	
١٤١	وفاة الشيخ عبد الله الارمني		
١٤٣	سنة اثنتين وثلاثين وستمائة		
١٤٤	« ثلاث وثلاثين وستمائة وفاة ابن دحية		
١٤٥	سنة أربع وثلاثين وستمائة .		
١٤٦	سنة خمس وثلاثين وستمائة وفيها كانت وفاة الأشرف ثم أخيه		
١٤٩	« الملك الكامل وما جرى بعده		
١٥١	سنة ست وثلاثين وستمائة		
١٥٢	وفاة جمال الدين الحصري		
١٥٣	سنة سبع وثلاثين وستمائة		

الموضوع	صحيفة	الموضوع	صحيفة
وصفها		١٧٢ وفاة الملك المنصور صاحب حصص	
١٩٣ ذكر احتراق مسجد النبوي المشرف		١٧٣ سنة خمس وأربعين وستائة	
١٩٤ وفاة الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزي		٠٠٠ ووفاة الشيخ الحريري	
١٩٥ سنة خمس وخمسين وستائة		١٧٤ سنة ست وأربعين وستائة .	
١٩٦ فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة		وفيها حاصر صاحب مصر مدينة حصص	
١٩٨ وفاة الملك الناصر ملك دمشق		١٧٦ وفاة الشيخ أبي عمرو بن الحاجب المالكي	
٠٠٠ » » المعز أيبك التركياني ملك مصر		١٧٧ سنة سبع وأربعين وستائة .	
١٩٩ شجرة الدر أم خليل التركية		وفيها كانت وفاة الملك الصالح أيوب صاحب مصر وقتل ابنه توران شاه وتولية عز الدين أيبك التركياني	
٠٠٠ ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة		١٧٨ سنة ثمان وأربعين وستائة	
٢٠٠ سنة ست وخمسين وستائة		٠٠٠ تملك الملك عز الدين التركياني بعد بني أيوب وهذا أول دولة الأتراك	
فيها أخذت التتار ببغداد . وما كان منهم من الحروب والأسر والقتل والشناعات		١٧٩ ذكر ملك الناصر بن الظاهر صاحب حلب . . .	
٢٠٤ وفاة خليفة الوقت المستعصم بالله وترجمته		لدمشق بعد وفاة الصالح إسماعيل	
٢٠٦ قصيدة لبعض الفضلاء ذكر فيها خلفاء الدولة الاموية والعباسية والفاطمية		ذكر شيء من ترجمة الصالح إسماعيل	
٢٠٩ قصيدة المؤلف ابن كثير في ذلك		١٨٠ من توفي في هذه السنة من الاعيان	
٢١٢ وفاة الحافظ المنذرى . والوزير ابن العلقمي		١٨١ سنة تسع وأربعين وستائة	
الرافضي وغيرها من الاعيان		١٨٢ » خمسين وستائة	
٢١٥ سنة سبع وخمسين وستائة		١٨٣ وفاة الشيخ الواعظ محمد بن غانم الأصفهاني	
٢١٦ ولاية الملك المظفر قطز .		١٨٤ سنة إحدى وخمسين وستائة	
٠٠٠ وفاة الشيخ الاقيني		وفيها وقع الصلح بين صاحب مصر وصاحب الشام بعد حروب شديدة نشبت بينهما	
٢١٨ سنة ثمان وخمسين وستائة		١٨٥ سنة اثنتين وخمسين وستائة	
٢١٩ صفة أخذ التتار مدينة دمشق وزوال ملكهم عنها سريراً		١٨٦ » ثلاث »	
٢٢٠ انتصار المسلمين على التتار في عين جالوت		١٨٧ » أربع »	
٢٢٢ ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس		وفي هذه السنة كان ظهور النار بأرض الحجاز التي أضاعت لها أعناق الابل ببصرى وماورد في ذلك من أهل المدينة من رسائل في	
٢٢٤ من توفي فيها من الاعيان			
٢٢٥ وفاة الملك المظفر قطز			

الموضوع	صحيفة	الموضوع	صحيفة
فتح إنطاكية على يد الملك الظاهر	٢٥١	هلاك كتبغا نوبن نائب هولاء كوتنرى	٢٢٦
الحوادث الواقعة في هذه السنة	٢٥٢	وفاة الشيخ محمداليونيني وترجمته	٢٢٧
سنة سبع وستين وستمائة	٢٥٤	سنة تسع وخمسين وستمائة	٢٢٩
» » ثمان »	٢٥٦	ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله بعد وفاة	٢٣١
وفيها قتل صاحب مرا كاش	٥٠٠	المستعصم بالله في سنة ست وخمسين وستمائة	
سنة تسع وستين وستمائة	٢٥٧	تولية الخليفة المستنصر بالله السلطنة للملك	٢٣٢
ما وقع فيها من الحوادث والوفيات	٢٥٩	الظاهر	
سنة سبعين وستمائة	٢٦٢	ذكر ذهاب الخليفة إلى بغداد	٥٠٠
من توفي فيها من الاعيان	٢٦٢	سنة ستين وستمائة . وفيها قتل الخليفة	٢٣٣
سنة إحدى وسبعين وستمائة	٢٦٣	المستعصم بالله	
سنة اثنتين وسبعين وستمائة	٢٦٤	ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي	٥٠٠
وفاة ابن مالك صاحب الالفية في النحو	٢٦٧	نبذة من تاريخ حياة المستعصم بالله	٢٣٢
والنصير الطوسي الفليسوف		سنة إحدى وستين وستمائة	٢٣٧
سنة ثلاث وسبعين وستمائة	٢٦٨	ذكر خلافة الحاكم بأمر الله العباسي	٥٠٠
» أربع »	٢٦٩	ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها	٢٣٨
» خمس »	٢٧١	ما وقع في هذه السنة من الحوادث	٢٤٥
وقعة البلستين	٥٠٠	مولد الشيخ تقي الدين ابن تيمية .	٢٤١
سنة ست وسبعين وستمائة	٢٧٤	سنة اثنين وستين وستمائة	٢٤٢
وفاة الملك الظاهر وترجمة حياته	٥٠٠	وفاة الملك الاشرف موسى بن المنصور	٢٤٣
تولية الملك السعيد بعد أبيه الظاهر	٢٧٦	إبراهيم	
وفاة الشيخ محي الدين النووي	٢٧٨	سنة ثلاث وستين وستمائة	٢٤٤
سنة سبع وسبعين وستمائة	٢٧٩	سنة أربع وستين وستمائة	٢٤٦
من توفي فيها من الاعيان	٢٨١	ما وقع فيها من الحوادث	٢٤٧
وفاة ابن إسرائيل الحريري . وذكر قصيدة	٢٨٣	هلاك هولاء كوخان ملك التتار	٢٤٨
طويلة من شعره		٥٠٠ سنة خمس وستين وستمائة	
سنة ثمان وسبعين وستمائة	٢٨٧	وفاة السلطان برکه خان ملك التتار .	٢٤٩
ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه العادل	٢٨٨	وقاضى القضاة بدر الدين .	
سلامش		الشيخ أبو شامة صاحب الروضتين	٢٥٠
ذكر بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى	٢٨٨	سنة ست وستين وستمائة	٢٥١

الموضوع	صحيفة	الموضوع	صحيفة
٣٣٤ سنة ثلاث وتسعين وستائة وفي أولها كان مقتل		٢٨٩ ذكر سلطنة سنقر الأشقر بدمشق	
الملك الأشرف خليل وتولية ابنه الناصر		٢٩٠ سنة تسع وسبعين وستائة	
٣٣٥ وقعة عساف النصراني		٢٩٣ « ثمانين »	
٣٣٦ من توفي في هذه السنة من الأعيان		٢٩٥ وقعة حمص	
٣٣٧ وفاة قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوي		٢٩٧ هلاك أبنا ملك التتار	
٣٣٨ « الوزير شمس الدين محمد بن عثمان		٠٠٠ من توفي فيها من أعيان المسلمين	
٠٠٠ سنة أربع وتسعين وستائة		٢٩٩ سنة إحدى وثمانين وستائة	
٠٠٠ ذكر سلطة العادل كتبغا		٣٠٠ وفاة ابن خلكان	
٣٣٩ أعمال العادل كتبغا في دولته		٣٠١ سنة اثنتين وثمانين وستائة	
٣٤٠ من توفي فيها من الأعيان ومنهم الشيخ		٣٠٣ « ثلاث »	
أبو الرجال المنيني . والشيخ محب الدين		٣٠٥ « أربع »	
الطبري المكي		٣٠٧ « خمس »	
٣٤١ وفاة الملك المظفر صاحب اليمن		٣٠٩ « ست »	
٠٠٠ شرف الدين المقدسي		٣١١ « سبع »	
٣٤٢ الشيخ الفاروق		٣١٣ « ثمان »	
٣٤٣ الصدر جمال الدين النسكريتي		وفيها كان فتح مدينة طرابلس	
٠٠٠ سنة خمس وتسعين وستائة		٣١٦ سنة تسع وثمانين وستائة	
وفيها حصل غلاء وفناء بالديار المصرية		٠٠٠ وفاة الملك المنصور قلاوون وتولية ولده	
٣٤٤ ما وقع فيها من العزل والتولية والحوادث		الأشرف خليل	
٣٤٥ من توفي في هذه السنة ومنهم العالم العلامة زين		٣١٧ تاريخ حياة قلاوون	
الدين بن منجا . والمسعودي صاحب حمام المزة		٣١٩ سنة تسعين وستائة من الهجرة	
٣٤٦ سنة ست وتسعين وستائة		٣٢٠ ذكر فتح عكا وبقية السواحل	
٣٤٧ خلع السلطان كتبغا عن سلطنة مصر		٣٢٤ من توفي في هذه السنة من الأعيان	
٣٤٨ ذكر سلطنة الملك المنصور لاجين السلحداري		٣٢٥ وفاة الشيخ تاج الدين الفزاري	
٣٥٠ من توفي في هذه السنة من الأعيان . ومنهم		٣٢٦ سنة إحدى وتسعين وستائة	
قاضي قضاة الحنابلة عز الدين عمر بن عبدالله		٣٢٧ فتح قلعة الروم	
٣٥١ سنة سبع وتسعين وستائة		٣٢٨ قصيدة الشهاب محمود في مدح الملك	
٠٠٠ فتح تل حمدون		الأشرف	
« ثم الفهرس »		٣٣٣ سنة اثنتين وتسعين وستائة	

الْبُدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء السابع عشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ﴾

استهلت والخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد المنصور لاجين ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتمر ، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحنفي حسام الدين الرازي ، والمالكي والحنبلي كما تقدم . ونائب الشام سيف الدين قبجق المنصوري ، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها ، والوزير تقي الدين توبة ، والخطيب بدر الدين بن جماعة .

ولما كان في أثناء المحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سيمس بسبب المرض الذي أصاب بعضهم ، فجاء كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم ، وأن الجيش يخرج جميعه صحبة نائب السلطنة قبجق إلى هناك ونصب مشانق لمن تأخر بعذر أو غيره ، فخرج نائب السلطنة الامير سيف الدين قبجق وصحبته الجيوش وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ماجرت به العادة ، فبرز نائب السلطنة في أهبة عظيمة فدعت له العامة وكانوا يحبونه ، واستمر الجيش سائرين قاصدين بلاد سيمس ، فلما وصلوا إلى حصص بلغ الأمير سيف الدين قبجق وجماعة من الامراء أن السلطان قد تغلت خاطره بسبب سعي منكوتمر فيهم ، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لمحبتته له ، فانفق جماعة منهم على الدخول إلى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم ، فساقوا من حصص فيمن أطاعهم ، وهم قبجق وجزلى وبكتمر السلحدار والايلى ، واستمروا ذاهبين . فرجع كثير من الجيش إلى دمشق ، وتخبطت الامور وتأسفت العوام على قبجق لحسن سيرته ، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة فانا لله وإنا اليه راجعون .

﴿ ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد بن قلاوون ﴾

لما كان يوم السبت التاسع عشر ربيع الآخر وصل جماعة من البريدية وأخبروا بقتل السلطان الملك المنصور لاجين ونائبه سيف الدين منكوتمر ، وأن ذلك كان ليلة الجمعة حادى عشره ، على يد الأمير سيف الدين كرجى الاشرى ومن وافقه من الامراء ، وذلك بحضور القاضى حسام الدين الحنفى وهو جالس فى خدمته يتحدثان ، وقيل كانا يلعبان بالشطرنج ، فلم يشعرا إلا وقد دخلوا عليهم فبادروا إلى السلطان بسرعة جهرة ليلة الجمعة فقتلوه وقتل نائبه صبراً صبيحة يوم الجمعة وألقى على مزبلة ، واتفق الامراء على إعادة ابن أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأرسلوا وراه ، وكان بالكرك ونادوا له بالقاهرة ، وخطب له على المنابر قبل قدومه ، وجاءت السكتب إلى نائب الشام قبجق فوجده قد فرّ خوفاً من غائلة لاجين ، فسارت إليه البريدية فلم يدركوه إلا وقد لحق بالمغول عند رأس العين ، من أعمال ماردين ، وتفارط الحال ولا قوة إلا بالله .

وكان الذى شمر العزم وراهم وساق ليردهم الأمير سيف الدين بلبان ، وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أرجواش ، والأمير سيف الدين جاعان ، واحتاطوا على ما كان له اختصاص بتلك الدولة ، وكان منهم جمال الدين يوسف الرومى محتسب البلد ، وناظر المارستان ، ثم أطلق بعد مدة وأعيد إلى وظائفه ، واحتيط أيضاً على سيف الدين جاعان وحسام الدين لاجين والى البر ، وأدخلا القاعة ، وقتل بمصر الأمير سيف الدين طغجى ، وكان قد ناب عن الناصر أربعة أيام ، وكرجى الذى تولى قتل لاجين قتيلاً وألقيا على المزابل ، وجعل الناس من العامة وغيرهم يتألمون صورة طغجى ، وكان جميل الصورة ، ثم بعد الدلال والمال والملك وارتهم هناك قبور ، فدفن السلطان لاجين وعند رجليه نائبه منكوتمر ، ودفن الباقون فى مضاجعهم هنالك .

وجاءت البشائر بدخول الملك الناصر إلى مصر يوم السبت رابع جمادى الاولى ، وكان يوماً مشهوداً ، ودقت البشائر ودخل القضاة وأكابر الدولة إلى القلعة ، وبويع بحضرة علم الدين أرجواش ، وخطب له على المنابر بدمشق وغيرها بحضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء ، وجاء الخبر بأنه قد ركب وشق القاهرة وعليه خلمة الخليفة ، والجيش معه مشاة ، فضربت البشائر أيضاً . وجاءت مراسيمه فقرئت على السدة وفيها الرفق بالرعايا والأمر بالاحسان إليهم ، فدعوا له ، وقدم الأمير جمال الدين آقوش الافرم نائباً على دمشق ، فدخلها يوم الأربعاء قبل العصر ثانى عشرين جمادى الاولى ، فنزل بدار السعادة على العادة ، وفرح الناس بقدومه ، وأشعلوا له الشموع ، وكذلك يوم الجمعة أشعلوا له لما جاء إلى صلاة الجمعة بالمقصورة . وبعد أيام أفرج عن جاعان ولاجين والى البر ، وعادا إلى ما كانا عليه ، واستقر الأمير حسام الدين الاستادار أنابكاً للعساكر المصرية ، والأمير

سيف الدين سالار نائباً بمصر ، وأخرج الأعمش في رمضان من الحبس وولى الوزارة بمصر ، وأخرج قراسنقر المنصوري من الحبس وأعطى نيابة الصببية ، ثم لما مات صاحب حماة الملك المظفر نقل قراسنقر إليها .

وكان قد وقع في أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلاد محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية قام عليه جماعة من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي ، فلم يحضر فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة بالحنوية ، فانتصر له الأمير سيف الدين جمان ، وأرسل يطلب الذين قاموا عنده فاختلف كثير منهم ، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون . فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته ، وفسر في قوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين يوم السبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء وبحوثوا في الحنوية وناقشوه في أماكن فيها ، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير ، ثم ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الأمور ، وسكنت الأحوال ، وكان القاضي إمام الدين معتقده حسناً ومقصده صالحاً .

وفيها وقف علم الدين سنجر الدويدار رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث ، وولى مشيخته الشيخ علاء الدين بن العطار وحضر عنده القضاة والأعيان ، وعمل لهم ضيافة ، وأفرج عن قراسنقر . وفي يوم السبت حادى عشر شوال فتح مشهد عثمان الذى جده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع ، وأضاف إليه مقصورة الخدم من شماليه ، وجعل له إماماً راتباً ، وحكى به مشهد على بن الحسين زين العابدين . وفي العشر الأولى من ذى الحجة عاد القاضي حسام الدين الرازى إلى قضاء الشام ، وعزل عن قضاء مصر ، وعزل ولده عن قضاء الشام . وفيها في ذى القعدة كثرت الأراجيف بقصد التنز بلاد الشام وبالله المستعان .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الشيخ نظام الدين ﴾

أحمد بن الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصرى ^(١) الحنفي ، مدرس النورية ثامن الحرم ، ودفن في تاسعه يوم الجمعة في مقابر الصوفية ، كان فاضلاً ، ناب في الحكم في وقت ودرس بالنورية بعد أبيه ، ثم درس بعده الشيخ شمس الدين بن الصدر سليمان بن النقيب .

﴿ المفسر الشيخ العالم الزاهد ﴾

جمال الدين عبد الله بن محمد بن سليمان بن حسن بن الحسين البلخي ، ثم المقدسى الحنفي ، ولد في النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة بالقدس ، واشتغل بالقاهرة وأقام مدة بالجامع الأزهر ودرس في بعض المدارس هناك ، ثم انتقل إلى القدس فاستوطنه إلى أن مات في الحرم منها ، وكان

شيخاً فاضلاً في التفسير ، وله فيه مصنف حافل كبير جمع فيه خمسين مصنفاً من التفسير ، وكان الناس يقصدون زيارته بالقدس الشريف ويتبركون به .

﴿ الشيخ أبو يعقوب المغربي المقيم بالقدس ﴾

كان الناس يجتمعون به وهو منقطع بالمسجد الأقصى ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول فيه : هو على طريقة ابن عربي وابن سبعين ، توفي في المحرم من هذه السنة .

﴿ التقي توبة الوزير ﴾

تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شعاع بن توبة الربعي التكريتي ، ولد سنة عشرين وستمائة يوم عرفة بعرفة ، وتنقل بالخدم إلى أن صار وزيراً بدمشق مرات عديدة ، حتى توفي ليلة الخميس ثاني جمادى الآخرة ، وصلى عليه غدوة بالجامع وسوق الخليل ، ودفن بقرنته تجاه دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان ، وبأشر بعده نظر الدواوين فخر الدين بن الشيرجى ، وأخذ أمين الدين بن الهلال نظر الخزانة .

﴿ الأمير الكبير ﴾

شمس الدين بيسرى ، كان من أكبر الأمراء المتقدمين في خدمة الملوك ، من زمن قلاوون وهلم جرا ، توفي في السجن بقلعة مصر ، وعمل له عزاء بالجامع الأموي ، وحضره نائب السلطنة الأفرم والقضاة والأعيان .

﴿ السلطان الملك المظفر ﴾

تقي الدين محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، وابن ملوكها كبرا عن كبر ، توفي يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة ، ودفن ليلة الجمعة .

﴿ الملك الأوحده ﴾

نجم الدين يوسف بن الملك داود بن المعظم ناظر القدس ، توفي به ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة ودفن برباطه عند باب حطة عن سبعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان من خيار أبناء الملوك ديناً وفضيلة وإحساناً إلى الضعفاء .

﴿ القاضي شهاب الدين يوسف ﴾

ابن الصالح محب الدين بن النحاس أحد رؤساء الحنفية ، ومدرس الزنجانية والظاهرية ، توفي ببستانه بالمرزة ثالث عشر ذي الحجة ، ودرس بعده بالزنجانية القاضي جلال الدين بن حسام الدين .

﴿ صاحب نصر الدين أبو الغنم ﴾

سالم بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى النغلبى ، كان أحسن حالاً من أخيه القاضي نجم الدين ، وقد سمع الحديث وأمعمه ، كان صدراً معظماً ، ولى نظر الدواوين ونظر الخزانة ،

ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة ، ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة ومات ، توفي يوم الجمعة ثامن وعشرين ذي الحجة ، وصلى عليه بعد الجمعة بالجامع ، ودفن بترتهم بسفح قاسيون ، وعمل عزاهه بالصاحبية .
﴿ ياقوت بن عبد الله ﴾

أبو الدر المستعصمي الكاتب ، لقبه جمال الدين ، وأصله رومي ، كان فاضلا مليح الخط مشهورا بذلك ، كتب ختما حسانا ، وكتب الناس عليه ببغداد ، وتوفي بها في هذه السنة ، وله شعر رائق ، فنه ما أورده البرزالي في تاريخه عنه :

تجدد الشمس شوقى كلما طلعت * إلى محياك يا سمعى ويا بصرى
وأسهر الليل فى أنس بلاونس * إذ طيب ذكراك فى ظلماته يسرى
وكل يوم مضى لا أراك به * فلست محتسبا ماضيه من عمرى
ليلى نهار إذا مادرت فى خلدى * لأن ذكرك نور القلب والبصر

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وسبعمائة ﴾

وفىها كانت وقعة قازان ، وذلك أن هذه السنة استهلّت والخليفة والسلطان هما المذكوران فى التى قبلها ، ونائب مصر سلار ، ونائب الشام آقوش الأفرم ، وسائر الحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام ، وقد خاف الناس من ذلك خوفا شديداً ، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة ، وبلغ كرى الخليل من حماة إلى دمشق نحو المائتى درهم ، فلما كان يوم الثلاثاء نانى المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصداً الشام ، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق فى مطر شديد ووحل كثير ، ومع هذا خرج الناس لتلقيه ، وكان قد أقام بغزة قريبا من شهرين ، وذلك لما بلغه قدوم التتار إلى الشام ، فتهياً لذلك وجاء فدخل دمشق فنزل بالطارمة ، وزينت له البلدة ، وكثرت له الأدعية وكان وقتا شديداً ، وحالا صعبا ، وامتلاّ البلد من الجافاين النازحين عن بلادهم ، وجاس الأعرس وزير الدولة وطالب العمال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش ، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش ، وخرج معهم خلق كثير من المتطوعة ، وأخذ الناس فى الدعاء والقنوت فى الصلوات بالجامع وغيره ، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالادعية .
﴿ وقعة قازان ﴾

لما وصل السلطان إلى وادى الخزندار عند وادى سلمية ، فالتقى التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول فالتقوا معهم فكسروا المسلمين وولى السلطان هارباً فانا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير ، ووقعت فى المعركة قاضى قضاة

الحنفية ، وقد صبروا وأبوا بلاء حسنا ، ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا ، فولى المسلمون لايولى أحد على أحد ، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للمتقين ، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها للديار المصرية واجتاز كثير منهم على دمشق ، وأهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ثم إنهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر ، وماذا يجدى الخدر إذا نزل القدر ، ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بعلبك والبقاع ، وأبواب دمشق مغلقة ، والقلعة محصنة والغلاء شديد والحال ضيق وفرج الله قريب ، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر ، كالقاضي إمام الدين الشافعي ، وقاضي المالكية الزواوي ، وناج الدين الشيرازي ، وعلم الدين الصوابي والي البر ، وجمال الدين بن النحاس والي المدينة ، والمحاسب وغيرهم من التجار والعوام ، وبقي البلد شاغراً ليس فيهم حاكم سوى نائب القلعة .

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير الحبس وخرجوا منه على حمية ، وتفرقوا في البلد ، وكانوا قريباً من مائتي رجل ، فتهبوا ما قدروا عليه ، وجاءوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب البراني وخرجوا منه إلى بر البلد ، وتفرقوا حيث شاؤا لا يقدر أحد على ردهم ، وعانت الحرافشة في ظاهر البلد فكسروا أبواب البساتين وقلعوا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً ، وباعوا ذلك بأرخص الأثمان ، هذا وسلطان التتار قد قصد دمشق بعد الوقعة ، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين بن تيمية في مشهد على واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه ، وأخذ الأمان منه لاهل دمشق ، فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر فاجتمعوا به عند النيك ، وكلمه الشيخ تقي الدين كلاماً قوياً شديداً فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين والله الحمد . ودخل المسلمون ليلتئذ من جهة قازان فنزلوا بالبدرانية وغلقت أبواب البلد سوى باب توما ، وخطب الخطيب بالجامع يوم الجمعة ، ولم يذكروا سلطاناً في خطبته ، وبعد الصلاة قدم الامير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل فنزلوا ببستان الظاهر عند الطرن . وحضر الفرمان بالامان وطيف به في البلد ، وقرئ يوم السبت ثامن الشهر بمقصورة الخطابة ، ونثر شيء من الذهب والفضة . وفي ثاني يوم من المناداة بالامان طلبت الخيول والسلاح والاموال الخبأة عند الناس من جهة الدولة ، وجلس ديوان الاستخلاص إذ ذاك بالمدرسة القيمرية ، وفي يوم الاثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قبجق المنصوري فنزل في الميدان واقترب جيش التتر وكثر العيث في ظاهر البلد ، وقتل جماعة وغلت الاسعار بالبلد جداً ، وأرسل قبجق إلى نائب القلعة ليسلمها إلى التتر فامتنع أرجواش من ذلك أشد الامتناع ، فجمع له قبجق أعيان البلد فكلموه أيضاً فلم يجبههم إلى ذلك ، وصمم على ترك تسليمها إليهم وبها عين تطرف ، فان الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك ، لو لم يبق فيها

الإحجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت ، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام فإن الله حفظ لهم هذا الحصن والمعقل الذي جعله الله حرزا لأهل الشام التي لا تزال دار إيمان وسنة ، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم . وفي يوم دخول قبجق إلى دمشق دخل السلطان ونائبه سلا را إلى مصر كما جاءت البطاقة بذلك إلى القلعة ، ودقت البشائر بها فقوى جأش الناس بعض قوة ، ولكن الأمر كما يقال :

كيف السبيل إلى سعاد ودونها * قتل الجبال ودونها حتوف

الرجل حافية ومالي مركب * والكف صفر والطريق مخوف

وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقا زان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة ودعى له على السدة بعد الصلاة وقرئ عليها مرسوم بفيابة قبجق على الشام ، وذهب إليه الأعيان فهنؤه بذلك ، فأظهر الكرامة وأنه في تعب عظيم مع التتر ، ونزل شيخ المشايخ محمود بن علي الشيباني بالمدرسة العادلية الكبيرة . وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية ومسجد الاسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الاشرفية بها واحترق جامع التوبة بالمعقبية ، وكان هذا من جهة الكرج والارمن من النصارى الذين هم مع التتار قبجهم الله . وسبوا من أهلها خلقا كثيرا وجما غفيرا ، وجاء أكثر الناس إلى رباط الحنابلة فاحتاطت به التتار فحماه منهم شيخ الشيوخ المذكور ، وأعطى في الساكن مال له صورة ثم أقحموا عليه فسبوا منه خلقا كثيرا من بنات المشايخ وأولادهم فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نكب دير الحنابلة في ثاني جمادى الاولى قتلوا خلقا من الرجال وأسروا من النساء كثيرا ، ونال قاضى القضاة اتقى الدين أذى كثير ، ويقال إنهم قتلوا من أهل الصالحية قريبا من أربع مائة ، وأسروا نحو من أربعة آلاف أسير ، ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصرى والضيايية ، وخزانه ابن البرورى ، وكانت تباع وهى مكتوب عليها الوقفية ، وفعلوا بالمرزة مثل ما فعلوا بالصالحية ، وكذلك بداريا وبغيرها ، وتحصن الناس منهم فى الجامع بداريا ففتحوه قسرا وقتلوا منهم خلقا وسبوا نساءهم وأولادهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وخرج الشيخ ابن تيمية فى جماعة من أصحابه يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتر وعاد بعد يومين ولم يتفق اجتماعه به ، حجبه عنه الوزير سعد الدين والرشد مشير الدولة المسلمانى ابن يهودى ، والتزما له بقضاء الشغل ، وذكر له أن التتر لم يحصل لكثير منهم شىء إلى الآن ، ولا بد لهم من شىء ، واشتهر بالبلد أن التتر يريدون دخول دمشق فانزعج الناس لذلك وخافوا خوفا شديدا ، وأرادوا الخروج منها والهرب على وجوههم ، وأين الفرار ولات حين مناص ، وقد أخذ من البلد فوق العشرة آلاف فرس ، ثم فرضت أموال كثيرة على البلد موزعة على أهل الاسواق

كل سوق بحسبه من المال ، فلا قوة إلا بالله . وشرع التتر في عمل مجانيق بالجامع ليرموا بها القلعة من صحن الجامع ، وغلقت أبوابه ونزل التتر في مشاهدته يحرسون أخشاب المجانيق ، وينهبون ماحوله من الأسواق ، وأحرق أرجوان ماحول القلعة من الابنية ، كدار الحديث الأشرفية وغير ذلك ، إلى حد العادلية الكبيرة ، وأحرق دار السعادة لثلاثا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها ، ولزم الناس منازلهم لثلاثا يسخروا في طم الخندق ، وكانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل ، والجامع لا يصل في فيه أحد إلا اليسير ، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلا بجهد جهيد ، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زهيم ثم يعود سريعا ، ويظن أنه لا يعود إلى أهله ، وأهل البلد قد أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

والمصادر والتراسيم والعقوبات عمالة في أكبر أهل البلد ليلا ونهاراً ، حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف ، كالجامع وغيره ، ثم جاء مرسوم بصيانة الجامع وتوفير أوقافه وصرف ما كان يؤخذ بخزان السلاح وإلى الحجاز ، وقرئ ذلك المرسوم بعد صلاة الجمعة بالجامع في تاسع عشر جمادى الأولى ، وفي ذلك اليوم توجه السلطان قازان وترك نوابه بالشام في ستين ألف مقاتل نحو بلاد العراق ، وجاء كتابه إنا قد تركنا نوابنا بالشام في ستين ألف مقاتل ، وفي عزمنا العود إليها في زمن الخريف ، والدخول إلى الديار المصرية وفتحها ، وقد أعجزتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها ، وخرج سيف الدين قبجق لتوديع قطلو شاه نائب قازان وسار وراه و ضربت البشائر بالقلعة فرحا لرحيلهم ، ولم تفتح القلعة ، وأرسل أرجواش ثاني يوم من خروج قبجق القلعية إلى الجامع فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به ، وعادوا إلى القلعة سريعا سالمين ، واستصحبوا معهم جماعة ممن كانوا يلوذون بالتتر قهراً إلى القلعة ، منهم الشريف القمي ، وهو شمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد بن أبي القاسم المرتضى العلوي ، وجاءت الرسل من قبجق إلى دمشق فنادوا بها طيبوا أنفوسكم وافتحوا دكا كينكم وتهيئوا غداً لتلقى سلطان الشام سيف الدين قبجق ، نخرج الناس إلى أما كنهم فأشرفوا عليها فرأوا ما بها من الفساد والدمار ، وانفك رؤساء البلد من التراسيم بعد ما ذاقوا شيئاً كثيراً .

قال الشيخ علم الدين البرزالي : ذكر لي الشيخ وجيه الدين بن المنجا أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، سوى ما تمحق من التراسيم والبراطيل وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء ، وأن شيخ المشايخ حصل له نحو من ستمائة ألف درهم ، والاصيل بن النصير الطوسي مائة ألف ، والصفى السخاوي ثمانون ألفاً ، وعاد سيف الدين قبجق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر خامس عشرين جمادى الأولى ومعه الالبيكي وجماعة ، وبين يديه السيوف مسلة وعلى

رأسه عصابة فتزل بالقصر ونودي بالبلد نائبيكم قبجق قد جاء فافتحوا دكا كينكم واعملوا معاشكم ولا يفر أحد بنفسه هذا الزمان والاسعار في غاية الغلاء والقلة ، قد بلغت الفرارة إلى أربع مائة ، واللحم الرطل بنحو العشرة ، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف ، والعشرة الدقيق بنحو الأربعين ، والجنين الأوقية بدرهم ، والبيض كل خمسة بدرهم ، ثم فرج عنهم في أواخر الشهر ، ولما كان في أواخر الشهر نادى قبجق بالبلد أن يخرج الناس إلى قراهم وأمر جماعة وانضاف إليه خلق من الأجناد ، وكثرت الأراجيف على بابه ، وعظم شأنه ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قبجق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة ، وركب قبجق بالمصائب في البلد والشاوشية بين يديه ، وجهر نحواً من ألف فارس نحو خربة اللصوص ، ومشى مشى الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة ، وصار كما قال الشاعر :

يالك من قنبرة بمعمرى * خلاك الجوفيبضى واصفرى * ونقرى ما شئت أن تنقرى
ثم إنه ضمن الخمرات ومواضع الزنا من الحانات وغيرها ، وجعلت دار ابن جرادة خارج من باب توما خيارة وحانة أيضاً ، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم ، وهي التي دمرته ومحقت آثاره وأخذ أموالاً آخر من أوقاف المدارس وغيرها ، ورجع بولاي من جهة الأغوار وقد عاث في الارض فساداً ، ونهب البلاد وخرب ومعه طائفة من التتر كثيرة ، وقد خربوا قرى كثيرة ، وقتلوا من أهلها وسبوا خلقاً من أطفالها ، وجي لبولاي من دمشق أيضاً جباية أخرى ، وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبهم ، وقتل جماعة من المسلمين في غبون ذلك ، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر ورسم قبجق خطيب البلد وجماعة من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيتكموا مع نائبيها في المصالحة فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة ، فكلموه وبالغوا معه فلم يجب إلى ذلك وقد أجاد وأحسن وأرجل في ذلك بيض الله وجهه .

وفي ثامن رجب طلب قبجق القضاة والأعيان فلفهم على المناصحة للدولة المحمودية - يعنى قازان - فلفوا له ، وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مخيم بولاي فاجتمع به في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين ، فاستنقذ كثيراً منهم من أيديهم ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد ، ثم راح إليه جماعة من أعيان دمشق ثم عادوا من عنده فשלحوا عند باب شرقي وأخذ ثيابهم وعمائمهم ورجعوا في شرحالة ، ثم بعث في طلبهم فاخنتي أكثرهم وتغيبوا عنه ، ونودي بالجامع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن العساكر المصرية قادمة إلى الشام ، وفي عشية يوم السبت رحل بولاي وأصحابه من التتر وانشروا عن دمشق وقد أراح الله منهم وساروا من على عقبة دمر فعاتوا في تلك النواحي فساداً ، ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم أحد ، وقد أراح الله عز وجل

شرم عن العباد والبلاذ ، ونادى قبجق في الناس قد أمنت الطرقات ولم يبق بالشام من النتر أحد ، وصلى قبجق يوم الجمعة عاشر رجب بالمقصورة ، ومعه جماعة عليهم لأمة الحرب من السيوف والقسى والترا كيش فيها النشاب ، وأمنت البلاذ ، وخرج الناس للفرجة في غيظ السفرجل على عادتهم فعانت عليهم طائفة من النتر ، فلما رأوهم رجعوا إلى البلد هاربين مسرعين ، ونهب بعض الناس بعضاً ومنهم من ألقى نفسه في النهر ، وإنما كانت هذه الطائفة مجتازين ليس لهم قرار ، وتقلق قبجق من البلد ثم إنه خرج منها في جماعة من رؤسائها وأعيانها منهم عز الدين ابن القلانسي ليتلقوا الجيش المصرى وذلك أن جيش مصر خرج إلى الشام في تاسع رجب وجمعت البريدية بذلك ، وبقي البلديس به أحد ، ونادى أرجواش في البلد احفظوا الاسوار وأخرجوا ما كان عندكم من الاسلحة ولا تهملوا الاسوار والابواب ، ولا يبيتن أحد إلا على السور ، ومن بات في داره شقق ، فاجتمع الناس على الاسوار لحفظ البلاذ ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يدور كل ليلة على الاسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط .

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر ففرح الناس بذلك ، وكان يخطب لقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء . وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخارات والحانات فكسروا آنية الخمر وشققوا الظرف وأراقوا الخمر ، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ، ففرح الناس بذلك ، ونودي يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تزين البلد لقدم العساكر المصرية ، وفتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر يوم الأحد تاسع عشر رجب ، ففرح الناس بذلك وانفرجوا لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر ، وقدم الجيش الشامى صحبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم يوم السبت عاشر شعبان ، وثاني يوم دخل بقية العساكر وفيهم الأميران شمس الدين قراسنقر المنصوري وسيف الدين قطلبك في تجمل . وفي هذا اليوم فتح باب العريش ، وفيه درس القاضي جلال الدين القزويني بالأمنية عوضاً عن أخيه قاضي القضاة إمام الدين توفى بمصر ، وفي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر صحبة نائب مصر سيف الدين سلاز ، وفي خدمته الملك العادل كتبغا ، وسيف الدين الطراخي في تجمل باهر ، ونزلوا في المرج ، وكان السلطان قد خرج عازماً على الحجى فوصل إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر .

وفي يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضي بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين ، ولبس معه في هذا اليوم أمين الدين العجمي خلعاً الحسبة ، وفي يوم سابع عشره لبس خلعاً نظراً للدواوين تاج الدين الشيرازي عوضاً عن نغر الدين بن الشيرجى ،

ولبس أقبجاشد الدواوين في باب الوزير شمس الدين سنقر الأعسر، وباشر الأمير عز الدين أيبك الدويدار النجيبى ولاية البر، بعدما جعل من أمراء الطبليخانة، ودرس الشيخ كمال الدين بن الزملكاني بأم الصالح عوضاً عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادى والعشرين من شعبان، وفي هذا اليوم ولى قضاء الخنفة شمس الدين بن الصفي الحريرى عوضاً عن حسام الدين الرومى، فقد يوم المعركة في ثاني رمضان، ورفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان. وفي مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل في الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت، وفي السبت الآخر خلع على عز الدين القلانسى خلمة سنوية وجعل ولده عماد الدين شاهداً في الخزانة. وفي هذا اليوم رجع سلار بالعساكر إلى مصر وانصرفت العساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها. وفي يوم الاثنين عاشر رمضان درس على بن الصفي بن أبي القاسم البصراوي الخنفي بالمدينة المقدمية.

وفي شوال فيها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتر و يؤذى المسلمين، وشنق منهم طائفة وسمر آخرون وكحل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة. وفي منتصف شوال درس بالدولية قاضى القضاة جمال الدين الزرعى نائب الحكم عوضاً عن جمال الدين بن الباجريقى، وفي يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسروهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخبوهم، وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحمونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله. وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذى القعدة وتلقاه الناس بالشموع إلى طريق بعلبك وسط النهار. وفي يوم الأربعاء سادس عشره نودى في البلد أن يعلق الناس الأسلحة بالداكين، وأن يتعلم الناس الرمي فعملت الاماجات في أماكن كثيرة من البلد، وعلقت الأسلحة بالأسواق، ورسم قاضى القضاة بعمل الاماجات في المدارس، وأن يتعلم الفقهاء الرمي ويستعدوا لقتال العدو إن حضر، وبالله المستعان.

وفي الحادى والعشرين من ذى القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه وجعل على كل سوق مقدماً وحوله أهل سوقه، وفي الخميس رابع عشرينه عرضت الأشراف مع تقيهم نظام

الملك الحسيني بالعدد والتجمل الحسن، وكان يوماً مشهوداً. ومما كان من الحوادث في هذه السنة أن جدد إمام راتب عند رأس قبر زكريا، وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموي، وحضر عنده يوم عاشوراء القاضي إمام الدين الشافعي، وحسام الدين الحنفي وجماعة، ولم تطل مدته إلا شهوراً ثم عاد الحموي إلى بلده وبطلت هذه الوظيفة إلى الآن والله الحمد.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ القاضي حسام الدين أبو الفضائل ﴾

الحسن بن القاضي تاج الدين أبي المفاخر أحمد بن الحسن أنوشروان الرازي الحنفي، ولي قضاء ملطية مدة عشرين سنة، ثم قدم دمشق فولبها مدة، ثم انتقل إلى مصر فولبها مدة، وولده جلال الدين بالشام ثم صار إلى الشام فعاد إلى الحكم بها، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار عند وادي سلمية خرج معهم فقعد من الصف ولم يدر ما خبره، وقد قارب السبعين، وكان فاضلاً بارعاً رئيساً، له نظم حسن، ومولده باقسييس من بلاد الروم في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة فقد يوم الأربعاء والعشرين من ربيع الأول منها، وقد قتل يومئذ عدة من مشاهير الأمراء ثم ولي بعده القضاء شمس الدين الحريري.

﴿ القاضي الامام العالي ﴾

إمام الدين أبو المعالي عمر بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي، قدم دمشق هو وأخوه جلال الدين فقررا في مدارس، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاة بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدم في سنة سبع وسبعين، وناب عنه أخوه، وكان جميل الأخلاق كثير الاحسان رئيساً، قليل الأذى، ولما أوف قدم التتار سافر إلى مصر، فلما وصل إليها لم يبق بها سوى أسبوع وتوفي ودفن بالقرب من قببة الشافعي عن ست وأربعين سنة، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة، مضافاً إلى ما بيده من الخطابة وغيرها، ودرس أخوه بعده بالأمينية.

﴿ المسند المعمر الرحلة ﴾

شرف الدين أحمد بن هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الدمشقي، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الحديث وروى، توفي خامس عشر جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة.

﴿ الخطيب الامام العالم ﴾

موفق الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن الفضل النهر واني القضاعي الحموي، خطيب حماة، ثم خطب بدمشق عوضاً عن الفاروق، ودرس بالغزالية ثم عزل بابن جماعة، وعاد إلى بلده، ثم قدم دمشق عام قازان فمات بها.

﴿ الصدر شمس الدين ﴾

محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي المعروف بابن غاتم ، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة ، ودرس بالعصرونية ، توفي وقد جاوز الثمانين ، كان من الكتاب المشهورين المشكورين ، وهو والد الصدر علاء الدين بن غاتم .

﴿ الشيخ جمال الدين أبو محمد ﴾

عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجري تقي الشافعي ، أقام مدة بالموصل يشتغل ويفتي ، ثم قدم دمشق عام قازان فمات بها ، وكان قد أقامها مدة كذلك ، ودرس بالفليجية والدولعية ، وناظر في الخطابة ودرس بالفزالية نيابة عن الشمس الأيكي ، وكان قليل الكلام مجموعا عن الناس ، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال ، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه ، ويعكفون على ما كان يعكف عليه ، وقد حدث جمال الدين المذكور بجماع الأصول عن بعض أصحاب مصنفات ابن الأثير ، وله نظم ونثر حسن ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية ﴾

استهلت والخليفة والسلطان ونواب البلاد والحكام بهام المذكورون في التي قبلها ، غير الشافعي والحنفي ، ولما كان ثالث المحرم جلس المستخرج لاستخلاص أجرة أربعة أشهر عن جميع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق ، فهرب أكثر الناس من البلد ، وجرت خبطة قوية وشق ذلك على الناس جدا . وفي مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر ، فانزعج الناس لذلك وازدادوا ضعفا على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألباهم ، وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة ، فبلغت الحمارة إلى مصر خمسمائة وبيع الحمل بألف والجمار بخمسمائة ، وبيعت الأمتعة والثياب والمغلات بأرخص الأثمان ، وجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع وحرص الناس على القتال ، وساق لهم الآيات والاحاديث الواردة في ذلك ، ونهى عن الإسراع في الفرار ، ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن ما ينفق في أجرة الحرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيرا ، وأوجب جهاد التتر حتما في هذه الكرة ، وتابع المجالس في ذلك ، ونودي في البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة فتوقف الناس عن السير وسكن جاشهم ، وتحديث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر وودقت البشائر لخروجه ، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق كبيت ابن صصري وبيت ابن فضل الله وابن منجا وابن سويد وابن الزملكاني وابن جماعة .

وفي أول ربيع الآخر قوى الأرجاف بأمر التتر ، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة ونودي

في البلد أن تخرج العامة مع العسكر ، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك ، فاستعرضوا في أثناء الشهر
فمرض نحو خمسة آلاف من العامة بالعدة والاسلحة على قدر طاقتهم ، وقت الخطيب ابن جماعة
في الصلوات كلها ، واتبعه أئمة المساجد ، وأشاع المرجفون بأن التتر قد وصلوا إلى حلب وأن نائب
حلب تقهر إلى حماة ، ونودي في البلد بتطبيب قلوب الناس وإقبالهم على معاشهم ، وأن السلطان
والعساكر واصله ، وأبطل ديوان المستخرج وأقيعوا ، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به
وبقيت بواقي على الناس الذين قد اختفوا فعفى عما بقي ، ولم يرد ما سلف ، لاجرم أن عواقب هذه
الافعال خسرونا ، وأن أصحابها لا يفلحون ، ثم جاءت الاخبار بأن سلطان مصر رجع عائداً إلى
مصر بعد أن خرج منها قاصداً الشام ، فكثرت الخوف واشتد الحال ، وكثرت الامطار جداً ، وصار
بالطرق من الاحوال والسيول ما يحول بين المرء وبين ما يريده من الانتشار في الأرض والذهاب
فيها ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وخرج كثير من الناس خفافاً وثقالاً يتحملون بأهلهم وأولادهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون ، وجعلوا يحملون الصغار في الوحل الشديد والمشقة على الدواب والرقاب ، وقد ضعفت الدواب
من قلة العلف مع كثرة الأمطار والزلق والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء فلا حول ولا قوة إلا بالله .
واستهل جمادى الاولى والناس على خطة صعبة من الخوف ، وتأخر السلطان واقترب العدو ،
وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في مستهل هذا الشهر وكان يوم السبت إلى نائب
الشام في المرج فثبتهم وقوى جأشهم وطيب قلوبهم ووعدهم النصر والظفر على الأعداء ، وتلا قوله
تعالى (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصره الله إن الله لعفو غفور) وبات عند
العسكر ليلة الاحد ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والامراء أن يركب على البريد إلى مصر
يستحث السلطان على المجيء فساق وراء السلطان ، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدركه
إلا وقد دخل القاهرة وتفرط الحال ، ولكنه استحثهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان
لهم به حاجة ، وقال لهم فيما قال : إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أفنا له سلطاناً يحوطه ويحميه
ويستغله في زمن الأمن ، ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام ، ثم قال لهم : لو قدر أنكم
لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلطينه
وهم رعايكم وأنتم مسؤولون عنهم ، وقوى جأشهم وضمن لهم النصر هذه الكرة ، فخرجوا إلى الشام ، فلما
تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحاً شديداً بعد أن كانوا قد يتسوا من أنفسهم وأهلهم
وأموالهم ، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر ، وتحقق عود السلطان إلى مصر ، ونادى ابن النحاس
متولى البلد في الناس من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق ، فتصايح النساء والولدان ، ورهق الناس

ذلة عظيمة وخمدة ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، وغلقت الاسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل ، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على التقاء جيش التتر فكيف به الآن وقد عزم على الهرب ؟ ويقولون : ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو ، ودخل كثير من الناس إلى البرارى والقفار والمغر بأهاليهم من الكبار والصغار ، ونودى في الناس من كانت نيته الجهاد فليلحق بالجيش فقد اقترب وصول التتر ، ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل ، وسافر ابن جماعة والحريرى وابن صصرى وابن منجاء ، وقد سبقهم بيوتهم إلى مصر ، وجاءت الاخبار بوصول التتر إلى سرقين وخرج الشيخ زين الدين الفارقي والشيخ إبراهيم الرقي وابن قوام وشرف الدين بن تيمية وابن خبارة إلى نائب السلطنة الافرم فقفوا وعزمه على ملاقاته العدو ، واجتمعوا بمهنا أمير العرب فحرضوه على قتال العدو فأجابهم بالسمع والطاعة ، وقويت نياتهم على ذلك ، وخرج طلب سلار من دمشق إلى ناحية المرج ، واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة .

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد ، وأقام بقلعة مصر ثمانية أيام يحثهم على الجهاد والخروج إلى العدو ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وقد غلت الاسعار بدمشق جدا ، حتى بيع خاروفان بخمسمائة درهم ، واشتد الحال ، ثم جاءت الاخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعا عامه ذلك لضعف جيشه وقلة عددهم ، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس ، وعادوا إلى منازلهم مفرحين آمنين مستبشرين . ولما جاءت الاخبار بعدم وصول التتار إلى الشام في جمادى الآخرة تراجعت أنفس الناس إليهم وعاد نائب السلطنة إلى دمشق ، وكان مخبيا في المرج من مدة أربعة أشهر متتابعة ، وهو من أعظم الرباط ، وتراجع الناس إلى أوطانهم : وكان الشيخ زين الدين الفارقي قد درس بالناصرية لغيبة مدرستها كمال الدين بن الشريشنى بالكرك هاربا ، ثم عاد إليها في رمضان ، وفي أواخر الشهر درس ابن الزكي بالدولعية عوضا عن جمال الدين الزرعى لغيبته . وفي يوم الاثنين قرئت شروط الذمة على أهل الذمة وألزموا بها واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات ، وأخذوا بالصغار ، ونودى بذلك في البلد وأزم النصارى بالعمائم الزرق ، واليهود بالصفرة ، والسامرة بالحر ، فحصل بذلك خير كثير وتميزوا عن المسلمين ، وفي عاشر رمضان جاء المرسوم بالمشاركة بين أرجواش والأمير سيف الدين أقبجاق في نيابة القلعة ، وأن يركب كل واحد منهما يوما ، ويكون الآخر بالقلعة يوما ، فامتنع أرجواش من ذلك . وفي شوال درس بالاقبالية الشيخ شهاب الدين بن المجد عوضا عن علاء الدين القونوى بحكم إقامته بالقاهرة ، وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذى القعدة عزل شمس الدين بن الحريرى عن قضاء الحنفية بالقاضى جلال الدين بن حسام الدين على قاعدته وقاعدة أبيه ، وذلك باتفاق من

الوزير شمس الدين سنقر الأعسر ونائب السلطان الأفرم . وفيها وصلت رسل ملك التتار إلى دمشق ، فأنزلوا بالقلعة ثم ساروا إلى مصر .

وعمّن توفي فيها من الأعيان : ﴿ الشيخ حسن الكردي ﴾

المقيم بالشاغور في بستان له يأكل من غلته ويطعم من ورده عليه ، وكان يزار ، فلما احتضر اغتسل وأخذ من شعره واستقبل القبلة وركع ركعت ، ثم توفي رحمه الله يوم الاثنين الرابع من جمادى الأولى ، وقد جاوز المائة سنة .

﴿ الطواشي صفي الدين جوهر التغلبي ﴾

المحدث ، اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء . وكان حسن الخلق صالحاً لين الجانب رجلاً حامياً زكياً ، ووقف أجزاءه التي ملكها على المحدثين

﴿ الأمير عز الدين ﴾

محمد بن أبي الهيجاء بن محمد الهيدباني الأربلي متولى دمشق ، كان لديه فضائل كثيرة في التواريخ والشعر ورجع شيثاً في ذلك ، وكان يسكن بدير سعور فعرف به ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء ، وهو أول منزل نزلناه حين قدمنا دمشق في سنة ست وسبعائة ، ختم الله لي بخير في عافية آمين ، توفي ابن أبي الهيجاء في طريق مصر وله ثمانون سنة ، وكان مشكور السيرة حسن المحاضرة .

﴿ الأمير جمال الدين آقوش الشريفي ﴾

والى الولاية بالبلاد القبلية ، توفي في شوال وكانت له هيبة وسطوة وحرمة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، والأمير سيف الدين سلار بالشام ، ونائب دمشق الأفرم ، وفي أولها عزل الأمير قطبلك عن نيابة البلاد الساحلية وتولاها الأمير سيف الدين استبدمر ، وعزل عن وزارة مصر شمس الدين الأعسر ، وتولى سيف الدين أقجبا المنصوري نيابة غزة ، وجعل عوضه بالقلعة الأمير سيف الدين بهادر السيجري ، وهو من الرحبة . وفي صفر رجعت رسل ملك التتار من مصر إلى دمشق فتلقاهم نائب السلطنة والجيش والعامّة ، وفي نصف صفر ولى تدريس النورية الشيخ صدر الدين علي البصراوي الحنفي عوضاً عن الشيخ ولي الدين السمرقندي وإنما كان وليها ستة أيام ودرس بها أربعة دروس بعد بني الصدر سليمان ، توفي وكان من كبار الصالحين ، يصلى كل يوم مائة ركعة ، وفي يوم الأربعاء التاسع عشر ربيع الأول جلس قاضي القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة بالخانقاه الشمساطية شيخ الشيوخ بها عن طلب الصوفية له بذلك ، ورغبهم فيه ، وذلك بعد وفاة الشيخ يوسف بن حمويه الحموي ، وفرحت الصوفية به

وجلسوا حوله ، ولم تجتمع هذه المناصب لغيره قبله ، ولا بلغنا أنها اجتمعت إلى أحد بعده إلى زماننا هذا : القضاء والخطابة ومشیخة الشيوخ . وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قتل الفتح أحمد بن الثقفى بالديار المصرية ، حكم فيه القاضى زين الدين بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقيصه للشريعة واستهزائه بالآيات المحكمات ، ومعارضة المشتبهات بعضها ببعض ، يذكر عنه أنه كان يجل المحرمات من الاواط والحجر وغير ذلك ، لمن كان يجتمع فيه من الفسقة من الترك وغيرهم من الجهلة ، هذا وقد كان له فضيلة وله اشتغال وهيئة جميلة في الظاهر ، وبرته ولبسته جيدة ، ولما أوقف عند شباك دار الحديث السكاملية بين القصرين استغاث بالقاضى تقي الدين بن دقيق العيد فقال : ما تعرف مني ؟ فقال : أعرف منك الفضيلة ، ولكن حكك إلى القاضى زين الدين ، فأمر القاضى للوالى أن يضرب عنقه ، فضرب عنقه وطيف برأسه في البلد ، ونودي عليه هذا جزاء من طعن في الله ورسوله . قال البرزالي في تاريخه : وفي وسط شهر ربيع الأول ورد كتاب من بلاد حماة من جهة قاضياها يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام ببارين من عمل حماة برد كبار على صور حيوانات مختلفة شتى ، سباع وحيات وعقارب وطيور ومعز ونساء ، ورجال في أوساطهم حوائص ، وأن ذلك ثبت بمحضر عند قاضى الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضى حماة . وفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر شنق الشيخ على الحويرالى بواب الظاهرية على بابها ، وذلك أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدين السمرقندى . وفي النصف منه حضر القاضى بدر الدين بن جماعة تدريس الناصرية الجوانية عوضاً عن كمال الدين ابن الشريشى ، وذلك أنه ثبت محضر أنها لقاضى الشافعية بدمشق ، فانتزعها من يد ابن الشريشى . وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى قدم الصدر علاء الدين بن شرف الدين بن القلانسى على أهله من التتر بعد أسر سنتين وأياماً وقد حبس مدة ثم لطف الله به وتلطف حتى تخاص منهم ورجع إلى أهله ، ففرحوا به .

وفي سادس جمادى الآخرة قدم البريد من القاهرة وأخبر بوفاة أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى ، وأن ولده ولى الخلافة من بعده ، وهو أبو الربيع سليمان ، ولقب بالمستكنفى بالله ، وأنه حضر جنازته الناس كلهم مشاة ، ودفن بالقرب من الست نفيسة ، وله أربعون سنة في الخلافة ، وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين الحريرى الحنفى ، ونظر الدواوين لشرف الدين بن مزهر ، واستمرت الخاتونية الجوانية بيد القاضى جلال الدين بن حسام الدين باذن نائب السلطنة . وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب للخليفة المستكنفى بالله وترحم على والده بجامع دمشق ، وأعيدت الناصرية إلى ابن الشريشى وعزل عنها ابن جماعة ودرس بها يوم الاربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة . وفي شوال قدم إلى الشام جراد عظيم أكل الزرع والثمار وجراد الاشجار حتى

صارت مثل المعصي ، ولم يعهد مثل هذا ، وفي هذا الشهر عقد مجلس لليهود الخيابة وألزموا بأداء الجزية أسوة أمثالهم من اليهود ، فأحضروا كتاباً معهم يزعمون أنه من رسول الله ﷺ بوضع الجزية عنهم ، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل لما فيه من الألفاظ الركيكة ، والتواريخ المحبطة ، واللحن الفاحش ، وحققتهم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبين لهم خطأهم وكذبهم ، وأنه مزور مكذوب ، فأناوبوا إلى أداء الجزية ، وخافوا من أن تستعاد منهم الشئون الماضية . قلت : وقد وقفت أنا على هذا الكتاب فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر ، وقد توفي سعد قبل ذلك بنحو من سنتين ، وفيه : وكتب علي بن طالب . وهذا لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين علي ، لأن علم النحو إنما أسند إليه من طريق أبي الأسود الدؤلي عنه ، وقد جمعت فيه جزءاً مفرداً ، وذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماوردي ، وكتاب أصحابنا في ذلك العصر ، وقد ذكره في الحاوي وصاحب الشامل في كتابه وغير واحد ، وبينوا خطأه والله الحمد والمنة .

وفي هذا الشهر ثار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين بن تيمية وشكوا منه أنه يقيم الحدود ويعزر ويحلق رؤس الصبيان ، وتكلم هو أيضاً فيمن يشكو منه ذلك ، وبين خطأهم ، ثم سكنت الأمور . وفي ذى القعدة ضربت البشائر بقلعة دمشق أياماً بسبب فتح أماكن من بلاد سبيس عنوة ، ففتحها المسلمون والله الحمد . وفيه قدم عز الدين بن ميسر على نظر الدواوين عوضاً عن ابن مزهر . وفي يوم الثلاثاء رابع ذى الحجة حضر عبد السيد بن المهذب ديان اليهود إلى دار العدل ومعه أولاده فأسلموا كلهم ، فأكرمهم نائب السلطنة وأمر أن يركب بخلمة وخلفه الدباب تضرب والبوقات إلى داره ، وعمل ليلتئذ ختمة عظيمة حضرها القضاة والعلماء ، وأسلم علي يديه جماعة كبيرة من اليهود ، وخرجوا يوم العيد كلهم يكبرون مع المسلمين ، وأكرمهم الناس إكراماً زائداً . وقدمت رسل ملك التتار في سابع عشر ذى الحجة فنزلوا بالقلعة وسافروا إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام وبعد مسيرهم بيومين مات أرجواس ، وبعد موته بيومين قدم الجيش من بلاد سبيس وقد فتحوا جانباً منها ، فخرج نائب السلطنة والجيش لتلقيهم ، وخرج الناس للفرجة على العادة ، وفرحوا بقدمهم ونصرهم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله ﴾

أبو العباس أحمد بن المسترشد بالله الهاشمي العباسي البغدادي المصري ، بويع بالخلافة بالدولة الظاهرية في أول سنة إحدى وستين وستائة ، فاستكمل أربعين سنة في الخلافة ، وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه وقت صلاة العصر بسوق الخليل ، وحضر جنازته الأعيان والدولة كلهم مشاة . وكان قد عهد بالخلافة إلى ولده المذكور أبي الربيع سليمان .

﴿ خلافة المستكنى بالله ﴾

« أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي »

لما عهد إليه كتب تقليده بذلك وقرىء بحضرة السلطان والدولة يوم الأحد العشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية ، وسارت بذلك البريدية إلى جميع البلاد الاسلامية

﴿ الأمير عز الدين ﴾ وتوفى فيها .

أيك بن عبد الله النجيبى الدويدار والى دمشق ، وأحد أمراء الطبلخانة بها ، وكان مشكور السيرة ، ولم تطل مدته ، ودفن بقاسيون ، توفى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول .

﴿ الشيخ الامام شرف الدين أبو الحسن ﴾

على بن الشيخ الامام العلامة الحافظ الفقيه تقي الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد اليونينى البعلبكي وكان أكبر من أخيه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه ، ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمائة فأصمعه أبوه الكثير ، واشتغل وتفقه ، وكان عابداً عاملاً كثير الخشوع ، دخل عليه إنسان وهو بخزانة الكتب فجعل يضربه بعصا فى رأسه ثم بسكين فبقى متمرصاً أياماً ، ثم توفى إلى رحمة الله يوم الخميس حادى عشر رمضان ببعلبك ، ودفن بباب بطحا ، وتأسف الناس عليه لعلمه وعمله وحفظه الأحاديث وتودده إلى الناس وتواضعه وحسن سمته ومرورته تفجده الله برحمته .

﴿ الصدر ضياء الدين ﴾

أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ، والد القاضى قطب الدين موسى الذى تولى فيما بعد نظر الجيش بالشام وبمصر أيضاً ، توفى يوم الثلاثاء عشرين ذى القعدة ودفن بقاسيون ، وعمل عزاءه بالرواحية

﴿ الامير الكبير المرابط المجاهد ﴾

علم الدين أرجواش بن عبد الله المنصورى ، نائب القلعة بالشام ، كان ذا هيبه وهمة وشهامة وقصد صالح ، قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين لما ملكت التتار الشام أيام قازان ، وعصت عليهم القلعة ومنعها الله منهم على يدي هذا الرجل ، فانه التزم أن لا يسلمها إليهم مادام بهاعين تطرف واقتدت بها بقية القلاع الشامية ، وكانت وفاته بالقلعة ليلة السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة وأخرج منها ضحوة يوم السبت فضلى عليه وحضر نائب السلطنة فن دونه جنازته ، ثم حمل إلى سفح قاسيون ودفن بتربته رحمه الله .

﴿ الأبرقوهي المسند المعمر المصري ﴾

هو الشيخ الجليل المسند الرحلة ، بقية السلف شهاب الدين أبوالمعالى أحمد بن إسحاق بن محمد ابن المؤيد بن على بن إسماعيل بن أبي طالب ، الأبرقوهي الهمداني ثم المصري ، ولد بأبرقوه من بلاد شیراز في رجب أو شعبان سنة خمس عشرة وستمائة ، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين ، وخرجت له مشيخات ، وكان شيخاً حسناً لطيفاً مطيقاً ، توفي بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام رحمه الله . وفيها توفي :

﴿ صاحب مكة ﴾

الشریف أبو نعی محمد بن الأمير أبي سعد حسن بن على بن قتادة الحسنى صاحب مكة منذ أربعين سنة ، وكان حليماً وقوراً ذا رأى وسياسة وعقل ومروءة . وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المصري الشافعي عفا الله عنه ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعمئة من الهجرة ﴾

استهلّت والحکام هم المذكورون في التي قبلها ، وفي يوم الأربعاء ثاني صفر فتحت جزيرة أرواد بالقرب من أنطرسوس ، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل ، فجاءتها المراكب من الديار المصرية في البحر وأردفها جيوش طرابلس ، وفتحت والله الحمد نصف النهار ، وقتلوا من أهلها قريبا من ألفين ، وأسروا قريبا من خمسمائة ، وكان فتحها من تمام فتح السواحل ، وأراح الله المسلمين من شر أهلها . وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وصل البريد إلى دمشق فأخبر بوفاة قاضي القضاة ابن دقيق العيد ، ومعه كتاب من السلطان إلى قاضي القضاة ابن جماعة ، فيه تعظيم له واحترام وإكرام يستدعيه إلى قربه ليباشر وظيفة القضاء بمصر على عادته قنهيأ لذلك ، ولما خرج خرج معه نائب السلطنة الأفرم وأهل الحل والعقد ، وأعيان الناس ليودعوه ، وستأني ترجمة ابن دقيق العيد في الوفيات ، ولما وصل ابن جماعة إلى مصر أكرمه السلطان إكراما زائدا ، وخلع عليه خلعة صوف وبغلة تساوي ثلاثة آلاف درهم ، وباشر الحكم بمصر يوم السبت رابع ربيع الأول ، ووصلت رسل التنار في أواخر ربيع الأول قاصدين بلاد مصر ، وباشر شرف الدين الفزاري مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس ثامن ربيع الآخر عوضا عن شرف الدين الناسخ ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إمام الفارسي ، توفي بها عن سبعين سنة ، وكان فيه بر ومعروف وأخلاق حسنة ، رحمه الله .

وذكر الشيخ شرف الدين المذكور درسا مفيدا وحضر عنده جماعة من الأعيان ، وفي يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى خاع على قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى بقضاء الشام عوضا عن

ابن جماعة ، وعلى الفارقي بالخطابة ، وعلى الأمير ركن الدين بيبرس الملاوي بشد الدواوين وهنأهم الناس ، وحضر نائب السلطنة والآعيان المتصورة لسماع الخطبة ، وقرئ تقليد ابن صصرى بعد الصلاة ثم جلس فى الشباك السكالى وقرئ تقليده مرة ثانية ، وفى جمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن الشيخ تقي الدين بن تيمية والقاضى شمس الدين بن الحريرى وجماعة من الأمراء والخواص الذين بباب السلطنة يناصحون التتر ويكاتبوهم ، ويريدون تولية قبجق على الشام وأن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم ، وكذلك كمال الدين بن المطار ، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مفتعل ، ففحص عن واضعه فاذا هو فقير كان مجاوراً بالبيت الذى كان مجاور محراب الصحابة ، يقال له اليعفورى ، وآخر معه يقال له أحمد الغنارى ، وكافا معروفين بالشر والفضول ، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب ، فتحقق نائب السلطنة ذلك فعزرا تعزيراً عنيفاً ، ثم وسطا بعد ذلك وقطعت يد الكاتب الذى كتب لها هذا الكتاب ، وهو التاج المناديلى . وفى أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصورى إلى نيابة القلعة عوضاً عن أرجواش .

﴿ عجيبية من عجائب البحر ﴾

قال الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه : قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبية الخلقة من بحر النيل إلى أرض المنوفية ، بين بلاد منية مسعود واصطبارى والراهب ، وهذه صفتها : لونها لون الجاموس بلا شعر ، وآذانها كأذان الجمل ، وعيناها وفرجها مثل الناقة ، يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف كذنب السمكة ، ورقبتها مثل غلظ التنين المحشو تبناً ، وفها وشفتاها مثل الكربال ، ولها أربعة أنياب اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، طول كل واحد دون الشبر فى عرض أصبعين ، وفى فمها ثمان وأربعون ضرساً وسن مثل بيادق الشطرنج ، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبها إلى حافرها مثل بطن الثعبان ، أصفر مجعد ، ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافر مثل أظافر الجمل ، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف ، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدماً وفى بطنها ثلاثة كروش ، ولحمها أحمر وزفر مثل السمك ، وطعمه كالحم الجمل ، وغلظه أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف ، وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضره إلى بين يدي السلطان بالقلعة وحشوه تبناً وأقاموه بين يديه والله أعلم .

وفى شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام ، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جداً ، وقتت الخطيب فى الصلوات وقرئ البخارى ، وشرع الناس فى الجفل إلى الديار المصرية

والكرك والحصون المنيعة ، وتأخر مجيء العساكر المصرية عن إبانها فاشتد لذلك الخوف . وفي شهر رجب باشر نجم الدين بن أبي الطيب نظر الخزانة عوضاً عن أمين الدين سليمان ، وفي يوم السبت ثالث شعبان باشر مشيخة الشيوخ بعد ابن جماعة القاضي ناصر الدين عبد السلام ، وكان جمال الدين الزرعى يسد الوظيفة إلى هذا التاريخ . وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتار المخذولين ، وفي هذا اليوم بعينه كانت وقعة غرض وذلك أنه التقى جماعة من أمراء الاسلام فيهم استدمرو بهادرأخي وكجكن وغرلو العادلي ، وكل منهم سيف من سيوف الدين في ألف وخمسمائة فارس ، وكان التتار في سبعة آلاف فاقتلوا وصبر المسلمون صبراً جيداً ، فنصرهم الله وخذل التتر ، فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، ولولا عند ذلك مدبرين ، وغنم المسلمون منهم غنائم ، وعادوا سالمين لم يفقد منهم إلا القليل ممن أكرمه الله بالشهادة ، ووقعت البطاقة بذلك ، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان ، وكان يوم خميس النصارى

﴿ أوائل وقعة شقحب ﴾

وفي ثامن عشر قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين فيهم الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والامير حسام الدين لاجين المعروف بالاستادار المنصوري ، والامير سيف الدين كراي المنصوري ، ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير سلاح وأبيك الخزنندار فتويت القلوب واطمأن كثير من الناس ، ولكن الناس في جفل عظيم من بلاد حلب وحمص وتلك النواحي وتقهقر الجيش الحلبي والحموي إلى حمص ، ثم خافوا أن يدهمهم التتر فجأوا فترزوا المرج يوم الاحد خامس شعبان ، ووصل التتار إلى حمص وبعلبك وعاثوا في تلك الاراضي فساداً ، وقلق الناس قلقاً عظيماً ، وخافوا خوفاً شديداً ، واختببط البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش ، وقال الناس لاطاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتار لكثرتهم ، وإنما سبيلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة . وتحدث الناس بالاراجيف فاجتمع الامراء يوم الاحد المذكور بالميدان وتحالفوا على لقاء العدو ، وشجعوا أنفسهم ، ونودي بالبلدان لا يرحل أحد منه ، فسكن الناس وجلس القضاة بالجامع وحلفوا جماعة من الفقهاء والعمامة على القتال ، وتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حمص فاجتمع بهم في القطيعة فأعلمهم بما تحالف عليه الامراء والناس من لقاء العدو ، فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحلف للامراء والناس إنكم في هذه الكرة منصورون ، فيقول له الامراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى . (ومن بنى عليه لينصرنه الله)

وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو ، فانهم يظهر ون الاسلام وليسوا

بغاة على الامام، فانهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه . فقال الشيخ تقي الدين : هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية ، ورأوا أنهم أحق بالامر منهما ، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق باقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، فتفطن العلماء والناس لذلك ، وكان يقول للناس : إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني ، فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم والله الحمد .

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شعبان خرجت العساكر الشامية نحيمة على الجسورة من ناحية الكسوة ، ومعهم القضاة ، فصار الناس فيهم فر يقين فر يق يقولون إنما ساروا ليختاروا موضعاً للقتال فان المرج فيه مياه كثيرة فلا يستطيعون معها القتال ، وقال فر يق : إنما ساروا لتلك الجهة ليهربوا وليلحقوا بالسلطان . فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكسوة فقويت ظنون الناس في هربهم ، وقد وصلت التتار إلى قارة ، وقيل إنهم وصلوا إلى القطيعة ، فانزعج الناس لذلك شديداً ولم يبق حول القرى والحواضر أحد ، وامتلات القلعة والبلد وازدحمت المنازل والطرقات ، واضطرب الناس وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة ، وصحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه ، فظنوا أنه إنما خرج هاربا فحصل اللوم من بعض الناس وقالوا أنت منعتنا من الجفل وها أنت هارب من البلاد ؟ فلم يرد عليهم وبقى البلاد ليس فيه حاكم ، وجاس اللصوص والحرافيش فيه وفي بساتين الناس يخربون وينتهبون ما قدروا عليه ، ويقطعون المشمش قبل أوانه والباقلاء والقمح وسائر الخضراوات ، وحيل بين الناس وبين خبر الجيش ، وانقطعت الطرق إلى الكسوة وظهرت الوحشة على البلاد والحواضر ، وليس للناس شغل غير الصعود إلى المآذن ينظرون يمينا وشمالا ، وإلى ناحية الكسوة فتارة يقولون : رأينا غبرة فيخافون أن تكون من التتر ، ويتعجبون من الجيش مع كثرتهم وجودة عدتهم وعدددهم ، أين ذهبوا ؟ فلا يدرون ما فعل الله بهم ، فانقطعت الآمال وألح الناس في الدعاء والابتهال وفي الصلوات وفي كل حال ، وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان ، وكان الناس في خوف ورعب لا يعبر عنه ، لكن كان الفرج من ذلك قريبا ، ولكن أكثرهم لا يفاحون ، كما جاء في حديث أبي رزين « عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب (١) » . فلما كان آخر هذا اليوم وصل الأمير نجر الدين إياس المرقبي أحد أمراء دمشق ، فبشر الناس بخير ، هو أن السلطان قد وصل وقت اجتمعت العساكر المصرية والشامية ، وقد أرسلني أكشف هل طرق

(١) في سنن ابن ماجه في كتاب السنة « ضحك ربنا الخ » والأزل : شدة القنوط .

البلد أحد من التتر ، فوجد الأمر كما يجب لم يطرقها أحد منهم ، وذلك أن التتار عرجوا من دمشق إلى ناحية العساكر المصرية ، ولم يشتغلوا بالبلد ، وقد قالوا إن غلبنا فان البلد لنا ، وإن غلبنا فلا حاجة لنا به ، ونودى بالبلد في تطيب الخواطر ، وأن السلطان قد وصل ، فاطمأن الناس وسكنت قلوبهم ، وأثبت الشهر ليلة الجمعة القاضي تقي الدين الحنبلي ، فان السماء كانت مغيمة فعلقت القناديل وصليت التراويح واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته ، وأصبح الناس يوم الجمعة في هم شديد وخوف أكيد ، لأنهم لا يعلمون ما خبر الناس . فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير سيف الدين غرلو العادلي فاجتمع بنائب القلعة ثم عاد سرعاً إلى العسكر ، ولم يدر أحد ما أخبر به ، ووقع الناس في الارجيف والخوض

﴿ صفة وقعة شقحب ﴾

أصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من الخوف وضيق الأمر ، فرأوا من المآذن سواداً وغبرة من ناحية العسكر والعدو ، فغلب على الظنون أن الواقعة في هذا اليوم ، فابتهلوا إلى الله عز وجل بالدعاء في المساجد والبلد ، وطاع النساء والصغار على الأسطحة وكشفوا رؤوسهم وضج البلد ضجة عظيمة ، ووقع في ذلك الوقت مطر عظيم غزير ، ثم سكن الناس ، فلما كان بعد الظهر قرئت بطاقة بالجامع تتضمن أن في الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصفر ، وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة . والتحرز على الأسوار فدعا الناس في المآذن والبلد ، وانقضى النهار وكان يوماً مزعجاً هائلاً ، وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسر التتر ، وخرج الناس إلى ناحية الكسوة فرجعوا ومعهم شيء من المكاسب ، ومعهم رؤس من رؤس التتر ، وصارت كسرة التتار تقوى وتزايد قليلاً قليلاً حتى اتضحت جملة ، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتر لا يصدقون ، فلما كان بعد الظهر قرئ كتاب السلطان إلى متولى القلعة يخبر فيه باجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشقحب وبالكسوة ، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين آقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الواقعة كانت من مصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد ، وأن السيف كان يعمل في رقاب التتر ليلاً ونهاراً وأنهم هربوا وفرروا واعتصموا بالجبال والتلال ، وأنه لم يسلم منهم إلا القليل ، فأمسى الناس وقد استقرت خواطرهم وتباشروا لهذا الفتح العظيم والنصر المبارك ، ودقت البشائر بالقلعة من أول النهار المذكور ، ونودى بعد الظهر باخراج الجفال من القلعة لأجل نزول السلطان بها ، وشرعوا في الخروج . وفي يوم الاثنين رابع الشهر رجع الناس من الكسوة إلى دمشق فبشروا الناس بالنصر . وفيه دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد ، وفرح الناس به ودعوا له وهنؤوه بما يسر الله على يديه من الخير ، وذلك أنه ندبه العسكر الشامي أن يسير إلى السلطان يستحثه على

السير إلى دمشق فسار إليه فخنه على المجيء إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر ، فجاء هو وإياه جميعا فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال ، فقال له الشيخ : السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم ، وحرص السلطان على القتال و بشره بالنصر وجعل يحاف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم في هذه المرة ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقا لا تمليقا . وأفتى الناس بالفطر مدة قتالهم وأفطر هو أيضاً ، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل كل من شئ معه في يده ليعلمهم أن إفطارهم ليتقوا وعلى القتال أفضل فيأكل الناس ، وكان يتأول في الشاميين قوله صلى الله عليه وسلم « إنكم ملاقوا العدو غدا ، و الفطر أقوى لكم » فعزم عليهم في الفطر عام الفتح كما في حديث أبي سعيد الخدري . وكان الخليفة أبو الربيع سليمان في صحبة السلطان ، ولما اصطفت العساكر والنعم القتال ثبت السلطان ثباتاً عظيماً ، وأمر بجواده فقيد حتى لا يهرب ، وبايع الله تعالى في ذلك الموقف ، وجرت خطوب عظيمة ، وقتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ ، منهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي أستاذ دار السلطان ، وثمانية من الأمراء المقدمين معه ، وصلاح الدين بن الملك السعيد الكامل بن السعيد بن الصالح إسماعيل ، وخلق من كبار الأمراء ، ثم نزل النصر على المسلمين قريب العصر يومئذ ، واستظهر المسلمون عليهم والله الحمد والمنة . فلما جاء الليل لجأ التتر إلى اقتحام النول والجبال والآكام ، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الحرب ، ويرونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر ، فقتلوا منهم ما لا يعلم عدده إلا الله عز وجل ، وجعلوا يمجثون بهم في الجبال فنضرب أعناقهم ، ثم اقتحم منهم جماعة الهزيمة فنجوا منهم قليل ، ثم كانوا يتساقطون في الأودية والمهالك ، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة في الفرات بسبب الظلام ، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمة عظيمة شديدة ، والله الحمد والمنة .

ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان وبين يديه الخليفة ، وزينت البلد ، وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد^(١) ، فنزل السلطان في القصر الأبلق والميدان ، ثم تحول إلى القلعة يوم الخميس وصلى بها الجمعة وخاع على نواب البلاد وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ، واستقرت الخواطر ، وذهب اليأس وطابت قلوب الناس ، وعزل السلطان ابن النحاس عن ولاية المدينة وجعل مكانه الأمير علاء الدين أيدغدى أمير علم ، وعزل صارم الدين إبراهيم وإلى الخاص عن ولاية البر وجعل مكانه الأمير حسام الدين لاجين الصغير ، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء ثالث شوال بعد أن صام رمضان وعيد بدمشق .

وطلب الصوفية من نائب دمشق الأفرم أن يولى عليهم مشيخة الشيوخ للشيخ صفي الدين

(١) يعني من المسلمين واليهود والنصارى .

الهندي ، فأذن له في المباشرة يوم الجمعة سادس شوال عوضاً عن ناصر الدين بن عبد السلام ، ودخل السلطان القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال ، وكان يوماً مشهوداً ، وزينت القاهرة .

وفيها جاءت زلزلة عظيمة يوم الخميس بكرة الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وكان جمهورها بالديار المصرية ، تلاطمت بسببها البحار فكسرت المراكب وتهدمت الدور ومات خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وشققت الحيطان ولم ير مثلها في هذه الأعصار ، وكان منها بالشام طائفة لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها .

وفي ذي الحجة باشر الشيخ أبو الوليد بن الحاج الأشبيلي المالكي إمام محراب المالكية بجامع دمشق بعد وفاة الشيخ شمس الدين محمد الصنهاجي .

ومن توفي فيها من الأعيان ❀ ابن دقيق العيد ❀

الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري المصري ، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بساحل مدينة ينبع من أرض الحجاز ، سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وخرج وصنف فيه إسناداً ومتناً مصنفاً عديدة ، فريدة مفيدة ، وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه ، وفاق أقرانه ورحل إليه الطلبة ودرس في أماكن كثيرة ، ثم ولي قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة ، ومشيخة دار الحديث الكاملة ، وقد اجتمع به الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فقال له تقي الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه : ما أظن بقي يخافك مثلك ، وكان وقوراً قليل الكلام غزير الفوائد كثير العلوم في ديانة ونزاهة ، وله شعر رائع ، توفي يوم الجمعة حادي عشر شهر صفر ، وصلى عليه يوم الجمعة المذكور بسوق الخليل وحضر جنازته نائب السلطنة والأمراء ، ودفن بالقرافة الصغرى رحمه الله .

❀ الشيخ برهان الدين الاسكندري ❀

إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم ، سمع الحديث وكان ديناً فاضلاً ، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين شوال عن خمس وستين سنة . وبعد شهر بسواء كانت وفاة

❀ الصدر جمال الدين بن العطار ❀

كاتب الدرج منذ أربعين سنة . أبو العباس أحمد بن أبي الفتح .

محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن فتیان الشيباني ، كان من خيار الناس وأحسنهم تقية ، ودفن بتربة لهم تحت الكهف بسفح قاسيون ، وتأسف الناس عليه لاحسانه إليهم رحمه الله .

❀ الملك العادل زين الدين كتبغا ❀

توفي بحماة نائباً عليها بعد صرخد يوم الجمعة يوم عيد الاضحى ونقل إلى تربته بسفح قاسيون

غربي الرباط الناصري ، يقال لها العادلية ، وهي تربة مليحة ذات شبابيك وبوابة ومأذنة ، وله عليها أوقف دارة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة وغير ذلك ، وكان من كبار الامراء المنصورية ، وقد ملك البلاد بعد مقتل الاشرف خليل بن المنصور ، ثم انتزع الملك منه لاجين وجلس في قلعة دمشق ، ثم تحول إلى صرخد وكان بها إلى أن قتل لاجين وأخذ الملك الناصر بن قلاوون ، فاستنابه بحماة حتى كانت وفاته كما ذكرنا ، وكان من خيار الملوك وأعد لهم وأكثرهم برآ ، وكان من خيار الامراء والنواب رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها . وفي صفر تولى الشيخ كمال الدين بن الشريشي نظارة الجامع الأموي وخاع عليه وباشره مباشرة مشكورة ، وساوى بين الناس وعزل نفسه في رجب منها . وفي شهر صفر تولى الشيخ شمس الدين الذهبي خطابة كفر بطنا وأقام بها . ولما توفى الشيخ زين الدين الفارقي في هذه السنة كان نائب السلطنة في نواحي البلقاء يكشف بعض الامور ، فلما قدم تكلموا معه في وظائف الفارقي فميين الخطابة لشرف الدين الفزاري ، وعين الشامية البرانية ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي ، وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ منه الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكاني ورسم بكتابة التواقيع بذلك ، وباشر الشيخ شرف الدين الامامة والخطابة ، وفرح الناس به لحسن قراءته وطيب صوته وجودة سيرته ، فلما كان بكرة يوم الاثنين ثاني عشرين ربيع الأول وصل البريد من مصر صحبة الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وقد سبقه مرسوم السلطان له بجميع جهات الفارقي مضافا إلى ما بيده من التدريس ، فاجتمع بنائب السلطنة بالقصر ، وخرج من عنده إلى الجامع ففتح له باب دار الخطابة فنزلها وجاءه الناس يهنؤنه ، وحضر عنده القراء والمؤذنون ، وصلى بالناس العصر وباشر الامامة يومين فأظهر الناس التألم من صلاته وخطابته ، وسعوا فيه إلى نائب السلطنة فمنعه من الخطابة وأقره على التدريس ودار الحديث ، وجاء توقيع سلطاني للشيخ شرف الدين الفزاري بالخطابة ، فخطب يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ، وخاع عليه بطرحة ، وفرح الناس به ، وأخذ الشيخ كمال الدين بن الزملكاني تدريس الشامية البرانية من يد ابن الوكيل ، وباشرها في مستهل جمادى الأولى واستقرت دار الحديث بيد ابن الوكيل مع مدرسته الأوليتين ، وأظنهما العندراوية والشامية الجوانية .

ووصل البريد في ثاني عشر جمادى الأولى باعادة السنجرى إلى نيابة القلعة وتولية نائبها الأمير سيف الدين الجوكندرانى نيابة حمص عوضاً عن عز الدين الحموي ، توفي . وفي يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر وأضيف إليها ألفان من دمشق وساروا وأخذوا

معهم نائب حمص الجوكندرائي ووصلوا إلى حماة فصحبهم نائبها الأمير سيف الدين قبجق ، وجاء إليهم استدمر نائب طرابلس ، وانضاف إليهم قراسنقر نائب حلب وانفصلوا كلهم عنها وافترقوا فرقتين فرقة سارت صحبة فيجق إلى ناحية ملطية ، وقلعة الروم ، والفرقة الأخرى صحبة قراسنقر حتى دخلوا الدربندات وحاصر وائل حمدون فتسلوه عنوة في ثالث ذي القعدة بعد حصار طويل ، فدقت البشائر بدمشق لذلك ، ووقع مع صاحب سبيس على أن يكون للمسلمين من نهر جيهان إلى حلب وبلاد ما وراء النهر إلى ناحيتهم لهم ، وأن يمجلوا حمل سنتين ، ووقعت الهدنة على ذلك ، وذلك بعد أن قتل خاق من أمراء الارمن ورؤسائهم ، وعادت العساكر إلى دمشق مؤيدي منصورين ، ثم توجهت العساكر المصرية صحبة مقدمهم أمير سلاح إلى مصر .

وفي أواخر السنة كان موت قازان وتولية أخيه خربندا . وهو ملك التتار قازان واسمه محمود بن أرغون بن أبقاء ، وذلك في رابع عشر شوال أو حادي عشره أو ثالث عشره ، بالقرب من همدان ونقل إلى تربته ببيهرين بمكان يسمى الشام ، ويقال إنه مات مسموماً ، وقام في الملك بعده أخوه خربندا محمد بن أرغون ، ولقبوه الملك غياث الدين ، وخطب له على منابر العراق وخراسان وتلك البلاد .

وحيج في هذه السنة الأمير سيف الدين سلار نائب مصر وفي صحبته أربعون أميراً ، وجميع أولاد الأمراء ، وحيج معهم وزير مصر الأمير عز الدين البغدادي ، وتولى مكانه بالبركة ناصر الدين محمد الشيشي ، وخرج سلار في أبهة عظيمة جداً ، وأمير ركب المصريين الحاج إياق الحسامي ، وترك الشيخ صفي الدين مشيخة الشيوخ فولها القاضي عبد الكريم بن قاضي القضاة محيي الدين ابن الزكي ، وحضر الخانقاه يوم الجمعة الحادي عشر من ذي القعدة وحضر عنده ابن صصري وعز الدين القلانسي ، والصاحب ابن ميسر ، والمحاسب وجماعة .

وفي ذي القعدة وصل من التتر مقدم كبير قد هرب منهم إلى بلاد الاسلام وهو الأمير بدر الدين جنسكي بن البابا ، وفي صحبته نحو من عشرة ، فحضروا الجمعة في الجامع ، وتوجهوا إلى مصر ، فأكرم وأعطى إمرة ألف ، وكان مقامه ببلاد آمد ، وكان ينصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات التتر ، فلهدنا عظم شأنه في الدولة الناصرية .

ومن توفي فيها من الأعيان ملك التتر قازان .

﴿ والشيخ القدوة العابد الزاهد الورع ﴾

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي بن محمد بن عبد الكريم الرقي الحنبلي ، كان أصله من بلاد الشرق ، ومولده بالركة في سنة سبع وأربعين وستمائة ، واشتغل وحصل وسمع شيثامن

الحديث ، وقدم دمشق فسكن بالمأذنة الشرقية في أسفلها بأهله إلى جانب الطهارة بالجامع ، وكان معظماً عند الخاص والعام ، فصيح العبارة كثير العبادة ، خشن العيش حسن المجالسة لطيف الكلام كثير التلاوة ، قوى التوجه من أفراد العالم ، عارفاً بالتفسير والحديث والفقهاء والأصلين ، وله مصنوعات وخطب ، وله شعر حسن ، توفي بمنزله ليلة الجمعة خامس عشر المحرم وصلى عليه عقيب الجمعة ونقل إلى تربة الشيخ أبي عمر بالسفح ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي هذا الشهر توفي الأمير زين الدين قراجا أستاذ دار الأفرم ودفن بتربته بميدان الحصا عند الظهر . ﴿ والشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام ﴾ عرف بابن الحلبى ، كان من خيار الناس يتردد إلى عكا أياما حين ما كانت في أيدي الفرنج ، في فكك أسارى المسلمين ، جزاه الله خيراً وعثقه من النار وأدخله الجنة برحمته .

﴿ الخطيب ضياء الدين ﴾

أبو محمد عبد الرحمن بن الخطيب جمال الدين أبي الفرج عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمي خطيب بعلبك نجوياً من ستين سنة ، هو ووالده ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة وسمع الكثير وتفرد عن القزويني ، وكان رجلاً جيداً حسن القراءة من كبار العدول ، توفي ليلة الاثنين ثالث صفر ، ودفن بباب سطحا ﴿ الشيخ زين الدين الفارقي ﴾

عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فهر^(١) بن الحسن ، أبو محمد الفارقي شيخ الشافعية ، ولد سنة ثلاث وثلثين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير ، واشتغل ودرس بعدة مدارس ، وأفقى مدة طويلة ، وكانت له همة وشهامة وصرامة ، وكان يباشر الأوقاف جيداً ، وهو الذي عمر دار الحديث بعد خرابها بيد قازان ، وقد باشرها سبعا وعشرين سنة من بعد النواوى إلى حين وفاته ، وكانت معه الشامية البرانية وخطابة الجامع الأموى تسعة أشهر ، باشر به الخطابة قبل وفاته ، وقد انتقل إلى دار الخطابة وتوفي بها يوم الجمعة بعد العصر ، وصلى عليه ضحوة السبت ، صلى عليه ابن صصرى عند باب الخطابة وبسوق الخليل قاضى الحنفية شمس الدين بن الحريرى ، وعند جامع الصالحية قاضى الخنابلة تقي الدين سليمان ، ودفن بتربة أهله شمالي تربة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وباشر بعده الخطابة شرف الدين الفزاري ومشيخة دار الحديث ابن الوكيل ، والشامية البرانية ابن الزملكاني وقد تقدم ذلك .

﴿ الأمير الكبير عز الدين أيبك الحموى ﴾

ناب بدمشق مدة ثم عزل عنها إلى صرخد ، ثم نقل قبل موته بشهر إلى نيابة حمص ، وتوفي بها يوم العشرين من ربيع الآخر ، ونقل إلى تربته بالسفح غربى زاوية ابن قوام ، وإليه ينسب الحمام بمسجد القصب الذى يقال له حمام الحموى ، عمره في أيام نيابته .

(١) فى الشذرات فيروز . وذكر أنها عند الدرر الكامنة .

﴿ الوزير فتح الدين ﴾

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صقر القرشي الخزومي ابن القيسراني ، كان شيخاً جليلاً أديباً شاعراً مجوداً من بيت رياسة ووزارة ، ولي وزارة دمشق مدة ثم أقام بمصر موقعا مدة ، وكان له اعتناء بعلوم الحديث وسماعه ، وله مصنف في أسماء الصحابة الذين خرج لهم في الصحيحين ، وأورد شيئاً من أحاديثهم في مجلدين كبيرين موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق ، وكان له مذاكرة جيدة محررة باللفظ والمعنى ، وقد خرج عنه الحافظ الدمياطي ، وهو آخر من توفي من شيوخه ، توفي بالقاهرة في يوم الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الآخر ، وأصلهم من قيسارية الشام . وكان جده موفق الدين أبو البقاء خالد وزيراً لنور الدين الشهيد ، وكان من الكتاب المجيدين المتقنين ، له كتابة جيدة محررة جداً ، توفي في أيام صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وأبوه محمد بن نصر بن صقر ولد بمكة قبل أخذ الفرنج لها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فلما أخذت بعد السبعين وأربعمائة انتقل أهلهم إلى حلب وكانوا بها ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وكان له معرفة جيدة بالنجوم وعلم الهيئة وغير ذلك .

﴿ ترجمة والد ابن كثير مؤلف هذا التاريخ ﴾

وفيهما توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن ضو بن درع القرشي من بني حصة ، وهم ينتسبون إلى الشرف وبأيديهم نسب ، وقف على بعضها شيخنا المزني فأعجبه ذلك وابتهج به ، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي ، من قرية يقال لها الشركون غربى بصرى ، بينها وبين أذرعات ، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمائة ، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى ، فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ جمل الزجاجي ، وعنى بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الغائق الرائق في المدح والمرائي وقليل من الهجاء ، وقرر بمدارس بصرى بمنزل الناقبة شمالى البلاد حيث يزار ، وهو المبارك المشهور عند الناس والله أعلم بصحة ذلك : ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقى بصرى وتمذهب للشافعي ، وأخذ عن النووى والشيخ تقي الدين الفزارى ، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرنى شيخنا العلامة ابن الزملكاني ، فأقام بها نحواً من ثنتي عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجيدل القرية التي منها الولادة ، فأقام بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة ، وكان يخطب جيداً ، وله مقول عند الناس ، وللكلامه وقع لديانته وفصاحته وحلاوته ، وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعِياله ، وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها ، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس ، ثم من الوالدة عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة ، ثم أنا أصغرهم ، وصحيت

باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التنبية وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري وحصل المنتخب في أصول الفقه ، قاله لى شيخنا ابن الزمكاني ، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فمكث أياما ومات ، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً ورثاه بأبيات كثيرة ، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سماني باسمه ، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل ، فرحم الله من سلف وختم بخير لمن بقى ، توفي والدى في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعائة ، في قرية مجيدل القرية ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها لا أدركه إلا كالحلم ، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعائة إلى دمشق صحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقاً ، و بنا رفيقاً شفوفاً ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى منه مايسر ، وسهل منه مايسر والله أعلم .

وقد قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في معجمه فيما أخبرني عنه شمس الدين محمد بن سعد المقدسي مخرجه له ، ومن خط المحدث شمس الدين بن سعد هذا نقلت ، وكذلك وقفت على خط الحافظ البرزالي مثله في السفينة الثانية من السفن الكبار : قال عمر بن كثير القرشي خطيب القرية وهي قرية من أعمال بصرى رجل فاضل له نظم جيد ويحفظ كثيراً من اللغز وله همة وقوة . كتبت عنه من شعره بحضور شيخنا تاج الدين الفزاري . وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعائة بمجيدل القرية من عمل بصرى ، أنشدنا الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير القرشي خطيب القرية بها لنفسه في منتصف شعبان من سنة سبع وثمانين وستائة :

نأى النوم عن جفني فبت مسهدا * أخا كلف حلف الصبابة موجدا
 سمير الثريا والنجوم مدلها * فن ولهى خلت الكواكب ركدا
 طريحا على فرش الصبابة والاسى * فما ضر كم لو كنتم لى عودا
 تقلبنى أيدى الغرام بلوعة * أرى النار من تلقائها لى أبردا
 ومزق صبرى بعد جيران حاجز * سعير غرام بات فى القلب موقدا
 فأمطرته دمعى لعل زفيره * يقل فزادته الدموع توقدا
 فبت بليل نابغى ولا أرى * على النأى من بعد الاحبة صعداً
 فيالك من ليل تباعد فجره * على لى أن خلته قد تخلدا
 غراما ووجدا لا يحد أقله * بأهيف معسول المراشف أغيدا
 له طلعة كالبدر زان جمالها * بطرة شعر حالك اللون أسودا

يهز من القدر الرشيق مثقفا * ويشهر من جفنيه سيفاً مهندا
 وفي ورد خديه وآس عذاره * وضوء ثنياه فنيت تجلدا
 غدا كل حسن دونه متقاصرا * وأضحى له رب الجمال موحداً
 إذا مارنا واهتز عند لقائه * سباك ، فلم تملك لساناً ولا يدا
 وتسجد إجلالاً له وكرامة * وتقسم قدأسميت في الحسن أوحدا
 ورب أخى كفر تأمل حسنه * فأسلم من إجلاله وتشهدا
 وأنكر عيسى والصليب ومرميا * وأصبح بهوى بعد بغض محمدا
 أيا كنية الحسن التي طاف حولها * فؤادى ، أما للصد عندك من فدا ؟
 قنعت بطيف من خيالك طارق * وقد كنت لأرضى بوصلك سرمداً
 فقد شفنى شوق تجاوز حده * وحسبك من شوق تجاوز واعتدا
 سألتك إلا ما مررت بحيننا * بفضلك يارب الملاحة والندا
 لعل جفوني أن تغيض دموعها * ويسكن قلب مذ هجرت فما هدا
 غلظت بهجرانى ولو كنت صابياً * لما صدك الواشون عنى ولا العدا

وعدها ثلاثة وعشرون بيتاً والله يغفر له ما صنع من الشعر [١]

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة ﴾

استهات والخليفة والسلطان والحكام والمباشر من هم المذكورون في التي قبلها ، وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول حضرت الدروس والوظائف التي أنشأها الأمير بيبرس الجاشنكير المنصوري بجامع الحاكم بعد أن جده من خرابه بالزلزلة التي طرأت على دياره صر في آخر سنة ثنتين وسبعمائة ، وجعل القضاة الأربعة هم المدرسين للمذاهب ، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي ، وشيخ النحو أنير الدين أبو حيان ، وشيخ القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفى ، وشيخ إفادة العلوم الشيخ علاء الدين القونوى. وفي جمادى الآخرة باشر الأمير ركن الدين بيبرس الحجوبية مع الأمير سيف الدين بكنمر ، وصارا حاجبين كبيرين في دمشق . وفي رجب أحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسعاً جداً يسمى المجاهد إبراهيم القطان ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق فتناهبه الناس من كل جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً وأمر بحماق رأسه ، وكان ذا شعر ، وقلم أظفاره وكانوا طوالاً جداً ، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسنة ، واستتابه من كلام الفحش وأكل ما يغير العقل من الحشيشة وما لا يجوز من المحرمات وغيرها . وبعده استحضرت الشيخ محمد الخباز البلاسى فاستتابه أيضاً عن أكل

(١) زيادة من نسخة أخرى بالاستانة

الحرمان ومخالطة أهل الذمة ، وكتب عليه مكتوبا أن لا يتكلم في تعبير المنامات ولا في غير هاتين
علم له به . وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد التاربخ وأمر أصحابه ومعهم
حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها ، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك
بها ، فزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما ، [وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة ، وكذلك
بكلامه بان عربي وأتباعه ، فحسد على ذلك وعودى ، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم ، ولا بالى ،
ولم يصلوا إليه بمكروه ، وأكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ،
ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالجاء كما سيأتى ، وإلى الله إياب الخلق وعليه
حسابهم] (١) . وفي رجب جالس قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى بالمدرسة العادلية الكبيرة
وعملت التخوت بعد ما جددت عمارة المدرسة ، ولم يكن أحد يحكم بها بعد وقعة قازان بسبب خرابها ،
وجاء المرسوم للشيخ برهان الدين الفزارى بوكالة بيت المال فلم يقبل ، وللشيخ كمال الدين بن
الزملكاني بنظر الخزانة فقبل وخاع عليه بطرحة ، وحضر بها يوم الجمعة ، وهاتان الوظيفتان كانتا
مع نجم الدين بن أبى الطيب توفى إلى رحمة الله . وفي شعبان سعى جماعة في تبطيل الوعيد ليلة
النصف وأخذوا خطوط العلماء في ذلك ، وتكلموا مع نائب السلطنة فلم يتفق ذلك ، بل أشعلوا
وصلت صلاة ليلة النصف أيضا . وفي خامس رمضان وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشى من
مصر بوكالة بيت المال ، ولبس الخلعة سابع رمضان ، وحضر عند ابن صصرى بالشباك الكمالى .
وفي سابع شوال عزل وزير مصر ناصر الدين بن الشيخى وقطع إقطاعه ورسم عليه وعوقب إلى أن
مات في ذى القعدة ، وتولى الوزارة سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء وخاع عليه . وفي يوم الخميس
الثانى والعشرين من ذى القعدة حكم قاضى القضاة جمال الدين الزاوى بقتل الشمس محمد بن جمال
الدين بن عبد الرحمن الباجرى ، وإرافة دمه وإن تاب وإن أسلم ، بعد إثبات محضر عليه يتضمن
كفر الباجرى المذكور ، وكان ممن شهد فيه عليه الشيخ محمد الدين التونسى النحوى الشافى ،
فهرب الباجرى إلى بلاد الشرق فمكث بها مدة سنين ثم جاء بعد موت الحاكم المذكور كما سيأتى .
وفي ذى القعدة كان نائب السلطنة فى الصيد فقصدهم فى الليل طائفة من الأعراب فقاتلهم
الأمراء فقتلوا من العرب نحو النصف ، وتوغل فى العرب أمير يقال له سيف الدين بها در تهر احتقارا
بالعرب ، فضربه واحد منهم برمح فقتله ، فكرت الأمراء عليهم فقتلوا منهم خلقا أيضا ، وأخذوا
واحداً منهم زعموا أنه هو الذى قتله فصلب تحت القلعة ، ودفن الأمير المذكور بقبر الست . وفي ذى
القعدة تكلم الشيخ شمس الدين بن النقيب وجماعة من العلماء فى الفتاوى الصادرة من الشيخ

علاء الدين بن العطار شيخ دار الحديث النورية والقوسية ، وأنها مخالفة لمذهب الشافعي ، وفيها تخبيط كثير ، فتوهم من ذلك وراح إلى الحنفي فحقن دمه وأبقاه على وظائفه ، ثم بلغ ذلك نائب السلطنة فأنكر على المنكرين عليه ، ورسم عليهم ثم اصطلمحوا ، ورسم نائب السلطنة أن لا تثار الفتن بين الفقهاء . وفي مستهل ذي الحجة ركب الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان فاستنابوا خلقاً منهم وأزموهم بشرائع الاسلام ورجع مؤيداً منصوراً .

ومن توفي فيها من الاعيان .

﴿ الشيخ تاج الدين بن شمس الدين بن الرفاعي ﴾

شيخ الأحمدية بأم عبيدة من مدة مديدة ، وعنه تكتب إجازات الفقراء ، ودفن هناك عند

﴿ الصدر نجم الدين بن عمر ﴾

سلفه بالبطائح

ابن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن أبي الكتائب بن محمد بن أبي الطيب ، وكيل بيت المال وناظر الخزانة ، وقد ولي في وقت نظر المارستان النوري وغير ذلك ، وكان مشكور السيرة رجلاً جيداً ، وقد سمع الحديث وروى أيضاً ، توفي ليلة الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الآخرة ، ودفن بترتهم بباب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعماية ﴾

استهلت والخليفة المستنفي والسلطان الملك الناصر ، والمباشرون هم المذكورون فيما مضى ، وجاء الخبر أن جماعة من التتر كمنوا لجيش حلب وقتلوا منهم خلقاً من الأعيان وغيرهم ، وكثر النوح ببلاذ حلب بسبب ذلك . وفي مستهل المحرم حكم جلال الدين القزويني أخو قاضي القضاة إمام الدين نيابة عن ابن صصرى ، وفي ثانيه خرج نائب السلطنة بمن بقي من الجيوش الشامية ، وقد كان تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية في ثاني المحرم ، فساروا إلى بلاد الجرد والرفض والتيامنة فخرج نائب السلطنة الأفرم بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوم ، فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقاً كثيراً منهم ومن فرقهم الضالة ، ووطئوا أراضي كثيرة من صنع بلادهم ، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق في صحبته الشيخ ابن تيمية والجيش ، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير ، وأبان الشيخ علماً وشجاعة في هذه الغزوة ، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً . وفي مستهل جمادى الأولى قدم القاضي أمين الدين أبو بكر ابن القاضي وجيه الدين عبد العظيم بن الرفاعي المصري من القاهرة على نظر الدواوين بدمشق ، عوضاً عن عز الدين بن مبشر .

﴿ ذكر ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية ﴾

« مع الأحمديّة وكيف عقدت له المجالس الثلاثة »

وفي يوم السبت ناسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمديّة إلى نائب السلطنة بالقصر الأباقي وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف الشيخ تقي الدين إمارته عنهم ، وأن يسلم لهم حالهم ، فقال لهم الشيخ : هذا ما يمكن . ولا بد لسلك أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة ، قولاً وفعلًا ، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه . فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوال الشيطانية التي يتعاطونها في سماعاتهم ، فقال الشيخ تلك أحوال شيطانية باطلة ، وأكثروا أحوالهم من باب الحيل والبهتان ، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولاً إلى الحمام وليغسل جسده غسلًا جيدًا ويدلكه بالخل والأشنان ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقًا ، ولو فرض أن أحداً من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل فإن ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته ، بل حاله من أحوال الدجاجلة المخالفة للشرية إذا كان صاحبها على السنة ، فما الظن بخلاف ذلك ، فابتدع شيخ المنيع الشيخ صالح وقال : نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر ليست تنفق عند الشرع ، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة ، وكثروا الإنكار عليهم من كل أحد ، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم ، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه . وصنف الشيخ جزءاً في طريقة الأحمديّة ، وبين فيه أحوالهم ومسالكتهم وتخيلاتهم ، وما في طريقهم من مقبول ومردود بالكتاب ، وأظهر الله السنة على يديه وأحمد بدعتهم والله الحمد والمنة .

وفي العشر الأوسط من هذا الشهر خلع على جلال الدين بن معبد وعز الدين خطاب ، وسيف الدين بكتمر مملوك بكتاش الحسامي بالأمرة ولبس التشاريف ، وركبوا بها وسلموا لهم جبل الجرد والكسروان والبقاع . وفي يوم الخميس ثالث رجب خرج الناس للاستسقاء إلى سطح المزة ونصبوا هناك منبراً وخرج نائب السلطنة وجميع الناس من القضاة والعلماء والفقراء ، وكان مشهداً هائلاً وخطبة عظيمة بليغة ، فاستسقوا فلم يسقوا يومهم ذلك .

﴿ أول المجالس الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية ﴾

وفي يوم الإثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء وفيهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر وقرئت عقيدة الشيخ تقي الدين الواسطية ، وحصل بحث في أما كن منها ، وأخرت مواضع إلى المجلس الثاني ، فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر الشهر المذكور وحضر الشيخ صفي الدين الهندي ، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً ، ولكن ساقيته لا طمت بحراً ، ثم اصطلحوا على أن يكون الشيخ كمال الدين بن الزملكاني هو الذي يحاqqه من غير مسامحة ، فتناظرا في

ذلك ، وشكر الناس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزمكاني وجوده ذهنه وحسن بحثه حيث
قاوم ابن تيمية في البحث ، وتكلم معه ، ثم انفصل الحال على قبول العقيدة ، وعاد الشيخ إلى منزله
معظما مكرما ، وبلغني أن العامة حملوا له الشمع من باب النصر إلى القضاة على جاري عادتهم في
أمثال هذه الأشياء ، وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في ذلك ، كان
الباعث على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف ، والشيخ نصر المنبجي شيخ الجاشنكير وغيرهما من
أعدائه ، وذلك أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان يتكلم في المنبجي وينسبه إلى اعتقاد ابن عربي
وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدمه عند الدولة ، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، وطاعة الناس له ومحبتهم له وكثرة أتباعه وقيامه في الحق ، وعلمه وعمله ، ثم وقع بدمشق خبط
كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة ، وطلب القاضي جماعة من أصحاب الشيخ وعزز بعضهم
ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المزي الحافظ قرأ فصلا بالرد على الجهمية من كتاب أفعال العباد
للبخاري تحت قبة النسر بعد قراءة ميعاد البخاري بسبب الاستسقاء ، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين
وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صصري ، وكان عدو الشيخ فسجن المزي ، فبلغ الشيخ تقي الدين
فتألم لذلك وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه ، وراح إلى القصر فوجد القاضي هنالك ، فتقاولا
بسبب الشيخ جمال الدين المزي ، فخلف ابن صصري لا بد أن يعيده إلى السجن وإلا عزل نفسه
فأمر النائب باعادته تطييبا لقلب القاضي فحبسه عنده في القوصية أياما ثم أطلقه . ولما قدم نائب السلطنة
ذكر له الشيخ تقي الدين ماجرى في حقه وحق أصحابه في غيبته ، فتألم النائب لذلك ونادى في البلد أن
لا يتكلم أحد في العقائد ، ومن عاد إلى تلك حل ماله ودمه ورتبت داره وحانوته ، فسكنت الامور .
وقد رأيت فصلا من كلام الشيخ تقي الدين في كيفية ما وقع في هذه المجالس الثلاثة من المناظرات .
ثم عقد المجلس الثالث في يوم سابع شعبان بالقصر واجتمع الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة
وفي هذا اليوم عزل ابن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين في المجلس
المذكور ، وهو من الشيخ كمال الدين بن الزمكاني ، ثم جاء كتاب السلطان في السادس والعشرين
من شعبان فيه إعادة ابن صصري إلى القضاء ، وذلك بإشارة المنبجي ، وفي الكتاب إنا كنا سمعنا
بعقد مجلس للشيخ تقي الدين بن تيمية ، وقد بلغنا ما عقده من المجالس ، وأنه على مذهب السلف
وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نسب إليه ، ثم جاء كتاب آخر في خامس رمضان يوم الاثنين وفيه
الكشف عن ما كان وقع للشيخ تقي الدين بن تيمية في أيام جاغان ، والقاضي إمام الدين القزويني
وأن يحمل هو والقاضي ابن صصري إلى مصر ، فتوجها على البريد نحو مصر ، وخرج مع الشيخ
خلق من أصحابه وبكوا وخافوا عليه من أعدائه ، وأشار عليه نائب السلطنة ابن الأفرم بترك الذهاب

إلى مصر، وقال له أنا كاتب السلطان في ذلك وأصلح القضايا، فامتنع الشيخ من ذلك، وذكر له أن في توجهه لمصر مصلحة كبيرة، ومصالح كثيرة، فلما توجه لمصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة، فيما بين دمشق والكسوة، وهم فيما بين باك وحزين وممتفرج وممتزح ومزاحم متغال فيه. فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين غزوة فعمل في جامعها مجلساً عظيماً، ثم دخلاً معاً إلى القاهرة والقلوب معه وبه متعلقة، فدخلها مصر يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان، وقيل إنهما دخلها يوم الخميس، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة وأراد أن يتكلم على عاداته فلم يتمكن من البحث والكلام، وانتدب له الشمس ابن عدنان خصماً احتساباً، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول إن الله فوق العرش حقيقة، وأن الله يتكلم بحرف وصوت، فسأله القاضي جوابه فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقيل له أجب ماجئنا بك لتخطب، فقال: ومن الحاكم في؟ فقيل له القاضي المالكي. فقال له الشيخ كيف تحمك في وأنت خصمي، فغضب غضباً شديداً وانزعج وأقيم مرسماً عليه وحبس في برج أياماً ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجلب، هو وأخوه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن.

وأما ابن صصرى فإنه جدد له توقيع بالقضاء بإشارة المنبجى شيخ الجاشنكير حاكم مصر، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذى القعدة والقلوب له ماقنة، والنفوس منه نافرة، وقرىءت عليه بالجامع وبعده قرىء كتاب فيه الخط على الشيخ تقي الدين ومخالفته في العقيدة، وأن ينادى بذلك في البلاد الشامية، وأزم أهل مذهبه بمخالفته، وكذلك وقع بمصر، قام عليه جاشنكير وشيخه نصر المنبجى، وساعدهم جماعة كثيرة من الفقهاء والقراء، ووجرت قنن كثيرة منتشرة، نعوذ بالله من الفتن، وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة، وذلك أن قاضيهم كان قليل العلم مزجى البضاعة، وهو شرف الدين الحراني، فلذلك نال أصحابهم ما نالهم، وصارت حالهم حالهم، وفي شهر رمضان جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوي يستأذن السلطان في بيع طائفة من قناديل الحرم النبوي لينفق ذلك ببناء مأذنة عند باب السلام الذي عند المطهرة، فرسم له بذلك، وكان في جملة القناديل قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار، فباع ذلك وشرع في بنائها وولى سراج الدين عمر قضاءها مع الخطابة فشق ذلك على الروافض.

وفي يوم الخميس ثاني عشر ذى القعدة وصل البريد من مصر بتولية القضاء لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن داود الأذرعى الحنفى قضاء الحنفية عوضاً [عن شمس الدين ابن الحسينى معزولا وبتولية الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين الفزارى خطابة دمشق عوضاً] ^(١) عن عمه

الشيخ شرف الدين توفى إلى رحمة الله ، وخلص عليهما بذلك وباشرا في يوم الجمعة ثالث عشر الشهر وخطب الشيخ برهان الدين خطبة حسنة حضرها الناس والأعيان ، ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة وآثر بقاءه على تدريس البادرانية حين بلغه أنها طلبت لتؤخذ منه ، فبقي منصب الخطابة شاغراً ونائب الخطيب يصلى بالناس ويخطب ، ودخل عيد الاضحى وليس للناس خطيب ، وقد كاتب نائب السلطنة في ذلك فجاء المرسوم بالزامه بذلك ، وفيه : لعلمنا بأهليته وكفايته واستمراره على ما بيده من تدريس البادرانية ، فباشرها القيسى جمال الدين ابن الرحي ، سعى في البادرانية فأخذها وباشرها في صفر من السنة الآتية بتوقيع سلطاني ، فعزل الفزاري نفسه عن الخطابة ولزم بيته ، فراسله نائب السلطنة بذلك ، فصمم على العزل وأنه لا يعود إليها أبداً ، وذكر أنه عجز عنها ، فلما تحقق نائب السلطنة ذلك أعاد إليه مدرسته وكتب له بها توقيعا بالعدد الأول من ذى الحجة وخلص على شمس الدين بن الخطيرى بنظر الخزانة عوضاً عن ابن الزمكاني . وحج بالناس الأمير شرف الدين حسن بن حيدر .
ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرحي ﴾

ابن سابق بن الشيخ يونس القيسى ودفن بزوايتهم التي بالشرق الشمالي بدمشق غربى الوراثة والعزية يوم الثلاثاء سابع المحرم . ﴿ الملك الاوحد ﴾
ابن الملك تقي الدين شادى بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك الجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى ، توفى بجبل الجرد في آخر نهار الأربعاء ثاني صفر ، وله من العمر سبع وخمسون سنة فنقل إلى تربتهم بالسفح ، وكان من خيار الملوك والدولة ، معظماً عند الملوك والأمراء ، وكان يحفظ القرآن وله معرفة بعلم ، ولديه فضائل .
﴿ الصدر علاء الدين ﴾

على بن معالى الانصارى الحرائى الحاسب ، يعرف بابن الزرير ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الحساب انتفع به جماعة ، توفى في آخر هذه السنة فجأة ودفن بقاسيون ، وقد أخذت الحساب عن الحاضرى عن علاء الدين الطيورى عنه .

﴿ الخطيب شرف الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري ، الشيخ الامام العلامة أخو العلامة شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن ، ولد سنة ثلاثين وسمع الحديث الكثير ، وانتفع على المشايخ في ذلك العصر كابن الصلاح وابن السخاوى وغيرها ، وتفقه وأفتى وناظر وبرع وساد أقرانه ، وكان أستاذاً في

العربية واللغة والقراءات وإيراد الأحاديث النبوية ، والتردد إلى المشايخ للقراءة عليهم ، وكان فصيح العبارة حلو المحاضرة ، لامتثل مجالسته ، وقد درس بالطبية ، وبالرباط الناصري مدة ، ثم تحول عنه إلى خطابة جامع جراح ، ثم انتقل إلى خطابة جامع دمشق بعد الفارق في سنة ثلاث ولم يزل به حتى توفي يوم الأربعاء عشية التاسع من شوال ، عن خمس وسبعين سنة ، وصلى عليه صبيحة يوم الخميس على باب الخطابة ، ودفن عند أبيه وأخيه بباب الصغير رحمهم الله ، وولى الخطابة ابن أخيه

﴿ شيخنا العلامة برهان الدين الحافظ الكبير الديمياطي ﴾

وهو الشيخ الامام العالم الحافظ شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الديمياطي ، حامل لواء هذا الفن - أعنى صناعة الحديث وعلم اللغة - في زمانه مع كبار السن والقدر ، وعلو الاسناد وكثرة الرواية ، وجودة الدراية ، وحسن التأليف وانتشار التصانيف ، وتردد الطلبة إليه من سائر الآفاق ، ومولده في آخر سنة ثلاث عشرة وستائة ، وقد كان أول سماعه في سنة ثنتين وثلاثين بالاسكندرية ، سمع الكثير على المشايخ ورحل وطاف وحصل وجمع فأوعى ، ولسكن مامنع ولا يخل ، بل بذل وصنف ونشر العلم ، وولى المناصب بالديار المصرية ، وانتفع الناس به كثيراً ، وجمع معجماً لمشايخه الذين لقيهم بالشام والحجاز والجزيرة والعراق وديار مصر يزيدون على ألف وثلثمائة شيخ ، وهو مجلدان ، وله الأربعمائة المتبانية الاسناد وغيرها وله كتاب في الصلاة الوسطى مفيد جداً ، ومصنف في صيام ستة أيام من شوال أفاد فيه وأجاد ، وجمع ما لم يسبق إليه ، وله كتاب الذكر والتسبيح عقيب الصلوات ، وكتاب القسلى في الاغتباط بثواب من يقدم من الافراط ، وغير ذلك من الفوائد الحسان ، ولم يزل في إسماع الحديث إلى أن أدرخته وفاته وهو صائم في مجلس الاملاء غشى عليه فحمل إلى منزله فمات من ساعته يوم الاحد عاشر ذى القعدة بالقاهرة ، ودفن من القدر بمقابر باب النصر وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله تعالى

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجون بالجلب من قلعة الجبل ، وفي يوم الأربعاء جاء البريد بتولية الخطابة للشيخ شمس الدين إمام الكلاسة وذلك في ربيع الأول ، وهنى بذلك فأظهر التكره لذلك والضعف عنه ، ولم يحصل له مباشرة لغيبه نائب السلطنة في الصيد ، فلما حضر أذن له فباشر يوم الجمعة العشرين من الشهر ، فأول صلاة صلاها الصبح يوم الجمعة ، ثم خلع عليه وخطب بها يومئذ ، وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول باشر نيابة الحكم عن القاضي نجم الدين أحمد بن عبد المحسن بن حسن المعروف بالدمشقي عوضاً عن تاج الدين بن صالح بن تامر بن خان الجعبرى ، وكان معمرًا قديم الهجرة كثير الفضائل ، دينا

ورعاً، جيد المباشرة، وكان قد ولي الحكم في سنة سبع وخمسين وستمائة، فلما ولي ابن صصرى كره نيابته. وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجديده توقيع للقاضي شمس الدين الأزرقى الحنفى، فظن الناس أنه بولاية القضاء لابن الحريرى فذهبوا ليهنشوه مع البريد إلى الظاهرية، واجتمع الناس لقراءة التقليد على العادة فشرع الشيخ علم الدين البرزالى في قراءته فلما وصل إلى الاسم تبين له أنه ليس له وأنه للأزرقى، فبطل القارئ وقام الناس مع البريدى إلى الأزرقى، وحصات كسرة وخمسة على الحريرى والحاضرین. ووصل مع البريدى أيضاً كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزملى كاتى إلى القاهرة، فتوهم من ذلك وخاف أصحابه عليه بسبب انتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية، فتلطف به نائب السلطنة، ودارى عنه حتى أعفى من الحضور إلى مصر، والله الحمد.

وفي يوم الخميس تاسع جمادى الأولى دخل الشيخ ابن براق إلى دمشق وبصحبه مائة فقير كلهم محلقى ذقونهم، وفرى شواربهم عكس ما وردت به السنة، وعلى رؤسهم قرون لبايد. ومعهم أجراس وكعاب وجواكين خشب، فنزلوا بالمنيبع وحضروا الجمعة برواق الحنابلة، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا، ثم استأذنوا في الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم، فعادوا إلى دمشق فصاموا بها رمضان ثم انشعروا راجعين إلى بلاد الشرق، إذ لم يجدوا بدمشق قبولا، وقد كان شيخهم براق روميا من بعض قرى دوقات من أبناء الأربعين، وقد كانت له منزلة عند قازان ومكانة، وذلك أنه سلط عليه نمرًا فزجره فهرب منه وتركه، فخطى عنده وأعطاه في يوم واحد ثلاثين ألفا ففرقها كلها فأحبه، ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاة، ومن ترك صلاة ضربوه أربعين جلدة، وكان يزعم أن طريقه الذى سلكه إنما سلكه ليخرب على نفسه، ويرى أنه زى المسخرة، وأن هذا هو الذى يليق بالدنيا، والمتصود إنما هو الباطن والقاب وعمارة ذلك، ونحن إنما نحكم بالظاهر، والله أعلم بالسراير.

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة حضر مدرس النجيبية بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز العجمى الحلبى، عوضا عن الشيخ ضياء الدين الطوسى توفى، وحضر عنده ابن صصرى وجماعة من الفضلاء، وفي هذه السنة صليت صلاة الرغائب في النصف بجامع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين، ولما كانت ليلة النصف حضر الحاجب ركن الدين بيبرس العلائى ومنع الناس من الوصول إلى الجامع ليلتئذ، وغلقت أبوابه فبات كثير من الناس في الطرقات وحصل للناس أذى كثير، وإنما أراد صيانة الجامع من اللغو والرفث والتخليط. وفي سابع عشر رمضان حكم القاضي تقي الدين الحنبلى بمحقن دم محمد الباجرى، وأثبت عنده محضرا

بعداوة ما بينه وبين الشهود الستة الذين شهدوا عليه عند المالكي ، حين حكم بآراقة دمه ، ومن شهد بهذه العداوة ناصر الدين بن عبد السلام و زين الدين بن الشريف عدنان ، وقطب الدين بن شيخ السالمية وغيرهم . وفيها بأمر كمال الدين بن الزملكاني نظر ديوان ملك الأمراء عوضا عن شهاب الدين الحنفي ، وذلك في آخر رمضان ، وخلع عليه بطيلسان وخلعة ، وحضر بها دار العدل . وفي ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين سلالار نائب مصر القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء فالقضاة الشافعي والمالكي والحنفي ، والفقهاء الباجي والجزري والنراوي ، وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من الحبس ، فاشتراط بعض الحاضرين عليه شروطا بذلك ، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة وأرسلوا إليه ليحضر ليتكلموا معه في ذلك ، فامتنع من الحضور وصمم ، وتكررت الرسل إليه ست مرات ، فصمم على عدم الحضور ، ولم يلتفت إليهم ولم يعدم شيئا ، فطال عليهم المجلس فنفروا وانصرفوا غير مأجورين .

وفي يوم الأربعاء ثاني شوال أذن نائب السلطنة الأفرم للقاضي جلال الدين القزويني أن يصلي بالناس ويخطب بجامع دمشق عوضا عن الشيخ شمس الدين إمام الكلاسة توفي ، فصلى الظهر يومئذ وخطب الجمعة واستمر بالإمامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة ، وفي مستهل ذي القعدة حضر نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان وشكرت خطبته . وفي مستهل ذي القعدة كل بناء الجامع الذي ابنتاه وعمره الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم عند الرباط الناصري بالصالحية ، ورتب فيه خطيبا يخطب يوم الجمعة وهو القاضي شمس الدين محمد بن العز الحنفي ، وحضر نائب السلطنة والقضاة وشكرت خطبة الخطيب به ، ومد الصاحب شهاب الدين الحنفي سماطا بعد الصلاة بالجامع المذكور وهو الذي كان الساعي في عمارته ، والمستحسث عليها ، فحجاء في غاية الاتقان والحسن ، تقبل الله منهم .

وفي ثالث ذي القعدة استناب ابن صصرى القاضي صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل الجعبري خطيب داريا في الحكم عوضا عن جلال الدين القزويني ، بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحكم ، وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة قدم قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ صفي الدين الحنفي البصرأوي إلى دمشق من القاهرة متوليا قضاء الحنفية عوضا عن الأزرعي ، مع ما بيده من تدريس النورية والمقدمية وخرج الناس لتلقيه وهنؤه ، وحكم بالنورية وقرئ تقليده بالمقصورة السكندرية في الزاوية الشرقية ، من جامع بني أمية . وفي ذي الحجة ولي الأمير عز الدين بن صبرة على البلاد القبلية والى الولاية ، عوضا عن الأمير جمال الدين آقوش الرستمي ، بحكم ولايته شدد الدواوين بدمشق ، وجاء كتاب من السلطان بولاية و كالتة للرئيس

عز الدين بن حمزة القلانسي عوضا عن ابن عمه شرف الدين ، فكره ذلك .

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ تقي الدين من الحبس الذي يقال له الحب فأرسل في طلبه فجيء به فقرأه على الناس فجعل يشكر الشيخ ويثني عليه وعلى علمه وديانته وشجاعته وزهده ، وقال ما رأيت مثله ، وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله ، وأنه لم يقبل من أحد شيئا لا من النفقات السلطانية ولا من الكسوة ولا من الادارات ولا غيرها ، ولا تدنس بشيء من ذلك .

وفي هذا الشهر يوم الخميس السابع والعشرين منه طلب أخوا الشيخ تقي الدين شرف الدين وزين الدين من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلار ، وحضر ابن مخلوف المالكي وطال بينهم كلام كثير فظهر شرف الدين بالحجة على القاضي المالكي بالنقل والدليل والمعرفة ، وخطأه في مواضع ادعى فيها دعاوى باطلة ، وكان الكلام في مسألة العرش ومسألة الكلام ، وفي مسألة النزول .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين ذى الحجة وصل على البريد من مصر نصر الدين محمد بن الشيخ نغر الدين بن أخي قاضي القضاة البصراوي ، وزوج ابنته على الحسبة بدمشق عوضا عن جمال الدين يوسف العجمي وخلع عليه بطيلسان ولبس الخلعة ودار بها في البلد في مستهل سنة سبع وسبعمائة ، وفي هذه السنة عمر في حرم مكة بنحو مائة ألف . وحج بالناس من الشام الأمير ركن الدين بيبرس المجنون .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ القاضي تاج الدين ﴾

صالح بن أحمد بن حامد بن علي الجعدي الشافعي نائب الحكم بدمشق ومفيد الناصرية ، كان ثقة دينا عدلا مرضيا زاهدا ، حكم من سنة سبع وخمسين وستمائة ، له فضائل وعلوم ، وكان حسن الشكل والهيئة ، توفى في ربيع الاول عن ست وسبعين سنة ، ودفن بالسفح وناب في الحكم بعده نجم الدين دمشقي . ﴿ الشيخ ضياء الدين الطوسي ﴾

أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن علي الشافعي مدرس النجيبية شارح الحاوي ، ومختصر ابن الحاجب كان شيخا فاضلا بارعا ، وأعاد في الناصرية أيضا ، توفى يوم الأربعاء بعد مرجعه من الحمام تاسع عشر من جمادى الاولى ، وصلى عليه يوم الخميس ظاهر باب النصر ، وحضر نائب السلطنة وجماعة من الأمراء والأعيان ، ودفن بالصوفية ، ودرس بعده بالمدرسة بهاء الدين بن العجمي .

﴿ الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي ﴾

المعروف بابن السوابلي ، والسوابل الطاسات . كان معظما ببلاد الشرق جدا ، كان تاجرا كبيرا توفى في هذا الشهر المذكور .

﴿ الشيخ الجليل سيف الدين الرجيعي ﴾

ابن سابق بن هلال بن يونس شيخ اليونانية بمقامهم ، صلى عليه سادس رجب بالجامع ثم أعيد إلى داره التي سكنها داخل باب توما ، وتعرف بدار أمين الدولة فدفن بها ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان والقضاة والأمراء ، وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضخماً الهامة جداً مخلوق الشعر ، وخلف أموالاً وأولاداً .

﴿ الامير فارس الدين الروادي ﴾

توفي في العشر الأخير من رمضان ، وكان قد رأى النبي ﷺ قبل وفاته بأيام وهو يقول له : أنت مغفور لك ، أو نحو هذا ، وهو من أمراء حسام الدين لاجين .

﴿ الشيخ القدوة العابد خطيب دمشق ﴾

شمس الدين محمد بن الشيخ أحمد بن عثمان الخلاطي إمام الكلاسة ، كان شيخاً حسناً بهي المنظر كثير العبادة ، عليه سكون ووقار ، باشر إمامة الكلاسة قريباً من أربعين سنة ثم طلب إلى أن يكون خطيباً بدمشق بالجامع من غير سؤال منه ولا طلب ، فباشرها ستة أشهر ونصف أحسن مباشرة ، وكان حسن الصوت طيب النغمة عارفاً بصناعة الموسيقى ، مع ديانة وعبادة ، وقد سمع الحديث توفي فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن ثنتين وستين سنة ، وصلى عليه بالجامع وقد امتلأ بالناس ، ثم صلى عليه بسوق الخليل وحضر نائب السلطنة والأمراء والعمامة ، وقد غلقت الأسواق ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعماية ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، والشيخ تقي الدين بن تيمية معتقل في قلعة الجبل بمصر ، وفي أوائل المحرم أظهر السلطان الملك الناصر الغضب على الامير ابن سلاور والباشنكبير وامتنع من العلامة وأغلق القلعة وتحصن فيها ، ولزم الأميران بيوتهما ، واجتمع عليهما جماعة من الأمراء وحوصرت القلعة وجرت خبطة عظيمة ، وغلقت الأسواق ، ثم أرسلوا السلطان فتأطدت الأمور وسكنت الشرور على دخن ، وتنافر قلوب وقوى الأميران أكثر مما كانا قبل ذلك وركب السلطان ووقع الصالح على دخن . وفي المحرم وقعت الحرب بين التتر وبين أهل كيلان ، وذلك أن ملك التتر طلب منهم أن يجوهلوا في بلادهم طريقاً إلى عسكره فامتنعوا من ذلك ، فأرسل ملك التتر خر بندا جيشاً كثيفاً ستين ألفاً من المقاتلة ، أربعين ألفاً مع قطوشاه وعشرين ألفاً مع جويان ، فأمهلهم أهل كيلان حتى توسطوا بلادهم ، ثم أرسلوا عليهم خليجاً من البحر ورموهم بالنفط ففرق كثير منهم واحترق آخرون ، وقتلوا بأيديهم طائفة كثيرة ، فلم يفلت منهم إلا القليل ، وكان فيمن

قتل أمير التتر الكبير قطلوشاه ، فاشتد غضب خر بندا على أهل كيلان ، ولكنه فرح بقتل قطلوشاه فانه كان يريد قتل خر بندا فكفى أمره عنهم ، ثم قتل بعده بولاي . ثم إن ملك التتر أرسل الشيخ براق الذي قدم الشام فيما تقدم إلى أهل كيلان يبلغهم عنه رسالة فقتلوه وأراحوا الناس منه ، و بلادهم من أحسن البلاد وأطيبها لا تستطاع ، وهم أهل سنهوا أكثرهم حنابلة لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم .

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين ابن تيمية في دار الأوحدي من قلعة الجبل ، وطال بينهما الكلام ثم تفرقا قبل الصلاة ، والشيخ تقي الدين مصمم على عدم الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجن إليه ، فلما خرج أقسم عليه لياتين معه إلى دارسلار ، فاجتمع به بعض الفقهاء بدارسلار وجرت بينهم بحث كثيرة ، ثم فرقت بينهم الصلاة ، ثم اجتمعوا إلى المغرب وبات الشيخ تقي الدين عند سلار ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميع النهار ، ولم يحضر أحد من القضاة بل اجتمع من الفقهاء خلق كثير ، أكثر من كل يوم ، منهم الفقيه نجم الدين بن رفع وعلاء الدين التاجي ، ونغر الدين بن بنت أبي سعد ، وعز الدين النراوي ، وشمس الدين بن عدنان وجماعة من الفقهاء وطلبوا القضاة فاعتذروا بأعذار ، بعضهم بالمرض ، وبعضهم بغيره ، لمعرفتهم بما ابن تيمية منطوى عليه من العلوم والادلة ، وأن أحداً من الحاضرين لا يطيقه ، فقبل عندهم نائب السلطنة ولم يكلفهم الحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم أو بفصل المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة وجاء الأمير حسام الدين مهنا يريد أن يستصحب الشيخ تقي الدين معه إلى دمشق ، فأشار سلار بإقامة الشيخ بمصر عنده ليرى الناس فضله وعلمه ، وينتفع الناس به ويستغلوا عليه . وكتب الشيخ كتاباً إلى الشام يتضمن ما وقع له من الأمور . قال البرزالي : وفي شوال منهاشكي الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين وكلوه في ابن عربي وغيره إلى الدولة ، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي ، فمقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منهاشي ، لكنه قال لا يستغاث إلا بالله ، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبارة ، ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله ^(١) فبعض الحاضرين قال ليس عليه في هذاشي ، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب ، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة ، فقال القاضي قد قلت له ما يقال لمثله ، ثم إن الدولة خيروه بين أشياء إما أن يسير إلى دمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختر الحبس فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزماً ما شرط ، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبراً لخواطرم ، فركب خيل

(١) المعروف في كتب ابن تيمية وترجمته لابن عبد الهادي : أنه لا يجوز هذا . فليحذر .

البريد ليلة الثامن عشر من شوال ثم أرسلوا خلفه من الغد بريدا آخر ، فردوه وحضر عند قاضي القضاة ابن جماعة وعنده جماعة من الفقهاء ، فقال له بعضهم : إن الدولة ماترضى إلا بالحبس ، فقال القاضي وفيه مصلحة له ، واستتاب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال : ما ثبت عليه شيء ، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي فحير ، فلما رأى الشيخ توقفهم في حبسه قال أنا ماضى إلى الحبس وأتبع ماتقتضيه المصلحة ، فقال نور الدين الزواوي : يكون في موضع يصلح لمثله فقبل له الدولة ماترضى إلا بسمى الحبس ، فأرسل إلى حبس القضاة في المسكان الذي كان فيه تقي الدين ابن بنت الأعر حين سجن ، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه ، وكان ذلك كله بإشارة نصر المنبجى لوجهته في الدولة ، فانه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير الذي تسلطن فيما بعد ، وغيره من الدولة ، والسلطان مقهور معه ، واستمر الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس ويزورونه ، وتأتته الفتاوى المشككة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس ، فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة . ثم عقد للشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله ، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير ، وأكب الناس على الاجتماع به ليلا ونهاراً . وفي سادس رجب باشر الشيخ كمال الدين بن الزملاكاني نظير ديوان المارستان عوضاً عن يوسف العجمي توفي ، وكان محتسباً بدمشق مدة فأخذها منه نجم الدين بن البصراوي قبل هذا بسنة أشهر ، وكان العجمي موصوفاً بالأمانة . وفي ليلة النصف من شعبان أبطلت صلاة ليلة النصف لكونها بدعة وصين الجامع من الغوغاء والرعاغ ، وحصل بذلك خير كثير والله الحمد والمنة .

وفي رمضان قدم الصدر نجم الدين البصراوي ومعه توقيع بنظر الخزانة عوضاً عن شمس الدين الخطيرى مضافاً إلى ما بيده من الحسبة ، ووقع في أواخر رمضان مطر قوى شديد ، وكان الناس لهم مدة لم يمطروا ، فاستبشروا بذلك ، ورخصت الأسعار ، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصلى من كثرة المطر ، فصاروا بالجامع ، وحضر نائب السلطنة فصلى بالمتصورة ، وخرج المحمل ، وأمير الحج عامئذ سيف الدين بلبان البدرى التقرى . وفيها حج القاضي شرف الدين البارزى من حماة . وفي ذى الحجة وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية مبدؤه من الفرن تجاهها الذي يقال له فرن العوتية ، ثم لطف الله وكف شرها وشررها .

قلت : وفي هذه السنة كان قدومنا من بصرى إلى دمشق بعد وفاة الوالد ، وكان أول ما سكننا بدرب سمور الذي يقال له درب ابن أبي الهيجاء بالصاغة العتيقة عند الطوريين ، ونسأل الله حسن العاقبة والخاتمة آمين .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الأمير ركن الدين بيبرس ﴾
 المعجمي الصالحى ، المعروف بالجالحق ، كان رأس الجدارية في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب
 وأمره الملك الظاهر . كان من أكبر الدولة كثير الاموال ، توفي بالرملة لأنه كان في قسم إقطاعه في
 نصف جمادى الأولى ، ونقل إلى القدس فدفن به .

﴿ الشيخ صالح الأحمدى الرطاعى ﴾

شبيخ المينبع ، كان التتر يكرمونه لما قدموا دمشق ، ولما جاء قطلوشاه نائب التتر نزل عنده ،
 وهو الذى قال للشيخ تقي الدين بن تيمية بالقصر : نحن ما ينفق حالنا إلا عند التتر ، وأما عند الشرع فلا .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، والشيخ تقي الدين قد أخرج من الحبس ،
 والناس قد عكفوا عليه زيارة وتعلما وإسنتاء وغير ذلك . وفى مستهل ربيع الأول أفرج عن الأمير
 نجم الدين خضر بن الملك الظاهر ، فأخرج من البرج وسكن دار الأفرم بالقاهرة ، ثم كانت وفاته
 فى خامس رجب من هذه السنة . وفى أواخر جمادى الأولى تولى نظر ديوان ملك الأمراء زين الدين
 الشريف ابن عدنان عوضا عن ابن الزملكاني ، ثم أضيف إليه نظر الجامع أيضا عوضا عن ابن
 الخطيرى ، وتولى نجم الدين بن الدمشقى نظر الأيتام عوضا عن نجم الدين بن هلال . وفى رمضان
 عزل صاحب أمين الدين الرفاقى عن نظر الدواوين بدمشق وسافر إلى مصر . وفيها عزل كمال الدين
 ابن الشريشى نفسه عن وكالة بيت المال وصمم على الاستمرار على العزل وعرض عليه العود فلم يقبل ،
 وحملت إليه الخلعة لما خاع على المباشرين فلم يلبسها ، واستمر معزولا إلى يوم عاشوراء من السنة
 الآتية ، فجدد تقليده وخلع عليه فى الدولة الجديدة .

وفيها خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية قاصداً الحج ، وذلك فى السادس
 والعشرين من رمضان ، وخرج معه جماعة من الامراء لتوديعه فردم ، ولما اجتاز بالكرك عدل إليها
 فنصب له الجسر ، فلما توسطه كسر به فسلم من كان أمامه وقفز به الفرس فسلم ، وسقط من كان وراءه
 وكانوا خمسين مات منهم أربعة وتمشتم أكثرهم فى الوادى الذى تحت الجسر ، وبقي نائب الكرك
 الأمير جمال الدين آقوش خجلا يتوهم أن يكون هذا يظنه السلطان عن قصد ، وكان قد عمل
 للسلطان ضيافة غرم عليها أربعة عشر ألفا فلم يقع الموقع لاشتغال السلطان بهم وما جرى له ولأصحابه
 ثم خلع على النائب وأذن له فى الانصراف إلى مصر فسافر ، واشتغل السلطان بتدبير المملكة فى الكرك
 وحدها ، وكان يحضر دار العدل ويباشر الأمور بنفسه ، وقدمت عليه زوجته من مصر ، فذكرت
 له ما كانوا فيه من ضيق الحال وقلة النفقات .

﴿ ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير بشيخ^(١) المنبجى عدو ابن تيمية ﴾

لما استقر الملك الناصر بالكرك وعزم على الإقامة بها كتب كتابا إلى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة ، فأثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم نفذ على قضاة الشام وبيع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير في السلطنة في الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بعد العصر ، بدار الأمير سيف الدين سلار ، اجتمع بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم وبايموه وخاطبوه بالملك المظفر ، وركب إلى القلعة ومشوا بين يديه ، وجلس على سرير المملكة بالقلعة ، ودقت البشائر وسارت البريدية بذلك إلى سائر البلدان . وفي مستهل ذي القعدة وصل الأمير عز الدين البغدادى إلى دمشق فاجتمع بنائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان بالقصر الابلق فقرأ عليهم كتاب الناصر إلى أهل مصر ، وأنه قد نزل عن الملك وأعرض عنه ، فأثبته القضاة وامتنع الحنبلى من إثباته وقال : ليس أحد يترك الملك مختاراً ، ولولا أنه مضطهد ما تركه ، فمزل وأقيم غيره ، واستحلهم للسلطان الملك المظفر ، وكتبت العلامة على القلعة ، وألقابه على محال المملكة ، ودقت البشائر وزينت البلد ، ولما قرئ كتاب الملك الناصر على الأمراء بالقصر ، وفيه : إني قد صحبت الناس عشر سنين ثم اخترت المقام بالكرك ، تباكى جماعة من الأمراء وبايعوا كالمكرهين ، وتولى مكان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الأمير سيف الدين بن على ، ومكان ترعى سيف الدين بنمخاض ، ومكان بنمخاض الأمير جمال الدين آقوش الذى كان نائب الكرك ، وخطب للمظفر يوم الجمعة على المنابر بدمشق وغيرها ، وحضر نائب السلطنة الأفرم والقضاة ، وجاءت الخلع وتقليد نائب السلطنة فى تاسع عشر ذي القعدة ، وقرأ تقليد النائب كاتب السر القاضى محيى الدين بن فضل الله بالقصر بمحضرة الأمراء ، وعليهم الخلع كلهم . وركب المظفر بالخلعة السوداء الخليفية ، والعمامة المدورة والدولة بين يديه عليهم الخلع يوم السبت سابع ذي القعدة ، والصاحب ضياء الدين النسائى حامل تقليد السلطان من جهة الخليفة فى كيس أطلس أسود ، وأوله : إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ويقال إنه خلع فى القاهرة قريب ألف خلعة ومائتى خلعة ، وكان يوماً مشهوداً ، وفرح بنفسه أياما يسيرة ، وكذا شيخه المنبجى ، ثم أزال الله عنهما نعمته سرعياً . وفيها خطب ابن جماعة بالقلعة وباشر الشيخ علاء الدين القونوى تدريس الشريفة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح عثمان الحلبونى ﴾

أصله من صعيد مصر ، فأقام مدة بقرية حلبون وغيرها من تلك الناحية ، ومكث مدة لا يأتى كل الخبز ، واجتمع عليه جماعة من المريدين وتوفى بقرية برارة فى أواخر المحرم ، ودفن بها وحضر جنازته نائب الشام والقضاة وجماعة من الأعيان .

(١) كذا فى الاصل . ولعلها « بسى » أو نحوها .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو الحسن علي بن محمد بن كثير الحراني الحنبلي إمام مسجد عطية ، ويعرف بابن المقرئ روى الحديث وكان فقيها بمدارس الحنابلة. ولد بجران سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وتوفي بدمشق في العشر الأخير من رمضان ، ودفن بسفح قاسيون ، وتوفي قبله الشيخ زين الدين الحراني بغزة ، وعمل عزائه بدمشق رحمهما الله . ﴿ السيد الشريف زين الدين ﴾

أبو علي الحسن بن محمد بن عدنان الحسيني نقيب الاشراف ، كان فاضلا بارعا فصيحاً متكلماً ، يعرف طريقة الاعتزال ويباحث الامامية ، ويناظر على ذلك بمحضرة القضاة وغيرهم ، وقد باشر قبل وفاته بقليل نظار الجامع ونظر ديوان الأفرم ، توفي يوم الخامس من ذي القعدة عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بترتهم بباب الصغير . ﴿ الشيخ الجليل ظهير الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن منعة البغدادي ، شيخ الحرم الشريف بمكة بعد عمه عفيف الدين منصور بن منعة ، وقد سمع الحديث وأقام ببغداد مدة طويلة ، ثم سار إلى مكة ، بعد وفاة عمه ، فتولى مشيخة الحرم إلى أن توفي .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة ﴾

استهلت وخليفة الوقت المستكنفي أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين سلار ، وبالشام آقوش الأفرم ، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها . وفي ليلة سابع صفر توجه الشيخ آقوش الدين ابن تيمية من القاهرة إلى الاسكندرية صحبة أمير مقدم ، فأدخله دار السلطان وأنزله في برج منها فسيح متسع الأكناف ، فكان الناس يدخلون عليه ويشتهلون في سائر العوم ، ثم كان بعد ذلك يحضر الجمعات ويعمل المواعيد على عادته في الجامع ، وكان دخوله إلى الاسكندرية يوم الأحد ، وبعد عشرة أيام وصل خبره إلى دمشق فحصل عليه ألم وخافوا عليه غائلة الجاشنكير وشيخه المنبجي ، فتضاعف له الداء ، وذلك أنهم لم يمكنوا أحداً من أصحابه أن يخرج معه إلى الاسكندرية ، فضاقت له الصدور ، وذلك أنه تمكن منه عدوه نصر المنبجي . وكان سبب عداوته له أن الشيخ آقوش الدين كان ينال من الجاشنكير ومن شيخه نصر المنبجي ، ويقول : زالت أيامه وانتهت رياسته ، وقرب انقضاء أجله ، ويتكلم فيهما وفي ابن عربي وأتباعه ، فأرادوا أن يسيروه إلى الاسكندرية كهيئة المنفي لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة ، فما زاد ذلك الناس إلا محبة فيه وقرباً منه وانتفاعاً به واشتغالاً عليه ، وحنوا وكرامة له . وجاء كتاب من أخيه يقول فيه : إن الأخ الكريم قد نزل بالفرج المحروس على نية الرباط ، فان أعداء الله قصدوا بذلك أمورا يكيدونه بها ويكيدون الاسلام وأهله ،

وكانت تلك كرامة في حقنا ، وظنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة وانعكست من كل الوجوه ، وأصبحوا وأمسوا وما زالوا عند الله وعند الناس العارفين بسود الوجوه يتقطعون حسرات وندما على ما فعلوا ، وانقلب أهل الثغر أجمعين إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له وفي كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين ، وذلك شجى في حلوق الأعداء واتفق أنه وجد بالاسكندرية إبليس قد باض فيها وفرخ وأضل بها فرق السبعينية والعريضة ففرق الله بقدومه عليهم شملهم ، وشقت جموعهم شذر مذر ، وهتك أستارهم وفضحهم ، واستتاب جماعة كثيرة منهم ، وتوب رئيسا من رؤسائهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفتية ، ومفتى وشيخ وجماعة المجتهدين ، إلا من شذ من الأعمار الجبال ، مع الذلة والصفار - محبة الشيخ وتعظيمه وقبول كلامه والرجوع إلى أمره ونهيه ، فعلت كلمة الله بها على أعداء الله ورسوله ، ولعنوا سرا وجهرا وباطنا وظاهرا ، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم ، وصار ذلك عند نصر المنبجى المقيم المقعد ، ونزل به من الخوف والذل ما لا يعبر عنه ، وذكر كلاما كثيرا .

والمقصود أن الشيخ اتقى الدين أقام بثغر الاسكندرية ثمانية أشهر مقبلا ببرج متسع مليح نظيف له شبا كان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان يدخل عليه من شاء ، ويتردد إليه الأكبر والأعيان والفقهاء ، يقرؤن عليه ويستفيدون منه ، وهو في أطيب عيش وأشرح صدر .

وفي آخر ربيع الأول عزل الشيخ كمال الدين بن الزمكاني عن نظر المارستان بسبب انتمائه إلى ابن تيمية بإشارة المنبجى ، وباشره شمس الدين عبد القادر بن الخطيرى . وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر ولى قضاء الحنابلة بمصر الشيخ الامام الحافظ سعد الدين أبو محمود مسعود بن أحمد ابن مسعود بن زين الدين الحارثى ، شيخ الحديث بمصر ، بعد وفاة القاضى شرف الدين أبي محمد عبدالغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحارثى . وفي جمادى الأولى برزت المراسيم السلطانية المظفرية إلى البلاد السواحلية بإبطال الخور وتخريب الحانات ونفى أهلها ، ففعل ذلك وفرح المسلمون بذلك فرحاشديدا . وفي مستهل جمادى الآخرة وصل بر يد بتولية قضاء الحنابلة بدمشق لاشيخ شهاب الدين أحمد بن شريف الدين حسن بن الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى ، عوضا عن النقى سليمان بن حمزة بسبب تكلمه في نزول الملك الناصر عن الملك ، وأنه إنما نزل عنه مضطهدا بذلك ، ليس بمختار ، وقد صدق فيما قال . وفي عشرين جمادى الآخرة وصل البريد بولاية شد الدواوين للأمر سيف الدين بكتمر الحاجب ، عوضا عن الرستمى فلم يقبل ، وبنظر الخزانة للأمر عز الدين أحمد بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود المعروف بابن القلانسى ، فباشرها وعزل عنها البصراوى محتسب البلاد . وفي هذا الشهر باشرقاضى القضاة ابن جماعة مشيخة سعيد السعداء

بالقاهرة يطلب الصوفية له ، ورضوا منه بالحضور عندهم في الجمعة مرة واحدة ، وعزل عنها الشيخ كريم الدين الايكي ، لأنه عزل منها الشهود ، فناروا عليه وكتبوا في حقه محاضر بأشياء قاذحة في الدين ، فرسم بصرفه عنهم ، وعومل بنظير ما كان يعامل به الناس ، ومن جملة ذلك قيامه على شيخ الاسلام ابن تيمية وافتراؤه عليه الكذب ، مع جهله وقلة ورعه ، فعجل الله له هذا الخزي على يدي أصحابه وأصدقائه جزاء وفاقا .

وفي شهر رجب كثرت الخوف بدمشق وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها ، وسبب ذلك أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من الكرك قاصداً دمشق يطلب عوده إلى الملك ، وقد ملأه جماعة من الأمراء وكاتبوه في الباطن وناصحوه ، وقفز إليه جماعة من أمراء المصريين ، وتحدث الناس بسفر نائب دمشق الأفرم إلى القاهرة ، وأن يكون مع الجم الغفير ، فاضطرب الناس ولم تفتح أبواب البلد إلى ارتفاع النهار ، وتخبطت الأمور ، فاجتمع القضاة وكثير من الأمراء بالقصر وجددوا البيعة للملك المظفر ، وفي آخر نهار السبت غلقت أبواب البلد بعد العصر وازدحم الناس ببياب النصر وحصل لهم تمب عظيم ، وازدحم البلد بأهل القرى وكثر الناس بالبلد ، وجاء البريد بوصول الملك الناصر إلى الحنان ، فانزعج نائب الشام لذلك وأظهر أنه يريد قتاله ومنعه من دخول البلد ، وقفز إليه الاميران ركن الدين بيبرس الحنون ، وبيبرس العلى ، وركب إليه الامير سيف الدين بكتمر حاجب الحجاب يشير عليه بالرجوع ، وبخبره بأنه لا طاقة له بقتال المصريين ، ولحقه الأمير سيف الدين بها درا يشير عليه بمثل ذلك ، ثم عاد إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رجب وأخبر أن السلطان الملك الناصر قد عاد إلى الكرك ، فسكن الناس ورجع نائب السلطنة إلى القصر ، وتراجع بعض الناس إلى مساكنهم ، واستقروا بها .

﴿ صفة عود الملك الناصر ﴾

« محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك وزوال دولة المظفر الجاشنكير بيبرس
وخذلانه وخذلان شيخه نصر المنبجى الاتحادى الحلولى »

لما كان ثالث عشر شعبان جاء الخبر بقدم الملك الناصر إلى دمشق ، فساق إليه الأميران سيف الدين قطلوبك والحاج بهادر إلى الكرك ، وحضاه على الحجى إليها ، واضطرب نائب دمشق وركب في جماعة من أتباعه على الهجن في سادس عشر شعبان ومعه ابن صبيح صاحب شقيف أربون ، وهيئت بدمشق أهبة السلطنة والاقامات اللائقة به ، والعصائب والكوسات ، وركب من الكرك في أهبة عظيمة ، وأرسل الأمان إلى الأفرم ، ودعاه المؤذنون في المأذنة ليلة الاثنين سابع عشر شعبان ، وصبح بالدعاء له والسرور بذكوره ، ونودى في الناس بالأمان ، وأن يفتحوا دكاكينهم

ويأمنوا في أوطانهم ، وشرع الناس في الزينة ودقت البشار ونام الناس في الاسطحة ليلة الثلاثاء ليتفرجوا على السلطان حين يدخل البلد ، وخرج القضاة ، والامراء والأعيان لتلقيه .

قال كاتبه ابن كثير : وكنت فيمن شاهد دخوله يوم الثلاثاء وسط النهار في أهبة عظيمة وبسط له من عند المصلى وعليه أهبة الملك وبسطت الشقاق الحري بر تحت أقدام فرسه ، كلما جاوز شقة طويت من ورائه ، والجد على رأسه والامراء الساحدارية عن يمينه وشماله ، وبين يديه ، والناس يدعون له ويضجون بذلك ضجيجا عاليا ، وكان يوماً مشهوداً . قال الشيخ علم الدين البرزالي : وكان على السلطان يومئذ عمامة بيضاء ، وكاوثة حمراء ، وكان الذي حمل الغاشية على رأس السلطان الحاج بهادر وعليه خلعة معظمة مذهبة بفر و فاخم . ولما وصل إلى القلعة نصب له الجسر ونزل إليه نائبها الأمير سيف الدين السنجري ، فقبل الأرض بين يديه ، فأشار إليه إلى الآن لأنزل ههنا ، وسار بفرسه إلى جهة القصر الأبلق والامراء بين يديه ، فخطب له يوم الجمعة .

وفي بكرة يوم السبت الثاني والعشرين من الشهر وصل الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق مطيعاً للسلطان ، فقبل الأرض بين يديه ، فترجل له السلطان وأكرمه وأذن له في مباشرة النيابة على عادته ، وفرح الناس بطاعة الأفرم له ، ووصل إليه أيضا الأمير سيف الدين قبيجق نائب حماة ، والامير سيف الدين استنمر نائب طرابلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من شعبان ، وخرج الناس لتلقيهما ، وتلقاهما السلطان كما تلقى الأفرم . وفي هذا اليوم رسم السلطان بتقليد قضاء الخنابلة وعوده إلى تقي الدين سايمان ، وهناك الناس وجاء إلى السلطان إلى القصر فسلم عليه ومضى إلى الجوزية فحكّم بها ثلاثة أشهر ، وأقيمت الجمعة الثانية بالميدان وحضر السلطان والقضاة إلى جانبه ، وأكبر الامراء والدولة ، وكثير من العامة . وفي هذا اليوم وصل إلى السلطان الامير قراسنقر المنصوري نائب حلب وخرج دهليز السلطان يوم الخميس رابع رمضان ومعه القضاة والقراء وقت العصر ، وأقيمت الجمعة خامس رمضان بالميدان أيضاً ، ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان ، وفي صحبته ابن صصرى وصدر الدين الحنفي قاضي المساكر ، والخطيب جلال الدين ، والشيخ كمال الدين بن الزملاكنى ، والموقعون وديوان الجيش وحيش الشام بكامله قد اجتمعوا عليه من سائر مدنه وأقاليمه بنوا به وأمرائه ، فلما انتهى السلطان إلى غزة دخلها في أهبة عظيمة ، وتلقاه الأمير سيف الدين بهادر هو وجماعة من أمراء المصريين ، فأخبروه أن الملك المظفر قد خلع نفسه من المملكة ، ثم تواتر قدوم الامراء من مصر إلى السلطان وأخبروه بذلك ، فطابت قلوب الشاميين واستبشروا بذلك ودقت البشار وتأخر مجي البريد بصورة الناصري .

واتفق في يوم هذا العيد أنه خرج نائب الخطيب الشيخ تقي الدين الجزري المعروف بالمقضى في السناجق إلى المصلى على العادة ، واستناب في البلد الشيخ مجد الدين التونسي ، فلما وصلوا إلى المصلى وجدوا خطيب المصلى قد شرع في الصلاة فنصبت السناجق في صحن المصلى وصلى بينهما تقي الدين المقضى ثم خطب ، وكذلك فعل ابن حسان داخل المصلى ، فمقد فيه صلاتان وخطبتان يومئذ ، ولم يتفق مثل هذا فيما نعلم .

وكان دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل آخر يوم عيد الفطر من هذه السنة ، ورسم اسلار أن يسافر إلى الشوبك ، واستناب بمصر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار الذي كان نائب صغد ، وبالشام الأمير قراسنقر المنصوري ، وذلك في العشرين من شوال ، واستوزر الصاحب نجر الدين الخليلي بعدها بيومين ، وبأشر القاضي نجر الدين كاتب الممالك نظر الجيوش بمصر بعد بهاء الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن المظفر الحلبي ، توفي ليلة الجمعة عاشر شوال ، وكان من صدور المصريين وأعيان الكبار ، وقدرى شيئا من الحديث ، وصرف الأمير جمال الدين آقوش الأفرم إلى نيابة صرخند وقدم إلى دمشق الأمير زين الدين كتبغا رأس نوبة الجسدارية شد الدواوين ، وأستاذ دار الاستادارية عوضا عن سيف الدين أقجبا ، وتغيرت الدولة وانقلبت قلعة عظيمة . قال الشيخ علم الدين البرزالي : ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ تقي الدين بن تيمية من الاسكندرية معززا مكرما مبجلا ، فوجه إليه في ثاني يوم من شوال بعد وصوله بيوم أو يومين ، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر وخرج مع الشيخ خاتق من الاسكندرية يودعونه ، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه وتلقاه ومشى إليه في مجاس حفل ، فيه قضاة المصريين والشاميين ، وأصلح بينه وبينهم ، ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، والناس يترددون إليه ، والامراء والجنود وكثير من الفقهاء والقضاة منهم من يعتذر إليه ويتصل مما وقع منه ، فقال أنا حالت كل من أذاني .

قلت : وقد أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي بتفاصيل هذا المجلس وما وقع فيه من تعظيمه وإكرامه مما حصل له من الشكر والمدح من السلطان والحاضرين من الأمراء ، وكذلك أخبرني بذلك قاضي القضاة منصور الدين الحنفي ، ولكن أخبار ابن القلانسي أكثر تفصيلا ، وذلك أنه كان إذ ذاك قاضي العساكر ، وكلاهما كان حاضرا هذا المجلس ، ذكر لي أن السلطان لما قدم عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية نهض قائما للشيخ أول مارآه ، ومشى له إلى طرف الايوان واعتنقا هناك هنيئة ، ثم أخذ معه ساعة إلى طبقة فيها شبك إلى بسنان فجلسا ساعة يتحدثان ، ثم جاء ويد الشيخ في يد السلطان ، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضي مصر ، وعن يساره ابن

الخليلي الوزير ، وتحتة ابن صصرى ، ثم صدر الدين على الخنفي ، وجلس الشيخ تقي الدين بين يدي السلطان على طرف طراحته ، وتكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمام البيض بالعلماء ، وأنهم قد التزموا للديوان بسبع مائة ألف في كل سنة ، زيادة على الحالية ، فسكت الناس وكان فيهم قضاة مصر والشام وكبار العلماء من أهل مصر والشام من جملتهم ابن الزملكاني . قال ابن القلانسي : وأنا في مجلس السلطان إلى جنب ابن الزملكاني ، فلم يتكلم أحد من العلماء ولا من القضاة ، فقال لهم السلطان : ما تقولون ؟ يستفتيهم في ذلك ، فلم يتكلم أحد ، فغشى الشيخ تقي الدين على ركبتيه وتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ورد على الوزير ما قاله ردا عنيفا ، وجعل يرفع صوته والسلطان يتلافاه ويسكته بترفق وتؤدة وتوقير . وبالغ الشيخ في الكلام وقال مالا يستطيع أحد أن يقوم بمثله ، ولا يقرب منه ، وبالغ في التشنيع على من يوافق في ذلك . وقال للسلطان : حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أهبة الملك تنصرف فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الغانية ، فاذا كر نعمة الله عليك إذ رد ملكك إليك ، وكبت عدوك ونصرك على أعدائك فذاكر أن الجاشنكير هو الذي جدد عليهم ذلك ، فقال : والذي فعله الجاشنكير كان من مراسيمك لأنه إنما كان نائبا لك ، فأعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك ، وجرت فصول يطول ذكرها . وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين ، ودينه وزينته وقيامه بالحق وشجاعته ، وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه ، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه ، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير ، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضا ، وأخذ يحثه بذلك على أن يقتله في قتل بعضهم ، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سمعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير ، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء ، وينكر أن ينال أحدا منهم بسوء ، وقال له : إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم ، فقال له إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك صرارا ، فقال الشيخ من آذاني فهو في حل ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، وأنا لا أنتصر لنفسي ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح .

قال وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا ، ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وعاد إلى بث العلم ونشره ، وأقبلت الخلق عليه ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه ويحجبههم بالكتابة والقول ، وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه فقال : قد جعلت الكل في حل ، وبعث الشيخ كتابا إلى أهله يذكر ما هو فيه من نعم الله وخيره الكثير ، ويطلب منهم جملة من كتب

العلم التي له ويستعينوا على ذلك بجمال الدين المزي ، فانه يدري كيف يستخرج له ما يريد من الكتب التي أشار إليها ، وقال في هذا الكتاب : والحق كل ماله في علو وازدياد وانتصار ، والباطل في انخفاض وسفول واضلال ، وقد أذل الله رقاب الخوصم ، وطلب أكابره من السلم ما يطول وصفه ، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الاسلام والسنة ، وما فيه قمع الباطل والبدعة ، وقد دخلوا تحت ذلك كله وامتنعنا من قبول ذلك منهم ، حتى يظهر إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجيبهم إلى مطالبهم حتى يصير المشروط معمولاً ، والمذكور مفعولاً ، ويظهر من عز الاسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم ، وذكر كلاماً طويلاً يتضمن ما جرى له مع السلطان في قمع اليهود والنصارى وذهم ، وتركهم على ما هم عليه من الذلة والصغار والله سبحانه أعلم .

وفي شوال أمسك السلطان جماعة من الأمراء قريبا من عشرين أميرا ، وفي سادس عشر شوال وقع بين أهل حوران من قيس وبين قتل منهم مقتلة عظيمة جدا ، قتل من الفريقين نحو من ألف نفس بالقرب من السوداء ، وهم يسمونها السويداء ، ووقعة السويداء ، وكانت الكسرة على يمين فهر بوا من قيس حتى دخل كثير منهم إلى دمشق في أسوأ حال وأضعفه ، وهربت قيس خوفا من الدولة ، وبقيت القرى خالية والزروع سائبة . فانا لله وإنا اليه راجعون .

وفي يوم الأربعاء سادس القعدة قدم الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائبا على حلب فنزل القصر ومعه جماعة من أمراء المصريين ، ثم سافر إلى حلب بمن معه من الأمراء والأجناد واجتاز الأمير سيف الدين بهادر بدمشق ذاهبا إلى طرابلس نائبا والفتوحات السواحلية عوضا عن الأمير سيف الدين استدرم ، ووصل جماعة ممن كان قد سافر مع السلطان إلى مصر في ذى القعدة منهم قاضي قضاة الحنفية صدر الدين ، ومحيي الدين بن فضل الله وغيرهما ، فقامت وجلست يوماً إلى القاضي صدر الدين الحنفي بعد مجيئه من مصر فقال لي أحب ابن تيمية ؟ قلت : نعم ، فقال لي وهو يضحك : والله لقد أحببت شيئا مليحاً ، وذكر لي قريبا مما ذكر ابن القلانسي ، لكن سياق ابن القلانسي أتم .

﴿ ذكر مقتل الجاشنكيرى ﴾

كان قد فر الخبيث في جماعة من أصحابه ، فلما خرج الأمير سيف الدين قر استقر المنصوري من مصر متوجها إلى نيابة الشام عوضا عن الافرم ، فلما كان بغزة في سابع ذى القعدة ضرب حلقة لأجل الصيد ، فوقع في وسطها الجاشنكيرى في ثلاثمائة من أصحابه فأحيط بهم وتفرق عنه أصحابه فأمسكوه ورجع معه قر استقر وسيف الدين بهادر على المعجن ، فلما كان بالخطارة تلقاهم استدرم فسلمن منهم

ورجعا إلى عسكريهم ، ودخل به استدمر على السلطان فعاتبه ولامه ، وكان آخر العهد به ، قتل ودفن بالقرافة ولم ينفعه شيخه المنبجي ولا أهواله ، بل قتل شر قتلة ودخل قراسنقر دمشق يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة فنزل بالقصر ، وكان في صحبته ابن صصرى وابن الزمليكانى وابن القلاندى وعلاء الدين بن غانم وخاق من الامراء المصريين والشاميين ، وكان الخطيب جلال الدين القزوينى قد وصل قباهم يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر ، وخطب يوم الجمعة على عادته ، فلما كان يوم الجمعة الأخرى وهو التاسع والعشرون من الشهر خطب بجامع دمشق القاضى بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حداد الحنبلى عن إذن نائب السلطنة ، وقرأه تقليده على المنبر بعد الصلاة بحضرة القضاة والاكابر والأعيان ، وخلع عليه عقيب ذلك خلعة سنوية ، واستمر يباشر الامامة والخطابة اثنين وأربعين يوما ، ثم أعيد الخطيب جلال الدين بمرسوم سلطاني وباشر يوم الخميس ثانى عشر المحرم من السنة الآتية .

وفى ذى الحجة درس كمال الدين بن الشيرازى بالمدرسة الشامية البرانية ، أنزعهما من يد الشيخ كمال الدين بن الزمليكانى ، وذلك أن استدمر ساعده على ذلك . وفيها أظهر ملك التتر خر بندا الرافض فى بلاده ، وأمر الخطباء أولا أن لا يذكر وا فى خطبتهم إلا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأهل بيته ، ولما وصل خطيب بلاد الازج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاء شديداً وبكى الناس معه ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة ، فأقيم من أممها عنه وصلى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة فانالله وإنا إليه راجعون . ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تحبيط الدولة وكثرة الاختلاف «وممن توفى فيها من الاعيان»

﴿ الخطيب ناصر الدين أبو الهدى ﴾

أحمد بن الخطيب بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب العقبية بداره بها وقد باشر نظر الجامع الاموى وغير ذلك ، توفى يوم الاربعاء النصف من المحرم ، وصلى عليه بجامع العقبية ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وقد روى الحديث وباشر الخطابة بعد والده بدر الدين وحضر عنده نائب السلطنة والقضاة والأعيان .

﴿ قاضى الحنابلة بمصر ﴾

شرف الدين أبو محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر الحرانى ولد بمران سنة خمس وأربعين وستائة ، وسمع الحديث وقدم مصر فباشر نظر الخزانة وتدريس الصالحية ثم أضيف إليه القضاء ، وكان مشكور السيرة كثير المسكارم توفى ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الاول ودفن بالقرافة ، وولى بعده سعد الدين الحرانى كما تقدم .

﴿ الشيخ نجم الدين ﴾

أيوب بن سليمان بن مظفر المصري المعروف بمؤذن النجيبى ، كان رئيس المؤذنين بجامع دمشق ونقيب الخطباء ، وكان حسن الشكل رفيع الصوت ، واستمر بذلك نحو من خمسين سنة إلى أن توفى فى مستهل جمادى الأولى . وفى هذا الشهر توفى .

﴿ الأمير شمس الدين سنقر الأعسر المنصورى ﴾

تولى الوزارة بمصر مع شد الدواوين معاً ، وباشر شد الدواوين بالشام مرات ، وله دار وبستان بدمشق مشهوران به ، وكان فيه نهضة وله همة عالية وأمور كثيرة ، توفى بمصر .

﴿ الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الرسمى ﴾

شاد الدواوين بدمشق ، وكان قبل ذلك والى الولاية بالجهة القبليّة بعد الشرفى ، وكانت له سطوة توفى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الأولى ودفن ضحوة بالقبة التى بناها تجاه قبة الشيخ رسلان ، وكان فيه كفاية وخبرة . وباشر بعده شد الدواوين أقبجا . وفى شعبان أوفى رجب توفى .

﴿ التاج ابن سعيد الدولة ﴾

وكان مسلمانيا وكان سفير الدولة ، وكانت له مكانة عند الجاشنكير بسبب صحبته لنصر المنبجى شيخ الجاشنكير ، وقد عرضت عليه الوزارة فلم يقبل ، ولما توفى تولى وظيفته ابن أخته كريم الدين الكبير .

﴿ الشيخ شهاب الدين ﴾

أحمد بن محمد بن أبى المكارم بن نصر الاصبهانى رئيس المؤذنين بالجامع الأموى ، ولد سنة اثنتين وستائة ، وسمع الحديث وباشر وظيفة الأذان من سنة خمس وأربعين إلى أن توفى ليلة الثلاثاء خامس ذى القعدة ، وكان رجلاً جيداً والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة عشر وسبعائة ﴾

استهات وخليفة لونت المستكفى بالله أبو الربيع سايمان العبادى ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، والشيخ اتقى الدين بن تيمية مقيم بمصر معظماً مكرماً ، ونائب مصر الأمير سيف الدين بكتمر أمير خزنندار ، وقضاته هم المذكورون فى التى قبلها ، سوى الخنبلى فانه سعد الدين الحارثى ، والوزير بمصر نغر الدين الخليلى ، وناظر الجيوش نغر الدين كاتب الممالك ، ونائب الشام قرا سنقر المنصورى ، وقضاة دمشق هم هم ، ونائب حاب قبجق ، ونائب طرابلس الخاج بهادر والأفرم بصرخد .

وفى محرم منها باشر الشيخ أهين الدين سالم بن أبى الدرين وكيل بيت المال إمام مسجد هشام تدريس الشامية الجوانية ، والشيخ صدر الدين سايمان بن موسى الكردى تدريس العندراوية ، كلاهما

انتزعها من ابن الوكيل بسبب إقامته بمصر ، وكان قد وفد إلى المظفر فألزمه رواتب لانتماؤه إلى المنبجى ، ثم عاد بتوقيع ساطاني إلى مدرستييه ، فأقام بهما شهراً أو سبعة وعشرين يوماً ، ثم استعادها منه ورجعنا إلى المدرسين الأواين : الأيمن سالم ، والصدر الكردي ، ورجع الخطيب جلال الدين إلى الخطابة في سابع عشر المحرم ، وعزل عنها البدر بن الحداد ، وباشر الصاحب شمس الدين نظر الجامع والأمرى والأوقاف قاطبة يوم الاثنين ، ثم خلع عليه وأضيف إليه شرف الدين بن صصرى في نظر الجامع ، وكان ناظره مستقلاً به قبلهما . وفي يوم عاشوراء قدم استد مر إلى دمشق متولياً نيابة حماة ، وسافر إليها بعد سبعة أيام .

وفي المحرم باشر بدر الدين بن الحداد نظر المارستان عوضاً عن شمس الدين بن الخطيرى وقعت منازعة بين صدر الدين بن المرحد وبين الصدر سليمان الكردي بسبب العذراوية ، وكتبوا إلى الوكيل محضراً يتضمن من القبائح والنضائح والكفريات على ابن الوكيل ، فبادر ابن الوكيل إلى القاضى اتقى الدين سليمان الحنبلى ، فحكم بإسلامه وحقق دمه ، وحكم باسقاط التعزير عنه والحكم بعدالته واستحقاقه إلى المناصب . وكانت هذه هفوة من الحنبلى ، ولكن خرجت عنه المدرستان العذراوية لسليمان الكردي ، والشامية الجوانية الأيمن سالم ، ولم يبق معه سوى دار الحديث الاشرفية . وفي ليلة الاثنين السابع من صفر وصل النجم محمد بن عثمان البصرأوى من مصر متولياً الوزارة بالشام ، ومعه توقيع بالحسبة لآخيه نجر الدين سليمان ، فباشرا المنصبين بالجامع ، ونزلا بدرب سفون الذى يقال له درب ابن أبى الهيجاء ، ثم انتقل الوزير إلى دار الاعسر عند باب البريد ، واستمر نظر الخزانة لعز الدين أحمد بن القلانسى أخى الشيخ جلال الدين .

وفي سنه ربيع الأول باشر القاضى جمال الدين الزرعى قضاء القضاة بمصر عوضاً عن ابن جماعة ، وكان قد أخذ منه قبل ذلك فى ذى الحجة مشيخة الشيوخ ، وأعيدت إلى الكرم الايكي ، وأخذت منه الخطابة أيضاً . وجاء البريد إلى الشام بطلب القاضى شمس الدين بن الحريرى لقضاء الديار المصرية ، فسار فى العشرين من ربيع الأول وخرج معه جماعة لتوديعه ، فلما قدم على السلطان أكرمه وعظمه وولاه قضاء الحنفية وتدريس الناصرية والصالحية ، وجامع الحاكم ، وعزل عن ذلك القاضى شمس الدين السروجى فنكث أياماً ثم مات .

وفى نصف هذا الشهر مسك من دمشق سبعة أمراء ومن القاهرة أربعة عشر أميراً . وفى ربيع الآخر أتهم السلطان بطالب الأمير سيف الدين سالار فحضر هو بنفسه إليه فعاتبه ثم استخلص منه أمواله وحواله فى مدة شهر ، ثم قتل بعد ذلك فوجد معه من الأموال والحيوان والأموال والأسلحة والماليك والبغال والحـمير أيضاً والرابع شيئاً كثيراً ، وأما الجواهر والذهب والفضة فشئ لا يحسد

ولا يوصف في كثيرته ، وحاصل الأمر أنه قد استأثر لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال وأموال المسلمين تجرى إليه ، ويقال إنه كان مع ذلك كثير العطاء كبرما محبوبا إلى الدولة والرعية والله أعلم .

وقد باشر نيابة السلطنة بمصر من سنة ثمان وتسعين إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشرين هذا الشهر ، ودفن بتربته ليلة الخميس بالقرافة ، سماحه الله . وفي ربيع الآخر درس القاضي شمس الدين بن المعز الحنفي بالظاهرة عوضاً عن شمس الدين الحريري ، وحضر عنده خاله الصدر على قاضي قضاة الحنفية وبقية القضاة والأعيان . وفي هذا الشهر كان الأمير سيف الدين استدمر قد قدم دمشق لبعض أشغاله ، وكان له حنو على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فاستنجز له مرسوماً بنظر دار الحديث وتدريس العندراوية ، فلم يباشر ذلك حتى سافر استدمر ، فانفق أنه وقعت له بعد يومين كائنة بدار ابن درباس بالصالحية ، وذكر أنه وجد عنده شيء من المنكرات ، واجتمع عليه جماعة من أهل الصالحية مع الحنابلة وغيرهم ، وبلغ ذلك نائب السلطنة فكاناب فيه ، فورد الجواب بعزله عن المناصب الدينية ، فخرجت عنه دار الحديث الأشرفية وبقى بدمشق وليس بيده وظيفة لذلك ، فلما كان في آخر رمضان سافر إلى حلب فقرر له نائبا استدمر شيئاً على الجامع ، ثم ولاء تدريساً هناك وأحسن إليه ، وكان الأمير استدمر قد انتقل إلى نيابة حلب في جمادى الآخرة عوضاً عن سيف الدين قبجق توفى ، وباشر مملكة حماة بعده الأمير عماد الدين إسماعيل بن الأفضل على بن محمود بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وانتقل جمال الدين آقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس عوضاً عن الحاج بهادر . وفي يوم الخميس سادس عشر شعبان باشر الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني مشيخة دار الحديث الأشرفية عوضاً عن ابن الوكيل ، وأخذ في التفسير والحديث والفقه ، فذكر من ذلك دروساً حسنة ، ثم لم يستمر بها سوى خمسة عشر يوماً حتى انتزعهامنه كمال الدين ابن الشريشي فباشرها يوم الأحد ثالث شهر رمضان . وفي شعبان رسم قراسنقر نائب الشام بتوسعة المقصورة ، فأخرت سدة المؤذنين إلى الركنين المؤخرين تحت قبة النسر ، ومنعت الجنائز من دخول الجامع أياماً ثم أذن في دخولهم .

وفي خامس رمضان قدم نجر الدين إياس الذي كان نائباً في قلعة الروم إلى دمشق شاد الدواوين عوضاً عن زين الدين كتيبغا المنصوري . وفي شوال باشر الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي مشيخة الشيوخ بالديار المصرية عوضاً عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الأيكي توفى ، وكان له تحرير وهمة ، وخاع على القونوي خلعة سنوية ، وحضر سعيد السعداء بها . وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة خلع على صاحب عز الدين القلانسي خلعة الوزراء بالشام عوضاً عن النجم البصراوي بحكم إقطاعه إمرة عشرة وإعراضه عن الوزارة . وفي يوم الاربعاء سادس عشر ذي القعدة

عاد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى تدريس الشامية البرانية . وفي هذا اليوم لبس تقي الدين ابن الصاحب شمس الدين بن السلموس خلعاً النظراً على الجامع الأموي ، ومسك الأمير سيف الدين استدمر نائب حلب في ثاني ذي الحجة ودخل إلى مصر ، وكذلك مسك نائب البيرة سيف الدين ضرغام بعده بليال .

ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي ، شارح الهداية ، كان بارعاً في علوم شتى ، وولي الحكم بمصر مدة وعزل قبل موته بأيام ، توفي يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر ودفن بقرب الشافعي وله اعتراضات على الشيخ تقي الدين بن تيمية في علم الكلام ، أضحك فيها على نفسه ، وقد رد عليه الشيخ تقي الدين في مجلدات ، وأبطل حجته * وفيها توفي سلار مقتولاً كما تقدم .

﴿ الصاحب أمين الدين ﴾

أبو بكر بن الوجيه عبد العظيم بن يوسف المعروف بابن الرقائي * والحاج بهادر نائب طرابلس مات بها ﴿ والأمر سيف الدين قبجق ﴾ نائب حلب مات بها ودفن بتربته بمحماه ، ثاني جمادى الآخرة وكان شهماً شجاعاً ، وقد ولي نيابة دمشق في أيام لاجين ، ثم قفز إلى التتر خوفاً من لاجين ، ثم جاء مع التتر . وكان على يديه فرج المسلمين كما ذكرنا عام قازان ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن مات بحلب ، ثم وليها بعده استدمر ومات أيضاً في آخر السنة .

﴿ الشيخ كريم الدين بن الحسين الأيبكي ﴾

وفيها توفي . شيخ الشيوخ بمصر ، كان له صلة بالأمراء ، وقد عزل مرة عن المشيخة بابن جماعة ، توفي ليلة السبت سابع شوال بخانقاه سعيد السعداء ، وتولاها بعده الشيخ علاء الدين القونوي كما تقدم .

﴿ الفقيه عز الدين عبد الجليل ﴾

النراوى الشافعي ، كان فاضلاً بارعاً ، وقد صحب سلار نائب مصر وارتفع في الدنيا بسببه .

﴿ ابن الرفعة ﴾

هو الامام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد شارح التنبيه ، وله غير ذلك ، وكان فقيهاً فاضلاً وإماماً في علوم كثيرة رحمهم الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها غير الوزير بمصر فانه عزل وتولى سيف الدين بكتمر وزيراً ، والنجم البصراوي عزل أيضاً بعز الدين القلانسي ، وقد انتقل الأفرم إلى نيابة

طرابلس بإشارة ابن تيمية على السلطان بذلك ، ونائب حماة الملك المؤيد عماد الدين على قاعدة أسلافه ، وقد مات نائب حلب استدمر وهي شاغرة عن نائب فيها ، وأرغون الدوادار الناصري قد وصل إلى دمشق لتسفير قراسنقر منها إلى حلب وإحضار سيف الدين كراى إلى نيابة دمشق ، وغالب العساكر بحلب والأعراب محدقة بأطراف البلاد ، ونخرج قراسنقر المنصوري من دمشق في ثلاث الحرم في جميع حواصله وحاشيته وأتباعه ، وخرج الجيش لتوديعه ، وسار معه أرغون لتقريره بحلب وجاء المرسوم إلى نائب القلعة الأمير سيف الدين بهادر السنجري أن يتكلم في أمور دمشق إلى أن يأتيه نائب ، فحضر عنده الوزير والموقمون وباشر النيابة ، وقويت شوكته وقويت شوكة الوزير إلى أن ولى ولايات عديدة منها لابن أخيه عماد الدين نظر الأسرار ، واستمر في يده ، وقدم نائب السلطنة سيف الدين كراى المنصوري إلى دمشق نائباً عليها . وفي يوم الخميس الحادى عشر من المحرم خرج الناس لتلقيه وأوقدوا الشموع ، وأعيدت مقصورة الخطابة إلى مكانها رابع عشر من المحرم ، وانفرج الناس ولبس النجم البصراوي خلعة الامرة يوم الخميس ثالث عشر صفر على قاعدة الوزراء بالطرحة ، وركب مع المقدمين الكبار وهو أمير عشرة باقطاع يضاهى إقطاع كبار الطبليخانات .

وفي يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول جلس القضاة الاربعة بالجامع لانفاذ أمر الشهود بسبب تزوير وقع من بعضهم ، فاطلع عليه نائب السلطنة فغضب وأمر بذلك ، فلم يكن منه كبير شئ ، ولم يتغير حال . وفي هذا اليوم ولى الشريف تقيب الأشراف أمين الدين جعفر بن محمد بن محيي الدين عدنان نظر الدواوين عوضاً عن شهاب الدين الواسطي ، وأعيد تقي الدين بن الزكي إلى مشيخة الشيوخ . وفيه ولى ابن جماعة تدريس الناصرية بالقاهرة ، وضياء الدين النسائي تدريس الشافعي ، والميعاد العام بجامع طولون ، ونظر الاحباس أيضاً . وولى الوزارة بمصر أمين الملك أبو سعيد عوضاً عن سيف الدين بكتمر الحاجب في ربيع الآخر . وفي هذا الشهر احتيط على الوزير عز الدين ابن القلانسي بدمشق ، ورسم عليه مدة شهرين ، وكان نائب السلطنة كثير الخلق عليه ، ثم أفرج عنه وأعيد بدر الدين بن جماعة إلى الحكم بديار مصر في حادى عشر ربيع الآخر ، مع تدريس دار الحديث الكاملية ، وجامع طولون والصالحية والناصرية ، وجعل له إقبال كثير من السلطان ، واستقر جمال الدين الزرعى على قضاء العسكر وتدريس جامع الحاكم ، ورسم له أن يجلس مع القضاة بين الحنفي والحنبلي بدار العدل عند السلطان .

وفي مستهل جمادى الأولى أشهد القاضى نجم الدين الدمشقي نائب ابن صصرى على نفسه بالحكم ببطلان البيع في الملك الذى اشتراه ابن القلانسي من تركة المنصوري في الرمثا والثوجة والفصالية لكونه بدون ممن المثل ، ونفذه بقية الحكام ، وأحضر ابن القلانسي إلى دار السعادة وادعى عليه ببيع

ذلك ، و رسم عليه بها ، ثم حكم قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي بصحة هذا البيع و بنقض ما حكم به دمشق ، ثم نذرت بقية الأحكام ما حكم به الحنبلي . وفي هذا الشهر قرر على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس لكل فارس خمسمائة درهم ، وضربت على الأملاك والأوقاف ، فتألم الناس من ذلك تألماً عظيماً و سعى إلى الخطيب جلال الدين فسمى إلى القضاة واجتمع الناس بكرة يوم الاثنين ثالث عشر الشهر واحتفلوا بالاجتماع وأخرجوا معهم المصحف العثماني والأثر النبوي والسناجق الخليفة ، ووقفوا في الموكب فلما رأهم كراى تفيض عليهم وشم القاضي والخطيب ، وضرب مجد الدين التونسي و رسم عليهم ثم أطلقهم بضمان وكفالة ، فتألم الناس من ذلك كثيراً ، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام فجاءه الأمر فجأة فعزل وحبس ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ويقال إن الشيخ تقي الدين بلغه ذلك أخبر عن أهل الشام فأخبر السلطان بذلك فبعث من فوره فسكه شمسكة ، وصفة مسكه أن تقدم الأمير سيف الدين أرغون الدوادار فتنزل في القصر ، فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى خلع على الأمير سيف الدين كراى خلعة سنية ، فلبسها وقبل العتبة ، وحضر الموكب ومد السباط ، فقيد بحضرة الأمراء وحمل على البريد إلى الكرك صحبة غرلو العادلي ، وبيبرس الجنون . وخرج عز الدين القلانسي من الترسيم من دار السعادة ، فصلى في الجامع الظهر ثم عاد إلى داره وقد أوقدت له الشموع ودعا له الناس ، ثم رجع إلى دار الحديث الأشرفية فجلس فيها نحو من عشرين يوماً ، حتى قدم الأمير جمال الدين نائب الكرك .

وفي هذا الشهر مسك نائب صفت الأمير سيف الدين بكتمر أمير خزندار ، و عوض عنه بالكرك بيبرس الدوادار المنصوري ، ومسك نائب غزة ، و عوض عنه بالجاولي ، فاجتمع في حبس الكرك استدمر نائب حلب ، وبكتمر نائب مصر ، وكراى نائب دمشق ، وقطلوبك نائب صفت ، وقلتمنز نائب غزة وبنحاص . وقدم جمال الدين آقوش المنصوري الذي كان نائب الكرك على نيابة دمشق إليها في يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الآخر ، وتلقاه الناس وأشعلت له الشموع ، وفي صحبته الخطيرى لتقريره في النيابة ، وقد باشر نيابة الكرك من سنة تسعين وستمائة إلى سنة تسع وسبعمائة وله بها آثار حسنة ، وخرج عز الدين بن القلانسي لتلقي النائب . وقرئ يوم الجمعة كتاب السلطان على السدة بحضرة النائب والقضاة والاعيان ، وفيه الأمر بالاحسان إلى الرعية وإطلاق البواقي التي كانت قد فرضت عليهم أيام كراى ، فكثرت الأدعية للسلطان وفرح الناس . وفي يوم الاثنين التاسع عشر خلع على الأمير سيف الدين بهادراس بنيابة صفت فقبل العتبة وسار إليها يوم الثلاثاء ، وفيه لبس الصدر بدر الدين بن أبي الفوارس خلعة نظر الدواوين بدمشق ، مشاركا للشريف ابن عدنان وبعد ذلك بيومين قدم تقليد عز الدين بن القلانسي وكالة السلطان على ما كان عليه ، وأنه أعفى

عن الوزارة لكرهته لذلك .

وفي رجب باشر ابن السلموس نظر الأوقاف عوضا عن شمس الدين عدنان . وفي شعبان ركب نائب السلطنة بنفسه إلى أبواب السجون فأطاق المحبوسين بنفسه ، فتضاعفت له الأذعية في الأسواق وغيرها . وفي هذا اليوم قدم صاحب عز الدين بن القلانسي من مصر فاجتمع بالنائب وخاع عليه ومعه كتاب يتضمن احترامه وإكرامه واستمراره على وكالة السلطان ، ونظر الخالص والانكار لما ثبت عليه بدمشق ، وأن السلطان لم يعلم بذلك ولا وكل فيه ، وكان المساعد له على ذلك كريم الدين ناظر الخالص السلطاني ، والامير سيف الدين أرغون الدوادار . وفي شعبان منع ابن صصرى الشهود والعقاد من جهته ، وامتنع ذيرهم أيضاً وردم المالكي . وفي رمضان جاء البريد بتولية زين الدين كتبغا المنصوري حجوية الحجاب ، والامير بدر الدين ملتوبات القرمانى شد الدواوين عوضا عن طوغان ، وخاع عليهما معا ، وفيها ركب بهادر السنجرى نائب قلعة دمشق على البريد إلى مصر وتولاها سيف الدين بلبان البدرى ، ثم عاد السنجرى في آخر النهار على نيابة البيرة ، فسار إليها وجاء الخبر بأنه قد احتبط على جماعة من قصاد المسلمين ببغداد ، فقتل منهم ابن العقاب وابن البدر ، وخلص عبيدة وجاء سالما . وخرج المحمل في شوال وامير الحاج الامير علاء الدين طيبغا أخوها دراص .

وفي آخر ذى القعدة جاء الخبر بأن الامير قرا سنقر رجع من طريق الحجاز بعد أن وصل إلى بركة زيرا ، وأنه لحق بهمنا بن عيسى فاستجار به خائفا على نفسه ومعه جماعة من خواصه ، ثم سار من هناك إلى التمر بعد ذلك كله ، وصحبه الأفرم والزرديكش . وفي العشرين من ذى القعدة وصل الامير سيف الدين أرغون في خمسة آلاف إلى دمشق وتوجهوا إلى ناحية حمص ، وتلك النواحي . وفي سابع ذى الحجة وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر مستمرا على وكراته ومعه توقيع بقضاء العسكر الشامي ، وخاع عليه في يوم عرفة . وفي هذا اليوم وصات ثلاثة آلاف عليهم سيف الدين ملى من الديار المصرية فتوجهوا وراء أصحابهم إلى البلاد الشمالية . وفي آخر الشهر وصل شهاب الدين الكاشغرى من القاهرة ومعه توقيع بمشيخة الشيوخ ، فنزل في الخانقاه وباشرها بحضرة القضاة والأعيان ، وانفصل ابن الزكي عنها . وفيه باشر الصدر علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير كتابة السر بمصر ، وعزل عنها شرف الدين بن فضل الله ، إلى كتابة السر بدمشق عوضا عن أخيه محيي الدين ، واستمر محيي الدين على كتابة الدست به يوم أيضا والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الرئيس بدر الدين ﴾

محمد بن رئيس الأطباء أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري ، من سلالة سعد ابن معاذ السويدي ، من سويداء حوران ، جمع الحديث وبرع في الطب ، توفي في ربيع الأول

بيستانه بقرب الشبلية ، ودفن في تربة له في قبة فيها عن ستين سنة .

﴿ الشيخ شعبان بن أبي بكر بن عمر الاربلي ﴾

شيخ الحلبية بجامع بني أمية ، كان صالحاً مباركاً فيه خير كثير ، كان كثير العبادة وإيجاد الراحة للفقراء ، وكانت جنازته حافلة جداً ، صلى عليه بالجامع بعد ظهر يوم السبت تاسع عشر من رجب ودفن بالصوفية وله سبع وثمانون سنة ، وروى شيئاً من الحديث وخرجت له مشيخة حضرها الأكابر رحمه الله .

﴿ الشيخ ناصر الدين يحيى بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن عبد العزيز العثماني ، خادم المصحف العثماني نحواً من ثلاثين سنة ، وصلى عليه بعد الجمعة سابع رمضان ودفن بالصوفية ، وكان لثائب السلطنة الأفرم فيه اعتقاد ووصله منه افتقاد ، وبلغ خمسا وستين سنة .

﴿ الشيخ الصالح الجليل القدوة ﴾

أبو عبد الله محمد بن الشيخ القدوة إبراهيم بن الشيخ عبد الله الأموي ، توفي في العشرين من رمضان بسفح قاسيون ، وحضر الأمراء والقضاة والصدور جنازته وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ثم دفن عند والده وغلق يومئذ سوق الصالحية له ، وكانت له وجاهة عند الناس وشفاعة مقبولة ، وكان عنده فضيلة وفيه تودد ، وجمع أجزاء في أخبار جيدة ، وسمع الحديث وقارب السبعين رحمه الله .

﴿ ابن الوحيد الكاتب ﴾

هو الصدر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الزرعى المعروف بابن الوحيد ، كان موقفاً بالهجرة وله معرفة بالانشاء وبلغ الغاية في الكتابة في زمانه ، وانتفع الناس به ، وكان فاضلاً مقداماً شجاعاً ، توفي بالمارستان المنصوري بمصر سادس عشر شوال .

﴿ الأمير ناصر الدين ﴾

محمد بن عماد الدين حسن بن النسائي أحد أمراء الطبائخانات ، وهو حاكم البندق ، ولى ذلك بعد سيف الدين بلبيان ، توفي في العشرين الآخر من رمضان .

﴿ التميمي الدارى ﴾

توفي يوم عيد الفطر ودفن بالقرافة الصغرى ، وقد ولى الوزارة بمصر ، وكان خبيراً كافياً ، مات معزولاً ، وقد سمع الحديث وسمع عليه بعض الطلبة .

و في ذى القعدة جاء الخبر إلى دمشق بوفاة الأمير الكبير استدمر وبنخاص في السجن بقلعة

الكرك . ﴿ القاضي الامام العلامة الحافظ ﴾

سعد الدين مسعود الحارثي الحنبلي الحاكم بمصر ، سمع الحديث ، وجمع وخرج وصنف ، وكانت

له يد طولى في هذه الصناعة والأسانيد والمتون ، وشرح قطعة من سنن أبي داود فأجاد وأفاد ، وحسن الاسناد ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وفي خامس المحرم توجه الأمير عز الدين ازدمر الزردكاش وأميران معه إلى الأفرم ، وساروا بأجمعهم حتى لحقوا بقراسنقر وهو عند مهنا ، وكانوا السلطان وكانوا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار ، وجاء البريد في صفر بالاحتياط على حواصل الأفرم وقراسنقر والزردكاش وجميع ما يتعلق بهم ، وقطع خبز مهنا وجعل مكانه في الامرة أخاه محمداً ، وعادت العساكر صعبة أرغون من البلاد الشمالية ، وقد حصل عند الناس من قراسنقر وأصحابه هم وغم وحزن ، وقدم سودى من مصر على نيابة حاب فاجتاز بدمشق فخرج الناس والجيش لتلقيه ، وحضر السماط وقرى المنشور بطالب جمال الدين نائب دمشق إلى مصر ، فركب من ساعته على البريد إلى مصر وتكلم في نيابته لغيبة لاجين . وطلب في هذا اليوم قطب الدين موسى شيخ السلامة ناظر الجيش إلى مصر ، فركب في آخر النهار إليها فتولى بها نظر الجيش عوضاً عن نجر الدين الكاتب كاتب الممالك بحكم عزله ومصادرته وأخذ أمواله الكثيرة منه ، في عاشر ربيع الأول . وفي الحادى عشر منه باشر الحكيم للحنابلة بمصر القاضي تقي الدين أحمد بن المعز عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى ، وهو ابن بنت الشيخ شمس الدين بن العماد أول قضاة الحنابلة ، وقدم الأمير سيف الدين تمر على نيابة طرابلس عوضاً عن الأفرم بحكم هربه إلى التتر . وفي ربيع الآخر مسك بيبرس العلائى نائب حمص وبيبرس الجنون وطوغان وجماعة آخرون من الأمراء ستة في نهار واحد وسيروا إلى الكرك معتقلين بها . وفيه مسك نائب مصر الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى ، وولى بعده أرغون الدوادار ، ومسك نائب الشام جمال الدين نائب الكرك وشمس الدين سنقر الكمالى حاجب الحجاب بمصر ، وخمسة أمراء آخرون وحبسوا كلهم بقلعة الكرك ، في برج هناك . وفيه وقع حريق داخل باب السلامة احترق فيه دور كثيرة منها دار ابن أبى الفوارس ، ودار الشريف القباني .

﴿ نيابة تنكز على الشام ﴾

في يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر دخل الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله المالكى الناصرى نائباً على دمشق بعد مسك نائب الكرك ومعه جماعة من ممالك السلطان منهم الحاج ارقطاي على حيز بيبرس العلائى ، وخرج الناس لتلقيه وفرحوا به كثيراً ، ونزل بدار السعادة ووقع عند قدومه مصر فرح عظيم ، وكان ذلك اليوم يوم الرابع والعشرين من آب ، وحضر يوم الجمعة الخطبة بالمقصورة وأشعلت له الشموع في طريقه ، وجاء توقيع لابن صصرى باعادة

قضاء العسكر إليه ، وأن ينظر الأوقاف فلا يشاركه أحد في الاستنابة في البلاد الشامية على عادة من تقدمه من قضاة الشافية ، وجاء مرسوم لشمس الدين أبي طالب بن حميد بنظر الجيش عوضاً عن ابن شيخ السلامة بحكم إقامته بمصر ، ثم بعد أيام وصل الصدر معين الدين هبة الله بن خشيش ناظر الجيش وجعل ابن حميد بوظيفة ابن البدر ، وسافر ابن البدر على نظر جيش طرابلس ، وتولى أرغون نيابة مصر وعاد نجر الدين كاتب الممالك إلى وظيفته مع استمرار قطب الدين بن شيخ السلامة مباشرة معه .

وفي هذا الشهر قام الشيخ محمد بن قوام ومعه جماعة من الصالحين على ابن زهرة المغربي الذي كان يتكلم بالكلاسة وكتبوا عليه محضراً يتضمن استهانتهم بالمصحف ، وأنه يتكلم في أهل العلم ، فأحضر إلى دار العدل فاستسلم وحقن دمه وعزز تمزيقاً بليغاً عنيفاً وطيف به في البلد باطنه وظاهره ، وهو مكشوف الرأس ووجهه مقلوب وظهره مضروب ، ينادى عليه هذا جزء من يتكلم في العلم بغير معرفة ، ثم حبس وأطلق فهرب إلى القاهرة ، ثم عاد على البريد في شعبان ورجع إلى ما كان عليه . وفيها قدم بهادر اص من نيابة صغد إلى دمشق وهنأه الناس ، وفيها قدم كتاب من السلطان إلى دمشق أن لا يولى أحد مال ولا برشوة فان ذلك يفضى إلى ولاية من لا يستحق الولاية ، وإلى ولاية غير الأهل ، فقرأه ابن الزملاكاني على السدة وبلغه عنه ابن حبيب المؤذن ، وكان سبب ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله .

وفي رجب وشعبان حصل للناس خوف بدمشق بسبب أن التتر قد تحركوا للهجى إلى الشام ، فانزعج الناس من ذلك وخافوا ، وتحول كثير منهم إلى البلد ، وازدحموا في الأبواب ، وذلك في شهر رمضان وكثرت الأراجيف بأنهم قد وصلوا إلى الرحبة ، وكذلك جرى واشتهر بأن ذلك باشارة قراسنقر وذويه فالله أعلم . وفي رمضان جاء كتاب السلطان أن من قتل لاجئ أحده عليه ، بل يتبع القاتل حتى يقتص منه بحكم الشرع الشريف ، فقرأه ابن الزملاكاني على السدة بحضرة نائب السلطنة ابن تنكز وسببه ابن تيمية ، هو أمر بذلك وبالكتاب الأول قبله . وفي أول رمضان وصل التتر إلى الرحبة فحاصروها عشرين يوماً وقاتلهم نائبها الأمير بدر الدين موسى الأزدكشى خمسة أيام قتالاً عظيماً ، ومنعهم منها فأشار رشيد الدولة بأن ينزلوا إلى خدمة السلطان خربندا ويهدوا له هدية ويطلبون منه العفو ، فنزل القاضي نجم الدين إسحاق وأهدوا له خمسة رؤس خيل ، وعشرة أباليج سكر ، فقبل ذلك ورجع إلى بلاده ، وكانت بلاد حلب وحماة وحمص قد أجلا منها وخرب أكثرها ثم رجعوا إليها لما تحققوا رجوع التتر عن الرحبة ، وطابت الاخبار وسكنت النفوس ودقت البشائر وتركت الأئمة القنوت ، وخطب الخطيب يوم العيد وذكر الناس بهذه النعمة . وكان سبب رجوع التتر قلة العلف

وغلاء الأسعار وموت كثير منهم ، وأشار على سلطانهم بالرجوع الرشيد وجوبان .
وفي ثامن شوال دقت البشائر بدمشق بسبب خروج السلطان من مصر لاجل ملاقاته التتر ،
وخرج الركب في نصف شوال وأميرهم حسام الدين لاجين الصغير ، الذي كان والي البر ، وقدمت العساكر
المصرية أرسلوا ، وكان قدوم السلطان ودخوله دمشق ثالث عشرين شوال ، واحتفل الناس لدخوله
ونزل القلعة وزينت البلدة وضربت البشائر ، ثم انتقل بعد ليلتين إلى القصر وصلى الجمعة بالجامع
بالمقصورة وخاع على الخطيب ، وجلس في دار العدل يوم الاثنين ، وقدم وزيره أمين الملك يوم الثلاثاء
عشرين الشهر ، وقدم صحبة السلطان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية
إلى دمشق يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة وكانت غيبته عنها سبع سنين ، ومعه أخواه وجماعة من
أصحابه ، وخرج خلق كثير لتلقيه وسروا بقدمه وعافيته ورؤيته ، واستبشروا به حتى خرج خلق من
النساء أيضاً لرؤيته ، وقد كان السلطان صحبه معه من مصر فخرج معه بنية الغزاة ، فلما تحقق عدم
الغزاة وأن التتر رجعوا إلى بلادهم فارق الجيش من غزة وزار القدس وأقام به أياماً ، ثم سافر على عجولون
وبلاد السواد وزرع ، ووصل دمشق في أول يوم من ذي القعدة ، فدخلها فوجد السلطان قد توجه إلى
الحجاز الشريف في أربعين أميراً من خواصه يوم الخميس ثاني ذي القعدة ، ثم إن الشيخ بعد وصوله
إلى دمشق واستقراره به لم يزل ملازماً لاشتغال الناس في سائر العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب
وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة والاجتهاد في الأحكام الشرعية في بعض الأحكام
يفتي بما أدى إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور
في مذاهبهم ، وله اختيارات كثيرة مجلدات عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده ، واستدل على
ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف .

فلما سار السلطان إلى الحج فرق العساكر والجيوش بالشام وترك أرغون بدمشق . وفي يوم الجمعة
لبس الشيخ كمال الدين الزملي كافي خامة وكلة بيت المال عوضاً عن ابن الشريشي ، وحضر بها
الشباك وتسكاهم وزير السلطان في البلد ، وطلب أموالاً كثيرة وصادر وضرب بالمقارع وأهان جماعة
من الرؤساء منهم ابن فضل الله محيي الدين . وفيه عين شهاب الدين بن جهبل لتدريس الصلاحية
بالمقدس عوضاً عن نجم الدين داود الكردي توفي ، وقد كان مدرسا بها من نحو ثلاثين سنة ، فسافر
ابن جهبل إلى القدس بعد عيد الأضحى .

وفيها مات ملك القفجاق المسمى طغتماي خان ، وكان له في الملك ثلاث وعشرون سنة ، وكان
عمره ثماناً وثلاثين سنة ، وكان شهماً شجاعاً على دين التتر في عبادة الأصنام والكواكب ، يعظم
الجسمة والحكام والأطباء ويكرم المسلمين أكثر من جميع الطوائف ، كان جيشه هائل لا يجسر

أحد على قتاله لكثرة جيشه وقوتهم وعددهم وعددهم ، ويقال إنه جرد مرة تجر يدة من كل عشرة من جيشه واحداً فبلغت التجريدة مائتي ألف وخمسين ألفاً ، توفي في رمضان منها وقام في الملك من بعده ابن أخيه أربك خان ، وكان مسلماً فأظهر دين الإسلام ببلادهم ، وقتل خلقاً من أمراء الكفرة وعلت الشرائع الحمديّة على سائر الشرائع هناك والله الحمد والمنّة على الإسلام والسنة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الملك المنصور صاحب ماردین ﴾

وهو نجم الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفر قرارسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازي بن الملك المنصور ناصر الدين ارتق بن غازي بن المنى بن تمرناش بن غازي بن ارتق الأرتقي أصحاب ماردین من عدة سنين ، كان شيخاً حسناً مهيباً كامل الخلقه بديننا سميماً إذا ركب يكون خلفه محفة خوفاً من أن يمسه لغوب فيركب فيها ، توفي في تاسع ربيع الآخر ودفن بمدرسته تحت القلعة ، وقد بلغ من العمر فوق السبعين ، ومكث في الملك قريباً من عشرين سنة ، وقام من بعده في الملك ولده العادل فكث سبعة عشر يوماً ، ثم ملك أخوه المنصور . وفيها مات

﴿ الأمير سيف الدين قطلوبك الشيعي ﴾

كان من أمراء دمشق الكبار . ﴿ الشيخ الصالح ﴾

نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد الثعلبي الدمشقي ، قارئ الحديث بالقاهرة ومسندها ، روى عن ابن الزبيدي وابن الليثي وجمعة الحمداني وابن الشيرازي وخاق ، وقد خرج له الامام العلامة تقي الدين السبكي مشيخة ، وكان رجلاً صالحاً توفي بكرة الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر ، وكانت جنازته حافلة .

﴿ الأمير الكبير الملك المظفر ﴾

شهاب الدين غازي بن الملك الناصر داود بن المعظم ، سمع الحديث وكان رجلاً متواضعاً توفي بمصر ثاني عشر رجب ، ودفن بالقاهرة . ﴿ قاضي القضاة ﴾

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن خازم الازرعي الحنفي ، كان فاضلاً درس وأفتى وولى قضاء الحنفية بدمشق سنة ثم عزل واستمر على تدريس الشبلية مدة ثم سافر إلى مصر فأقام بسعيد السعداء خمسة أيام وتوفي يوم الاربعاء ثاني عشر رجب فله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعائة ﴾

استهلت والحكام هم هم ، والسلطان في الحجاز لم يقدم بعد ، وقد قدم الأمير سيف الدين تجليس يوم السبت مستهل المحرم من الحجاز وأخبر بسلامة السلطان وأنه فارقه من المدينة النبوية ، وأنه قد قارب البلاد ، فدقت البشائر فرحاً بسلامته ، ثم جاء البريد فأخبر بدخوله إلى الكرك ثاني

المحرم يوم الأحد ، فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم دخل دمشق وقد خرج الناس لتلقيه على العادة ، وقد رأيناه مرجمه من هذه الحججة على شفته ورقة قد ألصقتها عليها ، فنزل بالقصر وصلى الجمعة رابع عشر المحرم بمقصورة الخطابة ، وكذلك الجمعة التي تليها ، ولعب في الميدان بالسكرة يوم السبت النصف من المحرم ، وولى نظر الدواوين للصاحب شمس الدين غبريال يوم الاحد حادى عشر المحرم وشد الدواوين لفخر الدين إياس الاعسرى عوضا عن القرمانى ، وسافر القرمانى إلى نيابة الرحبة وخلع عليهما وعلى وزيره ، وخلع على ابن صصرى وعلى الفخر كاتب الماليك ، وكان مع السلطان فى الحج ، وولى شرف الدين بن صصرى حجابة الديوان وباشرف الدين ابن شيخ السلامة نظر الجامع ، وباشرف بهاء الدين بن سليم نظر الاوقاف ، والمنكورسى شد الاوقاف . وتوجه السلطان راجعا إلى الديار المصرية بكرة الخميس السابع والعشرين من المحرم ، وتقدمت الجيوش بين يديه ومعه . وفى أواخر صفر اجتاز على البريد فى الرسلية إلى مهنا الشيخ صدر الدين الوكيل وموسى بن مهنا والامير علاء الدين الطنبغا فاجتمعوا به فى تدمر ثم عاد الطنبغا وابن الوكيل إلى القاهرة .

وفى جمادى الآخرة مسك أمين الملك وجماعة من الكبار معه وصودروا بأموال كثيرة ، وأقيم عوضه بدر الدين بن التركمانى الذى كان والى الخزانة . وفى رجب كملت أربعة مناجيق واحد لقلعة دمشق وثلاثة تحمل إلى السكرك ، ورمى باثنين على باب الميدان وحضر نائب السلطنة تنكز والعامه وفى شعبان تكامل حفر النهر الذى عمله سودى نائب حلب بها ، وكان طوله من نهر الساجور إلى نهر قويق أربعين ألف ذراع فى عرض ذراعين وعمق ذراعين ، وغرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وعمل بالعدل ولم يظالم فيه أحداً . وفى يوم السبت ثامن شوال خرج الركب من دمشق وأميره سيف الدين بلباى التترى ، وحج صاحب حماة فى هذه السنة وخلق من الروم والغرباء . وفى يوم السبت السادس والعشرين من ذى الحججة وصل القاضى قطب الدين موسى ابن شيخ السلامة من مصر على نظر الجيوش الشامية كما كان قبل ذلك ، وراح معين الدين بن الخشيش إلى مصر فى رمضان صحبة الصاحب شمس الدين بن غبريال وبعد وصول ناظر الجيوش بيومين وصلت البشائر بمقتضى إزالة الاقطاعات لما رآه السلطان بعد نظره فى ذلك أربعة أشهر .

ومن توفى فيها من الاعيان .

﴿ الشيخ الامام المحدث ﴾

فخر الدين أبو عمر وعفان بن محمد بن عثمان بن أبى بكر بن محمد بن داود التوزى بمكة يوم الاحد حادى ربيع الآخر ، وقد سمع الكثير ، وأجازه خلق يزيدون على ألف شيخ ، وقرأ الكتب الكبار وغيرها ، وقرأ صحيح البخارى أكثر من ثلاثين مرة رحمه الله :

﴿ عز الدين محمد بن العدل ﴾

شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوي ، كان يباشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك ، وكان من أخصاء أمين الملك ، فلما مسك بمصر أرسل إلى هذا وهو معتقل بالعدراوية ليحضر على البريد فرض فمات بالمدرسة العدراوية ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة ، وله من العمر خمس وثلاثون سنة ، وكان قد سمع من ابن طبرزد الكندي ، ودفن من الغد بباب الصغير ، وترك من بعده ولدين ذكرين جمال الدين محمد ، وعز الدين .

﴿ الشيخ الكبير المقرئ ﴾

شمس الدين المقصاي ، هو أبو بكر بن عمر بن السبع الجزري المعروف بالمقصاي نائب الخطيب وكان يقرئ الناس بالقراءات السبع وغيرها من الشواذ ، وله إلمام بالنحو ، وفيه ورع واجتهاد ، توفي ليلة السبت حادي عشرين جمادى الآخرة ودفن من الغد بسفح قاسيون تجاه الرباط الناصري ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة ﴾

استهلّت والحكام هم في التي قبلها إلا الوزير أمين الملك فمكانه بدر الدين التركاني . وفي رابع المحرم عاد صاحب شمس الدين غبريال من مصر على نظر الدواوين وتلقاه أصحابه . وفي عاشر المحرم يوم الجمعة قرئ كتاب السلطان على السدة بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء يتضمن باطلاق البواقي من سنة ثمان وتسعين وسبعمائة إلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، فتضاعفت الادعية للسلطان وكان القارئ جمال الدين بن القلانسي ومبلغه صدر الدين بن صبيح المؤذن ، ثم قرئ في الجمعة الاخرى مرسوم آخر فيه الافراج عن المسجونين وأن لا يؤخذ من كل واحد إلا نصف درهم ، ومرسوم آخر فيه إطلاق السخر في الغصب وغيره عن الفلاحين ، قرأه ابن الزملكاني وبلغه عنه أمين الدين محمد بن مؤذن النجبي . وفي المحرم استحضر السلطان إلى بين يديه الفقيه نور الدين على البكري وهم بقتله شفيع فيه الأمراء فنفاه ومنعه من الكلام في الفتوى والعلم ، وكان قد هرب لما طلب من جهة الشيخ تقي الدين بن تيمية فهرب واختفي ، وشفيع فيه أيضا ، ثم لما ظفر به السلطان الآن وأراد قتله شفيع فيه الأمراء فنفاه ومنعه من الكلام والفتوى ، وذلك لاجترائه وتسرعه على التكفير والقتل والجهل الحامل له على هذا وغيره . وفي يوم الجمعة مستهل صفر قرأ ابن الزملكاني كتابا سلطانيا على السدة بمحضرة نائب السلطان القاضي وفيه الأمر بإبطال ضمان القواسير وضمان النبيذ وغير ذلك ، فدعا الناس للسلطان . وفي أواخر ربيع الأول اجتمع القضاة بالجامع للنظر في أمر الشهود ونهوا عن الجلوس في المساجد ، وأن لا يكون أحد منهم في مركزين ، وأن لا يتولوا

ثبت الكتب ولا يأخذوا أجرا على أداء الشهادة وأن لا يفتابوا أحدا وأن يتناصفوا في المعيشة ثم جلسوا مرة ثانية لذلك وتواعدوا ثلاثة فلم يتفق اجتماعهم ، ولم يقطع أحد من مركزه .

وفي يوم الاربعاء الخامس والعشرين منه عقد مجلس في دار ابن صصرى لبدر الدين بن بضيان وأنكر عليه شئ من القراءات فالترزم بترك الاقراء بالسكلية ثم استأذن بعد أيام في الاقراء فأذن له فجلس بين الظهر والمصر بالجامع وصارت له حلقة على العادة . وفي منتصف رجب توفي نائب حلب الامير سيف الدين سـودى ودفن بترته وولى مكانه علاء الدين الظنبيغا الصالحى الحاجب بمصر ، قبل هذه النياية . وفي تاسع شعبان خلع على الشريف شرف الدين عدنان بنقابة الاشراف بعد والده أمين الدين جعفر توفي في الشهر الماضى .

وفي خامس شوال دفن الملك شمس الدين دوباح بن ملكشاه بن رستم صاحب كيلان بترته المشهورة بسفح قاسيون ، وكان قد قصد الحج في هذا العام ، فلما كان بغياغب أدركته منيته يوم السبت سادس عشرين رمضان فحمل إلى دمشق وصلى عليه ودفن في هذه التربة ، اشترت له وتممت وجاءت حسنة وهي مشهورة عند المسكارية شرقى الجامع المظفرى ، وكان له في مملكة كيلان خمسة وعشرون سنة ، وعمر أربعا وخمسين سنة ، وأوصى أن يجمع عنه جماعة ففعل ذلك وخرج الركب في ثالث شوال وأميره سيف الدين سنقر الابراهيمى وقاضيه محبى الدين قاضى الزبدانى . وفي يوم الخميس سابع ذى القعدة قدم القاضى بدر الدين بن الحداد من القاهرة متوليا حسبة دمشق فخلع عليه عوضا عن فخر الدين سليمان البصرى ، عزل فسافر سرىعا إلى البرية ليشتري خيلا للسلطان يقدمها رشوة على المنصب المذكور ، فاتفق موته في البرية في سابع عشر الشهر المذكور ، وحمل إلى بصرى فدفن بها عند أجداده في ثامن ذى القعدة ، وكان شابا حسنا كريم الاخلاق حسن الشكل . وفي أواخره مسك نائب صغد بلبان طوباي المنصورى وسجن وتولى مكانه سيف الدين بلباي البدرى . وفي سادس ذى الحجة تولى ولاية البر الامير علاء الدين على بن محمود بن معبد البعلبكي عوضا عن شرف الدين عيسى بن البركاسى ، وفي يوم عيد الاضحى وصل الامير علاء الدين بن صبيح من مصر وقد أفرج عنه فسلم عليه الامراء . وفي هذا الشهر أعيد أمين الملك إلى نظر النظار بمصر وخلع على صاحب بهاء الدين النسائى بنظر الخزانة عوضا عن سعد الدين حسن بن الافصاى . وفيه وردت البريدية بأمر الساطان للجيوش الشامية بالمسير إلى حلب وأن يكون مقدم العساكر كلها تنكر نائب الشام ، وقدم من مصر ستة آلاف مقاتل عليهم الامير سيف الدين بكنتمر الابوبكرى ، وفيهم تجلدىس وبدر الدين الوزيرى ، وكتشلى وابن طيبرس وشاطلى وابن سلاز وغيرهم ، فتقدموا إلى البلاد الحلبية بين يدي نائب الشام تنكر

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ سودى نائب حلب في رجب ﴾
 ودفن بتربته ، وهو الذى كان السبب فى إجراء نهر إليها ، غرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وكان
 مشكور السيرة حميد الطريقة رحمه الله . وفى شعبان توفي

﴿ الصاحب شرف الدين ﴾

يعقوب بن مزهر و كان باراً بأهله وقرابته رحمه الله .

﴿ والشيخ رشيد أبو الفدا إسماعيل ﴾

أبو محمد القرشى الحنفى المعروف بابن المعلم ، كان من أعلام الفقهاء والمفتيين ، ولديه علوم شتى
 وفوائد وفرائد ، وعنده زهد وانقطاع عن الناس ، وقد درس بالبلخية مدة ثم تركها لولده وسار إلى
 مصر فأقام بها ، وعرض عليه قضاء دمشق فلم يقبل ، وقد جاوز السبعين من العمر ، توفي سحر يوم
 الأربعاء خامس رجب ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى . وفى شوال توفي . .

﴿ الشيخ سليمان التركمانى ﴾

المولود الذى كان يجلس على مصطبه بالمعلمين ، وكان قبل ذلك مقياً بطهارة باب البريد ، وكان
 لا يتحاشى من النجاسات ولا يتقيها ، ولا يصلى الصلوات ولا يأتيها ، وكان بعض الناس من الهمج
 له فيه عقيدة قاعدة الهمج الرعاع الذين هم أتباع كل ناعق من الموليين والمجانين ، ويزعمون أنه
 يكتشف وأنه رجل صالح ، ودفن بباب الصغير فى يوم كثير الثلج .
 وفى يوم عرفة توفيت .

﴿ الشبيخة الصالحة العابدة الناسكة ﴾

أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبى الفتح بن محمد البغدادية بظاهر القاهرة ، وشهدا خلق
 كثير ، وكانت من العالمات الفاضلات ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقوم على الأحمدية
 فى مواخاتهم النساء والمردان ، وتنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم ، وتفعل من ذلك ما لا تقدر
 عليه الرجال ، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره ،
 وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر
 كثيراً من المغنى أو أكثره ، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالها وسرعة فهمها ،
 وهى التى ختمت نساء كثيراً القرآن ، منهن أم زوجتى عائشة بنت صديق ، وزوجة الشيخ جمال الدين
 المزى ، وهى التى أقرأت ابنتها زوجتى أمة الرحيم زينب رحمته الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام فى البلاد هم المذكورون فى التى قبلها .

﴿ فتح ملطية ﴾

في يوم الاثنين مستهل المحرم خرج سيف الدين تنكز في الجيوش قاصداً ملطية وخرجت الاطلاب على راياتها وأبرزوا ما عندهم من العدد وآلات الحرب ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج مع الجيش ابن صصرى لأنه قاضى العساكر وقاضى قضاة الشامية ، فساروا حتى دخلوا حلب في الحادى عشر من الشهر ، ومنها وصلوا في السادس عشر إلى بلاد الروم إلى ملطية ، فشرعوا في محاصرتها في الحادى والعشرين من المحرم ، وقد حصنت ومنعت وغلقت أبوابها ، فلما رأوا كثرة الجيش نزل متوليها وقاضياها وطلبوا الأمان فأمنوا المسلمين ودخلوها ، فقتلوا من الأرمن خلقاً ومن النصرارى وأسروا ذرية كثيرة ، وتمدى ذلك إلى بعض المسلمين وغنموا شيئاً كثيراً ، وأخذت أموال كثير من المسلمين ورجعوا عنها بعد ثلاثة أيام يوم الأربعاء رابع عشر من المحرم إلى عين تاب إلى مرج دابق ، وزينت دمشق ودقت البشار . وفي أول صفر رحل نائب ملطية متوجهاً إلى السلطان . وفي نصف الشهر وصل قاضياها الشريف شمس الدين ومعه خلق من المسلمين من أهلها ، وفي بكرة نهار الجمعة سادس عشر ربيع الأول دخل تنكز دمشق وفي خدمته الجيوش الشامية والمصرية ، وخرج الناس للفرجة عليهم على العادة ، وأقام المصريون قليلاً ثم ترحلوا إلى القاهرة . وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك النتر فاستتاب بها رجلاً كردياً فعمدى وأساء وظلم ، وكان أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا من رعيتة ، فلما ساروا إليها وأخذوها فعملوا ما فعلوا فيها جاءها بعد ذلك الجوبان فعمرها ورد إليها خلقاً من الأرمن وغيرهم .

وفي التاسع عشر من هذا الشهر وصل إلينا الخبر بمسك بكتمر الحاجب وأيدغدى شقير وغيرها وكان ذلك يوم الخميس مستهل هذا الشهر ، وذلك أنهم اتفقوا على السلطان فبلغه الخبر فمسكهم واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وظهر لبكتمر أموال كثيرة وأمتعة وأخشاب وحواصل كثيرة وقدم مجليس من القاهرة فاجتاز بدمشق إلى ناحية طرابلس ثم قدم سريعاً ومعه الأمير سيف الدين تيمر نائب طرابلس تحت الخوطة ، ومسك بدمشق الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورى فحمل الأول إلى القاهرة ، وجعل مكانه في نيابة طرابلس كسناى ، وحمل الثانى وحزن الناس عليه ودعوا له . وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من ربيع الآخر قدم عز الدين بن مبشر دمشق محسباً وناظر الأوقاف وانصرف ابن الحداد عن الحسبة ، وبهاء الدين عن نظار الأوقاف . وفي ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى وقع حريق قبالة مسجد الشنباشى داخل باب الصغير ، احترق فيه دكاكين ودور وأموال وأمتعة . وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضى ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضاً عن قاضى القضاة الحنفى البصرى ، وحضر عنده الأعيان ، وهو

رجل له فضيلة وخلق حسن ، كان قاضياً بملطية وخطيباً بها نحواً من عشرين سنة .
 وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة أعيد ابن الحداد إلى الحسبة واستمر ابن مبشر ناظر
 الأوقاف . وفي يوم الأربعاء ناسع جمادى الآخرة درس ابن صصرى بالانابكية عوضاً عن الشيخ صفي
 الدين الهندي . وفي يوم الأربعاء الآخر حضر ابن الزمكاني درس الظاهرية الجوانية عوضاً عن
 الهندي أيضاً بحكم وفاته كما ستأتي ترجمته . وفي أواخر رجب أخرج الأمير آقوش نائب الكرك من
 سجن القاهرة وأعيد إلى الأمرة . وفي شعبان توجه خمسة آلاف من بلاد حلب فأغاروا على بلاد
 آمد ، وفتحوا بلدانا كثيرة ، وقتلوا وسبوا وعادوا سالمين ، وخسوا ماسبوا فبلغ سهم الخمس أربعة آلاف
 رأس وكسور . وفي أواخر رمضان وصل قرا سنقر المنصوري إلى بغداد ومعه زوجته الخاتون بنت
 أباغ ملك التتر ، وجاء في خدمته خربندا واستأذنه في الغارة على أطراف بلاد المسلمين فلم يأذن له ،
 ووثب عليه رجل فداوى من جهة صاحب مصر فلم يقدر عليه وقتل الفداوى . وفي يوم الأربعاء
 سادس عشر رمضان درس بالمادلية الصغيرة الفقيه الامام نجر الدين محمد بن علي المصري المعروف
 بابن كاتب قتلوا بك ، بمقتضى نزول مدرستها كمال الدين بن الزمكاني له عنها ، وحضر عنده
 القضاة والأعيان والخطيب وابن الزمكاني أيضاً . وفي هذا الشهر كملت عمارة القيسارية المعروفة
 بالدهشة عند الوراقين واللبادين وسكنها التجار ، فتميزت بذلك أوقاف الجامع ، وذلك بمباشرة صاحب
 شمس الدين . وفي ثامن شوال قتل أحمد الروسي شهيد عليه بالعظام من ترك الواجبات واستحلل
 الحرمات واستهانته وتنقيصه بالكتاب والسنة ، فحك المالكى باراقة دمه وإن أسلم ، فاعتقل ثم قتل .
 وفي هذا اليوم كان خروج الركب الشامي وأميره سيف الدين طقتمر وقاضيه قاضي ملطية . وحج فيه
 قاضي حماة وحلب وماردين ومحبي الدين كاتب ملك الامراء تنكز وصره نجر الدين المصري .
 ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ شرف الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن العدل عماد الدين محمد بن أبي الفضل محمد بن أبي الفتح نصر الله بن المظفر بن أسعد
 ابن حمزة بن أسد بن علي بن محمد النيمى الدمشقي ابن القلانسي ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة
 وباشر نظر الخاص . وقد شهد قبل ذلك في القيمة ثم تركها ، وقد ترك أولاداً وأموالاً ، توفي ليلة
 السبت ثاني عشر صفر ودفن بقاسيون .

﴿ الشيخ صفي الدين الهندي ﴾

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الارموي الشافعي المتكلم ، ولد بالهند سنة أربع وأربعين
 وستمائة ، واشتغل على جده لأمه ، وكان فاضلاً ، وخرج من دهلي في رجب سنة سبع وستين فخرج

وجاور بمكة شهراً ثم دخل اليمن فأعطاه ملكها المظفر أربعمائة دينار ، ثم دخل مصر فأقام بها أربع سنين ، ثم سافر إلى الروم على طريق أنطاكية فأقام إحدى عشرة سنة بقونية و بسواس و بيسارية سنة ، واجتمع بالقاضي سراج الدين فأكرمه ، ثم قدم إلى دمشق في سنة خمس وثمانين فأقام بها واستوطنها ودرس بالرواحية والدولعية والظاهرية والاتبكية وصنف في الأصول والكلام ، وتصدى للاشتغال والافتاء ، ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية ، وكان فيه بر وصلة ، توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر بن صفر ودفن بمقابر الصوفية ، ولم يكن معه وقت موته سوى الظاهرية وبها مات ، فدرس بعده فيها ابن الزمكاني ، وأخذ ابن صصري الاتبكية .

﴿ القاضي المسند المعمر الرحلة ﴾

أبي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق وولد في نصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير وقرأ بنفسه وتفقه وبرع ، وولى الحكم وحدث ، وكان من خيار الناس وأحسنهم خلقاً وأكثرهم مروءة ، توفي فجأة بعد مرجعه من البلد وحكمه بالجوزية ، فلما صار إلى منزله بالدير تغيرت حاله ومات عقيب صلاة المغرب ليلة الاثنين حادي عشر بن ذي القعدة ، ودفن من القصد بقرية جده ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

﴿ الشيخ علي بن الشيخ علي الحريري ﴾

كان مقدما في طائفته ، مات أبوه وعمره سفتان ، توفي في قرية نسر في جمادى الأولى .

﴿ الحكيم الفاضل البارع ﴾

بهاء الدين عبد السيد بن المهذب إسحاق بن يحيى الطبيب الكحال المتشرف بالاسلام ، ثم قرأ القرآن جميعه لأنه أسلم على بصيرة ، وأسلم على يديه خلق كثير من قومه وغيرهم ، وكان مباركا على نفسه وعليهم ، وكان قبل ذلك ديان اليهود ، فهداه الله تعالى ، وتوفي يوم الاحد سادس جمادى الآخرة ودفن من يومه بسفح قاسيون ، أسلم على يدي شيخ الاسلام ابن تيمية لما بين له بطلان دينهم ومأم عليه وما بدلوه من كتابهم وحرفوه من الحكم عن مواضعه رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها غير الحنبلي بدمشق فإنه توفي في السنة الماضية . وفي المحرم تكلمت تفرقة المثالات السلطانية بمصر بمقتضى إزالة الاجناد ، وعرض الجيش على السلطان ، وأبطل السلطان المكس بسائر البلاد القبلية والشامية . وفيه وقعت فتنة بين الخنازلة والشافعية بسبب العقائد ، وترافعوا إلى دمشق فحضرها بدار السعادة عند نائب السلطنة تنسكز

فأصلح بينهم ، وانفصل الحال على خير من غير محاققة ولا تشويش على أحد من الفريقين ، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم . وفي يوم الأحد سادس عشر صفر قرى تقليد قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع الحنبلي ، بقضاء الحنابلة والنظر بأرقافهم عوضا عن تقي الدين سليمان بحكم وفاته رحمه الله ، وتاريخ التقليد من سادس ذي الحجة ، وقرى بالجامع الأموي بحضور القضاة والصاحب والاعيان ، ثم مشوا معه وعليه الخلمعة إلى دار السعادة فسلم على النائب وراح إلى الصالحية ، ثم نزل من الغد إلى الجوزية فحكم بها على عادة من تقدمه ، واستتاب بعد أيام الشيخ شرف الدين بن الحافظ . وفي يوم الاثنين سابع صفر وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر على البريد ومعه توقيع بعود الوكالة إليه ، فخلع عليه وسلم على النائب والخلمعة عليه . وفي هذا الشهر مسك الوزير عز الدين بن القلانسي واعتقل بالمدراوية وصودر بخمسين ألفا ثم أطلق له ما كان أخذ منه وانفصل من ديوان نظر الخالص . وفي ربيع الآخر وصل من مصر فضل ابن عيسى وأجرى له ولابن أخيه موسى بن مهنا إقطاعات صيدا ، وذلك بسبب دخول مهنا إلى بلاد التمر واجتماعهم بملكهم خر بندا .

وفي يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن صصرى مشيخة الشيوخ بالسميساطية بسؤال الصوفية وطلبهم له من نائب السلطنة ، فحضرها وحضر عنده الأعيان في هذا اليوم عوضا عن الشريف شهاب الدين أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد الكريم ابن محمد بن علي بن الحسن بن الحسين بن يحيى بن موسى بن جعفر الصادق ، وهو الكاشنغر ، وتوفي عن ثلاث وستين سنة ودفن بالصوفية . وفي جمادى الآخرة باشر بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى الحنفي المعروف بابن عليية وهو ناظر ديوان النائب بالشام نظر الدواوين عوضا عن شمس الدين محمد ابن عبد القادر الخطيرى الحاسب الكاسب توفي ، وقد كان مباشراً عدة من الجهات الكبار ، مثل نظر الخزانة ونظر الجمار ونظر المارستان وغير ذلك ، واستمر نظر المارستان من يومئذ بأيدي ديوان نائب السلطنة من كان ، وصارت عادة مستمرة . وفي رجب نقل صاحب حمص الأمير شهاب الدين قرطاي إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير سيف الدين التركستاني بحكم وفاته ، وولى الأمير سيف الدين إرقطاي نيابة حمص ، وتولى نيابة الكرك سيف الدين طقطاي الناصري عوضا عن سيف الدين تديغا .

وفي يوم الاربعاء عاشر رجب درس بالنجيبية القاضي شمس الدين الدمشقي عوضا عن بهاء الدين يوسف بن جمال الدين أحمد بن الظاهري العجمي الحلبي ، سبط الصاحب كمال الدين بن العميد ، توفي ودفن عند خاله ووالده بتربة العميد . وفي آواخر شعبان وصل القاضي شمس الدين

ابن عز الدين يحيى الحراني أخو قاضي قضاة الحنابلة بمصر شرف الدين عبد الغنى ، إلى دمشق متوليا نظر الأوقاف بها عوضا عن الصاحب عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن مبشر ، توفي في مستهل رجب بدمشق ، وقد باشر نظر الدواوين بها وبمصر ، والحسبة وبالسكندرية وغير ذلك ، ولم يكن بقي معه في آخر وقت سوى نظر الأوقاف بدمشق ، وقد قارب الثمانين ودفن بقاسيون .

وفي آخر شوال خرج الركب الشامي وأمرهم سيف الدين أرغون السلحدار الناصري الساكن عند دار الطراز بدمشق ، وحبج من مصر سيف الدين الدوادار وقاضي القضاة ابن جماعة ، وقد زار القدس الشريف في هذه السنة بعد وفاة ولده الخطيب جمال الدين عبد الله ، وكان قد رأس وعظم شأنه . وفي ذى القعدة سار الأمير سيف الدين تنكز إلى زيارة القدس فغاب عشرين يوما ، وفيه وصل الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب إلى دمشق من مصر وقد كان معتقلا في السجن فأطلق وأكرم وولى نيابة صفد فسار إليها بعد ما قضى أشغاله بدمشق ، ونقل القاضي حسام الدين القزويني من قضاء صفد إلى قضاء طرابلس ، وأعيدت ولاية قضاء صفد إلى قاضي دمشق فولى فيها ابن صصري شرف الدين الهاوندي ، وكان متوليا طرابلس قبل ذلك ، ووصل مع بكتمر الحاجب الطواشي ظهير الدين مختار المعروف بالزرعي ، متوليا الخزانة بالقلعة عوضا عن الطواشي ظهير الدين مختار البلستين توفي .

وفي هذا الشهر أعنى ذا القعدة وصات الأخبار بموت ملك التتر خر بندا محمد بن أرغون بن أبغا ابن هولاكوقان ملك العراق وخراسان وعراق المعجم والروم وأذربيجان والبلاد الأرمينية وديار بكر . توفي في السابع والعشرين من رمضان ودفن بتربته بالمدينة التي أنشأها ، التي يقال لها السلطانية وقد جاوز الثلاثين من العمر ، وكان موصوفا بالكرم ومحبا للهو واللعب والعمارة ، وأظهر الرفض ، أقام سنة على السنة ثم تحول إلى الرفض أقام شعائره في بلاده وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلي ، تلميذ نصير الدين الطوسي ، وأقطعه عدة بلاد ، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة ، وقد جرت في أيامه فتن كبار ومصائب عظام ، فأراح الله منه العباد والبلاد ، وقام في الملك بعده ولده أبو سعيد وله إحدى عشرة سنة ، ومدبر الجيوش والممالك له الأمير جوبان ، واستمر في الوزارة على شاه التبريزي ، وأخذ أهل دولته بالمصادرة وقتل الأعيان ممن اتهمهم بقتل أبيه مسموما ، ولعب كثير من الناس به في أول دولته ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة ، فأمر بإقامة الخطبة بالترضى عن الشيخين أولادهم عثمان ثم على رضى الله عنهم ، وفرح الناس بذلك وسكنت بذلك الفتن والشرور والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد وبهراة وأصبهان وبغداد وإربل وسواه وغير ذلك ، وكان صاحب مكة الأمير خميسة بن أبي نعي الحسني ، قد قصد ملك التتر خر بندا

لينصره على أهل مكة فساعده الروافض هناك وجهزوا معه جيشا كثيفا من خراسان ، فلما مات
 خربندا بطل ذلك بالكلية ، وعاد خيصة خائبا خاسئا . وفي صحبته أمير من كبار الروافض من التتر
 يقال له الدلقندى ، وقد جمع لخيصة أموالا كثيرة ليقوم بها الرضا في بلاد الحجاز ، فوقع بهما
 الأمير محمد بن عيسى أخو مهنا ، وقد كان في بلاد التتر أيضا ومعه جماعة من العرب ، فقهرها ومن
 كان معهما ، ونهب ما كان معهما من الأموال وحضرت الرجال ، وبلغت أخبار ذلك إلى الدولة
 الاسلامية فرضى عنه الملك الناصر وأهل دولته ، وغسل ذلك ذنبه عنده ، فاستدعى به السلطان إلى
 حضرته فحضر سامعا مطيعا ، فأكرمه نائب الشام ، فلما وصل إلى السلطان أكرمه أيضا ، ثم إنه استفتى
 الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكذلك أرسل إليه السلطان يسأله عن الأموال التي أخذت من
 الدلقندى ، فأفتاهم أنها تصرف في المصالح التي يعود نفعها على المسلمين ، لأنها كانت معدة لعناد الحق
 ونصرة أهل البدعة على السنة . ومن توفى فيها من الأعيان :

عز الدين المبشر . والشهاب الكاشغرى شيخ الشيوخ ، والبهاء المعجمي مدرس النجيبية . وفيها
 قتل خطيب المزة قتله رجل جبلي ضربه بفأس اللحام في رأسه في السوق فبقى أياما ومات ، وأخذ
 القتال فشنق في السوق الذي قتل فيه ، وذلك يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر ، ودفن هناك
 وقد جاوز الستين . ﴿ الشرف صالح بن محمد بن عمر بشاه ﴾

ابن أبي بكر الهمداني ، مات في جمادى الآخرة ودفن بمقابر النيرب ، وكان مشهورا بطيب القراءة
 وحسن السيرة ، وقد سمع الحديث وروى جزءا .

﴿ ابن عرفة صاحب التذكرة الكندية ﴾

الشيخ الامام المقرئ المحدث النحوى الأديب علاء الدين على بن المظفر بن إبراهيم بن عمر
 ابن زيد بن هبة الله الكندي الاسكندراني ، ثم الدمشقي ، سمع الحديث على أزيد من مائتي شيخ
 وقرأ القراءات السبع ، وحصل علوما جيدة ، ونظم الشعر الحسن الرائق الفائق ، وجمع كتابا في
 نحو من خمسين مجلدا ، فيه علوم جمّة أكثرها أدبيات سماها التذكرة الكندية ، وقفها بالسميساطية
 وكتب حسنا وحسب جيدا ، وخدم في عدة خدم ، وولى مشيخة دار الحديث النفيسية في مدة عشر
 سنين وقرأ صحيح البخارى مرات عديدة ، وأسمع الحديث ، وكان يلوذ بشيخ الاسلام ابن تيمية ،
 وتوفى ببستان عند قبة المسجد ليلة الاربعاء سابع عشر رجب ، ودفن بالمزة عن ست وسبعين سنة .

﴿ الطواشي ظهير الدين مختار ﴾

البكندى الخزنदार بالقلمة وأحد أمراء الطبائخانات بدمشق ، كان زكيا خبيرا فاضلا ، يحفظ
 القرآن ويؤديه بصوت طيب ، ووقف مكتبا للايتام على باب قلعة دمشق ، ورتب لهم الكسوة

والجامكية ، وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم ، وعمل تربة خارج باب الجابية ووقف عليها القريتين
و بنى عندها مسجداً حسناً ووقفه بامام وهى من أوائل ما عمل من التراب بذلك الخط ، ودفن بها
فى يوم الخميس عاشر شعبان رحمة الله ، وكان حسن الشكل والاخلاق ، عليه سكينه ووقار وهيبه
وله وجهة فى الدولة سماحه الله . وولى بعده الخزانة سميحاً يظهر الدين مختار الزرعى .

﴿ الأمير بدر الدين ﴾

محمد بن الوزيرى ، كان من الأمراء المقدمين ، ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة ، وقد ناب عن السلطان
بدار العدل مرة بمصر ، وكان حاجب الميسرة ، وتكلم فى الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين ،
ثم نقل إلى دمشق فمات بها فى سادس عشر شعبان ، ودفن بميدان الحصى فوق خان النجيبى ، وخلف
تركة عظيمة .

﴿ الشيخة الصالحة ﴾

ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا ، راوية صحيح البخارى وغيره ، جاوزت التسعين
سنة ، وكانت من الصالحات ، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر شعبان ودفنت بترتهم فوق جامع
المظفرى بقاسيون

﴿ القاضى محب الدين ﴾

أبو الحسن ابن قاضى القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، استنابه أبوه فى أيامه وزوجه بابنة الحاكم
بأمر الله ، ودرس بالهارية ورأس بعد أبيه ، وكانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشر رمضان ، وقد قارب
الستين ، ودفن عند أبيه بالقرافة .

﴿ الشيخة الصالحة ﴾

ست المنعم بنت عبد الرحمن بن على بن عبدوس الحرانية ، والدة الشيخ تقي الدين بن تيمية
عمرت فوق السبعين سنة ، ولم ترزق بنتاً قط ، توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال ودفنت بالصوفية
وحضر جنازتها خلق كثير وجم غفير رحمها الله .

﴿ الشيخ نجم الدين موسى بن على بن محمد ﴾

الجبلى ثم الدمشقى ، الكاتب الفاضل المعروف بابن البصيص ، شيخ صناعة الكتابة فى
زمانه لاسيما فى المزوج والمثلث ، وقد أقام يكتب الناس خمسين سنة ، وأنا من كتب عليه
أتابه الله . وكان شيخاً حسناً بهى المنظر يشعر جيداً ، توفى يوم الثلاثاء عاشر ذى القعدة ودفن
بمقابر الباب الصغير وله خمس وستون سنة .

﴿ الشيخ تقي الدين الموصلى ﴾

أبو بكر بن أبى الكرم شيخ القراءة عند محراب الصحابة ، وشيخ ميعاد ابن عامر مدة طويلة
وقد انتفع الناس به نحواً من خمسين سنة فى التلقين والقراءات ، وختم خلقاً كثيراً ، وكان يقصد
لذلك ويجمع تصديقات يقولها الصبيان ليالى ختمهم ، وقد سمع الحديث وكان خيراً دينياً ، توفى

ليلة الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح الزاهد المقرئ ﴾

أبو عبد الله محمد بن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن ينيوب الماليني ، أحد الصلحاء المشهورين بجامع دمشق ، سمع الحديث وأقرأ الناس نحواً من خمسين سنة ، وكان يفصح الأولاد في الحروف الصعبة ، وكان مبتلى في فمه يحمل طاسة تحت فمه من كثرة ما يسيل منه من الريال وغيره وقد جاوز الثمانين بأربع سنين ، توفي بالمدرسة الصارمية يوم الأحد ثاني عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير بالقرب من القندلاوى ، وحضر جنازته خلق كثير جداً نحواً من عشرة آلاف رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الصدر بن الوكيل ﴾

هو العلامة أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام مفتي المسلمين زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد المعروف بابن المرحل و بابن الوكيل شيخ الشافعية في زمانه ، وأشهرهم في وقته بالفضيلة وكثرة الاشتغال والمطالعة والتحصيل والافتنان بالعلوم العديدة ، وقد أجاد معرفة المذهب والأصلين ، ولم يكن بالنحو بذاك القوى ، وكان يقع منه اللحن الكثير ، مع أنه قرأ منه المفصل للزخشرى ، وكانت له محفوظات كثيرة ، ولد في شوال سنة خمس وستين وستمائة ، وسمع الحديث على المشايخ من ذلك مسند أحمد على ابن علان ، والكتب الستة ، وقرأ عليه قطعة كبيرة من صحيح مسلم بدار الحديث عن الأمير الأربلى والعامرى والمزى ، وكان يتكلم على الحديث بكلام مجموع من علوم كثيرة ، من الطب والفلسفة وعلم الكلام ، وليس ذلك بعلم ، وعلوم الأوائل ، وكان يكثر من ذلك ، وكان يقول الشعر جيداً ، وله ديوان مجموع مشتمل على أشياء لطيفة ، وكان له أصحاب يحسدونه ويحبونه ، وآخرون يحسدونه ويبغضونه ، وكانوا يتكلمون فيه بأشياء ويرمونه بالعظام ، وقد كان مسرفاً على نفسه قد ألقى جلباب الحياء فيما يتعاطاه من القاذورات والفواحش ، وكان ينصب العداوة للشيخ ابن تيمية وينظره في كثير من المحافل والمجالس ، وكان يعترف للشيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة ويثني عليه ، ولكنه كان يجاحف عن مذهبه وناحيته وهواه ، وينافح عن طائفته . وقد كان شيخ الاسلام ابن تيمية يثني عليه وعلى علومه وفضائله ويشهد له بالاسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة ، وكان يقول : كان مخلطاً على نفسه متبعاً مراد الشيطان منه ، يميل إلى الشهوة والمحاضرة ، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممن يحسده ويتكلم فيه هذا أو ما هو في معناه . وقد درس بعدة مدارس بمصر والشام ، ودرس بدمشق بالشاميتين والعندراوية ودار الحديث الأشرفية وولى في وقت الخطابة أياماً يسيرة كما تقدم ، ثم قام الخلق عليه وأخرجوها من يده ، ولم يرق منبرها ، ثم خالط نائب السلطنة الأفرم فجرت له أمور لا يمكن ذكرها ولا يحسن من القبائح

ثم آل به الحال على أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلب لاستحوازه على قلب نائبها ، فأقام بها ودرس ، ثم تردد في الرسلية بين السلطان ومهنا صحبة أرغون والطنبغا ، ثم استقر به المنزل بمصر ودرس فيها بمشهد الحسين إلى أن توفي بها بكرة نهار الأربعاء رابع عشر من ذى الحجة بداره قريباً من جامع الحاكم ، ودفن من يومه قريباً من الشيخ محمد بن أبي حمزة بتربة القاضي ناظر الجيش بالقرافة ، ولما بلغت وفاته دمشق صلى عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة ثالث المحرم من السنة الآتية ، ورثاه جماعة منهم ابن غانم علاء الدين ، والقجقازى والصفدى ، لانهم كانوا من عشرائه .

وفي يوم عرفة توفي ﴿ الشيخ عماد الدين إسماعيل الفوعى ﴾

وكيل قجلميس ، وهو الذى بنى له الباشورة على باب الصغير بالبرانية الغربية ، وكانت فيه نهضة وكفاية ، وكان من بيت الرفض ، اتفق أنه استحضره نائب السلطنة فضر به بين يديه ، وقام النائب إليه بنفسه فجعل يضر به بالمهاميز في وجهه فرفع من بين يديه وهو تالف فمات في يوم عرفة ، ودفن من يومه بسفح قاسيون وله دار ظاهر باب الفرايدس .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها . وفى صفر شرع فى عمارة الجامع الذى أنشأه ملك الامراء تنكز نائب الشام ظاهر باب النصر تجاه حكر السماق ، على نهر بانياس بدمشق ، وتردد القضاء والعلماء فى تحريك قبيلته ، فاستقر الحال فى أمرها على ما قاله الشيخ تقي الدين بن تيمية فى يوم الأحد الخامس والعشرين منه ، وشرعوا فى بنائه بأمر السلطان ، ومساعدته لنائبه فى ذلك . وفى صفر هذا جاء سيل عظيم بمدينة بعلبك أهلك خلقاً كثيراً من الناس ، وخرب دوراً وعمائر كثيرة ، وذلك فى يوم الثلاثاء سابع وعشرين صفر .

وماخص ذلك أنه قبل ذلك جاءهم رعد و برق عظيم معهما برد ومطر ، فسالت الأودية ، ثم جاءهم بعده سيل هائل خسف من سور البلد من جهة الشمال شرق مقدار أربعين ذراعاً ، مع أن حملك الحائط خمسة أذرع ، وحمل برجاً صحيحاً ومعه من جانبيه مدينتين ، فحمله كما هو حتى مر فحفر فى الأرض نحو خمسمائة ذراع سعة ثلاثين ذراعاً ، وحمل السيل ذلك إلى غربى البلد ، لا يمر على شىء إلا أتلفه ، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فأتلف ما يزيد على ثلثها ، ودخل الجامع فارتفع فيه على قامة ونصف ، ثم قوى على حائطه الغربى فأخربه وأتلف جميع ما فيه الحواصل والكتيب والمصاحف وأتلف شيئاً كثيراً من رباغ الجامع ، وهلك تحت الهدم خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وغرق فى الجامع الشيخ على بن محمد بن الشيخ على الحريرى هو وجماعة معه من الفقراء ، ويقال كان من جملة من هلك فى هذه الكائنة من أهل بعلبك مائة وأربعة وأربعون

نفسا سوى الغرباء ، وجملة الدور التي خربها والحوانيت التي أتلغها نحو من ستمائة دار وحانوت ، وجملة البساتين التي جرف أشجارها عشرون بستانا ، ومن الطواحين ثمانية سوى الجامع والأمينية وأما الأماكن التي دخلها وأتلف ما فيها ولم تخرب فكثير جداً .

وفي هذه السنة زاد النيل زيادة عظيمة لم يسمع بمثلها من مدد ، وغرق بلادا كثيرة ، وهلك فيها ناس كثير أيضاً ، وغرق منية السبرج فهلك للناس فيها شيء كثير ، فانا لله وإنا إليه راجعون .
وفي مستهل ربيع الآخر منها أغار جيش حلب على مدينة آمد فنهبوا وسبوا وعاذوا سلمين . وفي يوم السبت تاسع وعشرين منه قدم قاضي المالكية إلى الشام من مصر وهو الامام العلامة نجر الدين أبو العباس أحمد بن سلامة بن أحمد بن أحمد بن سلامة الاسكندري المالكي ، على قضاء دمشق عوضا عن قاضي القضاة جمال الدين الزواوي لضعفه واشتداد مرضه ، فالتقاء القضاة والأعيان ، وقرىء تقليده بالجامع ثاني يوم وصوله ، وهو مؤرخ بثاني عشر الشهر ، وقدم نائبه الفقيه نور الدين السخاوي درس بالجامع في جمادى الأولى ، وحضر عنده الاعيان ، وشكرت فضائله وعلومه ونزاهته وصرامته وديانته ، وبعد ذلك بتسعة أيام توفي الزواوي المعزول ، وقد باشر القضاء بدمشق ثلاثين سنة . وفيها أفرج عن الامير سيف الدين بهادر آص من سجن الكرك وحمل إلى القاهرة وأكرمه السلطان ، وكان سجنه بها مطاوعة لاشارة نائب الشام بسبب ما كان وقع بينهما بملطية . وخرج المحمل في يوم الخميس تاسع شوال ، وأمير الحج سيف الدين كجكني المنصوري . ومن حج قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وابن أخيه شرف الدين وكمال الدين بن الشيرازي والقاضي جلال الدين الحنفي والشيخ شرف الدين بن تيمية وخلق . وفي سادس هذا الشهر درس بالجارضية القاضي جلال الدين محمد بن الشيخ كمال الدين الشريشي بعد وفاة الشيخ شرف الدين بن أبي سلام ، وحضر عنده الاعيان . وفي التاسع عشر منه درس ابن الزمكاني بالندراوية عوضا عن ابن سلام ، وفيه درس الشيخ شرف الدين بن تيمية بالحنبلية عن إذن أخيه له بذلك بعد وفاة أخيهما لأهمسا بدر الدين قاسم بن محمد ابن خالد ، ثم سافر الشيخ شرف الدين إلى الحج ، وحضر الشيخ آقاي الدين الدرس بنفسه ، وحضر عنده خلق كثير من الاعيان وغيرهم حتى عاد أخوه ، وبعد عوده أيضاً ، وجاءت الأخبار بأنه قد أبطلت الخنور والفواحش كلها من بلاد السواحل وطرابلس وغيرها ، ووضعت مكوس كثيرة عن الناس هنالك ، وبنيت بقرى النصيرية في كل قرية مسجد والله الحمد والمنة .

وفي بكرة نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال وصل الشيخ الامام العلامة شيخ الكتاب شهاب الدين محمود بن سايمان الحلبي إلى البريد من مصر إلى دمشق متولياً كتابته السريها ، عوضا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله توفي إلى رحمة الله . وفي ذى القعدة يوم الأحد درس

بالصمصامية التي جددت للمالكية وقد وقف عليها صاحب شمس الدين غبريال درسا ، ودرس بها فقهاء ، وعين تدريسها لنائب الحكيم الفقيه نور الدين علي بن عبد البصير المالكي ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، ومن حضر عنده الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان يعرفه من اسكندرية ، وفيه درس بالدخورية الشيخ جمال الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد الكحال ، ورتب في رئاسة الطب عوضا عن أمين الدين سليمان الطيب ، بمرسوم نائب السلطنة تنسكز ، واختاره لذلك . واتفق أنه في هذا الشهر تجتمع جماعة من التجار بمادريه وانضاف إليهم خلق من الجبال من الفلا قاصدين بلاد الشام ، حتى إذا كانوا بمرحلتين من رأس العين لحقهم ستون فارسا من التتار فمالوا عليهم بالنشاب وقتلواهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى صبيانهم نحو سبعين صبيا ، فقالوا من يقتل هؤلاء ؟ فقال واحد منهم : أنا بشرط أن تنفلوني بمال من الغنيمة ، فقتلهم كلهم عن آخرهم ، وكان جملة من قتل من التجار ستائة ، ومن الجفان ثلثمائة من المسلمين ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وردموا بهم خمس صهاريج هناك حتى امتلأت بهم رحمهم الله ، ولم يسلم من الجميع سوى رجل واحد تركاني ، هرب وجاء إلى رأس العين فأخبر الناس بما رأى وشاهد من هذا الأمر الفظيع المؤلم الوجيع ، فاجتهد متسلم ديار بكر سويبي في طلب أولئك التتر حتى أهلكهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى رجلين ، لا جمع الله بهم شملا ولا بهم مرحبا ولا أهلا ، آمين يارب العالمين .

✽ صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة ✽

وفي هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله ، وتارة يدعى علي بن أبي طالب فاطر السموات والارض ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وتارة يدعى أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد ، وخرج يكفر المسلمين ، وأن النصيرية على الحق ، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال ، وعين لكل إنسان منهم مقدمة ألف ، وبلادا كثيرة ونيابات ، وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها ، وخرجوا منها يقولون لا إله إلا علي ، ولا حجاب إلا محمد ، ولا باب إلا سلمان . وسبوا الشيخين ، وصاح أهل البلد وإسلاماه ، واسلطانه ، وأميراه ، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد ، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل ، فجمع هذا الضال تلك الأموال فقسمها على أصحابه وأتباعه قبحهم الله أجمعين . وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ، ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر للمسكنة البلاد كلها . ونادى في تلك البلاد إن المقامعة بالعرش لا غير ليرغب فيه ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين : قل لا إله إلا علي ، واسجد لالهك المهدي ، الذي يحيى ويميت حتى يموتن دمك ، ويكتب لك فرمان ، وتجهزوا وعملوا أمرا عظيما جدا ، فخرت إليهم العساكر

فهزموم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وجما غفيرا ، وقتل المهدي أضلهم وهو يكون يوم القيامة مقدمهم إلى عذاب السمير ، كما قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السمير . ذلك بما قدمت يدك) الآية
وفيهما حج الأمير حسام الدين مهنا وولده سليمان في ستة آلاف ، وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف ، ولم يجتمع مهنا بأحد من المصريين ولا الشاميين ، وقد كان في المصريين قجليس وغيره والله أعلم .
ومن توفى فيها من الاعيان .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المنتزه ، كان فاضلا ، وكتب حسنا ، نسخ التنبيه والعمدة وغير ذلك ، وكان الناس ينتفعون به ويقابلون عليه ذلك ويصححون عليه ، ويجلسون إليه عند صندوق كان له في الجامع ، توفى ليلة الاثنين سادس محرم ودفن بالصوفية ، وقد صححت عليه في العمدة وغيره .
﴿ الشيخ شهاب الدين الرومي ﴾

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن المراغي ، درس بالمعينية ، وأم بحراب الحنفية بمقصورتهم الغربية إذ كان محرابهم هناك ، وتولى مشيخة الخاتونية ، وكان يؤم بنائب السلطان الافرم ، وكان يقرأ حسنا بصوت مليح ، وكانت له مكانة عنده ، وربما راح إليه الافرم ماشيا حتى يدخل عليه زاويته التي أنشأها بالشرق الشمالي على الميدان الكبير ، ولما توفى بالحرم ودفن بالصوفية قام ولداه عماد الدين وشرف الدين بوظائفه .

﴿ الشيخ الصالح العدل ﴾

فخر الدين عثمان بن أبي الوفا بن نعمة الله الأعزازي ، كان ذا ثروة من المال كثير المروءة والتلاوة أدى الامانة في ستين ألف دينار وجواهر لا يعلم بها إلا الله عز وجل ، بعد مامات صاحبها مجردا في الغزاة وهو عزالدين الجراحي نائب غزة ، أودعه إياها فأداها إلى أهلها أتابه الله ، ولهذا مامات يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر حضر جنازته خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى ، حتى قيل إنهم لم يجتمعوا في مثلها قبل ذلك ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

﴿ قاضي القضاة ﴾

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن يوسف الزواوي قاضي المالكية بدمشق ، من سنة سبع وثمانين وستمائة ، قدم مصر من المغرب واشتغل بها وأخذ عن مشايخها منهم الشيخ عزالدين بن عبد السلام ، ثم قدم دمشق قاضيا في سنة سبع وثمانين وستمائة ، وكان مولده تقريبا في سنة تسع وعشرين وستمائة . وأقام شعار مذهب مالك وعمر الصمصامية في أيامه وجدد عمارة النورية ، وحدث

بصحيح مسلم وموطأ مالك عن يحيى بن يحيى عن مالك ، وكتاب الشفا للقاضي عياض ، وعزل قبل وفاته بعشرين يوماً عن القضاء ، وهذا من خيره حيث لم يمّت قاضياً ، توفي بالمدرسة الصمصامية يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة ، وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر باب الصغير تجاه مسجد التاريخ ، وحضر الناس جنازته وأثنوا عليه خيراً ، وقد جاوز الثمانين كلاك رحمه الله . ولم يبلغ إلى سبعة عشر من عمره على مقتضى مذهبه أيضاً .

﴿ القاضي الصدر الرئيس ﴾

رئيس الكتاب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن الحلبي القرشي العدوي المعمرى ، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة وسمع الحديث وخدم وارتفعت منزلته حتى كتب الانشاء بمصر ، ثم نقل إلى كتابة السر بدمشق إلى أن توفي في ثامن رمضان ، ودفن بقاسيون ، وقد قارب التسعين ، وهو ممتع بحواسه وقواه ، وكانت له عقيدة حسنة في العلماء ، ولا سيما في ابن تيمية وفي الصلحاء رحمه الله . وقد رئاه الشهاب محمود كاتب السر بعده بدمشق ، وعلاء الدين بن غانم وجمال الدين بن نباتة .

﴿ الفقيه الامام العالم المناظر ﴾

شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن الامام كمال الدين علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي الشافعي ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، واشتغل وبرع وحصل ودرس بالجاروضية والعندراوية ، وأعاد بالظاهرة وأفتى بدار العدل ، وكان واسع الصدر كثير المهمة كريم النفس مشكوراً في فهمه وخطه وحفظه وفصاحته ومناظرته ، توفي في رابع عشرين رمضان وترك أولاداً وديناً كثيراً ، فوفته عنه زوجته بنت زوزان تقبل الله منها وأحسن إليها .

﴿ صاحب أنيس الملوك ﴾

بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الأربلي ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، واشتغل بالأدب فحصل على جانب جيد منه وارتزق عند الملوك به . فن رقيق شعره ما أورده الشيخ علم الدين في ترجمته قوله :

ومدامة خمر تشبه خد من * أهوى ودمعى يسقى بها قرا

أعز على من سمعى ومن بصرى ^(١)

وقوله في مغنية

وعزيزة هيفاء ناعمة الصبا * طوع العناق صريضة الأجفان

غنت وماس قوامها فكأنها الـ * ورقاء تسجع فوق غصن البان

(١) بياض بالنسخ التركية والمصرية .

﴿ الصدر الرئيس شرف الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم ﴾

ابن شرف الدين عبد الرحمن بن أمين الدين سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن مصري ، ذهب إلى الحجاز الشريف ، فلما كانوا بهردى اعتراه مرض ولم يزل به حتى مات ، توفي بمكة وهو محرم ملب ، فشهد الناس جنازته وغبطوه بهذه الموتة ، وكانت وفاته يوم الجمعة آخر النهار سابع ذى الحجة ودفن ضحى يوم السبت بمقبرة بباب الحجون رحمه الله تعالى وأكرم مثواه .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة ﴾

الخليفة والسلطان هما ، وكذلك النواب والقضاة سوى المالكى بدمشق فانه العلامة نجر الدين ابن سلامة بعد القاضي جمال الدين الزواوى رحمه الله . ووصلت الأخبار فى المحرم من بلاد الجزيرة وبلاد الشرق سنجانر والموصل وماردين وتلك النواحي بغلاء عظيم وفناء شديد ، وقلة الأمطار ، وخوف التتار ، وعدم الأوقات وغلاء الأسمار ، وقلة النفقات ، وزوال النعم ، وحلول النقم ، بحيث إنهم أكلوا ما وجدوه من الجمادات والحيوانات والميتات ، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم ، فبيع الولد بخمسين درهما وأقل من ذلك ، حتى إن كثيرا كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين ، وكانت المرأة تصرح بأنها نصرانية ليشتري منها ولدها لتنتفع بثمنه ويحصل له من يطعمه فيعيش ، وتأمين عليه من الهلاك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ووقعت أحوال صعبة يطول ذكرها ، وتنبو الأشماع عن وصفها ، وقد ترحلت منهم فرقة قريب الأربعمائة إلى ناحية مراغة فسقط عليهم ثلج أهلكتهم عن آخرهم ، وصحبت طائفة منهم فرقة من التتار ، فلما انتهوا إلى عقبية صعدها التتار ثم منعوم أن يصعدوها لئلا يتكفوا بهم فماتوا عن آخرهم ، فلاحول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وفى بكرة الاثنين السابع من صفر قدم القاضي كريم الدين عبد الكريم بن العلم هبة الله وكيل الخصاص السلطاني بالبلاد جميعها ، قدم إلى دمشق فنزل بدار السعادة وأقام بها أربعة أيام وأمر ببناء جامع القبيبات ، الذى يقال له جامع كريم الدين ، وراح لزيارة بيت المقدس ، وتصديق بصدقات كثيرة وأفرة ، وشرع ببناء جامع بعد سفره . وفى ثانى صفر جاءت ريح شديدة ببلاد طرابلس على ذوق تركان فأهلكتهم كثيرا من الأمتعة ، وقتلت أميراً منهم يقال له طرالى وزوجته وابنتيه وابنى ابنيه وجاريته وأحد عشر نفساً ، وقتلت جمالا كثيرة وغيرها ، وكسرت الأمتعة والأثاث وكانت ترفع البعير فى الهواء مقدار عشرة أرماع ثم تلقيه مقطعاً ، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد وبرد عظيم بحيث أتلغ زروعاً كثيرة فى قرى عديدة نحو من أربعة وعشرين قرية ، حتى انها لا ترد بدارها . وفى صفر أخرج الأمير سيف الدين طغاي الحاصلى إلى نيابة صفت فأقيم بها شهرين ثم مسك ، والصاحب أمين الدين إلى نظر الأوقاف بطرابلس على معلوم وافر . قال الشيخ علم الدين

وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية وأشار عليه في ترك الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق ، فقبل الشيخ نصيحته وأجاب إلى ما أشار به ، رعاية لمخاطره وخواطر الجماعة المفتيين ، ثم ورد البريد في مستهل جمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدين من الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق وانعقد بذلك مجلس ، وانفصل الحال على ما رسم به السلطان ، ونودي به في البلد ، وكان قبل قدوم المرسوم قد اجتمع بالقاضي ابن مسلم الحنبلي جماعة من المفتيين الكبار ، وقالوا له أن ينصح الشيخ في ترك الافتاء في مسألة الطلاق ، فعلم الشيخ نصيحته ، وأنه إنما قصد بذلك ترك ثوران فتنة وشر . وفي عاشره جاء البريد إلى صفت بمسك سيف الدين طغاي ، وتولية بدر الدين القرمانى نيابة حمص .

وفي هذا الشهر كان مقتل رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير بن على الحمداني ، كان أصله يهوديا عطاراً ، فتقدم بالطب وشملتته السعادة حتى كان عند خربندا الجزء الذي لا يتجزأ ، وعلت رتبته وكنته ، وتولى مناصب الوزراء ، وحصل له من الأموال والأموال والسعادة ما لا يحصى ولا يوصف وكان قد أظهر الاسلام ، وكانت لديه فضائل جمعة ، وقد فسر القرآن وصنف كتباً كثيرة ، وكان له أولاد وثروة عظيمة ، وبلغ الثمانين من العمر ، وكانت له يد جيدة يوم الرحبة ، فانه صانع عن المسلمين وأتقن القضية في رجوع ملك التتار عن البلاد الشامية ، سنة ثنتي عشرة كما تقدم ، وكان ينصح الاسلام ، ولكن قد نال منه خاق كثير من الناس واتهموه على الدين وتكلموا في تفسيره هذا ، ولا شك أنه كان مخبطاً مخلطاً ، وليس لديه دلم نافع ، ولا عمل صالح . ولما تولى أبو سعيد المملكة عزله وبقى مدة خاهلاً ثم استدهاه جوبان وقال له أنت سقيت السلطان خربندا سما ؟ فقال له : أنا كنت في غاية الحقايرة والذلة ، فصرت في أيامه وأيام أبيه في غاية العظمة والعزة ، فكيف أعمد إلى سقيه والحالة هذه ؟ فأحضرت الأطباء فذكروا صورة مرض خربندا وصفته ، وأن الرشيد أشار بأسهاله لما عنده في بطنه من الحواصل ، فانطلق بطنه نجواً من سبعين مجلساً ، فمات بذلك على وجه أنه أخطأ في الطب . فقال : فأنت إذا قتلته ، فقتله وولده إبراهيم واحتيط على حواصله وأمواله ، فبلغت شيئاً كثيراً ، وقطعت أعضاؤه وحمل كل جزء منها إلى بلدة ، ونودي على رأسه بتبريز هذا رأس اليهودي الذي بدل كلام الله لعنه الله ، ثم أحرقت جثته ، وكان القائم عليه على شاه .

وفي هذا الشهر - أعني جمادى الأولى - تولى قضاء المالكية بمصر تقي الدين الاخواني عوضاً عن زين الدين بن مخلوف توفي عن أربع وثمانين سنة ، وله في الحكم ثلاث وثلاثون سنة . وفي يوم الخميس عاشر رجب لبس صلاح الدين يوسف بن الملك الأوحى خلعاً الامرة بمرسوم السلطان ،

وفي آخر رجب جاء سيل عظيم بظاهر حمص خرب شيئا كثيراً ، وجاء إلى البلد ليدخلها فنعمه الخندق . وفي شعبان تكامل بناء الجامع الذي عمره تنكز ظاهر باب النصر ، وأقيمت الجمعة فيه عاشر شعبان ، وخطب فيه الشيخ نجم الدين علي بن داود بن يحيى الخنفي المعروف بالفقجازي ، من مشاهير الفضلاء ذوى الفنون المتعددة ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان والقراء والمثشدون وكان يوماً مشهوداً . وفي يوم الجمعة التي يليها خطب بجوامع القبيبات الذي أنشأه كريم الدين وكيل السلطان ، وحضر فيه القضاة والأعيان ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الرزين الحراني الأسدي الحنبلي ، وهو من الصالحين الكبار ، ذوى الزهادة والعبادة والانسك والتوجه وطيب الصوت وحسن السميت . وفي حادى عشر رمضان خرج الشيخ شمس الدين ابن النقيب إلى حمص حاكماً بها مطلوباً مولى مرغوباً فيه ، وخرج الناس لتوديعه .

وفي هذا الشهر حصل سيل عظيم بسلمية ومثله بالشوبك ، وخرج الحمل في شوال وأمير الركب الأمير علاء الدين بن معبد والى البر ، وقاضيه زين الدين ابن قاضى الخليل الحاكم بحلب . ومن حجج في هذه السنة من الأعيان : الشيخ برهان الدين الغزاري وكال الدين ابن الشريشى وولده وبدر الدين ابن المطار . وفي الحادى والعشرين من ذى الحجة انتقل الأمير نجر الدين إلياس الأعسرى من شد الدواوين بدمشق إلى طرابلس أميراً . وفي يوم الجمعة السابع عشر ذى الحجة أقيمت الجمعة في الجامع الذى أنشأه صاحب شمس الدين غدير يال ناظر الدواوين بدمشق خارج باب شرقى ، إلى جانب ضرار بن الأزور بالقرب من محلة القعاطلة ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن التدمرى المعروف بالنيربانى ، وهو من كبار الصالحين ذوى العبادة والزهادة ، وهو من أصحاب شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضره صاحب المذكور وجماعة من القضاة والأعيان .

وفي يوم الاثنين والعشرين من ذى الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبى المحدث الحافظ بتربة أم الصالح عوضاً عن كل الدين بن الشريشى توفى بطريق الحجاز في شوال ، وقد كان له في مشيخته ثلاث وثلاثون سنة ، وحضر عند الذهبى جماعة من القضاة . وفي يوم الثلاثاء صبيحة هذا المرس أحضر النقيب زين الدين بن عبيدان الحنبلى من بعلبك وحوقق على منام رآه زعم أنه رآه بين النائم واليقظان ، وفيه تخاليف وتخييط وكلام كثير لا يصدر عن مستقيم المزاج ، كان كتبه بخطه وبهذه إلى بعض أصحابه ، فاستأمله القاضى الشافعى وحقق دمه وعزره ، وتودى عليه في البلد ومنع من الفتوى وعود الأنكحة ، ثم أطلق . وفي يوم الاربعاء بكرة باشر بدر الدين محمد بن بضحان مشيخة الاقراء بتربة أم الصالح عوضاً عن الشيخ مجد الدين التوانسى توفى ، وحضر عنده الأعيان والفضلاء ، وقد حضرته يومئذ ، وقبل ذلك باشر مشيخة الاقراء بالأشرفية عوضاً عنه أيضاً الشيخ

محمد بن خروف الموصلى . وفي يوم الخميس ثالث عشرين ذى الحجة باشر الشيخ الامام العلامة الحافظ الحجة شيخنا ومفيدنا أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف المزى مشيخة دار الحديث الاثرية عوضا عن كمال الدين بن الشريشى ، ولم يحضر عنده كبير أحد ، لما فى نفوس بعض الناس من ولايته لذلك ، مع أنه لم يتولها أحد قبله أحق بها منه ، ولا أحفظ منه ، وما عليه منهم ؟ إذ لم يحضروا عنده فانه لا يوحشه إلا حضورهم عنده ، وبعدهم عنه أنس والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

الورع الزاهد القدوة بقية السلف و قدوة الخلف أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبى بكر بن قوام بن على بن قوام البالى ، ولد سنة خمسين وستائة ببالس ، وسمع من أصحاب ابن طبرزد ، وكان شيخا جليلا بشوش الوجه حسن السميت ، مقصدا لكل أحد كثير ، الوفا عليه سيما العبادة والخير ، وكان يوم قازان فى جملة من كان مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان ، فحكى عن كلام شيخ الاسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجراته عليه ، وأنه قال لترجمانه قل للقمان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضى وإمام وشيخ على ما بلغنا ففرزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا ؟ وأبوك وجدك هلاكو كنا كافرين وما غزوا بلاد الاسلام ، بل عاهدوا قومنا ، وأنت عاهدت فعدرت وقلت فما وفيت . قال وجرت له مع قازان وقطوشاه وبولاي أمور ونوب ، قام ابن تيمية فيها كلها لله ، وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل . قال وقرب إلى الجماعة طعاما فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقيل له ألا تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامكم وكله مما نهيتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ، قال ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال فى دعائه « اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هى العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد ، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبنا للدنيا ولتكون كلمته هى العليا وليذل الاسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره » قال وقازان يؤمن على دعائه ، ويرفع يديه . قال فجعلنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله ، قال فلما خرجنا من عنده قال له قاضى القضاة نجم الدين ابن صصرى وغيره : كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك ، والله لا نصحبك من هنا ، فقال : وأنا والله لأصحبكم . قال فانطلقنا عسبة وتأخره فى خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه ، فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فاتوه يتبركون بدعائه ، وهو سائر إلى دمشق ، وينظرون إليه ، قال والله ما وصل إلى دمشق إلا فى نحو ثلثمائة فارس فى ركابه ، وكنت أنا من جملة من كان معه ، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فساخوهم عن آخرهم ، هذا الكلام أو نحوه ، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره ، وقد تقدم ذلك . توفى الشيخ محمد بن قوام ليلة الاثنين

الثاني والعشرين من صفر بالزاوية المعروفة بهم غربى الصالحية والناصرية والعادلية ، وصلى عليه بها ودفن بها وحضر جنازته ودفن فيه خلق كثير وجم غفير ، وكان في جملة الجمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، لأنه كان يحبه كثيرا ، ولم يكن للشيخ محمد مرتب على الدولة ولا غيرهم ، ولا لزاويته مرتب ولا وقف ، وقد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل ، وكان يزار ، وكان لديه علم وفضائل جمّة ، وكان فهمه صحيحا ، وكانت له معرفة تامة ، وكان حسن العقيدة وطويته صحيحة محبا للحديث وآثار السلف ، كثير التلاوة والجمعة على الله عز وجل ، وقد صنف جزءا فيه أخبار جيدة ، رحمه الله وبل تراه بوابل الرحمة آمين .

﴿ الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر المجيد ﴾

تقى الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ أحمد بن تمام بن حسان البلي ثم الصالحى الحنبلى ، أخو الشيخ محمد بن تمام ، ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة وسمع الحديث ، وصحب الفضلاء ، وكان حسن الشكل والخلق ، طيب النفس مليح المجاورة والمجالسة ، كثير المفاكحة ، أقام مدة بالحجاز واجتمع بابن سبعين وبالتقى الحورانى ، وأخذ النحو عن ابن مالك وابنه بدر الدين وصحبه مدة ، وقد صحبه الشهاب محمود مدة خمسين سنة ، وكان يثنى عليه بالزهد والفراغ من الدنيا ، توفي ليلة السبت الثالث من ربيع الآخر ودفن بالسفح ، وقد أورد الشيخ علم الدين البرزلى في ترجمته قطعة من شعره :

فن ذلك قوله :

أسكان المعاهد من فؤادى * لسم في خافق منه سكون
أكرر فيكم أبدأ حديثى * فيحلو والحديث له شعجون
وأظلمه عقيقا من دموعى * فتنثره المحاجر والجفون
وأبتكر المعانى فى هواكم * وفيكم كل قافية تهون
واسئل عنكم البكاء سراً * وسر هواكم سر مصون
وأغتبِق النسيم لان فيه * شمائل من معاطفكم تبين
فكم لى فى محبتكم غرام * وكم لى فى الغرام بكم فنون ؟

﴿ قاضى القضاة زين الدين ﴾

على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويرى المالكي الحاكم بالديار المصرية ، سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل ، وولى الحكم بعد ابن شاش سنة خمس وثمانين ، وطالت أيامه إلى هذا العام ، وكان فزير المروءة والاحتمال والاحسان إلى الفقهاء والشهود ، ومن يقصده ، توفي ليلة الأربعاء حادى عشر جمادى الآخرة ودفن بسفح المقطم بمصر ، وتولى الحكم بعده بمصر تقي الدين الاخنائى المالكي .

﴿ الشيخ إبراهيم بن أبي العلاء ﴾

المقرى الصيت المشهور المعروف بابن شعلان ، وكان رجلاً جيداً في شهود السمارية ، ويقصد للخنات لصيت صوته ، توفي يوم الجمعة وهو كهل ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن بسفح قاسيون

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد ﴾

أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر أحمد بن خلف بن إبراهيم ابن أبي عيسى بن الحاج النجيبى القرطبي ثم الاشبيلي ، ولد بأشبيلية سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقد كان أهله بيت العلم والخطابة والقضاء بمدينة قرطبة ، فلما أخذها الفرنج انتقلوا إلى إشبيلية وتمحقت أموالهم وكتبهم ، وصادر ابن الأحمر جده القاضى بعشرين ألف دينار ، ومات أبوه وجده في سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ونشأ يتيماً ثم حج وأقبل إلى الشام فاستقام بدمشق من سنة أربع وثمانين ، وسمع من ابن البخارى وغيره ، وكتب بيده نحو من مائة مجلد ، إعانة لولديه أبي عمرو وأبي عبد الله على الاشتغال ، ثم كانت وفاته بالمدرسة الصلاحية يوم الجمعة وقت الأذان ثامن عشر رجب ، وصلى عليه بعد العصر ودفن عند القندلاوى ، بباب الصغير بدمشق ، وحضر جنازته خلق كثير .

﴿ الشيخ كمال الدين ابن الشريشى ﴾

أحمد ابن الامام العلامة جمال الدين بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن سحمان البكرى الوايلى الشريشى ، كان أبوه مالكيًا كما تقدم ، واشتغل هو في مذهب الشافعى فبرع وحصل علوماً كثيرة ، وكان خبيراً بالكتابة مع ذلك ، وسمع الحديث وكتب الطباق بنفسه ، وألقى ودرس وناظر وباشر بعدة مدارس ومناصب كبار ، أول ما باشر مشيخة دار الحديث بتربة أم الصالح بعد والده من سنة خمس وثمانين وستمائة إلى أن توفي ، وناب فى الحكم عن ابن جماعة . ثم ترك ذلك وولى وكالة بيت المال وقضاء العسكر ونظر الجامع صرات ، ودرس بالشامية البرانية ودرس بالناصرية عشرين سنة ، ثم انتزعها من يده ابن جماعة وزين الدين الفارقى ، فاستعادها منهما وباشر مشيخة الرباط الناصرى بقاسيون مدة ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ثمان سنين ، وكان مشكور السيرة فيما يولى من الجهات كلها ، وقد عزم فى هذه السنة على الحج فخرج بأهله فأدركته منيته بالحسا فى سلخ شوال من هذه السنة ، ودفن هناك رحمه الله ، وتولى بعده الوكالة جمال الدين بن القلانسى ، ودرس بالناصرية كمال الدين بن الشيرازى ، وباردار الحديث الأشرفية الحافظ جمال الدين المزي ، وبأم الصالح الشيخ شمس الدين الذهبى ، وبالرباط الناصرى ولده جمال الدين .

﴿ الشهاب المقرى ﴾

أحمد بن أبي بكر بن أحمد البغدادي نقيب الأشراف المتعممين ، كان عنده فضائل جمة نثراً

ونظماً مما يناسب الوقائع وما يحضر فيه من التهانى والتعازى ، ويعرف الموسيقى والشعبذة ، وضرب
الرمل ، ويحضر المجالس المشتملة على اللهو والمسكر واللعب والبسط ، ثم انقطع عن ذلك كله لكبر
سنه وهو مما يقال فيه وفي أمثاله :

ذهبت عن توبته سائلاً * وجدتها توبة إفلاس

وكان مولده بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وتوفى ليلة السبت خامس ذى القعدة ودفن
بمقابر باب الصغير فى قبر أعده لنفسه عن خمس وثمانين سنة ، سأل الله .

﴿ قاضى القضاة نجر الدين ﴾

أبو العباس أحمد بن تاج الدين أبى الخير سلامة بن زين الدين أبى العباس أحمد بن سلام
الاسكندرى المالكى ، ولد سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وبرع فى علوم كثيرة ، وولى نيابة الحكم
فى الاسكندرية فمدت سيرته وديانته وصرامته ، ثم قدم على قضاء الشام للمالكية فى السنة الماضية
فباشرها أحسن مباشرة سنة ونصف ، إلى أن توفى بالمصامية بكرة الأربعاء مستهل ذى الحجة ، ودفن
إلى جانب القندلاوى بباب الصغير ، وحضر جنازته خلق كثير ، وشكره الناس وأثنوا عليه ،
رحمه الله تعالى . ﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وفى ليلة مستهل محرم هبت ريح شديدة بدمشق
سقط بسببها شئ من الجدران ، واقلعت أشجاراً كثيرة . وفى يوم الثلاثاء سادس عشر من المحرم
خام على جمال الدين بن القلانسى بوكالة بيت المال عوضاً عن ابن الشريشى ، وفى يوم الأربعاء
الخامس من صفر درس بالناصرية الجوانية ابن صصرى عوضاً عن ابن الشريشى أيضاً ، وحضر
عنده الناس على العادة . وفى عاشره باشرشد الدواوين جمال الدين أقوش الرحبي عوضاً عن فخر
الدين إياس ، وكان أقوش متولى دمشق من سنة سبع وسبعائة ، وولى مكانه الأمير علم الدين
طرقش الساكن بالعقبية ، وفى هذا اليوم نودى بالبلد بصوم الناس لأجل الخروج إلى الاستسقاء ،
وشرع فى قراءة البخارى وتهياً للناس ودعوا عقيب الصلوات وبعد الخطب ، وابتهلوا إلى الله فى
الاستسقاء ، فلما كان يوم السبت منتصف صفر ، وكان سابع نيسان ، خرج أهل البلد برمتهم إلى
عند مسجد القدم ، وخرج نائب السلطنة والأمراء مشاة يبكون ويتضرعون ، واجتمع الناس هنالك
وكان مشهداً عظيماً ، وخطب بالناس القاضى صدر الدين سليمان الجعفرى وأمن الناس على دعائه ،
فلما أصبح الناس من اليوم الثانى جاءهم الغيث باذن الله ورحمته ورأفته لا يحولهم ولا بقوتهم ، وفرح
الناس فرحاً شديداً وعم البلاد كلها والله الحمد والمنة ، وحده لا شريك له . وفى أواخر الشهر شرعوا
باصلاح رخام الجامع وترميمه وحلى أبوابه وتحسين مافيه . وفى رابع عشر ربيع الآخر درس بالناصرية

الجوانية ابن الشيرازي بتوقيع سلطاني ، وأخذها من ابن صصرى وبشرها إلى أن مات . وفي يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن شيخ السلامة نغر الدين أخو ناظر الجيش الحسبة بدمشق عوضا عن ابن الحداد ، وباشر ابن الحداد نظر الجامع بدلا عن ابن شيخ السلامة ، وخلع على كل منهما .

وفي بكرة الثلاثاء خامس جمادى الآخرة قدم من مصر إلى دمشق قاضى القضاة شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضى القضاة معين الدين أبي بكر بن الشيخ زكى الدين ظافر الحمدانى المالكي ، على قضاء المالكية بالشام ، عوضا عن ابن سلامة توفى ، وكان بينهما ستة أشهر ، ولكن تقليد هذا مؤرخ بآخر ربيع الأول ، ولبس الخلعة وقرئ تقليده بالجامع . وفي هذا الشهر درس بالحاوتونية البرانية القاضى بدر الدين بن نورة الحنفي ، وعمره خمس وعشرون سنة ، عوضا عن القاضى شمس الدين محمد قاضى ملطية توفى . وفي يوم السبت خامس رمضان وصل إلى دمشق سيل عظيم أتلف شيئا كثيرا ، وارتفع حتى دخل من باب الفرج ، ووصل إلى العقبية ، وانزعج الناس له ، وانتقلوا من أماكنهم ، ولم تطل مدته لأن أصله كان مطرا وقع بأرض وابل السوق والحسينية . وفي هذا اليوم باشر طرقيشى شد الدواوين بعد موت جمال الدين الرحبي ، وباشر ولاية المدينة صارم الدين الجوكندار ، وخلع عليهما . ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان اجتمع القضاة وأعيان الفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقرئ عليهم كتاب من السلطان يتضمن منع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الفتيا بمسألة الطلاق ، وانفصل المجلس على تأكيد المنع من ذلك . وفي يوم الجمعة تاسع شوال خطب القاضى صدر الدين الداراني عوضا عن بدر الدين ابن ناصر الدين بن عبد السلام ، بجامع جراح ، وكان فيه خطيبا قبله فتولاه بدر الدين حسن العقر بانى واستمر ولده في خطابة داريا التي كانت بيد أبيه من بعده . وفي يوم السبت عاشره خرج الركب وأميرهم عز الدين أيبك المنصوري أمير علم ، وحجج فيها صدر الدين قاضى القضاة الحنفي ، وبرهان الدين بن عبد الحق ، وشرف الدين بن تيمية ، ونجم الدين دمشقى وهو قاضى الركب ، ورضى الدين المنطيقى ، وشمس الدين بن الزرير خطيب جامع القبليات ، وعبد الله بن رشيق المالكي وغيرهم . وفيها حجج سلطان الاسلام الملك الناصر محمد بن قلاوون ومعه جمع كثير من الامراء ، ووكيله كريم الدين ونغر الدين كاتب المالكى ، وكاتب السر ابن الأثير ، وقاضى القضاة ابن جماعة ، وصاحب حماة الملك عماد الدين ، والصاحب شمس الدين غبريال ، في خدمة السلطان وكان في خدمته خلق كثير من الأعيان .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين التتار بسبب أن ملكهم أباسعيد كان قد ضاق ذرعا ببجوبان وعجز عن مسكه ، فانتدب له جماعة من الامراء عن أمره ، منهم أبو يحيى خال أبيه ، ودقناق وقرشى وغيرهم

من أكابر الدولة ، وأرادوا كبس جوبان فهرب وجاء إلى السلطان فأنهى إليه ما كان منهم ، وفي صحبته الوزير على شاه ، ولم يزل بالسلطان حتى رضى عن جوبان وأمدّه بمجيش كثيف ، وركب السلطان معه أيضاً والنقوا مع أولئك فكسروهم وأسروهم ، وتحكم فيهم جوبان فقتل منهم إلى آخر هذه السنة نحواً من أربعين أميراً .

ومن توفى فيها من الأعيان : ﴿ الشيخ المقرئ شهاب الدين ﴾

أبو عبد الله الحسن بن سليمان بن خزارة بن بدر الكفرى الحنفى ، ولد تقرىباً في سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث وقرأ بنفسه كتاب الترمذى ، وقرأ القراءات وتفرد بها مدة يشتغل الناس عليه ، وجمع عليه السبع أكثر من عشرين طالباً ، وكان يعرف النحو والأدب وفنوناً كثيرة وكانت مجالسته حسنة ، وله فوائد كثيرة ، درس بالطرخانية أكثر من أربعين سنة ، وناب في الحكم عن الأذرعى مدة ولايته ، وكان خيراً مباركاً أضر في آخر عمره ، وانقطع في بيته ، مواظباً على التلاوة والذكر وإقراء القرآن إلى أن توفى ثالث عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

وفي هذا الشهر جاء الخبر بموت :

﴿ الشيخ الامام تاج الدين ﴾

عبد الرحمن بن محمد بن أبى حامد التبريزى الشافعى المعروف بالأفضلى ، بعد رجوعه من الحج ببغداد في العشر الأول من صفر ، وكان صالحاً فقيهاً مباركاً ، وكان ينكر على رشيد الدولة ويحط عليه ، ولما قتل قال كان قتله أنفع من قتل مائة ألف نصرانى ، وكان رشيد الدولة يريد أن يرضاه فلم يقبل ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، ولما توفى دفن بتربة الشونيزى ، وكان قد قارب الستين رحمه الله .

﴿ محبى الدين محمد بن مفضل بن فضل الله المصرى ﴾

كاتب ملك الأمراء ، ومستوفى الأوقاف ، كان مشكور السيرة محبباً للعلماء والصلحاء ، فيه كرم وخدمة كثيرة للناس ، توفى في رابع عشر من جمادى الأولى ودفن بتربة ابن هلال بسفح قاسيون وله ست وأربعون سنة ، وباشر بعده في وظيفته أمين الدين بن النحاس .

﴿ الامير الكبير غرلور بن عبد الله العادلى ﴾

كان من أكابر الدولة ومن الامراء المقدمين الألوفاً ، وقد ناب بدمشق عن أستاذه الملك العادل كتبغاً نحواً من ثلاثة أشهر في سنة خمس وسبعين وستمائة ، وأول سنة ست وتسعين ، واستمر أميراً كبيراً إلى أن توفى في سابع جمادى الأولى يوم الخميس ودفن بتربته بشمالى جامع المظفرى بقاسيون ، وكان شهماً شجاعاً فاصحاً للإسلام وأهله ، مات في عشر الستين .

﴿ الأمير جمال الدين أقوش ﴾

الرحبي المنصوري ، والى دمشق مدة طويلة ، كان أصله من قرى إربل ، وكان نصرانيا فسبي وبيع من نائب الرحبة ، ثم انتقل إلى الملك المنصور فأعتقه وأمره ، وتولى الولاية بدمشق نحواً من إحدى عشرة سنة ثم انتقل إلى شد الدواوين مدة أربعة أشهر ، وكان محبوباً إلى العامة مدة ولايته .

﴿ الخطيب صلاح الدين ﴾

يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن المعتزل الحموي ، له تصانيف وفوائد ، وكان خطيب جامع السوق الأسفل بحماة ، وسمع من ابن طبرزد ، توفي في جمادى الآخرة .

﴿ العلامة نجر الدين أبو عمرو ﴾

عثمان بن علي بن يحيى بن هبة الله بن إبراهيم بن المسلم بن علي الأنصاري الشافعي المعروف بابن بنت أبي سعد المصري ، سماع الحديث وكان من بقايا العلماء ، وناب في الحكم بالقاهرة ، وولى مكانه في ميعاد جامع طولون الشيخ علاء الدين القونوي شيخ الشيوخ ، وفي ميعاد الجامع الأزهر شمس الدين بن علان ، كانت وفاته ليلة الأحد الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، ودفن بمصر وله من العمر سبعون سنة .

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكنجي ، له زاوية بالحسينية يزار فيها ولا يخرج منها إلا إلى الجمعة ، سماع الحديث ، توفي يوم الثلاثاء بعد العصر السادس والعشرين من جمادى الآخرة ودفن من الغد بزوايته المذكورة رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح المعمر الرحلة ﴾

عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل بن عطف بن مبارك بن علي بن أبي الجيش المقدسي الصالح المطعم ، راوى صحيح البخاري وغيره ، وقد سماع الكثير من مشايخ عدة وترجمه الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه توفي ليلة السبت رابع عشر ذي الحجة ، وصلى عليه بعد الظهر في اليوم المذكور بالجامع المظفرى ، ودفن بالساحة بالقرب من تربة الموليين ، وله أربع وسبعون سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وسبعائة ﴾

استهلت وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها ، وكان السلطان في هذه السنة في الحج ، وعاد إلى القاهرة يوم السبت ثاني عشر المحرم ، ودقت البشائر ، ورجع صاحب شمس الدين على طريق الشام وصحبه الأمير ناصر الدين الخازندار ، وعاد صاحب حماة مع السلطان إلى القاهرة ، وأنعم عليه السلطان ولقب بالملك المؤيد ، ورسم أن يخاطب له على منابرها وأعمالها ، وأن يخاطب بالمقام العالي

المولوى السلطانى الملكى المؤيدى ، على ما كان عليه عمه المنصور .

وفىها عمر ابن المرجانى شهاب الدين مسجد الخيف وأنفق عليه نحواً من عشرين ألفاً . وفى الحرم استقال أمين الدين من نظر طرابلس وأقام بالقدس . وفى آخر صفر باشر نيابة الحكم الملكى القاضى شمس الدين محمد بن أحمد القفصى ، وكان قد قدم مع قاضى القضاة شرف الدين من مصر . وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول ضربت عنق شخص يقال له عبد الله الرومى وكان غلاما لبض التجار ، وكان قد لزم الجامع ، ثم ادعى النبوة واستتيب فلم يرجع فضربت عنقه وكان أشقر أزرق العينين جاهلا ، وكان قد خالطه شيطان حسن له ذلك ، واضطرب عقله فى نفس الأمر وهو فى نفسه شيطان إنسى . وفى يوم الاثنين ثانى ربيع الآخر عقد عقد السلطان على المرأة التى قدمت من بلاد القبجاق ، وهى من بنات الملوك ، وخلع على القاضى بدر الدين ابن جماعة وكاتب السر وكريم الدين وجماعة الأمراء ، ووصلت العساكر فى هذا الشهر إلى بلاد سويس وغرق فى بحر جاهان من عساكر طرابلس نحو من ألف فارس ، وجاءت مراسيم السلطان فى هذا اليوم إلى الشام فى الاحتياط على أخبار آل مهنا وإخراجهم من بلاد الاسلام ، وذلك لفضب السلطان عليهم لعدم قدوم والدهم مهنا على السلطان . وفى يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الأولى درس بالكنية الشيخ محيى الدين الاسمر الحنفى وأخذت منه الجوهريه لشمس الدين البرقى الاعرج ، وتدرىس جامع القلعة لهاماد الدين بن محيى الدين الطرسوسى ، الذى ولى قضاء الحنفية بعد هذا ، وأخذ من البرقى إمامة مسجد نور الدين له بحارة اليهود ، ولعماد الدين بن السكيال ، وإمامة الربوة الشيخ محمد الصبيى . وفى جمادى الآخرة اجتمعت الجيوش الاسلاميه بأرض حاب نحواً من عشرين ألفاً ، عليهم كلهم نائب حلب الطنبغا وفيهم نائب طرابلس شهاب الدين قرطبة ، فدخلوا بلاد الأرمن من اسكندرونة ففتحوا النغرثم تل حمدان ثم خاضوا جاهان ففرق منهم جماعة ثم سلم الله من وصلوا إلى سيس فحاصروها وضيقوا على أهلها وأحرقوا دار الملك التى فى البلد ، وقطعوا أشجار البساتين وساقوا الابقار والجواميس والاغنام وكذلك فعلوا بطرسوس ، وخرّبوا الضياع والأماكن وأحرقوا الزروع ثم رجعوا فحاضوا النهر المذكور فلم يفرق منهم أحد ، وأخرجوا بعد رجوعهم مهنا وأولاده من بلادهم وساقوا خلفه إلى غانة وحديثة ثم بلغ الجيوش موت صاحب سيس وقيام ولده من بعده ، فشنوا الغارات على بلاده وتابعوها وغنموا وأسروا إلا فى المرة الرابعة فإنه قتل منهم جماعة .

وفى هذه السنة كانت وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين المسلمين والفرنج فنصر الله المسلمين على أعدائهم فقتلوا منهم خمسين ألفاً وأسروا خمسة آلاف ، وكان فى جملة القتلى خمسة وعشرين ملكاً

من ملوك الافرنج ، وغنموا شيئا كثيرا من الأموال ، يقال كان من جملة ما غنموا سبعون قنطاراً من الذهب والفضة ، وإنما كان جيش الاسلام يومئذ ألفين وخمسمائة فارس غير الرماة ، ولم يقتل منهم سوى إحدى عشر قتيلًا ، وهذا من غريب ما وقع وعجيب ما سمع . وفي يوم الخميس ثاني عشرين رجب عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقي الدين بن تيمية بحضور نائب السلطنة ، وحضر فيه القضاة والمفتيون من المذاهب ، وحضر الشيخ وعاتبوه على العود إلى الافناء بمسألة الطلاق ثم حبس في القلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم ورد مرسوم من السلطان باخراجه يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وبعد ذلك بأربعة أيام أضيف شد الأوقاف إلى الأمير علاء الدين بن معبد إلى ما بيده من ولاية البر وعزل بدر الدين المنكورسى عن الشام .

وفي آخر شعبان مسك الأمير علاء الدين الجاولي نائب غزة وحمل إلى الاسكندرية لأنه اتهم أنه يريد الدخول إلى دار اليمين ، واحتيط على حواصله وأمواله ، وكان له بر وإحسان وأوقاف ، وقد بنى بغزة جامعاً حسناً مليحاً . وفي هذا الشهر أراق ملك التتر أبو سعيد الخور وأبطل الخانات ، وأظهر العدل والاحسان إلى الرعايا ، وذلك أنه أصابهم برد عظيم وجاءهم سيل هائل فلجؤا إلى الله عز وجل ، وابتهلوا إليه فسلموا فتابوا وأتابوا وعملوا الخير عقيب ذلك . وفي العشر الأول من شوال جرى الماء بالنهر الكريمي الذي اشتراه كريم الدين بخمسة وأربعين ألفاً وأجراه في جدول إلى جامعته بالقبيبات فعاش به الناس ، وحصل به أنس إلى أهل تلك الناحية ، ونصبت عليه الأشجار والبساتين ، وعمل حوض كبير تجاه الجامع من الغرب يشرب منه الناس والدواب ، وهو حوض كبير وعمل مطهرة ، وحصل بذلك نفع كثير ، ورفق زائد أنابه الله . وخرج الركب في حادي عشر شوال وأميره الملك صلاح الدين بن الأوحى ، وفيه زين الدين كتبغا الحاجب ، وكال الدين الزمككاني والقاضي شمس الدين بن المعز ، وقاضي حماة شرف الدين البازري ، وقطب الدين ابن شيخ السلامية وبدر الدين بن المطار ، وعلاء الدين بن غانم ، ونور الدين السخاوي ، وهو قاضي الركب . ومن المصريين قاضي الحنفية ابن الحريري ، وقاضي الخنابلة ومجد الدين حرمي والشرف عيسى المالكي ، وهو قاضي الركب . وفيه مكنت عمارة الحمام الذي عمره الجبيغا غربي دار الطعم ودخله الناس .

وفي أواخر ذي الحجة وصل إلى دمشق من عند ملك التتر الخواجه مجد الدين إسماعيل بن محمد ابن ياقوت السلامي ، وفي صحبته هدايا وتحف لصاحب مصر من ملك التتر ، وأشهر أنه إنما جاء ليصلح بين المسلمين والتتر ، فنلقاه الجند والدولة ، ونزل بدار السعادة يوماً واحداً ، ثم سار إلى مصر . وفيها وقف الناس بعرفات موقفاً عظيماً لم يهد مثله ، أتوه من جميع أقطار الأرض ، وكان مع

العراقيين محامل كثيرة منها حمل قوم ما عليه من الذهب واللاآلى بألف ألف دينار مصرية ، وهذا أمر عجيب .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ إبراهيم الدهستاني ﴾

وكان قد أسن وعمر ، وكان يذكر أن عمره حين أخذت التتر بغداد أربعين سنة ، وكان يحضر الجمعة هو وأصحابه تحت قبة النسر ، إلى أن توفى ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الآخر بزوايته التي عند سوق الخليل بدمشق ، ودفن بها وله من العمر مائة وأربع سنين ، كما قال ، فالله أعلم .

﴿ الشيخ محمد بن محمود بن علي ﴾

الشحام المقرئ شيخ ميعاد ابن عامر ، كان شيعخاً حسناً بهياً مواظباً على تلاوة القرآن إلى أن توفى في ليلة توفى الدهستاني المذكور أو قبله بليلة رحمهما الله .

﴿ الشيخ شمس الدين ابن الصائغ اللغوى ﴾

هو أبو عبد الله محمد بن حسين بن سباع بن أبي بكر الجندامي المصري الأصل ، ثم انتقل إلى دمشق ، ولد تقريباً سنة خمس وأربعين وستائة بمصر ، وسمع الحديث وكان أديباً فاضلاً بارعاً بالنظم والنثر ، وعلم العروض والبديع والنحو والالفة ، وقد اختصر صحاح الجوهري ، وشرح مقصورة ابن دريد ، وله قصيدة تائية تشتمل على ألفي بيت فأكثر ، ذكر فيها المعلوم والصنائع ، وكان حسن الأخلاق لطيف المحاورة والمحاضرة ، وكان يسكن بين درب الحبالين والفراش عند بستان القط توفى بداره يوم الاثنين ثالث شعبان ودفن بباب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ﴾

استهات وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها . وفي أول يوم منها فتح حمام الزيت الذي في رأس درب الحجر ، جدد عمارته رجل ساوى بعد ما كان قد درس ودر من زمان الخوارزمية من نحو ثمانين سنة ، وهو حمام جيد متسع . وفي سادس المحرم وصلت هدية من ملك التتار أبي سعيد إلى السلطان صناديق وتحف ودقيق . وفي يوم عاشوراء خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية من القلعة بمرسوم السلطان وتوجه إلى داره ، وكانت مدة إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً رحمه الله . وفي رابع ربيع الآخر وصل إلى دمشق القاضي كريم الدين وكيل السلطان فنزل بدار السعادة وقدم قاضي القضاة تقي الدين بن عوض الحاكم الحنبلي بمصر وهو ناظر الخزانة أيضا ، فنزل بالعادية الكبيرة اتقى للشافعية ، فأقام بها أياماً ، ثم توجه إلى مصر : جاء في بهض أشغال السلطان وزار القدس . وفي هذا الشهر كان السلطان قد حفر بركة قريبا من الميدان وكان في جوارها كنيسة فأمر الوالى بهدمها ، فلما هدمت تسلط الحرافيش وغيرهم على الكنائس بمصر يهدمون ما قدروا عليه ،

فانزعج السلطان لذلك وسأل القضاة ماذا يجب على من تعاطى ذلك منهم؟ فقالوا يعزر ، فأخرج جماعة من السجن ممن وجب عليه قتل فقطع وصلب وحرّم وحزم وعاقب ، موها أنه إنما عاقب من تعاطى تخريب ذلك ، فسكن الناس وأمنت النصرارى وظهروا بعد ما كانوا قد اختفوا أياما . وفيه نارت الحرامية ببغداد ونهبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر ، فثار الناس وراءهم وقتلوا منهم قريبا من مائة وأسروا آخرين .

قال الشيخ علم الدين البرزالي ومن خطه نقلت : وفي يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى خرج القضاة والأعيان والمفتيون إلى القابون ووقفوا على قبلة الجامع الذي أمر بينائه القاضي كريم الدين وكيل السلطان بالمكان المذكور ، وحرروا قبلته واتفقوا على أن تكون مثل قبلة جامع دمشق . وفيه وقعت مراجعة من الأمير جوبان أحد المقدمين الكبار بدمشق ، وبين نائب السلطنة تنكز ، فسك جوبان ورفع إلى القلعة ليلتان ، ثم حول إلى القاهرة فعوتب في ذلك ، ثم أعطى خبزاً يليق به . وذكر علم الدين أن في هذا اليوم وقع حريق عظيم في القاهرة في الدور الحسنة والأماكن المليحة المرتفعة ، وبعض المساجد ، وحصل للناس مشقة عظيمة من ذلك ، وقتلوا في الصلوات ثم كشفوا عن القضية فإذا هو من قبل النصرارى بسبب ما كان أحرق من كنائسهم وهدم ، فقتل السلطان بعضهم وأزم النصرارى أن يلبسوا الزرقاء على رؤسهم وثيابهم كلها ، وأن يحملوا الاجراس في الحمامات ، وأن لا يستخدموا في شيء من الجهات ، فسكن الأمر وبطل الحريق .

وفي جمادى الآخرة خرب ملك التتار أبو سعيد البازار وزوج الخواطى وأراق الخور وعاقب في ذلك أشد العقوبة ، وفرح المسلمون بذلك ودعوا له رحمه الله وسأحه . وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقيمت الجمعة بجامع القصب وخطب به الشيخ على المناخلى . وفي يوم الخميس التاسع عشر جمادى الآخرة فتح الحمام الذي أنشأه تنكز تجاه جامعهم ، وأكرى في كل يوم بأربعين درهما لحسنه وكثرة ضوئه ورخامه . وفي يوم السبت التاسع عشر رجب خربت كنيسة القرائين التي تجاه حارة اليهود بعد إثبات كونها محدثة وجاءت المراسيم السلطانية بذلك . وفي أواخر رجب نفدت الهدايا من السلطان إلى أبي سعيد ملك التتار ، صحبة الخواجا مجد الدين السلامى ، وفيها خمسون جملا وخيول وحمار عتابي . وفي منتصف رمضان أقيمت الجمعة بالجامع الكريمي بالقابون وشهدها يومئذ القضاة والصاحب وجماعة من الأعيان . قال الشيخ علم الدين : وقدم دمشق الشيخ قوام الدين أمير كاتب ابن الأمير العميد عمر الكفاني القازانى ، مدرس مشهد الامام أبي حنيفة ببغداد ، في أول رمضان ، وقد حج في هذه السنة وتوجه إلى مصر وأقام بها أشهراً ثم مر بدمشق متوجهاً إلى بغداد فنزل بالخانوية الحنفية ، وهو ذو فنون وبحت وأدب وفقه . وخرج الركب الشامى يوم الاثنين عاشر

شوال وأميره شمس الدين حمزة التركمانى ، وقاضيه نجم الدين الدمشقى . وفيها حج تنكز نائب الشام
وفى صحبته جماعة من أهله ، وقدم من مصر الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب لينوب عنه إلى أن
يرجع ، فنزل بالنجيبية البرانية .

ومن حج فيها الخطيب جلال الدين القزوينى وعز الدين حمزة بن القلانسى ، وابن العز شمس
الدين الحنفى ، وجلال الدين بن حسام الدين الحنفى ، وبهاء الدين بن عليه ، وعلم الدين البرزالى
ودرس ابن جماعة بزواية الشافعى يوم الأربعاء ثامن عشر شوال عوضا عن شهاب الدين أحمد بن
محمد الأنصارى لسوء تصرفه ، وخاع على ابن جماعة ، وحضر عنده من الأعيان والعامّة ما نشأ به
جمعية الجمعة وأشعلت له شموع كثيرة وفرح الناس بزوال المعزول .

قال البرزالى ومن خطه نقلت : وفى يوم الأحد سادس عشر شوال ذكر الدرس الامام العلامة
تقى الدين السبكى المحدث بالمدرسة المسكارية عوضا عن ابن الانصارى أيضا ، وحضر عنده جماعة
منهم القونوى ، وروى فى الدرس حديث المتبايعين بالخيار ، عن قاضى القضاة ابن جماعة وفى شوال
عزل علاء الدين بن معبد عن ولاية البروشد الاوقاف ، وتولى ولاية الولاية بالبلاد القبلية بحوران
عوضا عن بكتمر لسفره إلى الحجاز ، وباشر أخوه بدر الدين شد الاوقاف ، والامير علم الدين الطرقشى
ولاية البرمع شد الدواوين ، وتوجه ابن الانصارى إلى حلب متوليا وكالة بيت المال عوضا عن
ناصر الدين أخى شرف الدين يعقوب ناظر حلب ، بحكم ولاية التاج المذكور نظر الكرك .

وفى يوم عيد الفطر ركب الامير تمرتاش بن جوبان نائب أبى سعيد على بلاد الروم فى
قيسارية فى جيش كثيف من التتار والتركان والقرمان ، ودخل بلاد سيس فقتل وسبى وحرقت
وخرب ، وكان قد أرسل لنائب حلب الطنبغا ليجهز له جيوشا ليكونون عوناً له على ذلك ، فلم يمكنه
ذلك بغير مرسوم السلطان .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح المقرئ ﴾

بقية السلف عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الواحد بن على
القرشى الحزومى الدلاصى شيخ الحرم بمكة ، أقام فيه أزيد من ستين سنة ، يقرئ الناس القرآن
احتساباً ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع عشر من محرم بمكة ، وله أزيد من تسعين سنة رحمه الله .

﴿ الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن أبى بكر بن أبى القاسم الهمداني ، أبوه الصالحى المعروف بالسكاكىنى ، ولد سنة خمس
وثلاثين وستائة بالصالحية ، وقرأ بالروايات ، واشتغل فى مقدمة فى النحو ، ونظم قويا وسمع الحديث ،
وخرج له الفخر ابن البعلبكى جزءا عن شيوخه ، ثم دخل فى التشيع فقرأ على أبى صالح الحلى شيخ

الشيعة ، وصحب عدنان وقرأ عليه أولاده ، وطلبه أمير المدينة النبوية الأمير منصور بن حماد فأقام عنده نحواً من سبع سنين ، ثم عاد إلى دمشق وقد ضمه وثقل محمه ، وله سؤال في الخبر أجابه به الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكل فيه عنه غيره ، وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة ففسله تقي الدين السبكي لما قدم دمشق قاضياً ، وكان بخطه ، ولما مات لم يشهد جنازته القاضي شمس الدين ابن مسلم . توفي يوم الجمعة سادس عشر صفر ، ودفن بسفح قاسيون ، وقتل ابنه قياز على قذفه أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضى الله عنهن وقبح قاذفهن .

وفي يوم الجمعة مستهل رمضان صلى بدمشق على غائبين وهم الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الأصهباني ، توفي بمكة ، وعلى جماعة توفوا بالمدينة النبوية منهم عبد الله بن أبي القاسم بن فرحون مدرس المالكية بها ، والشيخ يحيى الكردي ، والشيخ حسن المغربي السقا .

﴿ الشيخ الامام العالم علاء الدين ﴾

على بن سعيد بن سالم الأنصاري ، إمام مشهد على من جامع دمشق ، كان بشوش الوجه متواضعاً حسن الصوت بالقراءة ملازماً لافراء الكتاب العزيز بالجامع ، وكان يؤم نائب السلطنة ولده العلامة ، بهاء الدين محمد بن على مدرس الأمينية ، ومحتسب دمشق . توفي ليلة الاثنين رابع رمضان ودفن بسفح قاسيون .

﴿ الامير حاجب الحجاب ﴾

زين الدين كتبغا المنصوري ، حاجب دمشق ، كان من خيار الأمراء وأكثرهم برآ للفقراء ، يحب الختم والمواعيد والمواليد ، وسمع الحديث ، ويأزم أهله ويحسن إليهم ، وكان ملازماً لشيخنا أبي العباس ابن تيمية كثيراً ، وكان يحج ويتصدق ، توفي يوم الجمعة آخر النهار ثامن عشر شوال ، ودفن من الغد بترتبه قبلي القبيبات ، وشهده خلق كثير وأثنوا عليه رحمه الله .

والشيخ بهاء الدين ابن المقدمي والشيخ سعد الدين أبي زكريا يحيى المقدمي ، والد الشيخ شمس الدين محمد بن سعد المحدث المشهور . وسيف الدين الناسخ المنادي على الكتب . والشيخ أحمد الحرام المقرئ على الجنائز ، وكان يكرر على التنبيه ، ويسأل عن أشياء منها ما هو حسن ومنها ما ليس بحسن .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت وأرباب الولايات هم المذكورون في التي قبلها ، سوى والي البر بدمشق فإنه علم الدين طرقي ، وقد صرف ابن معبد إلى ولاية حوران لشهامته وصرامته وديانته وأمانته . وفي المحرم حصلت زلزلة عظيمة بدمشق ، وفي الله شرها ، وقدم تنكز من الحجاز ليلة الثلاثاء حادي عشر المحرم ، وكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر ، وقدم ليلاً لثلاث يتكاف أحد لقدمه ، وسافر نائب الغيبة عنه قبله بيومين

ثلاثا يكلفه بهدية ولا غيرها ، وقدم مغلطاي عبد الواحد الجحدار أحد الأمراء بمصر بخمسة سنية من السلطان لتسكز فلبسها وقبيل العتبة على العادة ، وفي يوم الأربعاء سادس صفر درس الشيخ نجم الدين القفجازی بالظاهرية للحنيفة ، وهو خطيب جامع تسكز ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، ودرس في قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وذلك بعد وفاة القاضي شمس الدين بن العز الحنفي ، توفي مرجعه من الحجاز ، وتولى بعده نيابة القضاء عماد الدين الطرسوسى ، وهو زوج ابنته ، وكان ينوب عنه في حال غيبته ، فاستمر بعده ، ثم ولى الحكم بعده ، مستنبيه فيها . وفيه قدم الخوارزمي حاجبا عوضاً عن كتبغا ، وفي ربيع الأول قدم إلى دمشق الشيخ قوام الدين مسعود بن الشيخ برهان الدين محمد بن الشيخ شرف الدين محمد الكرماني الحنفي ، فنزل بالقصاعين وتردد إليه الطلبة ودخل إلى نائب السلطنة واجتمع به وهو شاب مولده سنة إحدى وسبعين وقد اجتمعت به ، وكان عنده مشاركة في الفروع والأصول ودعواه أوسع من محصوله ، وكانت لأبيه وجده مصنفات ، ثم صار بعد مدة إلى مصر ومات بها كما سيأتي .

وفي ربيع الأول تكامل فتح إياس ومعاملتها وانتزاعها من أيدي الأرمن ، وأخذ البرج الأطلس وبينه وبينها في البحر رمية ونصف ، فأخذه المسلمون باذن الله وخرّبوه ، وكانت أبوابه مطلية بالحديد والرصاص ، وعرض سورته ثلاثة عشر ذراعاً بالنجار ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة جداً ، وحاصروا كواره فقوى عليهم الحر والذباب ، فرسم السلطان بعودهم ، فخرقوا ما كان معهم من المجانيق وأخذوا حديدها وأقبلوا سالمين غانمين ، وكان معهم خلق كثير من المتطوعين . وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى كمل بسط داخل الجامع فاتسع على الناس ، ولكن حصل حرج بحمل الأمتعة على خلاف العادة ، فان الناس كانوا يرون وسط الرواق ويخرجون من باب البرادة ، ومن شاء استمر يمشى إلى الباب الآخر بنعليه ، ولم يكن ممنوعاً سوى المقصورة لا يمكن أحد الدخول إليها بالمداسات ، بخلاف باقي الرواقات ، فأمر نائب السلطنة بتكميل بسطه بإشارة ناظره ابن مراحل . وفي جمادى الآخرة رجعت العساكر من بلاد سييس ومقدمهم أقوش نائب الكرك . وفي آخر رجب باشر القاضي محي الدين بن إسماعيل بن جهيل نيابة الحكم عن ابن صصرى عوضاً عن الداراني الجعفري ، واستغنى الداراني بخطبة جامع العقبية عنها . وفي ثالث رجب ركب نائب السلطنة إلى خدمة السلطان فأكرمه وخاع عليه ، وعاد في أول شعبان ففرح به الناس . وفي رجب كملت عمارة الحمام الذي بناه الأمير علاء الدين بن صبيح جوار داره شمالي الشامية البرانية . وفي يوم الاثنين تاسع شعبان عقد الأمير سيف الدين أبو بكر بن أرغون نائب السلطنة عقده على ابنة الناصر ، وختن في هذا اليوم جماعة من أولاد الأمراء بين يديه ، ومد سماطاً عظيماً ، ونثرت

الفضة على رؤس المطهرين ، وكان يوماً مشهوداً ، ورسم السلطان في هذا اليوم وضع المكس عن الماء كولات بمكة ، وعوض صاحبها عن ذلك باقطاع في بلد الصعيد .

وفي أواخر رمضان كُتبت عمارة الحمام الذي بناه بهاء الدين بن عليم برفق الماجية من قاسيون بالقرب من سكنه ، وانتفع به أهل تلك الناحية ومن جاورهم . وخرج الركب الشامي يوم الخميس ثامن شوال وأميره سيف الدين بلبل بن نائب الرحبة ، وكان سكنه داخل باب الجابية بدرب ابن صبرة ، وقاضيه شمس الدين بن النقيب قاضي حمص .

ومن توفي فيها من الاعيان ﴿ القاضي شمس الدين بن العز الحنفي ﴾

أبو عبد الله محمد بن الشيخ شرف الدين أبي البركات محمد بن الشيخ عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن كلب بن وهيب الأذري الحنفي ، أحد مشايخ الحنفية وأئمتهم وفضلائهم في فنون من العلوم متعددة ، حكم نيابة نحواً من عشرين سنة ، وكان سديد الأحكام محمود السيرة جيد الطريقة كريم الأخلاق ، كثير البر والصلة والاحسان إلى أصحابه وغيرهم ، وخطب في جامع الأفرم مدة ، وهو أول من خطب به ، ودرس بالمعظمية واليغمورية والقليجية والظاهرية ، وكان ناظر أوقافها ، وأذن للناس بالافتاء ، وكان كبيراً معظماً مهيباً ، توفي بعد مرجعه من الحج بأيام قلائل ، يوم الخميس سابع المحرم ، وصلى عليه يومئذ بعد الظهر بجامع الأفرم ودفن عند المعظمية عند آثاره ، وكانت جنازته حافلة ، وشهد له الناس بالخير وغبطوه لهذه الموتة رحمه الله . ودرس بعده في الظاهرية نجم الدين الفعجازي ، وفي المعظمية والقليجية والخطابة بالأفرم ابنه علاء الدين ، وباشر بعده نيابة الحكم القاضي عماد الدين الطرسوسى ، مدرس القلعة .

﴿ الشيخ الامام العالم ﴾

بقية السلف رضى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكي الشافعى ، إمام المقام أكثر من خمسين سنة ، جمع الحديث من شيوخ بلده والواردين إليها ولم يكن له رحلة ، وكان يفتى الناس من مدة طويلة ، ويذكر أنه اختصر شرح السنة للبعوى ، توفي يوم السبت بعد الظهر ثامن ربيع الأول بمكة ، ودفن من الغد ، وكان من أئمة المشايخ .

﴿ شيخنا العلامة الزاهد الورع ﴾

بقية السلف ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي الشافعى ، نائب الخطابة ، ومدرس الطيبية والأسدية ، وله حلقة للاشتغال بالجامع ، يحضرها عنده الطلبة ، كان يشتغل في الفرائض وغيرها ، مواظباً على ذلك ، توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى عن سبعين سنة ، ودفن قريبا من شيخه تاج الدين الفزارى رحمهما الله .

﴿ نصير الدين ﴾

أبو محمد عبد الله بن وجيه الدين أبي عبد الله علي بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي ابن محمد بن أبي بكر الرعي التغلبي التكريتي أحد صدور دمشق ، قدم أبوه قبله إليها وعظم في أيام الظاهر وقبله ، وكان مولده في حدود خمسين وستائة ، ولهم الأموال الكثيرة والنعمة الباذخة ، توفي يوم الخميس عشرين رجب ، ودفن بترتتهم بسفح قاسيون رحمه الله . وفي يوم الأحد حادى عشر شوال توفي . ﴿ شمس الدين محمد بن المغربي ﴾

التاجر السفار ، باني خان الصنمين الذي على جادة الطريق للسبيل رحمه الله وتقبل منه ، وهو في أحسن الأماكن وأنفعها .

﴿ الشيخ الجليل الزاهد ﴾

نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن إسماعيل القرشي المعروف بابن عنقود المصري ، كانت له وجهة وإقدام على الدولة ، توفي بكرة الجمعة ثالث عشرين شوال ، ودفن بزوايته ، وقام بعده فيها ابن أخيه ﴿ شمس الدين محمد بن الحسن ﴾

ابن الشيخ الفقيه محيي الدين أبو الهدي أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستائة فأسمعه أبوه على المشايخ وقرأ القرآن واشتغل بالفقه وكان يفسخ ويكثر النلاوة ويحضر المدارس والسبع الكبير ، توفي في سبع عشرين شوال ، ودفن عند والده بمقابر باب الفرائيس ﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود بن محمد العقيلي المعروف بابن القلانسي ، ولد سنة أربع وخمسين وستائة ، وسمع على ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة ، ورواه غير مرة ، وسمع على غيره أيضاً ، واشتغل بصناعة الكتابة والانشاء ثم انقطع وترك ذلك كله وأقبل على العبادة والزهادة ، وبني له الأمراء بمصر زواية وترددوا إليه ، وكان فيه بشاشة وفصاحة ، وكان ثقيل السمع ، ثم انتقل إلى القدس وقدم دمشق مرة فاجتمع به الناس وأكرموه ، وحدث بها ثم عاد إلى القدس وتوفي بها ليلة الأحد ثالث ذي القعدة ، ودفن بمقابر ماملى رحمه الله ، وهو خال المحتسب عز الدين بن القلانسي ، وهذا خال صاحب تقي الدين بن مراحل .

﴿ الشيخ الامام قطب الدين ﴾

محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي المصري ، اختصر الروضة وصنف كتاب التعجيز ودرس بالفاضلية وناب في الحكم بمصر ، وكان من أعيان الفقهاء ، توفي يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة عن سبعين سنة ، وحضر بعده تدريس الفاضلية ضياء الدين المنادي ، نائب الحكم بالقاهرة

وحضر عنده ابن جماعة ، والاعيان والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الأحد في كانون الأصم ، والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن والى البر بدمشق هو الأمير علاء الدين علي بن الحسن المرواني ، باشرها في صفر من السنة الماضية . وفي صفر من هذه السنة باشر ولاية المدينة الأمير شهاب الدين بن برق عوضاً عن صارم الدين الجوكندارى وفي صفر عوفي القاضي كريم الدين وكيل السلطان من مرض كان قد أصابه ، فزينت القاهرة وأشعلت الشموع وجمع الفقراء بالمارستان المنصوري ليأخذوا من صدقته ، فمات بعضهم من الزحام في سلخ ربيع الأول ، ودرس الامام العلامة المحدث تقي الدين السبكي الشافعي بالمنصورية بالقاهرة عوضاً عن القاضي جمال الدين الزرعي ، بمقتضى انتقاله إلى دمشق ، وحضر عنده علاء الدين شيخ الشيوخ القونوي الشافعي عوضاً عن النجم ابن صصرى ، في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ، فقتل العادلية وقد قدم على القضاة ومشيخة الشيوخ وقضاء العساكر وتدريس العادلية والغزالية والانابكية . وفي يوم الأحد مسك القاضي كريم الدين بن عبد الكريم بن هبة الله بن الشديد وكيل السلطان وكان قد بلغ من المنزلة والمكانة عند السلطان ما لم يصل إليه غيره من الوزراء الكبار ، واحتيط على أمواله وحواصله ، ورسم عليه عند نائب السلطنة ، ثم رسم له أن يكون بترته التي بالقرافة ، ثم نفى إلى الشوبك وأنهم عليه بشيء من المال ، ثم أذن له بالاقامة بالقدس الشريف برباطه . ومسك ابن أخيه كريم الدين الصغير ناظر الدواوين ، وأخذت أمواله وحبس في البرج ، وفرح العامة بذلك ودعوا للسلطان بسبب مسكهما ، ثم أخرج إلى صفت . وطلب من القدس أمين الملك عبد الله فولى الوزارة بمصر ، وخلع عليه عوداً على بدء ، وفرح العامة بذلك وأشعلوا له الشموع ، وطلب الصاحب بدر الدين غبريال من دمشق فركب ومعه أموال كثيرة ، ثم خول أموال كريم الدين الكبير ، وعاد إلى دمشق مكرماً ، وقدم القاضي معين الدين بن الحشيشي على نظر الجيوش الشامية عوضاً عن القطب بن شيخ السلامة عزل عنها ، ورسم عليه في العذراوية نحواً من عشرين يوماً ثم أذن له في الانصراف إلى منزله بمصر وفا عنها .

وفي جمادى الأولى عزل طرقي عن شد الدواوين وتولاها الأمير بكتمر . وفي ثاني جمادى الآخرة باشر ابن جهبل نيابة الحكم عن الزرعي ، وكان قد باشر قبلها بأيام نظر الايتام عوضاً عن ابن هلال . وفي شعبان أعيد الطرقي إلى الشد وسافر بكتمر إلى نيابة الاسكندرية ، وكان بها إلى أن توفي . وفي رمضان قدم جماعة من حججاج الشرق وفيهم بنت الملك أبغابن هولوكو ، وأخت أرغون وعمة قازان وخر بندا ، فأكرمت وأنزلت بالقصر الأبلق ، وأجريت عليها الاقامات والنفقات

إلى أوان الحج ، وخرج الركب يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطلجا ابو بكرى ، الذى بالقصاعين وقاضى الركب شمس الدين قاضى القضاة ابن مسلم الحنبلى ، وحج معهم جمال الدين المزى ، وعماد الدين ابن الشيرجى ، وأمين الدين الوافى ، ونحر الدين البعلبكي ، وجماعة ، وفوض الكلام فى ذلك إلى شرف الدين بن سعد الدين بن نجيب . كذا أخبرنى شهاب الدين الظاهرى . ومن المصريين قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وولده عز الدين ونحر الدين كاتب الممالك ، وشمس الدين الحارثى ، وشهاب الدين الأذرى ، وعلاء الدين الفارسى .

وفى شوال باشر تقي الدين السبكي مشيخة دار الحديث الظاهرية بالقاهرة بعد زكى الدين المنادى ويقال له عبد العظيم بن الحافظ شرف الدين الهمياطى ، ثم انتزعت من السبكي لفتح الدين بن سيد الناس اليعمرى ، باشرها فى ذى القعدة . وفى يوم الخميس مستهل ذى الحجة خلع على قطب الدين بن شيخ السلامة وأعيد إلى نظر الجيش مصاحباً لمعين الدين بن الحشيشى ، ثم بعد مدة مديدة استقل قطب الدين بالنظر وحده وعزل ابن حشيش .

وعمّن توفى فيها من الاعيان ﴿ الامام المؤرخ كمال الدين الفوطى ﴾ أبو الفضل عبد الرزاق أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطى عمر بن أبى المعالى الشيبانى البغدادى ، المعروف بابن الفوطى ، وهو جده لأمه ، ولد سنة اثنتين وأربعين وستائة ببغداد ، وأسر فى واقعة التتار ثم تخلص من الأسر ، فكان مشارفاً على الكتب بالمستنصرية ، وقد صنف تاريخاً فى خمس وخمسين مجلداً ، وآخر فى نحو عشرين ، وله مصنفات كثيرة ، وشعر حسن ، وقد سمع الحسن من محيى الدين بن الجوزى ، توفى ثالث المحرم ودفن بالشونيزية .

﴿ قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى ﴾

أبو العباس أحمد بن العدل عماد الدين بن محمد بن العدل أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين أبى المواهب بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن مصرى التغلبى الربيعى الشافعى قاضى القضاة بالشام ، ولد فى ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل وكتب عن القاضى شمس الدين بن خلصان وفيات الأعيان ، وسمعها عليه ، وتفقه بالشيخ تاج الدين الفزارى ، وعلى أخيه شرف الدين فى النحو ، وكان له يد فى الانشاء وحسن العبارة ، ودرس بالعادلية الصغيرة سنة ثنتين وثمانين ، وبالأمينية سنة تسعين ، وبالغزالية سنة أربع وتسعين ، وتولى قضاء العساكر فى دولة العادل كتبغا ، ثم تولى قضاء الشام سنة ثنتين وسبعائة ، بعد ابن جماعة حين طلب لقضاء مصر ، بعد ابن دقيق العيد . ثم أضيف إليه مشيخة الشيوخ مع تدريس العادلية والغزالية والتابكية ، وكلها مناصب دنيوية

انسلخ منها وانسلخت منه ، ومضى عنها وتركها لغيره ، وأكبر أمنيته بعد وفاته أنه لم يكن تولاهها وهي متاع قليل من حبيب مفارق ، وقد كان رئيساً محتشماً وقوراً كريماً جميل الاخلاق ، معظماً عند السلطان والدولة ، توفي فجأة ببستانه بالسهم ليلة الخميس سادس عشر ربيع الأول وصلى عليه بالجامع المظفرى ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة والأمراء والاعيان ، وكانت جنازته حافلة ودفن بترتهم عند الركنية . ﴿ علاء الدين على بن محمد ﴾

ابن عثمان بن أحمد بن أبي المنى بن محمد بن نحلة الدمشقى الشافى ، ولد سنة ثمان وخمسين وستائة وقرأ المحرر ، ولازم الشيخ زين الدين الفارقى ودرس بالدولعية والركنية ، وناظر بيت المال ، وابتنى داراً حسنة إلى جانب الركنية ، ومات وتركها فى ربيع الأول ، ودرس بعده بالدولعية القاضى جمال الدين ابن جملة ، وبالركنية القاضى ركن الدين الخراسانى .
وفى ربيع الاول قتل . ﴿ الشيخ ضياء الدين ﴾

عبد الله الزربندى النحوى ، كان قد اضطرب عقله فسافر من دمشق إلى القاهرة فأشار شيخ الشيوخ القونوى فأودع بالمراستان فلم يوافق ثم دخل إلى القلعة وبهده سيف مسلول فقتل نصرانياً ، فحمل إلى السلطان وظنوه جاسوساً فأمر بشنقه فشنق ، وكنت ممن اشتغل عليه فى النحو .
﴿ الشيخ الصالح المقرئ الفاضل ﴾

شهاب الدين أحمد بن الطيب ابن عبيد الله الحلى العزبى الفوارسى المعروف بابن الحلبيه ، سمع من خطيب مرداو ابن عبدالدائم ، واشتغل وحصل وأقرأ الناس ، وكانت وفاته فى ربيع الاول عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بالسفح .
﴿ شهاب الدين أحمد بن محمد ﴾

ابن قطنية الذرى التاجر المشهور بكثرة الاموال والبضائع والمتاجر ، قيل بلغت زكاة ماله فى سنة قازان خمسة وعشرين ألف دينار ، وتوفى فى ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بترتبه التى بباب بستانه المسمى بالرفع عند ثورا ، فى طريق القابون ، وهى تربة هائلة . وكانت له أملاك .
﴿ القاضى الامام جمال الدين ﴾

أبو بكر بن عباس بن عبد الله الخابورى ، قاضى بعلبك ، وأكبر أصحاب الشيخ تاج الدين الفزارى ، قدم من بعلبك ليلتقى بالقاضى الذرى فمات بالمدرسة البادرانية ليلة السبت سابع جمادى الاولى ودفن بقاسيون ، وله من العمر سبعون سنة أضغاث حلم .
﴿ الشيخ المعمر المسن جمال الدين ﴾

عمر بن الياس بن الرشيد البعلبكي التاجر ، ولد سنة ثنتين وستائة وتوفى فى ثمانى عشر

جمادى الأولى عن مائة وعشرين سنة ، ودفن بمطحارحه الله .

﴿ الشيخ الامام المحدث اللغوى المفيد ﴾

صفي الدين أبو الثناء محمود بن أبي بكر بن محمد الحسنى بن يحيى بن الحسين الارموى ، الصوفى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وكتب الكثير ، وذيل على النهاية لابن الأثير ، وكان قد قرأ التنبيه واشتغل في اللغة فحصل منها طرفاً جيداً ، ثم اضطرب عقله في سنة سبع وسبعين وغلبت عليه السوداء ، وكان يفوق منها في بعض الاحيان فينذاكر صحبها ثم يعترضه المرض المذكور ، ولم يزل كذلك حتى توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة في المارستان النورى ، ودفن بباب الصغير .

﴿ اخاتون المصونة ﴾

خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل ابن العادل بن أبي بكر بن أيوب بن شادى بدارها . وتعرف بدار كافور ، كانت رئيسة محترمة ، ولم تنزوج قط ، وليس في طبقتها من بنى أيوب غيرها في هذا الحين ، توفيت يوم الخميس الحادى والعشرين من شعبان ، ودفنت بتربة أم الصالح رحمهما الله .

﴿ شيخنا الجليل المسند المعمر الرحلة ﴾

بهاء الدين أبو القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر بن نجم الدين بن أبي الثناء محمود ابن الامام تاج الأمان أبي الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر دمشق الطبيب المعمر ، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة ، سمع حضوراً وسماعاً على الكثير من المشايخ ، وقد خرج له الحافظ علم الدين البرزالي مشيخة سمعناها عليه في سنة وفاته ، وكذلك خرج له الحافظ صلاح الدين الملائى عوالى من حديثه ، وكتب له المحدث المفيد ناصر الدين بن طغر بك مشيخة في سبع مجلدات تشتمل على خمسمائة وسبعين شيخاً ، سماعاً وإجازة ، وقرئت عليه فسمعها الحافظ وغيرهم . قال البرزالى : وقد قرأت عليه ثلاثاً وعشرين مجلداً بحذف المكررات . ومن الأجزاء خمسمائة وخمسين جزءاً بالمكررات . قال : وكان قد اشتغل بالطب ، وكان يعالج الناس بغير أجر ، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والحكايات والأشعار ، وله نظم ، وخدم من عدة جهات الكتابة ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وإسماع الحديث ، وتفرد في آخر عمره في أشياء كثيرة ، وكان سهلاً في التسميع ، ووقف آخر عمره داره دار حديث ، وخص الحافظ البرزالى والمزى بشيء من بره ، وكانت وفاته يوم الاثنين وقت الظهر خامس وعشرين شعبان ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

﴿ الوزير ثم الأمير نجم الدين ﴾

محمد بن الشيخ نجر الدين عثمان بن أبي القاسم البصر اوى الحنفى ، درس ببصرى بعد عمه القاضى صدر الدين الحنفى ، ثم ولى الحسبة بدمشق ونظر الخزانة ، ثم ولى الوزارة ، ثم سأل الاقالة

منها ففوض بامر ية عشرة عنها باقطاع هائل ، وعمول في ذلك معاملة الوزراء في حرمة ولبسته ، حتى كانت وفاته ببصرى يوم الخميس ثامن عشرين شعبان ، ودفن هناك ، وكان كريماً ممدحاً وهاباً نهاباً كثير الصدقة والاحسان إلى الناس ، ترك أموالاً وأولاداً ثم تفتانوا كلهم بعده وتفرقت أمواله ، ونكحت نساؤه وسكنت منازلها .

﴿ الأمير صارم الدين بن قراسنقر الجوكندار ﴾

مشد الخصاص ، ثم ولى بدمشق ولاية ثم عزل عنها قبل موته بستة أشهر ، توفى تاسع رمضان ودفن بترتبه المشرفة البيضاء شرقى مسجد التاريخ كان قد أعدها لنفسه .

﴿ الشيخ أحمد الأعقف الحريرى ﴾

شهاب الدين أحمد بن حامد بن سعيد التنوخى الحريرى ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة ، واشتغل فى صباه على الشيخ تاج الدين الفزارى فى التنبيه ، ثم صحب الحريرىة وخدمهم ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن إسرائيل ، وسمع الحديث ، وحج غير مرة ، وكان مليح الشكل كثير التودد إلى الناس ، حسن الأخلاق ، توفى يوم الأحد ثالث عشرين رمضان بزأوته بالمزة ، ودفن بمقبرة المزة ، وكانت جنازته حافلة .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرين رمضان صلى بدمشق على غائب وهو الشيخ هارون المقدسى توفى ببعلبك فى العشر الأخير من رمضان ، وكان صالحاً مشهوراً عند الفقهاء . وفى يوم الخميس ثالث ذى القعدة توفى .

﴿ الشيخ المقرئ أبو عبد الله ﴾

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عصر الأنصارى القصرى ثم السبقى بالقدس ، ودفن بما ملئ ، وكانت له جنازة حافلة حضرها كريم الدين والناس مشاة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وكان شيخاً مهيباً أحرر اللحية من الحناء ، اجتمعت به وبمحدث معه فى هذه السنة حين زرت القدس الشريف ، وهى أول زيارة زرتة ، وكان مالكي المذهب ، قد قرأ الموطأ فى ثمانية أشهر ، وأخذ النحو عن أبى الربيع شارح المجمل للزجاجى من طريق شريح .

﴿ شيخنا الأصيل المعمر الرحلة ﴾

شمس الدين أبو نصر بن محمد بن عماد الدين أبى الفضل محمد بن شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن جميل الشيرازى ، مولده فى شوال سنة تسع وعشرين وستمائة ، وسمع الكثير وأسمع وأفاد فى عليه شيخنا المزي تغمده الله برحمته ، قرأ عليه عدة أجزاء بنفسه أتابه الله ، وكان شيخاً حسناً خيراً مباركاً متواضعاً ، يذهب الربعات والمصاحف ، له فى ذلك يد طولى ، ولم يتدنس بشيء من الولايات ، ولا تدنس بشيء من وظائف المدارس ولا الشهادات ، إلى أن توفى

في يوم عرفة ببستانه من المزة ، وصلى عليه بجامعها ودفن بتربتها رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

أبو بكر بن أيوب بن سعد الدرعي الحنبلي ، قيم الجوزية ، كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف ، وكان فاضلاً ، وقد سمع شيئاً من دلائل النبوة عن الرشيدى العامرى ، توفى فجأة ليلة الأحد تاسع عشر ذى الحجة بالمدرسة الجوزية ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع ، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة ، وأثنى عليه الناس خيراً رحمه الله ، وهو والد العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية صاحب المصنفات الكثيرة النافعة الكافية .

﴿ الأمير علاء الدين بن شرف الدين ﴾

محمود بن إسماعيل بن معبد البعلبكي أحد أمراء الطبلخانات ، كان والده تاجراً ببعلبك فنشأ ولده هذا واتصل بالدولة ، وعلت منزلته ، حتى أعطى طبلخانة وياشر ولاية البريد بدمشق مع شد الأوقاف ثم صرف إلى ولاية الولاية بحوران ، فاعترضه مرض ، وكان سبط البدن عبه ، فسأل أن يقال فأجيب فأقام ببستانه بالمزة إلى أن توفى في خامس عشرين ذى الحجة ، وصلى عليه هناك ، ودفن بمقبرة المزة ، وكان من خيار الأمراء وأحسنهم ، مع ديانة وخير سماحه الله . وفي هذا اليوم توفى .

﴿ الفقيه العابد الناسك ﴾

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القاهر ابن عبد الواحد بن عمر الحراني ، المعروف بابن النجيب ، توفى في وادي بني سالم ، فحمل إلى المدينة فغسل وصلى عليه في الروضة ودفن بالبقيع شرقي قبر عقيل ، فغبطه الناس في هذه الموتة وهذا القبر ، رحمه الله ، وكان ممن غبطه الشيخ شمس الدين بن مسلم قاضي الخنابلة ، فمات بعده ودفن عنده وذلك بعده بثلاث سنين رحمهما الله . وجاء يوم حضر جنازة الشيخ شرف الدين مجد المذكور شرف الدين بن أبي العز الحنفي قبل ذلك بجمعة ، مرجعه من الحج بعد انفصاله عن مكة بمرحلتين فغبط الميت المذكور بتلك الموتة فرزق مثلها بالمدينة ، وقد كان شرف الدين بن نجيب هذا قد صحب شيخنا العلامة تقي الدين بن تيمية ، وكان معه في مواطن كبار صعبة لا يستطيع الاقدام عليها إلا الأبطال الخالص الخواص ، وسجن معه ، وكان من أكبر خدامه وخواص أصحابه ، ينال فيه الأذى وأذى بسببه مرات ، وكباليه في ازدياد محبة فيه وصبراً على أذى أعدائه ، وقد كان هذا الرجل في نفسه وعند الناس جيداً مشكور السيرة جيد العقل والفهم ، عظيم الديانة والزهد ، ولهذا كانت عاقبته هذه الموتة عقيب الحج ، وصلى عليه بروضة مسجد رسول الله ﷺ ، ودفن بالبقيع بقية الفرقد بالمدينة النبوية ، نفخ له بصالح عمله ، وقد كان كثير من السلف يتمنى أن يموت عقيب

عمل صالح يعمله ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها : الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك الناصر ، ونائبه بمصر سيف الدين أرغون ووزيره أمين الملك ، وقضاته بمصر هم المذكورون في التي قبلها ، ونائبه بالشام تنكز ، وقضاة الشام الشافعي جمال الدين الدرعي ، والحنفي الصدر على البصر او ي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي شمس الدين بن مسلم ، وخطيب الجامع الأموي جلال الدين القزويني ، ووكيل بيت المال جمال الدين ابن القلانسي ، ومحتسب البلد نجر الدين بن شيخ السلامة ، وناظر الدواوين شمس الدين غبريال ومشد الدواوين علم الدين طرقتشي ، وناظر الجيش قطب الدين بن شيخ السلامة ، ومعين الدين ابن الخشيش ، وكتائب السرشهات الدين محمود ، ونقيب الأشراف شرف الدين بن عدنان ، وناظر الجامع بدر الدين بن الحداد ، وناظر الخزانة عز الدين بن القلانسي ، ووالي البرعلاء الدين ابن المرواني ، ووالي دمشق شهاب الدين برق .

وفي خامس عشر ربيع الأول باشر عز الدين بن القلانسي الحسبة عوضا عن ابن شيخ السلامة مع نظر الخزانة ، وفي هذا الشهر حمل كريم الدين وكييل السلطان من القدس إلى الديار المصرية فاعتقل ثم أخذت منه أموال وذخائر كثيرة ، ثم نفى إلى الصعيد وأجرى عليه نفقات سلطانية له ولمن معه من عياله ، وطلب كريم الدين الصغير وصوره بأموال جملة . وفي يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر قرئ كتاب السلطان بالمقصورة من الجامع الأموي بحضور نائب السلطنة والقضاة ، يتضمن إطلاق مكس الغلة بالشام المحروس جميعه ، فكثرت الأدعية للسلطان ، وقدم البريد إلى نائب الشام يوم الجمعة خامس عشرين ربيع الآخر بعزل قاضي الشافعية الدرعي ، فبلغه ذلك فامتنع بنفسه من الحكم ، وأقام بالمعادلية بعد العزل خمسة عشر يوما ثم انتقل منها إلى الاتابكية ، واستمرت بيده مشيخة الشيوخ وتدريس الاتابكية ، واستدعى نائب السلطان شيخنا الامام الزاهد برهان الدين الغزاري ، فعرض عليه القضاء فامتنع ، فألح عليه بكل ممكن فأبى وخرج من عنده فأرسل في أثره الأعيان إلى مدرسته فدخلوا عليه بكل حيلة فامتنع من قبول الولاية ، وصمم أشد التصميم ، جزاء الله خيرا عن مروءته ، فلما كان يوم الجمعة جاء البريد فأخبر بتوليته قضاء الشام ، وفي هذا اليوم خلع على تقي الدين سليمان بن مراجل بنظر الجامع عوضا عن بدر الدين ابن الحداد توفي ، وأخذ من ابن مراجل نظر المارستان الصغير لبدر الدين بن العطار ، وخسف القمر ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة بعد العشاء ، فصلى الخطيب صلاة الكسوف بأربع

سور: ق ، واقتربت ، والواقعة ، والقيامة ، ثم صلى العشاء ثم خطب بعدها ثم أصبح فصلى بالناس الصبح ثم ركب على البريد إلى مصر فرزق من السلطان فتولاه وولاه بعد أيام القضاء ثم كر راجعاً إلى الشام فدخل دمشق في خامس رجب على القضاء مع الخطابة وتدريس المعادلة والغزالية ، فباشر ذلك كله ، وأخذت منه الأمانة فدرس فيها جمال الدين بن القلانسي ، مع وكالة بيت المال ، وأضيف إليه قضاء العساكر وخطوب بقاضي القضاة جلال الدين القزويني .

وفيها قدم ملك التكرور إلى القاهرة بسبب الحج في خامس عشرين رجب ، فنزل بالقرافة ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفاً ، ومعهم ذهب كثير بحيث إنه نزل سعر الذهب درهمين في كل منقال ، ويقال له الملك الأشرف موسى بن أبي بكر ، وهو شاب جميل الصورة ، له مملكة متسعة مسيرة ثلاث سنين ، ويذكر أن تحت يده أربعة وعشرين ملكاً ، كل ملك تحت يده خلق وعساكر ، ولما دخل قلعة الجبل ليسلم على السلطان أمر بتقبيل الأرض فامتنع من ذلك ، فأكرمه السلطان ، ولم يمكن من الجلوس أيضاً حتى خرج من بين يدي السلطان وأحضر له حصان أشهب بزنازي أطلس أصفر ، وهبئت له هجن وآلات كثيرة تليق بمثله ، وأرسل هو إلى السلطان أيضاً بهدايا كثيرة من جملتها أربعون ألف دينار ، وإلى النائب بنحو عشرة آلاف دينار ، وتحف كثيرة .

وفي شعبان ورمضان زاد النيل بمصر زيادة عظيمة ، لم يرمثلها من نحو مائة سنة أو يزيد منها ومكث على الأراضي نحو ثلاثة أشهر ونصف ، وغرق أقباباً كثيرة ، ولكن كان نفعه أعظم من ضرره . وفي يوم الخميس ثامن عشر شعبان استناب القاضي جلال الدين القزويني نائبين في الحكم ، وهما يوسف بن إبراهيم بن جملة الحججي الصالحى ، وقد ولي القضاء فيما بعد ذلك كما سيأتى ، ومحمد بن على بن إبراهيم المصرى ، وحكما يومئذ ، ومن الغد جاء البريد ومعه تقليد قضاء حلب للشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، فاستدعاه نائب السلطنة وفاوضه في ذلك فامتنع ، فراجعه النائب ثم راجع السلطان فجاء البريد في ثاني عشر رمضان بامضاء الولاية فشرع للتأهب لبلاد حلب ، وتمادى في ذلك حتى كان خروجه إليها في بكرة يوم الخميس رابع عشر شوال ، ودخل حلب يوم الثلاثاء سادس عشرين شوال فأكرم إكراماً زائداً ، ودرس بها وألقى علوماً أكبر من تلك البلاد ، وحصل لهم الشرف بفنونه وفوائده ، وحصل لأهل الشام الأسف على دروسه الأنيقة الفائقة ، وما أحسن ما قال الشاعر وهو شمس الدين محمد الحنطاف في قصيدة له مطولة أولها قوله :

أسفت لفقديك جاق الفيحاء * وتباشرت بقدمك الشهباء

وفي ثاني عشر رمضان عزل أمين الملك عن وزارة مصر وأضيفت الوزارة إلى الأمير علاء الدين مغلطاي الجلى ، أستاذ دار السلطان . وفي أواخر رمضان طلب صاحب شمس الدين غبريال إلى

القاهرة فولى بها نظر الدواوين عوضاً عن كريم الدين الصغير ، وقدم كريم الدين المذكور إلى دمشق في شوال ، فنزل بدار العدل من القضاة . وولى سيف الدين قديدار ولاية مصر ، وهو شهيم سفك للدماء ، فأراق الخمر وأحرق الحشيشة وأمسك الشطار ، واستقامت به أحوال القاهرة ومصر ، وكان هذا الرجل ملازماً لابن تيمية مدة مقامه بمصر .

وفي رمضان قدم إلى مصر الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن الشحام الموصلى من بلاد السلطان أزبك ، وعنده فنون من علم الطب وغيره ، ومعه كتاب بالوصية به فأعطى تدريس الظاهرية البرانية نزل له عنها جمال الدين بن القلانسي ، فباشرها في مستهل ذى الحجة ، ثم درس بالجارضية . ثم خرج الركب في تاسع شوال وأميره كوكنجبار الحمدي ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . وبمن خرج إلى الحج برهان الدين الفزارى ، وشهاب الدين قرطاي الناصري نائب طرابلس ، وصاروحا وشهري وغيرهم . وفي نصف شوال زاد السلطان في عدة الفقهاء بمدرسته الناصرية ، كان فيها من كل مذهب ثلاثون ثلاثون ، فزادهم إلى أربعة وخمسين من كل مذهب ، وزادهم في الجوامك أيضاً . وفي الثالث والعشرين منه وجد كريم الدين الكبير وكيل السلطان قد شق نفسه داخل خزانة له قد أغلقها عليه من داخل : ربط حلقة في جبل وكان تحت رجله قفص فدفق القفص برجله فسقط في مدينة أسوان ، وستأني ترجمته .

وفي سابع عشر ذى القعدة زينت دمشق بسبب عافية السلطان من مرض كان قد أشفى منه على الموت ، وفي ذى القعدة درس جمال الدين بن القلانسي بالظاهرية الجوانية عوضاً عن ابن الزمليكاني ، سافر على قضاء حلب ، وحضر عنده القاضي القزويني ، وجاء كتاب صادق من بغداد إلى المولى شمس بن حسان يذكر فيه أن الأمير جوبان أعطى الأمير محمد حسينا قدهاً فيه خمر ليشر به ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، فألح عليه وأقسم فأبى أشد الأباء ، فقال له إن لم تشربها وإلا كلفتك أن تحمل ثلاثين تومانا ، فقال نعم أحمل ولا أشربها ، فكتب عليه حجة بذلك ، وخرج من عنده إلى أمير آخر يقال له بكتي ، فاستقرض منه ذلك المال ثلاثين تومانا فأبى أن يقرضه إلا بربح عشرة توامين ، فاتفقا على ذلك ، فبعث بكتي إلى جوبان يقول له : المال الذي طلبته من حسينا عندي فان رسمت حملته إلى الخزانة الشريفة ، وإن رسمت تفرقه على الجيش . فأرسل جوبان إلى محمد حسينا فأحضره عنده فقال له : تزن أربعين تومانا ولا تشرب قدها من خمر ؟ قال نعم ، فأعجبه ذلك منه ومزق الحجة المكتوبة عليه ، وحظى عنده وحكمه في أموره كلها ، وولاه ولايات كتابه ، وحصل لجوبان إقلاع ورجوع عن كثير مما كان يتعاطاه ، رحم الله حسينا .

وفي هذه السنة كانت فتنة بأصبهان قتل بسببها ألوف من أهلها ، واستمرت الحرب بينهم

شهوراً . وفيها كان غلاء مفرط بدمشق ، بلغت الفرارة مائتين وعشرين ، وقلت الاقوات . ولولا أن الله أقام للناس من يحمل لهم الغلة من مصر لاشتد الغلاء وزاد أضعاف ذلك ، فكان مات أكثر الناس ، واستمر ذلك مدة شهور من هذه السنة ، وإلى أثناء سنة خمس وعشرين ، حتى قدمت الغلات ورخصت الأسعار والله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان : توفى في مستهل المحرم

﴿ بدر الدين بن ممدود بن أحمد الخنفي ﴾

قاضي قلعة الروم بالحجاز الشريف ، وقد كان عبداً صالحاً ، حج مرات عديدة ، وربما أحرم من قلعة الروم أو حرم بيت المقدس ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب ، وعلى شرف الدين بن العز وعلى شرف الدين بن نجيب توفوا في أقل من نصف شهر كلهم بطريق الحجاز بعد فراغهم من الحج وذلك أنهم غبطوا ابن نجيب صاحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية بتلك الموتة كما تقدم ، فرزقوها فماتوا عقيب عملهم الصالح بعد الحج .

﴿ الحجية الكبيرة خوندا بنت مكية ﴾

زوجة الملك الناصر ، وقد كانت زوجة أخيه الملك الأشرف ثم هجرها الناصر وأخرجها من القلعة ، وكانت جنازتها حافلة ، ودفنت بقربتها التي أنشأها .

﴿ الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش ﴾

ويقال له اللباد ويعرف بالمؤله ، كان يقرئ الناس بالجامع نحواً من أربعين سنة ، وقد قرأت عليه شيئاً من القراءات ، وكان يعلم الصغار عقد الزاء والحروف المتقنة كالراء ونحوها ، وكان متقللاً من الدنيا لا يقتنى شيئاً ، وليس له بيت ولا خزانة ، إنما كان يأكل في السوق وينام في الجامع ، توفى في مستهل صفر وقد جاوز السبعين ، ودفن في باب الفراديس رحمه الله . وفي هذا اليوم توفى بمصر .

﴿ الشيخ أيوب السعودى ﴾

وقد قارب المائة ، أدرك الشيخ أبا السعود وكانت جنازته مشهودة . ودفن بقربة شيخه بالقرافة وكتب عنه قاضي القضاة تقي الدين السبكي في حياته ، وذكر الشيخ أبو بكر الرحبي أنه لم ير مثل جنازته بالقاهرة منذ سكنها رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام الزاهد نور الدين ﴾

أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي ، له تصانيف ، وقرأ مسند الشافعي على وزيرة بنت المنجا ، ثم إنه أقام بمصر ، وقد كان في جملة من ينسك على شيخ الاسلام ابن تيمية ، فأراد بعض الدولة قتله فهرب واختفى عنده كما تقدم لما كان ابن تيمية مقبلاً بمصر ، وما مثاله إلا مثال ساقية

ضعيفة كدرة لا طمت بجرأ عظيماً صافياً ، أو رملة أرادت زوال جبل ، وقد أضحك العقلاء عليه ، وقد أراد السلطان قتله فشفع فيه بعض الامراء ، ثم أنكر مرة شيئاً على الدولة فنفي من القاهرة إلى بلدة يقال لها ديروط ، فكان بها حتى توفي يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة ، وكان شيخه ينكر عليه إنكاره على ابن تيمية ، ويقول له أنت لا تحسن أن تتكلم .

﴿ الشمس محمد الباجر بقى ﴾

الذى تنسب إليه الفرقة الضالة الباجر بقية ، والمشهور عنهم إنكار الصانع جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، وقد كان والده جمال الدين بن عبد الرحيم بن عمر الموصلى رجلاً صالحاً من علماء الشافعية ودرس في أماكن بدمشق ، ونشأ ولده هذا بين الفقهاء واشتغل ببعض شئ ثم أقبل على السلوك ولازم جماعة يعتقدونه ويؤرونه ويرزقونه ممن هو على طريقه ، وآخرين لا يفهمونه ، ثم حكم القاضى المالكي باراقة دمه فهرب إلى الشرق ، ثم إنه أثبت عداوة بينه وبين الشهود فحكم الحنبلى بمحقن دمه فأقام بالقابون مدة سنين حتى كانت وفاته ليلة الاربعاء سادس عشر ربيع الآخر ، ودفن بالقرب من مغارة الدم بسفح قاسيون في قبة في أعلى ذيل الجبل تحت المغارة ، وله من العمر ستون سنة .

﴿ شيخنا القاضى المعمر الفقيه ﴾

محمى الدين أبو زكريا يحيى بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيدانى الشافى اشتغل على النووى ولازم ابن المقدسى ، وولى الحكم بزراع وغيرها ، ثم قام بدمشق يشتغل فى الجامع ، ودرس فى الصارمية وأعاد فى مدارس عدة إلى أن توفى فى سلخ ربيع الآخر ودفن بقاسيون وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وسمع كثيراً وخرج له الذهبى شيئاً وسمعنا عليه الدارقطنى وغيره .

﴿ الفقيه الكبير الصدر الامام العالم الخطيب بالجامع ﴾

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الأمدى الحنبلى ، سمع الحديث واشتغل وحفظ المحرر فى مذهب أحمد وبرع على ابن حمدان وشرحه عليه فى مدة سنين وقد كان ابن حمدان يثنى عليه كثيراً وعلى ذهنه وذكائه ، ثم اشتغل بالكتابة ولزم خدمة الأمير قرا سنقر بجلب ، فولاه نظر الأوقاف وخطابة حلب بجامعها الأعظم ، ثم لما صار إلى دمشق ولأه خطابة الأموى فاستمر خطيباً فيها اثنتين وأربعين يوماً ، ثم أعيد إليها جلال الدين القزوينى ، ثم ولى نظر المارستان والحسبة ونظر الجامع الأموى ، وعين لقضاء الحنابلة فى وقت ، ثم توفى ليلة الاربعاء سابع جمادى الآخرة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

﴿ الكاتب المفيد قطب الدين ﴾

أحمد بن مفضل بن فضل الله المصرى ، أخو محمى الدين كاتب تنكز ، والد الصاحب علم الدين

كان خبيراً بالكتابة وقد ولى استيفاء الأوقاف بعد أخيه ، وكان أسن من أخيه ، وهو الذى علمه صناعة الكتابة وغيرها ، توفى ليلة الاثنين ثانى رجب وعمل عزاءه بالشميساطية ، وكان مباشر أوقافها .

﴿ الأمير الكبير ملك العرب ﴾

محمد بن عيسى بن مهنا أخو مهنا ، توفى بسلامية يوم السبت سابع رجب ، وقد جاوز الستين كان مليح الشكل حسن السيرة عاملاً عارفاً رحمه الله .
وفى هذا الشهر وصل الخبر إلى دمشق بموت .

﴿ الوزير الكبير على شاه بن أبى بكر التبريزى ﴾

وزير أبى سعيد بعد قتل سعد الدين الساوى ، وكان شيخاً جليلاً فيه دين وخير ، وحمل إلى تبريز فدفن بها فى الشهر الماضى رحمه الله .

﴿ الأمير سيف الدين بكتمر ﴾

والى الولاية صاحب الأوقاف فى بلدان شتى : من ذلك مدرسة بالصلب ، وله درس بمدرسة أبى عمر وغير ذلك ، توفى بالاسكندرية ، وهو نائبها خامس رمضان رحمه الله .

﴿ شرف الدين أبو عبد الله ﴾

محمد ابن الشيخ الامام العلامة زين الدين بن المنجى بن عثمان بن أسعد بن المنجى التنوخى الحنبلى ، أخو قاضى القضاة علاء الدين ، سمع الحديث ودرس وأفتى ، وصحب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان فيه دين ومودة وكرم وقضاء حقوق كثيرة ، توفى ليلة الاثنين رابع شوال ، وكان مولده فى سنة خمس وسبعين وستمائة ، ودفن بترتهم بالصالحية .

﴿ الشيخ حسين الكردى الموله ﴾

كان يخالط النجاسات والقاذورات ، ويمشى حافياً ، وربما تكلم بشيء من الهديات التى تشبه علم المغيبات ، وللناس فيه اعتقاد كما هو المعروف من أهل العمى والضلالات ، مات فى شوال .

﴿ كريم الدين الذى كان وكيل السلطان ﴾

عبد الكريم بن العلم هبة الله المسلمانى ، حصل له من الأموال والتقدم والمكانة الخطيرة عند السلطان ما لم يحصل لغيره فى دولة الأتراك ، وقد وقف الجامعين بدمشق أحدهما جامع القبيبات والحوض الكبير الذى تجاه باب الجامع ، واشترى له نهر ماء بثمانين ألفاً ، فانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً ، ووجدوا رفقا . والثانى الجامع الذى بالقابون . وله صدقات كثيرة تقبل الله منه وعفا عنه ، وقد مسك فى آخر عمره ثم صودر ونفى إلى الشوبك ، ثم إلى القدس ، ثم الصعيد فخنق نفسه كما قيل بعمامته بمدينة أسوان ، وذلك فى الثالث والعشرين من شوال ، وقد كان حسن الشكل تام القامة ،

ووجد له بعد موته ذخائر كثيرة سماحه الله .

﴿ الشيخ الامام العالم علاء الدين ﴾

على بن ابراهيم بن داود بن سليمان بن العطار ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس الغوصية بالجامع ، ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وخمسين وستائة ، وسمع الحديث واشتغل على الشيخ محي الدين النواوي ولازمه حتى كان يقال له مختصر النواوي ، وله مصنفات وفوائد ومجاميع وتخاريج ، وباشر مشيخة النورية من سنة أربع وتسعين إلى هذه السنة ، مدة ثلاثين سنة ، توفي يوم الاثنين منها مستهل ذي الحجة فولى بعده النورية علم الدين البرزالي ، وتولى الغوصية شهاب الدين بن حرز الله وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، وأولها يوم الأربعاء . وفي خامس صفر منها قدم إلى دمشق الشيخ شمس الدين محمود الأصبهاني بعد مرجعه من الحج وزيارة القدس الشريف وهو رجل فاضل له مصنفات منها شرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح الجويد وغير ذلك ، ثم إنه شرح الحاجبية أيضاً وجمع له تفسيراً بعد صيرورته إلى مصر ، ولما قدم إلى دمشق أكرم واشتغل عليه الطلبة ، وكان حظياً عند القاضي جلال الدين القزويني ، ثم إنه ترك السكل وصار يتردد إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية وسمع عليه من مصنفاته وردة على أهل الكلام ، ولازمه مدة فلما مات الشيخ تقي الدين تحول إلى مصر وجمع التفسير .

وفي ربيع الأول جرد السلطان تجريدة نحو خمسة آلاف إلى اليمن لخروج عمه عليه ، وصحبتهم خلق كثير من الحجاج ، منهم الشيخ نحر الدين النويري . وفيها منع شهاب الدين بن مري البعلبكي من الكلام على الناس بمصر ، على طريقة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وعزره القاضي المالكي بسبب الاستغاثة ، وحضر المذكورين يدي السلطان وأثنى عليه جماعة من الأمراء ، ثم سفر إلى الشام بأهله فنزل ببلاد الخليل ، ثم انتزع إلى بلاد الشرق وأقام بسنجار وماردين ومعاملتهما يتكلم ويعظ الناس إلى أن مات رحمه الله كما سنده .

وفي ربيع الآخر عاد نائب الشام من مصر وقد أكرمه السلطان والأمراء . وفي جمادى الأولى وقع بمصر مطر لم يسمع بمثله بحيث زاد النيل بسببه أربع أصابع ، وتغير أياماً . وفيه زادت دجلة ببغداد حتى غرقت ما حول بغداد وانحصر الناس بها ستة أيام لم تفتح أبوابها ، وبقيت مثل السفينة في وسط البحر ، وغرق خلق كثير من الفلاحين وغيرهم ، وتلف للناس مالا يعلمه إلا الله ، وودع أهل البلد بعضهم بعضاً ، ولجأوا إلى الله تعالى وحملوا المصاحف على رؤسهم في شدة الشوق في أنفسهم

حتى القضاة والأعيان ، وكان وقتاً عجبياً ، ثم لطف الله بهم ففيض الماء وتناقص ، وتراجع الناس إلى ما كانوا عليه من أمورهم الجائرة وغير الجائرة ، وذكر بعضهم أنه غرق بالجانب الغربي نحو من ستة آلاف وستمائة بيت ، وإلى عشرة سنين لا يرجع ما غرق .

وفي أوائل جمادى الآخرة فتح السلطان خانقاه سر ياقوس التي أنشأها وساق إليها خليجا وبني عندها محلة ، وحضر السلطان بها ومعه القضاة والأعيان والأمراء وغيرهم ، ووليها مجد الدين الأقرائي ، وعمل السلطان بها وليمة كبيرة ، وسمع على قاضي القضاة ابن جماعة عشرين حديثاً بقراءة ولده عز الدين بمحضرة الدولة منهم أرغون النائب ، وشيخ الشيوخ القونوي وغيرهم ، وخلع على القاري عز الدين وأثنوا عليه ثناء زائداً ، وأجلس مكرماً ، وخلع أيضاً على والده ابن جماعة وعلى المالكي وشيخ الشيوخ ، وعلى مجد الدين الأقرائي شيخ خانقاه المذكورة وغيرهم . وفي يوم الأربعاء رابع عشر رجب درس بقبة المنصورية في الحديث الشيخ زين الدين بن الكتاني الدمشقي ، بإشارة نائب الكرك وأرغون ، وحضر عنده الناس ، وكان فقيهاً جيداً ، وأما الحديث فليس من فنه ولا من شغله .

وفي أواخر رجب قدم الشيخ زين الدين بن عبد الله بن المرغل من مصر على تدريس الشامية البرانية ، وكانت بيد ابن الزملكاني فانتقل إلى قضاء حلب ، فدرس بها في خامس شعبان وحضر القاضي الشافعي وجماعة . وفي سابع رجب قدم القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة من مصر ومعه ولده ، وفي صحبته الشيخ جمال الدين الدمياطي وجماعة من الطلبة بسبب سماع الحديث ، فقرأ بنفسه وقرأ الناس له واعتنوا بأمره ، وسمعنا معهم وبقراءته شيئاً كثيراً ، نفعهم الله بما قرؤوا وبما سمعوا ، ونفع بهم . وفي يوم الأربعاء ثاني عشر شوال درس الشيخ شمس الدين بن الأصبهاني ، بالرواحية بعد ذهاب ابن الزملكاني إلى حلب ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وجرى يومئذ بحث في العام إذا خص ، وفي الاستثناء بعد النفي ووقع انتشار وطال الكلام في ذلك المجلس ، وتكلم الشيخ تقي الدين كلاماً أبهت الحاضرين ، وتأخر ثبوت عيد الفطر إلى قريب الظهر يوم العيد ، فلما ثبت دقت البشائر وصلى الخطيب العيد من الغد بالجامع ، ولم يخرج الناس إلى المصلى ، وتغضب الناس على المؤذنين وسجن بعضهم . وخرج الركب في عاشره وأميره صلاح الدين ابن أيبك الطويل ، وفي الركب صلاح الدين بن أوحده ، والمنكورسي ، وقاضيه شهاب الدين الظاهر . وفي سابع عشره درس بالرباط الناصري بقاسميون حسام الدين القزويني الذي كان قاضي طرابلس ، قايضه بها جمال الدين بن الشريشني إلى تدريس المسرورية ، وكان قد جاء توقيعه بالندراوية والظاهرية فوقف في طريقه قاضي القضاة جمال الدين ونائباه ابن جملة

والفخر المصري ، وعقد له ولكمال الدين ابن الشيرازي مجلسا ، ومعه توقيع بالشامية البرانية ، فمطل الامر عليهما لأنهما لم يظهرهما استحقاقهما في ذلك المجلس ، فصارت المدرستان العندراوية والشامية لابن المرحل كما ذكرنا ، وعظم القزويني بالمسرورية فقايض منها لابن الشريشني إلى الرباط الناصري ، فدرس به في هذا اليوم وحضر عنده القاضي جلال الدين ، ودرس بعده ابن الشريشني بالمسرورية وحضر عنده الناس أيضا . وفيه عادت التجربة اليمنية وقد فقد منهم خلق كثير من العلماء وغيرهم ، فحبس مقدمهم الكبير ركن الدين بيبرس لسوء سيرته فيهم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ إبراهيم الصباح ﴾

وهو إبراهيم بن منير البعلبكي ، كان مشهوراً بالصلاح مقيماً بالمأذنة الشرقية ، توفي ليلة الأربعاء مستهل المحرم ودفن بالبواب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، حمله الناس على رؤس الأصابع ، وكان ملازماً لمجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية .

﴿ إبراهيم الموله ﴾

الذي يقال له القميني لاقامته بالقمامين خارج باب شرقي ، وربما كشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، وقد استنابه الشيخ تقي الدين بن تيمية وضر به على ترك الصلوات ومخالطة القاذورات ، وجمع النساء والرجال حوله في الأماكن النجسة . توفي كهلا في هذا الشهر .

﴿ الشيخ عفيف الدين ﴾

محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلي ثم الدمشقي ، إمام مسجد الرأس ، آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض سنن البيهقي ، سمعنا عليه شيئا منها ، توفي في صفر .

﴿ الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك ﴾

عبد الله بن موسى بن أحمد الجزري ، الذي كان مقيماً^(١) أبي بكر من جامع دمشق ، كان من الصالحين الكبار مباركا خيراً ، عليه سكينه وقار ، وكانت له مطالعة كثيرة ، وله فهم جيد وعقل جيد ، وكان من الملازمين لمجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة ويفهمها يعجز عنها كبار الفقهاء . توفي يوم الاثنين سادس عشر من صفر ، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة محمودة .

﴿ الشيخ الصالح الكبير المعمر ﴾

الرجل الصالح تقي الدين ابن الصائغ المقرئ المصري ، الشافعي ، آخر من بقي من مشايخ القراء وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكى ، توفي في صفر ودفن بالقرافة وكانت جنازته حافلة ، قارب التسعين ولم يبق له منها سوى سنة واحدة ، وقد قرأ عليه غير واحد ،

(١) بياض بالأصل ولعله « بمحراب » أو « بخلوة » أو نحو هذا .

هو من طال عمره وحسن عمله ﴿ الشيخ الامام صدر الدين ﴾

أبوزكريا يحيى بن علي بن تمام بن موسى الانصارى السبكي الشافعي ، سمع الحديث وبرع في الأصول والفقهاء ، ودرس بالسيفية وبارها بعده ابن أخيه تقي الدين السبكي الذي تولى قضاء الشام فيما بعد .

﴿ الشهاب محمود ﴾ هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة شيخ صناعة الانشاء الذي لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله في صناعة الانشاء ، وله خصائص ليست للفاضل من كثرة النظم والقصائد المطولة الحسنة البليغة ، فهو شهاب الدين أبو النشا محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة بحلب ، وسمع الحديث وعنى بالغة والأدب والشعر وكان كثير الفضائل بارعا في علم الانشاء نظما ونثرا ، وله في ذلك كتب ومصنفات حسنة فائقة ، وقد مكث في ديوان الانشاء نحو من خمسين سنة ، ثم ولي كتابة السر بدمشق نحواً من ثمان سنين إلى أن توفي ليلة السبت ثاني عشرين شعبان في منزله قرب باب النطفانيين وهي دار القاضي الفاضل وصلى عليه بالجامع ودفن بقرية له أنشأها بالقرب من اليعمورية وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

﴿ شيخنا المسند المعمر الرحلة ﴾

عفيف الدين إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الآمدي ثم الدمشقي الحنفي شيخ دار الحديث الظاهرية ، ولد في حدود الأربعين وستمائة ، وسمع الحديث على جماعة كثيرين ، منهم يوسف بن خليل ومحمد الدين بن تيمية ، وكان شيخا حسنا بهي المنظر سهل الاسماع يحب الرواية ولديه فضيلة ، توفي ليلة الاثنين ثاني عشرين رمضان ، ودفن بقاسيون ، وهو والد نجر الدين ناظر الجيوش والجامع . وقبله بيوم توفي الصدر معين الدين يوسف بن زغيب الرحبي أحد كبار التجار الأمناء . وفي رمضان توفي ﴿ البدر العوام ﴾

وهو محمد بن علي البابا الحلبي ، وكان فرداً في العوم ، وطيب الأخلاق ، انتفع به جماعة من التجار في بحر البن كان معهم ففرق بهم المركب ، فاجأوا إلى صخرة في البحر ، وكانوا ثلاثة عشر ، ثم إنه غطس فاستخرج لهم أموالاً من قرار البحر بعد أن أفلسوا وكادوا أن يهلكوا ، وكان فيه ديانة وصيانة ، وقد قرأ القرآن وحج عشر مرات ، وعاش ثماناً وثمانين سنة رحمه الله ، وكان يسمع الشيخ تقي الدين بن تيمية كثيراً . وفيه توفي .

﴿ الشهاب أحمد بن عثمان الامشاطي ﴾

الأديب في الأزجال والموشحات والموايا والدوبيت والبلايق ، وكان أستاذاً أهل هذه الصناعة مات في عشر الستين . ﴿ القاضي الامام العالم الزاهد ﴾

صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب الجعفري الشافعي المعروف بخطيب

داريا ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستائة ، بقرية بسرا من عمل السواد ، وقدم مع والده فقرأ بالصالحية القرآن على الشيخ نصر بن عبيد ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ محي الدين النورى ، والشيخ تاج الدين الفزارى ، وتولى خطابة داريا وأعاد بالناصرية ، وتولى نيابة القضاء لابن صصرى مدة ، وكان متزهداً لا يتنعم بجمام ولا كتان ولا غيره ، ولم يغير ما اعتاده في البر ، وكان متواضعاً ، وهو الذى استسقى بالناس فى سنة تسع عشرة فسقوا كما ذكرنا ، وكان يذكر له نسباً إلى جعفر الطيار ، بينه وبينه عشرة آباء ، ثم ولى خطابة العقبية فترك نيابة الحكم وقال هذه تكفى إلى أن توفى ليلة الخميس ثامن ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته مشهورة رحمة الله ، وتولى بعده الخطابة ولده شهاب الدين .

﴿ أحمد بن صبيح المؤذن ﴾

الرئيس بالعروض بجامع دمشق مع البرهان بدر الدين أبو عبد الله محمد بن صبيح بن عبد الله التغلبسى مولاهم المقرئ المؤذن ، كان من أحسن الناس صوتاً فى زمانه ، وأطيبهم نعمة ، ولد سنة ثنتين وخمسين وستائة تقریباً ، وسمع الحديث فى سنة سبع وخمسين ، ومن سمع عليه ابن عبد الدائم وغيره من المشايخ ، وحدث وكان رجلاً حسناً ، أبوه مولى لامرأة اسمها شامة بنت كامل الدين التغلبسى ، امرأة نحر الدين الكرخى ، وباشر مشاركة الجامع وقراءة المصحف ، وأذن عند نائب السلطنة مدة ، وتوفى فى ذى الحجة بالطواويس ، وصلى عليه بجامع العقبية ، ودفن بمقابر باب الفراديس .

﴿ خطاب بانى خان خطاب ﴾

الذى بين الكسوة وغباغب . الأمير الكبير عز الدين خطاب بن محمود بن رتقش العراقى ، كان شيخاً كبيراً له ثروة من المال كبيرة ، وأموال ، وله حمام بحكر السماق ، وقد عمر الخانات المشهورة به بعد موته إلى ناحية الكنف المصرى ، مما يلى غباغب ، وهو برج الصفر ، وقد حصل لكثير من المسافرين به رفق ، توفى ليلة سبع عشرة ربيع الآخر ودفن بقرنته بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى . وفى ذى القعدة منها توفى رجل آخر اسمه :

﴿ ركن الدين خطاب بن الصاحب كمال الدين ﴾

أحمد ابن أخت ابن خطاب الرومى السيواسى ، له خانقاه ببلده بسيواس ، عليها أوقاف كثيرة وبر وصدقة ، توفى وهو ذاهب إلى الحجاز الشريف بالكرك ، ودفن بالقرب من جعفر وأصحابه بمؤتة رحمه الله . وفى العشر الأخير من ذى القعدة توفى

﴿ بدر الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن كمال الدين أحمد بن أبي الفتح بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سليمان بن فتيان

الشيبياني المعروف بابن العطار ، ولد سنة سبعين [وسبعمائة] ، وسمع الحديث الكثير ، وكتب الخط المنسوب واشتغل بالتنبيه ونظم الشعر ، وولى كتابة الدرج ، ثم نظر الجيش ونظر الأشراف ، وكانت له حظوة في أيام الأفرم ، ثم حصل له خمول قليل ، وكان مترفاً منعماً له ثروة ورياسة وتواضع وحسن سيرة ، ودفن بسفح قاسيون بترتهم رحمه الله .

﴿ القاضي محيي الدين ﴾

أبو محمد بن الحسن بن محمد بن عمار بن فتوح الحارثي ، قاضي الزبداني مدة طويلة ، ثم ولى قضاء الكرك وبها مات في العشرين من ذي الحجة ، وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وقد سمع الحديث واشتغل ، وكان حسن الأخلاق متواضعاً ، وهو والد الشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني مدرس الظاهرية رحمه الله .

✽ ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة ✽

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب سر دمشق شهاب الدين محمود فانه توفي ، وولى المنصب من بعده ولده الصدر شمس الدين . وفيها تحول التجار في قماش النساء المحيط من الدهشة التي للجامع إلى دهشة سوق على . وفي يوم الأربعاء ثامن المحرم باشر مشيخة الحديث الظاهرية الشيخ شهاب الدين بن جهيل بعد وفاة العفيف إسحاق وترك تدريس الصلاحية بالقدس الشريف ، واختار دمشق ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي أولها فتح الحمام الذي بناه الأمير سيف الدين جوبان بجوار داره بالقرب من دار الجالقي ، وله بابان أحدهما إلى جهة مسجد الوزير ، وحصل به نفع . وفي يوم الاثنين ثاني صفر قدم الصاحب غبريال من مصر على البريد متولياً نظر الدواوين بدمشق على عادته ، وانفصل عنها الكريم الصغير ، وفرح الناس به . وفي يوم الثلاثاء حادى عشرين ربيع الأول بكرة ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيثي بسوق الخبل على كفره واستهانتة واستهتاره بآيات الله ، وصحبته الزنادقة كالنجم بن خلكان ، والشمس محمد الباجريقي ، وابن المعمار البغدادي ، وكل فيهم انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس . قال الشيخ علم الدين البرزالي : وربما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم بالكفر والتلاعب بدين الاسلام ، والاستهانة بالنبوة والقرآن . قال وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة . قال : وكان هذا الرجل في أول أمره قد حفظ التنبيه ، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن ، وعنده نباهة وفهم ، وكان منزلاً في المدارس والتراب ، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه ، وكان قتله عزاً للاسلام وذلاً للزندقة وأهل البدع .

قلت : وقد شهدت قتله ، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضراً يومئذ ، وقد أتاه وقرعه

على ما كان يصدر منه قبل قتله ، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك .

وفي شهر ربيع الأول رسم في إخراج الكلاب من مدينة دمشق فجعلوا في الخندق من جهة باب الصغير من ناحية باب شرقي ، المذكور على حدة والانات على حدة ، وأزم أصحاب الدكاكين بذلك ، وشدوا في أمرهم أياماً . وفي ربيع الأول ولي الشيخ علاء الدين المقدسي معيد البادرانية مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف ، وسافر إليها . وفي جمادى الآخرة عزل قرطاي عن ولاية طرابلس وولها طينال وأقر قرطاي على خبز القرمانى بدمشق بحكم سجن القرمانى بقلعة دمشق .

قال البرزالي : وفي يوم الاثنين عند العصر سادس عشر شعبان اعتقل الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق ، حضر إليه من جهة نائب السلطنة تنكز مشدا الاوقاف وابن الخطيرى أحد الحجاب بدمشق ، وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بذلك ، وأحضرا معهما صركو باليركبه ، وأظهر السرور والفرح بذلك ، وقال أنا كنت منتظراً لذلك ، وهذا فيه خير كثير ومصالحة كبيرة ، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخذت له قاعة وأجرى إليها الماء ورسم له بالاقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين بخدمة باذن السلطان ، ورسم له ما يقوم بكفانيته . قال البرزالي : وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله ومنعه من الغتيا ، وهذه الواقعة سبها فتيا وجدت بخطه في السفر وإعمال المطى إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبور الصالحين . قال : وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر قاضى القضاة الشافى في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم ، وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه ، فيما تقتضيه الشريعة في أمرهم ، وعزر جماعة منهم على دواب ونودي عليهم ثم أطلقوا ، سوى شمس الدين محمد بن قيم الجوزية فانه حبس بالقلعة ، وسكنت القضية . قال وفي أول رمضان وصلت الأخبار إلى دمشق أنه أجزيت عين ماء إلى مكة شرفها الله وانتفع الناس بها انتفاعاً عظيماً ، وهذه العين تعرف قديماً بيمين باذان ، أجزاها جوبان من بلاد بعيدة حتى دخلت إلى نفس مكة ، ووصلت إلى عند الصفا وباب إبراهيم ، واستقى الناس منها فقيرهم وغنيهم وضعيفهم وشريفيهم ، كلهم فيها سواء ، وارتفق أهل مكة بذلك رفقاً كثيراً والله الحمد والمنة . وكانوا قد شرعوا في حفرها وتجديدها في أوائل هذه السنة إلى العشر الآخر من جمادى الأولى ، واتفق أن في هذه السنة كانت الآبار التى بمكة قد يبست وقل ماؤها ، وقل ماء زمزم أيضاً ، فلولا أن الله تعالى لطف بالناس باجراء هذه القناة لنزح عن مكة أهلها ، أو هلك كثير مما يقيم بها . وأما الحجيج في أيام الموسم فحصل لهم بها رفق عظيم زائد عن الوصف ، كما شاهدنا ذلك في سنة إحدى وثلاثين عام حججنا . وجاء كتاب السلطان إلى نائبه بمكة باخراج الزيديين من المسجد الحرام ، وأن لا يكون

لهم فيه إمام ولا مجتمع ، ففعل ذلك .

وفي يوم الثلاثاء رابع شعبان درس بالشامية الجوانية شهاب الدين أحمد بن جهبل ، وحضر عنده القاضي القزويني الشافعي وجماعة عوضاً عن الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الدر إمام مسجد ابن هشام توفي ، ثم بعد أيام جاء توقيع بولاية القاضي الشافعي فباشرها في عشرين رمضان . وفي عاشر شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين جوبان ، وحج عامئذ القاضي شمس الدين بن مسلم قاضي قضاة الحنابلة ، وبدر الدين ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، ومعه تحف وهدايا وأمور تتعلق بالأمر سيف الدين أرغون نائب مصر ، فانه حج في هذه السنة ومعه أولاده وزوجته بنت السلطان ، وحج نخر الدين ابن شيخ السلامة ، وصدرالدين المالكي ، ونخر الدين البعلبكي وغيره .

وفي يوم الاربعاء عاشر القعدة درس بالحنبلية برهان الدين أحمد بن هلال الزرعي الحنبلي ، بدلا عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضر عنده القاضي الشافعي وجماعة من الفقهاء وشق ذلك على كثير من أصحاب الشيخ تقي الدين ، وكان ابن الخطيري الحاجب قد دخل على الشيخ تقي الدين قبل هذا اليوم فاجتمع به وسأله عن أشياء بأمر نائب السلطنة . ثم يوم الخميس دخل القاضي جمال الدين بن جملة وناصر الدين مشد الأوقاف ، وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة ، فكتب ذلك في درج وكتب تحته قاضي الشافعية بدمشق : قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية إلى أن قال : وإنما المحز جعله زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالاجماع مقطوعا [بها] ، فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الاسلام ، فان جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور ، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل ، بل يستحبها ويندب إليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة في هذه الوجهة في الفتيا ، ولا قال إنها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها ، ولا هو جاهل قول الرسول « زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ، ولا يخفى عليه خافية ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

وفي يوم الأحد رابع القعدة فتحت المدرسة الحمصية تجاه الشامية الجوانية ، ودرس بها محيي الدين الطرابلسي قاضي هكار ، وتلقب بأبي رباح ، وحضر عنده القاضي الشافعي . وفي ذى القعدة سافر القاضي جمال الدين الزرعي من الاتابكية إلى مصر ، ونزل عن تدريسها لمحبي الدين بن جهبل . وفي ثاني عشر ذى الحجة درس بالنجيبية ابن قاضي الزبداني عوضاً عن دمشق نائب الحكم مات بالمدرسة المذكورة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ ابن المطهر الشيعي جمال الدين ﴾

أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلبي العراقي الشيعي ، شيخ الروافض بتلك النواحي ، وله التصانيف الكثيرة ، يقال تزيد على مائة وعشرين مجلدا ، وعدتها خمسة وخمسون مصنفا ، في الفقه والنحو والأصول والفلسفة والرفض وغير ذلك من كبار وصغار ، وأشهرها بين الطلبة شرح ابن الحاجب في أصول الفقه ، وليس بذاك الغائق ، ورأيت له مجلدين في أصول الفقه على طريقة المحصول والأحكام ، فلا بأس بها فانها مشتملة على نقل كثير وتوجيه جيد ، وله كتاب منهاج الاستقامة في إثبات الامامة ، خبط فيه في المعقول والمنقول ، ولم يدرك كيف يتوجه ، إذ خرج عن الاستقامة . وقد انتدب في الرد عليه الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلدات أتى فيها بما يبهز العقول من الأشياء المليحة الحسنة ، وهو كتاب حافل . ولد ابن المطهر الذي لم تطهر خلأته ولم يتطهر من دنس الرفض ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وتوفي ليلة الجمعة عشرين محرم من هذه السنة ، وكان اشتغاله ببغداد وغيرها من البلاد ، واشتغل على نصير الطوسي ، وعلى غيره ، ولما ترفض الملك خر بسدا حظى عنده ابن المطهر وساد جدا وأقطعه بلادا كثيرة .

﴿ الشمس الكاتب ﴾

محمد بن أسد الحراني المعروف بالنجار ، كان يجلس ليكتب الناس عليه بالمدرسة القليجية ، توفي في ربيع الآخر ودفن بباب الصغير .

﴿ العز حسن بن أحمد بن زفر ﴾

الأربلي ثم دمشقي ، كان يعرف طرفا صالحا من النحو والحديث والتاريخ ، وكان مقما بدويرة حمد صوفيا بها ، وكان حسن المجالسة أثنى عليه البرزالي في نقله وحسن معرفته ، مات بالمارستان الصغير في جمادى الآخرة ودفن بباب الصغير عن ثلاث وستين سنة .

﴿ الشيخ الامام أمين الدين سالم بن أبي الدر ﴾

عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي الشافعي مدرس الشامية الجوانية ، أخذها من ابن الوكيل قهراً وهو إمام مسجد ابن هشام ، ومحدث الكرسي به ، كان مولده في سنة خمس وأربعين وستمائة ، اشتغل وحصل وأثنى عليه النووي وغيره ، وأعاد وأفنى ودرس ، وكان خبيرا بالمحركات ، وكان فيه مروءة وعصبية لمن يقصده ، توفي في شعبان ودفن بباب الصغير .

﴿ الشيخ حماد ﴾

وهو الشيخ الصالح العابد الزاهد حماد الحلبي القطان ، كان كثير التلاوة والصلوات ، مواظبا على الإقامة بجامع التوبة بالعقبة بالزاوية الغربية الشمالية ، يقرأ القرآن ويكثر الصيام ويتردد الناس

إلى زيارته ، مات وقد جاوز السبعين سنة على هذا القدم ، توفى ليلة الاثنين عشرين شعبان ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

﴿ الشيخ قطب الدين اليونيني ﴾

وهو الشيخ الامام بقية السلف ، قطب الدين أبو الفتح موسى ابن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي اليونيني الحنبلي ، ولد سنة أربعين وستمائة بدار الفضل بدمشق ، وسمع الكثير وأحضره والده المشايخ واستجازله وبحث واختصر مرآة الزمان للسبط ، وذيل عليها ذبلاً حسناً مرتباً أفاد فيه وأجاد بعبارة حسنة سهلة ، بالانصاف وسر ، وأتى فيه بأشياء حسنة وأشياء فائقة راتقة ، وكان كثير التلاوة حسن الهيئة متقللاً في ملبسه ومأكله ، توفى ليلة الخميس ثالث عشر شوال ودفن بباب سطحا عند أخيه الشيخ شرف الدين رحمه الله . ﴿ قاضي القضاة ابن مسلم ﴾

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالحى الحنبلي ، ولد سنة ستين وستمائة ، ومات أبوه - وكان من الصالحين - سنة ثمان وستين ، فنشأ يتيماً فقيراً لا مال له ، ثم اشتغل وحصل وسمع الكثير وانتصب للإفادة والاشتغال ، فطار ذكره ، فلما مات التقي سليمان سنة خمس عشرة وولى قضاء الحنابلة ، فباشره أتم مباشرة ، وخرجت له تخاريج كثيرة ، فلما كانت هذه السنة خرج للحج فرض في الطريق فورد المدينة النبوية على ساكنها رسول الله أفضل الصلاة والسلام ، يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذى القعدة فزار قبر رسول الله ﷺ وصلى في مسجده وكان بالاشواق إلى ذلك ، وكان قد تمى ذلك لما مات ابن نجيب ، فمات في عشية ذلك اليوم يوم الثلاثاء وصلى عليه في مسجد رسول الله ﷺ بالروضة ، ودفن بالبقيع إلى جانب قبر شرف الدين ابن نجيب ، الذى كان قد غبطه بموته هناك سنة حج هو وهو قبل هذه الحجة شرقى قبر عقيل رحمه الله ، وولى بعده القضاء عز الدين بن التقي سليمان .

﴿ القاضى نجم الدين ﴾

أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالى الدمشقى الشافعى ، ولد سنة تسع وأربعين واشتغل على تاج الدين الفزارى وحصل وبرع وولى الاعادة ثم الحكم بالقدس ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالنجيبية ، وناب فى الحكم عن ابن صصرى مدة ، توفى بالنجيبية المذكورة يوم الأحد ثامن عشرين ذى القعدة ، وصلى عليه العصر بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

﴿ ابن قاضى شهبه ﴾

الشيخ الامام العالم شيخ الطلبة ومفيدهم كمال الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ذؤيب الاسدى

الشهبي الشافعي ، ولد بحوران في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وقدم دمشق واشتغل على الشيخ تاج الدين الغزاري ، ولازمه وانتفع به ، وأعاد بملقته ، وتخرج به ، وكذلك لازم أخاه الشيخ شرف الدين ، وأخذ عنه النحو واللغة ، وكان بارعا في الفقه والنحو ، له حلقة يشتغل فيها تجاه محراب الحنابلة ، وكان يعتكف جميع شهر رمضان ، ولم يتزوج قط ، وكان حسن الهيئة والشيبة ، حسن العيش والملبس متقللا من الدنيا ، له معلوم يقوم بكفايته من إعادات وفتاها وتصدير بالجامع ، ولم يدرس قط ولا أفتى ، مع أنه كان ممن يصلح أن يأذن في الافتاء ، ولكنه كان يتورع عن ذلك ، وقد سمع الكثير : سمع المسند للإمام أحمد وغير ذلك ، توفي بالمدرسة المجاهدية - وبها كانت إقامته - ليلة الثلاثاء حادي عشرين ذي الحجة ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقابر باب الصغير . وفيها كانت وفاة :

﴿ الشرف يعقوب بن فارس الجعبري ﴾

التاجر بفرجة ابن عمود ، وكان يحفظ القرآن ويؤم بمسجد الفصب ، ويصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية والقاضي نجم الدين الدمشقي ، وقد حصل أموالا وأملاكا وثروة ، وهو والد صاحبنا الشيخ الفقيه المفضل المحصل الزكي بدر الدين محمد ، خال الولد عمر إن شاء الله . وفيها توفي :

﴿ الحاج أبو بكر بن تيمراز الصيرفي ﴾

كانت له أموال كثيرة ودائرة ومكارم وبر وصدقات ، ولكنه انكسر في آخر عمره ، وكاد أن ينكشف فجبره الله بالوفاة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الجمعة والحكام الخليفة والسلطان والنواب والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنبلي كما تقدم ، وفي العشر من المحرم دخل مصر أرغون نائب مصر فسك في حادي عشر وحبس ، ثم أطلق أياما ، بعثه السلطان إلى نائب حلب فاجتاز بدمشق بكرة الجمعة ثاني عشرين المحرم ، فأنزله نائب السلطنة بداره المجاورة لجامعه ، فبات بها ثم سافر إلى حلب ، وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق الجاي الدوادار إلى مصر ، وصحبته نائب حلب علاء الدين الطنبغا معزولا عنها إلى حجوية الحجاب بمصر . وفي يوم الجمعة التاسع عشر ربيع الأول قرىء تقليد قاضي الحنابلة عز الدين محمد بن التقي سليمان بن حمزة المقدسي ، عوضا عن ابن مسلم بمقصورة الخطابة بمحضرة القضاة والأعيان ، وحكم وقرىء قبل ذلك بالصالحية . وفي أواخر هذا الشهر وصل البريد بتولية ابن النقيب الحاكم بمص قضاء القضاة بطرابلس ، ونقل الذي بها إلى حمص نائبا عن قاضي دمشق ، وهو ناصر بن محمود الزرعي .

وفي سادس عشر ربيع الآخر عاد تنكز من مصر إلى الشام ، وقد حصل له تكريم من السلطان .
 وفي ربيع الأول حصلت زلزلة بالشام وفي الله شرها . وفي يوم الخميس مستهل جمادى الأولى
 باشر نيابة الحنبلي القاضي برهان الدين الزرعي ، وحضر عنده جماعة من القضاة . وفي يوم الجمعة
 منتصف جمادى الآخرة جاء البريد بطلب القاضي القزويني الشافعي إلى مصر ، فدخلها في مستهل
 رجب ، نفع عليه بقضاء قضاة مصر مع تدريس الناصرية والصالحية ودار الحديث الكاملية ،
 عوضاً عن بدر الدين بن جماعة لأجل كبر سنه ، وضعف نفسه ، وضرر عيفيه ، فخبروا خاطره
 فرتب له ألف درهم وعشرة أراذب قريح في الشهر ، مع تدريس زاوية الشافعي ، وأرسل ولده بدر
 الدين إلى دمشق خطيباً بالأموى ، وعلى تدريس الشامية البرانية ، على قاعدة والده جلال الدين
 القزويني في ذلك ، نفع عليه في أواخر رجب ثامن عشرين وحضر عنده الأعيان .

وفي رجب كان عرس الأمير سيف الدين قوصون الساقى الناصرى ، على بنت السلطان ،
 وكان وقتاً مشهوداً ، خلع على الأمراء والأكابر . وفي صبيحة هذه الليلة عقد عقد الأمير شهاب
 الدين أحمد بن الأمير بكتمر الساقى ، على بنت تنكز نائب الشام ، وكان السلطان وكيل أبيها تنكز
 والعاقد ابن الحريرى . وخلع عليه وأدخلت في ذى الحجة من هذه السنة في كلفة كثيرة .

وفي رجب جرت فتنة كبيرة بالاسكندرية في سابع رجب ، وذلك أن رجلاً من المسلمين
 قد تخاصم هو ورجل من الفرنج ، على باب البحر ، فضرب أحدهما الآخر بنعل ، فرفع الأمر إلى
 الوالى فأمر بغلق باب البلد بعد العصر ، فقال له الناس : إن لنا أموالاً وعبيداً ظاهر البلد ، وقد
 أغلقت الباب قبل وقته . ففتح نخرج الناس في زحمة عظيمة ، فقتل منهم نحو عشرة ونهبت عمائم
 وثياب وغير ذلك ، وكان ذلك ليلة الجمعة ، فلما أصبح الناس ذهبوا إلى دار الوالى فأحرقوها وثلاث
 دور لبعض الظلمة ، وجرت أحوال صعبة ، ونهبت أموال ، وكسرت العامة باب سجن الوالى فخرج
 منه من فيه ، فبلغ نائب السلطنة فاعتقد النائب أنه السجن الذى فيه الأمراء ، فأمر بوضع السيف
 فى البلد وتخليه ، ثم إن الخبر بلغ السلطان فأرسل الوزير طيبغا الجمالى سر يعاً فضرب وصادر ،
 وضرب القاضى ونائبه وعزلهم ، وأهان خلقاً من الأكابر وصادرهم بأموال كثيرة جداً ، وعزل
 المتولى ثم أعيد ، ثم تولى القضاء بهاء الدين علم الدين الأحنافى الشافعي الذى تولى دمشق فيما
 بعد ، وعزل قضاة الاسكندرية المسالكى ونائباه ، ووضعت السلاسل فى أعناقهم وأهينوا ، وضرب
 ابن السنى غير مرة .

وفي يوم السبت عشرين شعبان وصل إلى دمشق قاضى قضاة حاب ابن الزملكاني على البريد
 فأقام بدمشق أربعة أيام ثم سار إلى مصر ليتولى قضاء قضاة الشام بحضور السلطان ، فانفق موته

قبل وصوله إلى القاهرة (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشبياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مه مريب) . وفي يوم الجمعة سادس عشر ين شعبان باشر صدر الدين المالكي مشيخة الشيوخ مضافا إلى قضاء قضاة المالكية ، وحضر الناس عنده ، وقرىء تقليده بذلك بعد انفصال الزرعى عنها إلى مصر . وفي نصف رمضان وصل قاضى الحنفية بدمشق لقضاء القضاة عماد الدين أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى ، الذى كان نائبا لقاضى القضاة صدر الدين على البصرى ، فخلفه بعده بالمنصب ، وقرىء تقليده بالجامع ، وخلع عليه وباشر الحكيم ، واستتاب القاضى عماد الدين ابن العز ، ودرس بالنورية مع القضاء ، وشكرت سيرته .

وفي رمضان قدم جماعة من الأسارى مع تجار الفرنج فأنزلوا بالمدرسة العادلية الكبيرة واستفكوا من ديوان الاسرى بنحو من ستين ألفا ، وكثرت الأذعية لمن كان السبب فى ذلك . وفى ثامن شوال خرج الركب الشامى إلى الحجاز وأميره سيف الدين بالبان الحمدى ، وقاضيه بدر الدين محمد بن محمد قاضى حران . وفى شوال وصل تقليد قضاء الشافعية بدمشق لبدر الدين ابن قاضى القضاة ابن عز الدين بن الصائغ والخلعة معه ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وصمم ، وألح عليه الدولة فلم يقبل وكثر بكاؤه وتغير مزاجه واغتناظ ، فلما أصر على ذلك راجع تنكز السلطان فى ذلك ، فلما كان شهر ذى القعدة اشتهر تولية علاء الدين على بن إسماعيل القونوى قضاء الشام ، فسار إليها من مصر وزار القدس ودخل دمشق يوم الاثنين سابع عشرين ذى القعدة ، فاجتمع بنائب السلطنة ولبس الخلعة وركب مع الحجاب والدولة إلى العادلية ، فقرىء تقليده بها وحكم بها على العادة ، وفرح الناس به وبحسن سمته وطيب لفظه وملاحة شمائله وتودده ، وولى بعده مشيخة الشيوخ بمصر محمد الدين الأقرائى الصوفى شيخ سرياقوس .

وفى يوم السبت ثالث عشر ين ذى القعدة لبس القاضى محيى الدين بن فضل الله الخلعة بكتابة السر عوضا عن ابن الشهاب محمود ، واستمر ولده شرف الدين فى كتابة الدست . وفى هذه السنة تولى قضاء حلب عوضا عن ابن الزملكائى القاضى فخر الدين البازرى . وفى العشر الأول من ذى الحجة كمل ترخيم الجامع الاموى أعنى حائطه الشمالى وجاء تنكز حتى نظر إليه فأعجبه ذلك ، وشكر ناظره تقى الدين بن مراجل . وفى يوم الاضحى جاء سيل عظيم إلى مدينة بلبيس فهرب أهلها منها وتعطلت الصلاة والاضاحى فيها ، ولم ير مثله من مدة سنين متطاولة ، وخرب شيئا كثيرا من حواضرها وبساتينها فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ الامير أبو يحيى ﴾

ومن توفى فيها من الأعيان
زكريا بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبى حفص الهنتانى الجياني ^(١) المغربى ، أمير بلاد المغرب .

(١) وفى شذرات الذهب « اللحيانى » .

ولد بتونس قيل سنة خمسين وستمائة ، وقرأ الفقه والعربية ، وكان ملوك تونس تعظمه وتكرمه ، لأنه من بيت الملك والامرة والوزارة . ثم بايعه أهل تونس على الملك في سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وكان شجاعاً مقداماً ، وهو أول من أبطل ذكر ابن التومرت من الخطبة ، مع أن جده أبا حفص الهنتاني كان من أخص أصحاب ابن التومرت . توفي في المحرم من هذه السنة بمدينة الاسكندرية رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

ضياء الدين أبو الغدا إسماعيل بن رضى الدين أبي الفضل المسلم بن الحسن بن نصر الدمشقي ، المعروف بابن الحموي ، كان هو وأبوه وجده من الكتاب المشهورين المشكورين ، وكان هو كثير التلاوة والصلاة والصيام والبر والصدقة والاحسان إلى الفقراء والأغنياء . ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة وسمع الحديث الكثير وخرج له البرزالي مشيخة سمعناها عليه ، وكان من صدور أهل دمشق ، توفي يوم الجمعة رابع عشر صفر ، وصلى عليه ضحوة يوم السبت ، ودفن بباب الصغير ، وحج وجاور وأقام بالقدس مدة . مات وله ثنتان وسبعون سنة رحمه الله ، وقد ذكر والده أنه حين ولد له فتح المصحف يتغافل فاذا قوله (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق) فسماه إسماعيل . ثم ولد له آخر فسماه إسحاق ، وهذا من الاتفاق الحسن رحمهم الله تعالى .

﴿ الشيخ علي المحارفي ﴾

علي بن أحمد بن هوس الهلالي ، أصل جده من قرية إيل البسوق ، وأقام والده بالقدس ، وحج هو مرة وجاور بمسكة سنة ثم حج ، وكان رجلاً صالحاً مشهوراً ، ويعرف بالمحارفي ، لأنه كان يحرف الازقة ويصلح الرصفان لله تعالى ، وكان يكثر التهليل والذكر جهرة ، وكان عليه هيبة ووقار ، ويتكلم كلاماً فيه تحذير وتحذير من النار ، وعواقب الردى ، وكان ملازماً لمجالس ابن تيمية ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الاول ، ودفن بتربة الشيخ موفق الدين بالسفح ، وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله .

﴿ الملك الكامل ناصر الدين ﴾

أبو المعالي محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبي الجيش ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أحد أكبر الامراء وأبناء الملوك ، كان من محاسن البلد ذكاه وفطنة وحسن عشرة ولطافة كلام ، بحيث يسرد كثيراً من الكلام بمنزلة الأمثال من قوة ذهنه وحذاقة فهمه ، وكان رئيساً من أجواد الناس ، توفي عشية الاربعاء عشرين جمادى الاولى وصلى عليه ظهر الخميس بصحن الجامع تحت النسر ، ثم أرادوا دفنه عند جده لأنه الملك الكامل فلم يتيسر ذلك فدفن بتربة أم الصالح سامحه الله ، وكان له سماع كثير سمعنا عليه منه ، وكان يحفظ تاريخاً جيداً ،

وقام ولده الامير صلاح الدين مكانه في إمرة الطبلخانة ، وجعل أخوه في عشرته ولبسا الخلع السلطانية بذلك .

﴿ الشيخ الامام نجم الدين ﴾

أحمد بن محمد بن أبي الحزم القرشي الخزومي التولي ، كان من أعيان الشافعية ، وشرح الوسيط وشرح الحاجبية في مجلدين ، ودرس وحكم بمصر ، وكان محتسبا بها أيضاً ، وكان مشكورا للسيرة فيها ، وقد تولى بعنه الحكم نجم الدين بن عقيل ، والحسبة ناصر الدين بن قار السبقوق ، توفي في رجب وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالقرافة رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح أبو القاسم ﴾

عبد الرحمن بن موسى بن خلف الحزامي ، أحد مشاهير الصالحين بمصر ، توفي بالروضة وحمل إلى شاطي النيل ، وصلى عليه وحمل على الرأس والأصابع ، ودفن عند ابن أبي حمزة ، وقد قارب الثمانين ، وكان ممن يقصد إلى الزيارة رحمه الله .

﴿ القاضي عز الدين ﴾

عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى بن عمر بن الخضر الحسكاري الشافعي ، قاضي المحلة ، كان من خيار القضاة ، وله تصنيف على حديث الجامع في رمضان ، يقال إنه استنبط فيه ألف حكم . توفي في رمضان ، وقد كان حصل كتباً جيدة منها التهذيب لشيخنا المزي .

﴿ الشيخ كمال الدين بن الزملاكي ﴾

شيخ الشافعية بالشام وغيرها ، انتهت إليه رئاسة المذهب تدريسا وإفتاء ومناظرة ، ويقال في نسبه السماكي نسبة إلى أبي دجانة سماك بن خرشة والله أعلم . ولد ليلة الاثنين ثامن شوال سنة ست وستين وسمائة ، وسمع الكثير واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، وفي الاصول على القاضي بهاء الدين بن الزكي ، وفي النحو على بدر الدين بن ملك وغيرهم ، وبرع وحصل وساد أقرانه من أهل مذهبه ، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوقاد في تحصيل العلم الذي أسهره ومنعه الرقاد وعبارته التي هي أشهى من كل شيء معتاد ، وخطه الذي هو أنضر من أزاهير الوهاد ، وقد درس بعدة مدارس بدمشق ، وبأشهر عدة جهات كبار ، كنظر الخزانة ونظر المارستان النوري وديوان الملك السعيد ، ووكالة بيت المال . وله تعاليق مفيدة واختيارات حميدة سديدة ، ومناظرات سعيدة . وما علقه قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووي ، ومجلد في الرد على الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الطلاق وغير ذلك ، وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درس أحسن منها ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره ، وجودة احترازاته ، وصحة ذهنه وقوة فريخته وحسن نظمه ، وقد

درس بالشامية البرانية والعدراوية والظاهرية الجوانية والرواحية والمسروورية ، فكان يعطى كل واحدة منهم حقها بحيث كان يكاد ينسخ بكل واحد من تلك الدروس ما قبله من حسنه وفصاحته ، ولا يهيله تعداد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء ، بل كلما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدرس أنضر وأبهر وأحلى وأنصح وأفصح . ثم لما انتقل إلى قضاء حلب وما معه من المدارس العديدة عامله معاملة مثلها ، وأوسع بالفضيلة جميع أهلها ، وسمعوا من العلوم ما لم يسمعوها ولا آباؤهم . ثم طلب إلى الديار المصرية ليولى الشامية دار السنة النبوية فعاجلته المنية قبل وصوله إليها ، فرض وهو سائر على البريد تسعة أيام ، ثم عقب المرض بمحراق الحمام فقبضه هاذم اللذات ، وحال بينه وبين سائر الشهوات والارادات ، والاعمال بالنيات . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وكان من نيته الخبيثة إذا رجع إلى الشام متولياً أن يؤذى شيخ الاسلام ابن تيمية فدعا عليه فلم يبلغ أمه ومراده ، فتوفى في سحر يوم الاربعاء سادس عشر شهر رمضان بمدينة بلبليس ، وحمل إلى القاهرة ودفن بالقرافة ليلة الخميس جوار قبّة الشافعي تغمدهما الله برحمته .

﴿ المؤذن المشهور بالجامع الأموي ﴾

الحاج على بن فرج بن أبي الفضل الكتاني ، كان أبوه من خيار المؤذنين ، فيه صلاح ودين وله قبول عند الناس ، وكان حسن الصوت جهوره ، وفيه تودد وخدم وكرم ، وحج غير مرة وسمع من أبي عمر وغيره ، توفى ليلة الأربعاء ثالث القعدة وصلى عليه غدوة ، ودفن بباب الصغير . وفي ذى القعدة توفى ﴿ الشيخ فضل ابن الشيخ الرجيعي التونسي ﴾ وأجلس أخوه يوسف مكانه بالزاوية .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ﴾

في ذى القعدة منها كانت وفاة شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه كما ستأتي ترجمة وفاته في الوفيات إن شاء الله تعالى . استهلّت هذه السنة وحكام البلادهم المذكورون في التي قبلها سوى نائب مصر وقاضي حلب . وفي يوم الأربعاء ثاني المحرم درس بمحلقه صاحب حمص الشيخ الحافظ صلاح الدين العلائي ، نزل له عنها شيخنا الحافظ المزي ، وحضر عنده الفقهاء والقضاة والاعيان ، وذ كر درساً حسناً مفيداً . وفي يوم الجمعة رابع المحرم حضر قاضي القضاة علاء الدين القونوي مشيخة الشيوخ بالسماطية عوضاً عن القاضي المالكي شرف الدين ، وحضر عنده الفقهاء والصوفية على العادة . وفي يوم الأحد ثامن عشر صفر درس بالمسروورية تقي الدين عبدالرحمن بن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عوضاً عن جمال الدين بن الشريشي بحكم انتقاله إلى قضاء حمص ، وحضر الناس عنده وترحموا على والده .

وفي يوم الأحد خامس عشرين صفر وصل إلى دمشق الأمير الكبير صاحب بلاد الروم تمرناش ابن جوبان ، قاصدا إلى مصر ، فخرج نائب السلطنة والجيش إلى تلقيه ، وهو شاب حسن الصورة تام الشكل مليح الوجه . ولما انتهى إلى السلطان بمصر أكرمه وأعطاه مقدمة ألف ، وفرق أصحابه على الأمراء وأكرموا إكراما زائدا ، وكان سبب قدومه إلى مصر أن صاحب العراق الملك أبا سعيد كان قد قتل أخاه جواجارمشتق في شوال من السنة الماضية ، فهم والده جوبان بمحاربة السلطان أبي سعيد فلم يتمكن من ذلك ، وكان جوبان إذ ذاك مدبر الممالك ، فخاف تمرناش هذا عند ذلك من السلطان ففر هاربا بدمه إلى السلطان الناصر بمصر .

وفي ربيع الأول توجه نائب الشام سيف الدين تنكز إلى الديار المصرية لزيارة السلطان فأكرمه واحترمه واشترى في هذه السفرة دار الفلوس التي بالقرب من البرورين والجوزية ، وهي شريقها ، وقد كان سوق البرورية اليوم يسمى سوق القمح ، فاشترى هذه الدار وعمرها دارا هائلة ليس بدمشق دار أحسن منها ، وهماها دار الذهب ، وهدم حمام سويد تلقاها وجعله دار قرآن وحديث في غاية الحسن أيضا ، ووقف عليها أمانا ورتب فيها المشايخ والطلبة كما سيأتي تفصيله في موضعه ، واجتاز برجوعه من مصر بالقدس الشريف وزاره وأمر ببناء حمام به ، وبناء دار حديث أيضا به ، وخانقاه كما يأتي بيانه . وفي آخر ربيع الأول وصلت القناة إلى القدس التي أمر بعمارها وتجديدها سيف الدين تنكز قطلبك ، فقام بعمارها مع ولاية تلك النواحي ، وفرح المسلمون بها ودخلت حتى إلى شط المسجد الأقصى ، وعمل به بركة هائلة ، وهي مرخمة ما بين الصخرة والأقصى ، وكان ابتداء عملها من شوال من السنة الماضية . وفي هذه المدة عمر سقوف شرافات المسجد الحرام وإيوانه ، وعمرت بمكة طهارة مما يلي باب بني شيبه .

قال البرزالي : وفي هذا الشهر كملت عمارة الحمام الذي بسوق باب توما ، وله بابان . وفي ربيع الآخر نقض التبرخيم الذي بمحاطط جامع دمشق القبلي من جهة الغرب مما يلي باب الزيادة ، فوجدوا الحائط متجافيا تخيف من أمره ، وحضر تنكز بنفسه ومعه القضاة وأرباب الخبرة ، فاتفق رأيهم على نقضه وإصلاحه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين ربيع الآخر وكتب نائب السلطنة إلى السلطان يعلمه بذلك ويستأذنه في عمارته ، فجاء المرسوم بالأذن بذلك ، فشرع في نقضه يوم الجمعة خامس عشرين جمادى الأولى ، وشرعوا في عمارته يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة ، وعمل محراب فيما بين الزيادة ومقصورة الخطابة يضاهي محراب الصحابة ، ثم جدوا ولازموا في عمارته ، وتبرع كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس ، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مائة رجل ، حتى كملت عمارة الجدار وأعيدت طاقاته وسقوفه في العشرين من رجب وذلك بهمة تقي الدين بن مراجل

وهذا من العجب فانه نقض الجدار وما يسامته من السقف ، وأعيد في مدة لا يتخيل إلى أحد أن عمله يفرغ فيما يقارب هذه المدة جزماً ، وساعدهم على سرعة الاعادة حجارة وجدوها في أساس الصومعة الغربية التي عند الغزالية ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة كما في الغربية والشرقية القبليتين منه فأبديت الشماليين قديماً ولم يبق منهما من مدة ألوف من السنين سوى أس هذه المأذنة الغربية الشمالية ، فكانت من أكبر العون على إعادة هذا الجدار سريعاً . ومن العجب أن ناظر الجامع ابن مارجل لم ينقص أحداً من أبواب المرتبات على الجامع شيئاً مع هذه العماره .

وفي ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع حريق عظيم بالقرايين واتصل بالرماحين ، واحترقت القيسارية والمسجد الذي هناك ، وهلك للناس شيء كثير من الفرا والجوخ والأقمشة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة عاشره بعد الصلاة صلى على القاضي شمس الدين بن الحريري قاضي قضاة الحنفية بمصر ، وصلى عليه صلاة الغائب بدمشق . وفي هذا اليوم قدم البريد بطلب برهان الدين بن عبد الحق الحنفي إلى مصر ليلي القضاء بها بعد ابن الحريري ، فخرج مسافراً إليها ، ودخل مصر في خامس عشرين جمادى الأولى ، واجتمع بالسلطان فولاه القضاء وأكرمه وخلع عليه وأعطاه بغلة بزناري ، وحكم بالمدرسة الصالحية بمحضرة القضاة والحجاب ، ورسم له بجميع جهات ابن الحريري .

وفي يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة أخرج ما كان عند الشيخ تقي الدين بن تيمية من الكتب والأوراق والدواة والقلم ، ومنع من الكتب والمطالعة ، وحملت كتبه في مستهل رجب إلى خزانة الكتب بالمعادية الكبيرة . قال البرزالي : وكانت نحوستين مجلداً ، وأربع عشرة ربطة كراريس ، فنظر القضاة والفقهاء فيها وتفرقوها بينهم ، وكان سبب ذلك أنه أجاب لما كان رد عليه التقي ابن الاخنائي المالكي في مسألة الزيارة فرد عليه الشيخ تقي الدين واستجهله وأعلمه أنه قليل البضاعة في العلم ، فطلع الاخنائي إلى السلطان وشكاه ، فرسم السلطان عند ذلك باخراج ما عنده من ذلك وكان ما كان ، كما ذكرنا . وفي أواخره رسم لعلاء الدين بن القلانسي في الدست ، مكان أخيه جمال الدين توقيراً لخاطره عن المباشرة ، وأن يكون معلومه على قضاء العساكر والوكالة ، وخلع عليهما بذلك .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرين رجب رسم للأئمة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي بالصلاة في الحائط القبلي من الأموي ، فعين المحراب الجديد الذي بين الزيادة والمقصورة للإمام الحنفي ، وعين محراب الصحابة للمالكي وعين ، محراب مقصورة الخضر الذي كان يصل في فيه المالكي للحنبلي ، وعضو إمام محراب الصحابة بالكلاسة ، وكان قبل ذلك في حال العماره قد بلغ محراب الحنفية من المقصورة

المعروفة بهم ، ومحراب الخنابلة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي وكانا بين الأعمدة ، فنقلت تلك المحاريب ، وعوضوا بالمحاريب المستقرة بالحائط القبلي واستقر الأمر كذلك .

وفي العشرين من شعبان مسك الأمير تمرتاش بن جوبان الذي أتى هاربا إلى السلطان الناصر بمصر وجماعة من أصحابه ، وحبسوا بقلعة مصر ، فلما كان ثاني شوال أظهر موته ، يقال إنه قتله السلطان وأرسل رأسه إلى أبي سعيد صاحب العراق ابن خر بندا ملك التتار .

وفي يوم الاثنين ثاني شوال خرج الركب الشامي وأميره نجر الدين عثمان بن شمس الدين لؤلؤ الحلبي أحد أمراء دمشق ، وقاضيه قاضي قضاة الخنابلة عز الدين بن التقي سليمان . ومن حج الأمير حسام الدين الشبمقدار ، والأمير قبجق والأمير حسام الدين بن النجيبى وتقى الدين بن السلعوس وبدر الدين بن الصائغ وابنا جهيل والفخر المصري ، والشيخ علم الدين البرزالي ، وشهاب الدين الطاهري . وقبل ذلك بيوم حكم القاضي المنفلوطي الذي كان حاكما ببلبك بدمشق نيابة عن شيخه قاضي القضاة علاء الدين القونوي ، وكان مشكور السيرة ، تألم أهل ببلبك لفقده ، فحكم بدمشق عوضا عن القونوي بسبب عزمه على الحج ، ثم لما رجع الفخر من الحج عاد إلى الحكم واستمر المنفلوطي يحكم أيضا ، فصاروا ثلاث نواب : ابن جملة والفخر المصري والمنفلوطي . وسافر ابن الحشيشي في ثاني عشرين شوال إلى القاهرة لينوب عن القاضي نجر الدين كاتب المالك إلى حين رجوعه من الحجاز ، فلما وصل ولي حجابة ديوان الجيش ، واستمر هناك ، واستقل قطب الدين ابن شيخ السلامة بنظر الجيش بدمشق على عادته .

وفي شوال خلع على أمين الملك بالديار المصرية وولى نظر الدواوين فباشره شهرا ويومين وعزل عنه .

﴿ ذكر وفاة شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه ﴾

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه : وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي العقدة توفي الشيخ الامام العالم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الامام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم ابن الشيخ الامام شيخ الاسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا بها ، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، وأذن لهم في الدخول عليه ، وجلس جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصرن على من يغسله ، فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع

وامتلاء الجامع أيضا وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والغوارة ، وحضرت
الجنائزة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع ، والجند قد احتاطوا بها بحفظونها
من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه أولا بالقلعة ، تقدم في الصلاة عليه أولا الشيخ محمد بن تمام ،
ثم صلى عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره ، ثم
تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صلى عليه على
الرؤس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب
والترحم عليه والثناء والدعاء له ، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النعال
من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنائزة ، وصار
النعش على الرؤس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع
من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب
البلد جميعها من شدة الزحام فيها ، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي
أخرجت منه الجنائزة ، وباب الفراديس ، وباب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر بسوق
الخليل وتضاعف الخلق وكثر الناس ، ووضعت الجنائزة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين
عبد الرحمن ، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد
الله رحمهما الله ، وكان دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلى عليه من أهل
البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم ، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا
من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحم والدعاء له ، وأنه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث
حزرن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحمن ويبكين
عليه فيما قيل . وأما الرجال فحزروا بستين ألفا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف
وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غسل به ، ودفع في
الخليط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهما ، وقيل إن الطاقية
التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما . وحصل في الجنائزة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرع
وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا يبديتون
عنده ويصبحون ، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة ، ورفاه جماعة بقصائد جمّة .

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بجران سنة إحدى وستين وثمانمائة ، وقدم مع والده وأهله
إلى دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن عبدان والشيخ شمس
الدين الحنبلي ، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي ، ومجد الدين

ابن عساكر والشيخ جمال الدين البغدادي ، والنجيب بن المقداد ، وابن أبي الخير ، وابن علان وابن أبي بكر اليهودي والسكال عبد الرحيم والفخر على وابن شيبان والشرف بن القواس ، وزينب بنت مكي ، وخاق كثير سمع منهم الحديث ، وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطباق والائبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين ، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه ، ثم اشتغل بالعلوم ، وكان ذكياً كثير المحفوظ فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به عارفاً بالفقه ، فيقال إنه كان أرفع بفقهاء المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره ، وكان عالماً باختلاف العلماء ، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن منه ، ورآه عارفاً به متقناً له ، وأما الحديث فكان حامل رأيه حافظاً له مميّزاً بين صحيحه وسقيم ، عارفاً برجاله متضلعاً من ذلك ، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع ، كل منها جملة وبيضة وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ، وجملة كملها ولم تبيض إلى الآن . وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضي الخواري ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، والقاضي الحنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري وابن الزملكاني وغيرهم ، ووجدت بخط ابن الزملكاني أنه قال : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين ، وكتب على تصنيف له هذه الابيات :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

وهذا الثناء عليه ، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة ، وكان بيني وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة ، وله فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاة وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبسه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضع ، وهذا الكتاب . ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز ، ثم بلغنا خبر موته بعد وفاته بأكثر من خمسين يوماً ولما وصلنا إلى تبوك ، وحصل التأسف لفقد رحمة الله تعالى . هذا لفظه في هذا الموضع من تاريخه . ثم ذكر الشيخ علم الدين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبي بكر بن أبي داود وعظمتها ، وجنازة الامام أحمد ببغداد وشهرتها ، وقال الامام أبو عثمان الصابوني : سمعت أبا عبد الرحمن السيوفي يقول : حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني فلما بلغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا وقال سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول : قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز ، قال ولا شك أن جنازة أحمد بن

حنبل كانت هائلة عظيمة ، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك ، وتعظيمهم له ، وأن الدولة كانت تحبه ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله توفي ببلادة دمشق ، وأهلها لا يمشرون أهل بغداد حينئذ كثرة ، ولكنهم اجتمعوا لجنائزته اجتماعا لوجعهم سلطان قاهر ، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته ، وانتموا إليها . هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوبا من جهة السلطان ، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة ، مما ينفر منها طباع أهل الأديان ، فضلا عن أهل الاسلام . وهذه كانت جنازته .

قال : وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكور ، فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنسارة بها وتكلم به الحراس على الأبرجة ، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والامر الجسيم ، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه ، حتى من الغوطة والمرج ، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئا ، ولا فتحو كثيرا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة ، وكان نائب السلطنة تنكز قد ذهب بتصيدي في بعض الأماكن ، فخارت الدولة ماذا يصنعون ، وجاء الصاحب شمس الدين غيريالي نائب القلعة فعزاه فيه ، وجلس عنده ، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والاصحاب والاجباب ، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصلحية ، فجلسوا عنده يبكون ويثنون * على مثل لبلى يقتل المرء نفسه * وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزري رحمه الله ، وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته ، وعلى رأسه عمامة بعذب مغرزة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه . وأخبر الحاضر بن أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين ، فانهينسا فيها إلى آخر اقتربت الساعة (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عبد الله بن المحب وعبد الله الزرعي الضريبي - وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما - فابتدأ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى .

ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى مسجد هناك ولم يدعوا عنده إلا من ساعد في غسله ، منهم شيخنا الحافظ المزري وجماعة من كبار الصالحين الأخيار ، أهل العلم والایمان ، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم ، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق العمادية على العمادية الكبيرة ، ثم عطفوا على ثلث الناطقانيين ، وذلك أن سويقة باب البريد كانت قد هدمت لتصلح ، ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي ، واخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها مالا يحصى عدتهم إلا الله تعالى ، فصرخ صارخ وصاح صائح هكذا

تكون جناز أئمة السنة فتباكي الناس وضجوا عند سماع هذا الصارخ ووضع الشيخ في موضع الجناز مما يلي المقصورة ، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف ، بل مرصوفين رصا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جو الجامع وبرى الأزقة والاسواق ، وذلك قبل أذان الظهر بقليل ، وجاء الناس من كل مكان ، ونوى خلق الصيام لأنهم لا يتفرغون في هذا اليوم لا كل ولا لشرب ، وكثر الناس كثرة لا تحمد ولا توصف ، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة ، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصرف صلى عليه إماما ، وهو الشيخ علاء الدين الخراط ، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا ، واجتمعوا بسوق الخليل ، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية ، والناس في بكاء وتهليل في مخالفة كل واحد بنفسه ، وفي ثناء وتأسف ، والذساء فوق الاسطحة من هناك إلى المقبرة بيكين ويدعين ويقلن هذا العالم .

و بالجملة كان يوما مشهودا لم يعهد مثله بدمشق إلا أن يكون في زمن بنى أمية حين كان الناس كثيرين ، وكانت دار الخلافة ، ثم دفن عند أخيه قريبا من أذان العصر على التحديد ، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة ، وتقريب ذلك أنه عبارة عن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخدرات ، وما علمت أحداً من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلف عن الحضور في جنازته ، وهم ثلاثة أنفس : وهم ابن جملة ، والصدر ، والقفجاري ، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختلفوا من الناس خوفاً على أنفسهم ، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكتهم الناس ، وتردد شيخنا الامام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الايام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية ، وكان برهان الدين الفزاري يأتي را كبا على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله .

وعلمت له خبثات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة ، ورثى بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدا . وقد أفردت له تراجم كثيرة ، وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم ، وسألتخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وكرمه ونصحه وزهاده وعبادته وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة وصفاته الكبار والصغار ، التي احتوت على غالب العلوم ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسنة وأقوى بها .

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ومن يخطئ ويصيب ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كمنقطة في بحر لجي ، وخطؤه أيضا مغفور له كما في صحيح البخاري : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله

أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر « فهو مأجور . وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر .

وفي سادس عشرين ذى القعدة نقل تنكز حواصله وأمواله من دار الذهب داخل باب الفراديس إلى الدار التي أنشأها ، وتعرف بدار فلوس ، فسميت دار الذهب ، وعزل خزنداره ناصر الدين محمد ابن عيسى ، وولى مكانه مملوكه أباجى . وفي ثمانى عشرين القعدة جاء إلى مدينة عجلون سيل عظيم من أول النهار إلى وقت العصر ، فهدم من جامعها وأسواقها ورباعها ودورها شيئاً كثيراً ، وغرق سبعة نفر ، وهلك للناس شيء كثير من الأموال والغلات والامتعة والمواشى ما يقارب قيمته ألف ألف درهم والله أعلم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الأحد ثامن عشر ذى الحجة أزم القاضى الشافعى الشيخ علاء الدين القونوى جماعة الشهود بسائر المراكز أن يرسلوا فى عمائمهم العذبات ليميزوا بذلك عن عوام الناس ، ففعلوا ذلك أياماً ثم تضرروا من ذلك فأرخص لهم فى تركها ، ومنهم من استمر بها . وفي يوم الثلاثاء عشرين ذى الحجة أفرج عن الشيخ الامام العالم العلامة أبى عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية ، وكان معتقلاً بالقلعة أيضاً ، من بعد اعتقال الشيخ تقي الدين بأيام من شعبان سنة ست وعشرين إلى هذا الحين ، وجاء الخبر بأن السلطان أفرج عن الجاولى والامير فرج بن قراسنقر ، ولاجين المنصورى ، وأحضروا بعد العيد بين يديه ، وخلع عليهم . وفيه وصل الخبر بموت الأمير الكبير جويان نائب السلطان أبى سعيد على تلك البلاد ، ووفاة قرا سنقر المنصورى أيضاً كلاهما فى ذى القعدة من هذه السنة ، وجويان هذا هو الذى ساق القناة الواصلة إلى المسجد الحرام ، وقد غرم عليها أموالاً جزيلة كثيرة ، وله تربة بالمدينة النبوية ، ومدرسة مشهورة ، وله آثار حسنة ، وكان جيد الاسلام له همة عالية وقد دبر الممالك فى أيام أبى سعيد مدة طويلة على السداد ، ثم أراد أبو سعيد مسكه فتخلص من ذلك كما ذكرنا ، ثم إن أبى سعيد قتل ابنه خواجا رمشق فى السنة الماضية ففر ابنه الآخر تمرناش هارباً إلى سلطان مصر ، فأواه شهراً ثم ترددت الرسل بين الملكين فى قتله فقتله صاحب مصر فيما قيل وأرسل برأسه إليه ، ثم توفى أبوه بعده بقليل ، والله أعلم بالسرائر .

وأما قرا سنقر المنصورى فهو من جملة كبار أمراء مصر والشام ، وكان من جملة من قتل الاشرف خليل بن المنصور كما تقدم ، ثم ولى نيابة مصر مدة ، ثم صار إلى نيابة دمشق ثم إلى نيابة حلب ، ثم فر إلى التتر هو والافرم والزركاشى فأواهم ملك التتار خربندا وأكرمهم وأقطعهم بلاداً كثيرة ، وتزوج قرا سنقر بنت هولاكو ثم كانت وفاته بمراغة ببلده التي كان حاكماً بها فى هذه السنة ، وله نحو تسعين سنة والله أعلم .

ومن توفي فيها من الاعيان شيخ الاسلام العلامة تقي الدين ابن تيمية كما تقدم ذكر ذلك في الحوادث وسنفرد له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى .

﴿ الشريف العالم الزاهد المحدث ﴾

عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن العلوي الحسيني العراقي الاسكندري الشافعي ، سمع الكثير وحفظ الوجيز في الفقه ، والايضاح في النحو ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا وبلغ تسعين سنة وعقله وعلمه وذهنه ثابت متيقظ ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وتوفي يوم الجمعة خامس المحرم ، ودفن بالاسكندرية بين المادين رحمه الله

﴿ الشمس محمد بن عيسى التكريدي ﴾

كانت فيه شهامة وحزامة ، وكان يكون بين يدي الشيخ تقي الدين بن تيمية كالمنفذ لما يأمر به وينهى عنه ، ويرسله الأعماء وغيرهم في الأمور المهمة ، وله معرفة وفهم بتبليغ رسالته على أتم الوجوه توفي في الخامس من صفر بالقيبيات ودفن عند الجامع الكريمي رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو بكر بن شرف بن محسن بن معن بن عمان الصالحى ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستائة ، وسمع الكثير صحبة الشيخ تقي الدين بن تيمية والمزى ، وكان ممن يحب الشيخ تقي الدين ، وكان معهما كالخادم لهما ، وكان فقيراً ذا عيال يتناول من الزكاة والصدقات ما يقوم بأوده ، وأقام في آخر عمره بمحص ، وكان فصيحاً مفوهاً ، له تعاليق وتصانيف في الأصول وغيرها ، وكان له عبادة وفيه خير وصلاح ، وكان يتسكلم على الناس بعد صلاة الجمعة إلى العصر من حفظه ، وقد اجتمعت به مرة صحبة شيخنا المزى حين قدم من حمص فكان قوى العبارة فصيحها متوسطاً بالعلم ، له ميل إلى التصوف والكلام في الاحوال والأعمال والقلوب وغير ذلك ، وكان يكثر ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية . توفي بحمص في الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة ، وقد كان الشيخ يحض الناس على الاحسان إليه ، وكان يعطيه ويرفده .

﴿ ابن الدواليبي البغدادي ﴾

الشيخ الصالح العالم العابد الرحلة المسند المعمر عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن ابن أبي الحسين بن عبد الغفار البغدادي الأرجى الحنبلى المعروف بابن الدواليبي ، شيخ دار الحديث المستنصرية ، ولد في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وسمع الكثير ، وله إجازات عالية ، واشتغل بحفظ الخرق ، وكان فاضلاً في النحو وغيره ، وله شعر حسن ، وكان رجلاً صالحاً جاوالتسعين وصار رحلة العراق ، وتوفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى ودفن بمقبرة الامام أحمد مقابر الشهداء

رحمه الله ، وقد أجازني فيمن أجاز من مشايخ بغداد والله الحمد .

﴿ قاضي القضاة شمس الدين ابن الحريري ﴾

أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى عمر و عثمان بن أبى الحسن عبد الوهاب الأنصارى الحنفى ، ولد سنة ثلاث وخمسين ، وسمع الحديث واشتغل وقرأ الهداية ، وكان فقيهاً جيداً ، ودرس بأماكن كثيرة بدمشق ، ثم ولى القضاء بها ، ثم خطب إلى قضاء الديار المصرية فاستمر بها مدة طويلة محفوظ العرض ، لا يقبل من أحد هدية ولا تأخذه فى الحكم لومة لائم ، وكان يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن ؟ وقال لبعض أصحابه : أتحب الشيخ تقي الدين ؟ قال : نعم ، قال : والله لقد أحببت شيئاً مديحاً . توفى رحمه الله يوم السبت رابع جمادى الآخرة ودفن بالقرافة ، وكان قد عين لمنصبه القاضى برهان الدين بن عبد الحق فنفذت وصيته بذلك ، وأرسل إليه إلى دمشق فأحضر فباشر الحكم بعده وجميع جهاته .

﴿ الشيخ الامام العالم المقرئ ﴾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام تقي الدين محمد بن جبارة بن عبد الولى بن جبارة المقدسى المرداوى الحنبلى ، شارح الشاطبية ، ولد سنة تسع وأربعين وستائة ، وسمع الكثير وعنى بفن القراءات فبرز فيه ، وانتفع الناس به ، وقد أقام بمصر مدة واشتغل بها على الفزارى فى أصول الفقه ، وتوفى بالقدس رابع رجب رحمه الله ، كان يعد من الصالحاء الاخيار ، سمع عن خطيب مردا وغيره

﴿ ابن العاقولى البغدادى ﴾

الشيخ الامام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن على بن حماد بن نائب الواسطى العاقولى ثم البغدادى الشافعى ، مدرس المستنصرية مدة طويلة نحواً من أربعين سنة ، وباشر نظر الأوقاف وعين لقضاء القضاة فى وقت . ولد ليلة الأحد عاشر رجب سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وسمع الحديث وبرع واشتغل وأفتى من سنة سبع وخمسين إلى أن مات ، وذلك مدة إحدى وسبعين سنة ، وهذا شئ غريب جداً ، وكان قوى النفس له وجاهة فى الدولة ، فكتم كشف كربة عن الناس بسعيه وقصده ، توفى ليلة الأربعاء رابع عشرين شوال ، وقد جاوزه التسعين سنة ، ودفن بداره ، وكان قد وقفها على شيخ وعشرة صبيان يسمعون القرآن ويحفظونه ، ووقف عليها أملاكه كلها . تقبل الله منه ورحمه ، ودرس بعده بالمستنصرية قاضى القضاة قطب الدين .

﴿ الشيخ الصالح العالم العابد التاجر البار ﴾

شمس الدين محمد بن داود بن محمد بن ساب ، السلامى البغدادى ، أحد ذوى اليسار ، وله برثام بأهل العلم ، ولاسيما أصحاب الشيخ تقي الدين ، وقد وقف كتباً كثيرة ، وحيج مرات ، وتوفى ليلة الاحد رابع عشرين ذى القعدة بعد وفاة الشيخ تقي الدين بأربعة أيام ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة ودفن

بباب الصغير رحمه الله وأكرم مثواه . وفي هذه الليلة توفيت الوالدة مريم بنت فرج بن علي من قرية كان الوالد خطيبها ، وهي مجيدل القرية سنة ثلاث وسبعين وثمانئة ، وصلى عليها بعد الجمعة ودفنت بالصوفية شرقي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة ﴾

استلمت والخليفة والحكام هم المباثرون في التي قبلها ، غير أن قطب الدين ابن شيخ السلامية اشتغل بنظر الجيش . وفي المحرم طلب القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق وولده شهاب الدين ، وشرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى مصر على البريد ، فباشر القاضي الصدر الكبير محيي الدين المذكور كتابة السربها عوضاً عن علاء الدين بن الأثير لمرض اعتراه ، وأقام عنده ولده شهاب الدين ، وأقبل شرف الدين الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السر عوضاً عن ابن فضل الله . وفيه ذهب ناصر الدين مشد الأوقاف ناظراً على القدس والخليل ، فعمر هنالك عمارات كثيرة لملك الأمراء تنكز ، وفتح في الأقصى شباكين عن يمين الحراب وشماله وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن الزبيق من شد الدواوين بمحض إلى شدها بدمشق . وفي الحادي والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق وبسط الجامع جميعه ، وصلى الناس الجمعة به من الغد ، وفتح باب الزيادة ، وكان له أياماً مغلقة وذلك في مباشرة تقي الدين بن مراجل .

وفي ربيع الآخر قدم من مصر أولاد الأمير شمس الدين قراسنقر إلى دمشق فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفرديس ، في دهليز المقدمة ، وأعيدت عليهم أملاكهم الخلفة عن أبيهم ، وكانت تحت الحوطة ، فلما مات في تلك البلاد أفرج عنها أو أكثرها . وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جوبان وولده من قلعة المدينة النبوية وهما ميطان مصبران في توأبتهما ، فصلى عليهما بالمسجد النبوي ، ثم دفنا بالبقيع عن مرسوم السلطان ، وكان مراد جوبان أن يدفن في مدرسته فلم يمكن من ذلك .

وفي هذا اليوم صلى بالمدينة النبوية على الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وعلى القاضي نجم الدين البالسى المصرى صلاة الغائب . وفي يوم الاثنين منتصف جمادى الآخرة درس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهيل بالمدرسة البادرانية عوضاً عن شخبنا برهان الدين الفزارى توفى إلى رحمة الله تعالى ، وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ شمس الدين الذهبي ، وحضرها في يوم الأربعاء سابع عشره ، ونزل عن خطابة بطنا للشيخ جمال الدين المسلاتى المالكي ، فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره . وفي أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون إلى دمشق

قاصداً باب السلطان ، فتلقاه نائب دمشق وأنزله بداره التي عند جامعته ، ثم سار نحو مصر فغاب
نحواً من أربعين يوماً ، ثم عاد راجعاً إلى نيابة حلب . وفي عاشر رجب طلب صاحب تقي الدين
ابن عمر بن الوزير شمس الدين بن السلخوس إلى مصر فولى نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب .
وخرج الركب يوم السبت تاسع شوال وأميره سيف الدين بلطى ، وقاضيه شهاب الدين القيمرى
وفي الحجاج زوجة ملك الأمراء تنكز ، وفي خدمتها الطواشى شبل الدولة وصدر الدين المالكى ،
وصلاح الدين ابن أخى صاحب تقي الدين توبة ، وأخوه شرف الدين ، والشيخ على المغربى ،
والشيخ عبد الله الضربى وجماعة .

وفي بكرة الأربعاء ثالث شوال جلس القاضى ضياء الدين على بن سليم بن ربيعة للحكم بالعادلة
الكبيرة نيابة عن قاضى القضاة القونوى ، وعوضاً عن الفخر المصرى بحكم نزوله عن ذلك
وإعراضه عنه تاسع عشر رمضان من هذه السنة . وفي يوم الجمعة سادس ذى القعدة بعد أذان
الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من مماليك الجاوى يقال له أرسى ، فادعى أنه المهدي
وسجع سجعات يسيرة على رأى الكهان ، فأنزل في شرخيبة ، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع
المذكور . وفي ذى القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات
والأسواق داخل دمشق وخارجها ، مثل سوق السلاح والرصيف والسوق الكبير وباب البريد ومسجد
القصب إلى الزنجيلية ، وخارج باب الجابية إلى مسجد الدبان ، وغير ذلك من الأماكن التي كانت
تضيق عن سلوك الناس ، وذلك بأمر تنكز ، وأمر بإصلاح القنوات ، واستراح الناس من ترتيش
الماء عليهم بالنجاسات . ثم في العشر الأخير من ذى الحجة رسم بقتل الكلاب فقتل منهم شيء
كثير جداً ، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق ، وفرق بين الذكور منهم
والإناث ليموتوا سريعاً ، ولا يتوالدوا ، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم فاستراح الناس من النجاسة
من الماء والكلاب ، وتوسعت لهم الطرقات .

وفي يوم الجمعة ثانی عشر ذى الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالسماطية قاضى القضاة شرف الدين
المالكى بعد وفاة قاضى القضاة القونوى الشافعى ، وقرىء تقليده بالسبحة بها وحضره الأعيان وأعيد
إلى ما كان عليه .

ومن توفى فيها من الأعيان

✽ الشيخ الامام العالم الزاهد مفتى المسلمين ✽

نجيم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالى الشافعى ، شارح
التنبيه ، ولد سنة ستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل بالفقه وغيره من فنون العلم ، فبرع فيها

ولازم ابن دقيق العيد وناب عنه في الحكم ، ودرس بالمغربية والطبهرسية وجامع مصر ، وكان مشهورا بالفضيلة والديانة وملازمة الاشتغال . توفي ليلة الخميس رابع عشر المحرم ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله .

﴿ الأمير سيف الدين قطلوبك التشنكير الرومي ﴾

كان من أكبر الأمراء وولى الحجوبية في وقت ، وهو الذي عمر القنائة بالقدس ، توفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول ودفن بترتبه شمال باب الفرايس ، وهي مشهورة حسنة ، وحضر جنازته بسوق الخليل النائب والأمراء . ﴿ محدث اليمن ﴾

شرف الدين أحمد بن فقيه زبيد أبي الحسين بن منصور الشماخي المنحجي ، روى عن المكيين وغيرهم ، وبلغت شيوخه خمسمائة أو أزيد ، وكان رحلة تلك البلاد ومفيدها الخير ، وكان فاضلا في صناعة الحديث والفقه وغير ذلك ، توفي في ربيع الأول من هذه السنة .

﴿ نجم الدين أبو الحسن ﴾

على بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو محمد بن المسلم أحد رؤساء دمشق المشهورين ، له بيت كبير ونسب عريق ، ورياسة باذخة وكرم زائد ، باشر نظر الأيتام مدة ، وسمع الكثير وحدث ، وكانت لديه فضائل وفوائد ، وله الثروة الكثيرة ، ولد سنة تسع وأربعين وستائة ، ومات يوم الاثنين ضحوة خامس ربيع الآخر ، وصلى عليه بعد الظهر بالأموى ، ودفن بسفح قاسيون بتربة أعدها لنفسه ، وقبران عنده ، وكتب على قبره (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) الآية ، وسمعا عليه الموطأ وغيره .

﴿ الأمير بكتمر الحاجب ﴾

صاحب الحمام المشهور خارج باب النصر في طريق مقابر الصوفية من ناحية الميدان ، كانت وفاته بالقاهرة في عشرين ربيع الآخر ، ودفن بمدرسته التي أنشأها إلى جانب داره هناك .

﴿ الشيخ شرف الدين عيسى بن محمد بن قراجا بن سليمان ﴾

السهر وردى الصوفي الواعظ ، له شعر ومعرفة بالألحان والأنغام ، ومن شعره قوله :

بشراك يا سعد هذا الحى قد بانا * فخلها سيبطل الابل والبانا (١)
منازل ما وردنا طيب منزلها * حتى شربنا كؤوس الموت أحيانا
متناغراما وشوقا في المسير لها * فنندوا في نسيم القرب أحيانا

توفي في ربيع الآخر .

(١) كذا في الاصل . وليحرر .

﴿ شيخنا العالم العلامة برهان الدين الفزاري ﴾

هو الشيخ الامام العالم العلامة شيخ المذهب وعلمه ومفيد أهله ، شيخ الاسلام مفتي الفرق بقية السلف برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العلامة تاج الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الامام المقرئ المفتي برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري المصري الشافعي ، ولد في ربيع الأول سنة ستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على أبيه وأعاد في حلقة وبرع وساد أقرانه ، وسائر أهل زمانه من أهل مذهبه في دراية المذهب ونقله وتحريره ، ثم كان في منصب أبيه في التدريس بالبادرائية ، وأشغل الطلبة بالجامع الأموي فانتفع به المسلمون ، وقد عرضت عليه المناصب الكبار فأبأها ، فن ذلك أنه باشر الخطابة بعد عمه العلامة شرف الدين مدة ثم تركها وعاد إلى البادرائية ، وعرض عليه قضاء قضاء الشام بعد ابن صصري وألح نائب الشام عليه بنفسه وأعوانه من الدولة فلم يقبل ، وصمم وامتنع أشد الامتناع ، وكان مقبلا على شأنه عارفاً بزمانه مستغرقاً أوقاته في الاشتغال والعبادة ليلاً ونهاراً ، كثير المطالعة وإسراع الحديث ، وقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره ، وكان يدرس بالمدرسة المذكورة ، وله تعليق كثير على التنبيه ، فيه من الفوائد ما ليس يوجد في غيره ، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه ، وله مصنفات في غير ذلك كبار . وبالجملة فلم أر شافعياً من مشايخنا مثله ، وكان حسن الشكل عليه البهاء والجلالة والوقار ، حسن الأخلاق ، فيه حدة ثم يعود قريباً ، وكرمه زائد وإحسانه إلى الطلبة كثير ، وكان لا يقتنى شيئاً ويصرف مرتبه وجامكية مدرسته في مصالحه ، وقد درس بالبادرائية من سنة سبعين وستمائة إلى عامه هذا ، توفي بكرة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى بالمدرسة المذكورة ، وصلى عليه عقب الجمعة بالجامع وحملت جنازته على الرأس وأطراف الأنامل ، وكانت حافلة ، ودفن عند أبيه وعمه وذويه بباب الصغير رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد الورع ﴾

مجد الدين إسماعيل الحراني الحنبلي ، ولد سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقرأ القراءات وسمع الحديث في دمشق حين انتقل مع أهله إليها سنة إحدى وسبعين ، واشتغل على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، ولازمه وانتفع به ، وبرع في الفقه وصحة النقل وكثرة الصمت عما لا يعنيه ، ولم يزل مواظباً على جهاته ووظائفه لا ينقطع عنها إلا من عذر شرعي ، إلى أن توفي ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى . وفي هذا الحين توفي .

﴿ صاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الله ﴾

الذي كان ناظر الدواوين بحلب ، ثم انتقل إلى نزارها بطرابلس . توفي بجماعة ، وكان محباً للعلماء وأهل الخير ، وفيه كرم وإحسان ، وهو والد القاضي ناصر الدين كاتب السر بدمشق ، وقاضي العساكر

الحلبية و مشيخة الشيوخ بالسماطية ، ومدرس الأسدية بحلب ، والناصرية والشامية الجوانية
بدمشق .

﴿ القاضي معين الدين ﴾

هبة الله بن علم الدين مسعود بن أبي المعالي عبد الله بن أبي الفضل ابن الخشيشي الكاتب وناظر
الجيش بمصر في بعض الأحيان ، ثم بدمشق مدة طويلة مستقلا ومشاركا لقطب الدين ابن شيوخ
السلامية ، وكان خبيراً بذلك يحفظه على ذهنه ، وكانت له يد جيدة في العربية والأدب والحساب ،
وله نظم جيد ، وفيه تودد وتواضع . توفي بمصر في نصف جمادى الآخرة ودفن بتربة الفخر كاتب
المالিক .

﴿ قاضي القضاة وشيخ الشيوخ ﴾

علاء الدين القونوي ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي ، ولد
بمدينة قونية في سنة ثمان وستين وستمائة تقريرا واشتغل هناك ، وقدم دمشق سنة ثلاث وتسعين ،
وهو معدود من الفضلاء فازداد بها اشتغالا ، وسمع الحديث وتصدر للاشتغال بجماعتها ودرس بالاقبالية
ثم سافر إلى مصر فدرس بها في عدة مدارس كبار ، وولى مشيخة الشيوخ بها ودمشق ، ولم يزل
يشتغل بها وينفع الطلبة إلى أن قدم دمشق قاضيا عليها في سنة سبع وعشرين ، وله تصانيف
في الفقه وغيره ، وكان يحرز علوما كثيرة منها النحو والتصريف والأصلا والفقه ، وله معرفة جيدة
بكشاف الزخشرى ، وفهم الحديث ، وفيه إنصاف كثير وأوصاف حسنة ، وتعظيم لأهل العلم ،
وخرجت له مشيخة مسمناها عليه ، وكان يتواضع لشيخنا المزي كثيرا ، توفي ببستانه بالسهم يوم
سبت بعد العصر رابع عشر ذى القعدة ، وصلى عليه من الغد ، ودفن بسفح قاسيون ساجده الله .

﴿ الأمير حسام الدين لاجين المنصوري الحسامي ﴾

ويعرف بلاجين الصغير ، ولى البر بدمشق مدة ، ثم نيابة غزة ثم نيابة البيرة ، وبها مات في ذى
القعدة ، ودفن هناك ، وكان ابنتى تربة لزوجته ظاهر باب شرقي فلم يتفق دفنه بها (وماتدرى نفس
بأى أرض تموت) .

﴿ صاحب عز الدين أبو يعلى ﴾

حمزة بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن عز الدين أبي غالب المظفر ابن الوزير مؤيد الدين
أبي المعالي بن أسعد بن العميد أبي يعلى بن حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التيمي الدمشقي ابن
القلانسي ، أحد رؤساء دمشق الكبار ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث من جماعة ،
ورواه وسمعنا عليه ، وله رياسة باذخة وأصالة كثيرة وأملاك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا
ولم يزل معه صناعة للوظائف إلى أن أزم بوكالة بيت السلطان ثم بالوزارة في سنة عشرة كما تقدم ثم
عزل ، وقد صودر في بعض الأحيان ، وكانت له مكارم على الخواص والكبار ، وله إحسان إلى الفقراء
والمحتاجين . ولم يزل معظما وجيها عند الدولة من النواب والملوك والأمراء وغيرهم إلى أن توفي ببستانه

ليلة السبت سادس الحجة ، وصلى عليه من الغد ودفن بتر بته بسفح قاسيون ، وله في الصالحية رباط حسن بمأذنة ، وفيه دار حديث وبر وصدقة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بالأربعاء والحكام بالبلاطم المذكورون بالتى قبلها سوى الشافعى فانه توفى وولى مكانه فى رابع المحرم منها علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السبكي الاخنائى الشافعى وقدم دمشق فى الرابع والعشرين منه صحبة نائب السلطنة تنكز ، وقد زار القدس وحضر معه تدريس التنكزية التى أنشأها بها . ولما قدم دمشق نزل بالعادلية الكبيرة على العادة ، ودرس بها وبالغزالية ، واستمر بنيابة المنفلوطى ، ثم استناب زين الدين بن المرحل ، وفى صفر باشر شرف الدين محمود بن الخطيرى شد الاوقاف وانفصل عنها نجم الدين بن الزبيق إلى ولاية نابلس . وفى ربيع الآخر شرع بترخيم الجانب الشرقى من الأموى نسبة الجانب الغربى ، وشاور ابن مراحل النائب والقاضى على جمع الفصوص من سائر الجامع فى الحائط القبلى ، فرسما له بذلك . وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى إيوان الشافعية بالمدرسة الصالحية بمصر ، وكان الذى أنشأ ذلك الأمير جمال الدين نائب السكرى ، بعد أن استفتى العلماء فى ذلك . وفى ربيع الآخر تولى القضاء بحلب شمس الدين بن النقيب عوضا عن نحر الدين بن البارزى ، توفى ، وولى شمس الدين بن مجد البعلبكي قضاء طرابلس عوضا عن ابن النقيب . وفى آخر جمادى الأولى باشر نيابة الحكم عن الاخنائى محيى الدين بن جميل عوضا عن المنفلوطى توفى .

وفى هذا الشهر وقف الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الناصرى مدرسة على الحنفية وفيها صوفية أيضا ، ودرس بها القاضى علاء الدين بن التركمانى ، وسكنها الفقهاء . وفى جمادى الآخرة زينت البلاد المصرية والشامية ودقت البشائر بسبب عافية السلطان من وقعة انصدعت منها يده ، وخلص على الأمراء والأطباء بمصر ، وأطلقت الجبوس . وفى جمادى الآخرة قدم على السلطان رسل من الفرنج يطلبون منه بعض البلاد الساحلية فقال لهم : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، ثم سيرهم إلى بلادهم خاسئين .

وفى يوم الأحد سادس رجب حضر الدرس الذى أنشأه القاضى نحر الدين كاتب الماليك على الحنفية بمحراهم بجامع دمشق ، ودرس به الشيخ شهاب الدين ابن قاضى الحصين ، أخو قاضى القضاة برهان الدين بن عبد الحق بالديار المصرية ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وانصرفوا من عنده إلى عند ابن أخيه صلاح الدين بالجوهريّة ، درس بها عوضا عن حموه شمس الدين ابن الزكى نزل له عنها . وفى آخر رجب خطب بالجامع الذى أنشأه الأمير سيف الدين الماشى الحاجب ظاهر القاهرة

بالشارع ، وخطب بالجامع الذي أنشأه قوصون بين جامع طولون والصالحية ، يوم الجمعة حادى عشر رمضان وحضر السلطان وأعيان الأمراء الخطبة ، خطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى الشافعى ، وخلع عليه خلمة سنوية ، واستقل فى خطابته بدر الدين بن شكرى .

وخرج الركب الشامى يوم السبت حادى عشر شوال وأميره سيف الدين المرساوى صهر بلبان البيرى ، وقاضيه شهاب الدين ابن المجد عبد الله مدرس الاقبالية ، ثم تولى قضاء القضاة كما سياتى ، ومن حج فى هذه السنة رضى الدين بن المنطيقى ، والشمس الأردبيلى شيخ الجاروضية وصفى الدين ابن الحريرى ، وشمس الدين ابن خطيب بيروذ ، والشيخ محمد النيربانى وغيرهم ، فلما قضوا مناسكهم رجعوا إلى مكة لطواف الوداع ، فبينما هم فى سماع الخطبة إذ سمعوا جلبة الخيل من بنى حسن وعبيدهم ، قد حطموا على الناس فى المسجد الحرام ، فنار إلى قتالهم الأتراك فاقتتلوا فقتل أمير من الطبليخانات بمصر ، يقال له سيف الدين جندار وابنه خليل ، ومملوك له ، وأمير عشيرة يقال له الباجى ، وجماعة من الرجال والنساء ونهبت أموال كثيرة ، ووقعت خبطة عظيمة فى المسجد ، وتهارب الناس إلى منازلهم بأبيار الزاهر ، وما كادوا يصلون إليها وما أكلت الجمعة إلا بعد جهد ، فانا لله وإنا إليه راجعون . واجتمعت الامراء كلهم على الرجعة إلى مكة للاخذ بالتأثر منهم ، ثم كروا راجعين وتبعهم العبيد حتى وصلوا إلى مخيم الحميج ، وكادوا ينهبون الناس عامة جهرة ، وصار أهل البيت فى آخر الزمان يصدون الناس عن المسجد الحرام ، وبنو الأتراك هم الذين ينصرون الاسلام وأهله ويكفون الأذية عنهم بأنفسهم وأموالهم ، كما قال تعالى (إن أولياؤه إلا المتقون)

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ علاء الدين ابن الأثير ﴾

كاتب السر بمصر ، على بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الاثير الحلبي الاصل ، ثم المصرى ، كانت له حرمة ووجاهة وأموال وثروة ومكانة عند السلطان ، حتى ضربه الفالج فى آخر عمره فانهزل عن الوظيفة وباشرها ابن فضل الله فى حياته .

﴿ الوزير العالم أبو القاسم ﴾

محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل الأزدى الفرناطى الأندلسى ، من بيت الرياسة والحشمة ببلاد المغرب ، قدم علينا إلى دمشق فى جمادى الأولى سنة أربع وعشرين ، وهو بعزم الحج ، فسمعت بقراءته صحيح مسلم فى تسعة مجالس على الشيخ نجم الدين بن العسقلانى . قراءة صحيحة ، ثم كانت وفاته فى القاهرة فى ثمانى عشرين المحرم ، وكانت له فضائل كثيرة فى الفقه والنحو والتاريخ والأصول ، وكان على الهمة شريف النفس محترماً ببلاده جداً ، بحيث إنه بولى الملوك ويعزلهم ، ولم يل هو مباشرة شىء ولا أهل بيته ، وإنما كان يلقب بالوزير مجازاً .

﴿ شيخنا الصالح العابد الناسك الخاشع ﴾

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبي الحسن بن حسين بن غيلان البعلبكي الحنبلي ، إمام مسجد السلاطين بدار البطيخ العتيقة ، سمع الحديث وأسمعه ، وكان يقرأ القرآن طرفي النهار ، وعليه ختمت القرآن في سنة أحد عشر وسبعمائة ، وكان من الصالحين الكبار ، والعباد الاخيار ، توفي يوم السبت سادس صفر وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة .

وفي هذا الشهر - أعنى صفر - كانت وفاة والي القاهرة القديدار وله آثار غريبة ومشهورة .

﴿ بها درآص الأمير الكبير ﴾

رأس ميمنة الشام ، سيف الدين بها درآص المنصوري أكبر أمراء دمشق ، ومن طال عمره في الحشمة والثروة ، وهو ممن اجتمعت فيه الآيات الكريمة (زين للناس حب الشهوات من النساء) الآيات ، وقد كان محببا إلى العامة ، وله بر وصدقة وإحسان ، توفي ليلة الثلاثاء ودفن بتربته خارج باب الجابية ، وهي مشهورة أيضاً .

﴿ الحجار ابن الشحنة ﴾

الشيخ الكبير المسند المعمر الرحلة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن ابن علي بن بيان الدير مقرني ثم الصالحى الحجار المعروف بابن الشحنة ، سمع البخارى على الزبيدي سنة ثلاثين وستمائة بقاسيون ، وإنما ظهر سماعه سنة ست وسبعمائة ففرح بذلك المحدثون وأكثروا السماع عليه ، فقرأ البخارى عليه نحواً من ستين مرة وغيره ، وسمعنا عليه بدار الحديث الاشرفية في أيام الشتويات نحواً من خمسمائة جزءاً بالأجازات والسماع ، وسماعه من الزبيدي وابن اللقي ، وله إجازة من بغداد فيها مائة وثمانية وثلاثون شيخاً من العوالي المسندين ، وقد مكث مدة مقدم الحجارين نحواً من خمس وعشرين سنة ، ثم كان يخيظ في آخر عمره ، واستقرت عليه جامكته لما اشتغل بالسماع الحديث ، وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر ، وخاع عليه وألبسه الخلعة بيده ، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أمم لا يحصون كثرة ، وانتفع الناس بذلك ، وكان شيخاً حسناً بهي المنظر سليم الصدر ممتعاً بحواسه وقواه ، فانه عاش مائة سنة محققاً ، وزاد عليها ، لأنه سمع البخارى من الزبيدي في سنة ثلاثين وستمائة وأسمعه هو في سنة ثلاثين وسبعمائة في تاسع صفر بجامع دمشق ، وسمعنا عليه يومئذ والله الحمد ، ويقال إنه أدرك موت المعظم عيسى بن العادل لما توفي ، والناس يسمعونهم يقولون مات المعظم ، وقد كانت وفاة المعظم في سنة أربع وعشرين وستمائة ، وتوفي الحجار يوم الاثنين خامس عشرين صفر من هذه السنة ، وصلى عليه بالمظفرى يوم الثلاثاء ودفن بتربة له عند زاوية الدومي ، بجوار جامع الافرم . وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

﴿ الشيخ نجم الدين بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ﴾

أبي نصر المحصل المعروف بابن الشحام ، اشتغل ببلده ثم سافر وأقام بمدينة سراى من مملكة إربل ، ثم قدم دمشق فى سنة أربع وعشرين فدرس بالظاهرية البرانية ثم بالجاروضية ، وأضيف إليه مشيخة رباط القصر ، ثم نزل عن ذلك لزواج ابنته نور الدين الأردبيلى ، توفى فى ربيع الأول وكان يعرف طرفاً من الفقه والطب .

﴿ الشيخ إبراهيم الهدمة ﴾

أصله كردى من بلاد المشرق ، فقدم الشام ، وأقام بين القدس والخليل ، فى أرض كانت موانا فأحيها وغرسها وزرع فيها أنواعا ، وكان يقصد للزيارة ، ويحكى الناس عنه كرامات صالحة ، وقد بلغ مائة سنة ، وتزوج فى آخر عمره ورزق أولادا صالحين ، توفى فى جمادى الآخرة رحمه الله .
الست صاحبة التربة بباب الخواصين الخوذة المعظمة المحجبة المحترمة :

﴿ ستيته بنت الأمير سيف الدين ﴾

كركاى المنصورى ، زوجة نائب الشام تنكر ، توفيت بدار الذهب وصلى عليها بالجامع ثالث رجب ، ودفنت بالتربة التى أمرت بإنشائها بباب الخواصين ، وفيها مسجد وإلى جانبها رباط للنساء ومكتب للإيتام . وفيها صدقات وبر وصلات ، وقراء عليها ، كل ذلك أمرت به ، وكانت قد حجت فى العام الماضى رحمه الله .
﴿ قاضى قضاة طرابلس ﴾

شمس الدين محمد بن عيسى بن محمود البعلبكي المعروف بابن المجد الشافعى ، اشتغل ببلده وبرع فى فنون كثيرة ، وأقام بدمشق مدة يدرس بالقوصية وبالجامع ، ويؤم بمدرسة أم الصالح ، ثم انتقل إلى قضاء طرابلس فأقام بها أربعة أشهر ، ثم توفى فى سادس رمضان وتولاها بعده ولده تقي الدين وهو أحد الفضلاء المشهورين ، ولم تطل مدته حتى عزل عنها وأخرج منها .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

عبد الله بن أبى القاسم بن يوسف بن أبى القاسم الحوراني ، شيخ طائفتهم وإليه مرجع زاويتهم بحوران ، كان عنده تفقه بعض شىء ، وزهادة ويزار ، وله أصحاب يخدمونه ، وبلغ السبعين سنة ، وخرج لتوديع بعض أهله إلى ناحية الكرك من ناحية الحجاز فأدركه الموت هناك ، فمات فى أول ذى القعدة .
﴿ الشيخ حسن بن على ﴾

ابن أحمد الانصارى الضريبر كان بفرد عين أولا ، ثم عمى جملة ، وكان يقرأ القرآن ويكثر التلاوة ثم انقطع إلى المنارة الشرقية ، وكان يحضر الساعات ويستمع ويتواجد ، ولكثير من الناس فيه اعتقاد على ذلك ، ولجوارته فى الجامع وكثرة تلاوته وصلاته والله يسامحه ، توفى يوم السبت فى العشر

الأول من ذى الحجة بالمأذنة الشرقية ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

﴿ محيي الدين أبو الثناء محمود ﴾

ابن الصدر شرف الدين القلانسي ، توفي في ذى الحجة ببستانه ، ودفن بترتهم بسفح قاسيون وهو جد الصدر جلال الدين بن القلانسي ، وأخيه علاء ، وهم ثلاثتهم رؤساء .

﴿ الشاب الرئيس ﴾

صلاح الدين يوسف بن القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ، ناظر الجيش أبوه ، نشأ هذا الشاب في نعمة وحشمة وترفة وعشرة واجتماع بالأصحاب ، توفي يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة فاستراح من حشمة وعشرته إن لم تكن وبالاعليه ، ودفن بترتهم تجاه الناصرية بالسفح ، وتأسف عليه أبواه ومعارفه وأصحابه سماحه الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وقد ذكرنا ما كان من عبيد مكة إلى الحجاج ، وأنه قتل من المصريين أميران ، فلما بلغ الخبر السلطان عظم عليه ذلك ، وامتنع من الاكل على السماط فيما يقال أياما ، ثم جرد ستمائة فارس وقيل ألفا ، والاول أصحح ، وأرسل إلى الشام أن يجرد مقدما آخر ، فجرد الأمير سيف الدين الجي بغا العادلي . وخرج من دمشق يوم دخلها الركب في سادس عشرين المحرم ، وأمر أن يسير إلى إيالة ليجتمع مع المصريين ، وأن يسيروا جميعا إلى الحجاز .

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور إلى مدينة حلب ، وخرج نائب حلب أرغون ومعه الامراء مشاة إليه في تهليل وتكبير وتحميد ، يتلقون هذا النهر ، ولم يكن أحد من المعالي ولا غيرهم أن يتكلم بغير ذكر الله تعالى ، وفرح الناس بوصوله إليهم فرحا شديدا ، وكانوا قد وسعوا في تحصيله من أما كن بعيدة احتاجوا فيها إلى نقب الجبال ، وفيها صخور ضخام وعقدوا له قناطر على الأودية ، وما وصل إلا بعد جهد جهيد ، وأمر شديد ، فله الحمد وحده لا شريك له . وحين رجع نائب حلب أرغون مرض مرضا شديدا ومات رحمه الله .

وفي سابع صفر وسع تنكز الطرقات بالشام ظاهر باب الجابية ، وخرب كل ما يضيق الطرقات . وفي ثاني ربيع الاول لبس علاء الدين القلانسي خلعته سننية لمباشرة نظر الدواوين ديوان ملك الأمراء ، وديوان نظر المارستان ، عوضا عن ابن العادل ، ورجع ابن العادل إلى حجابة الديوان الكبير . وفي يوم ثاني ربيع الاول لبس عماد الدين ابن الشيرازي خلعته نظر الأموي عوضا عن ابن مراجل عزل عنه لا إلى بدل عنه ، وباشر جمال الدين بن القويصرة نظر الأسرى بدلا عن ابن الشيرازي . وفي يوم الخميس آخر ربيع الاول لبس القاضي شرف الدين بن عبد الله بن شرف الدين

حسن ابن الحافظ أبي موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغنى المقدسى خلعة قضاء الحنابلة عوضاً عن عز الدين بن التقي سليمان ، توفى رحمه الله ، وركب من دارالسعادة إلى الجامع ، فقرأ تقليده تحت النسر بمحضرة القضاة والأعيان ، ثم ذهب إلى الجوزية فحكم بها ، ثم إلى الصالحية وهولابس الخلعة ، واستناب يومئذ ابن أخيه التقي عبد الله بن شهاب الدين أحمد . وفي سابع ربيع الآخر اجتاز الأمير علاء الدين الطنباغا بدمشق وهو ذاهب إلى بلاد حلب نائباً عليها ، عوضاً عن أرغون توفى إلى رحمة الله ، وقد تلقاه النائب والجيش . وفي مستهل جمادى الأولى حضر الأمير الشريف رميثة بن أبي نعي إلى مكة ، فقرأ تقليده بامرة مكة من جهة السلطان ، صحبة التجريدة ، وخلع عليه وبايعه الأمراء المجردون من مصر والشام داخل الكعبة ، وقد كان وصول التجار يد إلى مكة في سابع ربيع الأول ، فأقاموا بباب المعلى ، وحصل لهم خير كثير من الصلاة والطواف ، وكانت الأسعار رخيصة معهم .

وفي يوم السبت سابع ربيع الآخر خلع على القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة بوكالة السلطان ونظر جامع طولون ونظر الناصرية ، وهناه الناس عوضاً عن التاج ابن إسحاق عبد الوهاب ، توفى ودفن بالقرافة . وفي هذا الشهر تولى عماد الدين ابن قاضي القضاة الاخنائي تدريس الصارمية وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكي الشافعي ، وحضرها في رجب وحضر عنده الناس خدمة لأبيه ، وفي حادى عشر من جمادى الآخرة رجعت التجريدة من الحجاز صحبة الأمير سيف الدين الحلى بغا ، وكانت غيبتهم خمسة أشهر وأياماً وأقاموا بمكة شهراً واحداً ويوماً واحداً وحصل للعرب منهم رعب شديد ، وخوف أكيد ، وعزلوا عن مكة عطية وولوا أخاه رميثة وصلوا وطافوا واعتمروا ، ومنهم من أقام هناك ليحج . وفي ثاني رجب خلع على ابن أبي الطيب بنظر ديوان بيت المال عوضاً عن ابن الصاين توفى .

وفي أوائل شعبان حصل بدمشق هواء شديد مزعج كسر كثيراً من الأشجار والأغصان ، وألقى بعض الحيطان والجدران ، وسكن بعد ساعة باذن الله ، فلما كان يوم تاسعه سقط برد كبار مقدار بيض الحمام ، وكسر بعض جامات الحمام . وفي شهر شعبان هذا خطب بالمدرسة المعزية على شاطئ النيل أنشأها الأمير سيف الدين طغز دمر ، أمير مجلس الناصري ، وكان الخطيب عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي . وفي نصف رمضان قدم الشيخ تاج الدين عمر بن علي بن سالم الملحي ابن الفاكهاني المالكي ، نزل عند القاضي الشافعي ، وسمع عليه شيئاً من مصنفاة ، وخرج إلى الحج عامئذ مع الشاميين ، وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق . وفي هذا الشهر وطى سوق الخليل وركبت فيه حصبات كثيرة ، وعمل فيه نحو من أربعائة نفس في أربعة أيام حتى ساووه وأصاحوه ، وقد كان

قبل ذلك يكون فيه مياه كثيرة ، وملقات . وفيه أصلح سوق الدقيق داخل باب الجابية إلى الثابتية وسقف عليه السقوف .

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال وأميره عز الدين أيبك ، أمير علم ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . ومن حج فيه شهاب الدين بن جهبل وأبو النسر وابن جملة والفخر المصري والصدر المالكي وشرف الدين الكفوي الحنفي ، والبهاء ابن إمام المشهد وجمال الدين الأعيالى ناظر الأيتام ، وشمس الدين الكردي ، ونفر الدين البعلبكي ، ومحمد الدين ابن أبي المجد ، وشمس الدين ابن قيم الجوزية ، وشمس الدين ابن خطيب بيرة ، وشرف الدين قاسم المعجلوني ، وتاج الدين ابن الفاكهاني والشيخ عمر السلاوي ، وكتابه إسماعيل ابن كثير ، وآخر من سائر المذاهب ، حتى كان الشيخ بدر الدين يقول : اجتمع في ركبتنا هذا أربعمائة فقيه وأربع مدارس وخانقاه ، ودارحديث ، وقد كان معنا من المفتين ثلاثة عشر نفساً ، وكان في المصريين جماعة من الفقهاء منهم قاضي المالكية تقي الدين الأحنائي ، ونفر الدين النويري ، وشمس الدين ابن الحارثي ، ومحمد الدين الأقرائي ، وشيخ الشيوخ الشيخ محمد المرشدي . وفي ركب العراق الشيخ أحمد السروجي أشد وكان من المشاهير . وفي الشاميين الشيخ علي الواسطي صحبة ابن المرجاني ، وأمير المصريين مغلطاي الجمالي الذي كان وزيراً في وقت ، وكان إذ ذاك مريضاً ، ومررتنا بعين تبوك وقد أصلحت في هذه السنة ، وصينت من دوس الجمال والجمالين ، وصار ماؤها في غاية الحسن والصفاء والطيب ، وكانت وقفة الجمعة ومطرتنا بالطواف ، وكانت سنة مرخصة آمنة .

وفي نصف ذي الحجة رجع تنكز من ناحية قلعة جبر ، وكان في خدمته أكثر الجيش الشامي ، وأظهر أهبة عظيمة في تلك النواحي . وفي سادس عشر ذي الحجة وصل توقيع القاضي علاء الدين بن الانلاندني بجميع جهات أخيه جمال الدين بحكم وفاته مضافاً إلى جهاته ، فاجتمع له من المناصب الكبار ما لم يجتمع لغيره من الرؤساء في هذه الأعصار ، فمن ذلك : وكالة بيت المال ، وقضاء العسكر وكتابة الدست ، ووكالة ملك الأمراء ، ونظر البيمارستان ، ونظر الحرمين ، ونظر ديوان السعيد ، وتدريس الأئمانية والظاهرية والمصرفية وغير ذلك انتهى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ قاضي القضاة ﴾

عز الدين أبو عبد الله بن محمد بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي ، ولد سنة خمس وستين وستائة ، وسمع الحديث واشتغل على والده واستنابه في أيام ولايته ، فلما ولي ابن مسلم لزم بيته يحضر درس الجوزية ودار الحديث الأشرفية بالجبل ويأوى إلى بيته ، فلما توفى ابن مسلم ولي قضاء الحنابلة بعده نحواً من أربع سنين ، وكان فيه

تواضع وتودد وقضاء لحوائج الناس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء تاسع صفر ، وكان يوماً مطيراً ، ومع هذا شهد الناس جنازته ، ودفن بقربتهم رحمهم الله ، وولى بعده نائبه شرف الدين ابن الحافظ ، وقد قارب الثمانين . وفي نصف صفر توفى

﴿ الأمير سيف الدين قجليس ﴾

سيف النعمة ، وقد كان شمع على الحجار ووزيره بالقدس الشريف .
وفي منتصف صفر توفى ﴿ الأمير الكبير سيف الدين أرغون ﴾ بن عبد الله الدويدار الناصري ، وقد عمل [على] نيابة مصر مدة طويلة ، ثم غضب عليه السلطان فأرسله إلى نيابة حلب ، فمكث بها مدة ثم توفى بها في سابع عشر ربيع الأول ، ودفن بقربة اشتراها بحلب ، وقد كان عنده فهم وفقه ، وفيه ديانة واتباع للشيعة ، وقد سمع البخاري على الحجار وكتبه جميعه بخطه ، وأذن له بعض العلماء في الافتاء ، وكان يميل إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية وهو بمصر ، توفى ولم يكمل الحسنيين سنة ، وكان يكره اللهو رحمه الله . ولما خرج يلتقي نهر الساجور خرج في ذل ومسكنة ، وخرج معه الأمراء كذلك مشاة في تكبير وتهليل وتحميد ، ومنع المغاني ومن اللهو واللعب في ذلك رحمه الله .

﴿ القاضي ضياء الدين ﴾

أبو الحسن - على بن سليم بن ربيع بن سليمان الأزرعي الشافعي ، تنقل في ولاية الأفضية بمدارس كثيرة ، مدة سنين سنة ، وحكم بطرابلس وعجلون وزرع وغيرها ، وحكم بدمشق نيابة عن القونوي نحواً من شهر ، وكان عنده فضيلة وله نظم كثير . نظم التنبية في نحو ست عشرة ألف بيت ، وتصحيحها في ألف وثلاثمائة بيت ، وله مدائح ومواليب وأزجال وغير ذلك ، ثم كانت وفاته بالرملة يوم الجمعة ثالث عشر بن ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة رحمه الله ، وله عدة أولاد منهم عبد الرزاق أحد الفضلاء ، وهو ممن جمع بين علمي الشريعة والطبيعة .

﴿ أبو دبوس عثمان بن سعيد المغربي ﴾

تملك في وقت بلاد قابس ثم تغلب عليه جماعة فانتزعوها منه فقصده مصر فأقام بها وأقطع إقطاعاً ، وكان يركب مع الجندي في زى المغاربة متقلداً سيفاً ، وكان حسن الهيئة يواظب على الخدمة إلى أن توفى في جمادى الأولى .

﴿ الامام العلامة ضياء الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي الشافعي ، مدرس الحسامية ونائب الحكيم بمصر ، وأعاد في أماكن كثيرة ، وتفقه على والده ، توفى في جمادى الآخرة وتولى الحسامية بعده ناصر الدين التبريزي .

﴿ الصدر الكبير تاج الدين السكاري ﴾

المعروف بابن الرهايلي ، كان أكبر تجار دمشق السكارية وبمصر ، توفي في جمادى الآخرة ، يقال إنه خلف مائة ألف دينار غير البضائع والأثاث والأملأ .

﴿ الامام العلامة نجر الدين ﴾

عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان بن المارداني التركاني الحنفي شرح نجر الدين هذا الجامع وألقاه دروساً في مائة كراس ، توفي في رجب وله إحدى وسبعون سنة ، كان شجاعاً عالمياً فاضلاً ، وقوراً فصيحاً حسن المفاكهة ، وله نظم حسن . وولى بعده المنصورية ولده تاج الدين .

﴿ تقي الدين عمر ابن الوزير شمس الدين ﴾

محمد بن عثمان بن السلعوس ، كان صغيراً لما مات أبوه تحت العقوبة ، ثم نشأ في الخدم ثم طلبه السلطان في آخر وقت فولاه نظر الدواوين بمصر ، فباشره يوماً واحداً وحضر بين يدي السلطان يوم الخميس ، ثم خرج من عنده وقد اضطرب حاله فما وصل إلى منزله إلا في محفة ، ومات بكرة يوم السبت سادس عشرين ذى القعدة ، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص ، ودفن عند والده بالقرافة وكانت جنازته حافلة .

﴿ جمال الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن شرف الدين بن جمال الدين محمد بن أبي الفتح نصر الله بن أسد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد النيمي الدمشقي ابن القلانسي ، قاضي المساكر ووكيل بيت المال ومدرس الامينية وغيرها حفظ التنبيه ثم المحرر للرافعي ، وكان يستحضره ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزارى ، وتقدم لطالب العلم والرئاسة ، وباشر جهات كباراً ، ودرس بأماكن وتفرد في وقته بالرياسة والبيت والمناصب الدينية والدينية ، وكان فيه تواضع وحسن سميت وتودد وإحسان وبر بأهل العلم والفقراء والصالحين وهو ممن أذن له في الافتاء وكتب إنشاء ذلك وأنا حاضر على البديهة فأفاد وأجاد ، وأحسن التعبير وعظم في عيني . توفي يوم الاثنين ثامن عشر بن ذى القعدة ، ودفن بترتهم بالسفح ، وقد سمع الحديث على جماعة من المشايخ وخرج له فخر الدين البعلبكي مشيخة سمعناها عليه رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم هم ، وفي أولها فتحت القيسارية التي كانت مسبك الفولاذ جواباب الصغير حولها تنكز قيسارية ببركة . وفي يوم الاربعاء ذكر الدرس بالامينية والظاهرة علاء الدين بن القلانسي عوضاً عن أخيه جمال الدين ، وذكر ابن أخيه أمين الدين محمد بن جمال الدين الدرس في مصر ونية ، تركها له عمه ، وحضر عندها جماعة من الأعيان . وفي تاسع المحرم جاء إلى حمص سيل عظيم غرق بسببه خلق كثير وجم غفير ، وهلك للناس أشياء كثيرة . ومن مات فيه نحو مائتي

امراً بجمام النائب ، كن مجتمعات على عروس أو عروسين فهلكن جميعاً .
 وفي صفر أمر تنكر ببياض الجدران المقابلة لسوق الخليل إلى باب الفراديس ، وأمر بتجديد
 خان الظاهر ، ففرم عليه نحواً من سبعين ألفاً . وفي هذا الشهر وصل تابوت لاجين الصغير من البيرة
 فدفن بترته خارج باب شرقي . وفي ناسع ربيع الآخر حضر الدرس بالقيمازية عماد الدين الطرسوسى
 الحنفي عوضاً عن الشيخ رضى الدين المنطقي ، توفى ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي أول
 ربيع الآخر خلع على الملك الأفضل على بن الملك المؤيد صاحب حماة وولاه السلطان الملك
 الناصر مكان أبيه بحكم وفاته ، وركب بمصر بالعصائب والسبابة والفاشية أمامه . وفي نصف هذا الشهر
 سافر الشيخ شمس الدين الأصفهاني شارح المختصر ومدرس الرواحية إلى الديار المصرية على خيل
 البريد وفارق دمشق وأهلها واستوطن القاهرة .

وفي يوم الجمعة ناسع جمادى الآخرة خطب بالجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدين آل ملك
 واستقر فيه خطيباً نور الدين على بن شبيب الحنبلي . وفيه أرسل السلطان جماعة من الأمراء إلى
 الصعيد فأحاطوا على ستمائة رجل ممن كان يقطع الطريق فأتلف بعضهم . وفي جمادى الآخرة تولى
 شد الدواوين بدمشق نور الدين ابن الخشاب عوضاً عن الطرقيشى . وفي يوم الأربعاء حادى عشر
 رجب خلع على قاضى القضاة علاء الدين بن الشيخ زين الدين بن المنجا بقضاء الحنابلة عوضاً
 عن شرف الدين بن الحافظ ، وقرئ تقليده بالجامع ، وحضر القضاة والأعيان . وفي اليوم الثانى
 استناب برهان الدين الزرعى . وفي رجب باشر شمس الدين موسى بن التاج إسحاق نظر الجيوش
 بمصر عوضاً عن نجر الدين كاتب الماليك توفى ، وباشر الذشو مكانه فى نظر الخاص ، وخلع عليه
 بطرحة ، فلما كان فى شعبان عزل هو وأخوه العلم ناظر الدواوين وصوروا وضربوا ضرباً عظيماً ،
 وتولى نظر الجيش المسكين بن قروينة ، ونظر الدواوين أخوه شمس الدين بن قروينة .

وفي شعبان كان عرس أنوك ، ويقال كان اسمه محمد بن السلطان الملك الناصر ، على بنت الأمير سيف
 الدين بكتمر الساقى ، وكان جهازها بألف ألف دينار ، وذبح فى هذا العرس من الاغنصام والدجاج
 والاوز والخليل والبقر نحو من عشرين ألفاً ، وحملت خلوى بنحو ثمانية عشر ألف قنطار ، وحمل له
 من الشمع ثلاثة آلاف قنطار ، قاله الشيخ أبو بكر ، وكان هذا العرس ليلة الجمعة حادى عشر شعبان
 وفى شعبان هذا حول القاضى محى الدين بن فضل الله من كتابة السر بمصر إلى كتابة السر بالشام ،
 ونقل شرف بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى كتابة السر بمصر ، وأقيمت الجمعة بالشامية البرانية
 فى خامس عشر شعبان ، وحضرها القضاة والأمراء ، وخطب بها الشيخ زين الدين عبد النور المغربى
 وذلك بإشارة الأمير حسام الدين اليشمقدار الحاجب بالشام ، ثم خطب عنه كمال الدين بن الزكى ، وفيه

أمر نائب السلطنة بتبييض البيوت من سوق الخليل إلى ميدان الحصاء ففعل ذلك . وفيه زادت الفرات زيادة عظيمة لم يسمع بمثلها ، واستمرت نحو من اثني عشر يوماً فأتلقت بالرحبة أموالاً كثيرة ، وكسرت الجسر الذي عند دير بسر ، وغلت الاسعار هناك فشرعوا في إصلاح الجسر ، ثم انكسر مرة ثانية .

وفي يوم السبت تاسع شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين أوزان ، وقاضيه جمال الدين ابن الشريشي ، وهو قاضي حمص الآن ، وحج السلطان في هذه السنة وصحبته قاضي القضاة القزويني وعز الدين بن جماعة ، وموفق الدين الحنبلي ، وسبعون أميراً . وفي ليلة الخميس حادى عشرين شوال رسم على الصاحب عز الدين غبريال بالمدرسة النجيبية الجوانية ، وصودر وأخذت منه أموال كثيرة ، وأفرج عنه في المحرم من السنة الآتية .
ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ الشيخ عبد الرحمن بن أبي محمد بن محمد ﴾

ابن سلطان القرامذي ، أحد المشاهير بالعبادة والزهادة وملازمة الجامع الأموي ، وكثرة التلاوة والذكر ، وله أصحاب يجلسون إليه ، وله مع هذا ثروة وأملاك ، توفي في مستهل المحرم عن خمس أوست وثمانين سنة ، ودفن بباب الصغير ، وكان قد سمع الحديث واشتغل بالعلم ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة إلى أن مات .
﴿ الملك المؤيد صاحب حماة ﴾

عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كانت له فضائل كثيرة في علوم متعددة من الفقه والهيئة والطب وغير ذلك ، وله مصنغات عديدة ، منها تاريخ حافل في مجلدين كبيرين ، وله نظم الحاوي وغير ذلك ، وكان يحب العلماء ويشاركهم في فنون كثيرة ، وكان من فضلاء بني أيوب ، ولي ملك حماة من سنة إحدى وعشرين إلى هذا الحين ، وكان الملك الناصر يكرمه ويعظمه ، وولي بعده ولده الأفضل علي ، توفي في سحر يوم الخميس ثامن عشرين المحرم ، ودفن ضحوة عند والديه بظاهر حماة .

﴿ القاضي الامام العالم المحدث ﴾

تاج الدين أبو القاسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي بن عوض بن سنان بن عبد الله السعدي الفقيه الشافعي ، سمع الكثير وخرج لنفسه معجماً في ثلاث مجلدات ، وقرأ بنفسه الكثير ، وكتب الخط الجيد ، وكان متقناً عارفاً بهذا الفن ، يقال إنه كتب بخطه نحواً من خمسمائة مجلد ، وقد كان شافعيًا مفتياً ، ومع هذا ناب في وقت عن القاضي الحنبلي ، وولي مشيخة الحديث بالمدرسة الصاحبية ، وتوفي

بمصر في مستهل ربيع الأول عن ثنتين وثمانين سنة ، رحمه الله .

﴿ الشيخ رضى الدين بن سليمان ﴾

المنطقي الحنفي ، أصله من أب كرم ، من بلاد قونية ، وأقام بحماة ثم بدمشق ، ودرس بالقيمازية ، وكان فاضلاً في المنطق والجدل ، واشتغل عليه جماعة في ذلك ، وبلغ من العمر ستاً وثمانين سنة ، وحج سبع مرات ، توفي ليلة الجمعة سادس عشر من ربيع الأول ، وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية وفي ربيع الأول توفي : ﴿ الأمير علاء الدين طيبغا ﴾

ودفن بترته بالصالحية . وكذلك الأمير سيف الدين زولاق ، ودفن بترته أيضاً .

﴿ قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد ﴾

عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة ، وياشر نيابة ابن مسلم مدة ، ثم ولى القضاء في السنة الماضية ، ثم كانت وفاته فجأة في مستهل جمادى الأولى ليلة الخميس ، ودفن من الغد بترته الشيخ أبى عمر .

﴿ الشيخ ياقوت الحلبى ﴾

الشاذلى الاسكندرانى ، بلغ الثمانين ، وكان له أتباع ، وأصحاب منهم شمس الدين ابن اللبان الفقيه الشافعى ، وكان يعظمه ويطريه وينسب إليه مبالغات الله أعلم بصحتها وكذبها ، توفي في جمادى وكانت جنازته حافلة جداً .

﴿ النقيب ناصح الدين ﴾

محمد بن عبد الرحيم بن قاسم بن إسماعيل الدمشقى ، نقيب المتعممين ، تلمذ أولاً للشهاب المقرئ ثم كان بعده في المحافل العزاء والهناء ، وكان يعرف هذا الفن جيداً ، وكان كثير الطلب من الناس ، ويطلبه الناس لذلك ، ومع هذا مات وعليه ديون كثيرة ، توفي في أواخر رجب .

﴿ القاضى نجر الدين كاتب الممالك ﴾

وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر ، أصله قبلى فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت له أوقاف كثيرة ، وبر وإحسان إلى أهل العلم ، وكان صدراً معظماً ، حصل له من السلطان حظ وافر ، وقد جاو زالسبعين وإليه تنسب الفخرية بالقدس الشريف ، توفي في نصف رجب واحتيط على أمواله وأملاكه بعد وفاته رحمه الله .

﴿ الأمير سيف الدين الجاى الدويدار المللكى الناصرى ﴾

كان فقيهاً حنفيًا فاضلاً ، كتب بخطه زبمة وحصل كتباً كثيرة معتبرة ، وكان كثير الإحسان إلى أهل العلم ، توفي في سلخ رجب رحمه الله .

﴿ الطيب الماهر الحاذق الفاضل ﴾

أمين الدين سليمان بن داود بن سابان ، كان رئيس الأطباء بدمشق ومدرسه مدة ، ثم عزل
بجمال الدين بن الشهاب السكحال مدة قبل موته لأمر تعصب عليه فيه نائب السلطنة ، توفي يوم
السبت سادس عشرين شوال ودفن بالقيبيات .

﴿ الشيخ الامام العالم المقرئ شيخ القراء ﴾

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجمبري ، ثم الخليلي الشافعي ،
صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات وغيرها ، ولد سنة أربعين وستمائة بقلعة جعبر ، واشتغل
ببغداد ، ثم قدم دمشق وأقام ببلد الخليل نحو أربعين سنة يقرئ الناس ، وشرح الشاطبية وسمع
الحديث ، وكانت له إجازة من يوسف بن خليل الحافظ ، وصنف بالعربية والعروض والقراءات
نظماً ونثراً ، وكان من المشايخ المشهورين بالفضائل والرياسة والخير والديانة والعفة والصيانة ، توفي
يوم الأحد خامس شهر رمضان ، ودفن ببلد الخليل تحت الزيتون ، وله ثقتان وتسعون سنة رحمه
الله .

﴿ قاضي القضاة علم الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن القاضي شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمه الأحنائي السعدي
المصري الشافعي الحاكم بدمشق وأعمالها ، كان عفيفاً نزهة ذكياً سار العبارة محباً للفضائل ، معظماً لأهلها
كثيراً لاسماع الحديث في العادلية الكبيرة ، توفي يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ودفن بسفح
قاسيون عند زوجته تجاه تربة العادل كتبغا من ناحية الجبل .

﴿ قطب الدين موسى ﴾

ابن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامة ناظر الجيوش الشامية ، كانت له ثروة وأموال كثيرة ،
وله فضائل وإفصال وكرم وإحسان إلى أهل الخير ، وكان مقصداً في المهمات ، توفي يوم الثلاثاء ثاني
الحجة وقد جاوز السبعين ، ودفن بتربته تجاه الناصرية بقاسيون ، وهو والد الشيخ الامام العلامة
عز الدين حمزة مدرس الحنبلية .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة ﴾

استهلت يوم الأربعاء والحكام المذكورون في التي قبلها ، وليس للشافعية قاض ، وقاضي
الحنفية عماد الدين الطرسوسي ، وقاضي المالكية شرف الدين الهمداني ، وقاضي الحنابلة علاء الدين
ابن المنجا ، وكاتب السرخسي الدين بن فضل الله ، وناظر الجامع عماد الدين بن الشيرازي .
وفي ثاني المحرم قدم البشير بسلامة السلطان من الحجاز وياقتراب وصوله إلى البلاد ، فدقت
البشار وزينت البلاد . وأخبر البشير بوفاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقى وولده شهاب الدين

أحمد وهما راجعان في الطريق ، بعد أن حجا قريبا من مصر : الوالد أولا ، ثم من بعده أبوه بثلاثة أيام يعيون القصب ، ثم نقلا إلى تربتهما بالقرافة ، ووجد لبيكتمر من الأموال والجواهر والآلى والقماش والأمتعة والحواصل شيء كثير ، لا يكاد ينحصر ولا ينضب ، وأفرج عن صاحب شمس الدين غبريال في الحرم ، وطلب في صفر إلى مصر فتوجه على خيل البريد ، واحتيط على أهله بعد مسيره وأخذت منهم أموال كثيرة لبيت المال .

وفي أواخر صفر قدم صاحب أمين الملك على نظر الدواوين بدمشق عوضا عن غبريال ، وبعده بأربعة أيام قدم القاضي نجر الدين بن الحلى على نظر الجيش بعد وفاة قطب الدين ابن شيخ السلمية . وفي نصف ربيع الأول لبس ابن جملة خلع القضاء للشافعية بدمشق بدار السعادة ، ثم جاء إلى الجامع وهي عليه ، وذهب إلى العادلية وقرأ تقليده بها بحضرة الأعيان ، ودرس بالعادلية والغزالية يوم الأربعاء ثاني عشر الشهر المذكور . وفي يوم الاثنين رابع عشر ينه حضر ابن أخيه جمال الدين محمود إعادة القيصرية نزل له عنها ، ثم استنابه بعد ذلك في المجلس ، وخرج إلى العادلية فحكم بها ، ثم لم يستمر بعد ذلك ، عزل عن النيابة بيومه ، واستناب بعده جمال الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن يوسف الحساباني ، وله همة وعنده نزاهة وخبرة بالأحكام .

وفي ربيع الأول ولي شهاب قرطاي نيابة طرابلس وعزل عنها طبلان إلى نيابة غزة وتولى نائب غزة حمص ، وحصل للذي جاء بتقاليدهم مائة ألف درهم منهم ، وفي ربيع الآخر أعيد القاضي محي الدين بن فضل الله وولده إلى كتابة سر مصر ، ورجع شرف الدين ابن الشهاب محمود إلى كتابة سر الشام كما كان . وفي منتصف هذا الشهر ولي نقابة الأشراف عماد الدين موسى الحسيني عوضا عن أخيه شرف الدين عدنان توفي في الشهر الماضي ودفن بترتهم عند مسجد الدبان . وفيه درس الفخر المصري بالدولعية عوضا عن ابن جملة بحكم ولايته القضاء . وفي خامس عشر رجب درس بالبادرائية القاضي علاء الدين علي بن شريف ويعرف بابن الوحيد ، عوضا عن ابن جهيل توفي في الشهر الماضي ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكنت إذ ذاك بالقدس أنا والشيخ شمس الدين ابن عبد الهادي وآخرون ، وفيه رسم السلطان الملك الناصر بالمنع من رمي البنساق ، وأن لا تباع قسيها ولا تعمل ، وذلك لافساد رماة البنساق أولاد الناس ، وأن الغالب على من تعاناه اللواط والفسق وقلة الدين ، ونودي بذلك في البلاد المصرية والشامية .

قال البرزالي : وفي نصف شعبان أمر السلطان بتسليم المنجمين إلى والى القاهرة فضر بوا وحبسوا لافسادهم حال النساء ، فمات منهم أربعة تحمت العقوبة ، ثلاثة من المسلمين ونصراني ، وكتب إلى بذلك الشيخ أبو بكر الرحبي . وفي أول رمضان وصل البريد بتولية الأمير فخر الدين ابن

الشمس أو لؤلؤ ولاية البر بدمشق بعد وفاة شهاب الدين بن المرواني ، ووصل كتاب من مكة إلى دمشق في رمضان يذكر فيه أنها وقعت صواعق ببلاد الحجاز فقتلت جماعة متفرقين في أماكن شتى ، وأمطار كثيرة جداً ، وجاء البريد في رابع رمضان بتولية القاضي محيي الدين بن جميل قضاء طرابلس ، فذهب إليها ، ودرس ابن المجد عبد الله بالرواحية عوضاً عن الأصبهاني بحكم إقامته بمصر . وفي آخر رمضان أفرج عن صاحب علاء الدين وأخيه شمس الدين موسى بن التاج إسحاق بعد سجنهما سنة ونصفاً .

وخرج الركب الشامي يوم الخميس عاشر شوال وأميره بدر الدين بن معبد وقاضيه علاء الدين ابن منصور مدرس الحنفية بالقدس بمدرسة تنكز ، وفي الحجاج صدر الدين المالكي ، وشهاب الدين الظاهري ، ومحيي الدين ابن الأعتف وآخرون ، وفي يوم الأحد ثالث عشره درس بالانابكية ابن جملة عوضاً عن ابن جميل تولى قضاء طرابلس ، وفي يوم الأحد عشرينه حكم القاضي شمس الدين محمد بن كامل التدمري ، الذي كان في خطابة الخليل بدمشق نيابة عن ابن جملة ، وفرح الناس بدينه وفضيلته .

وفي ذى القعدة مسك تنكز دوا داره ناصر الدين محمد ، وكان عنده بمكانة عظيمة جداً ، وضربه بين يديه ضرباً مبرحاً ، واستخلص منه أموالاً كثيرة ، ثم حبسه بالقلعة ثم نفاه إلى القدس ، وضرب جماعة من أصحابه منهم علاء الدين بن مقلد حاجب العرب ، وقطع لسانه مرتين ، ومات وتفيرت الدولة وجاءت دولة أخرى مقدمها عنده حمزة الذي كان مميره وعشيرته في هذه المدة الأخيرة ، وانزاحت النجمة عن الدوادار ناصر الدين وذويه ومن يليه .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى القعدة ركب على الكعبة باب حديد أرسله السلطان مرصعا من السبط الأحمر كأنه آبنوس ، مركب عليه صفائح من فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفاً وثلثمائة وكسره ، وقلع الباب العتيق ، وهو من خشب الساج ، وعليه صفائح تسلمها بنو شيبية ، وكان زنتها ستين رطلاً فباعوها كل درهم بدرهمين ، لأجل التبرك . وهذا خطأ وهو ربا - وكان ينبغي أن يبيعوها بالذهب لثلاثين رطلاً يحصل ربا بذلك - وترك خشب الباب العتيق داخل الكعبة ، وعليه اسم صاحب اليمن في الفردتين ، واحدة عليها : اللهم يا ولي يا علي اغفر ليوسف بن عمر بن علي .

ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ الشيخ العالم تقي الدين محمود علي ﴾

ابن محمود بن مقبل الدقوقي أبو الثناء البغدادي محدث بغداد منذ خمسين سنة ، يقرأ لهم الحديث وقد ولي مشيخة الحديث بالمستنصرية ، وكان ضابطاً محصلاً بارعاً ، وكان يعظ ويتكلم في الأعزبية

والأهنية ، وكان فرداً في زمانه وبلاده رحمه الله ، توفي في الحرم وله قريب السبعين سنة ، وشهد جنازته خلق كثير ، ودفن بتربة الامام أحمد ، ولم يخلف درهما واحداً ، وله قصيدتان رثا بهما الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتب بهما إلى الشيخ الحافظ البرزالي رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الامام العالم عز القضاة ﴾

نفر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير المالكي الاسكندري ، أحد الفضلاء المشهورين ، له تفسير في ست مجلدات ، وقصائد في رسول الله ﷺ حسنة ، وله في كان وكان ، وقد سمع الكنيز وروى ، توفي في جمادى الأولى عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن بالاسكندرية رحمه الله .

﴿ ابن جماعة قاضي القضاة ﴾

العالم شيخ الاسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم ابن سعد الله ابن جماعة بن حازم بن صخر الكناني الحموي الأصل ، ولد ليلة السبت رابع ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة بحماة ، وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وحصل علوماً متعددة ، وتقدم وصاد أقرانه ، وباشر تدريس القيمرية ، ثم ولي الحكيم والخطابة بالقدس الشريف ، ثم نقل منه إلى قضاء مصر في الأيام الأشرفية ، ثم باشر تداريس كبارها في ذلك الوقت ، ثم ولي قضاء الشام وجمع له معه الخطابة ومشيخة الشيوخ وتدريس العادلية وغيرها مدة طويلة ، كل هذا مع الرياسة والديانة والصيانة والورع ، وكف الأذى ، وله التصانيف الفائقة النافعة ، وجمع له خطباً كان يخطب بها في طيب صوت فيها وفي قراءته في الحراب وغيره ، ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية بعد وفاة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فلم يزل حاكماً بها إلى أن أضر وكبر وضعفت أحواله ، فاستقال فأقيل وتولى مكانه القزويني ، وبقيت معه بعض الجهات ورتبت له الرواتب الكثيرة الدارة إلى أن توفي ليلة الاثنين بعد عشاء الآخرة حادى عشرين جمادى الأولى ، وقد أكل أربعاً وتسعين سنة وشهراً وأياماً ، وصلى عليه من الغد قبل الظهر بالجامع الناصري بمصر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة هائلة رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام الفاضل مفتي المسلمين ﴾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محيي الدين يحيى بن تاج الدين بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهيل الحامبي الأصل ثم الدمشقي الشافعي ، كان من أعيان الفقهاء ، ولد سنة سبعين وستمائة واشتغل بالعلم ولزم المشايخ ولازم الشيخ الصدر بن الوكيل ، ودرس بالصلاحية بالقدس ، ثم تركها وتحول إلى دمشق فباشر مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة ، ثم ولي مشيخة البادرائية فترك الظاهرية وأقام بتدريس البادرائية إلى أن مات ، ولم يأخذ معلوماً من واحدة منهما ، توفي يوم الخميس بعد العصر تاسع جمادى الآخرة وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية ، وكانت جنازته حافلة .

﴿ تاج الدين عبد الرحمن بن أيوب ﴾

مفصل الموتى في سنة ستين وستمائة ، يقال إنه غسل ستين ألف ميت ، وتوفى في رجب وقد جاوز الثمانين .

﴿ الشيخ نجر الدين أبو محمد ﴾

عبد الله بن محمد بن عبد العظيم ابن السقطي الشافعي ، كان مباشراً شهادة الخزانة ، وناب في الحكم عند باب النصر ودفن بالقرافة ﴿ الامام الفاضل مجموع الفضائل ﴾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب البكري ، نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان لطيف المعاني ناسخاً مطبقاً يكتب في اليوم ثلاث كراريس ، وكتب البخاري ثمانى مرات ويقابله ويجلده ويبيع النسخة من ذلك بألف ونحوه ، وقد جمع تاريخاً في ثلاثين مجلداً ، وكان يفسخه ويبيعه أيضاً بأزيد من ألف ، وذكر أن له كتاباً سماه منتهى الأرب في علم الأدب في ثلاثين مجلداً أيضاً ، وبالجملة كان نادراً في وقته ، توفى يوم الجمعة عشرين رمضان رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك ﴾

الكثير الحجج علي بن الحسن بن أحمد الواسطي المشهور بالخير والصلاح ، وكثرة العبادة والتلاوة والحج ، يقال إنه حج أزيد من أربعين حجة ، وكانت عليه مهابة ولديه فضيلة ، توفى وهو محرم يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى القعدة ، وقد قارب الثمانين رحمه الله .

﴿ الأمير عز الدين إبراهيم بن عبد الرحمن ﴾

ابن أحمد ابن القواس ، كان مباشراً الشد في بعض الجهات السلطانية ، وله دار حسنة بالعقبة الصغيرة ، فلما جاءت الوفاة أوصى أن تجعل مدرسة ، ووقف عليها أوقافاً ، وجعل تدريسها للشيخ عماد الدين الكردي الشافعي ، توفى يوم الأربعاء عشرين الحجة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الأحد وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وفي يوم الجمعة ثاني ربيع الأول أقيمت الجمعة بالخاتونية البرانية ، وخطب بها شمس الدين النجار المؤذن المؤقت بالأموى ، وترك خطابة جامع القابون . وفي مستهل هذا الشهر سافر الأمير شمس الدين محمد التدمري إلى القدس حاكماً به ، وعزل عن نيابة الحكم بدمشق . وفي ثالثه قدم من مصر زين الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة بخطابة القدس ، فخلع عليه من دمشق ثم سافر إليها . وفي آخر ربيع الأول باشر الأمير ناصر الدين بن بكتاش الحسامي شد الأوقاف عوضاً عن شرف الدين محمود بن الخطيرى ، سافر بأهله إلى مصر أميراً نيابة بها عن أخيه بدر الدين مسعود ، وعزل القاضي علاء الدين ابن القلانسي ، وسائر الدواوين والمباشرين الذين في باب ملك الأمراء تنكز وصدروا بمائتي ألف

درهم ، واستدعى من غزوة ناظرها جمال الدين يوسف صهر السنى المستوفى ، فباشر نظر ديوان النائب ونظر المارستان النورى أيضا على العادة .

وفى شهر ربيع الأول أمر تنكز باصلاح باب توما فشرع فيه فرفع بابه عشرة أذرع، ووجدت حجارتها وحديدته فى أسرع وقت ، وفى هذا الوقت حصل بدمشق سيل خرب بعض الجدران ثم تناقص ، وفى أوائل ربيع الآخر قدم من مصر جمال الدين آقوش نائب السكر مجتازاً إلى طرابلس نائبها عوضاً عن قرطاً ، توفى . وفى جمادى الأولى طلب القاضى شهاب الدين ابن المجد عبد الله إلى دار السعادة فولى وكالة بيت المال عوضاً عن ابن القلانسى ، ووصل تقليده من مصر بذلك ، وهنأه الناس . وفيه طلب الامير نجم الدين ابن الزبيق من ولاية نابلس فولى شد الدواوين بدمشق ، وقد شغل منصبه شهوراً بعد ابن الخشاب . وفى رمضان خطب الشيخ بدر الدين أبو اليسر ابن الصائغ بالقدس عوضاً عن زين الدين ابن جماعة لاعراضه عنها واختياره العود إلى بلده .

﴿ قضية القاضى ابن جملة ﴾

لما كان فى العشر الأخير من رمضان وقع بين القاضى ابن جملة وبين الشيخ الظهير شيخ ملك الأمراء - وكان هو السفير فى تولية ابن جملة القضاء - فوقع بينهما منافسة ومحاققة فى أمور كانت بينه وبين الدوادار المتقدم ذكره ناصر الدين ، فحلف كل واحد منهما على خلاف ما حلف به الآخر عليه ، وتفاصلا من دار السعادة فى المسجد ، فلما رجع القاضى إلى منزله بالعادية أرسل إليه الشيخ الظهير ليحكم فيه بما فيه المصلحة ، وذلك عن مرسوم النائب ، وكأنه كان خديعة فى الباطن وأظهاراً لنصرة القاضى عليه فى الظاهر ، فبدر به القاضى بادى الرأى فمزره بين يديه ، ثم خرج من عنده فتسلمه أعوان ابن جملة فطافوا به بالبلد على حمار يوم الأربعاء سابع عشرين رمضان ، وضربوه ضرباً عنيفاً ، ونادوا عليه : هذا جزاء من يكذب ويفتات على الشرع ، فتألم الناس له لكونه فى الصيام . وفى العشر الأخير من رمضان ، ويوم سبع وعشرين ، وهو شيخ كبير صائم ، فيقال : إنه ضرب يومئذ ألفين ومائة وإحدى وسبعين درة والله أعلم ، فما أمسى حتى استفتى على القاضى المذكور وداروا على المشايخ بسبب ذلك عن مرسوم النائب ، فلما كان يوم تاسع عشرين رمضان عقد نائب السلطنة بين يديه بدار السعادة مجلساً حافلاً بالقضاة وأعيان المفتين من سائر المذاهب ، وأحضر ابن جملة قاضى الشافعية والمجلس قد احتفل بأهله ، ولم يأذنوا لابن جملة فى الجلوس ، بل قام قائماً ثم أجلس بعد ساعة جيدة فى طرف الحلقة ، إلى جانب المحفة التى فيها الشيخ الظهير ، وادعى عليه عند بقية القضاة أنه حكم فيه لنفسه ، واعتدى عليه فى العقوبة ، وأفاض الحاضرون فى ذلك ، وانتشر الكلام وفهموا من نفس النائب الخط على ابن جملة ، والميل عنه بعد أن كان إليه ، فما انفصل المجلس حتى حكم القاضى

شرف الدين المالكي بفسقه وعزله وسجنه ، فانفض المجلس على ذلك ، و رسم على ابن جملة بالعدراوية ثم نقل إلى القلعة جزاء وفاقا والحمد لله وحده ، وكان له في القضاء سنة ونصف إلا أياما ، وكان يباشر الأحكام جيدا ، وكذا الأوقاف المتعلقة به ، وفيه نزاهة وتمييز الأوقاف بين الفقهاء والفقراء ، وفيه صرامة وشهامة وإقدام ، ولكنه أخطأ في هذه الواقعة ، وتمدى فيها فآل أمره إلى هذا .

وخرج الركب يوم الاثنين عاشر شوال وأميره الجي بغا وقاضيه مجد الدين ابن حيان المصري وفي يوم الاثنين رابع عشر ينة درس بالاقبالية الحنفية نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي الحنفي عوضا عن شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الأصبهاني ابن العجمي الجبلي ، ويعرف بابن الحنبلي ، وكان فاضلا دينيا متقشفا كثير الوسوسة في الماء جدا ، وأما المدرس مكانه وهو نجم الدين بن الحنفي فانه ابن خمس عشرة سنة ، وهو في النباهة والفهم ، وحسن الاشتغال والشكل والوقار ، بحيث غبط الحاضرون كلهم أباه على ذلك ، ولهذا آل أمره أن تولى قضاء القضاة في حياة أبيه ، نزل له عنه وحدث سيرته وأحكامه .

وفي هذا الشهر أثبت محضر في حق صاحب شمس الدين غيريال المتوفى هذه السنة أنه كان يشتري أملاكا من بيت المال ويوقفها ويتصرف فيها تصرف الملاك لنفسه ، وشهد بذلك كمال الدين الشيرازي وابن أخيه عماد الدين وعلاء الدين القلانسي وابن خاله عماد الدين القلانسي ، وعز الدين ابن المنجا ، واتي الدين ابن مراحل ، وكال الدين بن الغويرة ، وأثبت على القاضي برهان الدين الزرعي الحنبلي ونفذه بقية القضاة ، وامتنع المحتسب عز الدين ابن القلانسي من الشهادة فرسم عليه بالعدراوية قريبا من شهر ، ثم أفرج عنه وعزل عن الحسبة ، واستمر على نظر الخزانة .

وفي يوم الأحد ثامن عشر من ذي القعدة حملت خلعة القضاء إلى الشيخ شهاب الدين ابن المجد وكيل بيت المال يومئذ ، فلبسها وركب إلى دار السعادة وقرىء تقليده بمحضرة نائب السلطنة والقضاة ثم رجع إلى مدرسته الاقبالية فقرىء بها أيضا وحكم بين خصمين ، وكتب على أوراق السائلين ، ودرس بالعادلية والغزالية والانا بكيتين مع تدريس الاقبالية عوضا عن ابن جملة . وفي يوم الجمعة حضر الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وفي صحبته صاحب حماة الأفضل ، فتلقاها تنكز وأكرمهما ، وصليا الجمعة عند النائب ثم توجها إلى مصر ، فتلقاها أعيان الأمراء وأكرم السلطان مهنا بن عيسى وأطلق له أموالا جزيلة كثيرة ، من الذهب والفضة والقماش ، وأقطعه عدة قرى ورسم له بالعود إلى أهله ، وفرح الناس بذلك ، قالوا وكان جميع ما أنعم به عليه السلطان قيمة مائة ألف دينار ، وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وسبعين خلعة .

وفي يوم الأحد سادس الحجة حضر درس الرواحية الفخر المصري عوضا عن قاضي القضاة

ابن المجد وحضر عنده القضاة الأربعة وأعيان الفضلاء . وفي يوم عرفة خلع على نجم الدين بن أبي الطيب بوكالة بيت المال ، عوضا عن ابن المجد ، وعلى عماد الدين ابن الشيرازي بالحسبة عوضا عن عز الدين ابن القلانسي وخرج الثلاثة من دار السعادة بالطرحات .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الأجل التاجر الصدوق ﴾

بدر الدين إياؤ بن عبد الله عتيق النقيب شجاع الدين إدريس ، وكان رجلا حسنا يتجر في الجوخ ، مات فجأة عصر يوم الخميس خامس محرم ، وخلف أولادا وثروة ، ودفن بباب الصغير ، وله بر وصدقة ومعروف ، وسبع بمسجد ابن هشام .

﴿ الصدر أمين الدين ﴾

محمد بن نجر الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن أبي العيش الأنصاري الدمشقي باني المسجد المشهور بالربوة ، على حافة بردى ، والظهارة الحجارة إلى جانبه ، والسوق الذي هناك ، وله بجامع النيرب ميعاد . ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وسمع البخاري وحدث به ، وكان من أكابر التجار ذوى اليسار ، توفي بكرة الجمعة سادس المحرم ودفن بتربته بقاسيون رحمه الله .

﴿ الخطيب الامام العالم ﴾

عماد الدين أبو حفص عمر الخطيب ، ظهير الدين عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر ابن عبد الله بن الحسن القرشي الزهرى النابلسي ، خطيب القدس ، وقاضى نابلس مدة طويلة ، ثم جمع له بين خطابة القدس وقضاها ، وله اشتغال وفيه فضيلة ، وشرح صحيح مسلم في مجلدات ، وكان سريع الحفظ سريع الكتابة ، توفي ليلة الثلاثاء عاشر المحرم ودفن باملا رحمه الله .

﴿ الصدر شمس الدين ﴾

محمد بن إسماعيل بن حماد التاجر بقمسارية الشرب ، كتب المنسوب وانتفع به الناس ، وولى التجار لأمانته وديانته ، وكانت له معرفة ومطالعة في الكتب ، توفي تاسع صفر عن نحو ستين سنة . ودفن بقاسيون رحمه الله . ﴿ جمال الدين قاضى القضاة الزرعى ﴾

هو أبو الربيع سليمان ابن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر بن عثمان الأذرى الشافعى ولد سنة خمس وأربعين وستمائة بأذرع ، واشتغل بدمشق فحصل ، وناب في الحكم بزراع مدة ففرغ بالزرعى لذلك ، وإنا هو من أذرع وأصله من بلاد المغرب ، ثم ناب بدمشق ثم انتقل إلى مصر فناب في الحكم بها ، ثم استقل بولاية القضاء بها نحواً من سنة ، ولى قضاء الشام مدة مع مشيخة الشيوخ نحواً من سنة ، ثم عزل وبقى على مشيخة الشيوخ نحواً من سنة مع تدريس الانابكية ، ثم تحول إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر ، ثم توفي بها يوم الأحد سادس صفر وقد قارب

السبعين رحمه الله، وقد خرج له البرزالي مشيخة سمعناها عليه وهو بدمشق عن اثنين وعشرين شيخا.

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد ﴾

زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي الحنبلي ، أحد فضلاء الحنابلة ،
وهن صنف في الحديث والفقہ والتصوف وأعمال القلوب وغير ذلك ، كان فاضلا له أعمال كثيرة ،
وقد وقعت له كائنة في أيام الظاهر أنه أصيب في عقله أو زوال فكره ، أو قد عمل على الرياضة
فاحترق بطنه من الجوع ، فرأى خيالات لاحقيقة لها فاعتقد أنها أمر خارجي ، وإنما هو خيال فكري
فاسد . وكانت وفاته في نصف صفر ببعلبك ، ودفن بباب سطحاوالم يكمل الستين ، وصلى عليه بدمشق صلاة
الغائب ، وعلى القاضي الزرعي معا . ﴿ الأمير شهاب الدين ﴾

نائب طرابلس له أوقاف وصدقات ، وبر وصلات ، توفي بطرابلس يوم الجمعة ثامن عشر صفر
ودفن هناك رحمه الله .

﴿ الشيخ عبد الله بن يوسف بن أبي بكر الاسعدي الموقت ﴾

كان فاضلا في صناعة الميقات وعلم الاضطراب وما جرى مجراه ، بارعا في ذلك ، غير أنه لا ينفع
به لسوء أخلاقه وشراستها ، ثم إنه ضعف بصره فسقط من قياسارية بحسى عشية السبت عاشر ربيع
الأول ، ودفن بباب الصغير . ﴿ الأمير سيف الدين بلبان ﴾

طرفا بن عبد الله الناصري ، كان من المقدمين بدمشق ، وجرت له فصول يطول ذكرها ، ثم
توفي بداره عند مأذنة فيروز ليلة الأربعاء حادي عشر ربيع الأول ، ودفن بتربة اتخذها
إلى جانب داره ، ووقف عليها مقرئين ، وبني عندها مسجدا بأمام ومؤذن .

﴿ شمس الدين محمد بن يحيى بن محمد ابن قاضي حران ﴾

ناظر الأوقاف بدمشق ، مات الليلة التي مات فيها الذي قبله ، ودفن بقاسيون ، وتولى مكانه
عماد الدين الشيرازي . ﴿ الشيخ الامام ذو الفنون ﴾

تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمي الاسكندراني ، المعروف بابن
الفاكهي ، ولد سنة أربع وخمسين وستائة ، وسمع الحديث واشتغل بالفقہ على مذهب مالك ، وبرع
وتقدم بمعرفة النحو وغيره ، وله مصنفات في أشياء متفرقة ، قدم دمشق في سنة إحدى وثلاثين
وسبعمائة في أيام الاخواني ، فأنزله في دار السعادة وسمعنا عليه ومعه ، وخرج من دمشق عامئذ وسمع
عليه في الطريق ، ورجع إلى بلاده ، توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى ، وصلى عليه بدمشق
حين بلغهم خبر موته . ﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

أمين الدين أيمن بن محمد ، وكان يذكر أن اسمه محمد بن محمد إلى سبع عشر نفسا كلهم اسمه

محمد ، وقد جاور بالمدينة مدة سنين إلى أن توفي ليلة الخميس ثامن ربيع الأول ، ودفن بالبقيع وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب . ﴿ الشيخ نجم الدين القباني الحموي ﴾

عبد الرحمن بن الحسن بن يحيى اللخمي القباني ، قرية من قرى أشمون الرمان ، أقام بحماة في زاوية بزار ويلتمس دعاؤه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، حسن الطريقة إلى أن توفي بها آخر نهار الاثنين رابع عشر رجب ، عن ست وستين سنة ، وكانت جنازته حافلة هائلة جداً ، ودفن شمالي حماة ، وكان عنده فضيلة ، واشتغل على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وله كلام حسن يؤثر عنه رحمه الله . ﴿ الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ﴾

الحافظ العلامة البارع ، فتح الدين بن أبي الفتح محمد بن الامام أبي عمرو محمد بن الامام الحافظ الخطيب أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الربعي اليعمرى الاندلسي الاشبيلي ثم المصري ، ولد في العشر الأول من ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وسمع الكثير وأجازله الرواية عنهم جماعات من المشايخ ، ودخل دمشق سنة تسعين فسمع من الكندي وغيره ، واشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه في علوم شتى من الحديث والفقه والنحو من العربية ، وعلم السير والتواريخ وغير ذلك من الفنون ، وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين ، وشرح قطعة حسنة من أول جامع الترمذي ، رأيت منها مجلداً بخطه الحسن ، وقد حرر وحرير وأفاد وأجاد ، ولم يسلم من بعض الانتقاد ، وله الشعر الرائق النائق ، والنثر الموافق ، والبلاغة التامة ، وحسن التصنيف والتصنيف ، وجودة البديهة ، وحسن الطوية ، وله العقيدة السلفية الموضوعية على الآي والأخبار والآثار والافتناء بالآثار النبوية ، ويذكر عنه سوء أدب في أشياء آخر^(١) سماحه الله فيها ، وله مدائح في رسول الله ﷺ حسان ، وكان شيخ الحديث بالظاهرة بمصر ، وخطب بجامع الخندق ، ولم يكن في مصر في مجموعه مثله في حفظ الأسانيد والمتون والعمل والفقه والملح والأشعار والحكايات ، توفي فجأة يوم السبت حادي عشر شعبان ، وصلى عليه من الغد ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن عند ابن أبي جرة رحمه الله . ﴿ القاضي محمد الدين بن حرمي ﴾

ابن قاسم بن يوسف العامري النافوسي الشافعي ، وكيل بيت المال ، ومدرس الشافعي وغيره ، كانت له همة ونهضة ، وعلمت سنه وهو مع ذلك يحفظ ويشغل ويشغل ، ويلقى الدروس من حفظه إلى أن توفي ثاني ذي الحجة ، وولى تدريس الشافعي بعده شمس الدين ابن القماح ، والقبطية بهاء الدين ابن عقيل ، والوكالة نجم الدين الاسعدي المحتسب ، وهو كان وكيل بيت الظاهر .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، وناظر الجامع عز الدين ابن المنجا ، والمحتسب

(١) في الشذرات « ويذكر عنه شئون آخر » .

عماد الدين الشيرازى وغيرهم . وفي مستهل المحرم يوم الخميس درس بأم الصالح الشيخ خطيب تبرور عوضاً عن قاضى القضاة شهاب الدين ابن المجد ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي سادس المحرم رجع مهنا بن عيسى من عند السلطان فتلقاها النائب والجيش ، وعاد إلى أهله في عز وعافية . وفيه أمر السلطان بعمارة جامع القلعة وتوسيعه ، وعمارة جامع مصر العتيق . وقدم إلى دمشق القاضى جمال الدين محمد بن عماد الدين ابن الأثير كاتب سرها عوضاً عن ابن الشهاب محمود . ووقع في هذا الشهر والذى بعده موت كثير في الناس بالخانوق .

وفي ربيع الأول مسك الامير نجم الدين بن الزيبق مشد الدواوين ، وصودرو بيعت خيوله وحواصله ، وتولاه بعده سيف الدين عمر مملوك بكتمر الحاجب ، وهو مشد الزكاة . وفيه كملت عمارة حمام الأمير شمس الدين حمزه الذى تمكن عند تنكز بعد ناصر الدين الدوادار ، ثم وقعت الشناعة عليه بسبب ظلمه في عمارة هذا الحمام فقابله النائب على ذلك وانتصف للناس منه ، وضربه بين يديه وضربه بالبندق بيده في وجهه ، وسائر جسده ، ثم أودعه القلعة ثم نقله إلى بحيرة طبرية ففرقه فيها ، وعزل الامير جمال الدين نائب الكرك عن نيابة طرابلس حسب سؤاله في ذلك ، وراح إليها طيغال وقدم نائب الكرك إلى دمشق وقد رسم له بالاقامة في سلمخد ، فلما تلقاه نائب السلطنة والجيش نزل في دار السمادة وأخذ سيفه بها ونقل إلى القلعة ، ثم نقل إلى صفت ثم إلى الاسكندرية ، ثم كان آخر العهد به . وفي جمادى الأولى احتيط على دار الامير بكتمر الحاجب الحسامى بالقاهرة ، ونبشت وأخذ منها شئ كثير جداً ، وكان جد أولاده نائب الكرك المذكور . وفي يوم السبت تاسع جمادى الآخرة باشر حسام الدين أبو بكر ابن الأمير عز الدين أيبك التجبى شدد الأوقاف عوضاً عن ابن بكتناش ، اعتقل ، وخاع على المتولى وهناه الناس . وفي منتصف هذا الشهر علق الستر الجديد على خزانة المصحف العثمانى ، وهو من خز طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة أذرع ونصف ، غرم عليه أربعة آلاف وخمسمائة ، وعمل في مدة سنة ونصف .

وخرج الركب الشامى يوم الخميس تاسع شوال وأميره علاء الدين المرسى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهرى . وفيه رجع جيش حلب إليها وكانوا عشرة آلاف سوى من تبهم من التركان ، وكانوا في بلاد أذنة وطرسوس وإياس ، وقد خربوا وقتلوا خلقاً كثيراً ، ولم يعدم منهم سوى رجل واحد غرق بنهر جاهان ، ولكن كان قتل الكفار من كان عندهم من المسلمين نحواً من ألف رجل ، يوم عيد الفطر فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيه وقع حريق عظيم بحمارة فاحترق منه أسواق كثيرة ، وأملاك وأوقاف ، وهلكت أموال لا تحصر ، وكذلك احترق أكثر مدينة إنطاكية ، فتألم المسلمون لذلك . وفي ذى الحجة خرب المسجد

الذى كان فى الطريق بين باب النصر وبين باب الجابية ، عن حكم القضاة بأمر نائب السلطنة ،
وبنى غربيه مسجد حسن أحسن وأنفع من الأول .

وتوفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح المعمر رئيس المؤذنين بجامع دمشق ﴾

برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الوانى ، ولد سنة ثلاث وأربعين وستائة ، وسمع
الحديث ، وروى ، وكان حسن الصوت والشكل ، محبباً إلى العوام ، توفى يوم الخميس سادس صفر
ودفن بباب الصغير ، وقام من بعده فى الرياسة ولده أمين الدين محمد الوانى المحدث المفيد ، وتوفى
بعده ببضع وأربعين يوماً رحمهما الله .

﴿ الكاتب المطبق المجود الحرر ﴾

بهاء الدين محمود ابن خطيب بعلبك محيى الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السلمى ،
ولد سنة ثمان وثمانين وستائة ، واعتنى بهذه الصناعة فبرع فيها ، وتقدم على أهل زمانه قاطبة فى
النسخ وبقية الأقسام ، وكان حسن الشكل طيب الأخلاق ، طيب الصوت حسن التودد ، توفى فى
سلخ ربيع الأول ودفن بتربة الشيخ أبى عمر رحمه الله .

﴿ علاء الدين السنجارى ﴾

واقف دار القرآن عند باب الناطفانيين شمالى الأموى بدمشق ، على بن إسماعيل بن محمود
كان أحد التجار الصدق الأخيار ، ذوى اليسار المسارعين إلى الخيرات ، توفى بالقاهرة ليلة الخميس
ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن عند قبر القاضى شمس الدين بن الحريرى .

﴿ العدل نجم الدين التاجر ﴾

عبد الرحيم بن أبى القاسم عبد الرحمن الرحبى باني التربة المشهورة بالمرزة ، وقد جعل لها مسجداً
ووقف عليها أوقافاً دارة ، وصدقات هناك ، وكان من أخيار أبناء جنسه ، عدل مرضى عند جميع
الحكام ، وترك أولاداً وأموالاً جمة ، وداراً هائلة ، وبساتين بالمرزة ، وكانت وفاته يوم الأربعاء سابع
عشرين جمادى الآخرة ودفن بتربته المذكورة بالمرزة رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام الحافظ قطب الدين ﴾

أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم بن على بن عبد الحق بن
عبد الصمد بن عبد النور الحلبي الأصل ثم المصرى ، أحد مشاهير المحدثين بها ، والقائمين بحفظ
الحديث وروايته وتدوينه وشرحه والكلام عليه ، ولد سنة أربع وستين وستائة بحلب ، وقرأ
القرآن بالروايات ، وسمع الحديث وقرأ الشاطبية والألفية ، وبرع فى فن الحديث ، وكان حنفى المذهب
وكتب كثيراً وصنف شرحاً لاكثر البخارى ، وجمع تاريخاً لمصر ولم يكملها ، وتكلم على السيرة

التي جمعها الحافظ عبد الغني وخرج لنفسه أربعين حديثاً متباينة الاسناد ، وكان حسن الأخلاق مطرحاً للكافة طاهر اللسان كثير المطالعة والاشتغال ، إلى أن توفي يوم الأحد سلخ رجب ، ودفن من الغد مستهل شعبان عند خاله نصر المنبجى ، وخلف تسعة أولاد رحمه الله .

﴿ القاضي الامام زين الدين أبو محمد ﴾

عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف السبكي ، قاضي الحلة ، والده العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، سمع من ابن الانماطي وابن خطيب المزنة ، وحدث وتوفي تاسع شعبان ، وتبعته زوجته ناصرية بنت القاضي جمال الدين إبراهيم بن الحسين السبكي ، ودفنت بالقرافة ، وقد سمعت من ابن الصابوني شيئاً من سنن النسائي ، وكذلك ابنتها محمديّة ، وقد توفيت قبلها .

﴿ تاج الدين علي بن إبراهيم ﴾

ابن عبد الكريم المصري ، ويعرف بكاتب قطلبك ، وهو والد العلامة فخر الدين شيخ الشافعية ومدرسه في عدة مدارس ، والده هذا لم يزل في الخدمة والكتابة إلى أن توفي عنده بالمعادلية الصغيرة ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان ، وصلى عليه من الغد بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

﴿ الشيخ الصالح عبد الكافي ﴾

ويعرف بعبيد ابن أبي الرجال بن حسين بن سلطان بن خليفة المنيني ، ويعرف بابن أبي الازرق ، مولده في سنة أربع وأربعين وستائة بقرينته من بلاد بعلبك ، ثم أقام بقرية منين ، وكان مشهوراً بالصلاح وقرئ عليه شيء من الحديث وجاوز التسعين .

﴿ الشيخ محمد بن عبد الحق ﴾

ابن شعبان بن علي الأنصاري ، المعروف بالسياح ، له زاوية بسفح قاسيون بالوادي الشمالي مشهورة به ، وكان قد بلغ التسعين ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكانت له معرفة بالأمر وعنده بعض مكاشفة ، وهو رجل حسن ، توفي أواخر شوال من هذه السنة .

﴿ الأمير سلطان العرب ﴾

حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا ، أمير العرب بالشام ، وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من ذرية الولد الذي جاء من العباسية أخت الرشيد فآله أعلم . وقد كان كبير القدر محترماً عند الملوك كلهم ، بالشام ومصر والعراق ، وكان ديناً خيراً متحيزاً للحق ، وخلف أولاداً وورثة وأموالاً كثيرة ، وقد بلغ سناً عالية ، وكان يحب الشيخ تقي الدين بن تيمية حباً زائداً ، هو وذريته وعربيه ، وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام ، يسمعون قوله ويمثلونه ، وهو الذي نهاهم أن يغير بعضهم على بعض ، وعرفهم أن ذلك حرام ، وله في ذلك مصنف جليل ،

وكانت وفاة مهنا هذا ببلاد سلمية في ثامن عشر ذى القعدة ، ودفن هناك رحمه الله .

﴿ الشيخ الزاهد ﴾

فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلي المقيم بالمسماوية ، أصله من بلاد حبراحي ، كان متقللاً من الدنيا يلبس ثياباً طوالاً وعمامة هائلة ، وهي بأرخص الأثمان ، وكان يعرف تعبير الرؤيا ويقصد لذلك ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وقد عرضت عليه وظائف بجوامك كثيرة فلم يقبلها ، بل رضى بالرغيد الهني من العيش الخشن إلى أن توفي في ذى الحجة ، وله نحو تسعين سنة ، ودفن بالقرب من قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهما الله ، وكانت جنازته حافلة جداً .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعائة ﴾

استهلت بيوم الجمعة والحكام هم المذكورون في التي قبلها . وفي أول يوم منها ركب تنكز إلى قلعة جعبر ومعه الجيش والمناجنيق فغابوا شهراً وخمسة أيام وعادوا سالمين . وفي ثامن صفر فتحت الخانقاه التي أنشأها سيف الدين قوصون الناصري خارج باب القرافة ، وتولى مشيختها الشيخ شمس الدين الأصبهاني المتكلم . وفي عاشر صفر خرج ابن جملة من السجن بالقلعة وجاءت الأخبار بموت ملك التتار أبي سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولابن كوبن تولى بن جنكزخان ، في يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر بدار السلطنة بقرباباغ ، وهي منزلهم في الشتاء ، ثم نقل إلى تربته بمدينة التي أنشأها قريبا من السلطانية مدينة أبيه ، وقد كان من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها ، وقد عز أهل السنة بزمانه وذلت الرافضة ، بخلاف دولة أبيه ، ثم من بعده لم يبق للتتار قائمة ، بل اختلفوا ففرقوا شذر مندر إلى زماننا هذا ، وكان القائم من بعده بالأمر ارتكأون من ذرية أبغا ، ولم يستمر له الأمر إلا قليلاً .

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى درس بالناصرية الجوانية بدر الدين الأردبيلي عوضاً عن كمال الدين ابن الشيرازي توفي ، وحضر عنده القضاة . وفيه درس بالظاهرية البرانية الشيخ الامام المقرئ سيف الدين أبو بكر الحريري عوضاً عن بدر الدين الأردبيلي ، تركها لما حصلت له الناصرية الجوانية ، وبعده بيوم درس بالنجيبية كاتبه إسماعيل ابن كثير عوضاً عن الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني تركها حين تعين له تدريس الظاهرية الجوانية ، وحضر عنده القضاة والاعيان وكان درسا حافلاً أثنى عليه الحاضرون وتعجبوا من جمعه وترتيبه ، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل . وفي يوم الأحد رابع عشره ذكر الدرس بالظاهرية المذكورة ابن قاضي الزبداني عوضاً عن علاء الدين ابن القلانسي توفي ، وحضر عنده القضاة والاعيان ، وكان يوماً مطيراً .

وفي أول جمادى الآخرة وقع غلاء شديد بديار مصر واشتد ذلك إلى شهر رمضان، وتوجه خلق كثير في رجب إلى مكة نحواً من ألفين وخمسمائة، منهم عز الدين ابن جماعة، ونجر الدين النويري وحسن السلامي، وأبو الفتح السلامي، وخلق. وفي رجب كملت عمارة جسر باب الفرج وعمل عليه بأسورة ورسم باستمرار فتحه إلى بعد العشاء الآخرة كبقية سائر الأبواب، وكان قبل ذلك يغلغ من المغرب. وفي سابع رجب أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه نجم الدين ابن خيلخان تجاه باب كيسان من القبلة، وخطب فيه الشيخ الامام العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية. وفي ثاني شعبان باشر كتابة السر بدمشق القاضي علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل، عوضاً عن كمال الدين ابن الأثير، عزل وراح إلى مصر. وفي يوم الأربعاء رابع رمضان ذكر المدرس بالأمينية الشيخ بهاء الدين ابن إمام المشهد عوضاً عن علاء الدين بن القلانسي. وفي العشرين منه خلع على الصدر نجم الدين بن أبي الطيب بنظر الخزانة مضافاً إلى ما بيده من وكالة بيت المال، بعد وفاة ابن القلانسي بشهور.

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطلودمر الخليلي. ومن حج فيه قاضي طرابلس محيي الدين بن جهيل، والفخر المصري، وابن قاضي الزبداني، وابن العز الحنفي، وابن غانم والسخاوي وابن قيم الجوزية، وناصر الدين بن البربوه الحنفي، وجاءت الأخبار بوقعة جرت بين التتار قتل فيها خلق كثير منهم، وانتصر على باشا وسلطانه الذي كان قد أقامه، وهو موسى كاوون على اربا كاوون وأصحابه، فقتل هو ووزيره ابن رشيد الدولة، وجرت خطوب كثيرة طويلة، وضربت البشار بدمشق.

وفي ذي القعدة خلع على ناظر الجامع الشيخ عز الدين بن المنجا بسبب إكاله البطائن في الرواق الشمالي والغربي والشرقي، ولم يكن قبل ذلك له بطائن. وفي يوم الأربعاء سابع الحجة ذكر المدرس بالشبلية القاضي نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي الحنفي، وهو ابن سبع عشرة سنة، وحضر عنده القضاة والأعيان، وشكروا من فضله ونباهته، وفرحوا لأبيه فيه. وفيها عزل ابن النقيب عن قضاء حلب ووليها ابن خطيب جسر ين، وولى الحسبة بالقاهرة ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد خطيب بيت الأبار، خلع عليه السلطان. وفي ذي القعدة رسم السلطان باعتقال الخليفة المستكفي وأهله، وأن يمنعوا من الاجتماع، فأل أمرهم كما كان أيام الظاهر والمنصور.

ومن توفي فيها من الأعيان. ﴿ السلطان أبو سعيد ابن خر بندا ﴾

وكان آخر من اجتمع شمل التتار عليه، ثم تفرقوا من بعده.

﴿ الشيخ المعمر الرحلة ﴾

شمس الدين علي بن محمد بن ممدود بن عيسى البندنيجي الصوفي، قدم علينا من بغداد شيخاً

كبيراً راوياً لأشياء كثيرة ، فيها صحيح مسلم والترمذي وغير ذلك ، وعنده فوائد ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة ، وكان والده محدثاً فاسمه أشياء كثيرة على مشايخ عدة ، وكان موته بدمشق رابع المحرم .

﴿ قاضي قضاة بغداد ﴾

قطب الدين أبو الفضائل محمد بن عمر بن الفضل التبريزي الشافعي المعروف بالأحوس ، سمع شيئاً من الحديث واشتغل بالفقه والأصول والمنطق والعربية والمعاني والبيان ، وكان بارعاً في فنون كثيرة ودرس بالمستنصرية بعد العاقولي . وفي مدارس كبار ، وكان حسن الخلق كثير الخير على الفقراء والضعفاء ، متواضعاً يكتب حسناً أيضاً ، توفي في آخر المحرم ودفن بترتبة له عند داره ببغداد رحمه الله .

﴿ الأمير صارم الدين ﴾

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أبي الزهر ، المعروف بالمنزال ، كانت له مطالعة وعنده شيء من التاريخ ، ويحاضر جيداً ، ولما توفي يوم الجمعة وقت الصلاة السادس والعشرين من المحرم دفن بترتبة له عند حمام العديم .

﴿ الأمير علاء الدين مغلطاي الخازن ﴾

نائب القلعة وصاحب التربة تجاه الجامع المظفرى من الغرب ، كان رجلاً جيداً ، له أوقاف وبر وصدقات ، توفي يوم الجمعة بكرة عاشر صفر ، ودفن بتربته المذكورة .

﴿ القاضي كمال الدين ﴾

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله بن الشيرازي الدمشقي ، ولد سنة سبعين ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزارى ، والشيخ زين الدين الفارقي ، وحفظ مختصر المزني ودرس في وقت بالبادرائية ، وفي وقت بالشامية البرانية ، ثم ولي تدريس الناصرية الجوانية مدة سنين إلى حين وفاته ، وكان صدراً كبيراً ، ذكر لقضاء قضاة دمشق غير مرة ، وكان حسن المباشرة والشكل ، توفي في ثالث صفر ودفن بتربتهم بسفح قاسيون رحمه الله .

﴿ الأمير ناصر الدين ﴾

محمد بن الملك المسعود جلال الدين عبد الله بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، كان شيخاً مسناً قد اعتنى بصحيح البخاري يختصره ، وله فهم جيد ولديه فضيلة ، وكان يسكن المزة وبها توفي ليلة السبت خامس عشرين صفر ، وله أربع وسبعون سنة ، ودفن بتربتهم بالمزة رحمه الله .

﴿ علاء الدين ﴾

علي بن شرف الدين محمد بن القلانسي قاضي العسكر ووكيل بيت المال ، وموقع الدست ، ومدرس الأئمية والظاهرية وغير ذلك من المناصب ، ثم سلبها كلها سوى التدريس ، وبقي معزولاً إلى حين أن توفي بكرة السبت خامس وعشرين صفر ، ودفن بتربتهم .

﴿ عز الدين أحمد بن الشيخ زين الدين ﴾

محمد بن أحمد بن محمود العقيلي ، ويعرف بابن القلانسي ، محتسب دمشق وناظر الخزانة ، كان محمود المباشرة ، ثم عزل عن الحسبة واستمر بالخزانة إلى أن توفي يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى ودفن بقاسيون .

﴿ الشيخ علي بن أبي المجد بن شرف بن أحمد الحمصي ﴾

ثم الدمشقي مؤذن البربوة خمساً وأربعين سنة ، وله ديوان شعر وتعاليق وأشياء كثيرة مما ينكر أمرها ، وكان محلولاً في دينه ، توفي في جمادى الأولى أيضاً .

﴿ الأمير شهاب الدين بن برق ﴾

متولى دمشق ، شهد جنازته خالق كثير ، توفي ثاني شعبان ودفن بالصالحية وأثنى عليه الناس .

﴿ الأمير نجر الدين ابن الشمس لؤلؤ ﴾

متولى البر ، كان مشكوراً أيضاً ، توفي رابع شعبان ، وكان شيخاً كبيراً ، توفي ببستانه ببیت لهيا ودفن بتربته هناك وترك ذرية كثيرة رحمه الله .

﴿ عماد الدين إسماعيل ﴾

ابن شرف الدين محمد بن الوزير فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن صغير بن القيسراني ، أحد كتاب الدست ، وكان من خيار الناس ، محبباً إلى الفقراء والصالحين ، وفيه مروءة كثيرة ، وكتب بمصر ثم صار إلى حلب كاتب سرها ، ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات ليلة الأحد ثالث عشر القعدة ، وصلى عليه من الغد بجامع دمشق ، ودفن بالصوفية عن خمس وستين سنة ، وقد سمع شيئاً من الحديث على الأبرقوهي وغيره .

وفي ذى القعدة توفي شهاب الدين ابن القديسة المحدث بطريق الحجاز الشريف . وفي ذى الحجة توفي الشمس محمد المؤذن المعروف بالنجار ويعرف بالبتي ، وكان يتكلم وينشد في المحافل ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الجمعة والخليفة المستنكفي بالله قد اعتقله السلطان الملك الناصر ، ومنعه من الاجتماع بالناس ، ونائب الشام تنكز بن عبد الله الناصري ، والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب السرفانه علم الدين بن القطب ، ووالى البر الأمير بدر الدين بن قطلوبك ابن شنشنيكير ، ووالى المدينة حسام الدين طرقتاي الجوكنداري .

وفي أول يوم منها يوم الجمعة وصات الأخبار بأن على باشا كسر جيشه ، وقيل إنه قتل ، ووصلت كتب الحجاج في الثاني والعشرين من المحرم تصف مشقة كثيرة حصلت للحجاج من

موت الجمال وإلقاء الأحمال ومشى كثير من النساء والرجال ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله على كل حال .

وفي آخر المحرم قدم إلى دمشق القاضي حسام الدين حسن بن محمد الغورى قاضى بغداد ، وكان والوزير نجم الدين محمود بن على بن شروان الكردي ، وشرف الدين عثمان بن حسن البلدى فأقاموا ثلاثة أيام ثم توجهوا إلى مصر فحصل لهم قبول تام من السلطان ، فاستقضى الأول على الحنفية كما سيأتى ، واستوزر الثانى وأمر الثالث . وفي يوم عاشوراء أحضر شمس الدين مجد بن الشيخ شهاب الدين بن اللبان الفقيه الشافعى إلى مجلس الحكم الجلالى ، وحضر معه شهاب الدين بن فضل الله مجد الدين الأقصرائى شيخ الشيوخ ، وشهاب الدين الأصهبانى ، فادعى عليه بأشياء منكورة من الحلول والاتحاد والغلو فى القرمطة وغير ذلك ، فأقر ببعضها فحكم عليه بحرق دمه ثم توسط فى أمره وأبقيت عليه جهاته ، ومنع من الكلام على الناس ، وقام فى صفة جماعة من الأمراء والأعيان . وفي صفر احترق بقصر حجاج حريق عظيم أنف دورا ودكا كين عديدة .

وفي ربيع الأول ولد للسلطان ولد فدقت البشار وزينت البلاد أياما . وفي منتصف ربيع الآخر أمر الأمير صارم الدين إبراهيم الحاجب الساكن تجاه جامع كريم الدين طبلخاناه ، وهو من كبار أصحاب الشيخ تقي الدين رحمه الله ، وله مقاصد حسنة صالحة ، وهو فى نفسه رجل جيد . وفيه أفرج عن الخليفة المستكفى وأطلق من البرج فى حادى عشرين ربيع الآخر ولزم بيته . وفي يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة أقيمت الجمعة فى جامعين بمصر ، أحدهما أنشأه الأمير عز الدين أيدير بن عبد الله الخطيرى ، ومات بعد ذلك بائنى عشر يوما رحمه الله ، والثانى أنشأته امرأة يقال لها الست حدق دادة السلطان الناصر عند قنطرة السباع . وفي شعبان سافر القاضى شهاب الدين أحمد بن شرف بن منصور النائب فى الحكم بدمشق إلى قضاء طرابلس ، وناب بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي . وفيه خلع على عز الدين بن جماعة بوكالة بيت المال بمصر ، وعلى ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار بالحسبة بالقاهرة ، مع ما بيده من نظر الأوقاف وغيره . وفيه أمر الأمير ناظر القدس بطبلخاناه ثم عاد إلى القدس .

وفي عاشر رمضان قدمت من مصر مقدمتان ألفتان إلى دمشق سائرة إلى بلاد سييس ، وفيهم علاء الدين ، فاجتمع به أهل العلم وهو من أفاضل الحنفية ، وله مصنفات فى الحديث وغيره . وخرج الركب الشامى يوم الاثنين عاشر شوال وأميره بهادر قبجق ، وقاضيه محيى الدين الطرابلسى مدرس الحصية ، وفى الركب تقي الدين شيخ الشيوخ وعماد الدين ابن الشيرازى ، ونجم الدين الطرسوسى ، وجمال الدين المرادوى ، وصاحبه شمس الدين ابن مفلح ، والصدر المالكى

والشرف ابن القيسراني ، والشيخ خالد المقيم عند دار الطعم ، وجمال الدين بن الشهاب محمود .
وفي ذى القعدة وصلت الأخبار بأن الجيش تسلموا من بلاد سبغ قلاع ، وحصل لهم
خير كثير والله الحمد ، وفرح المسلمون بذلك . وفيه كانت وقعة هائلة بين التتار انتصر فيها الشيخ
وذووه . وفيها نفي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذويه ، وكانوا قريبا من
مائة نفس إلى بلاد قوص ، ورتب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ علاء الدين بن غانم ﴾

أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي ^(١) أحد الكبار المشهورين بالفضائل
وحسن الترتيل ، وكثرة الأدب والأشعار والمروءة التامة ، مولده سنة إحدى وخمسين وستائة ،
وسمع الحديث الكثير ، وحفظ القرآن والتنبيه ، وباشر الجهات ، وقصده الناس في الامور المهمة ،
وكان كثير الاحسان إلى الخالص والعلم . توفي مرجعه من الحج في منزلة تبوك يوم الخميس ثالث عشر
الحرم ، ودفن هناك رحمه الله ، ثم تبعه أخوه شهاب الدين أحمد في شهر رمضان ، وكان أصغر منه
سنا بسنة ، وكان فاضلا أيضا بارعا كثير الدعاة .

﴿ الشرف محمود الحريري ﴾

المؤذن بالجامع الأموي ، بنى حماما بالنيرب ، ومات في آخر الحرم .

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

ناصر الدين بن الشيخ إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الجعبري ثم المصري ،
ولد سنة خمسين وستائة بقلعة جعبر ، وسمع صحيح مسلم وغيره ، وكان يتكلم على الناس ويعظهم
ويستحضر أشياء كثيرة من التفسير وغيره ، وكان فيه صلاح وعبادة ، توفي في الرابع والعشرين
من الحرم ، ودفن بزوايتهم عند والده خارج باب النصر .

﴿ الشيخ شهاب الدين عبد الحق الحنفي ﴾

أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن قاضي الحنفيين ويعرف بابن عبد الحق الحنفي ،
شيخ المذهب ومدرس الحنفية وغيرها ، وكان بارعا فاضلا دينا ، توفي في ربيع الأول .

﴿ الشيخ عماد الدين ﴾

إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي الامام العالم
العابد شيخ الحنابلة بها وفقههم من مدة طويلة ، توفي في ربيع الاول .

﴿ الشيخ الامام العابد الناسك ﴾

محب الدين عبد الله بن أحمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن

عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسى الحنبلى ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكتب الطباق وانتفع الناس به ، وكانت له مجالس وعظ من الكتاب والسنة فى الجامع الأموى وغيره ، وله صوت طيب بالقراءة جداً ، وعليه روح وسكينة ووقار ، وكانت مواعيده مفيدة ينتفع بها الناس ، وكان شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية يحبه ويحب قراءته ، توفى يوم الاثنين سابع ربيع الأول ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن بقاسيون وشهد الناس له بخير ، رحمه الله تعالى ، وبلغ خمسا وخمسين سنة .

﴿ المحدث البارع المحصل المفيد المخرج المجيد ﴾

ناصر الدين محمد بن طغرل بن عبد الله الصيرفى أبوه ، الخوارزمى الأصل ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكان سريع القراءة ، وقرأ الكتب الكبار والصغار ، وجمع وخرج شيئاً كثيراً ، وكان بارعاً فى هذا الشأن ، رحل فأدركته منيته بحمالة يوم السبت ثانى ربيع الأول ، ودفن من الغد بمقابر طيبة رحمه الله .

﴿ شيخنا الامام العالم العابد ﴾

شمس الدين أبو محمد عبد الله بن العفيف محمد بن الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى النابلسى الحنبلى ، إمام مسجد الحنابلة بها ، ولد سنة سبع وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وكان كثير العبادة حسن الصوت ، عليه البهاء والوقار وحسن الشكل والسمت ، قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعنا من القدس كثيراً من الأجزاء والفوائد ، وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف أحد مفتية الحنابلة وغيرهم ، والمشهورين بالخير والصلاح ، توفى يوم الخميس ثانى عشر ربيع الآخر ودفن هناك رحمه الله .

﴿ الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد ﴾

إبراهيم المرشدى المقيم بمنية مرشد ، يقصده الناس للزيارة ، ويضيف الناس على حسب مراتبهم وينفق نفقات كثيرة جداً ، ولم يكن يأخذ من أحد شيئاً فيما يبدو للناس ، والله أعلم بحاله ، وأصله من قرية دهر وط ، وأقام بالقاهرة مدة واشتغل بها ، ويقال إنه قرأ التنبيه فى الفقه ، ثم انقطع بمنية مرشد واشتهر أمره فى الناس وحجج مرات ، وكان إذا دخل القاهرة يزدحم عليه الناس ، ثم كانت وفاته يوم الخميس ثامن رمضان ودفن بزوايته ، وصلى عليه بالقاهرة ودمشق وغيرها .

﴿ الأمير أسد الدين ﴾

عبد القادر بن المغيث عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وأسمع ، وكان يأتى كل سنة من مصر إلى دمشق ويكرم أهل الحديث ، ولم يبق من بعده من بنى أبوب أعلا سنامنه ، توفى بالملة فى سلخ رمضان رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح الفاضل ﴾

حسن بن إبراهيم بن حسن الحامى الحكرى إمام مسجد هناك ، ومذكر الناس فى كل جمعة ،

ولديه فضائل ، وفي كلامه نفع كثير إلى أن توفي في العشرين من شوال ، ولم ير الناس مثل جنازته بديار مصر رحمه الله تعالى . ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الأربعاء والخليفة المستكفي منى ببلاد قوص ، ومعه أهله وذووه ، ومن يلوذ به ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور ، ولانائب بديار مصر ولا وزير ، ونائبه بدمشق تنكز ، وقضاة البلاد ونوابها ومباشرها المذكورون في التي قبلها . وفي ثالث ربيع الأول رسم السلطان بتسفير على ومحمد ابني داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى الفيوم يقيمون به . وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر عزل القاضي علم الدين بن القطب عن كتابة السر وضرب وصودر ، ونكسب بسببه القاضي نجر الدين المصري ، وعزل عن مدرسته الدوالية وأخذها ابن جملة ، والعدالية الصغيرة بأثرها ابن النقيب ، ورسم عليه بالعدراوية مائة يوم ، وأخذ شيء من ماله . وفي ليلة الأحد ثالث عشر من ربيع الأول بعد المغرب هبت ريح شديدة بمصر وأعقبها رعد وبرق وبرد بقدر الجوز ، وهذا شيء لم يشاهدوا مثله من أعصار متطاولة بتلك البلاد . وفي عاشر جمادى الأولى استهل الغيث بمكة من أول الليل ، فلما انتصف الليل جاء سيل عظيم هائل لم ير مثله من دهر طويل ، فخرّب دورا كثيرة نحواً من ثلاثين أو أكثر ، وغرق جماعة وكسر أبواب المسجد ، ودخل الكعبة وارتفع فيها نحواً من ذراع أو أكثر ، وجرى أمر عظيم حكاها الشيخ عفيف الدين الطبري . وفي سابع عشر من جمادى الأولى عزل القاضي جلال الدين عن قضاء مصر ، واتفق وصول خبر موت قاضي الشام ابن المجد بعد أن عزل ببسير ، فولاه السلطان قضاء الشام فسار إليها راجعاً عادياً على بده ، ثم عزل السلطان برهان الدين بن عبد الحق قاضي الحنفية ، وعزل قاضي الحنابلة آقاي الدين ، ورسم على ولده صدر الدين بأداء ديون الناس إليهم ، وكانت قريبا من ثلثمائة ألف ، فلما كان يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة بعد سفر جلال الدين بخمسة أيام طلب السلطان أعيان الفقهاء إلى بين يديه فسألهم عن من يصلح للقضاء بمصر فوقع الاختيار على القاضي عز الدين ابن جماعة ، فولاه في الساعة الزاهنة ، وولى قضاء الحنفية لحسام الدين حسن بن محمد الغوري قاضي بغداد ، وخرجا من بين يديه إلى المدرسة الصالحية ، وعليهما الخلع ، ونزل عز الدين بن جماعة عن دار الحديث الكاملية لصاحبه الشيخ عماد الدين الدمياطي ، فدرس فيها وأورد حديث «إنما الأعمال بالنيات» . بسنده ، وتكلم عليه . وعزل أكثر نواب الحكم واستمر بعضهم ، واستمر بالمنادي الذي أشار بتوليته . ولما كان يوم خامس عشر من ربيع الثاني عزل القاضي الحنابلة الامام العالم موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسي عوضا عن المعزول ، ولم يبق من القضاة سوى الاخنائي المالكي .

وفي رمضان فتحت الصبائية التي أنشأها شمس الدين بن تقي الدين ابن الصباب التاجر دار قرآن ودار حديث ، وقد كانت خربة شنيعة قبل ذلك . وفي رمضان باشر علاء الدين علي ابن القاضي محي الدين بن فضل الله كتابة السر بمصر بعد وفاة أبيه كما سيأتي ترجمته ، وخلص عليه وعلى أخيه بدر الدين ، ورسم لهما أن يحضرا مجلس السلطان ، وذهب أخوه شهاب الدين إلى الحج . وفي هذا الشهر سقط بالجانب الغربي من مصر بردكا لبيض وكالرمان ، فأتلف شيئا كثيرا ، ذكر ذلك البرزالي ونقله من كتاب الشهاب الهمياطي . وفي ثالث عشر من رمضان درس بالقبة المنصورية بمشيخة الحديث شهاب الدين العسجدي عوضا عن زين الدين الكناني توفي ، فأورد حديثا من مسند الشافعي بروايته عن الجاولي بسنده ، ثم صرف عنها بالحجة بالشيخ أثير الدين أبي حيان ، فساق حديثا عن شيخه ابن الزبير ودعا للسلطان وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفي ذى القعدة حضر تدريس الشامية البرانية قاضي القضاة شمس الدين ابن النقيب عوضا عن القاضي جمال الدين ابن جملة توفي ، وحضر خلق كثير من الفقهاء والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفي ثاني ذى الحجة درس بالعادلية الصغيرة تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني عوضا عن الشيخ شمس الدين بن النقيب بحكم ولايته الشامية البرانية ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي هذا الشهر درس القاضي صدر الدين بن القاضي جلال الدين بالانابكية ، وأخوه الخطيب بدر الدين بالغرالية والعادلية نيابة عن أبيه . انتهى والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ الأمير الكبير بدر الدين محمد بن نغر الدين عيسى ابن التركاني ﴾

باني جامع المقياس بديار مصر في أيام وزارته بها ، ثم عزل أميرا إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر إلى أن توفي بها في خامس ربيع الآخر ، وتوفي بالحسينية ، وكان مشكورا رحمه الله ، انتهى .

﴿ قاضي القضاة شهاب الدين ﴾

محمد بن المجد بن عبد الله بن الحسين بن علي الرازي الاربلي الأصل ، ثم الدمشقي الشافعي ، قاضي الشافعية بدمشق ، ولد سنة ثنتين وستين وستمائة ، واشتغل وبرع وحصل وأفتى سنة ثلاث وتسعين ، ودرس بالاقبالية ثم الرواحية وتربة أم الصالح ، وولى وكالة بيت المال ، ثم صار قاضي قضاة الشام إلى أن توفي بمسهل جمادى الأولى بالمدرسة العادلية ، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام العالم ﴾

زين الدين محمد بن عبد الله ابن الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد بن المرحل مدرس الشامية البرانية والعندراوية بدمشق ، وكان قبل ذلك بمشهد الحسين ، وكان فاضلا بارعا فقيها

أصوليا مناظرا ، حسن الشكل طيب الأخلاق ، دينا صينا ، وفاب في وقت بدمشق عن علم الدين الأحنائي فحمدت سيرته ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع عشر رجب ، ودفن من الغد عند مسجد الديان في تربة لهم هناك ، وحضر جنازته القاضي جلال الدين ، وكان قد قدم من الديار المصرية له يومان فقط ، وقدم بعده القاضي برهان الدين عبد الحق بخمسة أيام ، هو وأهله وأولاده أيضا ، وباشر بعده تدريس الشامية البرانية قاضي القضاة جمال الدين ابن جملة ، ثم كانت وفاته بعده بشهور ، وذلك يوم الخميس رابع عشر ذي القعدة . وهذه ترجمته في تاريخ الشيخ علم الدين البرزالي :

﴿ الشيخ الامام العالم قاضي القضاة ﴾

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم بن جملة بن مسلم بن همام بن حسين بن يوسف الصالحى الشافعى المحجى والده ، بالمدرسة السرورية وصلى عليه عقيب الظهر يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة ، ودفن بسفح قاسيون ، ومولده في أوائل سنة ثنتين وثمانين وستمائة ، وسمع من ابن البخارى وغيره ، وحدث وكان رجلا فاضلا في فنون ، اشتغل وحصل وأفتى وأعاد ودرس ، وله فضائل جمّة ومباحث وفوائد وهمة عالية وحرمة وافرة ، وفيه تودد وإحسان وقضاء للحقوق ، وولى القضاء بدمشق نيابة واستقلالا ، ودرس بمدارس كبار ، ومات وهو مدرس الشامية البرانية ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام قاضي القضاة ﴾

شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن القاضي شمس الدين أبى الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله الجهينى الحموى ، المعروف بابن البارزى قاضي القضاة بحمة ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة في الفنون العديدة ، ولد في خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وحصل فنونا كثيرة ، وصنف كتبها كثيرة ، وكان حسن الأخلاق كثير المحاضرة حسن الاعتقاد فى الصالحين ، وكان معظما عند الناس ، وأذن لجماعة من البلد فى الافتاء ، وعى فى آخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة ، ثم نزل عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم ، وهو فى ذلك لا يقطع نظره عن المنصب ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء العشرين من ذي القعدة بعد أن صلى العشاء والوتر ، فلم تفته فرضة ولا نافلة ، وصلى عليه من الغد ودفن بعقبة تقيرين ، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة .

﴿ الشيخ الامام العالم ﴾

شهاب الدين أحمد بن البرهان شيخ الحنفية بحلب ، شارح الجامع الكبير ، وكان رجلا صالحا منقطعا عن الناس ، وانتفع الناس به ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامن والعشرين من رجب ، وكانت

له معرفة بالعربية والقراءات ، ومشاركات في علوم آخر رحمة الله ، والله أعلم .
 ﴿ القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب السر ﴾

هو أبو المعالي يحيى بن فضل الله بن المحلى بن دعجمان بن خلف العدوى العمري ، ولد في حادي عشر شوال سنة خمس وأربعين وستائة بالكرك ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان صدرا كبيرا معظما في الدولة في حياة أخيه شرف الدين وبعده ، وكتب السر بالشام وبالديار المصرية ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع رمضان بديار مصر ، ودفن من الغد بالقرافة وتولى المنصب بعده ولده علاء الدين ، وهو أصغر أولاده الثلاثة المعينين لهذا المنصب .

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

زين الدين ابن السكتاني ، شيخ الشافعية بديار مصر ، وهو أبو حفص عمر بن أبي الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقي الأصل ، ولد بالقاهرة في حدود سنة ثلاث وخمسين وستائة ، واشتغل بدمشق ثم رحل إلى مصر واستوطنها وتولى بها بعض الأفضية بالحكر ، ثم ناب عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد فحمدت سيرته ، ودرس بمدارس كبار ، ولى مشيخة دار الحديث بالقبة المنصورية ، وكان بارعا فاضلا ، عنده فوائد كثيرة جدا ، غير أنه كان سيء الأخلاق منقبضا عن الناس ، لم يتزوج قط ، وكان حسن الشكل بهي المنظر ، يأكل الطيبات ويلبس اللين من الثياب ، وله فوائد وفرائد وزوائد على الروضة وغيرها ، وكان فيه استمثار لبعض العلماء فله يسامحه ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء المنتصف من رمضان ، ودفن بالقرافة رحمه الله انتهى .

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

ركن الدين بن القويح ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الوسي الهاشمي الجعفري التونسي المالكي ، المعروف بابن القويح ، كان من أعيان الفضلاء وسادة الأذكياء ، ممن جمع الفنون الكثيرة والعلوم الأخرى الدينية الشرعية الطيبة ، وكان مدرسا بالمنكود مرية ، وله وظيفة في المارستان المنصوري ، وبها توفي في بكرة السابع عشر من ذي الحجة ، وترك مالا وأثانا ورثه بيت المال *

وهذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي ، وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا ، وكان فراغى من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، أحسن الله خاتمتها آمين . وإلى هنا انتهى ما كتبته من لدن خلق آدم إلى زماننا هذا والله الحمد والمنة . وما أحسن ما قال الحريري !

وإن نجد عيباً فسد الخلالا * فجل من لا عيب فيه وعلا

كتبه إسماعيل بن كثير بن صنو القرشي الشافعي عفا الله تعالى عنه آمين . (١)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت وسلطان الاسلام والمسلمين بالديار المصرية وما والاها والديار الشامية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، ولا نائب له ولا وزير أيضاً بمصر ، وقضاة مصر ، أما الشافعي فقاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، وأما الحنفي فقاضي القضاة حسام الدين الغوري ، حسن بن محمد ، وأما المالكي فتقى الدين الأحنائي ، وأما الحنبلي ففوق الدين بن نجا المقدسي ، ونائب الشام الأمير سيف الدين تنكز وقضاته جلال الدين القزويني الشافعي المعزول عن الديار المصرية ، والحنفي عماد الدين الطرسوسي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي علاء الدين بن المنجا التنوخي .

ومما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكرية وباشر مشيخة الحديث بها الشيخ الامام الحافظ مؤرخ الاسلام محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، وقرر فيها ثلاثون محدثاً لكل منهم جراية وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز ، وقرر للشيخ ثلاثون ورطل خبز ، وقرر فيها ثلاثون نفرًا يقرؤون القرآن لكل عشرة شيخ ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين ، ورتب لها إمام وقارئ حديث ونواب ، ولقارئ الحديث عشرون درهماً وثمان أواق خبز ، وجاءت في غاية الحسن في شكلاتها وبنائها ، وهي تجاه دار الذهب التي أنشأها الواقف الأمير تنكز ، ووقف عليها عدة أماكن : منها سوق القشاشيين بباب الفرج ، طوله عشرون ذراعاً شرقاً وغرباً ، سماه في كتاب الوقف ، وبندر زيبدين ، وحمام بحمص وهو الحمام القديم ، ووقف عليها حصصاً في قرايا آخر ، ولكنه تغلب على ماعدا القشاشيين ، وبندر زيبدين ، وحمام حمص .

وفيها قدم القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي من الديار المصرية حاكماً على دمشق وأعمالها ، وفرح الناس به ، ودخل الناس يسلمون عليه لعلمه وديانته وأمانته ، ونزل بالمعادلية الكبيرة على عادة من تقدمه ، ودرس بالغزالية والابابكية ، واستناب ابن عمه القاضي بهاء الدين أبو البقاء ، ثم استناب ابن عمه أبا الفتح ، وكانت ولايته الشام بعد وفاة قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني الشافعي ، على ما سيأتي بيانه في الوفيات من هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان في المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

﴿ العلامة قاضي القضاة نجر الدين ﴾

عثمان بن الزين علي بن عثمان الحلبي ، ابن خطيب جسر بن الشافعي ، ولي قضاء حلب وكان

إماماً صنّف شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه ، وشرح البديع لابن الساعاتي ، وله فوائد غزيرة ومصنفات جليلة ، تولى حلب بعد عزل الشيخ ابن النقيب ، ثم طلبه السلطان فمات هو وولده الكمال وله بضع وسبعون سنة . ومن توفى فيها

﴿ قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ﴾

القرظي وبني الشافعي ، قدم هو وأخوه أيام النترمن بلادهم إلى دمشق ، وهما فاضلان ، بعد التسعين وستمائة فدرس إمام الدين في تربة أم الصالح وأعاد جلال الدين بالبادرائية عند الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين شيخ الشافعية ، ثم تقلبت بهم الأحوال إلى أن ولي إمام الدين قضاء الشافعية بدمشق ، انتزع له من يد القاضي بدر الدين ابن جماعة ، ثم هرب سنة قازان إلى الديار المصرية مع الناس فمات هنالك ، وأعيد ابن جماعة إلى القضاء ، وخطب خطابة البلد سنة ثلاث وسبعمائة ، فولياها جلال الدين المذكور ، ثم ولي القضاء بدمشق سنة خمس وعشرين مع الخطابة ، ثم انتقل إلى الديار المصرية سنة سبع وعشرين بعد أن عجز قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بسبب الضرر في عينيه فلما كان في سنة ثمان وثلاثين تعصب عليه السلطان الملك الناصر بسبب أمور يطول شرحها ، ونفاه إلى الشام ، واتفق موت قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله كما تقدم ، فولاه السلطان قضاء الشام عوداً على بدء ، فاستتاب ولده بدر الدين على نيابة القضاء الذي هو خطيب دمشق ، كانت وفاته في أواخر هذه السنة ، ودفن بالصوفية ، وكانت له يد طويلة في المعاني والبيان ، ويفتي كثيراً ، وله مصنفات في المعاني مصنّف مشهور [اسمه للتأخيص] اختصر فيه المفتاح للسكاكي ، وكان مجموع الفضائل ، مات وكان عمره قريباً من السبعين أو جاوزها . ومن توفى فيها رابع الحجّة يوم الأحد :

﴿ الشيخ الامام العالم الحافظ ﴾

علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البرزالي مؤرخ الشام الشافعي ، ولد سنة وفاة الشيخ ابن أبي شامة سنة خمس وستين وستمائة ، وقد كتب تاريخاً ذيل به على الشيخ شهاب الدين ، من حين وفاته ومولد البرزالي إلى أن توفى في هذه السنة ، وهو محرم ، فغسل وكفن ولم يستر رأسه ، وحمله الناس على نعشه وهم يبكون حوله ، وكان يوماً مشهوداً ، وسمع الكثير أزيد من ألف شيخ ، وخرج له الحديث ثمس الدين ابن سعد مشيخة لم يكملها ، وقرأ شيئاً كثيراً ، وأسمع شيئاً كثيراً ، وكان له خط حسن ، وخلق حسن ، وهو مشكور عند القضاة ومشايخه أهل العلم ، سمعت العلامة ابن تيمية يقول : نقل البرزالي نقر في حجر . وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرمونه ، وكان له أولاد ماتوا قبله ، وكتبت ابنته فاطمة البخاري في ثلاثة عشر مجلداً فقابلها لها ، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزني تحت القبة ، حتى صارت نسختها أصلاً معتمداً يكتب منها الناس ، وكان شيخ حديث بالنورية

وفيهما وقف كتبه بدار الحديث السفية ، و بدار الحديث القوصية وفي الجامع وغيره وعلى كراسي الحديث ، وكان متواضعا محببا إلى الناس ، متوددا إليهم ، توفي عن أربع وسبعين سنة رحمه الله .

﴿ المؤرخ شمس الدين ﴾

محمد بن إبراهيم الجوزي ، جمع تاريخا حافلا ، كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ كلزى والذهبي والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله ، وكان شيخا قد جاوز الثمانين ، ، وثقل سمعه وضعف خطه ، وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد وأخوه مجد الدين .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وسبعائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر ، وولاته وقضاته المسد كورن في التي قبلها إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني وتولى العلامة السبكي . ومما وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رؤس النصارى اجتمعوا في كنيستهم وجمعوا من بينهم مالا جزيلًا فدفعوه إلى راهبين قدما عليهما من بلاد الروم ، يحسنان صنعة النفط ، اسم أحدهما ملاني والآخر عازر ، فعملا كحطمان نفط ، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك ، فوضعا في شقوق دكاكين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار ، بحيث لا يشعر أحد بهما ، وهما في زى المسلمين ، فلما كن في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تملقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور ، وأحرقت الدرابزينات ، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء الأتوف ، وصعدوا المنارة وهي تشعل نارا ، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق والله الحمد والمنة ، وأما المأذنة فانها تفجرت أحجارها واحترقت السقالات التي تدل السلام فهدمت وأعيد بناؤها بحجارة جدد ، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام والبلد محاصر بالدجال .

والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من المغرب إلى القيسارية بكملها ، وبما فيها من الأقواس والعمد ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وتطابرت شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمسكن والمدارس ، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة وما كان مقصودهم الا وصول النار إلى معبد المسلمين ، فحال الله بينهم وبين ما يرومون ، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد ، جزاهم الله خيرا . ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسك رؤس النصارى فأمسك منهم نحو من ستين رجلا ، فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المنال ، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد وجعلوا يتأوتون واحدا بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا لعنهم الله ، انتهى

والله أعلم .

﴿ سبب مسك تنكز ﴾

لما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجة جاء الأمير طشتمر من صغد مسرعا وركب جيش دمشق ملبساً ، ودخل نائب السلطنة من قصره مسرعا إلى دار السعادة ، وجاء الجيش فوقفوا على باب النصر ، وكان أراد أن يلبس ويقابل فمدلوه في ذلك ، وقالوا : المصلحة الخروج إلى السلطان سامعا مطيعا ، فخرج بلا سلاح ، فلما برز إلى ظاهر البلد التف عليه الفخرى وغيره ، وأخذوه وذهبوا به إلى ناحية الكسوة ، فلما كان عند قبة يلبغا نزلوا وقيده وخصايه من قصره ، ثم ركب البريد وهو مقيد وساروا به إلى السلطان ، فلما وصل أمر بمسيره إلى الاسكندرية ، وسألوا عن ودائمه فأقر ببعض ، ثم عوقب حتى أقر بالباقي ، ثم قتلوه ودفنوه بالاسكندرية ، ثم نقلوه إلى تربته بدمشق رحمه الله ، وقد جاوز الستين ، وكان عادلا مهيباً عفيف الفرج واليد ، والناس في أيامه في غاية الرخص والأمن والصيانة فرحمه الله ، وبلى بالرحمة تراه .

وله أوقاف كثيرة من ذلك مرستان بصغد ، وجامع بنا بلس وعجلون ، وجامع بدمشق ، ودار حديث بالقدس ودمشق ، ومدرسة وخانقاه بالقدس ، ورباط وسوق موقوف على المسجد الأقصى ، وفتح شباكا في المسجد . انتهى والله تعالى أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان : ﴿ أمير المؤمنين المستكفي بالله ﴾

أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله بن العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن علي ابن أمير المؤمنين المسترشد بالله الهاشمي العباسي ، البغدادي الأصل والمولد ، مولده سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة أو في التي قبلها ، وقرأ واشتغل قليلا ، وعهد إليه أبوه بالأمر وخطب له عند وفاة والده سنة إحدى وسبعمائة ، وفوض جميع ما يتعلق به من الحل والعقد إلى السلطان الملك الناصر ، وسار إلى غزو التتر فشهد مصاف شقحب ، ودخل دمشق في شعبان سنة اثنتين وسبعمائة وهو راكب مع السلطان ، وجميع كبراء الجيش مشاة ، ولما أعرض السلطان عن الأمر وانزل بالكرك التمس الأمراء من المستكفي أن يسلمن من ينهض بالملك ، فقلد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وعقد له اللواء وألبسه خلعة السلطنة ، ثم عاد الناصر إلى مصر وعذر الخليفة في فعله ، ثم غضب عليه وسيره إلى قوص فتوفي في هذه السنة في قوص في مستهل شعبان .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت يوم الأربعاء وسلطان المسلمين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بمصر هم المذكورون في التي قبلها ، وليس في دمشق نائب سلطنة ، وإنما الذي يسد الأمور الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر ، الذي جاء بالقبض على الأمير سيف الدين تنكز ،

ثم جاء المرسوم بالرجوع إلى صغد فركب من آخر النهار وتوجه إلى بلده ، وحواصل الأمير تنكز تحت الحوطة كما هي .

وفي صبيحة يوم السبت رابع المحرم من السنة المذكورة قدم من الديار المصرية خمسة أمراء الأمير سيف الدين بشتك الناصري ومعه برصبغا الحاجب ، وطاشار الدويدار وبنعراو بطا ، فنزل بشتك بالقصر الأباقي والميادين ، وليس معه من مماليكه إلا القليل ، وإنما جاء لتجديد البيعة إلى السلطان لما توهوا من عمالة بعض الأمراء لنائب الشام المنفصل ، وللحوطة على حواصل الأمير سيف الدين تنكز المنفصل عن نيابة الشام وتجهيزها للديار المصرية . وفي صبيحة يوم الاثنين سادسه دخل الأمير علاء الدين الطنبغا إلى دمشق نائباً ، وتلقاه الناس وبشتك والأمراء المصريون ، ونزلوا إلى عتبه فقبلوا العتبه الشريفة ، ورجعوا معه إلى دار السعادة ، وقرئ تقليده . وفي يوم الاثنين ثالث عشره مسك من الأمراء المقدمين أميران كبيران الجبي بغا العادلي ، وطنبغا الحجبي ، ورفعوا إلى القلعة المنصورة واحتيط على حواصلهما . وفي يوم الثلاثاء تحملوا بيت ملك الأمراء سيف الدين تنكز وأهله وأولاده إلى الديار المصرية . وفي يوم الأربعاء خامس عشره ركب نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه الأمير سيف الدين بشتك الناصري والحاجه رقطية وسيف الدين قطلو بغا الفخري وجماعة من الأمراء المقدمين واجتمعوا بسوق الخليل واستدعوا بمالوكي الأمير سيف الدين تنكز وهما جفای وطغای . فأمر بتوسيطهما فوسطاً وعلقا على الخشب ونودي عليهما : هذا جزء من تجارة على السلطان الناصر .

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من هذا الشهر كانت وفاة الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام بقلعة اسكندرية ، قيل مخنوقاً وقيل مسموماً وهو الأصح ، وقيل غير ذلك ، وتأسف الناس عليه كثيراً ، وطال حزنهم عليه ، وفي كل وقت يتذكرون ما كان منه من الهيبة والصيانة والغيرة على حريم المسلمين ومحارم الاسلام ، ومن إقامته على ذوى الحاجات وغيرهم ، ويشتد تأسفهم عليه رحمه الله . وقد أخبر القاضي أمين الدين ابن القلانسي رحمه الله شيخنا الحافظ العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله أن الأمير سيف الدين تنكز مسك يوم الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء وتوفي يوم الثلاثاء وصلى عليه بالاسكندرية ودفن بمقبرتها في الثالث والعشرين من المحرم بالقرب من قبر القباري ، وكانت له جنازة جيدة .

وفي يوم الخميس سابع شهر صفر قدم الأمير سيف الدين طشتمر الذي مسك تنكز إلى دمشق فنزل بوطة برزة بجيشه ومن معه ثم توجه إلى حلب المحروسة نائباً عنها عوضاً عن الطنبغا المنفصل عنها وفي صبيحة يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول نودي في البلد بجنازة الشيخ الصالح العابد

الناسك القدوة الشيخ محمد بن تمام توفي بالصالحية ، فذهب الناس إلى جنازته إلى الجامع المظفرى ، واجتمع الناس على صلاة الظهر فضايق الجامع المذكور عن أن يسمعهم ، وصلى الناس في الطرقات وأرجاء الصالحية ، وكان الجمع كثيرا جدا لم يشهد الناس جنازة بعد جنازة الشيخ تقي الدين بن تيمية مثلها ، لكثرة من حضرها من الناس رجالا ونساء ، وفيهم القضاة والأعيان والأمراء وجمهور الناس يقاربون عشرين ألفا ، وانتظر الناس نائب السلطنة فاشغل بكتاب ورد عليه من الديار المصرية ، فصلى عليه الشيخ بعد صلاة الظهر بالجامع المظفرى ، ودفن عند أخيه في تربة بين تربة الموفق وبين تربة الشيخ أبي عمر رحمهم الله وإيانا .

وفي أول شهر جمادى الأولى توفيت الشيخة العابدة الصالحة العالمة قارئة القرآن أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوجة شيخنا الحافظ جمال الدين المزي عشية يوم الثلاثاء مستهل هذا الشهر وصلى عليها بالجامع صبيحة يوم الأربعاء ودفنت بمقابر الصوفية غربى قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله . كانت عديمة النظير في نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقرانها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح ، يعجز كثير من الرجال عن تجويده ، وختمت نساء كثيرا ، وقرأ عليها من النساء خاق وانتفعن بها وبصلاحها ودينها وزهدتها في الدنيا ، وتقلها منها ، مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أنفقتها في طاعة الله صلاة وتلاوة ، وكان الشيخ محسنا إليها مطيعا ، لا يكاد يخالفها لحبه لها طبعها وشرعا فرحمها الله وقدس روحها ، ونور مضجعها بالرحمة آمين .

وفي يوم الأربعاء والعشرين منه درس بمدرسة الشيخ أبي عمر بسفح قاسيون الشيخ الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى المقدسى الحنبلى ، في التدريس البكتمرى عوضا عن القاضى برهان الدين الزرعى ، وحضر عنده المقادسة وكبار الحنابلة ، ولم يتمكن أهل المدينة من الحضور لكثرة المطر والوحل يومئذ . وتكامل عمارة المنارة الشرقية في الجامع الأموى في العشر الأخير من رمضان ، واستحسن الناس بناءها وإتقانها ، وذكر بعضهم أنه لم يبن في الاسلام منارة مثلها والله الحمد . ووقع لكثير من الناس في غالب ظنونهم أنها المنارة البيضاء الشرقية التى ذكرت في حديث النواس بن سمعان فى نزول عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء فى شرقى دمشق ، فلهذا لفظ الحديث انقلب على بعض الرواة ، وإنما كان على المنارة الشرقية بدمشق ، وهذه المنارة مشهورة بالشرقية لمقابلتها أختها الغربية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفى يوم الثلاثاء سلخ شهر شوال عقد مجلس فى دار العدل بدار السعادة وحضرته يومئذ واجتمع القضاة والأعيان على العادة وأحضر يومئذ عثمان الدكاكى قبحه الله تعالى ، وادعى عليه بعضا من القبول لم يؤثر مثلها عن الحلاج ولا عن ابن أبي الغدافر السلمانى ، وقامت عليه البيعة بدعوى الآلهية

لعنه الله ، وأشياء أخر من التنقيص بالأنبياء ومخالطته أرباب الريب من الباجريقية وغيرهم من الاتحادية عليهم لعائن الله ، ووقع منه في المجلس من إساءة الأدب على القاضي الخنبلي وتضمن ذلك تكفيره من المالكية أيضاً ، فادعى أن له دوافع وقوادح في بعض الشهود ، فرد إلى السجن مقيداً مغلولاً مقبوحاً ، أمكن الله منه بقوته وتأييده ، ثم لما كان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى القعدة أحضر عثمان الدكاكي المذكور إلى دار السعادة وأقيم إلى بين يدي الأمراء والقضاة وسئل عن القوادح في الشهود فعجز فلم يقدر ، وعجز عن ذلك فتوجه عليه الحكم ، فسئل القاضي المالكى الحكم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم حكم بإراقة دمه وإن تاب ، فأخذ المذكور فضربت رقبته بدمشق بسوق الخليل ، ونودي عليه : هذا جزاء من يكون على مذهب الاتحادية ، وكان يوماً مشهوداً بدار السعادة ، حضر خلق من الأعيان والمشايخ ، وحضر شيخنا جمال الدين المزى الحافظ ، وشيخنا الحافظ شمس الدين الذهبي ، وتكلموا وحرصوا في القضية جداً ، وشهدا بزندقه المذكور بالاستفاضة ، وكذا الشيخ زين الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وخرج القضاة الثلاثة المالكى والخنفي والخنبلي ، وهم نفذوا حكمه في المجلس فحضروا قنصل المذكور وكنت مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى القعدة أفرج عن الأميرين العقيلين بالقلعة وهما طنبغا حجا والجبى بغا ، وكذلك أفرج عن خزاندارية تنكز الذين تأخروا بالقلعة ، وفرح الناس بذلك .

﴿ ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون ﴾

في صبيحة يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذى الحجة قدم إلى دمشق الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى نخرج نائب السلطنة وعامة الأمراء لتلقيه ، وكان قدومه على خيل البريد ، فأخبر بوفاة السلطان الملك الناصر ، كانت وفاته يوم الأربعاء آخره . وأنه صلى عليه ليلة الجمعة بعد العشاء ودفن مع أبيه الملك المنصور على ولده أتوك ، وكان قبل موته أخذ العهد لابنه سيف الدين أبى بكر ولقبه بالملك المنصور ، فلما دفن السلطان ليلة الجمعة حضره من الأمراء قليل ، وكان قد ولى عليه الأمير علم الدين الجاولى ، ورجل آخر منسوب إلى الصلاح يقال له الشيخ عمر بن محمد بن إبراهيم الجعبرى ، وشخص آخر من الجبابرية ، ودفن كما ذكرنا ، ولم يحضر ولده ولى عهده دفنه ، ولم يخرج من القلعة ليلتئذ عن مشورة الأمراء لئلا يتخبط الناس ، وصلى عليه القاضي عز الدين بن جماعة إماما ، والجاولى وايدغمش وأمير آخر والقاضى بهاء الدين بن حامد بن قاضى دمشق السبكي ، وجلس الملك المنصور سيف الدنيا والدين أبو المعالى أبو بكر على سرير المملكة .

وفي صبيحة يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة إحدى وسبعائة ، بإيعه

الجيش المصرى ، وقدم الفخرى لأخذ البيعة من الشاميين ، ونزل بالقصر الأبلق وباع الناس
 للملك المنصور بن الناصر بن المنصور ، ودقت البشار بالقلعة المنصورة بدمشق صبيحة يوم الخميس
 الثامن والعشرين منه ، وفرح الناس بالملك الجديد ، وترحموا على الملك ودعوا له وتأسفوا عليه
 رحمه الله . * ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعائة *

استهلت بيوم الأحد وسلطان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية وما والاها الملك المنصور
 سيف الدين أبو بكر بن الملك السلطان الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف
 الدين قلاوون الصالحى ، ونائب الشام الأمير علاء الدين طنبا وقضاة الشام ومصرهم المذكورون فى
 التى قبلها ، وكذا المباشرىون سوى الولاية شهر الله المحرم ﴿ ولاية الخليفة الحاكم بأمر الله ﴾
 وفى هذا اليوم بيع بالخلافة أمير المؤمنين أبو القاسم أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان العباسى
 ولبس السواد وجلس مع الملك المنصور على سرير المملكة ، وألبسه خلعاً سوداء أيضاً ، فجلسا وعليهما
 السواد ، وخطب الخليفة يومئذ خطبة بليغة فصيحة مشتملة على أشياء من المواعظ والأمر بالمعروف
 والنهى عن المنكر ، وخلع يومئذ على جماعة من الأمراء والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان أبو
 القاسم هذا قد عهد إليه أبوه بالخلافة ، ولكن لم يمكنه الناصر من ذلك ، وولى أباه إسحاق إبراهيم
 ابن أخى أبى الربيع ، ولقبه الواثق بالله ، وخطب له بالقاهرة جمعة واحدة فعزله المنصور وقرر أباه القاسم
 هذا ، وأمضى العهد ولقبه المستنصر بالله كما ذكرنا .

وفى يوم الأحد ثامن المحرم مسك الأمير سيف الدين بشتك الناصرى آخر النهار ، وكان قد
 كتب تقليده بقبابة الشام وجامع عليه بذلك وبرز ثقله ثم دخل على الملك المنصور ليودعه فرحب به
 وأجلسه وأحضر طعاماً وأكلا ، وتأسف الملك على فراقه ، وقال : تذهب وتتركنى وحدى ، ثم قام
 لتوديعه وذهب بشتك من بين يديه ثماني خطوات أو نحوها ، ثم تقدم إليه ثلاثة نفر فقطع أحدهم
 سيفه من وسطه بسكين ، ووضع الآخر يده على فمه وكنفه الآخر ، وقيدوه وذلك كله بحضور
 السلطان ، ثم غيب ولم يدر أحد إلى أين صار ، ثم قالوا للمماليك : اذهبوا أنتم فائتوا بمركب الأمير
 غداً ، فهو بائت عند السلطان . وأصبح السلطان وجلس على سرير المملكة وأمر بمسك جماعة من
 الأمراء وتسعة من الكبار ، واحتاطوا على حواصله وأمواله وأملاكه ، فيقال إنه وجد عنده من الذهب
 ألف ألف دينار ، وسبعائة ألف دينار .

﴿ وفاة شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى ﴾

تمرض أياماً يسيرة مرضاً لا يشغله عن شهود الجماعة ، وحضور الدروس ، وإسماع الحديث ، فلما
 كان يوم الجمعة حادى عشر صفر أجمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة ، ثم دخل منزله ليتوضأ

ويذهب للصلاة فاعترضه في باطنه من نص عظيم ، ظن أنه قولنج ، وما كان لإطاعون ، فلم يقدر على حضور الصلاة ، فلما فرغنا من الصلاة أخبرت بأنه منقطع ، فذهبت إليه فدخلت عليه فإذا هو يرتعد رعدة شديدة من قوة الألم الذي هو فيه ، فسألته عن حاله فجعل يكرر الحمد لله ، ثم أخبرني بما حصل له من المرض الشديد ، وصلى الظهر بنفسه ، ودخل إلى الطهارة وتوضأ على البركة ، وهو في قوة الوجد ثم اتصل به هذا الحال إلى الغد من يوم السبت ، فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك ، لكن أخبرتنا بنته زينب زوجتي أنه لما أذن الظهر تغير ذهنه قليلا ، فقالت : يا أبا أذن الظهر ، فذكر الله وقال : أريد أن أصلي فنييم وصلى ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسي حتى جعل لا يفرض بها لسانه ثم قبضت روحه بين الصلاتين ، رحمه الله يوم السبت ثاني عشر صفر ، فلم يمكن تجهيزه تلك الليلة ، فلما كان من الغد يوم الأحد ثالث عشر صفر صبيحة ذلك اليوم ، غسل وكفن وصلى عليه بالجامع الأموي ، وحضر القضاة والأعيان وخلائق لا يحصون كثرة ، وخرج بجنازته من باب النصر ، وخرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه ديوان السلطان ، والصاحب وكاتب السر وغيرهم من الأمراء ، فصلوا عليه خارج باب النصر ، أهمهم عليه القاضي تقي الدين السبكي الشافعي ، وهو الذي صلى عليه بالجامع الأموي ، ثم ذهب به إلى مقابر الصوفية فدفن هناك إلى جانب زوجته المرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله ، عائشة بنت إبراهيم بن صديق ، غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله أجمعين .

﴿ كائنة غريبة جدا ﴾

قدم يوم الأربعاء الثلاثين من صفر أمير من الديار المصرية ومعه البيعة للملك الأشرف علاء الدين كحك بن الملك الناصر ، وذلك بعد عزل أخيه المنصور ، لما صدر عنه من الأفعال التي ذكر أنه تعاطاها من شرب المسكر وغشيان المنكرات ، وتعاطى ما لا يليق به ، ومعاشرته الخاصكية من المردان وغيرهم ، فتملأ على خلمه كبار الأمراء لما رأوا الأمر تفاقم إلى الفساد العريض فأحضروا الخليفة الحاكم بأمر الله أبي الربيع سليمان فأثبت بين يديه ما نسب إلى الملك المنصور المذكور من الأمور فحينئذ خلمه وخلمه الأمراء الكبار وغيرهم ، واستبدلوا مكانه أخاه هذا المذكور ، وسيره إذ ذاك إلى قوص مضيقا عليه ومعه إخوة له ثلاثة ، وقيل أكثر ، وأجلسوا الملك الأشرف هذا على السرير ، وناب له الأمير سيف الدين قوصون الناصري ، واستمرت الأمور على السداد وجاءت إلى الشام فبايعه الأمراء يوم الأربعاء المذكور ، وضربت البشائر عشية الخميس مستهل ربيع الأول وخطب له بدمشق يوم الجمعة بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء .

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول حضر بدار الحديث الأشرفية قاضي القضاة تقي الدين السبكي عوضا عن شيخنا الحافظ جمال الدين المزني ، ومشیخة دار الحديث النورية عوضا عن

ابنه رحمه الله . وفي شهر جمادى الأولى اشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالخص الأخصر قائم في نصره ابن السلطان الأمير أحمد الذى بالكرك ، وأنه يستخدم لذلك ويجمع الجوع فأنه أعلم . وفي العشر الثانى منه وصلت الجيوش صحبة الأمير سيف الدين قتلوا بغا الفخرى إلى الكرك فى طلب ابن السلطان الأمير أحمد . وفى هذا الشهر كثر الكلام فى أمر الأمير أحمد بن الناصر الذى بالكرك ، بسبب محاصرة الجيش الذى صحبة الفخرى له ، واشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالخص الأخصر قائم بجانب أولاد السلطان الذين أخرجوا من الديار المصرية إلى الصعيد ، وفى القيام بالمدافعة عن الأمير أحمد ، ليصرف عنه الجيش ، وترك حصاره وعزم بالذهاب إلى الكرك لنصرة أحمد ابن أستاذه ، وتنبأ له نائب الشام بدمشق ، ونادى فى الجيش للمتقاه ومدافعتهم عما يريد من إقامة الفتنة وشق العصا ، واهتم الجند لذلك ، وتأهبوا واستعدوا ، ولحقهم فى ذلك كلفة كثيرة ، وانزعج الناس بسبب ذلك وتخوفوا أن تكون فتنة ، وحسبوا إن وقع قتال بينهم أن تقوم العشيرات فى الجبال وحوران ، وتتعطل مصالح الزراعات وغير ذلك ، ثم قدم من حلب صاحب السلطان فى الرسلية إلى نائب دمشق الأمير علاء الدين الطنبغا ومعه مشافهة ، فاستمع لها فبعث معه صاحب الميسرة أمان الساقى ، فذهبا إلى حلب ثم رجعا فى أواخر جمادى الآخرة وتوجها إلى الديار المصرية ، واشتهر أن الأمر على ما هو عليه حتى توافق على ما ذكر من رجوع أولاد الملك الناصر إلى مصر ، ما عدا المنصور ، وأن يخلى عن محاصرة الكرك .

وفى العشر الأخير من جمادى الأولى توفى مظفر الدين موسى بن مهنا ملك العرب ودفن بتدمر وفى صبيحة يوم الثلاثاء نانى جمادى الآخرة عند طلوع الشمس توفى الخطيب بدر الدين محمد بن القاضى جلال الدين القزوينى بدار الخطابة بعد رجوعه من الديار المصرية كما قدمنا ، فخطب جمعة واحدة وصلى بالناس إلى ليلة الجمعة الأخرى ثم مرض فخطب عنه أخوه تاج الدين عبد الرحيم على العادة ثلاثة جمع ، وهو مريض إلى أن توفى يومئذ ، وتأسف الناس عليه لحسن شكله وصباحه وجهه وحسن ملتقاه وتواضعه ، واجتمع الناس للصلاة عليه للظهر فتأخر تجهيزه إلى العصر فصلى عليه بالجامع قاضى القضاة تقي الدين السبكي ، وخرج به الناس إلى الصوفية ، وكانت جنازته حافلة جداً ، فدفن عند أبيه بالتربة التى أنشأها الخطيب بدر الدين هناك رحمه الله .

وفى يوم الجمعة خامس الشهر بعد الصلاة خرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين الطنبغا وجميع الجيش قاصدين للبلاد الحلبية للقبض على نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر ، لأجل ما أظهر من القيام مع ابن السلطان الأمير أحمد الذى فى الكرك ، وخرج الناس فى يوم شديد المطر كثير الوحل ، وكان يوماً مشهوداً عصيباً ، أحسن الله العاقبة . وأمر القاضى تقي الدين السبكي الخطيب

المؤذنين بزيادة أذكار على الذي كان سنه فيهم الخطيب بدر الدين من التسبيح والتحميد والتهليل الكثير ثلاثاً وثلاثين ، فزادهم السبكي قبل ذلك : أستغفر الله العظيم ثلاثاً ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم أثبت ما في صحيح مسلم بعد صلاتي الصبح والمغرب : اللهم أجرنا من النار سبعاً ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثاً ، وكانوا قبل تلك السنوات قد زادوا بعد التأذين الآية ليلة الجمعة والتسليم على رسول الله ﷺ ، يبتدئ الرئيس منفرداً ثم يعيد عليه الجماعة بطريقة حسنة ، وصار ذلك سبباً لاجتماع الناس في صحن الجامع لاستماع ذلك ، وكلما كان المبتدئ حسن الصوت كانت الجماعة أكثر اجتماعاً ، ولكن طال بسبب ذلك الفصل ، وتأخرت الصلاة عن أول وقتها . انتهى .

﴿ كائنة غريبة جداً ﴾

وفي ليلة الأحد عشية السبت نزل الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري بظاهر دمشق بين الجسورة وميدان الحصى بالاطلاب الذين جاءوا معه من البلاد المصرية لمحاصرة الكرك للقبض على ابن السلطان الأمير أحمد بن الناصر ، فكشوا على الثنية محاصرين مضيقين عليه إلى أن توجه نائب الشام إلى حلب ، ومضت هذه الأيام المذكورة ، فما درى الناس إلا وقد جاء الفخري وجموعه ، وقد بايعوا الأمير أحمد وسموه الناصر بن الناصر ، وخاعوا بيعة أخيه الملك الأشرف علاء الدين كجك واعتلوا بصفره ، وذكروا إن أتابكة الأمير سيف الدين قوصون الناصري قد عدى على ابني السلطان فقتلها خنقا ببلاد الصعيد : جهز إليهما من تولى ذلك ، وهما الملك المنصور أبو بكر ورمضان ، فننكر الأمير بسبب ذلك ، وقالوا هذا يريد أن يجتاح هذا البيت ليتمكن هو من أخذ المملكة ، فحموا لذلك وبايعوا ابن أستاذهم وجاءوا في الذهاب خلف الجيش ليكونوا عوناً للأمير سيف الدين طشتمر نائب حلب ومن معه ، وقد كتبوا إلى الأمراء يستميلونهم إلى هذا ، ولما نزلوا بظاهر دمشق خرج إليهم من بدمشق من الأكاير والقضاة والمباشرين ، مثل والي البر ووالي المدينة وابن سمندار وغيرهم ، فلما كان الصباح خرج أهالي دمشق عن بكرة أبيهم ، على عاداتهم في قدوم السلاطين ، ودخول الحجاج ، بل أكثر من ذلك من بعض الوجوه ، وخرج القضاة والصاحب والأعيان والولاة وغيرهم ، ودخل الأمير سيف الدين قطلوبغا في دست نيابة السلطنة التي فوضها إليه الملك الناصر الجديد وعن يمينه الشافعي ، وعن شماله الحنفي على العادة ، والجيش كله محقق به في الحديد ، والعقارات والبوقات والنشابة السلطانية والسناجق الخليفة والسلطانية تخفق ، والناس في الدعاء والثناء للفخري ، وهم في غاية الاستبشار والفرح ، وربما نال بعض جهلة الناس من النواب الآخر الذي ذهب إلى حلب ، ودخلت الأطلاب بعده على ترتيبهم ، وكان يوماً مشهوداً ، فنزل شرقي دمشق

قريباً من خان لاجين ، وبعث في هذا اليوم فرسماً على القضاة والصاحب ، وأخذ من أموال الأيتام وغيرها خمسمائة ألف ، وعوضهم عن ذلك بقرية من بيت المال ، وكتب بذلك سجلات ، واستخدم جيداً ، وانضاف إليه من الأمراء الذين كانوا قد تخلفوا بدمشق جماعة منهم عمر الساقى مقدم ، وابن قراستقر وابن الكامل وابن المعظم وابن البلدى وغيرهم ، وبايع هؤلاء كلهم مع مباشرى دمشق للملك الناصر بن الناصر ، وأقام الفخرى على خان لاجين ، وخرج المتعيشون بالصنائع إلى عندهم وضربت البشائر بالقلعة صبيحة يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر ، ونودى بالبلد إن سلطانكم الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبكم سيف الدين قطلو بغا الفخرى ، وفرح كثير من الناس بذلك ، وانضاف إليه نائب صغد وبايعه نائب بعلبك ، واستخدموا له رجالاً وجنداً ، ورجع إليه الأمير سيف الدين سنجر الجمقदार رأس اليمين بدمشق ، وكان قد تأخر في السفر عن نائب دمشق علاء الدين الطنبغا ، بسبب مرض عرض له ، فلما قدم الفخرى رجع إليه وبايع الناصر ابن الناصر ، ثم كاتب نائب حماة تغردمر الذى ناب بمصر للملك المنصور ، فأجابه إلى ذلك وقدم على العسكر يوم السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور ، فى تجمل عظيم وخزائن كثيرة ، ونقل هائل . وفى صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور كسفت الشمس قبل الظهر ، وفى صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخرة ، قدم نائب غزة الأمير آق سنقر فى جيش غزة ، وهو قريب من ألفين ، فدخلوا دمشق وقت الفجر وغدوا إلى معسكر الفخرى ، فانضافوا إليهم ففرحوا بهم كثيراً ، وصار فى قريب من خمسة آلاف مقاتل أو يزيدون .

استهل شهر رجب الفرد والجماعة من أكبر التجار مطلوبون بسبب أموال طلبها منهم الفخرى ، يقوى بها جيشه الذى معه ، ومبلغ ذلك الذى أرادهم ألف ألف درهم ، ومعه مرسوم الناصر بن الناصر ببيع أملاك الأمير سيف الدين قوصون ، إتابك الملك الأشرف علاء الدين كجك ، ابن الناصر التى بالشام ، بسبب إياته عن مبايعة أحمد بن الناصر ، فأشار على الفخرى من أشار بأن يباع للتجار من أملاك الخصاص ، ويحصل مال قوصون من الخصاص ، فرسم بذلك ، وأن يباع للتجار قرية دويه قومت بألف ألف وخمسمائة ألف ، ثم لطف الله وأفرج عنهم بعد ليلتين أو ثلاث ، وتعرضوا عن ذلك بمواصل قوصون ، واستمر الفخرى بمن معه ومن أضيف إليه من الأمراء والاجناد مقيمين بثنية العقاب ، واستخدم من رجال البقاع جماعة كثيرة أكثر من ألف رام ، وأميرهم يحفظ أفواه الطارق ، وأزف قدوم الأمير علاء الدين طنبغا بمن معه من عساكر دمشق ، وجمهور الحلبيين وطائفة الطرابلسيين ، وتأهب هؤلاء لهم . فلما كان الحادى من الشهر اشتهر أن الطنبغا وصل إلى القسطل وبعث ثلاثه فالتقت بطلائع الفخرى ، ولم يكن بينهم قتال والله الحمد والمنة وأرسل الفخرى إلى

القضاة ونوابهم وجماعة من الفقهاء فخرجوا ورجع الشافعي من أثناء الطريق ، فلما وصلوا أمرهم بالسعي بينه وبين الطنبغا في الصلح ، وأن يوافق الفخرى في أمره ، وأن يبائع الناصر بن الناصر ، فأبى فردهم إليه غير مرة ، وكل ذلك يمتنع عليهم ، فلما كان يوم الاثنين رابع عشره عند العصر جاء يريد إلى متولى البلد عند العصر من جهة الفخرى يأمره بفلق أبواب البلد ، فغلقت الأبواب ، وذلك لأن العساكر توجهوا وتوافقوا للقتال ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وذلك أن الطنبغا لما علم أن جماعة قتلوا بغا على ثنية العقاب دار الذرورة من ناحية المعصرة ، وجاء بالجيوش من هناك ، فاستدار له الأмир سيف الدين قتلوا بغا الفخرى بجماعته إلى ناحيته ، ووقف له في طريقه ، وحال بينه وبين الوصول إلى البلد ، وانزعج الناس انزعاجا عظيما ، وغلقت القياسر والأسواق وخاف الناس بعضهم من بعض أن يكون نهب ، فركب متولى البلد الأмир ناصر الدين بن بكباشي ومعه أولاده ونوابه والرجالة ، فسار في البلد وسكن الناس ودعوا له ، فلما كان قريب المغرب فتح لهم باب الجابية ليدخل من هو من أهل البلد ، فحرت في الباب على ما قيل زحمة عظيمة ، وتسخط الجند على الناس في هذه الليلة ، واتفق أنها ليلة الميلاد ، وبات المسلمون مهمومون بسبب العسكر واختلافهم فأصبحت أبواب البلد مغلقة في يوم الثلاثاء سوى باب الجابية ، والأمر على ما هو عليه ، فلما كان عشية هذا اليوم تقارب الجيشان واجتمع الطنبغا وأمرأؤه ، واتفق أمراء دمشق وجمهورهم الذين هم معه على أن لا يقاتلوا مسلما ولا يسالوا في وجه الفخرى وأصحابه سيفا ، وكان قضاة الشام قد ذهبوا إليه مرارا للصلح ، فأبى عليهم إلا الاستمرار على ما هو عليه ، وقويت نفسه عليه انتهى . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

﴿ عجيبة من عجائب الدهر ﴾

فبات الناس متقابلين في هذه الليلة وليس بين الجيشين إلا مقدار ميلين أو ثلاثة ، وكانت ليلة مطيرة ، فما أصبح الصبح إلا وقد ذهب من جماعة الطنبغا إلى الفخرى خلق كثير من أجناد الخلفاء ومن الأمراء والأعيان ، وطلعت الشمس وارتفعت قليلا فنفذ الطنبغا القضاة وبعض الأمراء إلى الفخرى يتهدده ويتوعده ويقوى نفسه عليه . فاساروا عنه قليلا لإساق العساكر من الميمنة والميسرة ومن القلب ، ومن كل جانب مقفرين إلى الفخرى ، وذلك لما هم فيه من ضيق الميش وقلة ما بأيديهم من الأطعمة وعالف الدواب ، وكثرة ما معهم من الكلف ، فأروا أن هذا حال يطول عليهم ، ومقتوا أمرهم غاية المقت ، وتطايبت قلوبهم وقلوب أولئك مع أهل البلد على كراهته لقوة نفسه فيما لا يجدى عليه ولا عليهم شيئا ، فبايعوا على الخامرة عليه ، فلم يبق معه سوى حاشيته في أقل من ساعة واحدة ، فلما رأى الحال على هذه الصفة كر راجعا هاربا من حيث جاء وصحبته

الأمير سيف الدين رقطبة نائب طرابلس ، وأميران آخران ، والتقت العساكر والأمراء ، وجاءت البشارة إلى دمشق قبل الظهر ففرح الناس فرحا شديدا جدا ، الرجال والنساء والولدان ، حتى من لانبوبة له ، ودقت البشار بالقلعة المنصورة ، فأرسلوا في طلب من هرب ، وجلس الفخرى هناك بقية اليوم يحالف الأمراء على أمره الذي جاء له ، فحلفوا له ، ودخل دمشق عشية يوم الخميس في أمهة عظيمة ، وحرمة وافرة ، فنزل القصر الأبقى ونزل الأمير تغردمر بالميدان الكبير ، ونزل عمارى بدار السمادة وأخرجوا الموساوى الذى كان معتقلا بالقلعة ، وجعلوه مشدا على حوطات حواصل الطنبغا وكان قد تغضب الفخرى على جماعة من الأمراء منهم الأمير حسام الدين السمقدار ، أمير حاجب بسبب أنه صاحب املاء الدين الطنبغا ، فلما وقع ما وقع هرب فيمن هرب ، ولكن لم يأت الفخرى ، بل دخل البلد فتوسط في الأمر : لم يذهب مع ذلك ولا جاء مع هذا ، ثم إنه استدرك ما فاتته فرجع من البار إلى الفخرى ، وقيل بل رسم عليه حين جاء وهو مهموم جدا ، ثم إنه أعطى مندبل الأمان ، وكان معهم كاتب السر القاضى شهاب الدين بن فضل الله ، ثم أفرج عنهم ، ومنهم الأمير سيف الدين حفطية وكان شديد الحنق عليه ، فأطلقه من يومه وأعادته إلى الحجوبية ، وأظهر مكارم أخلاق عظيمة ، ورياسة كبيرة ، وكان للقاضى علاء الدين بن المنجاقاضى قضاة الحنابلة في هذه الكائنة سمى مشكور ، ومراجعة كبيرة للأمير علاء الدين الطنبغا ، حتى خيف عليه منه ، وخاطر بنفسه معه ، فأنجح الله مقصده وسلمه منه ، وكبت عدوه والله الحمد والمنة .

وفي يوم السبت السادس والعشرين منه قلد قضاء العساكر المنصورة الشيخ نحر الدين بن الصائع عوضا عن القاضى الحنفى ، الذى كان مع النائب المنفصل ، وذلك أنهم تقموا عليه إفتاءه الطنبغا بقتال الفخرى ، وفرح بولايته أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وذلك لأنه من أخص من صحبه قديما ، وأخذ عنه فوائد كثيرة وعلوما .

وفي يوم الأرباء سابع رجب آخر النهار قدم الأمير قارى من عند الملك الناصر بن الناصر من الكرك وأخبره بما جرى من أمرهم وأمر الطنبغا ، ففرح بذلك وأخبر قارى بقدم السلطان ففرح الناس بذلك واستعدوا له بالآت المملكة وكثرت مطالبته أرباب الأموال والذمة بالجزية .

وفي مستهل رجب من هذه السنة ركب الفخرى في دست النياابة بالموكب المنصور ، وهو أول ركوبه فيه ، وإلى جانبه قارى وعلى قارى خلمة هائلة ، وكثردعاء الناس للفخرى يومئذ ، وكان يوما مشهودا . وفي هذا اليوم خرج جماعة من المقدمين الألوف إلى الكرك بأخبار ابن السلطان بما جرى : منهم تغردمر وإقبغا عبد الواحد وهو الساقى ، وميكلى بغا وغيرهم . وفي يوم السبت ثلثه استدعى الفخرى القاضى الشافعى وألح عليه فى احضار الكتب فى سلط الحكم التى كانت أخذت من

عند الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله من القلعة المنصورة في أيام جلال الدين القزويني ، فأحضرها القاضي بعد جهده ومدافعة ، وخاف على نفسه منه ، فقبضها منه الفخرى بالقصر وأذن له في الانصراف من عنده ، وهو متغضب عليه ، وربما هم بعزله لممانته إياها ، وربما قال قائل هذه فيها كلام يتعلق بمسألة الزيارة ، فقال الفخرى : كان الشيخ أعلم بالله وبرسوله منكم . واستبشر الفخرى باحضارها إليه واستدعى بأخي الشيخ زين الدين عبد الرحمن ، وبالشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن قيم الجوزية وكان له سعي مشكور فيها ، فهنأها باحضاره الكتب ، وبيت الكتب تلك الليلة في خزانته للتبرك وصلى به الشيخ زين الدين أخو الشيخ صلاة المغرب بالقصر ، وأكرمه الفخرى إكراما زائدا لمحبتته الشيخ رحمه الله .

وفي يوم الأحد رابعه دقت البشار بالقلعة وفي باب الميدان لقدم بشير بالقبض على قوصون بالديار المصرية ، واجتمع الناس لذلك واستبشر كثير منهم بذلك ، وأقبل جماعة من الأمراء إلى الكرك لطاعة الناصر بن الناصر ، واجتمعوا مع الأمراء الشاميين عند الكرك ، وطلبوا منه أن ينزل إليهم فأبى وتوهم أن هذه الأمور كلها مكيدة ليقبضوه ويسلموه إلى قوصون ، وطلب منهم أن ينظر في أمره ووردهم إلى دمشق . وفي هذه الأيام وما قبلها وما بعدها أخذ الفخرى من جماعة التجار بالأسواق وغيرها زكاة أموالهم سنة ، فتحصل من ذلك زيادة على مائة ألف وسبعة آلاف ، وصودر أهل الذمة بقریب من ذلك زيادة على الجزية التي أخذت منهم عن ثلاث سنين سلفا وتمجيلا ، ثم نودي في البلد يوم الاثنين الحادي والعشرين من الشهر مناداة صادرة من الفخرى برفع الظلمات والطلبات وإسقاط ما تبقى من الزكاة والمصادرة ، غير أنهم احتاطوا على جماعة من المشاة المكثرين ليشتروا منهم بعض أملاك الخصاص ، والبرهان بن بشارة الخنفي تحت المصادرة والعقوبة على طلب المال الذي وجده في طميرة وجدها فيما ذكر عنه والله أعلم .

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين منه بعد الصلاة دخل الأمراء الستة الذين توجهوا نحو الكرك لطلب السلطان أن يقدم إلى دمشق فأبى عليهم في هذا الشهر ، ووعدهم وقتنا آخر فرجعوا ، وخرج الفخرى لتلقيهم ، فاجتمعوا قبلي جامع القبيبات الكريمي ، ودخلوا كلهم إلى دمشق في جمع كثير من الأتراك الأمراء والجنود ، وعليهم خدمة لعدم قدوم السلطان أيده الله . وفي يوم الأحد قدم البريد خلف قماري وغيره من الأمراء يطلبهم إلى الكرك ، واشتهر أن السلطان رأى النبي ﷺ في المنام وهو يأمره بالنزول من الكرك وقبول المملكة ، فأنشرح الناس لذلك .

وتوفي الشيخ عمر بن أبي بكر بن اليشمعي البسطلي يوم الأربعاء التاسع والعشرين ، وكان رجلا صالحا كثير التسلاوة والصلاة والصدقة ، وحضور مجالس الذكر والحديث ، له همة وصولته على الفقراء

المشبهين بالصالحين وليسوا منهم ، سمع الحديث من الشيخ نحر الدين بن البخارى وغيره وقرأت عليه عن ابن البخارى مختصر المشيخة ، ولازم مجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وانفع به ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفي شهر رمضان المعظم أوله يوم الجمعة ، كان قد نودى في الجيش : أن الرحيل للملتقى السلطان في سابع الشهر ، ثم تأخر ذلك إلى بعد العشر ، ثم جاء كتاب من السلطان بتأخر ذلك إلى بعد العيد وقدم في عاشر الشهر علاء الدين بن تقي الدين الحنفي ، ومعه ولاية من السلطان الناصر بنظر البيارستان النورى ، ومشيخة الربوة ومرتب على الجهات السلطانية ، وكان قد قدم قبله القاضى شهاب الدين بن البارزى بقضاء حمص من السلطان أيده الله تعالى ، وفرح الناس بذلك حيث تكلم السلطان في المملكة وبأمر وولى ووقع والله الحمد . وفي يوم الأربعاء ثالث عشره دخل الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالخص الأخصر من البلاد الحلبية إلى دمشق المحروسة ، وتلقاه الفخرى والأمراء والجيش بكامله ، ودخل في أهبة حسنة ودعاه الناس وفرحوا بقدمه بعد شتاته في البلاد وهر به من بين يدي الطنبا حين قصده إلى حلب كما تقدم ذكره .

وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت الجيوش من دمشق قاصدين إلى غزة لنظرة السلطان حين يخرج من الكرك السعيد ، فخرج يومئذ مقدمان : فغردم واقبغا عبد الواحد فبرزا إلى الكسوة ، فلما كان يوم السبت خرج الفخرى ومعه طشتمر وجمهور الأمراء ، ولم يبق معه بدمشق إلا من احتياج لمقامهم لمهمات المملكة ، وخرج معه القضاة الأربعة ، وقاضى العساكر والموقمين والمصاحب وكتب الجيش وخلق كثير .

وتوفى الشيخ الصالح العابد الناسك أحمد بن .. الملقب بالقصيدة ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان ، وصلى عليه بجماع شكر ، ودفن بالصوفية قريبا من قبر الشيخ جمال الدين المزى ، تغمدهما الله برحمته ، وكان فيه صلاح كثير ، ومواظبة على الصلاة في جماعة ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر مشكورا عند الناس بالخير ، وكان يكثُر من خدمة المرضى بالمارستان وغيره ، وفيه إيثار وقناعة وتزهد كثير ، وله أحوال مشهورة رحمه الله وإيانا .

واشتهر في أواخر الشهر المذكور أن السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد خرج من الكرك المحروس صحبة جماعة من العرب والأترك قاصداً إلى الديار المصرية ، ثم تحرر خروجه منها في يوم الاثنين ثامن عشر الشهر المذكور فدخل الديار المصرية بعد أيام . هذا والجيش صامدون إليه ، فلما تحقق دخوله مصر حثوا في السير إلى الديار المصرية ، وبعث يستحثهم أيضا ، واشتهر أنه لم يجلس على سرير الملك حتى يقدم الأمراء الشاميون صحبة نائبه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى ، ولهذا لم تدق

البشار بالقلع الشامية ولا غيرها فيما باغنا . وجاءت الكتب والأخبار من الديار المصرية بأن يوم الاثنين عاشر شوال كان إجلاس السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد على سرير المملكة ، صعد هو والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكني فوق المنبر ، وهما لابسان السواد ، والقضاة تحتهما على درج المنبر بحسب منازلهم ، فخطب الخليفة ، وخطب الأشرف كجك وولى هذا الناصر ، وكان يوما مشهودا ، وأظهر ولايته لطاشمر نيابة مصر ، والفخرى دمشق ، وأيد غمش حلب فألله أعلم ، ودقت البشار بدمشق ليلة الجمعة الحادى والعشرين من الشهر المذكور ، واستمرت إلى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة ، وزينت البلديوم الأحداث ثلاث عشرين منه ، واحتفل الناس بالزينة . وفي يوم الخميس المذكور دخل الأمير سيف الدين الملك أحد الرؤس المشهورة بمصر إلى دمشق في طلب نيابة حماة حرسها الله تعالى ، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة ورد البريد من الديار المصرية فأخبر أن طاشمر الحص الأخصر مسك ، فتمعجب الناس من هذه الكائنة كثيرا ، فخرج من بدمشق من أعيان الأمراء أمير الحج وغيره وخيم بوطاة برزة وخرج إلى الحج أمير فأخبره بذلك وأمره عن مرسوم السلطان أن ينوب بدمشق حتى يأتى المرسوم بما يعتمد أمير الحج فأجاب إلى ذلك ، وركب في الموكب يوم السبت السادس منه ، وأما الفخرى فإنه لما تنسم هذا الخبر وتحققه وهو بالزعقة فرقى طائفة من مماليكه قريب من ستين أو أكثر ، فاحترق وساق سوقا حثيثا وجاءه الطلب من ورائه من الديار المصرية في نحو من ألف فارس ، صحبة الأميرين : الطنبغا الماردانى ، ويبلغا التحناوى ، ففاتهما وسبق واعترض له نائب غزة في جنده فلم يقدر عليه ، فسلطوا عليه العشيرات ينهبوه فلم يقدر وا عليه إلا فى شىء يسير ، وقتل منهم خلقا ، وقصد نحو صاحبه فيما يزعم الأمير سيف الدين إيد غمش نائب حلب راجيا منه أن ينصره وأن يوافقه على ما قام بنفسه ، فلما وصل أكرمه وأنزله ، وبات عنده ، فلما أصبح قبض عليه وقيده ورده على البريد إلى الديار المصرية ، ومعه التراسيم من الأمراء وغيرهم .

ولما كان يوم الاثنين سلخ ذى القعدة خرج السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن المنصور من الديار المصرية فى طائفة من الجيش قاصداً إلى الكرك الحروس ، ومعه أموال جزيلة ، وحواصل وأشياء كثيرة ، فدخلها يوم الثلاثاء من ذى الحجة وصحبته طاشمر فى محفة ممرضا ، والفخرى مقيدا ، فاعتقلا بالكرك الحروس ، وطلب السلطان آلات من أخشاب ونحوها وحدادين وصناع ونحوها لاصلاح مهمات بالكرك ، وطلب أشياء كثيرة من دمشق ، فحملت إليه ، ولما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذى الحجة ورد الخبر بأن الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي النائب بصغد ركب فى مماليكه وخدمه ومن أطاعه ، وخرج منها فاراً بنفسه من القبض

عليه ، وذكّر أن نائب غزّة قصده ليقبض عليه بمرسوم السلطان ورد عليه من الكرك ؛ فهرب الأحمدي بسبب ذلك ، ولما وصل الخبر إلى دمشق وليس بها نائب انزعج الأمراء لذلك ، واجتمعوا بدار السمادة ، وضرّبوا في ذلك مشورة ثم جردوا إلى ناحية بعلبك أميراً ليصدوه عن الذهاب إلى البرية . فلما أصبح الصباح من يوم الاثنين جاء الخبر بأنه في نواحي الكسوة ، ولا مانع من خلاصه ، فركبوا كلهم ونادى المنادي : من تأخر من الجند عن هذا النفير شنىق ، واستوثقوا في الخروج وقصدوا ناحية الكسوة وبعثوا الرسل إليه ، فذكر اعتذاراً في خروجه وتخلص منهم ، وذهب يوم ذلك ، ورجعوا وقد كانوا ملبسين في يوم حار ، وليس معهم من الأزواد ما يكفيهم سوى يومهم ذلك ، فلما كانت ليلة الثلاثاء ركب الأمراء في طلبه من ناحية ثنية العقاب ، فرجعوا في اليوم الثاني وهو في صحبتهم ، ونزل في القصور التي بناها تنكز رحمه الله ، في طريق داريا ، فأقام بها ، وأجرى عليه مرتباً كاملاً من الشعير والغنم وما يحتاج إليه مثله ، ومعه مماليكه وخدمه ، فلما كان يوم الثلاثاء سادس المحرم ورد كتاب من جهة السلطان فقريء على الأمراء بدار السعادة يتضمن إكرامه واحترامه والصفح عنه لتقدم خدمه على السلطان الملك الناصر وابنه الملك المنصور . ولما كان يوم الأربعاء سابع المحرم [جاء كتاب] إلى الأمير ركن الدين بيبرس نائب الغيبة ابن الحاجب أمش بالقبض على الأحمدي ، فركب الجيش ملبسين يوم الخميس وأوكبوا بسوق الخليل وراسلوه - وقد ركب في مماليكه بالعدد وأظهر الامتناع - فكان جوابه أن لا أسمع ولا أطيع إلا لمن هو ملك الديار المصرية ، فأما من هو مقيم بالكرك ويصدر عنه ما يقال عنه من الأفاعيل التي قد سارت بها الركب ، فلا . فلما بلغ الأمراء هذا توقفوا في أمره وسكنوا ورجعوا إلى منازلهم ، ورجع هو إلى قصره .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعائة ﴾

استهلّت هذه السنة المباركة وسلطان المسدين الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وهو مقيم بالكرك ، قد حاز الحواصل السلطانية من قلعة الجبل إلى قلعة الكرك ، ونائبه الديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلاري ، الذي كان نائباً بفرزة ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في السنة الماضية ، سوى القاضي الحنفي . وأما دمشق فليس لها نائب إلى حينئذ غير أن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب كان استنابه الفخرى بدمشق نائب غيبته ، فهو الذي يسد الأمور مع الحاجب أمش ، وتمر المهمندار ، والأمير سيف الدين الملقب بحلاوة ، وإلى البر ، والأمير ناصر الدين ابن ركباص متولى البلد ، هؤلاء الذين يسدون الأشغال والأمر السلطانية ، والقضاة هم الذين ذكرناهم في السنة الخالية ، وخطيب البلد تاج الدين عبد الرحيم بن القاضي جلال الدين القزويني ، وكاتب السر القاضي شهاب الدين بن فضل الله .

واستهلت هذه السنة والأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي نازل بقصر تنكز بطريق داريا ،
وكتب السلطان واردة في كل وقت بالاحتياط عليه والقبض ، وأن يمك ويبرسل إلى الكرك ، هذا
والأمراء يتوانون في أمره ويسوفون المراسيم ، وقتاً بعد وقت ، وحيناً بعد حين ، ويحملهم على ذلك
أن الأحمدي لا ذنب له ، ومتى مسكه تطرف إلى غيره ، مع أن السلطان يبلغهم عنه أحوال لانرضيهم
من اللعب والاجتماع مع الاراذل والأطراف ببلد الكرك ، مع قتله الفخرى وطشتمر قتلاً فظيماً ،
وسلبه أهلها وسلبه لما على الحریم من الثياب والحلى ، وإخراجهم في أسوأ حال من الكرك ، وتقريبه
النصارى وحضورهم عنده . فحمل الأمراء هذه الصفات على أن بعثوا أحدهم يكشف أمره ، فلم يصل
إليه ، ورجع هاربا خائفاً ، فلما رجع وأخبر الأمراء انزعجوا وتشوشوا كثيراً ، واجتمعوا بسوق
الخليل مراراً وضرّبوا مشورة بينهم ، فاتفقوا على أن يخلموه ، فكتبوا إلى المصريين بذلك ، وأعلموا
نائب حاب أيدغمش ونواب البلاد ، وبقوا متوهمين من هذا الحال كثيراً ومترددین ، ومنهم من
يصانع في الظاهر وليس معهم في الباطن ، وقالوا لاسمع له ولا طاعة حتى يرجع إلى الديار المصرية ،
ويجاس على سرير المملكة ، وجاء كتابه إليهم يعيبنهم ويعنفهم في ذلك ، فلم يفد ، وركب الأحمدي
في الموكب وركبوا عن يمينه وشماله وراحوا إليه إلى القصر ، فسلموا عليه وخدموه ، وتفانم الأمر وعظم
الخطب ، وحملوا هموما عظيمة خوفاً من أن يذهب إلى الديار المصرية فيلف عليه المصريون فيتلطف
الشاميين ، فحمل الناس همهم فأنه هو المستول أن يحسن العاقبة . فلما كان يوم الاحد السادس والعشرين
من المحرم ورد مقدم البريدية ومعه كتب المصريين بأنه لما بلغهم خبر الشاميين كان عندهم من أمر
السلطان أضعاف ما حصل عند الشاميين ، فبادروا إلى ما كانوا عزموا عليه ، ولكن ترددوا خوفاً من
الشاميين أن يخالفهم فيه ويتقدموا في صحبة السلطان لقتالهم ، فلما اطمأنوا من جهة الشاميين صمموا
على عزيمتهم فغلبوا الناصر أحمد وملكوا عليهم أخاه الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن المنصور ،
جعله الله مباركا على المسلمين ، وأجلسوه على السرير يوم الثلاثاء العشرين من المحرم المذكور ، وجاء
كتابه مسلما على أمراء الشام ومقدميه ، وجاءت كتب الأمراء على الأمراء بالسلام والأخبار بذلك
ففرح المسلمون وأمراء الشام والخاصة والعامة بذلك فرحاً شديداً ، ودقت البشار بالقلعة المنصورة
يومئذ ، ورسم بتزيين البلد فزين الناس صبيحة الثلاثاء السابع والعشرين منه ، ولما كان يوم الجمعة
سليخ المحرم خطب بدمشق للملك الصالح عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور .

وفي يوم الخميس سادس صفر درس بالصدرية صاحبنا الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبي
بكر بن أيوب الدرعي إمام الجوزية ، وحضر عنده الشيخ عز الدين بن المنجا الذي نزل له عنها ،
وجماعة من الفضلاء . وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر دخل الأمير سيف الدين تغردمر من الديار

المصرية ، إلى دمشق ذاهبا إلى نيابة حلب الحروسة ، فنزل بالقابون .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر صفر توفي الشيخ الامام العالم الزاهد عبد الله بن أبي الوليد المقرئ المالكي ، إمام المالكية ، هو وأخوه أبو عمر ، بالجامع الأموي بمحراب الصحابة . توفي ببستان بقية السحف ، وصلى عليه بالمصلى ودفن عند أبيه رحمهما الله بمقابر باب الصغير ، وحضر جنازته الأعيان والفقهاء والقضاة ، وكان رجلا صالحا مجتمعا على ديانته وجلالته رحمه الله .

وفي يوم الخميس العشرين من صفر دخل الأمير ايدغمش نائب السلطنة بدمشق ودخل إليهم ناحية القابون قادمًا من حلب ، وتلقاه الجيش بكاله ، وعليه خلعة النيابة ، واحتفل الناس له وأشعلوا الشموع ، وخرج أهل الذمة من اليهود والنصارى يدعون له ومعهم الشموع ، وكان يوما مشهودا ، وصلى يوم الجمعة بالمقصورة ، من الجامع الأموي ، ومعها الأمراء والقضاة ، وقرىء تقليده هناك على السدة وعليه خلعته ، ومعها الأمير سيف الدين ملكتم الرحولى ، وعليه خلعة أيضا .

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر دخل الأمير علم الدين الجاولى دمشق الحروسة ذاهبا إلى نيابة حماة الحروسة ، وتلقاه نائب السلطنة والأمراء إلى مسجد القدم ، وراح فنزل بالقابون ، وخرج القضاة والأعيان إليه ، وسمع عليه من مسند الشافعى فانه يرويه ، وله فيه عمل ، ورتبه ترتيبا حسنا ورأيته ، وشرحه أيضا ، وله أوقاف على الشافعية وغيرهم .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين منه عقد مجلس بعد الصلاة بالشباك السكالى من مشهد عثمان بسبب القاضى نخر الدين المصرى ، وصدر الدين عبد الكريم ابن القاضى جلال الدين القزوينى ، بسبب العادلية الصغيرة ، فاتفق الحال على أن نزل صدر الدين عن تدريسها ، ونزل نخر الدين عن مائة وخمسين على الجامع . وفي يوم الأحد سابع الشهر المذكور حضر القاضى نخر الدين المصرى ودرس بالعادلية الصغيرة وحضر الناس عنده على العادة ، وأخذ فى قوله تعالى (هذه بضاعتنا ردت إلينا) وفي آخر شهر ربيع الأول جاء المرسوم من الديار المصرية بأن يخرج تجريدة من دمشق بصحبة الامير حسام الدين السمقدار لحصار الكرك الذى تحصن فيه ابن السلطان أحمد ، واستحوذ على ما عنده من الأموال التى أخذها من الخزان من ديار مصر ، وبرز المنجنيق من القلعة إلى قبل جامع القبيبات ، فنصب هناك وخرج الناس للتفرج عليه ورمى به ومن نيتهم أن يستصحبوه معهم للحصار . وفي يوم الأربعاء تانى ربيع الآخر قدم الامير علاء الدين الطنبغا الماردانى من الديار المصرية على قاعدته وعادته . وفي يوم الخميس عاشره دخل إلى دمشق الأميران الكبيران ركن الدين بيبرس الأحمدي من طرابلس ، وعلم الدين الجاولى من حماة سحرا ، وحضرا الموكب ووقفنا مكتفين لنائب السلطنة : الاحمدى عن يمينه والجاولى عن يساره ، ونزلا ظاهر البلد ، ثم بعد أيام يسيرة توجه

الاحمدى إلى الديار المصرية على عادته وقاعدته رأس مشورة، وتوجه الجاولى إلى غزة المحروسة نائباً عليها، وكان الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير على إمرة الطبلخانات بدمشق. وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت التجريدة من دمشق سحراً إلى مدينة السكر، والأمير شهاب الدين بن صبيح والى الولاية بحوران، مشد المجانيق، وخرج الأمير سيف الدين بهادر الشمس الملقب بحلاوة والى البر بدمشق إلى ولاية الولاية بحوران. وفي يوم الجمعة ثامن عشره وقع بين النائب والقاضي الشافعى بسبب كتاب ورد من الديار المصرية فيه الوصاة بالقاضى السبكي المذكور ومعه التوقيع بالخطابة له مضافاً إلى القضاء وخلعة من الديار المصرية، فتغيظ عليه النائب لأجل أولاد الجلال، لأنهم عندهم عائلة كثيرة وهم فقراء، وقد نهى عن السعى فى ذلك، فتقدم إليه يومئذ أن لا يصلى عنده فى الشباك السكالى، فنهض من هناك وصلى فى الغزالية.

وفى يوم الأحد العشرين منه دخل دمشق الأمير سيف الدين اريفا زوج ابنة السلطان الملك الناصر مجتازاً ذاهباً إلى طرابلس نائباً بها، فى تجمل وأبهة ونجائب وجنائب، وعدة وسرك كامل. وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه دخل الأمير بدر الدين ابن الخطيرى معز ولا عن نيابة غزة المحروسة فأصبح يوم الخميس فركب فى الموكب وسير مع نائب السلطنة، ونزل فى داره وراح الناس للسلام عليه. وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر زينت البلد لعافية السلطان الملك الصالح لمرض أصابه، ثم شفى منه. وفى يوم الجمعة السادس عشر منه قبل العصر ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة تقي الدين السبكي إليها حاكماً بها، فذهب الناس للسلام عليه ولتوديعه، وذلك بعد ما أرجف الناس به كثيراً، واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الايتام إلى الطنبقا وإلى الفخرى، وكتبت فتوى عليه بذلك فى تفرجه، وداروا بها على المفتيين فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضى جلال الدين بن حسام الدين الحنفى، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة، وسئلت فى الافتاء عليها فامتنعت، لما فيها من التشويش على الحكام، وفى أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويفتوا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف، وكانوا له فى نية عجبية ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية، فسار إليها صحبة البريد ليلة الأحد، وخرج الكبراء والأعيان لتوديعه، وفى خدمته.

استهل جمادى الآخرة والتجريدة عمالة إلى السكر والجيش المجردون من الحلقة قريب من ألف ويزيدون، ولما كان يوم الثلاثاء رابعه بعد الظهر مات الأمير علاء الدين أيدغمش نائب السلطنة بالشام المحروس فى دار وحده فى دار السعادة، فدخلوا عليه وكشفوا أمره وأحصر واوخشوا أن يكون اعتراه سكتة، ويقال إنه شفى فإله أعلم، فانتظروا به إلى الغد احتياطاً، فلما أصبح الناس اجتمعوا

للصلاة عليه فصلى عليه خارج باب النصر حيث يصلى على الجنائز، وذهبوا به إلى نحو القبلة ، ورام بعض أهله أن يدفن في تربة غبريال إلى جانب جامع القبيبات ، فلم يمكن ذلك ، فدفن قبلي الجامع على حافة الطريق ، ولم يتهياً دفنه إلا إلى بعد الظهر من يومئذ ، وعملوا عنده ختمة ليلة الجمعة رحمه الله وسامحه .

واشتهر في أوائل هذا الشهر أن الحصار عمال على الكرك ، وأن أهل الكرك خرجت طائفة منهم فقتل منهم خلق كثير ، وقتل من الجيش واحد في الحصار ، فنزل القاضي وجماعة ومعهم شيء من الجوهر ، وتراضوا على أن يسلموا البلد ، فلما أصبح أهل الحصن تحصنوا ونصبوا المجانيق واستعدوا فلما كان بعد أيام رموا منجنيق الجيش فكسروا السهم الذي له ، وعجزوا عن نقله فخرقوه برأى أمراء المقدمين ، وجرت أمور فظيعة ، فآله يحسن العاقبة .

ثم وقعت في أواخر هذا الشهر بين الجيش وأهل الكرك وقعة أخرى ، وذلك أن جماعة من رجال الكرك خرجوا إلى الجيش ورومهم بالنشاب فخرج الجيش لهم من الخيام ورجعوا مشاة ملبسين بالسلاح فقتلوا من أهل الكرك جماعة من النصارى وغيرهم ، وجرح من العسكر خلق ، وقتل واحد أو اثنان وأمر الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص ، وقتل أمير العرب ، وأسر آخرون فاعتقلوا بالكرك ، وجرت أمور منكرة ، ثم بعدها تعرض العسكر راجمين إلى بلادهم لم ينالوا مرادهم منها ، وذلك أنهم رقههم البرد الشديد وقلة الزاد ، وحاصروا أولئك شديداً بلا فائدة فإن البلد يريد متطاولة ومجانيق ، ويشق على الجيش الإقامة هناك في كوانين ، والمنجنيق الذي حملوه معهم كسر ، فرجعوا ليتأهبوا لذلك .

ولما كان في يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه قدم من الديار المصرية على البريد القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتباً على السر عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين ، ومعه كتاب بالاحتياط على حواصل أخيه شهاب الدين ، وعلى حواصل القاضي عماد الدين ابن الشيرازي المحتسب ، فاحتيط على أموالهما وأخرج من في ديارهما من الحرم ، وضربت الأخشاب على الأبواب ، ورسم على المحتسب بالعندراوية ، فسأل أن يحول إلى دار الحديث الأشرفية فحول إليها . وأما القاضي شهاب الدين ، فكان قد خرج ليلتقي الأمير سيف الدين تغردمر الحموي ، الذي جاء تقليده بنيابة الشام بدمشق وكان بحلب ، وجاء هذا الأمر وهو في أثناء الطريق ، فرسم برجعته ليصادر هو والمحتسب ، ولم يدر الناس ما ذنبهما .

وفي يوم الأحد ثامن شهر رجب آخر النهار رجع قاضي القضاء تقي الدين السبكي إلى دمشق على القضاء ، ومعه تقليد بالخطابة أيضاً ، وذهب الناس إليه للسلام عليه ، ودخل نائب السلطنة

الأمير سيف الدين تغر دمر الحموى بعد العصر الخامسة عشر منه من حلب ، فتلقيه الأمراء إلى طريق القابون ، ودعا له الناس دعاء كثيراً ، وأحبوه لبغضهم النائب الذي كان قبله ، وهو علاء الدين أيدغمش سأل الله تعالى ، فنزل بدار السعادة وحضر الموكب صبيحة يوم الاثنين ، واجتمع طائفة من العامة وسألوه أن لا يغير عليهم خطيبهم تاج الدين عبد الرحيم ابن جلال الدين ، فلم يلتفت إليهم ، بل عمل على تقليد القاضي تقي الدين السبكي الخطابة ولبس الخلعة ، وأكثرت العوام لما سمعوا بذلك الغوغاء ، وصاروا يجتمعون حلقة حلقة بعد الصلوات ويكثرون الفرحة في ذلك ، لما منع ابن الجلال ، ولكن بقي هذا لم يباشر السبكي في المحراب ، واشتهر عن العوام كلام كثير ، وتوعدوا السبكي بالسفاهة عليه إن خطب ، وضاق بذلك ذرعاً ، ونهوا عن ذلك فلم ينتهوا ، وقيل لهم ولكن كثير منهم : الواجب عليكم السمع والطاعة لأولى الأمر ، ولو أمر عليكم عبد حبشي . فلم يبرعوا ، فلما كان يوم الجمعة العشرين منه اشتهر بين العامة بأن القاضي نزل عن الخطابة لابن الجلال ، وفرح العوام بذلك وحشدوا في الجامع ، وجاء نائب السلطنة إلى المقصورة والأمراء معه ، وخطب ابن الجلال على العادة ، وفرح الناس بذلك وأكثروا من الكلام والهرج ، ولما سلم عليهم الخطيب حين صعد ردوا عليه رداً بليغاً ، وتكلموا في ذلك وأظهروا بغضة القاضي السبكي ، وتجاهروا بذلك ، وأصغوه كلاماً كثيراً ، ولما قضيت الصلاة قرىء تقليد النيابة على السدة ، وخرج الناس فرحاً بخطيبهم ، لسكونه استمر عليهم ، واجتمعوا عليه يسلمون ويدعون له .

وفي يوم الأربعاء ثالث شعبان درس القاضي برهان الدين بن عبد الحق بالمدرسة العندراوية بمرسوم سلطاني بتوليته وعزل القفجاري ، وعقد لها مجلس يوم الثلاثاء بدار العدل ، فرجح جانب القاضي برهان الدين لحاجته وكونه لا وظيفة له .

وفي يوم الجمعة خامسة توفي الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد ابن الجزري أحد المسندين الأكثرين الصالحين ، مات عن خمس وتسعين سنة رحمه الله ، وصلى عليه يوم الجمعة بالجامع المظفري ودفن بالرواحية . وفي يوم الأربعاء السابع عشر منه توفي الشيخ الامام العالم العابد الناسك الصالح الشيخ شمس الدين محمد بن الزبير خطيب الجامع الكرمي بالقبيبات ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بالجامع المذكور ، ودفن قبلي الجامع المذكور ، إلى جانب الطريق من الشرق رحمه الله .

واشتهر في أوائل رمضان أن مولوداً ولد له رأسان وأربع أيدي ، وأحضر إلى بين يدي نائب السلطنة ، وذهب الناس للنظر إليه في محلة ظاهر باب الفرديس ، يقال لها حكي الوزير ، وكنت فيمن ذهب إليه في جماعة من الفقهاء يوم الخميس ثالث الشهر المذكور بعد العصر ، فأحضره أبوه - واسم أبيه سعادة - وهو رجل من أهل الجبل ، فنظرت إليه فاذا هما ولدان مستقلان ، فكل قد اشتبكت

أفخاذهما ببعضهما ببعض ، وركب كل واحد منهما ودخل في الآخر والنحمت فصارت جثة واحدة وهما ميتان ، فقالوا أحدهما ذكروا الآخر أنثى ، وهما ميتان حال رؤيتي إليهما . وقالوا إنه تأخر موت أحدهما عن الآخر بيومين أو نحوهما ، وكتب بذلك محضر جماعة من الشهود .

وفي هذا اليوم احتيط على أربعة من الأمراء وهم أبناء الكامل صلاح الدين محمد ، أمير طبليخانات ، وغياث الدين محمد أمير عشرة ، وعلاء الدين علي ، وابن أيبك الطويل طبليخانات أيضا ، وصلاح الدين خليل بن بلبان طرنا طبليخانات أيضا . وذلك بسبب أنهم اتهموا على ممالأة الملك أحمد بن الناصر الذي في السكرك ، ومكاتبته ، والله أعلم بحالهم ، فقيدوا وحملوا إلى القلعة المنصورة من باب اليسر مقابل باب دار السعادة الثلاث الطبليخانات والغياث من بابها الكبير وفرق بينهم في الأماكن . وخرج المحمل يوم الخميس خامس عشره ولبس الخطيب ابن الجلال خلعة استقرار الخطابة في هذا اليوم ، وركب بهامع القضاة على عادة الخطباء .

وفي هذا الشهر نصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر وطول أكتافه ثمانية عشر ذراعا ، وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعا ، وخرج الناس للفرجة عليه ، ورمى به في يوم السبت حجراً زنته ستين رطلا ، فبانغ إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير ، وذكر معلم الجانيق أنه ليس في حصون الاسلام مثله ، وأنه عمله الحاج محمد الصالحى ليكون بالسكرك ، فقدر الله أنه خرج ليحاصر به السكرك ، فأنه يحسن العاقبة . وفي أواخره أيضا مسك أربعة أمراء ، وهم أقبغا عبد الواحد الذي كان مباشراً الاستدارية للملك الناصر الكبير ، فصور في أيام ابنه المنصور ، وأخرج إلى الشام فتاب بحمص فسار سيرة غير مرضية ، وذمه الناس وعزل عنها وأعطى تقديماً ألف بدمشق ، وجعل رأس الميمنة ، فلما كان في هذه الأيام اتهم بممالأة السلطان أحمد بن الناصر الذي بالسكرك ، فسك وحمل إلى القلعة ومعه الأمير سيف الدين بلو ، والأمير سيف الدين سلامش ، وكلهم بطبليخانات فرفعوا إلى القلعة المنصورة ، فأنه يحسن العاقبة .

وفي هذا الشهر خرج قضاء حمص عن نيابة دمشق بمرسوم سلطاني مجدد للقاضي شهاب الدين البارزى ، وذلك بعد مناقشة كثيرة وقعت بينه وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وانتصر له بعض الدولة ، واستخرج له المرسوم المذكور . وفيه أيضا أفرد قضاء القدس الشريف أيضا باسم القاضي شمس الدين بن سالم الذي كان مباشرها مدة طويلة قبل ذلك نيابة ، ثم عزل عنها وبقى مقياً ببلده غزة ، ثم أعيد إليها مستقلاً بها في هذا الوقت . وفي هذا الشهر رجع القاضي شهاب الدين ابن فضل الله من الديار المصرية ومعه توقيع بالمرتب الذي كان له أولاً كل شهر ألف درهم ، وأقام بعمارته التي أنشأها بسفوح قاسيون شرقي الصالحية بقرب حمام النحاس .

وفي صبيحة مستهل ذي القعدة خرج المنجنيق قاصداً إلى الكرك على الجمال والعجل ، وصحبته الأمير صارم الدين إبراهيم المسبق ، أمير حاجب ، كان في الدولة السكرية ، وهو المقدم عليه بحوطه ويحفظه ويتولى تسييره بطلبه وأصحابه ، وتجهز الجيش للذهاب إلى الكرك ، وتأهبوا أتم الجهاز ، وبرزت أبقالهم إلى ظاهر البلد وضربت الخيام فأنشأها قديمها ظاهر باب الجابية تجاه تربة الطواشي ظهر الدين الخازن بالقلعة ،

وفي يوم الاثنين رابعه توفي الطواشي شبل الدولة كافر السكري ، ودفن صبيحة يوم الثلاثاء خامسة في تربته التي أنشأها قديماً ظاهر باب الجابية تجاه تربة الطواشي ظهر الدين الخازن بالقلعة ، كان قبيل مسجد الدبان رحمه الله ، وكان قديماً للصاحب تقي الدين توبة التكريتي ، ثم اشتراه تنسكز بعد مدة طويلة من ابني أخيه صلاح الدين وشرف الدين بمبلغ جيد وعوضهما إقطاعاً بزيادة على ما كان بأيديهما ، وذلك رغبة في أمواله التي حصلها من أبواب السلطنة ، وقد تمصب عليه أستاذه تنسكز رحمه الله في وقت وصوله وجرت عليه فصول ، ثم سلم بعد ذلك ، ولما مات ترك أموالاً جزيلة وأوقافاً رحمه الله . وخرجت التجريدة يوم الأربعاء سادسه والمقدم عليها الأمير بدر الدين بن الخطير ومعه مقدم آخر وهو الأمير علاء الدين بن قراسنقر .

وفي يوم السبت سلخ هذا الشهر توفي الشاب الحسن شهاب الدين أحمد بن فرج المؤذن بمأذنة العروس ، وكان شهيراً بحسن الصوت ذا حظوة عظيمة عند أهل البلد ، وكان رحمه الله كما في النفس وزيادة في حسن الصوت الرخيم المطرب ، وليس في القراء ولا في المؤذنين قريب منه ولا من يدانيه في وقته ، وكان في آخر وقته على طريقة حسنة ، وعمل صالح ، وانقطع عن الناس ، وإقبال على شأن نفسه فرحمه الله ، وأكرم منواه ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ ودفن عند أخيه بمقبرة الصوفية .

وفي يوم الخميس خامس ذي الحجة توفي الشيخ بدر الدين بن نصحان شيخ القراء السبع في البلد الشهير بذلك ، وصلى عليه بالجامع بعد الظهر يومئذ ، ودفن بباب الفراديس رحمه الله .

وفي يوم الأحد تاسعه وهو يوم عرفة حضر الاقراء بترربة أم الصالح عوضاً عن الشيخ بدر الدين ابن نصحان القاضي شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء ، وبعض القضاة ، وكان حضوره بفترة ، وكان ممرضاً ، فألقى شيثامن القراءات والاعراب عند قوله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لا أنفسهم) وفي أواخر هذا الشهر غلا السعر جداً وقل الخبز وازدحم الناس على الافران زحمة عظيمة ، وبيع خبز الشعير المخلوط بالزيوان والنقارة ، وبلغت الفرارة بمائة وستة وثمانين درهماً ، وتقلص السعر جداً حتى يبيع الخبز كل رطل بدرهم ، وفوق ذلك بيسير ، ودونه بحسب طيبه ورداءته ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكثر السؤال وجاع العيال ، وضعف كثير من الأسباب والأحوال ، ولكن لطف الله عظيم فان الناس مترقبون مغلا

هائلا لم يسمع بمثله من مدة سنين عديدة ، وقد اقترب أوانه ، وشرع كثير من البلاد في حصاد الشعير و بعض القمح مع كثرة الفول وبوادى التوت ، فلولا ذلك لكان غير ذلك ، ولكن لطف الله بعباده ، وهو الحاكم المتصرف الفعال لما يريد لا إله إلا هو .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلّت هذه السنة وساطان المسلمين الملك الناصر عماد الدنيا والدين إسماعيل ابن الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلارى ، وقضاته هم هم المتقدم ذكرهم فى العام الماضى ، ونائبه بدمشق الأمير سيف الدين تغردمر الحموى ، وقضاته هم المتقدم ذكرهم ، وكذلك صاحب الخطيب وناظر الجامع والخزانة . ومشد الأوقاف وولاية المدينة .

استهلّت والجيوش المصرية والشامية محيطة بمحصن الكرك محاصرون وبيبالغون فى أمره ، والمنجنيق منصوب وأنواع آلات الحصار كثيرة ، وقد رسم بتجريدة من مصر والشام أيضاً تخرج إليها . وفى يوم الخميس عاشر صفر دخلت التجريدة من الكرك إلى دمشق واستمرت التجريدة الجديدة على الكرك ألفان من مصر وألفان من الشام ، والمنجنيق منقوض موضوع عند الجيش خارج الكرك ، والأمور متوقفة على وبرد (١) الحصار بعد رجوع الأحمدي إلى مصر .

وفى يوم السبت ثانى ربيع الأول توفى السيد الشريف عماد الدين الخشاب بالكوشك فى درب السيرجى جوار المدرسة العزية ، وصلى عليه ضحى بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان رجلاً شهماً كثير العبادة والمحبة للسنة وأهلها ، ممن وازب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به ، وكان من جملة أنصاره وأعوانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو الذى بعثه إلى صيدنا يامع بعض القسيسين فلوث يده بالعذرة وضرب اللحمه التى يمظمونها هنالك ، وأهانها غاية الاهانة لقوة إيمانه وشجاعته رحمه الله وإيانا .

وفى يوم الخميس سابعه اجتمع صاحب ومشد الدواوين ووكيل بيت المال ، ومشد الأوقاف ومباشر و الجامع ومعهم العمالين بالقول والمعاول ، يحفرون إلى جانب السارية عند باب مشهد على تحت تلك الصخرة التى كانت هناك ، وذلك عن قول رجل جاهل ، زعم أن هناك مالا مدفوناً فشاوروا نائب السلطنة فأمرهم بالحفر ، واجتمع الناس والعامه فأمرهم فأخرجوا وأغلقت أبواب الجامع كلها ليتمكنوا من الحفر ، ثم حفروا ثانياً وثالثاً فلم يجدوا شيئاً إلا التراب الحصى ، واشتهر هذا الحفير فى البلاد وقصده الناس للنظر إليه والتعجب من أمره ، وانفصل الحال على أن حبس هذا الزاعم لهذا الحال ، وطم الحفير كما كان .

(١) كذا فى الاصل . فليحزر .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول قدم قاضي حلب ناصر الدين بن الخشاب على البريد مجتازاً إلى دمشق فنزل بالعادية الكبيرة ، وأخبر أنه صلى على المحدث البارع الفاضل الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أبيك السروجي المصري يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب رحمه الله ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وكان قد أتقن طرفاً جيداً في علم الحديث ، وحفظ أسماء الرجال ، وجمع وخرج .

وفي مستهل ربيع الآخر وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية الذي بالقرب من جامع المظفرى ، وكانت جملة الدكاكين التي احترقت قريباً من مائة وعشرين دكاناً ، ولم ير حريق من زمان أكبر منه ولا أعظم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي يوم الجمعة سادسه رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مواذن البلاد كما يذكروا في مواذن الجامع ، ففعل ذلك . وفي يوم الثلاثاء عاشره طلب من القاضي تقي الدين السبكي قاضي قضاة الشافعية أن يقرض ديوان السلطان شيئاً من أموال الغياب التي تحت يده ، فامتنع من ذلك امتناعاً كثيراً ، فجاء شاد الدواوين وبعض حاشية نائب السلطنة ففتحوا مخزن الأيتام وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهراً ، ودفعوها إلى بعض العرب عما كان تأخر له في الديوان السلطاني ، ووقع أمر كثير لم يعهد مثله .

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفي صاحبنا الشيخ الامام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، تقدمه الله برحمته ، وأسكنه محبوبه جنته ، مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحى سل ، ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال ، وتزايد ضعفه إلى أن توفي يومئذ قبل أذان العصر ، فأخبرني والده أن آخر كلامه أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين . فصلي عليه يوم الخميس بالجامع المظفرى وحضر جنازته قضاة البلد وأعيان الناس من العلماء والأمرأء والتجار والعامه ، وكانت جنازته حافلة مليحة ، عليها ضوء ونور ، ودفن بالروضة إلى جانب قبر السيف ابن المجد رحمهما الله تعالى ، وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمائة فلم يبلغ الأربعين ، وحصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار ، وتفطن في الحديث والنحو والتصرف والفقه والتفسير والأصلين والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتعاليق مفيدة كثيرة ، وكان حافظاً جيداً لأسماء الرجال ، وطرق الحديث ، عارفاً بالجرح والتعديل ، بصيراً بعلل الحديث ، حسن الفهم له ، جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقيماً على طريقة السلف ، واتباع الكتاب والسنة ، مثابراً على فعل الخيرات .

وفي يوم الثلاثاء سادسه درس بحراب الحنابلة صاحبنا الشيخ الامام العلامة شرف الدين بن

القاضي شرف الدين الحنبلي في حلقة الثلاثاء عوضاً عن القاضي تقي الدين بن الحافظ رحمه الله ، وحضر عنده القضاء والفضلاء ، وكان درساً حسناً أخذ في قوله تعالى . (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) وخرج إلى مسألة تفضيل بعض الأولاد . وفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى خرجت التجريدة إلى الكرك مقدمان من الأمراء ، وهما الامير شهاب الدين بن صبيح ، والامير سيف الدين قلاوون ، في أبهة عظيمة وتجميل وجيوش وبقارات ، وإزعاج كثيرة .

وفي صبيحة يوم الاثنين الحادى والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن بن الشيخ السكا كيني على ما ظهر منه من الرفض الدال على الكفر المحض ، شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره ، وأنه رافضى جلد ، فن ذلك تكفير الشيخين رضى الله عنهما ، وقذفه أمى المؤمنين عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد ، وإنما كان مرسلًا إلى على ، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبحه الله ، وقد فعل . وكان والده الشيخ محمد السكا كيني يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيداً ، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير ، ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الامام العلامة شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله ، وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكا كيني مامات حتى رجع عن مذهبه ، وصار إلى قول أهل السنة فإله أعلم . وأخبرت أن ولده حسنا هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة .

وفي ليلة الاثنين خامس شهر رجب وصل بدن الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام كان إلى تربته التي إلى جانب جامع الذي أنشأه ظاهر باب النصر بدمشق ، نقل من الاسكندرية بعد ثلاث سنين ونصف أو أكثر ، بشفاة ابنته زوجة الناصر عند ولده السلطان الملك الصالح ، فأذن في ذلك وأرادوا أن يدفن بمدرسته بالقدس الشريف ، فلم يمكن ، فجيء به إلى تربته بدمشق وعملت له الختم وحضر القضاة والأعيان رحمه الله .

وفي يوم الثلاثاء حادى عشر شعبان المبارك توفى صاحبنا الأمير صلاح الدين يوسف التكريتي ابن أخى صاحب تقي الدين بن توبة الوزير ، بمنزله بالقصاعين ، وكان شاباً من أبناء الأربعين ، ذا ذكاء وفطنة وكلام وبصيرة جيدة ، وكان كثير المحبة إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، ولأصحابه خصوصاً ، ولكل من يراه من أهل العلم عموماً ، وكان فيه إثارة وإحسان ومحبة الفقراء والصالحين ، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون رحمه الله ، وفي يوم السبت الخامس عشر منه جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس خلفتها والله الحمد والمنة ، ثم تواترت الأخبار بأنها شتمت في بلاد حلب شيئاً كثيراً من العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلعة حلب ، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها ، وأما في القلاع حولها فكثير جداً ، وذكروا أن مدينة منبج

لم يبق منها إلا القليل ، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم الله :
 وفي أواخر شهر شوال خرجت التجاريد إلى الكرك وهما أميران مقدمان الأمير علاء الدين
 قراسنقر ، والأمير الحاج بيد مر ، واشتهر في هذه الأيام أن أمر الكرك قد ضعف وتفاقم عليهم الأمر
 وضافت الارزاق عندهم جداً ، ونزل منها جماعات من رؤسائها وخاصكية الأمير أحمد بن الناصر
 مخامر بن عليه ، فسيروا من الصبح إلى قلاوون ومحببتهم مقدمون من الحلقة إلى الديار المصرية ،
 وأخبروا أن الحواصل عند أحمد قد قلت جداً فأنه المسئول أن يحسن العاقبة .

وفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة توفي القاضي الامام العلامة برهان الدين
 ابن عبد الحق شيخ الحنفية وقاضي القضاة بالديار المصرية مدة طويلة ، بعد ابن الحريري ، ثم عزل
 وأقام بدمشق ودرس في أيام تغرمر بالندراوية لولده القاضي أمين الدين ، فذكر بها الدرس يوم
 الأحد قبل وفاة والده بثلاثة أيام ، وكان موت برهان الدين رحمه الله ببستانه من أراضي الارزة
 بطريق الصالحية ، ودفن من الغد بسفح قاسيون بمقبرة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وصلى عليه بالجامع
 المظفرى ، وحضر جنازته القضاة والأعيان والأكابر رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والديار الشامية وما يتعلق بذلك الملك الصالح بن
 إسماعيل بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بالديار المصرية والشامية
 هم المذكورون في السنة المتقدمة ، ونائبه بمصر الحاج سيف الدين ووزيره المتقدم ذكره ، وناظر
 الخاص القاضي مكين الدين ، وناظر الجيوش القاضي علم الدين ابن القطب ، والمحاسب المتقدم ،
 وشاد الدواوين علم الدين الناصري ، وشاد الأوقاف الأمير حسام الدين النجيبى ، ووكيل بيت
 المال القاضي علاء الدين شرنوخ ، وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب ، وبقية المباشرين
 والنظار هم المتقدم ذكرهم ، وكاتب الدست القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر ، والقاضي أمين
 الدين ابن القلانسي والقاضي شهاب الدين بن القيسراني ، والقاضي شرف الدين بن شمس الدين بن
 الشهاب محمود ، والقاضي علاء الدين شرنوخ .

شهر المحرم أوله السبت استهل والحصار واقع بقلعة الكرك ، وأما البلد فأخذوا استنيب فيه الأمير
 سيف الدين قبله ، قدم إليها من الديار المصرية ، والتجاريد من الديار المصرية ومن دمشق محيطون
 بالقلعة ، والناصر أحمد بن الناصر ممتنع من التسليم ، ومن الاجابة إلى الانابة . ومن الدخول في طاعة
 أخيه ، وقد تفاقمت الأمور وطالت الحروب ، وقتل خلق كثير بسبب ذلك ، من الجيوش ومن
 أهل الكرك ، وقد توجهت القضية إلى خير إن شاء الله . وقبل ذلك بأيام يسيرة هرب من قلعة

الكرك الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص الذي كان أسرف في أوائل حصار الكرك ، وجماعة من مماليك الناصر أحمد ، كان أتهمهم بقتل الشهاب أحمد ، الذي كان يعتنى به ويحبه ، واستبشر الجيوش بنزول أبي بكر من عنده وسلامته من يده ، وجهر إلى الديار المصرية معظماً ، وهذا المجانيق الثلاثة مسلطة على القلعة من البلد تضرب عليها ليلاً ونهاراً ، وتدمر في بنائها من داخل ، فان سورها لا يؤثر فيه شيء بالكلمة ، ثم ذكر أن الحصار فتر ولكن مع الاحتياط على أن لا يدخل إلى القلعة ميرة ولا شيء مما يستعينون به على المقام فيها ، فإله المسؤول أن يحسن العاقبة . وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من صفر قدم البريد مسرعاً من الكرك فأخبر بفتح القلعة ، وأن بابها أحرق ، وأن جماعة الأمير أحمد بن الناصر استغاثوا بالأمان ، وخرج أحمد مقيداً وسير على البريد إلى الديار المصرية ، وذلك يوم الاثنين بعد الظهر الثالث والعشرين من هذا الشهر ، والله عاقبة الأمور وفي صبيحة يوم الجمعة رابع ربيع الأول دقت البشائر بالقلعة ، وزينت البلد عن مرسوم السلطان الملك الصالح سرورا بفتح البلد ، واجتماع الكلمة عليه ، واستمرت الزينة إلى يوم الاثنين سابعه ، فرسم برفعها بعد الظهر فتشوش كثير من العوام ، وأرجف بعض الناس بأن أحمد قد ظهر أمره وبايعه الأمراء الذين هم عنده ، وليس لذلك حقيقة ، ودخلت الأطلاب من الكرك صبيحة يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول بالطباخانات والجيوش ، واشتهر إعدام أحمد بن الناصر .

وفي يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول صلى بالجامع الأموي على الشيخ أمين الدين أبي حيان النحوي ، شيخ البلاد المصرية من مدة طويلة ، وكانت وفاته بمصر عن تسعين سنة وخمسة أشهر . ثم اشتهر في ربيع الآخر قتل السلطان أحمد وحز رأسه وقطع يديه ، ودفن جثته بالكرك ، وحمل رأسه إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ، وحضر بين يديه في الرابع والعشرين من هذا الشهر ، وفرح الناس بذلك ، ودخل الشيخ أحمد الزرعي على السلطان الملك الصالح فطلب منه أشياء كثيرة من تبطيل المظالم ومكوسات وإطلاق طباخانات للامير ناصر الدين بن بكتاش ، وإطلاق أمراء محبوبين بقامة دمشق وغير ذلك ، فأجابه إلى جميع ذلك ، وكان جملة المراسيم التي أوجب فيها بضع وثلاثين مرسوماً ، فلما كان آخر شهر ربيع الآخر قدمت المراسيم التي سأهاها الشيخ أحمد من الملك الصالح ، فأمضيت كلها ، أو كثير منها ، وأفرج عن صلاح الدين بن الملك الكامل ، والأمير سيف الدين بلو ، في يوم الخميس سلخ هذا الشهر ، ثم روجع في كثير منها وتوقف حالها .

وفي هذا الشهر عملت منارة خارج باب الفرج وفتحت مدرسة كانت داراً قديمة فجعلت مدرسة للحنفية ومسجداً ، وعملت طهارة عامة ، ومصلى للناس ، وكل ذلك منسوب إلى الأمير سيف الدين تقطم الخليلي أمير حاجب كان ، وهو الذي جدد الدار المعروفة به اليوم بالقصاعين .

وفي ليلة الاثنين عاشر جمادى الآخرة توفى صاحبنا المحدث تقي الدين محمد بن صدر الدين سليمان الجمهرى زوج بنت الشيخ جمال الدين المزي ، والد شرف الدين عبد الله ، وجمال الدين إبراهيم وغيرهم ، وكان فقيها بالمدارس ، وشاهداً تحت الساعات وغيرها ، وعنده فضيلة جيدة في قراءة الحديث وشيء من العربية ، وله نظم مستحسن ، انقطع يومين وبعض الثالث وتوفى في الليلة المذكورة في وسط الليل ، وكنت عنده وقت العشاء الآخرة ليلتئذ ، وحدثني وضاحكني ، وكان خفيف الروح رحمه الله ، ثم توفى في بقية ليلته رحمه الله ، وكان أشهدني عليه بالتوبة من جميع ما يسخط الله عز وجل ، وأنه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله ، صلى عليه ظهر يوم الاثنين ، ودفن بمقابر باب الصغير عند أبيه رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين شهر رجب خطب القاضي عماد الدين بن العز الحنفي بجامع تنكز خارج باب النصر عن نزول الشيخ نجم الدين علي بن داود القفجاري له عن ذلك ، وأيضاً نائب السلطنة الأمير سيف الدين تغردمر وحضوره عنده في الجامع المذكور يومئذ .

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين رجب توفى القاضي الامام العالم جلال الدين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرومي الحنفي ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد دمشق ، وحضره القضاة والأعيان ودفن بالمدرسة التي أنشأها إلى جانب الزردكاش قريبا من الخاتونية الجوانية ، وكان قد ولي قضاء قضاء الحنفية في أيام ولاية أبيه الديار المصرية ، وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وقدم الشام مع أبيه فأقاموا بها ، ثم لما ولي الملك المنصور لاجين ولي أباه قضاء الديار المصرية ، وولده هذا قضاء الشام ، ثم إنه عزل بعد ذلك واستمر على ثلاث مدارس من خيار مدارس الحنفية ثم حصل له صمم في آخر عمره ، وكان ممتعا بحواسه سواء وقواه ، وكان يذاكر في العلم وغير ذلك .

وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان توفى الشيخ نجم الدين علي بن داود القفجاري خطيب جامع تنكز ، ومدرس الظاهرية ، وقد نزل عنها قبل وفاته بقليل للقاضي عماد الدين بن العز الحنفي ، وصلى عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الظهر يومئذ ، وعند باب النصر وعند جامع جراح ودفن بمقبرة ابن الشيرازي عند والده ، وحضره القضاة والأعيان ، وكان أستاذا في النحو وله علوم آخر ، لكن كان نهاية في النحو والتصريف .

وفي هذا اليوم توفى الشيخ الصالح العابد الناسك الشيخ عبد الله الضرير الزرعي ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع الأموي وبياب النصر وعند مقابر الصوفية ، ودفن بها قريبا من الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، وكان كثير التسلاوة حسنها وصحيحها ، كثير العبادة ، يقرئ الناس من دهر طويل ويقوم بهم العشر الأخير من رمضان ، في محراب الحنابلة بالجامع الأموي رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان المعظم توفي الشيخ الامام العالم العامل العابد الزاهد الورع أبو عمر بن أبي الوليد المالكي إمام محراب الصحابة الذي للمالكية ، وصلى عليه بعد الصلاة ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير ، وتأسف الناس عليه وعلى صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة ، ودفن إلى جانب قبر أبيه وأخيه ، إلى جانب قبر أبي الغندلاوي المالكي قريبا من مسجد التاريخ رحمه الله ، وولى مكانه في المحراب ولده ، وهو طفل صغير ، فاستنوب له إلى حين صلاحيته ، جبره الله ورحم أباه .

وفي صبيحة ليلة الثلاثاء سادس رمضان وقع ثلج عظيم لم ير مثله بدمشق من مدة طويلة ، وكان الناس محتاجين إلى مطر ، فله الحمد والمنة ، وتكاثف الثلج على الأسطحة ، وتراكم حتى أعيا الناس أمره ونقلوه عن الأسطحة إلى الأزقة يحمل ، ثم نودي بالأمر بازالته من الطرقات فانه سدها وتعطلت معاش كثير من الناس ، فعوض الله الضعفاء بعلمهم في الثلج ، ولحق الناس كافة كبيرة وغرامة كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان صلى بالجامع الأموي على نائب وهو الأمير علاء الدين الجاولي ، وقد تقدم شيء من ترجمته رحمه الله .

وفي أول شوال يوم عيد الفطر وقع فيه ثلج عظيم بحيث لم يتمكن الخطيب من الوصول إلى المصلى ، ولا خرج نائب السلطنة ، بل اجتمع الأمراء والقضاة بدار السعادة ، وحضر الخطيب فصلى بهم العيد بها ، وكثير من الناس صلوا العيد في البيوت .

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة درس قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي بالشامية البرانية عن الشيخ شمس الدين ابن النقيب رحمه الله ، وحضر عنده القضاة والأعيان والأمراء وخلق من الفضلاء ، وأخذ في قوله تعالى (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) وما بعدها . وفي ذي الحجة استنقى في قتل كلاب البلد فكتب جماعة من أهل البلد في ذلك ، فرسم باخراجهم يوم الجمعة من البلد الخامس والعشرين منه ، لكن إلى الخندق ظاهر باب الصغير ، وكان الأولى قتلهم بالكلية وإحراقهم لثلاثتين الناس بريهم على ما أفتى به الامام مالك بن أنس من جواز قتل الكلاب ببدة معينة للمصلحة ، إذا رأى الامام ذلك ، ولا يعارض ذلك النهي عن قتل الكلاب ، ولهذا كان عثمان بن عفان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام .

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين بالديار المصرية والشامية والحرمين والبلاد الحلبية وأعمال ذلك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور ، وقضاته بالديار المصرية والشامية هم

المدكورون أيضا . وفي يوم الجمعة سادس عشر محرم كملت عمارة الجامع الذي بالمزة الفوقانية الذي جدهه وأنشأه الأمير بهاء الدين المرجاني ، الذي بنى والده مسجد الخيف بمنى وهو جامع حسن متسع فيه روح وانسراح ، تقبل الله من بانيه ، وعقدت فيه الجمعة بجمع كثير وجم غفير من أهل المزة ، ومن حضر من أهل البلد ، وكنت أنا الخطيب - يعنى الشيخ عماد الدين المصنف تغمده الله برحمته - والله الحمد والمنة . ووقع كلام وبحث فى اشتراط المحلل فى المسابقة ، وكان سببه أن الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صنف فيه مصنفا من قبل ذلك ، وأنصر فيه ما ذهب إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية فى ذلك ، ثم صار يفتى به جماعة من الترك ولا يعزوه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فاعتقد من اعتقد أنه قوله وهو مخالف للأئمة الأربعة ، فحصل عليه إنكار فى ذلك ، وطلبه القاضى الشافعى ، وحصل كلام فى ذلك ، وانفصل الحال على أن أظهر الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الموافقة للجمهور .

﴿ وفاة الملك الصالح إسماعيل ﴾

فى يوم الاربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة أظهر موت السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الناصر بن المنصور آخر النهار ، وكان قد عهد بالأمر إلى أخيه لأبويه الملك الكامل سيف الدين أبى الفتوح شعبان ، فجلس على سرير المملكة يوم الخميس رابعه ، وكان يوما مشهوداً ، ثم قدم الخبر إلى دمشق عشية الخميس ليلة الجمعة الثانى عشر منه ، وكان البريد قد انقطع عن الشام نحو عشرين يوما للشغل بمرض السلطان ، فقدم الامير سيف الدين معزا للبيعة للملك الكامل ، فركب عليه الجيش لتلقيه ، فلما كان صبيحة الجمعة أخذت البيعة من النائب والمقدمين وبقية الأمراء والعجند للسلطان الملك الكامل بدار السعادة ، ودقت البشائر وزين البلد وخطب الخطباء يومئذ للملك الكامل ، جعله الله وجها مباركا على المسلمين .

وفى صبيحة يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر درس القاضى جمال الدين حسين ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكي الشافعى بالمدرسة الشامية البرانية ، نزل له أبوه عنها ، واستخرج له مرسوما سلطانيا بذلك ، فحضر عنده القضاة والأعيان وجماعة من الأمراء والفقهاء ، وجلس بين أبيه والقاضى الحنفى ، وأخذ فى الدرس فى قوله تعالى . (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) الآيات . وتكلم الشريف محمد الدين المتكلم فى الدرس بكلام فيه نكارة وبشاعة ، فشنع عليه الحاضرون ، فاستتيب بعد انقضاء الدرس وحكم بإسلامه ، وقد طاب إلى الديار المصرية نائب دمشق الأمير سيف الدين تغردمر وهو ممرض ، انقطع عن الجمعة بسبب المرض مرات ، والبريد يذهب إلى حلب لمحبي نائبها الامير سيف الدين بلبغا لنيابة دمشق ، وذكر أن الحاج أرقطيه تعين لنيابة حلب . وفى يوم الجمعة رابع جمادى الاولى

خرجت أنقال الأمير سيف الدين تغرد مر النائب وخيوله وهجنه ومواليه وحواصله وطبلخاناته وأولاده في تجميل عظيم ، وأبهة هائلة جداً ، وخرجت المحافل والكحارات والمحفات لنسائه وبناته وأهله في هيبة عجيبة ، هذا كله وهو بدار السعادة ، فلما كان من وقت السحر في يوم السبت خامسه خرج الأمير سيف الدين تغرد مر بنفسه إلى الكسوة في محفة لمرضه مصحوباً بالسلامة ، فلما طلعت الشمس من يومئذ قدم من حاب أستاذ دار الأمير سيف الدين يلبغا البجناوى فتسلم دار السعادة ، وفرح الناس بهم ، وذهب الناس للتهنئة والتودد إليهم .

ولما كان يوم السبت الثانى عشر من جمادى الأولى خرج الجيش بكامله لتلقى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا فدخل في تجميل عظيم ، ثم جاء فنزل عند باب السر ، وقبل العتبة على العادة ثم مشى إلى دار السعادة .

وفي عشية يوم الاثنين رابع عشره قطع نائب السلطنة ممن وجب قطعه في الحبس ثلاثة عشر رجلاً وأضاف إلى قطع اليد قطع الرجل من كل منهم ، لما بلغه أنه تنكر من جنائياتهم ، وصلب ثلاثة بالمسامير ممن وجب قتله ، وفرح الناس بذلك لقمعه المفسدين وأهل الشرور ، والعيث والفساد .

واشتهر في العشر الأوسط من جمادى الآخرة وفاة الأمير سيف الدين تغرد مر بعد وصوله إلى الديار المصرية بأيام ، وكان ذلك ليلة الخميس مستهل هذا الشهر ، وذكر أنه رسم على ولده وأستاذ داره ، وطلب منهم مال جزيل ، فآله أعلم .

وفي يوم الاثنين ثمانى عشره توفي القاضى علاء الدين بن العز الحنفى نائب الحكم ببستانه بالصالحية ودفن بها ، وذلك بعد عود المدرسة الظاهرية إليه ، وأخذها إياها من عمه القاضى عماد الدين إسماعيل ، كما قدمنا ، ولم يدرس فيها إلا يوماً واحداً ، وهو ممرض ، ثم عاد إلى الصالحية فمادى به مرضه إلى أن مات رحمه الله .

وخرج الركب إلى الحجاز الشريف يوم السبت حادى عشر شوال ، وخرج ناس كثير من البلد ، ووقع مطر عظيم جداً ، وفرح الناس به من جهة أن المطر كان قليلاً جداً في شهر رمضان ، وهو كانون الأصم ، فلما وقع هذا استبشروا به وخافوا على الحجاج ضرره ، ثم تداول المطر وتتابع والله الحمد والمنة ، لكن ترحل الحجاج في أحوال كثيرة وزلق كثير ، والله المسلم والمعين والحامى . ولما استقل الحجيج ذاهبين وقع عليهم مطر شديد بين الصمين فعوقم أياماً بها ، ثم تحاملوا إلى زرع فلم يصلوها إلا بعد جهد جهيد وأمر شديد ، ورجع كثير منهم وأكثرهم ، وذكروا أشياء عظيمة حصلت لهم من الشدة وقوة الأمطار وكثرة الأحوال ، ومنهم من كان تقدم إلى أرض بصرى ، فحصل لهم رفق بذلك والله المستعان . وقيل إن نساء كثيرة من الخدرات مشين حفاة فيما بين زرع والصمين

وبعد ذلك ، وكان أمير الحاج سيف الدين ملك آص وقاضيه شهاب الدين بن الشجرة الحاكم بمدينة بعلبك يومئذ والله المستعان ، انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة ﴾

استهل هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وليس له بمصر نائب ، وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين يلبغا البحنأوى ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، إلا أن قاضي القضاة عماد الدين بن إسماعيل الخنفي نزل عن القضاء لولده قاضي القضاة نجم الدين ، واستقل بالولاية وتدريس النورية ، وبقي والده على تدريس الريحية . وفي يوم الجمعة السادس عشر من الحرم من هذه السنة توفي الشيخ تقي الدين الشيخ الصالح محمد ابن الشيخ محمد بن قوام بزوايتهم بالسفح ، وصلى عليه الجمعة بجامع الأفرم ، ثم دفن بالزاوية وحضره القضاة والأعيان وخلق كثير ، وكان بينه وبين أخيه ستة أشهر وعشرون يوماً ، وهذا أشد من ذلك . وفتحت في أول السنة القيسارية التي أنشأها الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة ظاهر باب الفرج وضمنت ضمناً باهراً بنحو من سبعة آلاف كل شهر ، وداخلها قيسارية تجارة في وسطها بركة ومسجد ، وظاهرها دكاكين وأعمالها بيوت للسكن .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول عقد مجلس بمشهد عثمان للنور الخراساني ، وكان يقرأ القرآن في جامع تنكز ، ويعلم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة ، ادعى عليه فيه أنه تكلم في بعض الأئمة الأربعة ، وأنه تكلم في شيء من العقائد ويطلق عبارة زائدة على ما ورد به الحديث ، وشهد عليه ببعض أشياء متعددة ، فانتضى الحال أن عزز في هذا اليوم ، وطيف به في البلد ، ثم رد إلى السجن معتقلاً . فلما كان يوم الخميس الثاني عشر من شهر ربيع فيه الأمير أحمد بن مهنا ملك العرب عند نائب السلطنة فاستحضره بين يديه وأطلقه إلى أهله وعياله ، ولما كان تاريخ يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى صلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا البحنأوى الناصري بجامع تنكز ظاهر دمشق برا باب النصر ، وصلى عنده القاضي الشافعي والمالكي وكبار الأمراء ، ولما أقيمت الصلاة صلى وقعد بعض مماليكه عن الصلاة ومعه السلاح حراسة له ، ثم لما انصرف من الصلاة اجتمع بالأمراء المذكورين وتشاوروا طويلاً ، ثم نهض النائب إلى دار السعادة فلما كان آخر النهار برز بخدمة ومماليكه وحشمه ووظاقه وسلاحه وحواصله ، ونزل قبلي مسجد القدم وخرج الجند والأمراء في آخر النهار وانزعج الناس ، وانفق طلوع القمر خاسفاً ، ثم خرج الجيش ملبسات تحت الثياب وعليه الترا كيس بالنشاب والخيول والجنايات ، ولا يدري الناس ما الخبر ، وكان

سبب ذلك أن نائب السلطنة بلغه أن نائب صغد قد ركب إليه ليقبض عليه ، فأنزعج لذلك وقال : لا أموت إلا على ظهر أفراسي ، لا على فراشي ، وخرج الجند والأمرأ خوفاً من أن يفوتهم بالفرار ، فنزلوا يمناً ويسرة ، فلم يذهب من تلك المنزلة بل استمر بها يعمل النيابة ويجتمع بالأمرأ جماعة وفرادى ، ويستميلهم إلى ما هو فيه من الرأي ، وهو خلع الملك الكامل شعبان لأنه يكثر من مسك الأمرأ بغير سبب ، ويفعل أفعالا لا تليق بمثله ، وذكروا أموراً كثيرة ، وأن يولوا أخاه أمير حاجي بن الناصر لحسن شكلته وجميل فعله ، ولم يزل يفنلهم في الذروة والغارب حتى أجابوه إلى ذلك ، ووافقوه عليه ، وسهلوا له ما يدعيه ، وتابوا على ما أشار إليه وبايعوه ، ثم شرع في البعث إلى نواب البلاد يستميلهم إلى ما مالا عليه الدهشقيون وكثير من المصريين ، وشرع أيضاً في التصرف في الأمور العامة السككية ، وأخرج بعض من كان الملك الكامل اعتقله بالقلمة المنصورة ، ورد إليه إقطاعه بعد ما بعث الملك الكامل إلى من أقلعه ^(١) منشوره ، وعزل وولى وأخذ وأعطى ، وطلب التجار يوم الأربعاء ثمان عشرة لبيع عليهم خلال الحواصل السلطانية فيدفعوا أثمانها في الحال ، ثم يذهبوا فيتسلهوها من البلاد البرانية ، وحضر عنده القضاة على العادة والأمرأ والسادة ، وهذا كله وهو مخيم بالمكان المذكور ، لا يحصره بلد ولا يحويه سور .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة خرجت تجريدة نحو عشرة طلعية لتلقى من يقدم من الديار المصرية من الأمرأ وغيرهم ، ببقاء الأمر على ما كان عليه ، فلم يصدقهم النائب ، وربما عاقب بعضهم ، ثم رفعهم إلى القلمة ، وأهل دمشق ما بين مصدق باختلاف المصريين وما بين قائل السلطان الكامل قائم الصورة مستمر على ما كان عليه ، والتجاريد المصرية واصله قريبا ، ولا بد من وقوع خبطة عظيمة . وتشوشت أذهان الناس وأحوالهم بسبب ذلك ، والله المسئول أن يحسن العاقبة

وحاصل القضية أن العامة ما بين تصديق وتكذيب ، ونائب السلطنة وخواصه من كبار الأمرأ على ثقة من أنفسهم ، وأن الأمرأ على خاف شديد في الديار المصرية بين السلطان الكامل شعبان وبين أخيه أمير حاجي ، والجمهور مع أخيه أمير حاجي ، ثم جاءت الأخبار إلى النائب بأن التجاريد المصرية خرجت تقصد الشام ومن فيه من الجند لتوطد الأمر ، ثم إنه تراجع رؤس الأمرأ في الليل إلى مصر واجتمعوا إلى إخوانهم ممن هو ممالى لهم على السلطان ، فاجتمعوا ودعوا إلى سلطنة أمير حاجي وضربت الطبائخانات وصارت باقي النفوس متجاهرة على نية تأييده ، وتابذوا السلطان الكامل ، وعدوا عليه مساويه ، وقتل بعض الأمرأ ، وفر الكامل وأنصاره فاحتيط عليه . وخرج أرغون العلاتي زوج ابنته واستظهر أيضاً أمير حاجي فأجلسوه على السرير ولقبوه بالملك المظفر ، وجاءت الأخبار إلى النائب بذلك ، فضربت البشار عندده ، وبعث إلى نائب القلمة فامتنع من ضربها ، وكان قد

طلب إلى الوطاق فامتنع من الحضور، وأغلق باب القلعة، فأنزعج الناس واختبئوا بالبلد، وتقلص وجود الخير، وحصنت القلعة ودعوا للكامل بكرة وعشية على العادة، وأرجف العامة بالجيش على عادتهم في كثرة فصولهم، فحصل لبعضهم أذية. فلما كان يوم الاثنين ثامن الشهر قدم نائب حماة إلى دمشق مطيعاً لنائب السلطنة في تجميل وأبهة، ثم أجريت له عادة أمثاله.

وفي هذا اليوم وقعت بطاقة بقدوم الأمير سيف الدين بيغرا حاجب الحجاب بالديار المصرية لأجل البيعة للسلطان الملك المظفر، فدقت البشار بالوطاق، وأمر بتزيين البلد، فزين الناس وليسوا منشرحين، وأكثرهم يظن أن هذا مكر وخديعة، وأن التجاريد المصرية واصله قريبا. وامتنع نائب القلعة من دق البشار وبالغ في تحصين القلعة، وغلق بابها، فلا يفتح إلا الخوخة البرانية والجوانية، وهذا الصنيع هو الذي يشوش خواطر العامة، يقولون: لو كان ثم شيء له صحة كان نائب القلعة يطالع على هذا قبل الوطاق. فلما كان يوم الثلاثاء بعد الزوال قدم الأمير سيف الدين بيغرا إلى الوطاق، وقد تلقوه وعظموه، ومعه تقليد النيابة من المظفر إلى الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة، وكتاب إلى الأمراء بالسلام. ففرحوا بذلك وبايعوه وانضمت الكلمة والله الحمد. وركب بيغرا إلى القلعة فترجل وسل سيفه ودخل إلى نائب القلعة فبايعه سريعا ودقت البشار في القلعة بعد المغرب، حين بلغه الخبر، وطابت أنفس الناس ثم أصبحت القلعة في الزينة وزادت الزينة في البلد وفرح الناس، فلما كان يوم الخميس حادى عشر الشهر دخل نائب السلطنة من الوطاق إلى البلد والأطلاب بين يديه في تجميل وطبلخانات على عادة العرض، وقد خرج أهل البلد إلى الفرجة، وخرج أهل الذمة بالتواراة، وأشعلت الشموع، وكان يوماً مشهوداً.

وقد صلى في شهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانية صبي عمره ست سنين، وقد رأيتُه وامتنعته فإذا هو يجيد الحفظ والأداء، وهذا من أغرب ما يكون. وفي العشر الأول من هذا الشهر فرغ من بناء الحمام الذي بناها نائب السلطنة بالقرب من الثابتية في خان السلطان العتيق، وما حولها من الرباع والقرب وغير ذلك. وفي يوم الاحد حادى عشره اجتمع نائب السلطنة والقضاة الأربعة ووكيل بيت المال والدولة عند تل المستقين، من أجل أن نائب السلطنة قد عزم على بناء هذه البقعة جامعا بقدر جامع تنكيز، فاشتوروا هنالك، ثم انفصل الحال على أن يعمل، والله ولي التوفيق.

وفي يوم الخميس ثالث ذى القعدة صلى على الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن تيمية، أخو الشيخ تقي الدين رحمهما الله تعالى. وفي يوم السبت ثاني عشره توفي الشيخ على القطناني بقطنا، وكان قد اشتهر أمره في هذه السنين، واتبعه جماعة من الفلاحين والشباب المنتمين إلى طريقة أحمد ابن الرافعي، وعظم أمره وسار ذكره، وقصده الأكارل لزيارة مرات، وكان يقيم السماعات على عادة

أمثاله ، وله أصحاب يظهرون إشارة باطلة ، وأحوالا مفتعلة ، وهذا مما كان ينقم عليه بسببه ، فانه إن لم يكن يعلم بحالهم فجاهل ، وإن كان يقرهم على ذلك فهو مثلهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي أواخر هذا الشهر - أعنى ذى الحجة من العيد وما بعده - أهتم ملك الأمراء فى بناء الجامع الذى بناه تحت القلعة وكان تل المستقين ، وهدم ما كان هناك من أبنية ، وعملت المعجل وأخذت أحجار كثيرة من أرجاء البلد ، وأكثر ما أخذت الأحجار من الرحبة التى للمصريين ، من تحت المأذنة التى فى رأس عقبة الكتاب ، وتيسر منها أحجار كثيرة ، والأحجار أيضا من جبل قاسيون وحمل على الجمال وغيرها ، وكان سلخ هذه السنة - أعنى سنة سبع وأربعين وسبعمائة - قد بلغت غرارة القمح إلى مائتين فما دونها ، وربما بيعت بأكثر من ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك المظفر أمير حاجى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين أرقطيه ، وقضاة مصر هم الذين كانوا فى الماضى بأعيانهم ، ونائبه بالشام المحروسة سيف الدين يلبغا الناصرى ، وقضاة الشام هم المذكورون فى التى قبلها بأعيانهم ، غير أن القاضى عماد الدين الحنفى نزل لولده قاضى القضاة نجم الدين ، فباشر فى حياة أبيه ، وحاجب الحجاب نجر الدين إياس . واستهلت هذه السنة ونائب السلطنة فى همة عالية فى عمارة الجامع الذى قد شرع فى بنائه غربى سوق الخليل ، بالمكان الذى كان يعرف بالتل المستقين .

وفى ثالث المحرم توفى قاضى القضاة شرف الدين محمد بن أبى بكر الهمداني المالكي ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بترتبه بميدان الحصا ، وتأسف الناس عليه لرياسته وديانته وأخلاقه وإحسانه إلى كثير من الناس رحمه الله .

وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من المحرم وصل تقليد قضاء المالكية للقاضى جمال الدين المسلاتى الذى كان نائبا للقاضى شرف الدين قبله ، وخاع عليه من آخر النهار . وفى شهر ربيع الأول أخذوا لبناء الجامع المجدد بسوق الخليل ، أعمدة كثيرة من البلد ، فظاهر البلد يعلقون ما فوقه من البناء ثم يأخذونه ويقومون بدله دعامة وأخذوا من درب الصيقل وأخذوا العمود الذى كان بسوق العلبيين الذى فى تلك الدخلة على رأسه مثل الكرة فيها حديد ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر أنه كان فيه طلسم لعسر بول الحيوان إذا داروا بالدابة ينحل أراقبها ، فلما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة قلعوه من موضعه بعد ما كان له فى هذا الموضع نحواً من أربعة آلاف سنة والله أعلم . وقد رأيت فى هذا اليوم وهو ممدود فى سوق العلبيين على الأخشاب

ليجروه إلى الجامع المذكور من السوق الكبير ، ويخرجوا به من باب الجابية الكبير فلا إله إلا الله .
وفي أواخر شهر ربيع الآخر ارتفع بناء الجامع الذي أنشأه النائب وجفت العين التي كانت تحت
جداره حين أسوسه والله الحمد .

وفي سلخ ربيع الآخر وردت الأخبار من الديار المصرية بمسك جماعة من أعيان الأمراء
كالججزي وأقسنقر الناصري ، ومن لف لفيها ، فتحرك الجند بالشام ووقعت خبطة ، ثم استهل شهر
جمادى الأولى والجند في حركة شديدة ، ونائب السلطنة يستدعي الأمراء إلى دار السعادة بسبب
ما وقع بالديار المصرية ، وتعاهد هؤلاء على أن لا يؤذوا أحداً ، وأن يكونوا يداً واحدة ، وفي هذا اليوم [اليوم] تحول
ملك الأمراء من دار السعادة إلى القصر الأبلق واحترز لنفسه ، وكذلك حاشيته . وفي يوم الأربعاء
الرابع عشر منه قدم أمير من الديار المصرية على البريد ومعه كتاب من السلطان فيه التصريح بعزل
ملك الأمراء يلبغا نائب الشام ، فقرأ عليه بحضرة الأمراء بالقصر الأبلق ، فتغصم لذلك وساءه ،
وفيه طلبه إلى الديار المصرية على البريد ليولى نيابة الديار المصرية ، والظاهر أن ذلك خديعة له ،
فأظهر الامتناع ، وأنه لا يذهب إلى الديار المصرية أبداً ، وقال : إن كان السلطان قد استكثر على
ولاية دمشق فيوليني أى البلاد شاء ، فأنا راض بها . ورد الجواب بذلك ، ولما أصبح من الغد وهو
يوم الخميس وهو خامس عشره ، ركب نخيم قريبا من الجسورة في الموضع الذي خيم فيه عام أول ، وفي
الشهر أيضا كما تقدم ، فبات ليلة الجمعة وأمر الأمراء بنصب الخيام هنالك على عادتهم عام أول .

فلما كان يوم الجمعة سادس عشره بعد الصلاة ما شعر الناس إلا والأمراء قد اجتمعوا تحت
القلعة وأحضروا من القلعة منجقين سلطانيين أصفرين ، وضربوا الطبول حربياً ، فاجتمعوا كلهم
تحت السنجق السلطاني ، ولم يتأخر منهم سوى النائب وذويه كابنيه وإخوته وحاشيته ، والأمير
سيف الدين قلاوون أحد مقدمي الأتوف وخبره أكبر أخبار الأمراء بعد النيابة ، فبعث إليه
الأمراء أن هلم إلى السمع والطاعة للسلطان ، فامتنع من ذلك وتكررت الرسل بينهم وبينه فلم يقبل ،
فساروا إليه في الطباخانات والبوقات ملبسين لأمة الحرب ، فلما انتهوا إليه وجدوه قد ركب خيوله
ملبساً واستعد للهرب ، فلما واجههم هرب هو ومن معه وفر فرار رجل واحد ، وساق الجند وراءه فلم
يكتنفوا له غباراً ، وأقبل العمامة وتركبان القبيبات ، فانتهبوا ما بقى في معسكره من الشعير والأغنام
والخيام ، حتى جعلوا يقطعون الخيام والأطناب قطعاً قطعاً ، فعدم له ولا أصحابه من الأمتعة ما يساوى
ألف ألف درهم ، وانتدب لطلبه والمسير وراءه الحاجب الكبير الذي قدم من الديار المصرية قريبا
شهاب الدين بن صبح ، أحد مقدمي الأتوف ، فسار على طريق الأشرفية ثم عدل إلى ناحية القريتين .
ولما كان يوم الأحد قدم الأمير نجر الدين إياس نائب صغد فيها فتلقيه الأمراء والمقدمون ، ثم

جاء فنزل القصر وركب من آخر النهار في الجحافل ، ولم يترك أحدا من الجند بدمشق إلا ركب معه وساق وراءه يلبغا فانبرا نحو البرية ، فجعلت الأعراب يعترضونه من كل جانب ، وما زالوا يكفونه حتى سار نحو حماة ، فخرج نائبها وقد ضعف أمره جداً ، وكل هو ومن معه من كثرة السوق ومصاولة الأعداء من كل جانب ، فألقى بيده وأخذ سيفه وسيوف من معه واعتقلوا بحماة ، وبعث بالسيوف إلى الديار المصرية ، وجاء الخبر إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء رابع عشر هذا الشهر ، فضربت البشائر بالقلمة وعلى باب الميادين على العادة ، وأحدقت العساكر بحماة من كل جانب ينتظرون ما رسم به السلطان من شأنه ، وقام إياس بجيش دمشق على حمص ، وكذلك جيش طرابلس ، ثم دخلت العساكر راجعة إلى دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر ، وقدم يلبغا وهو مقيد على كديش هو وأبوه وحوله الأمراء الموكلون به ومن معه من الجنود ، فدخلوا به بعد عشاء الآخرة فاجتازوا به فم السبعة بعدما غلقت الأسواق ، وطفئت السرج ، وغلقت الطاقات ، ثم مروا على الشيخ رسلان والباب الشرقي على باب الصغير ، ثم من عند مسجد الديان على المصلى ، واستمروا ذاهبين نحو الديار المصرية ، وتواترت البريدية من السلطان بما رسم به في أمره وأصحابه الذين خرجوا معه من الاحتياط على حواصلهم وأموالهم وأملاكهم وغير ذلك ، وقدم البريد من الديار المصرية يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة فأخبر بقتل يلبغا فيما بين قاقون وغبرة ، وأخذت رؤسهما إلى السلطان وكذلك قتل بغبرة الأمراء الثلاثة الذين خرجوا من مصر وحاكم الوزير ابن سرد ابن البغدادي ، والودادار طغيتهم وبيدمر البدرى ، أحد المقدمين ، كان قد تقدم عليه السلطان مملأة يلبغا ، فأخرجهم من مصر مسلوبين جميع أموالهم وسيرهم إلى الشام ، فلما كانوا بغزة لحقهم البريد بقتلهم حيث وجدهم وكذلك رسم بقتل يلبغا حيث التقاه من الطريق ، فلما انفصل البريد من غزة التقى يلبغا في طريق وادي فحمة فخنقه ثم احتز رأسه وذهب به إلى السلطان ، وقدم أميران من الديار المصرية بالحوطة على حواصل يلبغا وطواشي من بيت المملكة ، فتسلم مصاغاً وجواهر نفيسة جداً ، ورسم ببيع أملاكه وما كان وقفه على الجامع الذي كان قد شرع بعمارة بسوق الخليل ، وكان قد اشتهر أنه وقف عليه القيسارية التي كان أنشأها ظاهر باب الفرج ، والحمامين المتجاورين ظاهر باب الجابية غربى خان السلطان العتيق ، وخصصا في قرايا أخرى كان قد استشهد على نفسه بذلك قبل ذلك فإله أعلم . ثم طلب بقية أصحابه من حماة فحملوا إلى الديار المصرية وعدم خبرهم ، فلا يدري على أى صفة هلكوا . وفي صبيحة يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة دخل الأمير سيف الدين أرغون شاه دمشق المحروسة نائباً عليها ، وكان قدومه من حلب ، انفصل عنها وتوجه إليها الأمير نجر الدين إياس الحاجب ، فدخلها أرغون شاه في أبهة وعليه خلعة وعمامة بطرفين ، وهو قريب الشكل

من تنكز رحمه الله فنزل دار السعادة وحكم بها ، وفيه صرامة وشهامة .

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه صلى على الأمير قراسنقر بالجامع الأموي وظاهر باب النصر ، وحضر القضاة والأعيان والأمراء ، ودفن بترتبه بميدان الحصا بالقرب من جامع الكريمي وعملت ليلة النصف على العادة من إشعال القناديل ولم يشعل الناس لما هم فيه من الغلاء وتأخر المطر وقلة الغلة ، كل رطل إلا وقية بدرهم ، وهو متغير ، وسائر الأشياء غالية ، والزيت كل رطل بأربعة ونصف ، ومثله الشيرج والصابون والأرز والعنبر يس كل رطل بثلاثة ، وسائر الأطعمة على هذا النحو ، وليس شيء قريب الحال سوى اللحم بدرهمين وربع ، ونحو ذلك ، وغالب أهل حوران يردون من الأماكن البعيدة ويحلبون القمح للمؤنة والبدار من دمشق ، وبيع عندهم القمح المغربي كل مد بأربعة دراهم ، وهم في جهد شديد ، والله هو المأمول المسئول . وإذا سافر أحد يشق عليه تحصيل الماء لنفسه ولفرسه ودابته ، لأن المياه التي في الدرب كلها نفدت ، وأما القدس فأشد حالاً وأبلغ في ذلك .

ولما كان العشر الأخير من شعبان من هذه السنة من الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على عباده بإرسال الغيث المتدارك الذي أحيا العباد والبلايا ، وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء في الأودية والغدران ، وامتلات بركة زرع بعد أن لم يكن فيها قطرة ، وجاءت بذلك البشارة إلى نائب السلطنة ، وذكر أن الماء عم البلاد كلها ، وأن الثلج على جبل بني هلال كثير ، وأما الجبال التي حول دمشق فعليها ثلوج كثيرة جداً ، واطمأنت القلوب وحصل فرج شديد والله الحمد والمنة ، وذلك في آخر يوم بقي من تشرين الثاني .

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رمضان توفي الشيخ عز الدين محمد الحنبلي بالصالحية وهو خطيب الجامع المظفرى ، وكان من الصالحين المشهورين رحمه الله ، وكان كثير آما يلقن الأموات بعد دفنهم ، فلقنه الله حجته وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

﴿ مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر ﴾

وفي العشر الأخير من رمضان جاء البريد من نائب غزة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد ، وقع بينه وبين الأمراء فتحيزوا عنه إلى قبة النصر فخرج إليهم في طائفة قليلة فقتل في الحال وسحب إلى مقبرة هناك ، ويقال قطع قطعاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما كان يوم الجمعة آخر النهار ورد من الديار المصرية أمير للبيعة لأخيه السلطان الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فدقت البشارة في القلعة المنصورة ، وزين البلد بكامله والله الحمد في الساعة الراهنة من أمكن من الناس ، وما أصبح صباح يوم السبت إلا زين البلد بكامله والله الحمد على انتظام الكلمة ، واجتماع الألفة . وفي يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الأمير نجر الدين

إياس نائب حاب محتاطا عليه ، فاجتمع بالنائب في دار السعادة ، ثم أدخل القلعة مضيقا عليه ، ويقال إنه قد فوض أمره إلى نائب دمشق ، فهما فعل فيه فقد أمضى له ، فأقام بالقلعة المنصورة نحواً من جمعة ، ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية ، فلم يدر ما فعل به .

وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذى القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي بترية أم الصالح وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير ، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله .

وفي يوم الأحد سادس عشر ذى القعدة حضرت تربة أم الصالح رحم الله واقفها عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي ، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة ، وكان درساً مشهوداً والله الحمد والمنة ، وأوردت فيه حديث أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « إنما نسمة المؤمن طائر معلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه » وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائب السلطنة بجماعة انهبوا شيئاً من الباعة فقطعوا إحدى عشر منهم ، ومهر عشر تسميرا تعزيراً وتأديباً انتهى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الملك المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا ، ووزيره منجك ، وقضاته عز الدين بن جماعة الشافعي واتي الدين الاخنائي المالكي ، وعلاء الدين بن التركاني الحنفي ، وموفق الدين المقدمي الحنبلي ، وكاتب سره القاضي علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمري ، ونائب الشام المحروس بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ، وحاجب الحجاب الأمير طيردمر الاسماعيلي ، والقضاة بدمشق قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، وقاضي القضاة نجم الدين الحنفي ، وقاضي القضاة جلال الدين المسلاتي المالكي ، وقاضي القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلي ، وكاتب سره القاضي ناصر الدين الحلبي الشافعي ، وهو قاضي العساكر بحلب ، ومدرس الأسدية بها أيضاً ، مع إقامته بدمشق المحروسة ، وتواترت الأخبار بوقوع البلاء في أطراف البلاد ، فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ، ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك ، وكذلك وقع بغزة أمر عظيم ، وقد جاءت مطالعة نائب غزوة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفاً ، وقرى البخارى في يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول في هذه السنة ، وحضر القضاة وجماعة من الناس ، وقرأ أربعة بعد ذلك المقرؤن ، ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد ، وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض

في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق ، حماها الله وسلمها ، مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء . وفي صبيحة يوم تاسعه اجتمع الناس بمحراب الصحابة وقرأوا متوزعين سورة نوح ثلاثة آلاف مرة وثلاثمائة وثلاث وستين مرة ، عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله ﷺ أرشده إلى قراءة ذلك كذلك . وفي هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين وزاد الأموات كل يوم على المائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ، ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلد قليل ، وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجم غفير ، ولا سيما من النساء ، فان الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير ، وشرع الخطيب في القنوت بسأر الصلوات والدعاء برفع الوباء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرع وإتابة ، وكثرت الأموات في هذا الشهر جدا ، وزادوا على المائتين في كل يوم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وتضاعف عدد الموتى منهم ، وتمطلت مصالح الناس ، وتأخرت الموتى عن إخراجهم ، وزاد ضمان الموتى جدا فتضرر الناس ولا سيما الصعاليك ، فانه يؤخذ على الميت شيء كثير جدا ، فرسم نائب السلطنة بإبطال ضمان النعوش والمغسلين والحمالين ، ونودي بإبطال ذلك في يوم الاثنين سادس عشر ربيع الآخر ، ووقف نعوش كثيرة في أرجاء البلد واتسع الناس بذلك ، ولكن كثرت الموتى فإله المستعان .

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله ويسألونه في رفع الوباء عنهم ، فصام أكثر الناس ونام الناس في الجامع وأحبوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان ، فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه خرج الناس يوم الجمعة من كل فج عميق ، واليهود والنصارى والسامرة ، والشيوخ والعجائز والصبيان ، والفقراء والأمرأ والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تعالی النهار جدا ، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم الخميس عاشر جمادى الأولى صلى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتا جملة واحدة ، قهول الناس من ذلك وانذعروا ، وكان الوباء يومئذ كثيرا بما يقارب الثلثمائة بالبلد وحواضره فانا لله وإنا إليه راجعون . وصلى بعد صلاة على خمسة عشر ميتا بجامع دمشق ، وصلى على إحدى عشر نفسا رحمهم الله .

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد ، وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد وربما ضرت الناس وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل أما تنجيسها إلا ما كن

فكثير قد عم الابتلاء به وشق الاحتراز منه ، وقد جمعت جزءاً في الأحاديث الواردة في قتلهم ، واختلاف الأئمة في نسخ ذلك ، وقد كان عمر رضى الله عنه يأمر في خطبته بدمج الحمام وقتل الكلاب ونص مالك في رواية ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بعينها ، إذا أذن الامام في ذلك المصلحة .
 وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين منه توفي زين الدين عبد الرحمن بن شيخنا الحافظ المزي ، بدار الحديث النورية وهو شيخها ، ودفن بمقابر الصوفية على والده . وفي منتصف شهر جمادى الآخرة قوى الموت وتزايد والله المستعان ، ومات خلائق من الخاصة والعامة ممن نعرفهم وغيرهم رحمهم الله وأدخلهم جنته ، وبالله المستعان . وكان يصلى في أكثر الأيام في الجامع على أزيد من مائة ميت فانا لله وإنا إليه راجعون ، وبعض الموتى لا يؤتى بهم إلى الجامع ، وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عدد من يموت بها إلا الله عز وجل رحمهم الله آمين .

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين منه توفي الصدر شمس الدين بن الصباب التاجر السفاربانى المدرسة الصبائية ، التى هى دار قرآن بالقرب من الظاهرية ، وهى قبلى العادلية الكبيرة ، وكانت هذه البقعة برهة من الزمان خربة شنيعة ، فعمرها هذا الرجل وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنبلة ، ووقف هو وغيره عليها أوقافاً جيدة رحمه الله تعالى .

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب صلى بعد الجمعة بالجامع الأموى على غائب : على القاضى علاء الدين بن قاضى شعبة ، ثم صلى على إحدى وأربعين نفساً جملة واحدة ، فلم يتسع داخل الجامع لاصرفهم بل خرجوا ببعض الموتى إلى ظاهر باب السر ، وخرج الخطيب والنقيب فصلى عليهم كلهم هناك ، وكان وقتنا مشهوداً ، وعبرة عظيمة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي هذا اليوم توفي التاجر المسمى بافريدون الذى بنى المدرسة التى بظاهر باب الجابية تجاه تربة بهادرآص ، حائطها من حجارة ملونة ، وجعلها داراً للقرآن العظيم ووقف عليها أوقافاً جيدة ، وكان مشهوراً مشكوراً رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم السبت ثالث رجب صلى على الشيخ على المغربى أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية بالجامع الافرمى بسفح قاسيون ، ودفن بالسفح رحمه الله ، وكانت له عبادة وزهادة وتقشف وورع ولم يتول فى هذه الدنيا وظيفة بالكلية ، ولم يكن له مال بل كان يأتي بشيء من الفتوح يستنفعه قليلاً قليلاً ، وكان يعانى التصوف ، وترك زوجة وثلاثة أولاد رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع رجب صلى على القاضى زين الدين بن النجيج نائب القاضى الحنبلى ، بالجامع المظفرى ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مشكوراً فى القضاء ، لديه فضائل كثيرة ، وديانة وعبادة ، وكان من أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان قد وقع بينه وبين القاضى

الشافعي مشاجرات بسبب أمور ، ثم اصطلمها فيما بعد ذلك .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره بعد أذان الظهر حصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غبارا شديدا اصفر الجو منه ثم اسود حتى أظلمت الدنيا ، وبقى الناس في ذلك نحواً من ربع ساعة يستجرون الله ويستغفرون ويبكون ، مع ما هم فيه من شدة الموت الذريع ، ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام ما هم فيه من الطاعون ، فلم يزد الأمر إلا شدة ، وبالله المستعان . وبلغ المصلى عليهم في الجامع الأموي إلى نحو المائة وخمسين ، وأكثر من ذلك ، خارجاً عن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد ومن يموت من أهل الذمة ، وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير ، يقال إنه بلغ ألفاً في كثير من الأيام ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وصلى بعد الظهر من هذا اليوم بالجامع المظفرى على الشيخ إبراهيم بن المحب ، الذي كان يحدث في الجامع الأموي وجامع تنكز ، وكان مجلسه كثير الجع لصلاحه وحسن ما كان يؤديه من المواعيد النافعة ، ودفن بسفح قاسيون ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله . وعملت المواعيد بالجامع الأموي ليلة سبع وعشرين من رجب ، يقولون ليلة المعراج ، ولم يجتمع الناس فيه على العادة لكثرة من مات منهم ، ولشغل كثير من الناس بمرضاهم وموتهم . واتفق في هذه الليلة أنه تأخر جماعة من الناس في الخيم ظاهر البلد ، فجاءوا ليدخلوا من باب النصر على عادتهم في ذلك ، فكأنه اجتمع خلق منهم بين البابين فهلك كثير منهم كنعوا ما يهلك الناس في هذا الحين على الجنائز ، فانزعج نائب السلطنة فخرج فوجدهم فأمر بجمعهم ، فلما أصبح الناس أمر بتسميرهم ثم عفا عنهم وضرب متولى البلد ضرباً شديداً ، وسمر نأبته في الليل ، وسمر البواب بيباب النصر ، وأمر أن لا يمشى أحد بعد عشاء الآخرة ، ثم تسمع لهم في ذلك .

واستهل شهر شعبان والفناء في الناس كثير جداً ، وربما أنتنت البلد ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وتوفى الشيخ شمس الدين بن الصلاح مدرس القيمرية الكبيرة بالمطر زيين ، يوم الخميس ثالث عشر شعبان وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان صلى بعد الصلاة على جماعة كثيرة ، منهم القاضي عماد الدين ابن الشيرازي ، محتسب البلد ، وكان من أكابر رؤساء دمشق ، وولى نظر الجامع مدة ، وفي بعض الأوقات نظر الأوقاف ، وجمع له في وقت بينهما ودفن بسفح قاسيون .

وفي العشر الأخير من شهر شوال توفى الأمير قرا بغادو يدار النائب ، بداره غربى حكر السماق ، وقد أنشأ له إلى جانبها تربة ومسجداً ، وهو الذى أنشأ السويقة المجددة عند داره ، وعمل لها بابين شرقياً وغربياً ، وضمنت بقيمة كثيرة بسبب جاهه ، ثم بارت وهجرت لقلّة الحاجة إليها ، وحضر الأمراء والقضاة والأكابر جنازته ، ودفن بتربته هناك ، وترك أموالاً جزيلة وحواصل كثيرة جداً ، أخذته مخدمه نائب السلطنة .

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر ذي القعدة توفى خطيب الجامع ، الخطيب تاج الدين عبد الرحيم ابن القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني ، بدار الخطابة ، مرض يومين وأصابه ما أصاب الناس من الطاعون ، وكذلك عامة أهل بيته من جواريه وأولاده ، وتبعه أخوه بعد يومين صدر الدين عبد الكريم ، وصلى على الخطيب تاج الدين بعد الظهر يومئذ عند باب الخطابة ودفن بترتهم بالصوفية عند أبيه وأخويه بدر الدين محمد ، وجمال الدين عبد الله رحمهم الله .

وفي يوم الخميس تاسعه اجتمع القضاة وكثير من الفقهاء المفتين عند نائب السلطنة بسبب الخطابة ، فطلب إلى المجلس الشيخ جمال الدين بن محمود بن جملة فولاه إياها نائب السلطنة ، وانزعت من يده وظائف كان يباشرها ، ففرقت على الناس ، فولى القاضي بهاء الدين أبو البقاء تدريس الظاهرية البرانية ، وتوزع الناس بنية جهاته ، ولم يبق بيده سوى الخطابة ، وصلى بالناس يومئذ الظهر ، ثم خلع عليه في بكرة نهار الجمعة ، وصلى بالناس يومئذ وخطبهم على قاعدة الخطباء .

وفي يوم عرفة ، وكان يوم السبت ، توفى القاضي شهاب الدين بن فضل الله كاتب الأسرار الشريفة بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، ثم عزل عن ذلك ومات وليس يباشر شيئاً من ذلك من رياضة وسعادة وأموال جزيلة ، وأملاك ومرتبات كثيرة ، وعمر داراً هائلة بسفح قاسيون بالقرب من الركنية شرقها ليس بالسفح مثلها ، وقد انتهت إليه رياضة الانشاء ، وكان يشبه بالقاضي الفاضل في زمانه ، وله مصنفات عديدة بعبارة سعيدة ، وكان حسن المذاق كراة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق ، يحب العلماء والفقراء ، ولم يجاوز الخمسين ، توفى بدارهم داخل باب الفراديس ، وصلى عليه بالجامع الأموي ، ودفن بالسفح مع أبيه وأخيه بالقرب من اليعقورية سماحه الله وغفر له .

وفي هذا اليوم توفى الشيخ عبد الله بن رشيق المغربي ، كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية ، كان أبصر بخط الشيخ منه ، إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا ، وكان سريع الكتابة لا بأس به ، دينا عابداً كثير التلاوة حسن الصلاة ، له عيال وعليه ديون رحمه الله وغفر له آمين . ﴿ ثم دخلت سنة خمسين وسبعمائة ﴾

استهل هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك من البلاد الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائب الديار المصرية ومدير ممالكة والانتابك سيف الدين يلبغا ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، وكذلك أرباب الوظائف سوى الخطيب وسوى المحتسب .

وفي هذه السنة والله الحمد تقاصر أمر الطاعون جدا ونزل ديوان المواريث إلى العشرين وما حولها بعد أن بلغ الخمسة في أثناء سنة تسع وأربعين ، ثم تقدم ولكن لم يرتفع بالكلية ، فان في يوم الأربعاء رابع شهر المحرم توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن الثقة هو وابنه وأخوه في ساعة واحدة بهذا المرض ، وصلى عليهم جميعاً ، ودفنوا في قبر واحد رحمهم الله تعالى .

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفي صاحبنا الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي ، مدرس العمادية كان رحمه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح ، وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن ، وخلق حسن ، جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر باشر اتقى الدين بن رافع المحدث مشيخة دار الحديث النورية ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء والقضاة والأعيان ، انتهى والله تعالى أعلم .

✽ مسك نائب السلطنة أرغون شاه ✽

وفي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول مسك نائب السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه ، وكان قد انتقل إلى القصر الأبلق بأهله ، فها شعر بوسط الليل إلا ونائب طرابلس الأمير سيف الدين ألقى بغيا المظفرى الناصرى ، ركب إليه في طائفة من الأمراء الأتوف وغيرهم ، فأحاطوا به ودخل عليه من دخل وهو مع جواريه نائم ، فخرج إليهم فقبضوا عليه وقيدوه ورموا عليه ، وأصبح الناس أكثرهم لا يشعر بشيء مما وقع ، فتحدث الناس بذلك واجتمعت الأتراك إلى الأمير سيف الدين ألقى بغيا المذكور ، ونزل بظاهر البلد ، واحتيط على حواصل أرغون شاه ، فبات عزيزاً وأصبح ذليلاً ، وأمسى علينا نائب السلطنة فأصبح وقد أحاط به الفقر والمسكنة فسبحان من بيده الأمر مالك الملك (يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويمز من يشاء وينزل من يشاء) وهذا كما قال الله تعالى (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيئاتاً وهم نائمون ، أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ثم لما كان ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول أصبح مذبولاً فأثبت محضر بأنه ذبح نفسه فالحمد لله تعالى أعلم .

✽ كائنة عجيبه غريبة جداً ✽

ثم لما كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين وسبعائة وقع اختلاف بين جيش دمشق وبين الأمير سيف الدين ألقى بغيا ، نائب طرابلس ، الذى جاء فأمسك نائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى ، ليلة الخميس وقدمه ليلة الجمعة كما تقدم ، وأقام بالميدان

الأخضر يستخلص أمواله وحواسله ، ويجمعها عنده ، فأنكر عليه الأمراء الكبار ، وأمره أن يحمل الأموال إلى قلعة السلطان فلم يقبل منهم ، فاتهموه في أمره ، وشكوا في الكتاب على يده من الأمر بمسكه وقتله ، وركبوا ملبسين تحت القلعة وأبواب الميادين ، وركب هو في أصحابه وهم في دون المائة ، وقائل يقول هم ما بين السبعين إلى الثمانين والتسمين ، جعلوا يحملون على الجيش حمل المستقلين ، إنما يدافعهم مدافعة المتبرئين ، وليس معهم مرسوم بقتلهم ولا قتالهم ، فلهاذولى أكثرهم منهزمين ، فخرج جماعة من الجيش حتى بعض الأمراء المقدمين ، وهو الأمير الكبير سيف الدين ألبى بغا العادلى ، فقصت يده اليمنى ، وقد قارب التسمين ، وقتل آخرون من أجناد الحلقة والمستخدمين ، ثم انفصل الحال على أن أخذ ألبى بغا المظفرى من خيول أرغون شاه المرتبطة في اسطبله ما أراد ، ثم انصرف من ناحية المزة صاعراً على عقبيه ، ومعه الأموال التي جمعها من حواصل أرغون شاه ، واستمر ذاهباً ، ولم يتبعه أحد من الجيش ، وصحبته الأمير نغر الدين إياس ، الذي كان حاجباً ، ونائب في حلب في العام الماضى ، فذهبا بمن معهما إلى طرابلس ، وكتب أمراء الشام إلى السلطان يملونه بما وقع ، فجاء البريد بأنه ليس عند السلطان علم بما وقع بالسكينة ، وأن الكتاب الذى جاء على يديه مفتعل ، وجاء الأمر لاربعة آلاف من الجيش الشامى أن يسيروا وراءه ليمسكوه ثم أضيف نائب صغد مقدماً على الجميع ، فخرجوا في العشر الأول من ربيع الآخر . وفي يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر خرجت العساكر في طلب سيف الدين ألبى بغا العادلى في المعركة وهو أحد أمراء الألوف المقدمين ، ولما كانت ليلة الخميس سابعه نودى بالبلد على من يقربها من الاجناد أن لا يتأخر أحد عن الخروج بالغد ، فأصبحوا في سرعة عظيمة واستنبد في البلد نيابة عن النائب الراتب الأمير بدر الدين الخطير ، فحكم بدار السعادة على عادة النواب . وفي ليلة السبت بين العشاءين سادس عشره دخل الجيش الذين خرجوا في طلب ألبى بغا المظفرى ، وهو معهم أسير ذليل حقير ، وكذلك الفخر إياس الحاجب مأسور معهم ، فأودعا في القلعة مهانين من جسر باب النصر الذى تجاه دار السعادة ، وذلك بحضور الأمير بدر الدين الخطير نائب الغيبة ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، والله الحمد والمنة . فلما كان يوم الاثنين الثامن عشر منه خرجا من القلعة إلى سوق الخليل فوسطا بمحضرة الجيش ، وعلقت جثتهما على الخشب ليراها الناس ، فسكننا أياماً ثم أنزلنا فدفنا بمقابر المسلمين .

وفي أوائل شهر جمادى الآخرة جاء الخبر بموت نائب حلب سيف الدين قطلبشاه ففرح كثير من الناس بموته وذلك لسوء أعماله في مدينة حماة في زمن الطاعون ، وذكر أنه كان يحتاط على التركة وإن كان فيها ولد ذكر أو غيره ، ويأخذ من أموال الناس جهرة ، حتى حصل له منها شيء كثير ، ثم

نقل إلى حلب بعد نائباها الأمير سيف الدين أرقطيه الذي كان عين لنيابة دمشق بعد موت أرغون شاه ، وخرج الناس لتلقيه فها هو إلا أن برز منزلة واحدة من حلب فمات بتلك المنزلة ، فلما صار قطلبشاه إلى حلب لم يقم بها إلا يسيراً حتى مات ، ولم يفتنع بتلك الأموال التي جمعها لا في دنياه ولا في أخراه .

ولما كان يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الآخرة دخل الأمير سيف الدين أيتمش الناصري من الديار المصرية إلى دمشق نائبا عليها ، وبين يديه الجيش على العادة ، فقبل العتبة ولبس الحياصة والسيف ، وأعطى تقليده ومنشوره هنالك ، ثم وقف في الموكب على عادة النواب ، ورجع إلى دار السعادة وحكم ، وفرح الناس به ، وهو حسن الشكل تام الخلقة ، وكان الشام بلا نائب مستقل قريبا من شهرين ونصف . وفي يوم دخوله حبس أربعة أمراء من الطبائخانات ، وهم القاسمي وأولاد آل أبو بكر اعتقلهم في القلعة لما لأتهم الجبى بغا المظفرى ، على أرغون شاه نائب الشام .

وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة حكم القاضى نجم الدين بن القاضى عماد الدين الطرسوسى الحنفى ، وذلك بتوقيع سلطاني وخلمة من الديار المصرية . وفي يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة حصل الصلح بين قاضى القضاة تقي الدين السبكي وبين الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية ، على يدى الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب ، فى بستان قاضى القضاة ، وكان قد نقم عليه إكثاره من الفتيا بمسألة الطلاق .

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه نقلت جثة الأمير سيف الدين أرغون شاه من مقابر الصوفية إلى تربته التي أنشأها تحت الطارمة ، وشرع فى تكميل التربة والمسجد الذى قبلها ، وذلك أنه عاجلته المنية على يد الجبى بغا المظفرى قبل إتمامهما ، وحين قتلوه ذبحا ودفنوه ليلا فى مقابر الصوفية ، قريبا من قبر الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، ثم حول إلى تربته فى الليلة المذكورة ، وفى يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤذنون للفجر قبل الوقت بقريب من ساعة ، فصلى الناس فى الجامع الأموى على عادتهم فى ترتيب الأئمة ، ثم رأوا الوقت باقيا فأعاد الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم ، وأقيمت الصلاة ثانيا ، وهذا شىء لم يتفق مثله .

وفي يوم الخميس ثامن شهر شعبان توفى قاضى القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلى بالمسماوية ، وصلى عليه الظاهر بالجامع الأموى ، ثم بظاهر باب النصر ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي يوم الاثنين رضان بكرة النهار استدعى الشيخ جمال الدين المرداوى من الصالحية إلى دار السعادة ، وكان تقليد القضاء لمذهبه قد وصل إليه قبل ذلك بأيام ، فأحضرت الخلعة بين يدى النائب والقضاة الباقين ، وأريد على لبسها وقبول الولاية فامتنع ، فألحوا عليه فصمم وبالغ فى الامتناع

وخرج وهو مغضب فراح إلى الصالحية فبالغ الناس في تعظيمه ، وبقى القضاة يوم ذلك في دار السعادة ، ثم بعثوا إليه بعد الظهر فحضر من الصالحية فلم يزالوا به حتى قبل ولبس الخلعة وخرج إلى الجامع ، فقرأه تقليده بعد العصر ، واجتمع معه القضاة وهنأه الناس ، وفرحوا به لديانته وصيانتته وفضيلته وأمانته . وبعد هذا اليوم بأيام حكم الفقيه شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي نيابة عن قاضي القضاة جمال الدين المرادوى المقدسى ، وابن مفلح زوج ابنته . وفي العشر الأخير من ذى القعدة حضر الفقيه الامام المحدث المفيد أمين الدين الايجي المالكي مشيخة دار الحديث بالمدرسة الناصرية الجوانية ، نزل له عنها الصدر أمين الدين ابن القلانسي ، وكيل بيت المال ، وحضر عنده الأكارب والأعيان . وفي أواخر هذه السنة تكامل بناء التربة التي تحت الطارمة المنسوبة إلى الأمير سيف الدين أرغون شاه ، الذي كان نائب السلطنة بدمشق ، وكذلك القبلى منها ، وصلى فيها الناس ، وكان قبل ذلك مسجدا صغيرا فعمره وكبره ، وجاء كأنه جامع تقبل الله منه انتهى .

✽ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ✽

استهلت وسلطان الشام ومصر الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بمصر الامير سيف الدين يلبغا وأخوه سيف الدين منجك الوزير ، والمشارون جماعة من المقدمين بديار مصر ، وقضاة مصر وكاتب السرم الذين كانوا في السنة الماضية ، ونائب الشام الأمير سيف الدين ارتيمش الناصري ، والقضاة هم القضاة سوى الحنبلي فانه الشيخ جمال الدين يوسف المرادوى ، وكاتب السر ، وشيخ الشيوخ تاج الدين ، وكاتب الدست هم المتقدمون ، وأضيف إليهم شرف الدين عبد الوهاب بن القاضي علاء الدين بن شمرون ، والمحتسب القاضي عماد الدين بن العزفور ، وشاد الأوقاف الشريف ، وناظر الجامع نجر الدين بن العفيف ، وخطيب البلد جمال الدين محمود ابن جملة رحمه الله .

وفي يوم السبت عاشر المحرم نودى بالبلد من جهة نائب السلطان عن كتاب جاءه من الديار المصرية أن لا تلبس النساء الاكمام الطوال العراض ، ولا البرد الحرير ، ولا شيئا من اللباسات والثياب الثمينة ، ولا الأقمشة القصار ، وبلغنا أنهم بالديار المصرية شددوا في ذلك جدا ، حتى قيل إنهم غرقوا بعض النساء بسبب ذلك فإله أعلم .

وجدت وأكملت في أول هذه السنة دار قرآن قبلى تربة امرأة تنكز ، بمحلة باب الخواصين حولها ، وكانت قاعة صورة مدرسة الطواشى صفي الدين عنبر ، مولى ابن حمزة ، وهو أحد الكبار الأجواد ، تقبل الله منه . وفي يوم الأحد خامس شهر جمادى الأولى فتحت المدرسة الطيبانية التي كانت دارا للأمر سيف الدين طيبان بالقرب من الشامية الجوانية ، بينها وبين أم الصالح ، اشترت

من ثلثة الذي وصى به ، وفتحت مدرسة وحول لها شباك إلى الطريق في ضفتها القبليّة منها ، وحضر
الدرس بها في هذا اليوم الشيخ عماد الدين بن شرف الدين بن عم الشيخ كمال الدين بن الزملكاني
بوصية الواقف له بذلك ، وحضر عنده قاضي القضاة السبكي والمالكي وجماعة من الأعيان ، وأخذ في
قوله تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الآية . واتفق في ليلة الأحد السادس
والعشرين من جمادى الأولى أنه لم يحضر أحد من المؤذنين على السدة في جامع دمشق وقت إقامة
الصلاة للمغرب سوى مؤذن واحد ، فانتظر من يقيم معه الصلاة فلم يجيء أحد غيره مقدار درجة أو
أزيد منها ، فأقام هو الصلاة وحده ، فلما أحرم الامام بالصلاة تلاحق المؤذنون في أثناء الصلاة حتى
بلغوا دون العشرة ، وهذا أمر غريب من عدة ثلاثين مؤذن أو أكثر ، لم يحضر سوى مؤذن واحد ،
وقد أخبر خلق من المشايخ أنهم لم يروا نظير هذه الكائنة .

وفي يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة اجتمع القضاة بمشهد عثمان ، وكان الفاضل الحنبلي
قد حكم في دار المعتمد الملاصقة لمدرسة الشيخ أبي عمر يلبغا ، وكانت وقفا ، لتضاف إلى دار القرآن ،
ووقف عليها أوقف للفقراء ، فمنه الشافعي من ذلك ، من أجل أنه يؤول أمرها أن تكون دارحديث
ثم فتحوا بابا آخر وقالوا : هذه الدار لم يستهدم جميعها ، وما صادف الحكم محلا ، لأن مذهب الامام
أحمد أن الوقف يباع إذا استهدم بالكلية ، ولم يبق ما ينتفع به ، فحكم القاضي الحنفي باثباتها وقفا كما
كانت ، ونفذه الشافعي والمالكي ، وانفصل الحال على ذلك ، وجرت أمور طويلة ، وأشياء عجيبه .
وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة أصبح بواب المدرسة المستجدة التي
يقال لها الطيبانية إلى جانب أم الصالح مقتولا مذبحا ، وقد أخذت من عنده أموال من المدرسة
المذكورة ولم يطاع على فاعل ذلك ، وكان البواب رجلا صالحا مشكورا رحمه الله .

﴿ ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ﴾

وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفي صاحبنا الشيخ الامام العلامة شمس
الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، إمام الجوزية ، وابن قيمها ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر
من الغد بالجامع الأموي ، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله . ولد في سنة إحدى
وتسعين وستائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وبرع في علوم متعددة ، لا سيما علم التفسير والحديث
والأصليين ، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثلثي عشرة وسبعائة لازمه
إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علما جبا ، مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابيه في
فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلا ونهاراً ، وكثرة الابتهاال . وكان حسن القراءة والخلق ، كثير
التودد لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ، ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد ، وكنت من أصحاب الناس له وأحب

الناس إليه ، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها ، ويومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا ينزع عز ذلك رحمه الله ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا ، وروى من الكتب ما لا يتعبه تحصيل عشره من كتب السلف والخلف ، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعته وأموره وأحواله ، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ، سأل الله رحمه ، وقد كان منصديا للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره ، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصلحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه ، وكل له من العمر ستون سنة رحمه الله .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الامام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضا عن أبيه رحمه الله فأفاد وأجاد ، وسرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله ، انتهى والله تعالى أعلم .

ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر ، أنه بطل الوعيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان ، فلم يزد في وقيدته قنديل واحد على عادة لياليه في سائر السنة والله الحمد والمنة . وفرح أهل العلم بذلك ، وأهل الديانة ، وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنعاء ، التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد ، والاستيجار بالجامع الأموي ، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه ، وشيد أركانه وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيب بيض الله وجهه ، وقد كان مقوما في هذا الحين بالديار المصرية ، وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وغيرهما في إبطال هذه البدعة ، فأفند الله ذلك والله الحمد والمنة . وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا ، ولم يسعى فيها من فقيه وقاض ومفت وعالم وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ولم يبسر الله ذلك إلا في عامنا هذا ، والمسؤول من الله إطالة عمر هذا السلطان ، ليعلم الجهلة الذين استقر في أذهانهم إذا أبطل هذا الوعيد في عام يموت سلطان الوقت ، وكان هذا لاحقيقة له ولادليل عليه إلا مجرد الوهم والخيال .

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة ، فيما يتعلق بالفقهاء والمدارس ، وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية ، وكان بيده نصف تدريس الصاحية

التي للمناجاة بالصالحية ، والنصف الآخر للشيخ شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي شيخ الحنابلة بدمشق ، فاستنجز مرسوماً بالنصف الآخر ، وكانت بيده ولاية متقدمة من القاضي علاء الدين ابن المنجا الحنبلي ، فعارضه في ذلك قاضي القضاة جمال الدين المرادوى الحنبلي ، وولى فيها نائبه شمس الدين بن مفلح ، ودرس بها قاضي القضاة في صدر هذا اليوم ، فدخل القضاة الثلاثة الباقيون ومعهم الشيخ شرف الدين المذكور إلى نائب السلطنة ، وأنهوا إليه صورة الحال ، فرسم له بالتدريس ، فركب القضاة المذكورون وبعض الحجاب في خدمته إلى المدرسة المذكورة ، واجتمع الفضلاء والأعيان ، ودرس الشيخ شرف الدين المذكور ، وبث فضائل كثيرة ، وفرح الناس .

وفي شوال كان في جملة من توجه إلى الحج في هذا العام نائب الديار المصرية ومدير ممالكها الأمير سيف الدين يلبغا الناصري ، ومعهم جماعة من الأمراء ، فلما استقل الناس ذاهبين نهض جماعة من الأمراء على أخيه الأمير سيف الدين منجك ، وهو وزير الملكة ، وأستاذ دار الاستدارية ، وهو باب الحوائج في دولتهم ، وإليه يرسل ذوا الحاجات بالذهب والهدايا ، فأمسكوه وجاءت البريدية إلى الشام في أواخر هذا الشهر بذلك ، وبعد أيام يسيرة وصل الأمير سيف الدين شيوخون ، وهو من أكبر الدولة المصرية تحت الترسيم ، فأدخل إلى قلعة دمشق ، ثم أخذ منها بعد ليلة فذهب به إلى الاسكندرية فأنه أعلم . وجاء البريد بالاحتياط على ديوانه وديوان منجك بالشام وأيس من سلامتهما ، وكذلك وردت الأخبار بمسك يلبغا في أثناء الطريق ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، وقدم أمير من الديار المصرية فحلف الأمراء بالطاعة إلى السلطان ، وكذلك سار إلى حلب فحلف من بها من الأمراء ثم عاد إلى دمشق ثم عاد راجعاً إلى الديار المصرية ، وحصل له من الاموال شيء كثير من النواب والأمراء .

وفي يوم الخميس العشرين من ذي القعدة مسك الأميران الكبيران الشاميان المقدمان شهاب الدين أحمد بن صباح ، وملك آص ، من دار السعادة بمحضرة نائب السلطنة والأمراء ورفعوا إلى القلعة المنصورة ، سير بهما ماشيين من دار السمادة إلى باب القلعة من ناحية دار الحديث ، وقيدا وسجنا بها ، وجاء الخبر بأن السلطان استوزر بالديار المصرية القاضي علم الدين زينور ، وخلع عليه خلعة سنية ، لم يسمع بمثلها من أعصار متقدمة ، وباشر وخلع على الأمراء والمقدمين ، وكذلك خلع على الأمير سيف الدين طسبغا وأعيد إلى مباشرة الدويارية بالديار المصرية ، وجعل مقدما .

وفي أوائل شهر ذي الحجة اشتهر أن نائب صغد شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانات طلب إلى الديار المصرية فامتنع من إجابة الداعي ، ونقض العهد ، وحصن قلعتها ، وحصل فيها عدداً ومدداً وادخر أشياء كثيرة بسبب الإقامة بها والامتناع فيها ، فجاءت البريدية إلى نائب دمشق بأن يركب هو

وجميع جيش دمشق إليه ، فتجهز الجيش لذلك وتأهبوا ، ثم خرجت الأطلاب على راياتها ، فلما برز منها بعض بدا لنائب السلطنة فردم وكان له خبرة عظيمة ، ثم استقر الحال على تجريد أربعة مقدمين بأربعة آلاف إليه .

وفي يوم الخميس ثاني عشره وقعت كائنة غريبة بمي وذلك أنه اختلف الأمراء المصريون والشاميون مع صاحب اليمن الملك المجاهد ، فاقتتلوا قتالا شديدا قريبا من وادي محسر ، ثم انجلت الواقعة عن أسر صاحب اليمن الملك المجاهد فحمل مقيدا إلى مصر ، كذلك جاءت بها كتب الحجاج وهم أخبروا بذلك . واشتهر في أواخر ذي الحجة أن نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكامل قد خرج عنها بماليكه وأصحابه فرام الجيش الحلبي رده فلم يستطيعوا ذلك ، وجرح منهم جراحات كثيرة ، وقتل جماعة فانا لله وإنا إليه راجعون ، واستمر ذاهبا وكان في أمه فيما ذكر أن يتلقى سيف الدين يلبغا في أثناء طريق الحجاز فيتقدم معه إلى دمشق ، وإن كان نائب دمشق قد اشتغل في حصار صفد أن يهجم عليها بغتة فيأخذها ، فلما سار بمن معه وأخذته القطاع من كل جانب ونهبت حواصله وبقى تجريدة في نفر يسير من ماليكه ، فاجتاز بحمالة ليهر به نائبها فأبى عليه ، فلما اجتاز بحمص وطن نفسه على المسير إلى السلطان بنفسه ، فقدم به نائب حمص وتلقاه بعض الحجاب وبعض مقدمين الأتوف ودخل يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين الشهر ، وهو في أبهة ، فنزل بدار السعادة في بعض قاعات الدويدارية انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد الشامية والديار المصرية والحرمين الشريفين وما يلحق بذلك من الأقاليم والبلدان ، الملك الناصر حسن بن السلطان الملك محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا الملقب بحارس الطير ، وهو عوضا عن الأمير سيف الدين يلبغا أروش الذى راح إلى بلاد الحجاز ، ومعه جماعة من الأمراء بقصد الحج الشريف ، فعزله السلطان في غيبته وأمسك على شيخون واعتقله ، وأخذ منجك الوزير ، وهو أستاذ دار ومقدم ألف ، واصطفى أمواله ، واعتاض عنه وولى مكانه في الوزارة القاضى علم الدين ابن زينور ، واسترجع إلى وظيفة الدويدارية الأمير سيف الدين طسبغا الناصرى ، وكان أميراً بالشام مقيا منذ عزل إلى أن أعيد في أواخر السنة كما تقدم . وأما كاتب السر بمصر وقضاتها فهم المذكورون فى التى قبلها .

واستهلت هذه السنة ونائب صفد حصن القلعة وأعد فيها عدتها وما ينبغى لها من الأَطعمات والذخائر والمدد والرجال ، وقد نابذ المملكة وحارب ، وقد قصدته العساكر من كل جانب من الديار

المصرية ودمشق وطرابلس وغيرها ، والأخبار قد ضمنت عن يلبغا ومن معه ببلاد الحجاز ما يكون من أمره ، ونائب دمشق في احتراز وخوف من أن يأتي إلى بلاد الشام فيدهمها بمن معه ، والقلوب وجلة من ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها ورد الخبر أن صاحب اليمن حجج في هذه السنة فوقع بينه وبين صاحب مكة عجلان بسبب أنه أراد أن يولى عليها أخاه بعينه ، فاشتكى عجلان ذلك إلى أمراء المصريين وكبيرهم إذ ذاك الأمير سيف الدين بزلاز ومعهم طائفة كثيرة ، وقد أمسكوا أخاهم يلبغا وقيده ، فتوى رأسه عليهم واستخف بهم ، فصبروا حتى قضى الحج وفرغ الناس من المناسك ، فلما كان يوم النفر الأول يوم الخميس تواقفوا هم وهو قتل من الفريقين خلق كثير ، والأكثر من اليمنيين ، وكانت الوقعة قريبة من وادي محسر ، وبقي الحجاج خائفين أن تكون الدائرة على الأتراك فتهب الأعراب أموالهم وربما قتلهم ، ففرج الله ونصر الأتراك على أهل اليمن ولجأ الملك المجاهد إلى جبل فلم يعصمه من الأتراك ، بل أسروه ذليلاً حقيراً ، وأخذوه مقيداً أسيراً ، وجاءت عوام الناس إلى اليمنيين فتهبوا شيئاً كثيراً ، ولم يتركوا لهم جليلاً ولا حقيراً ، ولا قليلاً ولا كثيراً ، واحتاط الأمراء على حواصل الملك وأمواله وأمتعته وأثقاله ، وساروا بخيلة وجماله ، وأدلوها على صنديد من رحله ورجاله ، واستحضروا معهم طفيلاً الذي كان حاصر المدينة النبوية في العام الماضي وقيده أيضاً ، وجعلوا الغل في عنقه ، واستاقوه كما يستاق الأسير في وثاقه مصحوباً بهمه وحتفه ، وانشروا عن تلك البلاد إلى ديارهم راجعين ، وقد فعلوا فعلة تذكر بعدهم إلى حين .

ودخل الركب الشامي إلى دمشق يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من المحرم على العادة المستمرة والقاعدة المستقرة . وفي هذا اليوم قدمت البريدية من تلقاء مدينة صغد مخبرة بأن الأمير شهاب الدين أحمد ابن مشد الشرنجيتاه ، الذي كان قد تمرد بها وطني وبنى حتى استحوذ عليها وقطع سببها وقتل الفرسان والرجال ، وملأها أطمعة وأسلحة ، ومماليكه ورجاله ، فعند ما تحقق مسك يلبغا أروش خضعت تلك النفوس ، وخذت ناره وسكن شراره وحرارته ، ووضع قراره ، وأتاب إلى التوبة والاتلاع ، ورجب إلى السلامة والخلاص ، وخشع ولات حين مناص ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، ثم توجه بنفسه على البريد إلى حضرة الملك الناصر والله المسؤول أن يحسن عليه وأن يقبل بقلبه إليه . وفي يوم الأحد خامس صفر قدم من الديار المصرية الأمير سيف الدين أرغون الكامل معاداً إلى نيابة حلب ، وفي صحبته الأمير سيف الدين طشبقا الدوادار بالديار المصرية ، وهو زوج ابنة نائب الشام ، فتلقيه نائب الشام وأعيان الأمراء ، ونزل طشبقا الدوادار عند زوجته بدار منجى في محلة مسجد القصب التي كانت تعرف بدار حنين بن حندر ، وقد جددت في السنة الماضية ، وتوجه في الليلة الثانية من قدومهما إلى حلب . وفي يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول اجتمع

القضاة الثلاثة وطلبوا الحنبلي ليتكلموا معه فيما يتعلق بدار المعتمد التي بجوار مدرسة الشيخ أبي عمر، التي حكم بنقض وقفها وهدم بابها وإضافتها إلى دار القرآن المذكورة، وجاء مرسوم السلطان يوفق ذلك، وكان القاضي الشافعي قد أراد منعه من ذلك، فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لذلك، فلم يحضر القاضي الحنبلي، قال حتى يجيء نائب السلطنة.

ولما كان يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول حضر القاضي حسين ولد قاضي القضاة تقي الدين السبكي عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرفية وقرأ عليه شيء كان قد خرج له بعض المحدثين، وشاع في البلد أنه نزل له عنها، وتكلموا في ذلك كلاماً كثيراً، وانتشر القول في ذلك، وذكر بعضهم أنه نزل له عن الغزالية والعاذلية، واستخلفه في ذلك فأنه أعلم.

وفي سحر ليلة الخميس خامس شهر جمادى الآخرة وقع حريق عظيم بالجوانيين في السوق الكبير واحترقت دكاكين الفواخرة والمناجلين، وفرجة الغرابيل، وإلى درب القلي، ثم إلى قريب درب العميد، وصارت تلك الناحية دكا بلقعا، فأنه والله وإنا إليه راجعون. وجاء نائب السلطنة بعد الأذان إلى هناك ورسم بطفي النار، وجاء المتولى والقاضي الشافعي والحجاب، وشرع الناس في طفي النار، ولو تركوها لأحرقت شيئاً كثيراً، ولم يفقد فيما بلغنا أحد من الناس، ولكن هلك للناس شيء كثير من المتاع والأثاث والأملأك وغير ذلك، واحترق للجامع من الرباع في هذا الحريق ما يساوي مائة ألف درهم. انتهى والله أعلم. ﴿ كائنة غريبة جداً ﴾

وفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى استسلم القاضي الحنبلي جماعة من اليهود كان قد صدر منهم نوع استهزاء بالاسلام وأهله، فانهم حملوا رجلاً منهم صفة ميت على نعش ويهلون كتهليل المسلمين أمام الميت ويقرأون (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فسمع بهم من بحارتهم من المسلمين، فأخذوهم إلى ولي الأمر نائب السلطنة فدفعهم إلى الحنبلي، فاقتضى الحال استسلامهم فأسلم يومئذ منهم ثلاثة وتبع أحدهم ثلاثة أطفال، وأسلم في اليوم الثاني ثمانية آخرون فأخذهم المسلمون وطافوا بهم في الأسواق يهلون ويكبرون، وأعطاهم أهل الأسواق شيئاً كثيراً وراحوا بهم إلى الجامع فصلوا ثم أخذوهم إلى دار السعادة فاستطلقوا لهم شيئاً، ورجعوا وهم في ضجيج ونهليل وتقديس، وكان يوماً مشهوداً والله الحمد والمنة. انتهى والله أعلم

﴿ مملكة السلطان الملك الصالح ﴾

« صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى »

في العشر الأوسط من شهر رجب الفرد وردت البريدية من الديار المصرية بعزل السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون لاختلاف الأمراء عليه، واجتماعهم على أخيه الملك

الصالح ، وأمه صالحه بنت ملك الامراء تنكز الذي كان نائب الشام مدة طويلة ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وجاءت الأمراء للحلف ، فدقت البشار وزين البلد على العادة ، وقيل إن الملك الناصر حسن خنق ورجعت الامراء الذين كانوا باسكندرية مثل شيخون ومنجك وغيرهما ، وأرسلوا إلى يلبغا فجىء به من السكر ، وكان مسجوناً بها من مرجعه من الحج ، فلما عاد إلى الديار المصرية شفع في صاحب اليمن الملك المجاهد الذي كان مسجوناً في السكر فأخرج وعاد إلى الديار الحجازية . وأما الأمراء الذين كانوا من ناحية السلطان حين مسك معارضة أمير أخور وميكل بفسا الفخرى وغيرهما ، فاحتيط عليهم وأرسلوا إلى الاسكندرية ، وخطب للملك الصالح بجماع دمشق يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب وحضر نائب السلطنة والأمراء والقضاة للدعاء له بالمقصورة على العادة . وفي أثناء العشر الأخير من رجب عزل نائب السلطنة سيف الدين أيتمش عن دمشق مطأوباً إلى الديار المصرية فسار إليها يوم الخميس . وفي يوم الاثنين حادى عشر شعبان قدم الأمير سيف الدين أرغون السكالي الذي كان نائباً على الديار الحلبية من هناك ، فدخل دمشق في هذا اليوم في أبهة عظيمة ، وخرج الأمراء والمقدمون وأرباب الوظائف لتلقيه إلى أثناء الطريق ، منهم من وصل إلى حاب وحماة وحمص ، وجرى في هذا اليوم عجائب لم تر من دهور ، واستبشر الناس به لصرامته وشهامته وحدته ، وما كان من لين الذي قبله ورخاوته ، فنزل دار السعادة على العادة . وفي يوم السبت وقف في موكب هائل قيل إنه لم ير مثله من مدة طويلة ، ولما سير إلى ناحية باب الفرج اشتكى إليه ثلاث نسوة على أمير كبير يقال له الطرخاين ، فأمر بانزله عن فرسه فأنزل وأوقف معهن في الحكومة ، واستمر بطلان الرقيد في الجامع الأموي في هذا العام أيضاً كالذي قبله ، حسب مرسوم السلطان الناصر حسن رحمه الله ، وفرح أهل الخير بذلك فرحاً شديداً ، وهذا شيء لم يعهد مثله من نحو ثلثمائة سنة والله الحمد والمنة ، ونودي في البلد في هذا اليوم والذي بعده عن النائب : من وجد جندياً سكرانياً فلينزله عن فرسه وليأخذ ثيابه ، ومن أحضره من الجندي إلى دار السعادة فله خبزه ، وفرح الناس بذلك واحتججوا على الخمارين والعصارين ، ورخصت الأعتاب وجادت الأخبار واللحم بعد أن كان باع كل رطل أربعة ونصفاً ، فصار بدرهمين ونصف ، وأقل ، وأصلحت المعاش من هيبه النائب ، وصار له صيت حسن ، وذكر جميل في الناس بالعدل وجودة القصد وحمه الفهم وقوة العدل والادراك .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان وصل الأمير أحمد بن شاد الشر بخاناه الذي كان قد عصى في صغد ، وكان من أمره ما كان ، فاعتقل بالاسكندرية ثم أخرج في هذه الدولة وأعطى نيابة حماة فدخل دمشق في هذا اليوم سائراً إلى حماة ، فركب مع النائب مع الموكب وسير عن يمينه ونزل في خدمته

إلى دار السعادة ، ورحل بين يديه . وفي يوم الخميس الحادى والعشرين منه دخل الامير سيف الدين يلبغا الذى كان نائبا بالديار المصرية ، ثم مسك بالحجاز وأودع السكرك ، ثم أخرج فى هذه الدولة وأعطى نيابة حلب ، فتلقاه نائب السلطنة وأنزل دار السعادة حين أضافه . ونزل وطاقة بوطة برزة وضربت له خيمة بالميدان الأخضر . ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وساطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الصالح صلاح الدين ، صالح بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، والخليفة الذى يدعى له المعتضد بأمر الله ، ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التى قبلها ، والوزير القاضى ابن زبور ، وأولو الأمر الذين يدبرون المملكة فلا تصدر الأمور إلا عن آرائهم لصغر السلطان المذكور جماعة من أعيانهم ثلاثة سيف الدين شيخون ، وطار وحر عيمش ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون الكاملى ، وقضاةهم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب البلاد الحلبية الأمير سيف الدين يلبغا أروش ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين بكاش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد بن مشدال شريخانة ، ووصل بعض الحجاج إلى دمشق فى تاسع الشهر - وهذا نادر - وأخبروا بموت المؤذن شمس الدين بن سعيد بعد منزلة العلاء فى المدايق .

وفى ليلة الاثنين سادس عشر صفر فى هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقية فاحترق به دكان القفاحى الكبيرة المزخرفة وما حولها ، واتسع اتساعا فظيماً ، واتصل الحريق بالباب الأصفر من النحاس ، فبادر ديوان الجامع إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل ، بمصورة الحلبية ، بمشهد على ، ثم عدوا عليه يكسرون خشبه بالفؤس الحداد ، والسواعد الشداد ، وإذا هو من خشب الصنوبر الذى فى غاية ما يكون من القوة والثبات ، وتأسف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد وماله . وله فى الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة .

انتهى والله أعلم . ﴿ ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق ﴾

الذى كان هلاكه وذهابه وكسره فى هذه السنة ، وهو باب سر فى جامع دمشق لم يرباب أوسع ولا أعلى منه ، فيما يعرف من الابنية فى الدنيا ، وله علمان من نحاس أصفر بمسامير نحاس أصفر أيضاً بارزة ، من عجائب الدنيا ، ومحاسن دمشق ومعالها ، وقد تم بناؤها . وقد ذكرته العرب فى أشعارها والناس وهو منسوب إلى ملك يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح ، وهو الذى بناه ، وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام ، بل قبل ثمود وهود أيضاً ، على ما ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخه وغيره ، وكان فوقه حصن عظيم ، وقصر منيف ، ويقال بل هو منسوب إلى اسم المارد الذى بناه لسليمان عليه السلام ، وكان اسم ذلك المارد جيرون ، والأول أظهر

وأشهر ، فعلى الأول يكون لهذا الباب من المدد المتطاولة ما يقارب خمسة آلاف سنة ، ثم كان انجفاف هذا الباب لا من تلقاء نفسه بل بالأيدى العادية عليه ، بسبب ما ناله من شوط حريق اتصل إليه حريق وقع من جانبه في صبيحة ليلة الاثنين السادس عشر من صفر ، سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فتبادر ديوان الجامعة ففرقوا شمله وقضوا ثلثه ، وعروا جلده النحاس عن بدنه الذى هو من خشب الصنوبر ، الذى كأن الصانع قد فرغ منه يومئذ ، وقد شاهدت النفوس تعمل فيه ولا تسكاد تحمیل فيه إلا بمسقة ، فسبحان الذى خلق الذين بنوه أولاً ، ثم قدر أهل هذا الزمان على أن هدموه بعد هذه المدد المتطاولة ، والأمم المتداولة ، ولكن لسكل أجل كتاب ، ولا إله إلا رب العباد .

﴿ بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها على مدة أربعة آلاف سنة بل يقارب الخمسة ﴾

ذكر الحافظ ابن عساكر في أول تاريخه باب بناء دمشق بسنده عن القاضى يحيى بن حمزة التبليسى الحاكم بها في الزمن المتقدم ، وقد كان هذا القاضى من تلاميذ ابن عمر والأوزاعى ، قال . لما فتح عبد الله بن على دمشق بعد حصارها - يعنى وانتزعتها من أيدى بنى أمية وسلبهم ملكهم - هدموا سور دمشق فوجدوا حجراً مكتوباً عليه باليونانية ، فجاء راهب فقراه لهم ، فاذا هو مكتوب عليه : ويك أرم الجبابرة من رايك بسوء قصمه الله ، إذا وهى منك جيرون الغربى من باب البريد وتلك من خمسة أعين ينقض سورك على يديه ، بعد أربعة آلاف سنة تعيشين رغداً ، فاذا وهى منك جيرون الشرقى أوئل لك ممن يعوض لك ، قال : فوجدنا الخمسة أعين عبد الله بن على بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ، عين بن عين بن عين بن عين بن عين ، فهذا يقتضى أنه كان بسورها سنينا إلى حين إخراجه على يد عبد الله بن على أربعة آلاف سنة ، وقد كان إخراجه له في سنة ثنتين وثلاثين ومائة كما ذكرنا في التاريخ الكبير ، فعلى هذا يكون لهذا الباب إلى يوم خرب من هذه السنة - أعنى سنة ثنتين وثلاثين ومائة - أربعة آلاف وستمائة وإحدى وعشرين سنة ، والله أعلم . وقد ذكر ابن عساكر عن بعضهم أن نوحاً عليه السلام هو الذى أسس دمشق بعد حران وذلك بعد مضي الطوفان ، وقيل بناها دمسفس غلام ذى القرنين عن إشارته ، وقيل عاد الملقب بدمشيق وهو غلام الخليل ، وقيل غير ذلك من الأقوال ، وأظهرها أنهم من بناء اليونان ، لأن محاريب معابدها كانت موجهة إلى القطب الشمالى ، ثم كان بدمهم النصرارى فصلوا فيها إلى الشرق ، ثم كان فيها بعدهم أجمعين أمة المسلمين فصلوا إلى الكعبة المشرفة . وذكر ابن عساكر وغيره أن أبوابها كانت سبعة كل منها يتخذ عنده عيد لهيكل من الهياكل السبعة ، فباب القمر باب السلامة ، وكانوا يسمونه باب الفراديس الصغير ، ولعطارى باب الفراديس الكبير ، والمزهرة باب توما ، وللشمس الباب الشرقى ، ولعريخ باب الجابية ، وللمشترى باب الجابية الصغير ، ولزحل باب كيسان .

وفي أوائل شهر رجب الفرداشتهر أن نائب حلب يلبغا أروش اتفق مع نائب طرابلس بكلمش ، ونائب حلب أمير أحمد بن مشد الشريخانة على الخروج عن طاعة السلطان حتى يمسك شيخون وطار ، وهما عضدا الدولة بالديار المصرية ، وبعثوا إلى نائب دمشق وهو الأمير سيف الدين أرغون الكامل فأنبى عليهم ذلك ، وكتب إلى الديار المصرية بما وقع من الأمر ، وانزعج الناس لذلك ، وخافوا من غائلة هذا الأمر وبالله المستعان . ولما كان يوم الاثنين ثامن الشهر جمع نائب السلطنة الأمراء عنده بالقصر الأبق واستحلهم بيعة أخرى لنائب السلطنة الملك الصالح ، فحلفوا واتفقوا على السمع والطاعة والاستمرار على ذلك . وفي ليلة الأربعاء سابع عشر رجب جاءت الجبلية الذين جمعهم من البقاع لأجل حفظ ثنية العقاب من قدوم العساكر الحلبية ، ومن معهم من أهل طرابلس وحماة ، وكان هؤلاء الجبلية قريبا من أربعة آلاف ، فحصل بسببهم ضرر كثير على أهل برزة وما جاورهم من الثمار وغيرها .

وفي يوم السبت العشرين منه ركب نائب السلطنة سيف الدين أرغون ومعه الجيوش الدمشقية قاصدين ناحية الكسوة ليلا يقاتلون المسلمين ولم يبق في البلد من الجند أحد ، وأصبح الناس وليس لهم نائب ولا عسكر ، وخذت الديار منهم ، ونائب الغيبة الأمير سيف الدين الجي بغا العادلي ، وانتقل الناس من البساتين ومن طرف العقبية وغيرها إلى المدينة ، وأكثر الأمراء نقلت حواصلهم وأهاليهم إلى القلعة المنصورة ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولما اقترب دخول الأمير يلبغا بمن معه انزعج الناس وانتقل أهل القرى الذين في طريقه ، وسرى ذلك إلى أطراف الصالحية والبساتين وحواضر البلد ، وغلقت أبواب البلد إلى ما يلي القلعة ، كسباب النصر وباب الفرج ، وكذا باب الفردائس ، وخذت أكثر المحال من أهاليهم ، ونقلوا حوائجهم وحواصلهم وأنعامهم إلى البلد على الدواب والحالين ، وبلغهم أن أطراف الجيش انتهبوا ما في القرايا في طريقهم من الشعير والتبن وبعض الانعام للأكل ، وربما وقع فساد غير هذا من بعض الجهلة ، فخاف الناس كثيراً وتشوشت خواطرهم انتهى .

﴿ دخول يلبغا أروش إلى دمشق ﴾

ولما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب دخل الأمير سيف الدين يلبغا أروش نائب حلب إلى دمشق المحروسة بمن معه من العساكر الحلبية وغيرهم وفي صحبته نائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد ، ونائب صفد الأمير علاء الدين طيبغا ، ملقب برناق ، وكان قد توجه قبله ، قيل بيوم ، ومعه نواب قلاع كثيرة من بلاد حلب وغيرها ، في عدد كثير من الأتراك والتركمان ، فوقف في سوق الخيل مكان نواب السلطان تحت القلعة ، واستعرض الجيوش الذين وفدوا معه هنالك ، فدخلوا في تجمّل كثير ، ملبسين ، وكان عدة

من كان معه من أمراء الطبلخانات قريبا من ستين أمير أو يزيدون أو ينقصون ، على ما استفاض عن غير واحد من شاهد ذلك ، ثم سار قريبا من الزوال للمخيم الذي ضرب له قبل مسجد القدم عند قبة يلبغا ، عند الجدول الذي هنالك ، وكان يوما مشهودا هائلا ، لما عين الناس من كثرة الجيوش والعدد ، وعذر كثير من الناس صاحب دمشق في ذهابه بمن معه لثلاثا يقابل هؤلاء . فنسأل الله أن يجمع قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين . وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الأمير سيف الدين إياجى يطلب منه حواصل أرغون التي عنده ، فامتنع عليه أيضا ، وقد حصن القلعة وسترها وأرصد فيها الرجال والرماة والعدد ، وهيأتها بهض المجانيق ليبعد بها فوق الابرجة ، وأمر أهل البلد أن لا يفتحوا الدكاكين ويفلقوا الأسواق ، وجعل يغلط أبواب البلد إلا بابا أو بابين منها ، واشتد حنق العسكر عليه ، وهموا بأشياء كثيرة من الشر ، ثم يعرون عن الناس والله المسلم ، غير أن إقبال العسكر وأطرافه قد عاثوا فيما جاوروه من القرايا والبساتين والكروم والزروع فيأخذون ما يأكلون وتأكل دوابهم ، وأكثر من ذلك فانا لله وإنا إليه راجعون . ونهبت قرايا كثيرة وفجروا بنساء وبنات ، وعظم الخطب ، وأما التجار ومن يذكر بكثرة مال فأكثرهم مخنف لا يظهر لما يخشى من المصادرة ، نسأل الله أن يحسن عاقبتهم .

واستهل شهر شعبان وأهل البلد في خوف شديد ، وأهل القرايا والحواضر في نقلة أئامهم وبقارهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم ، وأكثر أبواب البلد مغلقة سوى بابي الفراديس والجابية ، وفي كل يوم نسمع بأمور كثيرة من النهب للقرايا والحواضر ، حتى انتقل كثير من أهل الصالحية أو أكثرهم ، وكذلك من أهل العقبية وسائر حواضر البلد ، فنزلوا عند معارفهم وأصحابهم ، ومنهم من نزل على قارعة الطريق بنسائهم وأولادهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقال كثير من المشايخ الذين أدركوا زمن قازان : إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لما ترك الناس من ورائهم من الغلات والثمار التي هي عمدة قوتهم في سنتهم ، وأما أهل البلد ففي قلق شديد أيضاً لما يبلغهم عنهم من الفجور بالنساء ، ويعملون يدعون عقيب الصلوات عليهم يصرحون بأسمائهم ويعنون بأسماء أمراءهم وأتباعهم ونائب القلعة الأمير سيف الدين إياجى في كل وقت يسكن جأش الناس ويقوى عزمهم ويدهمهم بخروج العساكر المنصورة من الديار المصرية صحبة السلطان إلى بلاد غزة حيث الجيش الدمشقي ، ليحيطوا بهم في خدمته وبين يديه ، وتدق البشار فيفرح الناس ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات فتقلق ويخرجون في كل يوم وساعة في تجمل عظيم ووعد وهيات حسنة ، ثم جاء السلطان أيده الله تعالى وقد ترجل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الدبان إلى داخل القلعة المنصورة ، وهو لا يس قباء أحمر له قيمته على فرس أصيلة مؤدبة معلمة المشى على القوس لا تحيد عنه ، وهو حسن

الصورة مقبول الطلعة ، عليه بهاء المملكة والرياسة ، والخزفوق رأسه يحمله بعض الأمراء الأكبر ، وكما عينه من عينه من الناس يتهلون بالدعاء بأصوات عالية ، والنساء بالزغرطة ، وفرح الناس فرحا شديدا ، وكان يوماً مشهودا ، وأمر أحمداً ، جملة الله مباركا على المسلمين . فنزل بالقلعة المنصورة ، وقد قدم معه الخليفة المعتضد أبو الفتح بن أبي بكر المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وكان راكباً إلى جانبه من ناحية اليسار ، ونزل بالمدرسة الدماغية في أواخر هذا اليوم سائر الأمراء مع نائب الشام ، ومقدمهم طار وشيخون في طلب يلبغا ومن معه من البغاة المفسدين .

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر السلطان أيده الله إلى الجامع الأموي وصلى فيه الجمعة بالمشهد الذي يصلى فيه نواب السلطان أيده الله ، فكثرت الدعاء والمحبة له ذاهباً وآيباً تقبل الله منه ، وكذلك فعل الجمعة الأخرى وهي تاسع الشهر . وفي يوم السبت عاشره اجتمعنا - يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله - بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح بن أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وسلمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدماغية ، داخل باب الفرج وقرأت عنده جزءاً فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده ، وذلك عن الشيخ عز الدين بن الضيا الحموي بسامعه من ابن البخاري ، وزينب بنت مكي عن أحمد بن الحصين عن ابن المذهب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه فذكرها ، والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام متواضع جيد الفهم حلو العبارة رحم الله سلفه .

وفي رابع عشره قدم البريد من بلاد حلب بسيوف الأمراء المسوكون من أصحاب يلبغا . وفي يوم الخميس خامس عشره نزل السلطان الملك الصالح من الطارمة إلى القصر الأبلق في أبهة المملكة ، ولم يحضر يوم الجمعة إلى الصلاة ، بل اقتصر على الصلاة بالقصر المذكور . وفي يوم الجمعة باكر النهار دخل الأمير سيف الدين شيخون وطار بمن معه من العساكر من بلاد حلب ، وقد فات تدارك يلبغا وأصحابه لدخولهم بلاد زلفادار التركاني بن بقي معهم ، وهم القليل ، وقد أسرج جماعة من الأمراء الذين كانوا معه ، وهم في القيود والسلاسل صحبة الأميرين المذكورين ، فدخل على السلطان وهو بالقصر الأبلق فسلمنا عليه وقبلنا الأرض وهناه بالعيد ، ونزل طار بدار أيتمش بالشرق الشمالي ، ونزل شيخون بدار إيلاس الحاجب بالقرب من الظاهرية البرانية ، ونزل بقية الجيش في أرجاء البلد ، وأما الأمير سيف الدين أرغون فأقام بحلب نائباً عن سؤاله إلى ما ذكر ، وخوطب في تقليده بالقبائل هائلة ، ولبس خلعة سنوية ، وعظم تعظيماً زائداً ، ليكون هناك إلبا على يلبغا وأصحابه لشدة ما بينهما من العداوة . ثم صلى السلطان بمن معه من المصريين ومن انضاف إليهم من الشاميين صلاة عيد الفطر

بالميدان الأخضر ، وخطب بهم القاضى تاج الدين المناوى المصرى . قاضى العسكر المصرى بمرسوم
السلطان وذويه ، وخلع عليه . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

✽ قتل الأمراء السبعة من أصحاب يلبغا ✽

وفى يوم الاثنين ثالث شوال قبل العصر ركب السلطان من القصر إلى الطارمة وعلى رأسه القبة
والطير يحملهما الأمير بدر الدين بن الخطير ، فجلس فى الطارمة ووقف الجيش بين يديه تحت القلعة
وأحضروا الأمراء الذين قدموا بهم من بلاد حلب ، فجعلوا يوقفون الأمير منهم ثم يشاورون عليه
فمنهم من يشفع فيه ومنهم من يؤمر بتوسيطه ، فوسط سبعة : خمس طبائخانات ومقدما ألف ، منهم
نائب صغد برناق وشفع فى الباقيين فردوا إلى السجن ، وكانوا خمسة آخرين وفى يوم الأربعاء خامسه
مسك جماعة من أمراء دمشق سبعة ونحوها دول كثيرة ، وتأمر جماعة من الأجناد وغيرهم انتهى

✽ خروج السلطان من دمشق متوجها إلى بلاد مصر ✽

وفى يوم الجمعة سابع شوال ركب السلطان فى جيشه من القصر الأبلق قاصداً لصلاة الجمعة بالجامع
الأموى ، فلما انتهى إلى باب النصر ترحل الجيش بكامله بين يديه مشاة ، وذلك فى يوم شاتٍ كثير الوحل
فصلى بالمقصورة إلى جانب المصحف العثمانى ، وليس معه فى الصف الأول أحد ، بل بقية
الأمراء خلفه صفوف ، فسمع خطبة الخطيب ، ولما فرغ من الصلاة قرىء كتاب باطلاق أعشار
الأوقاف ، وخرج السلطان بمن معه من باب النصر ، فركب الجيش واستقل ذاهبا نحو الكسوة بمن
معه من العساكر المنصورة ، مصحوبين بالسلامة والعافية المستمرة ، وخرج السلطان وليس بدمشق
نائب سلطنة ، وبها الأمير بدر الدين بن الخطير هو الذى يتكلم فى الأمور نائب غيبية ، حتى يقدم
إليها نائبها ويتعين لها ، وجاءت الأخبار بوصول السلطان إلى الديار المصرية سالماً ، ودخلها فى أبهة
عظيمة فى أواخر ذى القعدة ، وكان يوماً مشهوداً ، وخلع على الأمراء كلهم ولبس خلعة نيابة الشام
الأمير علاء الدين الماردانى ، ومسك الأمير علم الدين بن زنبور وتولية الوزارة الصاحب موفق
الدين . وفى صبيحة يوم السبت خامس الحجية دخل الأمير علاء الدين على الجدار من الديار المصرية
إلى دمشق المحروسة فى أبهة هائلة ، وموكب حافل مستولياً نيابة بها ، وبين يديه الأمراء على العادة ،
فوقف عند تربة بهادر آص حتى استعرض عليه الجيش فاحقهم ، فدخل دار السعادة فنزلها على
عادة النواب قبله ، جعله الله وجها مباركا على المسلمين . وفى يوم السبت ثالث عشره قدم دوا دار
السلطان الأمير عز الدين مغلطاي من الديار المصرية فنزل القصر الأبلق ، ومن عزمه الذهاب إلى
البلاد الحلبية ليجهز الجيوش نحو يلبغا وأصحابه انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية والمملكة الحلبية وما والاها
والحرمين الشريفين الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون
الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى ، والمشار إليهم فى تدبير المملكة الأمراء
سيف الدين شيخون ، وسيف الدين طار ، وسيف الدين صرغتمش الناصرى ، وقضاة القضاة
وكاتب السر هناك هم المذكورون فى السنة الماضية ، ونائب حلب الأمير سيف الدين أرغون
الكاملى ، لأجل مقاتلة أولئك الأمراء الثلاثة يلبغا وأمير أحمد وبكلمش الذين فعلوا ما ذكرنا فى
رجب من السنة الماضية ، ثم لجأوا إلى بلاد البلبيسين فى خفارة زلفادر التركمانى ، ثم إنه احتال عليهم
من خوفه من صاحب مصر وأسلمهم إلى قبضة نائب حلب المذكور ، وفرح المسلمون بذلك فرحا
شديداً ، والله الحمد والمنة ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أيتمش الذى كان نائب دمشق كما
ذكرنا ، تقلبت به الأحوال حتى استنصب فى طرابلس حين كان السلطان بدمشق كما تقدم ،

واستهلت هذه السنة وقد تواترت الأخبار بأن الأمراء الثلاثة يلبغا وبكلمش وأمير أحمد قد
حصلوا فى قبضة نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون ، وهم مسجونون بالقلعة بها ، ينتظر ما يرسم
به فيهم ، وقد فرح المسلمون بذلك فرحا شديداً . وفى يوم السبت سابع عشر المحرم وصل إلى
دمشق الأمير عز الدين مغلطاى الدويدار عائداً من البلاد الحلبية ، وفى صحبته رأس يلبغا الباغى
أمكن الله منه بعد وصول صاحبيه بكلمش الذى كان نائبا بطرابلس ، وأمير أحمد الذى كان نائب حماة
فقطعت رؤسهما بحلب بين يدي نائبها سيف الدين أرغون الكاملى ، وسيرت إلى مصر ، ولما وصل
يلبغا بعدها فعمل به كعملهما جهرة بعد العصر بسوق الخليل بين يدي نائب السلطنة والجيش برمته
والعامة على الأحاجير يتفرون ويفرحون بمصرعه ، وسر المسلمون كلهم والله الحمد والمنة .

وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول أقيمت جمعة جديدة بمحلة الشاغور
بمسجد هناك يقال له مسجد المزار ، وخطب فيه جمال الدين عبد الله بن الشيخ شمس الدين بن
قيم الجوزية ، ثم وقع فى ذلك كلام فأفضى الحال أن أهل المحلة ذهبوا إلى سوق الخليل يوم موكبته ،
وحملوا سناجق خليفتين من جامهم ومصاحف واشتملوا إلى نائب السلطنة وسألوا منه أن تستمر
الخطبة عندهم ، فأجابهم إلى ذلك فى الساعة الراهنة ، ثم وقع نزاع فى جواز ذلك ، ثم حكم القاضى
الحنبلى لهم بالاستمرار ، وجرت خطوب طويلة بعد ذلك .

وفى يوم الأحد سابع ربيع الآخر توفى الأمير الكبير سيف الدين ألقى بغا العادلى ، ودفن
بتربته التى كان أنشأها قديما ظاهر باب الجابية ، وهى مشهورة تعرف به ، وكان له فى الامرة قريبا

من ستين سنة ، وقد كان أصابه في نوبة أرغون شاه وقضيته ضربة أصابت يده اليمنى ، واستمر مع ذلك على إمرته وتقدمته محترماً معظماً إلى أن توفي رحمة الله تعالى عليه .

✽ ذكر أمر غريب جدا ✽

لما ذهبت لتهنئة الأمير ناصر الدين ابن الأوقوس ببناء به بعلبك وجدت هنالك شاباً فذكري من حضر أن هذا هو الذي كان أنثى ثم ظهر له ذكر ، وقد كان أمره اشتهر ببلاد طرابلس ، وشاع بين الناس بدمشق وغير ذلك ، وتحدث الناس به ، فلما رأته وعليه قبعة تركية استدعيتني إلى وسالته بحضور من حضر ، فقلت له : كيف كان أمرك ؟ فاستحى وعلاه خجل يشبه النساء ، فقال : كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة ، وزوجوني بثلاثة أزواج لا يقدرون علي ، وكلهم يطلق ثم اعترضني حال غريب فغارت ثدياي وصغرت ، وجعل النوم يعتريني ليلاً ونهاراً ، ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء قليل قليلاً ، ويتزايد حتى برز شبه ذكر وأنثيان ، فسألته أهو كبير أم صغير ؟ فاستحى ثم ذكر أنه صغير بقدر الأصبع ، فسألته هل احتمل ؟ فقال احتمل مرتين منذ حصل له ذلك ، وكان له قريباً من ستة أشهر إلى حين أخبرني ، وذكر أنه يحسن صنعة النساء كلها من الغزل والتطريز والزركاش وغير ذلك ، فقلت له ما كان اسمك وأنت على صفة النساء ؟ فقال : نفيسة ، فقلت : واليوم ؟ فقال عبد الله ، وذكر أنه لما حصل له هذا الحال كتبه عن أهله حتى عن أبيه ، ثم عزموا على تزويجه علي رابع فقال لا ، إن الأمر ما صفته كيت وكيت ، فلما اطاع أهله علي ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك ، وكتب بذلك محضراً واشتهر أمره ، فقدم دمشق ووقف بين يدي نائب السلطنة بدمشق ، فسأله فأخبره كما أخبرني ، فأخذ الحاجب سيف الدين كحلان ابن الأوقوس عنده وألبسه ثياب الاجناد ، وهو شاب حسن ، علي وجهه وممته ومشيته وحديثه أنوثة النساء ، فسبحان الفعال لما يشاء ، فهذا أمر لم يقع مثله في العالم إلا قليلاً جداً ، وعندى أن ذكره كان غائراً في جوزة طير فافرخا^(١) ثم لما باغ ظهر قليلاً قليلاً ، حتى تسكامل ظهوره فتبينوا أنه كان ذكراً ، وذكر لي أن ذكره برز محتوناً فسمى ختان القمر ، فهذا يوجد كثيراً والله أعلم .

وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رجب قدم الأمير عز الدين بقطية الدويدار من الديار الحلبية وخبر عما اتفق عليه العساكر الحلبية من ذهابهم مع نائبهم ونواب تلك الحصون وعساكر خلف بن زلفادر التركاني ، الذي كان أعان يلبغا وذويه على خروجه على السلطان ، وقدم معه إلى دمشق وكان من أمره ما تقدم بسطه في السنة الماضية ، وأنهم نهبوا أهواله وحواسله ، وأسروا خلقاً من بنيه وذويه وحريره ، وأن الجيش أخذ شيئاً كثيراً من الأغنام والأبقار والرقيق والدواب والامتعة وغير ذلك ، وأنه لجأ إلى ابن أرطنا فاحتاط عليه واعتقله عنده ، وراسل السلطان بأمره ففرح الناس

براحة الجيش الحلبي وسلامته بعدما قاسوا شديداً وتعباً كثيراً . وفي يوم الأربعاء ثالث عشره كان قدوم الأمراء الذين كانوا مسجونين بالاسكندرية من لدن عود السلطان إلى الديار المصرية ، ممن كان اهتم بمالأة يلبغا أو خدمته ، كالأ مير سيف الدين ملك أجنى ، وعلاء الدين على السيمقدار ، وساطلمس الجلالى ومن معهم .

وفي أول شهر رمضان اتفق أن جماعة من المفتين أفتوا بأحد قولى العلماء ، وهما وجهان لأصحابنا الشافعية وهو جواز استعادة ما استهدم من الكنائس ، فنعصب عليهم قاضى القضاة تقي الدين السبكي فقرعهم فى ذلك ومنعهم من الافتاء ، وصنف فى ذلك مصنفا يتضمن المنع من ذلك سماه « الدسائس فى الكنائس » وفى خامس شهر رمضان قدم بالأ مير أبو الغادر التركمانى الذى كان مؤازراً ليلبغا فى العام الماضى على تلك الأفاعيل القبيحة ، وهو مضيق عليه ، فأحضر بين يدى النائب ثم أودع القلعة المنصورة فى هذا اليوم . ﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعائة ﴾

استهات هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وما يتبع ذلك والحرمين الشريفين وما والاها من بلاد الحجاز وغيرها الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وهو ابن بنت تنكيز نائب الشام ، وكان فى الدولة الناصرية ، ونائبه بالديار المصرية الأ مير سيف الدين قبلاى الناصرى ، ووزيره القاضى موفق الدين ، وقضاة مصرهم المذكورون فى العام الماضى ، ومنهم قاضى القضاة عز الدين بن جماعة الشافعى ، وقد جاور فى هذه السنة فى الحجاز الشريف ، والقاضى تاج الدين المناوى يسد المنصب عنه ، وكاتب السر القاضى علاء الدين ابن فضل الله العدوى ، ومدبروا المملكة الأمراء الثلاثة سيف الدين شيخون ، وصرغتمش الناصرى والأ مير الكبير الدوادار عز الدين مغلطاي الناصرى . ودخلت هذه السنة والأ مير سيف الدين شيخون فى الاحداث من مدة شهر أو قريب ونائب دمشق الأ مير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبلها ، وناظر الدواوين الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وكاتب السر القاضى ناصر الدين بن الشرف يعقوب ، وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة ، ومحتسبه الشيخ علاء الدين الانصارى ، قريب الشيخ بهاء الدين بن إمام المشهد ، وهو مدرس الأ مينية مكانه أيضا .

وفى شهر ربيع الآخر قدم الأ مير علاء الدين مغلطاي الذى كان مسجوناً بالاسكندرية ثم أفرج عنه ، وقد كان قبل ذلك هو الدولة ، وأمر بالمسير إلى الشام ليكون عند حمزة أيتمش نائب طراباس ، وأما منجك الذى كان وزيره بالديار المصرية وكان معتقلاً بالاسكندرية مع مغلطاي ، فإنه صار إلى صغد مقيماً بها بطالا ، كما أن مغلطاي أمر بالمقام بطراباس بطالا إلى حين يحكم الله عز وجل

انتهى والله أعلم .

﴿ نادرة من الغرائب ﴾

في يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجماع دمشق وهو يسب أول من ظلم آل محمد ، ويكر ذلك لايفتر ، ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنازة الحاضرة ، على أن الناس في الصلاة ، وهو يكر ذلك ويرفع صوته به ، فلما فرغنا من الصلاة نهت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضى القضاة الشافعى في تلك الجنازة حاضر مع الناس . فحُت إليه واستنطقته من الذى ظلم آل محمد ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، ثم قال جبهة والناس يسمعون : لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ، فأعاد ذلك مرتين ، فأمر به الحاكم إلى السجن ، ثم استحضره المالكى وجلبه بالسياط ، وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذى لا يصدر إلا عن شقى ، واسم هذا اللعين على بن أبى الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبجه الله وأخزاه ، ثم لما كان يوم الخميس سابع عشره عقده بحماس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هنالك فقد رآه أن حكم نائب المالكى بقتله ، فأخذ سريعا فضرب عنقه تحت القلعة وحرقه العامة وطاقوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضى المالكى وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة النلاة ، وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر أشياء في الكفر والزندقة ، قبجه الله وإيأم . وورد الكتاب بالزام أهل الذمة بالشروط العمرية .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب الفرد قرئ بجماع دمشق بالمقصورة بمحضرة نائب السلطنة وأمراء الأعراب ، وكبار الأمراء ، وأهل الحل والعقد والعمامة كتاب السلطان بالزام أهل الذمة بالشروط العمرية وزيادات أخر : منها أن لا يستخدموا في شيء من الدواوين السلطانية والأمراء ولا في شيء من الأشياء ، وأن لا تزيد عمامة أحدهم عن عشرة أذرع ولا يركبوا الخيل ولا البغال ولكن الجير بالا كف عرضا ، وأن لا يدخلوا إلا بالعلامات من جرس أو بختام نحاس أصفر ، أو رصاص ، ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات الحمامات ، وليكن لهن حمامات تختص بهن ، وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق ، واليهودية من كتان أصفر ، وأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ، وأن يحكم حكم مواريتهم على الأحكام الشرعية .

واحترقت بأسورة باب الجابية في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة ، وعدم المسلمون تلك الاطمات والحواصل النافعة من الباب الجوانى إلى الباب البرانى . وفي مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الامام العالم البارع شمس الدين - بن النقاش المصرى الشافعى - ورد دمشق بالجامع الاموى تجاه محراب الصحابة ، ميعادا للودظ واجتمع عنده خاق من الأعيان والفضلاء والعمامة ، وشكروا كلامه وطلاقة عبارته ، من غير تلثم ولا تخليط ولا توقف ، وطال ذلك إلى قريب العصر .

وفي صبيحة يوم الأحد نالته صلى بجامع دمشق بالصحن تحت النسر على القاضي كمال الدين حسين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي، ونائبه، وحضر نائب السلطنة الامير علاء الدين علي، وقضاة البلد والأعيان والدولة وكثير من العامة، وكانت جنازته محسودة، وحضر والده قاضي القضاة وهو يهادى بين رجلين، فظهر عليه الحزن والكآبة، فصلى عليه إماما، وتأسف الناس عليه لسماحة أخلاقه وانجماعه على نفسه لا يتعمد شمه إلى غيره، وكان يحكم جيدا نظيف العرض في ذلك، وكان قد درس في عدة مدارس، منها الشامية البرانية والعذراوية، وأفتى وتصدر، وكانت لديه فضيلة جيدة بالنحو والفقه والفرائض وغير ذلك، ودفن بسفح قاسيون في تربة معروفة لهم رحمهم الله . ﴿ عودة الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ﴾

وذلك يوم الاثنين ثاني شهر شوال اتفق جمهور الأمراء مع الامير شيخون وصرغتمش في غيبة طاز في الصيد على خاع الملك الصالح صالح بن الناصر، وأمه بنت تنكز، وإعادة أخيه الملك الناصر حسن، وكان ذلك يومئذ وألزم الصالح بيته مضيقا عليه، وسلم إلى أمه خونددة بنت الامير سيف الدين تنكز نائب الشام كان، وقطلبوطار، وأمسك أخوه سنم وأخو السلطان الصالح لأمه عمر بن أحمد بن بكتمر الساقى، ووقعت خبطة عظيمة بالديار المصرية، ومع هذا فلم يقبل البريد إلى الشام وخبر البيعة إلا يوم الخميس الثالث عشر من هذا الشهر، قدم بسببها الامير عز الدين أيدير الشمسى وبايع النائب بمد ما خاع عليه خلمة سفية، والامراء بدار السعادة على العادة، ودقت البشار ووزن البلد وخطب له الخطيب يوم الجمعة على المنبر بحضور نائب السلطنة والقضاة والدولة وفي صبيحة يوم الخميس تاسع عشر شوال دخل دمشق الأمير سيف الدين منجك على نيابة طرابلس ونزل القصر الأبلق مع الامير عز الدين أيدير فأقام أياما عديدة ثم سار إلى بلده بعد أيام . وفي صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين منه دخل الامير سيف الدين طاز من الديار المصرية في جماعة من أصحابه مجتازاً إلى نيابة حلب المحروسة، فتلقيه نائب السلطنة إلى قريب من جامع كريم الدين بالقبيبات، وشيعه إلى قريب من باب الفراديس فسار ونزل بوطاة برزة فبات هنالك، ثم أصبح غاديا وقد كان نظير الامير شيخون ولكن قوى عليه فديره إلى بلاد حلب، وهو محجب إلى العامة لئلا من السعي المشكور في أمور كبار كما تقدم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة ﴾

استهل هذه السنة وسلطان الاسلام والمسلمين السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى، وليس بالديار المصرية نائب ولا وزير، وقضاةهم المذكورون في التي قبلها، ونائب دمشق الأمير على الماردانى، والقضاة والحاجب والخطيب وكاتب السرم

المدكورون في التي قبلها ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، ونائب طرابلس منجك ، ونائب حماة
استدمر العمري ، ونائب صغد الأمير شهاب الدين بن صبيح ، ونائب حمص الأمير ناصر الدين
ابن الاقوس ، ونائب بعلبك الحاج كامل .

وفي يوم الاثنين تاسع صفر مسك الأمير أرغون الكاملي الذي ناب بدمشق مدة ثم بعدها
بجلب ثم طاب إلى الديار المصرية حين وليها طاز ، فقبض عليه وأرسل إلى الاسكندرية معتقلا . وفي
يوم السبت من شهر صفر قدم تقليد قضاء الشافعية بدمشق وأعمالها لقاضي القضاة تاج الدين
عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، على قاعدة والده ، وذلك في حياة أبيه ، وذهبت
الناس للسلام عليه .

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر توجه قاضي القضاة تقي الدين
السبكي بعد استقلال والده تاج الدين عبد الوهاب في قضاء القضاة ومشيخة دار الحديث الاشرفية
مسافراً نحو الديار المصرية في محفة ، ومعه جماعة من أهله وذويه ، منهم سبطه القاضي بدر الدين بن
أبي الفتح وآخرون ، وقد كان الناس ودعوه قبل ذلك وعنده ضعف ، ومن الناس من يخاف عليه
وعشاء السفر مع الكبر والضعف .

ولما كان يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة صلى بعد الظهر على قاضي القضاة تقي الدين
ابن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي المصري الشافعي ، توفي بمصر ليلة الاثنين ثلثه ودفن
من صبيحة ذلك اليوم وقد أكل ثلاثا وتسعين سنة ، ودخل في الرابعة أشهر ، وولى الحكم بدمشق
نحواً من سبع عشرة سنة ، ثم نزل عن ذلك لولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، ثم رحل
في محفة إلى الديار المصرية كما ذكرنا ، ولما وصل مصر أقام دون الشهر ثم توفي كما ذكرنا ، وجاءت
التعزية ومرسوم باستقرار ولده في مدرسته اليعقوبية والقيصرية ، وبتشريف تطيبيا لقلبه ، وذهب
الناس إلى تعزيته على العادة ، وقد سمع قاضي القضاة السبكي الحديث في شببته بديار مصر ، ورحل إلى
الشام وقرأ بنفسه وكتب وخرج ، وله تصانيف كثيرة منتشرة كثيرة الفائدة ، وما زال في مدة
القضاء يصنف ويكتب إلى حين وفاته ، وكان كثير التلاوة ، وذكر لي أنه كان يقوم من الليل رحمه الله
وفي شهر جمادى الأولى من هذه السنة اشتهر أخذ الفرنج المخذولين لمدينة طرابلس المغرب ،
وقرأت من كتاب لقاضي قضاة المالكية أن أخذهم إياها كان ليلة الجمعة مستهل ربيع الاول من
هذه السنة ، ثم بعد خمسة عشر يوما استعادها المسلمون وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا أولا من المسلمين
ولله الحمد والمنة . وأرسل الدولة إلى الشام يطلبون من أموال أوقاف الأسارى ما يستنقذون به من
بقي أيديهم من المسلمين . وفي يوم الاربعاء حادى عشر رجب الفرد من هذه السنة حكم القاضي المالكي

وهو قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي بقتل نصراني من قرية الرأس من معاملة بعلبك ، اسمه داود بن سالم ، ثبت عليه بمجلس الحكم في بعلبك أنه اعترف بما شهد عليه أحمد بن نور الدين علي بن غازي من قرية اللبوة من الكلام السيء الذي نال به من رسول الله ﷺ ، وسبه وقذفه بكلام لا يليق ذكره ، فقتل لعنه الله يومئذ بعد أذان العصر بسوق الخليل وحرقة الناس وشفى الله صدور قوم مؤمنين والله الحمد والمنة وفي صبيحة يوم الأحد رابع عشر شعبان درس القاضي بهاء الدين أبو البقاء السبكي بالمدرسة القيمرية نزل له عنها ابن عمه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ في قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وصلى في هذا اليوم بعد الظهر على الشيخ الشاب الفاضل المحصل جمال الدين عبد الله بن العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي ، ودفن عند أبيه بمقابر باب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، وكانت لديه علوم جيدة ، وذهنه حاضر خارق ، أفق ودرس وأعاد وناظر وحج مرات عديدة رحمه الله وبل بالرحمة تراه .

وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال وقع حريق هائل في سوق القطنين بالنهار ، وذهب إليه نائب السلطنة والحجبة والقضاة حتى اجتهد الفعول والمتبرعون في إخماده وطفينه ، حتى سكن شره وذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جداً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد رأيت من الغد والنار كما هي عمالة والدخان صاعد والناس يطفونه بالماء الكثير الغمر والنار لا تخمد ، لكن هدمت الجدران وخربت المساكن وانتقل السكان انتهى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولا نائب ولا وزير بمصر ، وإنما يرجع تدبير المملكة إلى الأمير سيف الدين شيخون ، ثم الأمير سيف الدين صرغتمش ، ثم الأمير عز الدين مغلطاي الدوايدار ، وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها سوى الشافعى فإنه ابن المتوفى قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، وطرابلس الأمير سيف الدين منجك ، وبصغدا الأمير شهاب الدين بن صبح ، وبجماعة أيدمر العمري ، وبمحمص علاء الدين بن المعظم ، وببعلبك الأمير ناصر الدين الأتوس .

وفي العشر الأول من ربيع الأول تكامل إصلاح بلاط الجامع الأموى وغسل فصوص المقصورة والقبة ، وبسط بسطا حسنا ، وببضت أطباق القناديل ، وأضاء حاله جداً ، وكان

المستحث على ذلك الأمير علاء الدين أيدغمش أحد أمراء الطبلخانات ، برسوم نائب السلطنة له في ذلك .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة صلى على الأمير سيف الدين براق أمير أرجو بجماع تنكز ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان مشكور السيرة كثير الصلاة والصدقة محباً للخير وأهله ، من أكبر أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى . وقد رسم لولديه ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر كل منهما بعشرة أرماع ، وناصر الدين بمكان أبيه في الوظيفة باصطبل السلطان . وفي يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى خلع على الأميرين الأخوين ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر ولدى الأمير سيف الدين براق رحمه الله تعالى ، بأمرين عشرين ووقع في هذا الشهر نزاع بين الحنابلة في مسألة المناقلة ، وكان ابن قاضي الجبل الحنبلي يحكم بالمناقلة في قرار دار الأمير سيف الدين طيدمر الاسماعيلي حاجب الحجاب إلى أرض أخرى يجعلها وقفاً على ما كانت قراره عليه ، ففعل ذلك بطريقه ونفذه القضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي ، فغضب القاضي الحنبلي وهو قاضي القضاة جمال الدين المرادوى المقدمى من ذلك ، وعقد بسبب ذلك مجالس ، وتناول الكلام فيه ، وادعى كثير منهم أن مذهب الامام أحمد في المناقلة إنما هو في حال الضرورة ، وحيث لا يمكن الانتفاع بالوقوف ، فاما المناقلة لمجرد المصلحة والمنفعة الراجعة فلا ، وامتنعوا من قبول ما قرره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ذلك ، ونقله عن الامام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنيه صالح وحرب وأبي داود وغيرهم ، أنها تجوز للمصلحة الراجعة ، وصنف في ذلك مسألة مفردة وقفت عليها - يعنى الشيخ عماد الدين ابن كثير - فرأيتهما في غاية الحسن والافادة ، بحيث لا يتخالف من اطالع عليها ممن يذوق طعم الفقه أنها مذهب الامام أحمد رحمه الله ، فقد احتج أحمد في ذلك في رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن عوف عن المسعودى عن القاسم بن محمد أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن يحول المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق التمارين ، ويجعل السوق في مكان المسجد الجامع العتيق ، ففعل ذلك ، فهذا فيه أو ضح دلالة على ما استدل به فيها من النقل بمجرد المصلحة فانه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقاً ، على أن الاسناد فيه انقطاع بين القاسم وبين عمر وبين القاسم وابن مسعود ، ولكن قد جزم به صاحب المذهب ، واحتج به ، وهو ظاهر واضح في ذلك ، فعقد المجلس في يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر .

وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق عظيم ظاهر باب الفرج احترق فيه بسببه قياسير كثيرة لظاز ويلبغا ، وقيسرية الطواشي لبنت تنكز ، وأخر كثيرة ودور ودكاكين ، وذهب للناس شيء كثير من الأمتعة والنحاس والبضائع وغير ذلك ، مما يقاوم ألف

ألف وأكثر خارجاً عن الأموال ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد ذكر كثير من الناس أنه كان في هذه القياسير شر كثير من الفسق والربا والزغل وغير ذلك .

وفي السابع والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بأن الفرنج لعنهم الله استحوذوا على مدينة صفد : قدموا في سبعة مراكب وقتلوا طائفة من أهلها ونهبوا شيئاً كثيراً وأسروا أيضاً ، وهجموا على الناس وقت الفجر يوم الجمعة ، وقد قتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً وكسروا مركبا من مرابكهم ، وجاء الفرنج في عشية السبت قبل العصر وقدم الولى وهو جريح مثقل ، وأمر نائب السلطنة عند ذلك بتجهيز الجيش إلى تلك الناحية فساروا تلك الليلة والله الحمد ، وتقدمهم حاجب الحجاب وتحدر إليهم نائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبيح ، فسبق الجيش الدهشقي ، ووجد الفرنج قد برزوا بما غنموا من الأمتعة والأسارى إلى جزيرة تلقاء صيدا في البحر ، وقد أسر المسلمون منهم في المعركة شيخاً وشاباً من أبناء أشرفهم ، وهو الذى عاقبهم عن الذهاب ، فراسلهم الجيش في انفكك الاسارى من أيديهم فبادرهم عن كل رأس بخمسمائة فأخذوا من ديوان الأسارى مبلغ ثلاثين ألفاً ، ولم يبق معهم والله الحمد أحد . واستمر الصبي من الفرنج مع المسلمين ، وأسلم ودفع إليهم الشيخ الجريح ، وعطش الفرنج عطشاً شديداً ، وأرادوا أن يرووا من نهر هناك فبادرهم الجيش إليه فنعومهم أن ينالوا منه قطرة واحدة ، فرحلوا ليلة الثلاثاء منشرين بما معهم من الغنائم ، وبعثت رؤس جماعة من الفرنج من قتل في المعركة فنصبت على القلعة بدمشق ، وجاء الخبر في هذا الوقت بأن إيناس قد أحاط بها الفرنج ، وقد أخذوا الربيض وهم محاصرون القلعة ، وفيها نائب البلد ، وذكروا أنهم قتلوا خلقاً كثيراً من أهلها فانا لله وإنا إليه راجعون ، وذهب صاحب حلب في جيش كثيف نحوهم والله المسئول أن يظفرهم بهم بحوله وقوته ، وشاع بين العامة أيضاً أن الاسكندرية محاصرة ولم يتحقق ذلك إلى الآن ، وبالله المستعان . وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رؤس من قتلى الفرنج على صيدا ، وهى بضع وثلاثون رأساً ، فنصبت على شرافات القلعة ففرح المسلمون بذلك والله الحمد وفي ليلة الأربعاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وقع حريق عظيم داخل باب الصغير من مطبخ السكر الذى عند السويقة الملاصقة لمسجد الشناشين ، فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبى نصر ، واتصل بالسويقة المذكورة وما هنالك من الأماكن ، فكان قريباً أو أكثر من الحريق ظاهر باب الفرج فانا لله وإنا إليه راجعون ، وحضر نائب السلطنة ، وذلك أنه كان وقت صلاة العشاء ، ولكن كان الريح قويا ، وذلك بتقدير العزيز العليم .

وتوفى الشيخ عز الدين محمد بن إسماعيل بن عمر الحموى أحد مشايخ الرواة في ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، وصلى عليه من القند بالجامع الأموى بعد الظهر ، ودفن بمقابر

باب الصغير ، وكان مولده في ثاني ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة ، فجمع الكثير وتفرد بالرواية عن جماعة في آخر عمره ، وانقطع بموته سماع السنن الكبير للبيهقي ، رحمه الله .

ووقع حريق عظيم ليلة الجمعة خامس عشر رجب بمحلة الصالحية من سفح قاسيون ، فاحترق السوق القبلي من جامع الحنابلة بأكمله شرقا وغربا ، وجنوبا وشمالا ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذي أنشأه سيف الدين يلبيغا الناصري غربى سوق الخليل وفتح في هذا اليوم وجاء في غاية الحسن والبهاء ، وخطب الشيخ ناصر الدين بن الربوة الحنفي ، وكان قد نازعه فيه الشيخ شمس الدين الشافعي الموصلي ، وأظهر ولاية من واقفه يلبيغا المذكور ، ومراسيم شريفة سلطانية ، ولكن قد قوى عليه ابن الربوة بسبب أنه نائب عن الشيخ قوام الدين الاتقاني الحنفي ، وهو مقيم بمصر ، ومعه ولاية من السلطان متأخرة عن ولاية الموصلي ، فرسم لابن الربوة ، فلبس يومئذ الخلعة السوداء من دار السعادة وجاؤا بين يديه بالسناجق السود الخلفية ، والمؤذنون يكبرون على العادة ، وخطب يومئذ خطبة حسنة أكثرها في فضائل القرآن ، وقرأ في المحراب بأول سورة طه ، وحضر كثير من الأمراء والعامة والخاصة ، وبعض القضاة ، وكان يوما مشهودا ، وكنت ممن حضر قريبا منه . والمعجب أني وقفت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابلس وفيه : والخادم يعرف الشيخ عماد الدين بما جرى في بلاد السواحل من الحريق من بلاد طرابلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان ، أحرق الجبال كلها ومات الوحوش كلها مثل الثور والدب والثعلب والخنزير من الحريق ، ما بقي للوحوش موضع يهربون فيه ، وبقي الحريق عليه أياما وهرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار واحترق زيتون كثير ، فلما نزل المطر أطفأه باذن الله تعالى - يعني الذي وقع في تشرين وذلك في ذي القعدة من هذه السنة - قال ومن العجب أن ورقة من شجرة وقعت في بيت من مدخنه فأحترقت جميع ما فيه من الأثاث والثياب وغير ذلك ومن حلية حرب كثير ، وغالب هذه البلاد للدرزية والرافضة . نقلته من خط كاتبه محمد بن يلبان إلى صاحبه ، وهما عندي بقبان فيالله العجب .

وفي هذا الشهر - يعني ذي القعدة - وقع بين الشيخ إسماعيل بن العز الحنفي وبين أصحابه من الحنفية مناقشة بسبب اعتدائه على بعض الناس في محاسبة ، فاقنضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كمثل المتمرد عندهم ، فلما لم يحضر فيها حكم عليه القاضي شهاب الدين الكفري نائب الحنفي باسقاط عدالته ، ثم ظهر خبره بأنه قصد بلاد مصر ، فأرسل النائب في أثره من يرده فعنفه ، ثم أطلقه إلى منزله ، وشنع فيه قاضي القضاة الحنفي فاستحسن ذلك والله الحمد والمنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ﴾

استهات هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع

سليمان العباسي ، وسلطان الاسلام بالديار المصرية وما يقبها وبالبلاد الشامية وما والاها والحرمين الشريفين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى وليس له بمصر نائب ولا وزير ، وإنما ترجع الأمور إصداراً وإيراداً إلى الأُميرين الكبيرين سيف الدين شيخون وصرغتمش الناصريين ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التى قبها ، ونائب الشام بدمشق الأُمير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبها انتهى .

﴿ كائنة غريبة جداً ﴾

لما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة نهدت جماعة من مجاورى الجامع بدمشق من مشهد على وغيره ، واتبعهم جماعة من الفقراء والمغاربة ، وجاؤا إلى أما كن متهمه بالخر وبيع الحشيش فكسروا أشياء كثيرة من أوانى الخمر ، وأراقوا ما فيها وأتلفوا شيئاً كثيراً من الحشيش وغيره ، ثم انتقلوا إلى حكر السماق وغيرهم فنار عليهم من البارذارية والكلابرية وغيرهم من الرطاع فتناوشوا ، وضربت عليهم ضربات بالأيدى وغيرهم ، وربما سلب بعض الفساق السيوف عليهم كما ذكر ، وقد رسم ملك الأمراء لوالى المدينة ووالى البر أن يكونوا عضداً لهم وعوناً على الخمارين والحشاشة ، فنصروهم عليهم ، غير أنه كثير معهم الضجيج ونصبوا راية واجتمع عليهم خلق كثير ، ولما كان فى أواخر النهار تقدم جماعة من النقباء والخزاندارية ومعهم جنازير فأخذوا جماعة من مجاورى الجامع وضربوا بالمقارع وطيف بهم فى البلد ونادوا عليهم : هذا جزاء من يتعرض لما لا يعنيه تحت علم السلطان ، فتمعجب الناس من ذلك وأنكروه حتى أنه أنكر اثنان من العامة على المنادية فضرب بض الجند أحدهم بدبوس فقتله ، وضرب الآخر فيقال إنه مات أيضاً فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى شعبان من هذه السنة حكى عن جارية من عتيقات الامير سيف الدين تمر المهتمندار أنها حملت قريباً من سبعين يوماً ، ثم شرعت تطرح ما فى بطنها فوضعت فى قرب من أر بعين يوماً فى أيام متتالية ومتفرقة أربع عشرة بنتاً وصبياً بعدهن قل من يعرف شكل الذك من الأنثى .
وجاء الخبر بأن الأُمير سيف الدين شيخون مدير الممالك بالديار المصرية والشامية ظفر عليه مملوك من ممالك السلطان فضر به بالسيف ضربات فجرحه فى أما كن فى جسده ، منها ما هو فى وجهه ومنها ما هو فى يده ، فحمل إلى منزله صريعاً طريحاً جريحاً ، وغضب لذلك طوائف من الامراء حتى قيل إنهم ركبوا ودعوا إلى المبارزة فلم يجبى إليهم وعظم الخطب بذلك جدا واتهموا به الأُمير سيف الدين صرغتمش وغيره ، وأن هذا إنما فعل عن مملأة منهم فانه أعلم .

﴿ وفاة أرغون السكالي باني البيمارستان بحلب ﴾

كانت وفاته بالقدس الشريف في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من هذه السنة ،
 ودفن بتربة أنشأها غربي المسجد بشماله ، وقد ناب بدمشق مدة بعد حلب ، ثم جرت السكائنة التي
 أصلها يلبغا قبحة الله في أيامه ، ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالاسكندرية مدة ، ثم أفرج عنه
 فأقام بالقدس الشريف إلى أن كانت وفاته كما ذكرنا في التاريخ المذكور عزره الشريف ابن زريك
 والله أعلم .

﴿ وفاة الأمير شيخون ﴾

ورد الخبر من الديار المصرية بوفاة الأمير شيخون ليلة الجمعة السادس والعشرين من ذى القعدة
 ودفن من الغد بتربته ، وقد ابنتى مدرسة هائلة وجعل فيها المذاهب الأربعة ودار للحديث وخانقاه
 للصوفية ، ووقف عليها شيئاً كثيراً ، وقرر فيها معالم وقراءة دار ، وترك أموالاً جزيلة وحواصل
 كثيرة ودواوين في سائر البلاد المصرية والشامية ، وخلف بنات وزوجة ، وورث البقية أولاد السلطان
 المذكور بالولاء ، ومسك بعد وفاته أمراء كثيرون بمصر كانوا من حزبه ، من أشهرهم عز الدين
 بقطاي والدوادار وابن قوصون وأمه أخت السلطان خلف عليها شيخون بعد قوصون انتهى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام بالبلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين ومايتبع
 ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى ، وقد
 قوى جانبه وحاشيته بموت الأمير شيخون كما ذكرنا في سادس عشر من ذى القعدة من السنة الماضية ،
 وصار إليه من ميراثه من زهرة الحياة شئ كثير من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
 والألوان والحراث ، وكذلك من الممالك والأسلحة والعدة والبرك والمتاجر مايشق حصره ويتعذر
 إحصاؤه ها هنا ، وليس في الديار المصرية فيما بلغنا إلى الآن نائب ولا وزير ، والقضاة هم المذكورون
 في التي قبلها ، وأما دمشق فنائبها وقضاةها هم المذكورون في التي قبلها سوى الخنفي فإنه قاضى القضاة
 شرف الدين الكفرى ، عوضاً عن نجم الدين الطوسى . توفى في شعبان من السنة الماضية ، ونائب
 حلب سيف الدين طاز ، وطرابلس منجك ، وحماة استدصر العمري ، وصغدشهاب الدين بن صبح ،
 وبحمص صلاح الدين خليل بن خاض برك ، وبيعلبك ناصر الدين الأقسوس .

وفي صبيحة يوم الاثنين رابع عشر المحرم خرجت أربعة آلاف مع أربع مقدمين إلى ناحية
 حلب نصرة لجيش حلب على مسك طاز إن امتنع من السلطنة كما أمر ، ولما كان يوم الحادى والعشرين
 من المحرم نادى المنادى من جهة نائب السلطنة أن يركب من بقى من الجنود في الحديد ويوافوه إلى
 سوق الخليل ، فركب معهم قاصداً ناحية ثنية العقاب لينزع الأمير طاز من دخول البلد ، لما تحقق

جميعه في جيشه قاصداً إلى الديار المصرية ، فانزعج الناس لذلك وأخليت دار السعادة من الحواصل
والحریم إلى القلعة ، وتحصن كثير من الأمراء بدورهم داخل البلد ، وأغلق باب النصر ، فاستوحش
الناس من ذلك بعض الشيء ، ثم غلقت أبواب البلد كلها إلا بابي الفراديس والفرج ، وباب الجابية
أيضاً لأجل دخول الحجاج ودخل المحمل صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم ولم يشعر
به كثير من الناس لشغلهم بما هم فيه من أمر طاز ، وأمر العشير بحوران ، وجاء الخبر بمسك الأمير
سيف الدين طيدير الحاجب الكبير بأرض حوران وسجنه بقلعة صرخد ، وجاء سيفه صحبة الأمير
جمال الدين الحاجب ، فذهب به إلى الوطاق عند الثنية ، وقد وصل طاز بجنوده إلى باب القطيفة
وتلاقى شاليشه بشاليش نائب الشام ، ولم يكن منهم قتال والله الحمد ، ثم ترأس هو والنائب في الصلح
على أن يسلم طاز نفسه ويركب في عشرة سروج إلى السلطان وينسلخ مما هو فيه ، ويكاتب فيه
النائب وتلفوا بأمره عند السلطان وبكل ما يقدر عليه ، فأجاب إلى ذلك وأرسل يطلب من يشهد
على وصيته ، فأرسل إليه نائب السلطنة القاضي شهاب الدين قاضي العسكر ، فذهب إليه فأوصى لولده وأم
ولده ولوالده نفسه ، وجعل الناظر على وصيته الأمير علاء الدين أمير على المارداني نائب السلطنة ، وللأمير
صرغتمش ، ورجع النائب من الثنية عشية يوم السبت بين العشاءين الرابع والعشرين منه وتضاعفت
الأدعية له وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ودعوا إلى الأمير طاز بسبب إجابته إلى السمع
والطاعة ، وعدم مقاتلته مع كثرة من كان معه من الجيوش ، وقوة من كان يحرضه على ذلك من أخويه
وذويه ، وقد اجتمعت بنائب السلطنة الأمير علاء الدين أمير على المارداني فأخبرني بما لخص ما وقع منذ
خرج إلى أن رجع ، ومضمون كلامه أن الله لطف بالمسلمين لطفاً عظيماً ، إذ لم يقع بينهم قتال ، فإنه
قال : لما وصل طاز إلى القطيفة وقد نزلنا نحن بالقرب من خان لاجين أرسلت إليه مملوكاً من مماليكى
أقول له : إن المرسوم الشريف قد ورد بذهابك إلى الديار المصرية في عشرة سروج فقط ، فإذا جئت
هكذا فأهلاً وسهلاً ، وإن لم تفعل فأنت أصل الفتنة . وركبت ليلة الجمعة طول الليل في الجيش وهو
ملبس ، فرجع مملوكي ومعه مملوكه سريماً يقول : إنه يسأل أن يدخل بطلبه كما خرج يطلبه من مصر ، فقلت
لا سبيل إلى ذلك إلا في عشرة سروج كما رسم السلطان ، فرجع وجاءني الأمير الذي جاء من مصر
بطلبه فقال : إنه يطلب منك أن تدخل في مماليكه فإذا جاوز دمشق إلى الكسوة نزل جيشه هناك
وركب هو في عشرة سروج كما رسم . فقلت : لا سبيل إلى أن يدخل دمشق ويتجاوز بطلبه أصلاً ،
وإن كان عنده خيل ورجال وعدة فعندي أضعاف ذلك ، فقال لي الأمير : ياخوند لا يكون تنسى
قيمته ، فقلت لا يقع إلا ما تسمع ، فرجع فما هو إلا أن ساق مقدار رمية سهم وجاء بعض الجواسيس
الذين لنا عندهم فقال ياخوندا قد وصل جيش حماة وطرابلس ، ومن معهم من جيش دمشق

الذين كانوا قد خرجوا بسببه ، وقد اتفقوا هم وهو . قال فحينئذ ركب في الجيش وأرسلت طليعتين أمامي وقلت تراءوا للجيش الذين جاؤا حتى يروكم فيعلموا أنا قد أحطنا بهم من كل جانب . فحينئذ جاءت البرد من جهته بطلب الامان ويجهرون بالاجابة إلى أن يركب في عشرة سروج ، ويترك طلبه بالقطيفة ، وذلك يوم الجمعة ، فلما كان الليل ركبت أنا والجيش في السلاح طول الليل وخشيت أن تكون مكيدة وخديعة ، فجاءتنا الجواسيس فأخبرونا أنهم قد أوقدوا نشابهم ورماحهم وكثيراً من سلاحهم ، فتحققنا عند ذلك طاعته وإجابته ، لكل ما رسم به ، فلما أصبح يوم السبت وصى وركب في عشرة سروج وسار نحو الديار المصرية والله الحمد والمنة .

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر دخل حاجب الحجاب الذي كان سجن في قلعة صرخد مع البريدي الذي قدم بسببه من الديار المصرية ، وتلقاه جماعة من الأمراء والكبراء ، وتصدق بصدقات كثيرة في داره ، وفرحوا به فرحاً شديداً ، وهو والناس يقولون إنه ذاهب إلى الديار المصرية معظماً مكرماً على مقدمة ألف ووظائف هناك ، فلما كان يوم الخميس السابع والعشرين منه لم ينجأ الناس إلا وقد دخل القلعة المنصورة معتقلاً بها مضيقة عليه ، فتمعج الناس من هذه الفرحة من تلك الفرحة فما شاء الله كان .

وفي يوم الأربعاء ربيع الأول عقد مجلس بسبب الحاجب بالمشهد من الجامع . وفي يوم الخميس أحضر الحاجب من القلعة إلى دار الحديث ، واجتمع القضاة هناك بسبب دعاوى يطلبون منه حق بعضهم ، ثم لما كان يوم الاثنين تأسه قدم من الديار المصرية مقدم البريدية بطلب الحاجب المذكور ، فأخرج من القلعة السلطانية وجاء إلى نائب السلطنة فقبل قدمه ، ثم خرج إلى منزله وركب من يومه قاصداً إلى الديار المصرية مكرماً ، وخرج بين يديه خلق من العوام والحرافيش يدعون له ، وهذا أغرب ما أرخ ، فهذا الرجل نالته شدة عظيمة بسبب سجنه بصرخد ، ثم أفرج عنه ، ثم حبس في قلعة دمشق ثم أفرج عنه ، وذلك كله في نحو شهر .

ثم جاءت الأخبار في يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى بعزل نائب السلطنة عن دمشق فلم يركب في الموكب يوم الاثنين ، ولا حضر في دار العدل ، ثم تحققت الاخبار بذلك وبذهابه إلى نيابة حلب ، وجمي نائب حلب إلى دمشق ، فتأسف كثير من الناس عليه لديانته وجوده وحسن معاملته لأهل العلم ، ولكن حاشيته لا ينفذون أوامره ، فتولد بسبب ذلك فساد عريض وحموا كثيراً من البلاد ، فوقعت الحروب بين أهلها بسبب ذلك ، وهاجت العشيرات فانا لله وإنا إليه راجعون وفي صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين خرج الأمير على المارداني من دمشق في طلبه مستعجلاً في أهبة النيابة ، قاصداً إلى حلب المحروسة ، وقد ضرب وطاقه بوطأة برزة ، ففرج الناس للتفرج

على طلبه . وفي هذا اليوم بعد خروج النائب بقليل دخل الأمير سيف الدين طيهر الحاجب من
الديار المصرية عائداً إلى وظيفة الحجوبية في أمهة عظيمة ، وتلقاه الناس بالشموع ، ودعوا له ، ثم
ركب من يومه إلى خدمة ملك الأمراء إلى وطأة برزة ، فقبل يده وخلع عليه الأمراء ، واصطلحوا ،
انتهى والله أعلم ﴿ دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق المحروسة ﴾

كان ذلك في صبيحة يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من ناحية حلب وبين
يديه الأمراء والجيش على العادة ، وأوقدت الشموع وخرج الناس ومنهم من بات على الأسطحة
وكان يوماً هائلاً .

وفي أواخر شهر رجب برز نائب السلطنة إلى الربوة وأحضر القضاة وولاية الأمور ورسم باحضار
المفتيين - وكنت فيمن طلب يومئذ إلى الربوة فركبت إليها - وكان نائب السلطنة عزم يومئذ على
تخريب المنازل المبنية بالربوة وغلق الحمام من أجل هذه فيما ذكر أنها بنيت ليقضى فيها ، وهذا الحمام
أوساخه صائرة إلى النهر الذي يشرب منه الناس ، فاتفق الحال في آخر الأمر على إبقاء المساكن
ورد المرتفعات المسلطة على نوره وناس ، ويترك ما هو مسلط على بردى ، فانكف الناس عن
الذهاب إلى الربوة بالكلية ، ورسم يومئذ بتضييق أحكام النساء وأن تزال الاجراس والركب عن
الحير التي للمكارية .

وفي أوائل شهر شعبان ركب نائب السلطنة يوم الجمعة بعد العصر ليقف على الحائط الرومي
الذي بالرحبية ، فخاف أهل الأسواق وغلقوا دكاكينهم عن آخرهم ، واعتقدوا أن نائب السلطنة أمر
بذلك ، فغضب من ذلك وتنصل منه ، ثم إنه أمر بهدم الحائط المذكور ، وأن ينقل إلى المارة التي
استجدها خارج باب النصر في دار الصناعة التي إلى جانب دار العدل ، أمر ببنائها خاناً ونقلت
تلك الأحجار إليها ، انتهى والله أعلم .

﴿ عزل القضاة الثلاثة بدمشق المحروسة ﴾

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم من الديار المصرية بريدى ومعه تذكرة - ورقة - فيها
السلام على القضاة المستجدين ، وأخبر بعزل القاضى الشافعى والحنفى والمالكي ، وأنه ولي قضاة
الشافعية القاضى بهاء الدين أبو البقا السبكي ، وقضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج الحنفى
وذهب الناس إلى السلام عليهم والتهنئة لهم واحتفلوا بذلك ، وأخبروا أن القاضى المالكي سيقدم
من الديار المصرية ، ولما كان يوم السبت السابع والعشرين من شعبان وصل البريد من الديار المصرية
ومعه تقليدان وخلعتان للقاضى الشافعى والقاضى الحنفى ، فلبسا الخلعين وجاء من دار السعادة إلى
الجامع الأموى ، وجلسا في محراب المقصورة ، وقرأ تقليد قاضى القضاة بهاء الدين أبي البقاء

الشافعي ، الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث على السدة تجاه المحراب ، وقرأ تقليد قاضي القضاة جمال الدين بن السراج الحنفي الشيخ عماد الدين بن السراج المحدث أيضا على السدة ، ثم حكى هنالك ، ثم جاء أيضا إلى الغزالية فدرس بها قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء ، وجلس الحنفي إلى جانبه عن يمينه ، وحضرت عنده فأخذ في صيام يوم الشك ، ثم جاء معه إلى المدرسة النورية فدرس بها قاضي القضاة جمال الدين المذكور ، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ، وذكروا أنه أخذ في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) الآية . ثم انصرف بهاء الدين إلى المدرسة العادلية الكبيرة فدرس بها قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمم بين الناس أن تحكموا بالعدل) الآية . وفي صبيحة يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان دخل القاضي المالكي من الديار المصرية فلبس الخلاء يومئذ ودخل المقصورة من الجامع الأموي وقرىء تقليده هنالك بحضرة القضاة والأعيان ، قرأه الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث ، وهو قاضي القضاة شرف الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن عسكر العراقي البغدادي ، قدم الشام مراراً ثم استوطن الديار المصرية بعد ما حكم ببغداد نيابة عن قطب الدين الاخوي ، ودرس بالمستنصرية بعد أبيه ، وحكم بدمياط أيضاً ثم نقل إلى قضاء المالكية بدمشق وهو شيخ حسن كثير التودد ومسدد العبارة حسن البشر عند اللقاء ، مشكور في مباشرته عفة ونزاهة وكرم ، الله يوفقه ويسدده .

﴿ مسك الأمير صرغتمش أنابك الأمراء بالديار المصرية ﴾

ورد الخبر إلينا بمسكه يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان هذا ، وأنه قبض عليه بحضرة السلطان يوم الاثنين العشرين منه ، ثم اختلفت الرواية عن قتله غير أنه احتيط على حواصله وأمواله ، وصادر أصحابه وأتباعه ، فكان فيمن ضرب وعصرت تحت المصادرة القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الابار ، واشتهر أنه مات تحت العقوبة ، وقد كان مقصداً للواردين إلى الديار المصرية ، لاسيما أهل بلدة دمشق ، وقد باشر عدة وظائف ، وكان في آخر عمره قد فوض إليه نظر جميع الأوقاف ببلاد السلطان ، وتكلم في أمر الجامع الأموي وغيره ، فحصل بسبب ذلك قطع أرزاق جماعات من الكتبة وغيرهم ، ومالاً الأمير صرغتمش في أمور كثيرة خاصة وعامة ، فهلك بسببه ، وقد قارب الثمانين ، انتهى .

﴿ إعادة القضاة ﴾

وقد كان صرغتمش عزل القضاة الثلاثة بدمشق ، وهم الشافعي والحنفي والمالكي كما تقدم ، وعزل قبلهم ابن جماعة وولي ابن عقيل ، فلما مسك صرغتمش رسم السلطان بإعادة القضاة على ما كانوا عليه ، ولما ورد الخبر بذلك إلى دمشق امتنع القضاة الثلاثة من الحكم ، غير أنهم حضروا ليلة العيد لرؤية

الجلال بالجامع الأموي ، وركبوا مع النائب صبيحة العيد إلى المصلى على عادة القضاة ، وهم على وجل ، وقد انتقلوا من مدارس الحكم فرجع قاضي القضاة أبو البقاء الشافعي إلى بستانه بالزعفرية ، ورجع قاضي القضاة ابن السراج إلى داره بالتعديل ، وارتحل قاضي القضاة شرف الدين المالكي إلى الصالحية داخل الصمصامية ، وتآلم كثير من الناس بسببه ، لأنه قد قدم غريبان الديار المصرية وهو فقير ومتمدين ، وقد باشر الحكم جيداً ، ثم تبين بآخرة أنه لم يعزل وأنه مستمر كما سندر ، وفرح أصحابه وأحبابه ، وكثير من الناس بذلك ، فلما كان يوم الأحد رابع شوال قدم البريد وصحبته تقليد الشافعي قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي ، وتقليد الحنفي قاضي القضاة شرف الدين الكفري واستمر قاضي القضاة شرف الدين المالكي العراقي على قضاء المالكية ، لأن السلطان تذكر أنه كان شافيه بولاية القضاء بالشام ، وسيرة بين يديه إلى دمشق ، فخدمت سيرته كما حسنت سيرته . إن شاء الله ، وفرح الناس له بذلك .

وفي ذى القعدة توفي المحدث شمس الدين محمد بن سعد الحنبلي يوم الاثنين ثالثة ، ودفن من الغد بالسفح ، وقد قارب الستين ، وكتب كثيراً وخرج ، وكانت له معرفة جيدة بأسماء الأحرار ورواياتهم من الشيوخ المتأخرين ، وقد كتب للحافظ البرزالي قطعة كبيرة من مشايخه ، وخرج له عن كل حديثاً أو أكثر ، وأثبت له ما سمعه عن كل منهم ، ولم يتم حتى توفي البرزالي رحمه الله .

وتوفي بهاء الدين ابن المرجاني باني جامع الفوقاني ، وكان مسجداً في الأصل فبناه جامعاً ، وجعل فيه خطبة ، وكنيت أول من خطب فيه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وسمع شيئاً من الحديث . وبلغنا مقتل الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى بن مهنا أحد أمراء الأعراب الأجواد الأتجاد وقد ولي إمرة آل مهنا غير مرة كما وليها أبوه من قبله : عدا عليه بعض بني عمه فقتله عن غير قصد بقتله ، كما ذكر ، لكن لما حمل عليه السيف أراد أن يدفع عن نفسه وبنفسه فضربه بالسيف برأسه ففلقه فلم يمش بعده إلا أياماً قلائل ومات رحمه الله انتهى .

✽ عزل منجك عن دمشق ✽

ولما كان يوم الأحد ثاني ذى الحجة قدم أمير من الديار المصرية ومعه تقليد نائب دمشق ، وهو الأمير سيف الدين منجك بنبابة صغد المحروسة ، فأصبح من الغد - وهو يوم عرفة - وقد انتقل من دار السعادة إلى سطح المزة قاصداً إلى صغد المحروسة فعمل العيد بسطح المزة ، ثم ترحل نحو صغد ، وطمع كثير من المفسدين والخمارين وغيرهم وفرحوا بزواله عنهم . وفي يوم العيد قرى كتاب السلطان بدار السعادة على الأمراء وفيه التصريح باستنابة أميره على المارداني عليهم ، وعوده إليهم والامر بطاعته وتعظيمه واحترامه والشكر له والثناء عليه ، وقدم الأمير شهاب الدين بن صبح من

نيابة صفد ونزل بداره بظاهر البلد بالقرب من الشامية البرانية . ووصل البريد يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة بنفي صاحب الحجاب طيدير الاسماعيلي إلى مدينة حماة بطالا في سرجين لاغير والله أعلم .

✽ ثم دخلت سنة ستين وسبعائة ✽

استهلت هذه السنة وملك الديار المصرية والشامية وما يتبع ذلك من الممالك الاسلامية الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وقضاته بمصرهم المذكورون في السنة التي قبلها ، ونائبه بدمشق الامير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير المالكي ، فانه عزل جمال الدين المسلاتي بشرف الدين العراقي ، وحاجب الحجاب الأمير شهاب الدين بن صبيح ، وخطباء البلد كانت أكثرها المذكورون . وفي صبيحة يوم الأربعاء ثالث المحرم دخل الأمير علاء الدين أمير على نائب السلطنة إلى دمشق من نيابة حلب ، وفرح الناس به وتلقوه إلى أثناء الطريق ، وحملت له العمامة الشجوع في طرقات البلد ، ولبس الأمير شهاب الدين بن صبيح خلعة الحجابة الكبيرة بدمشق عوضاً عن نيابة صفد .

ووردت كتب الحجاج يوم السبت الثالث عشر منه مؤرخة سابع عشرين ذي الحجة من العلاء وذكروا أن صاحب المدينة النبوية عدا عليه فداويان عند لبسه خلعة السلطان ، وقت دخول الحمل إلى المدينة الشريفة فقتلاه ، فمدت عبيده على الحجاج الذين هم داخل المدينة فتهبوا من أموالهم وقتلوا بعضهم وخرجوا ، وكانوا قد أغلقوا أبواب المدينة دون الجيش فاحرق بعضها ، ودخل الجيش السلطاني فاستنقذوا الناس من أيدي الظالمين . ودخل الحمل السلطاني إلى دمشق يوم السبت العشرين من هذا الشهر على عادته ، وبين يدي الحمل الفداويان اللذان قتلا صاحب المدينة ، وقد ذكرت عنه أمور شنيعة بشعة من غلوه في الرض المفرط ، ومن قوله إنه لو تمكن لأخرج الشيخين من الحجرة ، وغير ذلك من عبارات مؤدية لعدم إيمانه إن صح عنه والله أعلم

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سادس صفر مسك الامير شهاب الدين بن صبيح حاجب الحجاب وولداه الأميران وحبسوا في القلعة المنصورة ، ثم سافر به الامير ناصر الدين بن خاربك بعد أيام إلى الديار المصرية ، وفي رجل ابن صبيح قيد ، وذكر أنه فك من رجله في أثناء الطريق . وفي يوم الاثنين ثالث عشر صفر قدم نائب طراباس الأمير سيف الدين عبد الغنى فأدخل القلعة ثم سافر به الأمير علاء الدين بن أبي بكر إلى الديار المصرية محتفظاً به مضيقة عليه ، وجاء الخبر بأن منجك سافر من صفد على البريد مطلوباً إلى السلطان ، فلما كان بينه وبين غزة بريد واحد دخل بمن معه من خدمه التيه فاراً من السلطان ، وحين وصل الخبر إلى نائب غزة اجتهد في طلبه فأعجزه وتفرط الامر ، انتهى والله أعلم .

﴿ مسك الأمير على المارداني نائب الشام ﴾

وأصل ذلك أنه في صبيحة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رجب، ركب الجيش إلى تحت القلعة ملبسين وضربت البشائر في القلعة في ناحية الطارمة، وجاء الأمراء بالطبلخانات من كل جانب والقائم بأعباء الأمر الأمير سيف الدين بيدمر الحاجب، ونائب السلطنة داخل دار السعادة والرسول مرددة بينه وبين الجيش، ثم خرج فحمل على سروج يسيرة محتاطا عليه إلى ناحية الديار المصرية، واستوحش من أهل الشام عند باب النصر، فبناكى الناس رحمة له وأسفة عليه، لديانته وقلة أذيته وأذية الرعية وإحسانه إلى العلماء والفقراء والقضاة.

ثم في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين منه احتيط على الأمراء الثلاثة، وهم الأمير سيف الدين طيبفاحجى أحد مقدمى الأتوف، والأمير سيف الدين فطليخا الدوادار أحد المقدمين أيضا والأمير علاء الدين أيدغمش المارداني أحد أمراء الطبلخانات، وكان هؤلاء ممن حضر نائب السلطنة المذكور وهم جلساؤه ومماره، والذين بسفارته أعطوا الأجناد والطبلخانات والتقدم، فرفعوا إلى القلعة المنصورة معتقلين بهامع من بهامن الأمراء، ثم ورد الخبر بأن الأمير على رد من الطريق بعد مجاوزته غزة وأرسل إليه بتقليد نيابة صغد الحروسية، فتمائل الحال وفرح بذلك أصحابه وأحبابه، وقدم متسلم دمشق الذى خلع عليه بنيابتها بالديار المصرية في يوم الخميس سادس عشر شهر رجب بعد أن استعفى من ذلك مراراً، وبأس الأرض مراراً فلم يعفاه السلطان، وهو الأمير سيف الدين استدمر اخو يلبغا البحناوى، الذى كان نائب الشام، وبفته اليوم زوجة السلطان، قدم متسلمه إلى دمشق يوم الخميس سلخ الشهر فنزل في دار السعادة، وراح القضاة والأعيان للسلام عليه والتودد إليه، وحملت إليه الضيافات والتقدم، انتهى والله أعلم.

﴿ كائنة وقعت بقرية حوران ﴾

« فأوقع الله بهم بأسا شديداً في هذا الشهر الشريف »

وذلك أنهم أشهر أهل قرية بحوران وهى خاص لنائب الشام وهم حلبية يمن ويقال لهم بنو لبسه وبنى ناشى وهى حصينة منيعة يضوى إليها كل مفسد وقاطع ومارق ولجأ إليهم أحد شياطين رويمن المشير وهو عمر المعروف بالدينط، فأعدوا عددا كثيرة ونهبوا ليغنموا العشير، وفي هذا الحين بدرهم والى الولاية المعروف بشنكل منكل، فجاء إليهم ليردهم ويهديهم، وطلب منهم عمر الدينط فأبوا عليه وراموا مقاتلته، وهم جمع كثير وجم غفير، فتأخر عنهم وكتب إلى نائب السلطنة ليمده بجيش عوناله عليهم وعلى أمثالهم، فجهز له جماعة من أمراء الطبلخانات والعشراوات ومائة من جند الحلقة الرماة، فلما بقى في بلدهم تجتمعوا لقتال العسكر ورموه بالحجارة والمقاليح، وحجزوا بينهم وبين البلد،

ف عند ذلك رمتهم الانترك بالنبال من كل جانب ، فقتلوا منهم فوق المائة ، وفرروا على أعقابهم ، وأسرى منهم الى الولاية نحواً من ستين رجلاً ، وأمر بقطع رؤوس القتلى وتعليقها في أعناق هؤلاء الأسرى ، ونهبت بيوت الفلاحين كلهم ، وسلمت إلى عماليك نائب السلطنة لم يفقد منها ما يساوي ثلاثمائة درهم ، وكر راجعاً إلى بصرى وشيوخ العشيرات معه ، فأخبر ابن الأمير صلاح الدين ابن خاص ترك ، وكان من جملة أمراء الطبليخانات الذين قاتلهم بمسوط ما يخصه وأنه كان إذا أعيأ بعض تلك الأسرى من الجرحى أمر المشاعلى بذبحه وتعليق رأسه على بقية الأسرى ، وفعل هذا بهم غير مرة حتى أنه قطع رأس شاب منهم وعلق رأسه على أبيه ، شيخ كبير ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، حتى قدم بهم بصرى فشئكل طائفة من أولئك المأسورين وشئكل آخريين ووسط الآخريين وحبس بعضهم في القلعة ، وعلق الرؤوس على أخشاب نصبها حول قلعة بصرى ، فحصل بذلك تنكيل شديد لم يقع مثله في هذا الأوان بأهل حوران ، وهذا كله سلط عليهم بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد ، وكذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ، فانا لله وإنا إليه راجعون . انتهى .

﴿ دخول نائب السلطنة الامير سيف الدين استدمر البحنواوى ﴾

في صبيحة يوم الاثنين حادى عشر شعبان من هذه السنة كان دخول الامير سيف الدين استدمر البحنواوى نائباً على دمشق من جهة الديار المصرية ، وتلقاه الناس واحتفلوا له احتفالاً زائداً وشاهدته حين ترحل لتقبيل العتبة ، وبعضه الامير سيف الدين بيدمر الذى كان حاجب الحجاب وعين لنيابة حلب المحروسة ، فاستقبل القبلة وسجد عند القبلة ، وقد بسط له عندها مفارش وصدرة هائلة ، ثم إنه ركب فتعضده بيدمر أيضاً وسار نحو الموكب فأركب ثم عاد إلى دار السعادة على عادة من تقدمه من النواب . وجاء تقليد الامير سيف الدين بيدمر من آخر النهار لنيابة حلب المحروسة . وفي آخر نهار الثلاثاء بعد العصر ورد البريد البشيري وعلى يده مرسوم شريف بنفى القاضي بهاء الدين أبو البقاء وأولاده وأهله إلى طرابلس بلا وظيفة ، فشق ذلك عليه وعلى أهليه ومن يليه ، وتغم له كثير من الناس ، وسافر ليلة الجمعة وقد أذن له في الاستنابة في جهاته ، فاستناب ولده الكبير عز الدين ، واشتهر في شوال أن الامير سيف الدين منجك الذى كان نائب السلطنة بالشام وهرب ولم يطالع له خبر ، فلما كان في هذا الوقت ذكر أنه مسك ببلد بجران من مقاطعة ماردين في زى فقير ، وأنه احتفظ عليه وأرسل السلطان قراره ، وعجب كثير من الناس من ذلك ، ثم لم يظهر لذلك حقيقة وكان الذين رأوه ظنوا أنه هو ، فاذا هو فقير من جملة الفقراء يشبهه من بعض الوجوه . واشتهر في ذى القعدة أن الأمير عز الدين فياض بن مهنا ملك العرب ، خرج عن طاعة السلطان وتوجه نحو العراق فوردت المراسيم السلطانية لمن بأرض الرجبة من العساكر الدهشقية وهم أربعة مقدمين في

أربعة آلاف ، وكذلك جيش حلب وغيره بتطلبه وإحضاره إلى بين يدي السلطان ، فسمعوا في ذلك بكل ما يقدرون عليه فمجزوا عن لحاقه والدخول وراءه إلى البراري ، وتفارط الحال وخلص إلى أرض العراق فضاقت النطاق وتعذر اللحاق .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة ﴾

استهلت وسلطان المسلمين الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين استدمر أخو يلبغا البحنأوى ، وكاتب السر القاضي أمين الدين بن القلانسي .

وفي مستهل المحرم جاء الخبر بموت الشيخ صلاح الدين العلائي بالقدس الشريف ليلة الاثنين ثالث المحرم ، وصلى عليه من الغد بالمسجد الأقصى بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقبرة نائب الرحبة ، وله من العمر ست وستون سنة ، وكان مدة مقامه بالقدس مدرساً بالمدرسة الصلاحية وشيخاً بدار الحديث السكرية ثلاثين سنة ، وقد صنف وألف وجمع وخرج ، وكانت له يد طويلة بمعرفة العالي والنازل ، وتخرج الأجزاء والفوائد ، وله مشاركة قوية في الفقه واللغة والعربية والآداب وفي كتابته ضعف لكن مع صحة وضبط لما يشكك ، وله عدة مصنفات ، وبلغني أنه وقفها على اخلائها السمسطية بدمشق ، وقد ولي بعده التدريس بالصرخية الخطيب برهان الدين ابن جماعة والنظر بها ، وكان معه تفويض منه متقدم التاريخ .

وفي يوم الخميس السادس من محرم احتيط على متولى البر ابن بهادر الشيرجى ورسم عليه بالعذراوية بسبب أنه اتهم بأخذ مطلب من نعمان البلقاء هو وكحلن الحاجب ، وقاضى حسان ، والظاهر أن هذه مرافعة من خصم عدو لهم ، وأنه لم يكن من هذا شيء والله أعلم . ثم ظهر على رجل يزور المراسيم الشريفة وأخذ بسببه مدرس الصارمية لأنه كان عنده في المدرسة المذكورة ، وضرب بين يدي ملك الأمراء ، وكذلك على الشيخ زين الدين زيد المغربي الشافعي ، وذكر عنه أنه يطلب مرسوماً لمدرسة الاكرية ، وضرب أيضاً ورسم عليه في حبس السد ، وكذلك حبس الأمير شهاب الدين الذي كان متولى البلد ، لأنه كان قد كتب له مرسوماً شريعاً بالولاية ، فلما فهم ذلك كاتب السر أطلع عليه نائب السلطنة فافتتح عليه الباب وحبسوا كلهم بالسد ، وجاءت كتب الحجاج ليلة السبت الخامس عشر من المحرم وأخبرت بانخصب والرخص والأمن والله الحمد والمنة . ودخل المحمل بعد المغرب ليلة السبت الحادي والعشرين منه ، ثم دخل الحجيج بعده في الطين والرمض وقد لقوا من ذلك من بلاد حوران عناء وشدة ، ووقعت جمالات كثيرة وسبيت نساء كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وحصل للناس تعب شديد . ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين قطعت يد

الذي زور المراسيم واسمه السراج عمر القفطي المصري ، وهو شاب كاتب مطبق على ما ذكره ، وحمل في قفص على جبل وهو مقطوع اليد ، ولم يحسم بعدو الدم ينصب منها ، وأركب معه الشيخ زين الدين زيد على جبل وهو منكوس وجهه إلى ناحية دبر الجبل ، وهو عريان مكشوف الرأس ، وكذلك البدر الحمصي على جبل آخر ، وأركب الوالي شهاب الدين على جبل آخر وعليه تخفيفة صغيرة ، وخف وقباء ، وطيف بهم في محال البلاد ، ونودي عليهم : هذا جزاء من يزور على السلطان ، ثم أودعوا حبس الباب الصغير وكانوا قبل هذا التعزير في حبس السد ، ومنه أخذوا وأشهروا ، فانا لله وإنا إليه راجعون انتهى ﴿ مسك منجك وصفة الظهور عليه وقد كان محتفياً بدمشق في بعض دورها قريباً من سنة ﴾

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم جاء ناصح إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين استد مر فأخبره بأن منجك في دار الشرف الأعلى ، فأرسل من فوراً إلى ذلك المنزل الذي هو فيه بعض الحجابة ومن عنده من خواصه ، فأحضر إلى بين يديه محتفظاً عليه جداً ، بحيث إن بعضهم رزقه من ورائه واحتضنه ، فلما واجهه نائب السلطنة أكرمه وتلقاه وأجلسه معه على مقعدته ، وتلطف به وسقاه وأضافه ، وقد قيل إنه كان صائماً فأفطر عنده ، وأعطاه من ملبسه وقيدته وأرسله إلى السلطان في ليلته - ليلة الجمعة - مع جماعة من الجنود وبعض الأمراء ، منهم حسام الدين أمير حاجب ، وقد كان أرسل نائب السلطنة ولده بسيف منجك من أوائل النهار ، وتمعجب الناس من هذه القضية جداً ، وما كان يظن كثير من الناس إلا أنه قد عدم باعتبار أنه في بعض البلاد النائية ، ولم يشعر الناس أنه في وسط دمشق وأنه يمشي بينهم متنكراً ، وقد ذكر أنه كان يحضر الجمعات بجماع دمشق ويمشي بين الناس متنكراً في لبسه وهيئته ، ومع هذا لن يغني حذر من قدر ، ولكل أجل كتاب ، وأرسل ملك الأمراء بالسيف وملابسه التي كان يتنكر بها ، وبعث هو مع جماعة من الأمراء الحجابة وغيرهم وجيش كثيف إلى الديار المصرية مقيداً محتفظاً عليه ، ورجع ابن ملك الأمراء بالتحف والهدايا والخلع والانعام لوالده ، ولحاجب الحجاب ، ولبس ذلك الأمراء يوم الجمعة واحتفل الناس بالشموع وغيرها ، ثم تواترت الأخبار بدخول منجك إلى السلطان وعفوه عنه وخلعته الكاملة عليه وإطلاقه له الحسام والخيول المسومة والألبسة المفتخرة ، والأموال والأمان ، وتقديم الأمراء والأكابر له من سائر صنوف التحف ، وقدم الأمير على من صعد قاصداً إلى حماة لنيابتها ، فنزل القصر الأبلق ليلة الخميس رابع صفر وتوجه ليلة الأحد سابعه .

وفي يوم الخميس الثامن عشر من صفر قدم القاضي بهاء الدين أبو البقاء من طرابلس بمرسوم شريف أن يعود إلى دمشق على وظائفه المبقاة عليه ، وقد كان ولده ولي الدين ينوب عنه فيها ، فتلحقه كثير من الناس إلى أثناء الطريق ، وبرز إليه قاضي القضاة تاج الدين إلى حرستا ، وراح الناس إلى

تهنئته إلى داره ، وفرحوا برجوعه إلى وطنه . ووقع مطر عظيم في أول هذا الشهر ، وهو أثناء شهر شباط ، وثلج عظيم ، فرويت البساتين التي كانت لها عن الماء عدة شهور ، ولا يحصل لأحد من الناس سقى إلا بكلفة عظيمة ومشقة ، ومبلغ كثير ، حتى كاد الناس يقتتلون عليه بالأيدى والدبابيس وغير ذلك من البذل الكثير ، وذلك في شهور كانون الأول والثاني ، وأول شباط ، وذلك لقلّة مياه الأنهار وضعفها ، وكذلك بلاد حوران أكثرهم يروون من أما كن بعيدة في هذه الشهور ، ثم من الله تعالى فجرت الأودية وكثرت الأمطار والثلوج ، وغزرت الأنهار والله الحمد والمنة . وتواتر الأمطار ، فكانت حصل السيل في هذه السنة من كانون إلى شباط فكان شباط هو كانون وكانون لم يسلم فيه ميزاب واحد . ووصل في هذا الشهر الأمير سيف الدين منجك إلى القدس الشريف ليبتني لاسطان مدرسة وخانقاه غربي المسجد الشريف ، وأحضر الفرمان الذي كتب له بماء الذهب إلى دمشق وشاهده الناس ووقعت على نسخته وفيها تعظيم زائد ومدح وثناء له ، وشكر على متقدم خدمه لهذه الدولة ، والعفو عما مضى من زلاته ، وذكر سيرته بعبارة حسنة .

وفي أوائل شهر ربيع الآخر رسم على المعلم سنجر مملوك ابن هلال صاحب الاموال الجزيلة بمرسوم شريف قدم مع البريد وطلب منه ستمائة ألف درهم ، واحتيط على العارة التي أنشأها عند باب النطاقيين ليجعلها مدرسة ، ورسم بأن يعمر مكانها مكتب للإيتام ، وأن يوقف عليهم كتابتهم جارية عليهم ، وكذلك رسم بأن يجعل في كل مدرسة من مدارس المملكة الكبار ، وهذا مقصد جيد . وسلم المعلم سنجر إلى شاد الدواوين يستخلص منه المبلغ المذكور سريعا ، فعاجل بحمل مائتي ألف ، وسيرت مع أمير عشرة إلى الديار المصرية .

✽ الاحتياط على الكتبة والدواوين ✽

وفي يوم الاربعاء خامس عشر ربيع الآخر ورد من الديار المصرية أمير معه مرسوم بالاحتياط على دواوين السلطان ، بسبب ما أكلوا من الأموال المرتبة للناس من الصدقات السلطانية وغير ذلك فرسم عليهم بدار العدل البرانية وألزموا بأموال جزيلة كثيرة ، بحيث احتاجوا إلى بيع أثمانهم وأقسمتهم وفرشهم وأمتعتهم وغيرها ، حتى ذكر أن منهم من لم يكن له شيء يعطيه فأحضر بناته إلى الدكة ليبيعهن فتباكى الناس وانتحبوا رحمة ورقة لأبيهن ، ثم أطلق بعضهم وهم الضعفاء منهم والفقراء الذين لاشيء معهم ، وبقيت الغرامة على الكبراء منهم ، كالصاحب والمستوفيين ، ثم شددت عليهم المطالبة وضربوا ضربا مبرحا ، وألزموا الصاحب بمال كثير بحيث إنه احتاج إلى أن سأل من الامراء والاكابر والتجار بنفسه وباوراقه ، فأسعهوه بمبلغ كثير يقارب ما ألزم به ، بعد أن عرى ليضرب ، ولكن ترك واشتهر أنه قد عين عوضه من الديار المصرية ، انتهى .

﴿ موت فياض بن مهنا ﴾

ورد الخبر بذلك يوم السبت الثامن عشر منه ، فاستبشر بذلك كثير من الناس ، وأرسل إلى السلطان مبشرين بذلك ، لأنه كان قد خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ، فمات موتة جاهلية بأرض الشقاق والنفاق ، وقد ذكرت عن هذا أشياء صدرت عنه من ظلم الناس ، والافتقار في شهر رمضان بلا عذر وأمره أصحابه وذويه بذلك في هذا الشهر الماضي ، فأنا لله وأنا إليه راجعون ، جاوز السبعين انتهى . والله أعلم .

﴿ كائنة غريبة عجيبية جداً وهي هذه المعلم سنجر مملوك بن هلال ﴾

في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الآخر أطلق المعلم الهلالي بعد أن استوفوا منه تسكيل ستمائة ألف درهم ، فبات في منزله عند باب النطاقيين سرورا بالخلاص ، ولما أصبح ذهب إلى الحمام وقد ورد البريد من جهة السلطان من الديار المصرية بالاحتياط على أمواله وحواصله ، فأقبلت الحجة ونقباء النقبة والأعوان من كل مكان ، فقصدهوا داره فاحتاطوا بها وعليها بما فيها ، ورسم عليه وعلى ولديه ، وأخرجت نساؤه من المنزل في حالة صعبة ، وفتشوا النساء وانتزعوا عنهن الخلي والجواهر والنفائس ، واجتمعت العامة والغوغاء ، وحضر بعض القضاة ومعه الشهود بضبط الاموال والحجيج والرهون ، وأحضروا المعلم ليستعملوا منه جلية ذلك ، فوجدوا من حاصل الفضة أول يوم ثلثمائة ألف وسبعين ألفاً ، ثم صناديق أخرى لم تفتح ، وحواصل لم يصلوا اليها لضيق الوقت ثم أصبحوا يوم الاحد في مثل ذلك ، وقد بات الحرس على الابواب والاسطحة لئلا يعمد عليها في الليل وبات هو وأولاده بالقلمة المنصورة محتفظاً عليهم ، وقد رق له كثير من الناس لما أصابه من المصيبة العظيمة بعد التي قبلها سريعاً .

وفي أواخر هذا الشهر توفي الأمير ناصر الدين محمد بن الدوادار السكري ، كان ذا مكانة عند أستاذه ، ومنزلة عالية ، ونال من السعادة في وظيفته أقصاها ، ثم قلب الله قلب أستاذه عليه فضر به وصادره وعزله وسجنه ، ونزل قدره عند الناس ، وآل به الحال إلى أن كان يقف على أتباعه بفرسه ويشترى منهم ويحيا ككهم ، ويحمل حاجته معه في سرجه ، وصار مثله بين الناس ، بعد أن كان في غاية ما يكون فيه الدويدارية من العز والجاه والمال والرفعة في الدنيا ، وحق على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا الا وضعه .

وفي صبيحة يوم الاحد سابع عشره أفرج عن المعلم الهلالي وعن ولديه ، وكانوا معتقلين بالقلمة المنصورة ، وسلمت اليهم دورهم وحواصلهم ، ولكن أخذ ما كان حاصله في داره ، وهو ثلثمائة ألف وعشرون ألفاً ، وختم على حججه ليعقد لذلك مجلس ليرجع رأس ماله منها عملاً بقوله تعالى (وإن

تبتهم فلستم رهوس أموالكم لا تظلمون ولا تظالمون) ونودي عليه في البلد إنما فعل به ذلك لأنه لا يؤدي الزكاة ويعامل بالربا ، وحاجب السلطان ومتولى البلد ، وبقية المتعممين والمشاعلية تنادى عليه في أسواق البلد وأرجائها .

وفي اليوم الثامن والعشرين منه ورد المرسوم السلطاني الشريف باطلاق الدواوين إلى ديارهم وأهاليهم ، ففرح الناس بسبب ذلك لخلاصهم مما كانوا فيه من العقوبة والمصادرة البليغة ، ولكن لم يستمر بهم في مباشراتهم .

وفي أواخر الشهر تكلم الشيخ شهاب الدين المقدسي الواعظ ، قدم من الديار المصرية تجاه محراب الصحابة ، واجتمع الناس إليه وحضر من قضاة القضاة الشافعي والمالكي ، فتكلم على تفسير آيات من القرآن ، وأشار إلى أشياء من إشارات الصوفية بعبارات طليقة معرفة حلوة صادعة للقلوب فأفاد وأجاد ، وودع الناس بعوده إلى بلده ، ولما دعا استنهض الناس للقيام ، فقاموا في حال الدعاء ، وقد اجتمعت به بالمجلس فرأيت حسن الهيئة والسكلام والتأدب ، فإنا آمين .

وفي مستهل جمادى الآخرة ركب الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب لقصد غز وبلاد سبيس في جيش ، لقيه الله النصر والتأييد . وفي مستهل هذا الشهر أصبح أهل القلعة وقد نزل جماعة من أمراء الأعراب من أعلى مجلسهم في عمائم وحبال إلى الخندق وخاضوه وخرجوا من عند جسر الزلايية فانطلق اثنان وأمسك الثالث الذي تبقى في السجن ، وكأنه كان يمسك لهم الحبال حتى تدلوا فيها ، فاشتد نكير نائب السلطنة على نائب القلعة ، وضرب ابنه النقيب وأخاه وسجنهما ، وكتب في هذه الكائنة إلى السلطان ، فورد المرسوم بعزل نائب القلعة وإخراجه منها ، وطلبه لمحاسبة ما قبض من الاموال السلطانية في مدة ست سنين مباشرة ، وعزل ابنه عن النقابة وابنه الآخر عن استدراثة السلطان ، فنزلوا من عزمهم إلى عزهم .

وفي يوم الاثنين سابع عشره جاء الأمير تاج الدين جبريل من عند الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب ، وقد فتح بلدين من بلاد سبيس ، وهما طرسوس وأذنة ، وأرسل مفتاحهما صحبة جبريل المذكور إلى السلطان أيده الله ، ثم افتتح حصوناً آخر كثيرة في أسرع مدة ، وأيسر كلفة ، وخطب القاضي ناصر الدين كاتب السر خطبة بليغة حسنة ، وبلغني في كتاب أن أبواب كنيسة أذنة حملت إلى الديار المصرية في المراكب . قلت : وهذه هي أبواب الناصرية التي بالسفح ، أخذها سبيس عام قازان ، وذلك في سنة تسع وتسعين وستمائة ، فاستغفرت لله الحمد في هذه السنة .

وفي أواخر هذا الشهر بلغنا أن الشيخ قطب الدين هرماس الذي كان شيخ السلطان طرد عن جناب مخدومه ، وضرب وصدور ، وخربت داره إلى الاساس ، ونفي إلى مصيف ، فاجتاز بدمشق

ونزل بالمدرسة الجليلة ظاهر باب الفرج ، وزرته فيمن سلم عليه ، فاذا هو شيخ حسن عنده ما يقال ويتلفظ معرباً جيداً ، ولديه فضيلة ، وعنده تواضع وتصوف ، فآله يحسن عاقبته . ثم تحول إلى العندراوية وفي صبيحة يوم السبت سابع شهر رجب توجه الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضي الجبل الحنبلي إلى الديار المصرية مطلوباً على البريد إلى السلطان لتدريس الطائفة الحنبلية بالمدرسة التي أنشأها السلطان بالقاهرة المعزية ، وخرج لتوديعه القضاة والاعيان إلى أثناء الطريق ، كتب الله سلامته ، انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ مسك نائب السلطنة استدمر البحنأوى ﴾

وفي صبيحة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب قبض على نائب السلطنة الأمير سيف الدين استدمر ، أخي يلبغا البحنأوى ، عن كتاب ورد من السلطان صحبة الدوادار الصغير ، وكان يومئذ راكباً بناحية ميدان ابن بابك ، فلما رجع إلى عند مقابر اليهود والنصارى احتاط عليه الحاجب الكبير ومن معه من الجيش وأزموه بالذهاب إلى ناحية طرابلس ، فذهب من على طريق الشيخ رسلان ، ولم يمكن من المسير ، إلى دار السعادة ، ورسم عليه من الجند من أوصله إلى طرابلس مقبلاً بها بطالا ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ، يفعل ما يشاء . وبقي البلاد بلا نائب يحكم فيه الحاجب الكبير عن مرسوم السلطان ، وعين للنيابة الأمير سيف الدين بيدمر النائب بحلب .

وفي شعبان وصل تقليد الأمير سيف الدين بيدمر بضيافة دمشق ، ورسم له أن يركب في طائفة من جيش حلب ويقصد الأمير خيار بن مهنا ليحضره إلى خدمة السلطان ، وكذلك رسم لنائب حماة وحمص أن يكونا عوناً للأمير سيف الدين بيدمر في ذلك ، فلما كان يوم الجمعة رابعه التقوا مع خيار عند سلمية ، فكانت بينهم مناوشات ، فأخبرني الأمير تاج الدين الدودار - وكان مشاهد الواقعة - أن الأعراب أحاطوا بهم من كل جانب ، وذلك لكثرة العرب وكانوا نحو الثمانمائة ، وكانت الترك من حماة وحمص وحلب مائة وخمسين ، فرموا الأعراب بالنشاب فقتلوا منهم طائفة كثيرة ، ولم يقتل من الترك سوى رجل واحد ، رماه بعض الترك ظاناً أنه من العرب بناشج فقتله ، ثم حمز بينهم الليل ، وخرجت الترك من الدائرة ونهبت أموال من الترك ومن العرب ، وجرت فتنة وجردت أمراء عدة من دمشق لتدارك الحال ، وأقام نائب السلطنة هناك ينتظر ورودهم ، وقدم الأمير عمر الملقب بصمغ بن موسى بن مهنا من الديار المصرية أميراً على الأعراب وفي صحبته الأمير بدر الدين ابن ججاز أميران على الأعراب ، فنزل بصمغ بالقصر الأبق ، ونزل الأمير رملة بالتوزية على عادته ثم توجهوا إلى ناحية خيار بن معهما من عرب الطاعة ممن أضيف إليهم من تجريدة دمشق ومن يكون معهم من جيش حماة وحمص لتحصيل الأمير خيار ، وإحضاره إلى الخدمة الشريفة فآله تعالى يحسن العاقبة

﴿ دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى دمشق ﴾

وذلك صبيحة يوم السبت التاسع عشر من شعبان ، أقبل بجيشه من ناحية حلب وقد بات بوطاة برزة ليلة السبت ، وتلقاه الناس إلى حماة ودونها ، وجرت له وقعة مع العرب كما ذكرنا ، فلما كان هذا اليوم دخل في أبهة عظيمة ، وتجميل حافل ، فقبل العتبة على العادة ، ومشى إلى دار السعادة ، ثم أقبلت جنائبه في لبوس هائلة باهرة ، وعدد كثير وعدد ثمينه ، وفرح المسلمون به لشهامته وصرامته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، والله تعالى يؤيده ويسدده .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان خطبت الحنابلة بجامع القبيبات وعزل عنه القاضي شهاب الدين قاضي المسكر الحنبلي ، برسوم نائب السلطان لأنه كان يعرف أنه كان مختصراً بالحنابلة منذ عين إلى هذا الحين .

وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قتل عثمان بن محمد المعروف بابن دبادب الدقاق بالحديد على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، أنه كان يكفر من شتم الرسول ﷺ ، فرفع إلى الحاكم المالكي وادعى عليه فأظهر التجاوب ، ثم استقر أمره على أن قتل قبحة الله وأبعده ولا رحمه .
وفي يوم الاثنين السادس والعشرين منه قتل محمد المدعو زباله الذي بهتسار لابن معبد على ما صدر منه من سب النبي ﷺ ودعواه أشياء كفرية ، وذكر عنه أنه كان يكثر الصلاة والصيام ، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين ، وفي حق النبي ﷺ ، فضربت عنقه أيضاً في هذا اليوم في سوق الخليل والله الحمد والمنة .

وفي ثالث عشر شوال الحمله السلطاني وأميره الأمير ناصر الدين بن قراسنقر وقاضي الحجيج الشيخ شمس الدين محمد بن سند المحدث ، أحد المفتين .

وفي أواخر شهر شوال أخذ رجل يقال له حسن ، كان خياطاً بمحلة الشاغور ، ومن شأنه أن ينتصر لفرعون لئله الله ، ويزعم أنه مات على الاسلام ويحتج بأنه في صورة يونس حين أدركه الفرق قال (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) ولا يفهم معنى قوله (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ولا معنى قوله (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) ولا معنى قوله (فأخذناه أخذاً وبيلاً) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن فرعون أ كافر الكافرين كما هو مجمع عليه بين اليهود والنصارى والمسلمين .

وفي صبيحة يوم الجمعة سادس القعدة قدم البريد بطلب نائب السلطنة إلى الديار المصرية في تكريم وتمظيم ، على عادة تنكز ، فتوجه النائب إلى الديار المصرية وقد استصحب معه تحفا سنية وهدايا معظمة تصلح للإيوان الشريف . في صبيحة السبت رابع عشره ، خرج ومعها القضاة والأعيان

من الحجبة والأمراء لتوديعه . وفي أوائل ذى الحجة ورد كتاب من نائب السلطنة بخطه إلى قاضي القضاة تاج الدين الشافعي يستدعيه إلى القدس الشريف ، وزيارة قبر الخليل ، ويذكر فيه ما عمله به السلطان من الأحسان والاکرام والاحترام والاطلاق والانعام من الخيل والتحف والمال والغلات فتوجه نحوه قاضي القضاة يوم الجمعة بعد الصلاة رابعه على ستة من خيل البريد ، ومعه تحف وما يناسب من الهدايا ، وعاد عشية يوم الجمعة ثامن عشره إلى بستانه .

ووقع في هذا الشهر والذي قبله سيول كثيرة جداً في أماكن متعددة ، من ذلك ما شاهدنا آثاره في مدينة بعلبك ، أتلف شيئاً كثيراً من الأشجار ، واخترق أماكن كثيرة متعددة عندهم ، وبقي آثار سيحه على أماكن كثيرة ، ومن ذلك سيل وقع بأرض جملوص أتلف شيئاً كثيراً جداً ، وغرق فيه قاضي تلك الناحية ، ومعه بعض الأخيار ، كانوا وقوفاً على أكمة فدعمهم أمر عظيم ، ولم يستطيعوا دفعه ولا منعه ، فهلكوا . ومن ذلك سيل وقع بناحية حسة جمال فهلك به شيء كثير من الأشجار والأغنام والأعشاب وغيرها . ومن ذلك سيل بأرض حلب هلك به خلق كثير من التركان وغيرهم ، رجالاً ونساء وأطفالاً وغنماً وإبلًا . قرأته من كتاب من شاهد ذلك عياناً ، وذكر أنه سقط عليهم بردوزنت الواحدة منه فبلغت زنتها سبعمائة درهم وفيه ما هو أكبر من ذلك وأصغر ، انتهى .

﴿ الأمر بالزام القلندرية بترك حلق لحام وحواجبهم وشواربهم ﴾

« وذلك محرم بالاجماع حسب ما حكاه ابن حازم وإنما ذكره بعض الفقهاء بالسكراهية »

ورد كتاب من السلطان أيده الله إلى دمشق في يوم الثلاثاء خامس عشر ذى الحجة ، بالزامهم بزي المسلمين وترك زي الأعاجم والمجوس ، فلا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزي المبتدع ، واللباس المستشع ، ومن لا يلتزم بذلك يعزر شرعاً ، ويقاع من قراره قلماً ، وكان اللائق أن يؤمر بترك أكل الحشيشة الخسيسة ، وإقامة الحد عليهم بأكلها وسكرها ، كما أفق بذلك بعض الفقهاء . والمقصود أنهم نودى عليهم بذلك في جميع أرجاء البلد ونواحيه في صبيحة يوم الأربعاء والله الحمد والمنة .

وبلغنا في هذا الشهر وفاة الشيخ الصالح الشيخ أحمد بن موسى الزرعي بمدينة جبراص يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة ، وكان من المبطلين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام في مصالح الناس عند السلطان والدولة ، وله وجهة عند الخصاص العام ، رحمه الله . والأمير سيف الدين كحلان بن الاقوس ، الذي كان حاجباً بدمشق وأميراً ، ثم عزل عن ذلك كله ، ونفاه السلطان إلى طرابلس فمات هناك .

وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر عائداً من الديار المصرية ، وقد لقي من السلطان

إكراما وإحسانا زائداً فاجتاز في طريقه بالقدس الشريف فأقام به يوم عرفة والنحر ، ثم سلك على طريق غابة أرسوف يصطاد بها فأصابه وعك منعه عن ذلك ، فأمرع السير فدخل دمشق من صبيحة يوم الاثنين الحادى والعشرين منه في أبهة هائلة ، ورياسة طائلة ، وتزايد وخرج العامة للتفرج عليه والنظر إليه في مجيئه هذا ، فدخل وعليه قباء معظم ومطرز ، وبين يديه ماجرت به العادة من الخوفية والشاليشية وغيرهم ، ومن نيته الاحسان إلى الرعية والنظر في أحوال الأوقاف وإصلاحها على طريقة تمكنز رحمه الله ، انتهى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعائة ﴾

استهلت هذه السنة المباركة وساطان الاسلام بالديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك ويلتحق به الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولا نائب له بالديار المصرية ، وقضاته بها هم المذكورون في العام الماضى ، ووزيره القاضى بن اخصيب ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمى ، والقضاة والخطيب وبقية الأشراف وناظر الجيش والمحتسب هم المذكورون في العام الماضى ، والوزير ابن قزوينة ، وكاتب السر القاضى أمين الدين بن القلانسى ، ووكيل بيت المال القاضى صلاح الدين الصغدى وهو أحد موقمى الدست الأربعة . وشاد الأوقاف الأمير ناصر الدين بن فضل الله ، وحاجب الحجاب البيوسفى ، وقد توجه إلى الديار المصرية ليكون بها أمير جنهار ، ومتولى البلد ناصر الدين ، ونقيب النقباء ابن الشجاعى . وفي صبيحة يوم الاثنين سادس المحرم قدم الأمير على نائب حماة منها فدخل دمشق مجتازاً إلى الديار المصرية فنزل في القصر الأبلق ثم تحول إلى دار دويداره يلغا الذى جدد فيها مساكن كثيرة بالقصاعين . وتردد الناس إليه لسلام عليه ، فأقام بها إلى صبيحة يوم الخميس تاسعه ، فسار إلى الديار المصرية . وفي يوم الأحد تاسع عشر المحرم أحضر حسن بن الخياط من محلة الشاغور إلى مجلس الحكم المالكي من السجن ، وناظر في إيمان فرعون وادعى عليه بدعاوى لانتصاره لفرعون لعنه الله ، وصدق ذلك باعترافه أولاً ثم بمنظرته في ذلك ثانياً وثالثاً ، وهو شيخ كبير جاهل عامى ذا نص لا يقيم دليلاً ولا يحسنه ، وإنما قام في مخيلته شبهة محتج عليها بقوله إخباراً عن فرعون حين أدركه الفرق ، وأحيط به ورأى بأس الله ، وطاب عذابه الأليم ، فقال حين الفرق إذاً (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية) فاعتقد هذا العامى أن هذا الايمان الذى صدر من فرعون والحالة هذه ينفعه ، وقد قال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال تعالى

(إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم . قال قد أجيبته دعوتكما) الآية . ثم حضر في يوم آخر وهو مصمم على ضلاله ففرض بالسياط ، فأظهر التوبة ثم أعيد إلى السجن في زنجير ، ثم أحضر يوماً ثالثاً وهو يستهل بالتوبة فيما يظهر ، فنودي عليه في البلد ثم أطلق .

وفي ليلة الثلاثاء الرابع عشر طلع القمر خاسفاً كله ولكن كان تحت السحاب ، فلما ظهر وقت العشاء وقد أخذ في الجلاء صلى الخطيب صلاة الكسوف قبل العشاء ، وقرأ في الأولى بسورة العنكبوت وفي الأخرى بسورة ياس ، ثم صعد المنبر فخطب ثم نزل بعد العشاء . وقدمت كتب الحجاج يخبرون بالرخص والأمن ، واستمرت زيادة الماء من أول ذى الحجة وقبلها إلى هذه الأيام من آخر هذا الشهر والأمر على حاله ، وهذا شيء لم يعهد كما أخبر به عامة الشيوخ ، وسببه أنه جاء ماء من بعض الجبال انهمال في طريق النهر .

ودخل المحمل السلطاني يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من المحرم قبل الظهر ، ومسك أمير الحاج شركته المارداني الذي كان مقياً بمكة شرفها الله تعالى ، وحماها من الأوغاد ، فلما عادت التجريدة مع الحجاج إلى دمشق صحبة القراسنقر من ساعة وصوله إلى دمشق ، فقيده وسير إلى الديار المصرية على البريد ، وبلغنا أن الأمير سنده أمير مكة غرر بجند السلطان الذين ساروا صحبة ابن قراسنقر وكبسهم وقتل من حواشيهم وأخذ خيولهم ، وأنهم ساروا جرائد بغير شيء مسلوبين إلى الديار المصرية ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي أول شوال اشتهر فيه وتواتر خبر الفناء الذي بالديار المصرية بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عندهم ، على خلاف المعتاد ، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين ، فأما المرض فكثير جداً ، وغلت الأسعار لقلة من يتعاطى الأشغال ، وغلا السكر والامياه والغاكة جداً ، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد وحصل له تشويش أيضاً ، ثم عوفي بحمد الله .

وفي ثالث ربيع الآخر قدم من الديار المصرية ابن الحجاف رسول صاحب العراق لخطبة بنت السلطان ، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يصدقها مملكة بفساد ، وأعطاهم مستحقاً سلطانياً ، وأطلق لهم من التحف والخلع والأموال شيئاً كثيراً ، ورسم الرسول بمشترى قرية من بيت المال لتوقف على الخانقاه التي يريد أن يتخذها بدمشق قريباً من الطواويس ، وقد خرج لتلقيه نائب الغيبة وهو حاجب الحجاب ، والدولة والاعيان . وقرأت في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر كتاباً ورد من حلب بخط الفقيه العدل شمس الدين العراقي من أهلها ، ذكر فيه أنه كان في حضرة نائب السلطنة في دار العدل يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول وأنه أحضر رجلاً قد ولد له ولد

عاش ساعة ومات ، وأحضره معه وشاهده الحاضرون ، وشاهده كاتب الكتاب ، فاذا هو شكل
سوى له على كل كتف رأس بوجه مستدير ، والوجهان إلى ناحية واحدة فسبحان الخلاق العليم .
وبلغنا أنه في هذا الشهر سقطت المنارة التي بنيت للمدرسة السلطانية بمصر ، وكانت مستجدة
على صفة غريبة ، وذلك أنها منارتان على أصل واحد فوق قبو الباب الذي للمدرسة المذكورة ، فلما
سقطت أهلكت خلقا كثيرا من الصناع بالمدرسة والمسارة والصبيان الذين في مكتب المدرسة ، ولم
ينج من الصبيان فيما ذكر شيء سوى ستمائة ، وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلثمائة نفس ، وقيل أكثر
وقيل أقل ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيد صر إلى الفيضة
لاصلاحها وإزالة ما فيها من الأشجار المؤذية والدغل يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ، وكان
ساحه ، وخرج معه جميع الجيش من الأمراء وأصحابه ، وأجناد الحلقة برمتهم لم يتأخر منهم أحد ،
وكلهم يعملون فيها بأنفسهم وغلمانهم ، وأحضر إليهم خلق من فلاحى المريج والقوطة وغير ذلك ،
ورجع يوم السبت خامس الشهر الداخل وقد نظفوها من الغل والدغل والغش .

واتفقت كائنة غريبة لبعض السؤال ، وهو أنه اجتمع جماعة منهم قبل الفجر ليأخذوا خبزاً من
صدقة تربة امرأة ملك الأمراء تنسكز عند باب الخواصين ، فتضاربوا فيما بينهم فعمدوا إلى رجل منهم
بفخوة خنقا شديداً ، وأخذوا منه جراباً فيه نحو من أربعة آلاف درهم . وشيء من الذهب وذهبوا
على حمية ، وأفاق هو من الغشى فلم يجدهم ، واشتكى أمره إلى متولى البلد فلم يظفر بهم إلى الآن ،
وقد أخبرني الذي أخذوا منه أنهم أخذوا منه ثلاثة آلاف درهم معاملة ، وألف درهم بنديقية ودينارين
وزنهما ثلاثة دنانير . كذا قال لي إن كان صادقا .

وفي صبيحة يوم السبت خامس جمادى الأولى طلب قاضى القضاة شرف الدين الحنفى للشيخ
على بن البنا ، وقد كان يتكلم في الجامع الأموى على العوام ، وهو جالس على الأرض شيء من
الوعظيات وما أشبهها من صدره ، فكأنه تعرض في غضون كلامه لأبي حنيفة رحمه الله ، فأحضر
فاستتيب من ذلك ، ومنعه قاضى القضاة شرف الدين الكفرى من الكلام على الناس وسجنه ،
وبلغنى أنه حكم بإسلامه وأطلقه من يومه ، وهذا المذكور ابن البنا عنده زهادة وتعمف ، وهو مصرى
يسمع الحديث ويقرؤه ، ويتكلم بشيء من الوعظيات والرقائق ، وضرب أمثال ، وقد مال إليه
كثير من العوام واستحلوه ، وكلامه قريب إلى مفهومهم ، وربما أضحك في كلامه ، وحاضرتة وهو
مطبوع قريب إلى الفهم ، ولكننه أشار فيما ذكر عنه في شطحته إلى بعض الاشياء التي لا تنبغى أن
تذكر ، والله الموفق ، ثم إنه جلس للناس في يوم الثلاثاء ثامن فتحكم على عادته فتطلبه القاضى المذكور
فيقال إن المذكور تعنت انتهى والله أعلم .

﴿ سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد ﴾

ابن الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى وزوال دولة عمه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

لما كثر طمعه وتزايد شرهه ، وسامت سيرته إلى رعيته ، وضيق عليهم في معاشهم وأكسابهم ، وبني البنايات الجبارة التي لا يحتاج إلى كثير منها ، واستحوذ على كثير من أملاك بيت المال وأمواله ، واشترى منه قرايا كثيرة ومدنا أيضا ورساتيق ، وشق ذلك على الناس جدا ، ولم يتجاسر أحد من القضاة ولا الولاة ولا العلماء ولا الصالحاء على الإنكار عليه ، ولا الهجوم عليه ، ولا النصيحة له بما هو المصلحة له والمسلمين ، انتقم الله منه فسلط عليه جنده وقلب قلوب رعيته من الخاصة والعامة عليه ، لما قطع من أرزاقهم ومعاليهم وجوامكهم وأخبازهم ، وأضاف ذلك جميعه إلى خاصته ، فقلت الأمراء والاجناء والمقدمون والكتاب والموقعون ، ومس الناس الضرر وتعدى على جوامكهم وأولادهم ومن يلوذ بهم ، فعند ذلك قدر الله تعالى هلاكه على يد أحد خواصه وهو الأمير الكبير سيف الدين يلبغا الخاصكى . وذلك أنه أراد السلطان مسكه فاعتد لذلك ، وركب السلطان لمسكه فركب هو في جيش ، وتلاقيا في ظاهر القاهرة حيث كانوا نزولا في الوطاقات ، فهزم السلطان بعد كل حساب ، وقد قتل من الفريقين طائفة ، ولجأ السلطان إلى قلعة الجبل ، كلاوولاوزر ، ولن ينجى حذر من قدر ، فبات الجيش بكاله محذقا بالقلعة ، فهم بالهرب في الليل على هجن كان قد اعتدها لهرب إلى الكرك ، فلما برز مسك واعتقل ودخل به إلى دار يلبغا الخاصكى المذكور ، وكان آخر العهد به ، وذلك في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى من هذه السنة ، وصارت الدولة والمشورة متناهية إلى الامير سيف الدين يلبغا الخاصكى ، فانفتحت الآراء واجتمعت الحكامة وانفقدت البيعة للملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي ، وخطب الخطباء وضربت السكة ، وسارت البريدية للبيعة باسمه الشريف ، هذا وهو ابن ثنتي عشرة ، وقيل أربع عشرة ، ومن الناس من قال ست عشرة ، ورسم في عود الأمور إلى ما كانت عليه في أيام والده الناصر محمد بن قلاوون ، وأن يبطل جميع ما كان أخذه الملك الناصر حسن ، وأن تعاد المرتبات والجوامك التي كان قطعها ، وأمر بالحضار طار وطاشتمر القاممى من سجن اسكندرية إلى بين يديه ليكونا آتابكا ، وجاء الخبر إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين بزلا رشاد التربخانة أحد أمراء الطبلخانات بمصر صبيحة يوم الأربعاء سادس عشر الشهر ، فضربت البشائر بالقلعة وطلبلخانات الأمراء على أبوابهم ، وزين البلد بكاله ، وأخذت البيعة له صبيحة يومه بدار السعادة وخاع عن نائب السلطنة تشرىف هائل ، وفرح أكثر الأمراء والجنود والعامة والله الأمر ، وله الحكم . قال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمز من تشاء

وتنزل من تشاء) الآية . ووجد على حجر بالحيرية قفرت للمؤمن فاذا مكتوب .

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك

إلا لنقل النعيم من ملك * قد زال سلطانه إلى ملك

وملك ذى العرش دائم أبداً * ليس بفان ولا بمشترك

وروى عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنه خرج يوماً لصلاة الجمعة ، وكان سوى الخلق

حسنه ، وقد لبس حلة خضراء ، وهو شاب ممتلئ شباباً ، وينظر في أعطافه ولباسه ، فأعجبه ذلك من

نفسه ، فلما بلغ إلى صرحه الدار تلقته جنية في صورة جارية من حظاياها فأنشدهت :

أنت نعم لو كنت تبقى * غير أن لا حياة للإنسان

ليس فيما علمت فيك عيب * ب يذكر غير أنك فان

فصعد المنبر الذى فى جامع دمشق وخطب الناس ، وكان جهورى الصوت يسمع أهل الجامع وهو

قائم على المنبر ، فضعف صوته قليلاً قليلاً حتى لم يسمعه أهل المقصورة ، فلما فرغ من الصلاة حمل

إلى منزله فاستحضر تلك الجارية التى تبعت تلك الجنية على صورتها ، وقال : كيف أنشدتني تينك

البيتين ؟ فقالت : ما أنشدتك شيئاً . فقال : الله أكبر نعت والله إلى نفسى . فأوصى أن يكون

الخليفة من بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقدم نائب طرابلس المعزول عليلاً والأمر سيف الدين استدمر الذى كان نائب دمشق وكانا

مقيمان بطرابلس جميعاً ، فى صبيحة يوم السبت السادس والعشرين منه ، فدخل دار السعادة فلم يحتفل

بهما نائب السلطنة .

وتكامل فى هذا الشهر تجديد الرواق غربى باب الناطفانيين إصلاحاً بدرابزيناته وتبييضاً

لجدرانه ومحراب فيه ، وجعل له شبابيك فى الدرابزينات ، ووقف فيه قراءة قرآن بعد المغرب ،

وذكروا أن شخصاً رأى مناماً فقصه على نائب السلطنة فأمر بإصلاحه . وفيه نهض بناء المدرسة التى

إلى جانب هذا المكان من الشباك ، وقد كان أسسها أولاً علم الدين بن هلال ، فلما صودر أخذت

منه وجعلت مضافة إلى السلطان ، فبنوا فوق الأساسات وجعلوا لها خمسة شبابيك من شرقها ،

وباباً قبلياً ، ومحراباً وبركة وعراقية ، وجعلوا حائطها بالحجارة البيض والسود ، وكلوا عاليها بالأجر ،

وجاءت فى غاية الحسن ، وقد كان السلطان الناصر حسن قد رسم بأن تجعل مكتبة للإيتام فلم يتم أمرها

حتى قتل كما ذكرنا .

واشتهر فى هذا الشهر أن بقرة كانت نجىء من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلبة قد ماتت

أهمهم ، وهى فى ناحية كنيسة مريم فى خرابه ، فتجىء إليهم فتدسطن على شقها وترضع أولئك الجراء

منها ، تكرر هذا منها مراراً ، وأخبرني المحدث المفيد التقى نور الدين أحمد بن المقصوص بمشاهدته ذلك .

وفي العشر الأوسط من جمادى الآخرة نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى في البلد أن النساء يشين في تستر ويلبسن أزهرن إلى أسفل من سائر ثيابهن ، ولا يظهرن زينة ولا يداً ، فامتلان ذلك والله الحمد والمنة . وقدم أمير العرب جبار بن مهنا في أبهة هائلة ، وتلقاه نائب السلطنة إلى أثناء الطريق ، وهو قاصد إلى الأبواب الشريفة . وفي أواخر رجب قدم الأمير سيف الدين تيمر المهندار من نيابة غزة حاجب الحاجب بدمشق ، وعلى مقدمة رأس اليمين ، وأطلق نائب السلطنة مكوسات كثيرة ، مثل مكس الحداية والخزل المرددن الحلب والطباني ، وأبطل ما كان يؤخذ من المحتسبين زيادة على نصف درهم ، وما يؤخذ من أجرة عدة الموتى كل ميت بثلاثة ونصف ، وجعل العدة التي في القيسارية للحاجة مسبلة لا تنحجر على أحد في تفسيل ميت ، وهذا حسن جداً ، وكذلك منع التحجر في بيع البلح المختص به ، وبيع مثل بقية الناس من غير طرحان فرخص على الناس في هذه السنة جداً ، حتى قيل إنه بيع القنطار بعشرة ، وما حولها .

وفي شهر شعبان قدم الأمير جبار بن مهنا من الديار المصرية فنزل القصر الأبلق وتلقاه نائب السلطنة وأكرم كل منهما الآخر ، ثم ترحل بعد أيام قلائل ، وقدم الأمراء الذين كانوا يجلس الاسكندرية في صبيحة يوم الجمعة سابعه ، وفيهم الأمير شهاب الدين بن صبيح وسيف الدين طيدمر الحاجب ، وطيفرف ومقدم ألف ، وعمرشاه ، وهذا ونائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر أعزه الله يبطل المكوسات شيئاً بعد شيء مما فيه مضرة بالمسلمين ، وبلغني عنه أن من عزمه أن يبطل جميع ذلك إن أمكنه الله من ذلك ، آمين انتهى .

﴿ تنبيه على واقعة غريبة واتفاق عجيب ﴾

نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر فيما بلغنا في نفسه عتب على أتاك الديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي مدبر الدولة بها ، وقد توسم وتوهم منه أنه يسعى في صرفه عن الشام ، وفي نفس نائبنا قوة وصرامة شديدة ، فتنسم منه ببعض الإباء عن طاعة يلبغا ، مع استمراره على طاعة السلطان ، وأنه إن اتفق عزل من قبل يلبغا أنه لا يسمع ولا يطيع ، فعمل أعمالاً واتفق في غضون هذا الحال موت نائب القلعة المنصورة بدمشق وهو الأمير سيف الدين برناق الناصري فأرسل نائب السلطنة من أصحابه وحاشيته من يتسلم القلعة برمتها ، ودخل هو بنفسه إليها ، وطلب الأمير زين الدين زباله الذي كان قفيها ثم نائبها وهو من أخبر الناس بها وبخطاتها وحواصلها ، فدار معه فيها وأراه حصونها وبروجها ومفاتيحها وأغلقها ودورها وقصورها وعددها وبركتها ، وما هو معد

فيها ولها ، وتمعجب الناس من هذا الاتفاق في هذا الحال ، حيث لم يتفق ذلك لأحد من النواب قبله قط ، وفتح الباب الذي هو تجاه دار السعادة وجعل نائب السلطنة يدخل منه إلى القلعة ويخرج بخدمة وحشمه وأهله يكشف أمرها وينظر في مصالحها أيده الله .

ولما كان يوم السبت خامس عشر شعبان ركب في الموكب على العادة واستدعى الأمير سيف الدين استدمر الذي كان نائب الشام ، وهو في منزله كالمعتاد فيه ، لا يركب ولا يراه أحد ، فأحضره إليه وركب معه ، وكذلك الأمراء الذين قدموا من الديار المصرية : طبرق ، وهو أحد أمراء الألوفا وطيدمر الحاجب ، كان ، وأما ابن صبيح وعمر شاه فانهما كانا قد سافرا يوم الجمعة عشية النهار ، والمقصود أنه سيرهم وجميع الأمراء بسوق الخليل ، ونزل بهم كلهم إلى دار السعادة فتعاهدوا وتعاقبوا وانفقوا على أن يكونوا كلهم كتفاً واحداً ، وعصبة واحدة على مخالفة من أرادهم بسوء وأنهم يد على من سواهم ممن أراد عزل أحد منهم أو قتله ، وأن من قاتلهم قاتلوه ، وأن السلطان هو ابن أستاذهم الملك المنصور بن حاجي بن الناصر بن المنصور قلاوون ، فطأوعوا كلهم لنائب السلطنة على ما أراد من ذلك ، وحلفوا له وخرجوا من عنده على هذا الحلف ، وقام نائب السلطنة على عادته في عظمة هائلة ، وأهله كثيرة ، والمسئول من الله حسن العاقبة .

وفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر شعبان أبطل ملك الأمراء المكس الذي يؤخذ من الملح وأبطل مكس الأفراح ، وأبطل أن لا تغني امرأة لرجال ، ولا رجل لنساء ، وهذا في غاية ما يكون من المصلحة العظيمة الشامل نفعها . وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره شرع نائب السلطنة سيف الدين بيدمر في نصب مجانيق على أعلى بروج القلعة ، فنصبت أربع مجانيق من جهاتها الأربع ، وبلغني أنه نصب آخر في أرضها عند البحيرة ، ثم نصب آخر وآخر حتى شاهد الناس ستة مجانيق على ظهور الأبرجة ، وأخرج منها القلعية وأسكنها خلقاً من الأكراد والتركان وغيرهم من الرجال الأتجاد ، ونقل إليها من الغلات والأطعمة والأمتعة وآلات الحرب شيئاً كثيراً ، واستعد للحصار إن حوصر فيها بما يحتاج إليه من جميع ما يرصد من القلاع ، بما يفوت الحصر . ولما شاهد أهل البساتين المجانيق قد نصبت في القلعة انزعجوا وانتقل أكثرهم من البساتين إلى البلد ، ومنهم من أودع عند أهل البلد نفائس أموالهم وأمتعتهم ، والعاقبة إلى خير إن شاء الله تعالى .

وجاءتني فتياً صورتها : ما تقول السادة العلماء في ملك اشترى غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ، ثم إنه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله ومنع ورثته منه ، وتصرف في المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقته ، فهل له الامتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً أم لا ؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفتونا مأجورين .

فقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير : إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنية في الذي يقصده ، ولا يسعى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة على ذلك ، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة والأمراء عليه ، فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً ، ثم بعد ذلك بقية المفتيين بطريقه والله الموفق للصواب .

هذا وقد اجتمع على الأمير نائب السلطنة جميع أمراء الشام ، حتى قيل إن فيهم من نواب السلطنة سبعة عشر أميراً ، وكانهم يحضر معه الموكب الهائلة ، وينزلون معه إلى دار السعادة ، ويمد لهم الأسمطة ويأكل معهم ، وجاء الخبر بأن الأمير منجك الطرجاقسى المقيم ببيت المقدس قد أظهر الموافقة لنائب السلطنة ، فأرسل له جبريل ثم عاد فأخبر بالموافقة ، وأنه قد استحوذ على غزوة ونائبه ، وقد جمع وحشد واستخدم طوائف ، ومسك على الجادة فلا يدع أحداً يمر إلا أن يفقش ما معه ، لاحتمال إيصال كتب من هاهنا إلى هاهنا ، ومع هذا كله فالعدلة ثابتة جداً ، والأمن حاصل هناك ، فلا يخاف أحد ، وكذلك بدمشق وضواحيها ، لا يهاج أحد ولا يتعدى أحد على أحد ، ولا ينهب أحد لأحد شيئاً والله الحمد ، غير أن بعض أهل البساتين توهوا وركبوا إلى المدينة وتحولوا ، وأودع بعضهم نفائس ما عندهم ، وأقاموا بها على وجل ، ذلك لما رأوا المجانيق الستة منصوبة على رؤس قلل الأبراج التي للقلعة ، ثم أحضر نائب السلطنة القضاة الأربعة والأمراء كلهم وكتبوا مکتوباً سطره بينهم كاتب السر ، أنهم راضون بالسلطان كارهون ليلبغا ، وأنهم لا يريدونه ولا يوافقون على تصرفه في المملكة ، وشهد عليهم القضاة بذلك ، وأرسلوا المکتوب مع مملوك للأمر طيبغا الطويل ، نظير يلبغا بالديار المصرية ، وأرسل منجك إلى نائب السلطنة يستحثه في الحضور إليه في الجيش ليناجزوا المصريين ، فمئن نائب الشام من الجيش طائفة يبرزون بين يديه ، وخرجت التجريدة ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان صحبة استدمر الذي كان نائب الشام مدداً للأمر منجك في ألفين ، ويذكر الناس أن نائب السلطنة بمن بقي من الجيش يذهبون على إثرهم ، ثم خرجت أخرى بعدها ثلاثة آلاف ، ليلة الثلاثاء الثامن من رمضان كما سيأتي .

وتوفي الشيخ الحافظ علاء الدين مغلطاي المصري بها في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ، ودفن من الغد بالزيدانية ، وقد كتب الكثير وصنف وجمع ، وكانت عنده كتب كثيرة رحمه الله .

وفي مستهل رمضان أحضر جماعة من التجار إلى دار العدل ظاهر باب النصر لبيع شيء عليهم من القند والفولاذ والزجاج مما هو في حواصل يلبغا ، فامتنعوا من ذلك خوفاً من استعادته منهم على

تقدير، فضرب بعضهم ، منهم شهاب الدين ابن الصواف بين يدي الحاجب ، وشاد الدواوين ، ثم أفرج عنهم في اليوم الثاني ففرج الله بذلك .

وخرجت التجريدة ليلة الثلاثاء بعد العشاء صحبة ثلاثة مقدمين منهم عراق ثم ابن صبيح ثم ابن طرغية ، ودخل نائب طراباس الأمير سيف الدين تومان إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء عاشر رمضان ، فتلقاه ملك الأمراء سيف الدين بيدمر إلى الأقصر ، ودخلا معا في أهبة عظيمة ، فنزل تومان في القصر الأبلق ، وبرز من معه من الجيوش إلى عند قبة يلبغا ، وهذا والقلة منصوب عليها المجانيق ، وقد ملئت حرساً شديداً ، ونائب السلطنة في غاية التحفظ . ولما أصبح يوم الخميس صمم تومان تمر على ملك الأمراء في الرحيل إلى غزة ليتوافى هو وبقية من تقدمه من الجيش الشامي ، ومنجك ومن معه هنالك ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فأجابته إلى ذلك وأمر بتقدم السبق بين يديه في هذا اليوم ، فخرج السبق وأغلقت القلعة بابها المسالك الذي عند دار الحديث ، فاستوحش الناس من ذلك ، والله بحسن العقاب

﴿ خروج ملك الأمراء بيدمر من دمشق متوجهاً إلى غزة ليلحق العساكر هناك ﴾

صلى الجمعة بالمقصورة الثاني عشر من رمضان نائب السلطنة ، ونائب طرابلس ، ثم اجتمعا بالخطبة في مقصورة الخطابة ، ثم راح لدار السعادة ثم خرج طلبه في تجمل هائل على ما ذكر بعد العصر ، وخرج معهم فاستعرضهم ثم عاد إلى دار السعادة فبات إلى أن صلى الصبح ، ثم ركب خلف الجيش هو ونائب طرابلس ، وخرج عامة من بقي من الجيش من الأمراء وبقية الحلقة ، وسلمهم الله ، وكذلك خرج القضاة ، وكذا كاتب السر ووكيل بيت المال وغيرهم من كتاب الدست ، وأصبح الناس يوم السبت وليس أحد من الجنود بدمشق ، سوى نائب الغيبة الأمير سيف الدين بن حمزة التركاني ، وقريبه والي البر ، ومتولى البلد الأمير بدر الدين صدقة بن أوحد ، ومحتسب البلد ونواب القضاة والقلمة على حالها ، والمجانيق منصوبة كما هي . ولما كان صبح يوم الأحد رجع القضاة بكرة ثم رجع ملك الأمراء في أنساء النهار هو وتومان تمر ، وهم كلهم في لبس وأسلحة تامة ، وكل منهما خائف من الآخر أن يسكه ، فدخل هذا دار السعادة وراح الآخر إلى القصر الأبلق ، ولما كان بعد العصر قدم منجك واستدمر كان نائب السلطنة بدمشق ، وهما مغلولان قد كسرها من كان قدم على منجك من العساكر التي جهزها بيدمر إلى منجك قوة له على المصريين ، وكان ذلك على يدي الأمير سيف الدين تمر حاجب الحجاب ، ويعرف بالمهمندار ، قال لمنجك كنا في خدمة من بمصر ، ونحن لانطيمك على نصره بيدمر ، فتقاولا ثم تقاتلا فهزم منجك وذهب تمر ومنجك ومن كان معهما كابن صبيح وطيدير . ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين خامس عشر لم يوجد لتومان تمر وطبترق

ولا أحد من أمراء دمشق عين ولا أثر ، قد ذهبوا كلهم إلى طاعة صاحب مصر ، ولم يبق بدمشق من أمراءها سوى ابن قراسنقر من الأمراء المنقذين ، وسوى بيدير ومنجك واستندر ، والقلعة قد هيئت والمجانيق منصوبة على حالها ، والناس في خوف شديد من دخول بيدير إلى القلعة ، فيحصل بعد ذلك عند قدوم الجيش المصرى حصار وتعب ومشقة على الناس ، والله يحسن العاقبة .

ولما كان في أثناء نهار الاثنين سادس عشره دقت البشار في القلعة وأظهر أن يلبغا الخالصكى قد نفاه السلطان إلى الشام ، ثم ضربت وقت المغرب ثم بعد العشاء في صبيحة يوم الثلاثاء أيضا ، وفي كل ذلك يركب الأمراء الثلاثة منجك وبيدير واستندر ملبسين ، ويخرجون إلى خارج البلد ، ثم يعودون ، والناس فيما يقال ما بين مصدق ومكذب ، ولكن قد شرع إلى تستير القلعة وتهى الحصار فان الله وإنا إليه راجعون .

ثم تبين أن هذه البشار لا حقيقة لها ، فاهتم في عمل ستائر القلعة وحمل الزلط والأحجار إليها ، الأغنام والحوامل ، وقد وردت الأخبار بأن الركاب الشريف السلطاني وصحبته يلبغا في جميع جيش مصر قد عدا غزوة ، فعند ذلك خرج الصاحب وكانب السر والقاضي الشافعي وناظر الجيش وبقباؤه ومتولى البلد وتوجهوا لتلقاء حماة لتلقى الأمير على الذى قد جاءه تقليد دمشق ، وبقى البلد شاغرا عن حاكم فيها سوى المحتسب وبعض القضاة ، والناس كغتم لاراعى لهم ، ومع هذا الأحوال صالحة والأمور ساكنة ، لا يعدو أحد على أحد فيما بلغنا ، هذا وبيدير ومنجك واستندر في تحصين القلعة وتحصيل العدد والاقوات فيها ، والله غالب على أمره (أينا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) الستائر تعمل فوق الأبرجة ، وصلى الأمير بيدير صلاة الجمعة تاسع عشر الشهر فى الشباك السكالى ، فى مشهد عثمان ، وصلى عنده منجك إلى جانبه داخل موضع القضاة ، وليس هناك أحد من الحجبة ولا النقباء ، وليس فى البلد أحد من المباشرين بالسكلىة ، ولا من الجند إلا القليل ، وكلهم قد سافروا إلى ناحية السلطان ، والمباثرون إلى ناحية حماة لتلقى الأمير على نائب الشام المحروس ، ثم عاد إلى القلعة ولم يحضر الصلاة استندر ، لأنه قيل كان منقطعا أو قد صلى فى القلعة .

وفى يوم السبت العشرين من الشهر وصل البريد من جهة السلطان من أبناء الرسول إلى نائب دمشق يستعلم طاعته أو مخالفته ، وبعث عليه فيما اعتمده من استحوذ على القلعة ويخطب فيها ، وادخار الآلات والاطعمات فيها ، وعدم المجانيق والستائر عليها ، وكيف تصرف فى الأموال السلطانية تصرف الملك والملوك ، فتنصل ملك الأمراء من ذلك ، وذكر أنه إنما أرصد فى القلعة جنادتها وأنه لم يدخلها ، وأن أبوابها مفتوحة ، وهى قلعة السلطان ، وإعماله غريم بينه وبينه الشرع

والقضاة الأربعة - يعني بذلك يلبغا - وكتب بالجواب وأرسله صحيفة البريدي وهو كتسكلى مملوك بقطبه اللويدار ، وأرسل في صحبته الأمير صارم الدين أحد أمراء العشرات من يوم ذلك .

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان تصبح أبواب البلد مغلقة إلى قريب الظهر ، وليس ثم مفتوح سوى باب النصر والفرج ، والناس في حصر شديد وانزعاج ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولكن قد اقترب وصول السلطان والعساكر المنصورة . وفي صبيحة الاربعاء أصبح الحال كما كان وأزيد ، ونزل الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكى بقبة يلبغا ، وامتد طلبه من سيف داريا إلى القبة المذكورة في أبهة عظيمة ، وهيئة حسنة ، وتأخر الركاب الشريف بتأخره عن الصميين بعد ، ودخل بيدمر في هذا اليوم إلى القلعة وتحصن بها . وفي يوم الخميس الخامس والعشرين منه استمرت الأبواب كلها مغلقة سوى باب النصر والفرج ، وضاق النطاق وانحصر الناس جدا ، وقطع المصريون نهر بانياس والفرع الداخلى إليها وإلى دار السمادة من القنوات ، واحتاجوا لذلك أن يقطعوا القنوات ليسدوا الفرع المذكور ، فانزعج أهل البلد لذلك وملؤا مافي بيوتهم من برك المدارس ، وبيعت القرية بدرهم ، والحق بنصف ، ثم أرسلت القنوات وقت العصر من يومئذ والله الحمد والمنة ، فانشرح الناس لذلك ، وأصبح الصباح يوم الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح باب النصر والفرج إلى بعد طلوع الشمس بزمان ، فأرسل يلبغا من جهته أربعة أمراء وهم الأمير زين الدين زباله الذى كان نائب القلعة ، والملك صلاح الدين ابن السكامل ، والشيوخ على الذى كان نائب الرحبة من جهة بيدمر ، وأمير آخر ، فدخلوا البلد وكسروا أقفال أبواب البلد ، وفتحوا الأبواب ، فلما رأى بيدمر ذلك أرسل مفاتيح البلد إليهم انتهى . ﴿ وصول السلطان الملك المنصور إلى المصطبة غربى عقبة سجورا ﴾

كان ذلك في يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان في جحافل عظيمة كالجبال ، فنزل عند المصطبة المنسوبة إلى عم ابنته الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وجاءت الأمراء ونواب البلاد لتقبيل يده والأرض بين يديه ، كنائب حلب ، ونائب حماة ، وهو الأمير علاء الدين الماردانى ، وقد عين لنيابة دمشق ، وكتب بتقليده بذلك ، وأرسل إليه وهو بحماة . فلما كان يوم السبت السابع والعشرين منه خلع على الأمير علاء الدين على الماردانى بنيابة دمشق ، وأعيد إليها عوداً على بدء ، ثم هذبه السكرة الثالثة ، وقبل يد السلطان وركب عن يمينه ، وخرج أهل البلد لتهنئته ، هذا والقلة محصنة بيد بيدمر ، وقد دخلها ليلة الجمعة واحتمى بها ، هو ومنجك واستدمر ومن معه من الاعوان بها ، ولسان حال القدر يقول (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) ولما كان يوم الأحد طلب قضاة القضاة وأرسلوا إلى بيدمر وذويه بالقلعة ليصالحوه على شيء ميسور يشترطونه ، وكان ماستدكره انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك ﴾

لما كان يوم الاحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي ، والشيخ سراج الدين الهندى الحنفى ، قاضى العسكر المصرى للحنفية ، إلى بيدمر ومن معه ليتكلموا معهم فى الصلح لينزلوا على ما يشترطون قبل أن يشرعوا فى الحصار والمجانيق التى قد استدعى بها من صغد و بعلبك ، وأحضر من رجال النقاعين نحو من ستة آلاف رام فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أمانا إن أتى إلى المصالحة ، فطالب أن يكون بأهله بببيت المقدس ، وطلب أن يعطى منجك كذا بناحية بلاد سيس ليسترزق هنالك ، وطلب استدمر أن يكون بشمة داراً للأمر سيف الدين يلبغا الخالصكى . فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب كان ، فأخبروا السلطان والأمراء بذلك ، فأجيبوا إليه ، وخاع السلطان والأمراء على جبريل خلما ، فرجع فى خدمة القضاة ومعهم الأمير استبغا بن الأبو بكرى ، فدخلوا القلعة وباتوا هنالك كلهم ، وانتقل الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطر زين ، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل ، فدخل القضاة وسلوا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير استبغا بن الأبو بكرى ، انتهى .

﴿ دخول السلطان الملك المنصور محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون ﴾

« إلى دمشق فى جيشه وجنوده وأمرائه وأهله » .

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطاق الشريف ، وفى صحبتهم الأشراف الذين كانوا بالقلعة ، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم ، فدخل القضاة وحجج الأمراء المذكورون ، نفع على القضاة الأربعة وانصرفوا راجعين مجبورين ، وأما الأمراء المذكورون فانهم أركبوا على خيل ضعيفة ، وخلف كل واحد منهم وساق أخذ بوسطه قبل ، وفى يد كل واحد من الوساقية خنجر كبير مسلول لثلاثا يستنقذه منه أحد فيقتله بها ، فدخل جبهة بين الناس ليروهم ذلتهم التى قد لبسهم ، وقد أحرق الناس بالطريق من كل جانب ، فقام كثير من الناس ، الله أعلم بعدتهم ، إلا أنهم قد يقاربون المائة ألف أو يزيدون عليها ، فرأى الناس منظراً فظيماً ، فدخل بهم الوساقية إلى الميدان الأخضر الذى فيه القصر ، فأجلسوا هنالك وهم ستة نفر : الثلاثة النواب وجبريل وابن استدمر ، وسادس ، وظن كل منهم أن يفعل بهم فاقرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلابا فى تجمل عظيم ، ولبس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح ، ثم دخل السلطان فى آخر ذلك كله بعد العصر بزمن ، وعليه

من أنواع الملابس قباز بخارى ، والقبة والطير يحملهما على رأسه الأمير سيف الدين تومان تمر ، الذى كان نائب طرابلس ، والأمراء مشاة بين يديه ، والبسط تحت قدمي فرسه ، والبشائر تضرب خلفه فدخل القلعة المنصورة المنصورية لا البدرية . ورأى ما قد أُرصد بها من المجانيق والأسلحة فاشتد حنقه على بيدمر وأصحابه كثيراً ، ونزل الطارمة ، وجلس على سرير المملكة ووقف الأمراء والنواب بين يديه ، ورجع الحق إلى نصابه ، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح فى أول يوم من رمضان ، وهذا فى التاسع والعشرين منه ، وقد قيل إنه سلخه والله أعلم . وشرع الناس فى الزينة . وفى صبيحة يوم الثلاثاء سلخ الشهر نقل الأمراء المغضوب عليهم الذين ضل سببهم فيما كانوا أبرموه من ضمير سوء المسلمين إلى القلعة فأنزلوا فى أبراجها مهازين مفرقا بينهم ، بعد ما كانوا بها آمنين حاكمين ، أصبحوا معتقلين مهازين خائفين ، فجاروا بعد ما كانوا رؤساء ، وأصبحوا بعد عزيم أذلاء ، ونقبت أصحاب هؤلاء ونودى عليهم فى البلد ، ووعد من دل على أحد منهم بمال جزيل ، وولاية إمرة بحسب ذلك ، ورسم فى هذا اليوم على الرئيس أمين الدين ابن القلانسي كاتب السر ، وطلب منه ألف ألف درهم ، وسلم إلى الأمير زين الدين زباله نائب القلعة ، وقد أعيد إليها وأعطى مقدمة ابن قراسنقر ، وأمره أن يعاقبه إلى أن يزن هذا المبلغ ، وصلى السلطان وأمراؤه بالميدان الأخضر صلاة العيد ، ضرب له خام عظيم وصلى به خطيباً القاضى تاج الدين السامى الشافى ، قاضى العسكر المنصورة للشافعية ، ودخل الأمراء مع السلطان للقلعة من باب المدرسة ، ومد لهم سماطاً هائلاً أكلوا منه ثم رجعوا إلى دورهم وقصورهم ، وحمل الطير فى هذا اليوم على رأس السلطان الأمير على نائب دمشق ، وخلع عليه خلعة هائلة .

وفى هذا اليوم مسك الأمير تومان تمر الذى كان نائب طرابلس ، ثم قدم على بيدمر ، فكان معه ، ثم قفل إلى المصريين واعتذر إليهم فعندروه فيما يبدو للناس ، ودخل وهو حامل الخبز على رأس السلطان يوم الدخول ، ثم ولوه نيابة حمص ، فصغروه وحقروه ، ثم لما استمر ذاهباً إليها فكان عند القابون أرسلوا إليه فأمسكوه وردوه ، وطلب منه المائة ألف التى كان قبضها من بيدمر ، ثم ردوه إلى نيابة حمص .

وفى يوم الخميس اشتهر الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية وخواصكية ملكوا عليهم حسين الناصر ثم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا ، وأن الأمر قد انفصل ورد حسين للمحل الذى كان معتقلاً فيه ، وأطفا الله شر هذه الطائفة والله الحمد .

وفى آخر هذا اليوم لبس القاضى ناصر الدين بن يعقوب خلعة كتابة السر الشريفة ، والمدرستين ، ومشىخة الشيوخ عوضاً عن الرئيس علاء الدين بن القلانسي ، عزل وصودر ، وراح

الناس لتنهئته بالعود إلى وظيفته كما كان .

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث شوال مسك جماعة من الامراء الشاميين منهم الحاجبان صلاح الدين وحسام الدين والمهمندار ابن أخى الحاجب الكبير ، تمر ، وناصر الدين ابن الملك صلاح الدين ابن السكامل ، وابن حمزة والطرخاني وائسان أخوان وهما طبيغا زفر و باجات ، كلهم طبلمخانات ، وأخرجوا خير وتمر حاجب الحجاب ، وكذلك الحجوية أيضا لقاربي أحد أمراء مصر .

وفي يوم الثلاثاء سابع شوال مسك ستة عشر أميراً من أمراء العرب بالقلعة المنصورة ، منهم عمر بن موسى بن مهنا الملقب بالمصمغ ، الذى كان أمير العرب فى وقت ، ومعيقل بن فضل بن مهنا وآخرون ، وذكروا أن سبب ذلك أن طائفة من آل فضل عرضوا للامير سيف الدين الأحمدي الذى استاقوه على حلب ، وأخذوا منه شيئاً من بعض الامتعة ، وكادت الحرب تقع بينهم . وفى ليلة الخميس بعد المغرب حمل تسعة عشر أميراً من الأتراك والعرب على البريد مقيدىن فى الاغلال أيضا إلى الديار المصرية ، منهم بيدمر ومنجك واستدمر وجبريل وصلاح الدين الحاجب وحسام الدين أيضا وبلجك وغيرهم ، ومعهم نحو من مائتى فارس ملبسين بالسلاح متوكلين بحفظهم ، وساروا بهم نحو الديار المصرية ، وأمروا جماعة من البطالين منهم أولاد لا قوش ، وأطلق الرئيس أمين الدين بن القلانسي من المصادرة والترسيم بالقلعة ، بعد ما وزن بعض ما طلب منه ، وصار إلى منزله ، وهنأه الناس .

﴿ خروج السلطان من دمشق قاصداً مصر ﴾

ولما كان يوم الجمعة عاشر شهر شوال خرج طالب يلبغا الخاصكى صبيحته فى تجمل عظيم لم ير الناس فى هذه المدد مثله ، من نجائب وجنائب ومماليك وعظمة هائلة ، وكانت عامة الاطلاب قد تقدمت قبله بيوم ، وحضر السلطان إلى الجامع الأموى قبل أذان الظهر ، فصلى فى مشهد عثمان هو ومن معه من أمراء المصريين ، ونائب الشام ، وخرج من فوره من باب النصر ذاهباً نحو الكسوة والناس فى الطرقات والأسطحة على العادة ، وكانت الزينة قد بقى أكثرها فى الصاغة والخواصين وباب البريد إلى هذا اليوم ، فاستمرت نحو العشرة أيام .

وفى يوم السبت حادى عشر شوال خاع على الشيخ دلاء الدين الأنصارى باعادة الحسبة إليه وعزل عماد الدين ابن السيرجى ، وخرج الحمل يوم الخميس سادس عشر شوال على العادة ، والامير مصطفي البيرى . وتوفى يوم الخميس ويوم الجمعة أربعة أمراء بدمشق ، وهم طشتمر وفر وطبيغا الغبل ، ونوروز أحد مقدمى الالوف ، وتمر المهمندار ، وقد كان مقدم ألف ، وحاجب الحجاب وعمل نيابة غزة فى وقت ، ثم تصب عليه المصريون فعزلوه عن الامرة ، وكان مر أيضاً فاستمر مر أيضاً إلى أن توفى يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت بتربته التى أنشأها بالصوفية ، لكنه لم يدفن فيها بل

على بابها كأنه مودع أو ندم على بنائها فوق قبور المسلمين رحمه الله .

وتوفى الأمير ناصر الدين بن لاقوش يوم الاثنين العشرين من شوال ودفن بالقبيبات ، وقد ناب ببيعلبك وبمحص ، ثم قطع خبره هو وأخوه كحلان ونفوا عن البلد إلى بلدان شتى ، ثم رضى عنهم الأمير يلبغا وأعاد عليهم أخبارا بطباخانات ، فما لبث ناصر الدين إلا يسيراً حتى توفى إلى رحمة الله تعالى ، وقد أثر آثراً حسنة كثيرة منها عند عقبة الرمانة خان مليح نافع ، وله ببيعلبك جامع وحمام وخان وغير ذلك ، وله من العمر ست وخمسون سنة .

وفي يوم الأحد السادس والعشرين منه درس القاضي نور الدين محمد بن قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء الشافعي بالمدرسة الانابكية ، نزل له عنها والده بتوقيع سلطاني ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ في قوله تعالى (الحج أشهر معلومات) وفي هذا اليوم درس القاضي نجم الدين أحمد بن عثمان النابلسي الشافعي المعروف بابن الجابي بالمدرسة العسرونية استنزل له عنها القاضي أمين الدين بن القلانسي في مصادراته . وفي صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من شوال درس القاضي ولي الدين عبد الله بن القاضي بهاء الدين أبي البقاء بالمدرستين الرواحية ثم القيصرية ، نزل له عنهما والده المذكور بتوقيع سلطاني ، وحضر عنده فيهما القضاة والأعيان .

وفي صبيحة يوم الخميس سلخ شوال شهر الشيخ أسد بن الشيخ الكردي على جمل وطيف به في حواضر البلد ونودي عليه : هذا جزاء من يخامر على السلطان ويفسد نواب السلطان ، ثم أنزل عن الجمل وحمل على حمار وطيف به في البلد ونودي عليه بذلك ، ثم ألزم السجن وطلب منه مال جزيل وقد كان المذكور من أعوان بيدمر المتقدم ذكره وأنصاره ، وكان هو المتسلم للقلعة في أيامه .

وفي صبيحة يوم الاثنين حادي عشر ذي القعدة خلع على قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح بقضاء العسكر الذي كان متوفراً عن علاء الدين بن شمرونوخ ، وهنأه الناس بذلك وركب البغلة بالزناري مضافاً إلى ما بيده من نيابة الحكم والتدريس . وفي يوم الاثنين ثامن عشره أعيد تدريس الركنية بالصالحية إلى قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي ، استرجعها بمرسوم شريف سلطاني ، من يد القاضي عماد الدين بن العز ، وخلع على الكفري ، وذهب الناس إليه للتهنئة بالمدرسة المذكورة .

وفي شهر ذي الحجة اشتهر وقوع فتن بين الفلاحين بناحية عجلون ، وأنهم اقتتلوا فقتل من الفريقين البني والقيسي طائفة ، وأن عين حيتا التي هي شرقي عجلون دمرت وخربت ، وقطع أشجارها ودمرت بالكافية . وفي صبيحة يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة لم تفتح أبواب دمشق إلى ما بعد طلوع الشمس ، فأناكر الناس ذلك ، وكان سببه الاحتياط على أمير يقال له كسبغا ، كان يريد

الهرب إلى بلاد الشرق ، فاحتيط عليه حتى أمسكه .

وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة قدم الأمير سيف الدين طاز من القدس فنزل بالقصر الأبلق ، وقد عمى من الكحل حين كان مسجوناً بالاسكندرية ، فأطلق كما ذكرنا ، ونزل ببيت المقدس مدة ، ثم جاءه تقليد بأنه يكون ظرخانا ينزل حيث شاء من بلاد السلطان ، غير أنه لا يدخل ديار مصر ، فجاء فنزل بالقصر الأبلق ، وجاء الناس إليه على طبقاتهم - نائب السلطنة فن دونه - يسلمون عليه وهو لا يبصر شيئاً ، وهو على عزم أن يشتري أو يستكرى له داراً بدمشق يسكنها . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخت سنة ثلاث وستين وسبعائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما والاها من الممالك الإسلامية السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك المنصور قلاوون ، وهو شاب دون العشرين ، ومدبر الممالك بين يديه الأمير يلبغا ، ونائب الديار المصرية طشتمر ، وقضاتها المذكورون في التي قبلها ، والوزير سيف الدين قزوينة ، وهو مريض مدنف ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين المارداني ، وقضاته المذكورون في التي قبلها ، وكذلك الخطيب ووكيل بيت المال والمحتسب علاء الدين الأنصاري ، عاد إليها في السنة المنفصلة ، وحاجب الحجاب قماري ، والذي يليه السليماني وآخر من مصر أيضاً ، وكاتب السر القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب الحلبي ، وناظر الجامع القاضي آق الدين بن مراجل ، وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين الشافعي أنه جدد في أول هذه السنة قاضي حنفي بمدينة صفد المحروسة مع الشافعي ، فصار في كل من حماة وطرابلس وصفد قاضيان شافعي وحنفي .

وفي ثاني المحرم قدم نائب السلطنة بعد غيبة نحو من خمسة عشر يوماً ، وقد أوطأ بلاد فرير بالعرب ، وأخذ من مقدميهم طائفة فأودعهم الحبس ، وكان قد اشتهر أنه قصد العشيرات الموسمين ببلاد مجلون ، فسألته عن ذلك حين سلمت عليه فأخبرني أنه لم يتعد ناحية فرير ، وأن العشيرات قد اصطلحوا واتفقوا ، وأن التجارة عندهم هناك . قال : وقد كبس الأعراب من حرم الترك فهزمهم الترك وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم ظهر للعرب كمين فاجأ الترك إلى وادي صرح فحصرهم هنالك ، ثم وات الأعراب فراراً ولم يقتل من الترك أحد ، وإنما جرح منهم أمير واحد فقط ، وقتل من الأعراب فوق الخمسين نفساً .

وقدم الحجاج يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم ، ودخل الحمل السلطاني ليلة الاثنين بعد العشاء ، ولم يحتفل لدخوله كما جرت به العادة ، وذلك لشدة ما نال الركب في الرجعة من بريز إلى هنا

من البرد الشديد ، بحيث إنه قد قيل إنه مات منهم بسبب ذلك نحو المائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ،
ولكن أخبروا برخص كثير وأمن ، وبموت نفسة أخى عجلان صاحب مكة ، وقد استبشر بموته
أهل تلك البلاد لبغية على أخيه عجلان العادل فيهم انتهى والله أعلم .

﴿ منام غريب جدا ﴾

ورأيت - يعنى المصنف - فى ليلة الاثنين الثانى والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين
وسبعائة الشيخ محى الدين النواوى رحمه الله فقلت له : يا سيدى الشيخ لم لا أدخلت فى شرحك
المهذب شيئاً من مصنفات ابن حزم ؟ فقال ما معناه : إنه لا يحبه ، فقلت له : أنت معذور فيه فانه
جمع بين طرفى النقيضين فى أصوله وفروعه ، أما هو فى الفروع فظاهرى جامد يابس ، وفى الأصول
تول مائع قرمطة القرامطة وهرس الهراثة ، ورفعت بها صوتى حتى سمعت وأنا نائم ، ثم أشرت له
إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هى أردأ شكلاً منه ، لا ينتفع بها فى استغلال ولا رعى ، فقلت
له : هذه أرض ابن حزم التى زرعها [قال :] أنظر هل ترى فيها شجراً مثمراً أو شيئاً ينتفع به ، فقلت
إنما تصالح للجلوس عليها فى ضوء القمر . فهذا حاصل ما رأيته ، ووقع فى خلدى أن ابن حزم كان
حاضراً عند ما أشرت للشيخ محى الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم ، وهو ساكت لا يتكلم .
وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر خلع على القاضى عماد الدين بن الشيرجى بعود
الحسبة إليه بسبب ضعف علاء الدين الأنصارى عن القيام بها لشغله بالمرض المدنف ، وهنأه الناس
على العادة . وفى يوم السبت السادس والعشرين من صفر توفى الشيخ علاء الدين الأنصارى
المدكور بالمدرسة الأمينية ، وصلى عليه الظهر بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير خلف محراب
جامع جراح ، فى تربة هنالك ، وقد جاوز الأربعين سنة ، ودرس فى الأمينية وفى الحسبة مرتين
وترك أولاداً صغاراً وأموالاً جزيلة سألحها الله ورحمه ، وولى المدرسة بعده قاضى القضاة تاج الدين بن
السبكي بمرسوم كريم شريف .

وفى العشر الأخير من صفر بلغنا وفاة قاضى قضاة المالكية الاخنائى بمصر وتولية أخيه
برهان الدين ابن قاضى القضاة علم الدين الاخنائى الشافعى أبوه قاضياً مكان أخيه ، وقد كان على
الحسبة بمصر مشكور السيرة فيها ، وأضيف إليه نظر الخزانة كما كان أخوه . وفى صبيحة يوم الأحد
رابع شهر ربيع الأول كان ابتداء حضور قاضى القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن قاضى
القضاة تقي الدين بن الحسن بن عبد الكافى السبكي الشافعى تدريس الأمينية عوضاً عن الشيخ
علاء الدين المحتسب ، بحكم وفاته رحمه الله كما ذكرنا ، وحضر عنده خلق من العلماء والأمرء
والفقهاء والعامة ، وكان درساً حافلاً ، أخذنى قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)

الآية وما بعدها ، فاستنبط أشياء حسنة ، وذكر ضرباً من العلوم بعبارة طليقة جارية معسولة ، أخذ ذلك من غير تعلم ولا تلجلج ولا تكلف فأجاد وأفاد ، وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم حتى قال بعض الأكابر : إنه لم يسمع درسا مثله .

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين منه توفي الصدر برهان الدين بن لؤلؤ الحوضي ، في داره بالقصعين ولم يمرض إلا يوماً واحداً ، وصلى عليه من الغد بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، وخرجوا به من باب النصر ، فخرج نائب السلطنة الأمير على فصلى عليه إماماً خارج باب النصر ، ثم ذهبوا به فدفنوه بمقابرهم بباب الصغير ، فدفن عند أبيه رحمه الله ، وكان رحمه الله فيه مروءة وقيام مع الناس ، وله وجهة عند الدولة وقبول عند نواب السلطنة وغيرهم ، ويحب العلماء وأهل الخير ، ويواظب على سماع مواعيد الحديث والخير ، وكان له مال وثروة ومعروف ، قارب الثمانين رحمه الله .

وجاء البريد من الديار المصرية فأخبر بموت الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش المصري بها ، وكان واعظاً باهراً ، وفصيحا ماهراً ، ونحوياً شاعراً ، له يد طولى في فنون متعددة ، وقدرة على نسج الكلام ، ودخول على الدولة وتحصيل الأموال ، وهو من أبناء الأربعمين رحمه الله .

وأخبر البريد بولاية قاضي القضاة شرف الدين المالكي البغدادي ، الذي كان قاضياً بالشام للمالكية ، ثم عزل بنظر الخزانة بمصر ، فانه رتب له معلوم وافر يكفيه ويفضل عنه ، ففرح بذلك من يحبه .

وفي يوم الأحد السابع عشر من ربيع الآخر توفي الرئيس أمين الدين محمد بن الصدر جمال الدين أحمد بن الرئيس شرف الدين محمد بن القلانسي ، أحد من بقى من رؤساء البلد وكبرائها ، وقد كان بائناً مباشراً كبار كآبئيه وعمه علاء الدين ، ولكن فاق هذا على أسلافه فانه بائناً وكالة المال مدة ، وولى قضاء العساكر أيضاً ، ثم ولى كتابة السرمع مشيخة الشيوخ وتدریس الناصرية والشامية الجوانية ، وكان قد درس في العصورونية من قبل سنة ست وثلاثين ، ثم لما قدم السلطان في السنة الماضية عزل عن مناصبه الكبار ، وصودر بمبلغ كثير يقارب مائتي ألف ، فباع كثيراً من أملاكه وما بقى بيده من وظائفه شيء ، وبقى خاملاً مدة إلى يومه هذا ، فتوفي بغتة ، وكان قد تشوش قليلاً لم يشعر به أحد ، وصلى عليه العصر بجامع دمشق ، وخرجوا به من باب الناطفانيين إلى تربتهم التي بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثامن عشره ، خلع على القاضي جمال الدين بن قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي ، وجعل مع أبيه شريكاً في القضاء ولقب في التوقيع الوارد صحبة البريد من جهة السلطان « قاضي القضاة » فلبس الخلعة بدار السعادة وجاء معه قاضي القضاة تاج الدين السبكي

إلى النورية فقعد في المسجد ووضعت الربعة فقرئت وقرىء القرآن ولم يكن درساً ، وجاءت الناس للتهنئة بما حصل من الولاية له مع أبيه .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الجامع فتح الدين بن الشيخ زين الدين الفارقي ، إمام دار الحديث الأشرفية ، وخازن الأثر بها ، ومؤذن في الجامع ، وقد أتت عليه تسعون سنة في خير وصيانة وتلاوة وصلاة كثيرة وانجماع عن الناس ، صلى عليه صبيحة يومئذ ، وخرج به من باب النصر إلى نحو الصالحية رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الاثنين عاشر جمادى الأولى ورد البريد وهو قرابغاد وادار نائب الشام الصغير ومعه تقليد بقضاء قضاة الحنفية للشيخ جمال الدين يوسف بن قاضي القضاة شرف الدين الكفري ، بمقتضى نزول أبيه له عن ذلك ، ولبس الخلعة بدار السعادة وأجلس تحت المالكى ، ثم جاؤا إلى المقصورة من الجامع وقرىء تقليده هنالك ، قرأه شمس الدين بن السبكي نائب الحسبة ، واستتاب اثنين من أصحابهم وهما شمس الدين بن منصور ، وبدر الدين بن الخراش ، ثم جاء معه إلى النورية فدرس بها ولم يحضره والده بشيء من ذلك انتهى والله أعلم .

﴿ موت الخليفة المعتضد بالله ﴾

كان ذلك في العشر الأوسط من جمادى الأولى بالقاهرة ، وصلى عليه يوم الخميس ، أخبرني بذلك قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ، عن كتاب أخيه الشيخ بهاء الدين رحمه الله .

﴿ خلافة المتوكل على الله ﴾

ثم بويغ بعده ولده المتوكل على الله على أبو عبد الله محمد بن المعتضد أبي بكر أبي الفتح بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد رحم الله أسلافه .

وفي جمادى الأولى توجه الرسول من الديار المصرية ومعه صناعق خليفية وسلطانية وتقاليد وخلع وتحف لصاحبي الموصل وسنجار من جهة صاحب مصر ليخطب له فيهما ، وولى قاضي القضاة تاج الدين الشافعي السبكي الحاكم بدمشق لقاضيها من جهته تقليدين ، حسب ما أخبرني بذلك ، وأرسل مع ما أرسل به السلطان إلى البلدين ، وهذا أمر غريب لم يقع مثله فيما تقدم فيما أعلم والله أعلم . وفي جمادى الآخرة خرج نائب السلطنة إلى صرح الفسولة ومعه حججته ونقباء النقباء ، وكاتب السر وذووه ، ومن عزمهم الإقامة مدة ، فقدم من الديار المصرية أمير على البريد فأسرعوا الأوبة فدخلوا في صبيحة الأحد الحادى والعشرين منه ، وأصبح نائب السلطنة فحضر الموكب على العادة ، وخلع على الأمير سيف الدين يلبغا الصالحى ، وجاء النص من الديار المصرية بخلعة دوادار عوضاً عن سيف الدين كحلن ، وخلع في هذا اليوم على الصدر شمس الدين بن مرقى بتوقيع الدست ، وجهات

آخر ، قدم بها من الديار المصرية ، فانتشر الخبر في هذا اليوم باجلاس قاضى القضاة شمس الدين الكفرى الحنفى ، فوق قاضى القضاة المالكية ، لكن لم يحضر في هذا اليوم ، وذلك بعد ما قد أمر باجلاس المالكي فوقه .

وفي ثانى رجب توفى القاضى الامام العالم شمس الدين بن مفلح المقدسى الحنبلى ، نائب مشيخة قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسى الحنبلى ، وزوج ابنته ، وله منها سبعة اولاد ذكور واثاث ، وكان بارعاً فاضلاً متفناً في علوم كثيرة ، ولا سيما علم الفروع ، كان غاية في نقل مذهب الامام أحمد ، وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المنع نحواً من ثلاثين مجلداً كما أخبرنى بذلك عنه قاضى القضاة جمال الدين ، وعلق على محفوظة أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية مجلدين ، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات رحمه الله ، توفى عن نحو خمسين سنة ، وصلى عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثانى الشهر بالجامع المظفرى ، ودفن بمقبرة الشيخ الموفق ، وكانت له جنازة حافلة حضرها القضاة كلهم ، وخلق من الأعيان رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عائكة أساؤا الأدب على النائب ومماليكه ، بسبب جامع للخطبة جدد بناحياتهم ، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويجعله زاوية للراقصين ، فحكم القاضى الحنبلى بجمله جامعاً قد نصب فيه منبر ، وقد قدم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه ، فأنتفت أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعاً ، وأعظموا ذلك ، فتكلم بعضهم بكلام سيء ، فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضر بهم بالمقارع بين يديه ، ونودى عليهم في البلد ، فأراد بعض العامة إنكاراً لذلك ، وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي الذى يقرأ عليه المصحف ، رتبه أحد اولاد القاضى عماد الدين بن الشيرازى ، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج ، واجتمع عنده خلق كثير وجم غفير ، وقرأ في السيرة النبوية من خطي ، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر .

﴿ أعجوبة من العجائب ﴾

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخارى ومسلما وجامع المسانيد والكشاف للزمخشري وغير ذلك من محاضيرها ، في فنون آخر ، فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب قرأ في الجامع الأموى بالحائط الشمالى منه ، عند باب الكلاسة من أول صحيح البخارى إلى أثناء كتاب العلم منه ، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة بيدي ، فأدى جيداً ، غير أنه يصحف بعضاً من الكلمات لعجم فيه ، وربما لحن أيضاً في بعض الأحيان ، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين ، فأعجب ذلك جماعة كثيرين ، وقال آخرون منهم إن سرد بقية

الكتاب على هذا المنوال لعظيم جداً ، فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهل شعبان في المسكان المذكور ، وحضر قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء ، واجتمع العامة محدقين فقرأ على العادة غير أنه لم يطول كأول يوم ، وسقط عليه بعض الأحاديث ، وصحف ولحن في بعض الألفاظ ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي فقرأ بمحضرتهما أيضا بعض الشيء ، وهذا العامة محتفون به متمتعون من أمره ، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه ، وفرح بكتابتني له بالسماع على الاجازة ، وقال : أنا ما خرجت من بلادى إلا إلى القصد إليك ، وأن تجيزني ، وذكرك في بلادنا مشهور ، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كرمه القضاة والأعيان بشيء من الدراهم يقارب الألف .

﴿ عزل الأمير على عن نيابة دمشق الحروسة ﴾

في يوم الأحد حادى عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير على عن نيابة دمشق ، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقرىء المرسوم الشريف عليهم بحضوره ، وخام عليه خلمة وردت مع البريد ، ورسم له بقرية دومة وأخرى في بلاد طرابلس على سبيل الراتب ، وأن يكون في أى البلاد شاء من دمشق أو القدس أو الحجاز ، فانتقل من يومه من دار السعادة وبقى أصحابه ومماليكه ، واستقر نزوله في دار الخليلي بالقصاعين التي جدها وزاد فيها دويداره يلبغا ، وهي دار هائلة ، وراح الناس للتأسف عليه والحزن له انتهى .

﴿ سفر قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي الشافعي ﴾

﴿ مطلوباً إلى الديار المصرية معزولاً عن قضاء دمشق ﴾

ورد البريد بطلبه من آخر نهار الأحد بعد العصر الحادى عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فأرسل إليه حاجب الحجاب قارى وهونائب الغيبة أن يسافر من يومه ، فاستنظرهم إلى الغد فأهمل ، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكي بقضاء الشام عوضاً عن أخيه تاج الدين ، وأرسل يستنيب ابن أخيهما قاضي القضاة تاج الدين في التأهب والسير ، وجاء الناس إليه ليودعوه ويستوحشون له ، وركب من بستانه بعد العصر يوم الاثنين ثانى عشر شعبان ، متوجهاً على البريد إلى الديار المصرية ، وبين يديه قضاة القضاة والأعيان ، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي ، حتى ردهم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها والله المسؤول في حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة ، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

﴿ أعجوبة أخرى غريبة ﴾

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين بن الشريشى شيخ الشافعية وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلى

الشافعي ، والشيخ الأمام العلامة صلاح الدين الصفدي ، وكيل بيت المال ، والشيخ الامام العلامة شمس الدين الموصلى الشافعي ، والشيخ الامام العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من ذرية الشيخ أبي إسحق الفير وزابادي ، من أئمة اللغويين ، والخطيب الامام العلامة صدر الدين بن العز الحنفي أحد البلغاء الفضلاء ، والشيخ الامام العلامة نور الدين علي بن الصارم أحد القراء المحدثين البلغاء ، وأحضروا نيفا وأربعين مجلداً من كتاب المنتهى في اللغة للشمسي البرمكي ، وقف الناصرية وحضر ولد الشيخ كمال الدين بن الشريشني ، وهو العلامة بدر الدين محمد ، واجتمعنا كلنا عليه ، وأخذ كل منا مجلداً بيده من تلك المجلدات ، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها ، فينشر كلامها ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد ، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ولا يشذ عنه منها إلا القليل الشاذ ، وهذا من أعجب العجائب ، وأبلغ الاعراب .

﴿ دخول نائب السلطنة سيف الدين تشتمر ﴾

وذلك في أوائل رمضان يوم السبت ضحى والحجبة بين يديه والجيش بكامله ، فتقدم إلى سوق الخليل فأركب فيه ثم جاء ونزل عند باب السر ، وقبل العتبة ثم مشى إلى دار السعادة والناس بين يديه ، وكان أول شيء حكم فيه أن أمر بصلب الذي كان قتل بالأمس وإلى الصالحية ، وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة ، ثم هرب فنبهه الناس فقتل منهم آخر وجرح آخرين ثم تكاثروا عليه فسك ، ولما صلب طافوا به على جمل إلى الصالحية فمات هناك بعد أيام ، وقامى أمراً شديداً من العقوبات ، وقد ظهر بعد ذلك على أنه قتل خلقاً كثيراً من الناس قبجه الله .

﴿ قدوم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن قاضي القضاة تقي الدين عوضاً عن

أخيه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ﴾

قدم يوم الثلاثاء قبل العصر فبدأ بملاك الأمراء فسلم عليه ، ثم مشى إلى دار الحديث فصلى هناك ثم مشى إلى المدرسة الركنية فنزل بها عند ابن أخيه قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح ، قاضي العساكر ، وذهب الناس للسلام عليه وهو يكره من يلقيه بقاضي القضاة ، وعليه تواضع وتكشف ، ويظهر عليه تأسف على مفارقة بلده ووطنه وولده وأهله ، والله المسئول المأمول أن يحسن العاقبة .

وخرج المحمل السلطاني يوم الخميس ثامن عشر شوال ، وأمير الحاج الملك صلاح الدين بن الملك الكامل بن السعيد العادل الكبير ، وقاضيه الشيخ بهاء الدين بن سبع مدرس الأمينية ببعلبك وفي هذا الشهر وقع الحكم بما يخص المجاهدين من وقف المدرسة النقوية إليهم ، وأذن القضاة الأربعة إليهم بحضرة ملك الأمراء في ذلك .

وفي ليلة الأحد ثالث شهر ذي القعدة توفي القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب كاتب السر ،

وشيوخ الشيوخ ومدرس الناصرية الجوانية والشامية الجوانية بدمشق ، ومدرس الأسدية بحلب ، وقد باشر كتابة السر بحلب أيضاً ، وقضاء العساكر وأقنى بزمان ولاية الشيخ كمال الدين الزملاكي قضاء حلب ، أذن له هنالك في حدود سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ومولده سنة سبع وسبعمائة ، وقد قرأ التنبيه ومختصر ابن الحاجب في الأصول ، وفي العربية ، وكان عنده نباهة وممارسة للعلم ، وفيه جودة طباع وإحسان بحسب ما يقدر عليه ، وليس يتوسم منه سوء ، وفيه ديانة وعفة ، حلف لى في وقت بالأيمان المغلظة أنه لم يمكن قط منه فاحشة اللواط ولا خطر له ذلك ، ولم يزن ولم يشرب مسكراً ولا أكل حشيشة ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، صلى عليه بعد الظهر يومئذ وخرج بالجنازة من باب النصر فخرج نائب السلطنة من دار السعادة فحضر الصلاة عليه هنالك ، ودفن بقبرة لهم بالصوفية وتأسفوا عليه وترحموا ، وتراحم جماعة من الفقهاء بطلب مدارسه انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والشامية والحجازية وما يتبعهما من الاقاليم والرساتيق الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المنصور المظفرى حاجى بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ومدبر الممالك بين يديه ، وأتابك العساكر سيف الدين يلغنا ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التى قبلها ، غير أن ابن جماعة قاضى الشافعية وموفق الدين قاضى الحنابلة فى الحجاز الشريف ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين قشتمر المنصورى ، وقاضى قضاة الشافعية الشيخ بهاء الدين ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكي ، وأخوه قاضى القضاة تاج الدين مقيم بمصر ، وقاضى قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين ابن قاضى القضاة شرف الدين الكفرى ، آثره والده بالمنصب وأقام على تدريس الركنية يتعبد ويتلو ويجمع على العبادة ، وقاضى قضاة المالكية جمال الدين المسلاتى ، وقاضى قضاة الحنابلة الشيخ جمال الدين المرادوى محمود بن جملة ، ومحتسب البلد الشيخ عماد الدين بن الشيرجى ، وكاتب السر جمال الدين عبد الله بن الأثير ، قدم من الديار المصرية عوضاً عن ناصر الدين بن يعقوب ، وكان قدومه يوم سلخ السنة الماضية ، وناظر الدواوين بدر الدين حسن بن النابلسى ، وناظر الخزانة القاضى تقي الدين بن مراجل . ودخل المحمل السلطانى يوم الجمعة الثانى والعشرين من المحرم بعد العصر خوفاً من المطر ، وكان وقع مطر شديد قبل أيام ، فتلف منه غلات كثيرة بحوران وغيرها ، ومشاطيح وغير ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى ليلة الأربعاء السابع والعشرين منه بعد عشاء الآخرة قبل دقة القلعة دخل فارس من ناحية باب الفرج إلى ناحية باب القلعة الجوانية ، ومن ناحية الباب المذكور سلسلة ، ومن ناحية باب النصر أخرى جددتا لثلايم راكب على باب القلعة المنصورة ، فساق هذا الفارس المذكور على

السلسلة الواحدة فقطعها ، ثم مر على الأخرى فقطعها وخرج من باب النصر ولم يعرف لأنه ملتم .
 وفي حادى عشر صفر وقبله بيوم قدم البريد من الديار المصرية بطلب الأمير سيف الدين زباله أحد
 أمراء الأتوف إلى الديار المصرية مكرماً ، وقد كان عزل عن نيابة القلعة بسبب ما تقدم ، وجاء البريد
 أيضاً ومعه التواقيع التي كانت بأيدي ناس كثير ، زيادات على الجامع ، ردت إليهم وأقروا على
 ما بأيديهم من ذلك ، وكان ناظر الجامع صاحب تقي الدين بن مراجل قد سمى برفع ما يزيد بعد
 التذكرة التي كانت في أيام صرغتمش ، فلم يف ذلك ، وتوجه الشيخ بهاء الدين بن السبكي قاضى
 قضاة الشام الشافعى من دمشق إلى الديار المصرية يوم الأحد سادس عشر صفر من هذه السنة ،
 وخرج القضاة والأعيان لتوديعه ، وقد كان أخبرنا عند توديعه بأن أخاه قاضى القضاة تاج الدين قد
 لبس خلمة القضاة بالديار المصرية ، وهو متوجه إلى الشام عند وصوله إلى ديار مصر ، وذكرك لنا أن
 أخاه كاره للشام . وأشدنى القاضى صلاح الدين الصفدى ليلة الجمعة رابع عشره لنفسه فيما عكس
 عن المتنبى في يديه من قصيدته وهو قوله :

إذا اعتاد القى خوض المنايا * فأيسر ما يمر به الوصول

وقال دخول دمشق يكسبنا نحولا * كأن لها دخولا فى البرايا

إذا اعتاد الغريب الخوض فيها * فأيسر ما يمر به المنايا

وهذا شعر قوى ، وعكس جلى ، لفظاً ومعنى .

وفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر عملت خيمة حافلة بالمارستان الدقاقى جوار الجامع ،
 بسبب تكامل تجديده قريب السقف مبنيًا بالبن ، حتى قنطره الأربع بالحجارة البلق ، وجعل
 فى أعاليه قريات كبار مضيئة ، وفتق فى قبلته إباناً حسناً زاد فى أعمافه أضعاف ما كان ، وبيضه
 جميعه بالخص الحسن الملبح ، وجددت فيه خزائن ومصالح ، وفرش ولحف جدد ، وأشياء حسنة ،
 فأثابه الله وأحسن جزاءه آمين ، وحضر الخيمة جماعات من الناس من الخواص والعوام ، ولما كانت
 الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهد من العمارات ، وأخبره بما كانت عليه
 حاله قبل هذه العمارات ، فاستجاد ذلك من صنيع الناظر .

وفى أول ربيع الآخر قدم قاضى القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على قضاء الشام
 عوداً على بدء يوم الثلاثاء رابع عشره فبدأ بالسلام على نائب السلطنة بدار السعادة ، ثم ذهب إلى
 دار الأمير على بالتصاعين فسلم عليه ، ثم جاء إلى العادلية قبل الزوال ، ثم جاءه الناس من الخواص
 والعام يسلمون عليه ويهنونه بالعود ، وهو يتودد ويترحب بهم . ثم لما كان صبيح يوم الخميس سادس
 عشره لبس الخلمة بدار السعادة ثم جاء فى أبهة هائلة لابسها إلى العادلية فقرأ تقليده بها بحضرة

القضاة والأعيان وهنأه الناس والشعراء والمداح .

وأخبر قاضى القضاة تاج الدين بموت حسين بن الملك الناصر ، ولم يكن بقي من بنيهِ لصلبه سواه ، ففرح بذلك كثير من الأُمراء وكبار الدولة ، لما كان فيه من حدة وارتكاب أمور منكرة . وأخبر بموت القاضى فخر الدين سليمان بن القاضى عماد الدين بن الشيرجى ، وقد كان اتفق له من الأمر أنه قلداحسبة دمشق عوضاً عن أبيه ، نزل له عنها باختياره لكبره وضعفه ، وخلع عليه بالديار المصرية ، ولم يبق إلا أن يركب على البريد فتمرض يوماً وثانياً وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فتألم والده بسبب ذلك تألماً عظيماً ، وعزاه الناس فيه ، ووجدته صابراً محتسباً بما كيا مسترجعاً موجعاً انتهى .

﴿ بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم ﴾

مع ولاية سعد الدين ماجد بن التاج إسحاق من الديار المصرية على نظر الدواوين قبله ، ففرح الناس بولاية هذا وقدمه ، وبعرزل الاول وانصرافه عن البلد فرحاً شديداً ، ومعه مرسوم شريف بوضع نصف مكس الغنم ، وكان عبرته أربعة دراهم ونصف ، فصار إلى درهمين وربيع درهم ، وقد نودى بذلك فى البلد يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر ، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، والله الحمد والمنة ، وتضاعفت أذعيتهم لمن كان السبب فى ذلك ، وذلك أنه يكثر الجلب برخص اللحم على الناس ، ويأخذ الديوان نظير ما كان يأخذ قبل ذلك ، وقدر الله تعالى قدوم وفود وقبول بتجائر متعددة ، وأخذ منها الديوان السلطانى فى الزكاة والوكالة ، وقدم مراكب كثيرة فأخذ منها فى العشر أضعاف ما أطلق من المكس ، والله الحمد والمنة . ثم قرىء على الناس فى يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة قبل العصر .

وفى يوم الاثنين العشرين منه ضرب الفقيه شمس الدين بن الصفدى بدار السعادة بسبب خاتناه الطواويس ، فانه جاء فى جماعة منهم ينظّمون من كاتب السر الذى هو شيخ الشيوخ ، وقد تكلم معهم فيما يتعلق بشرط الواقف مما فيه مشقة عليهم ، فتكلم الصفدى المذكور بكلام فيه غلط ، فبطح ليضرب فشفع فيه ، ثم تكلم فشفع فيه ، ثم بطح الثالثة فضرب ثم أمر به إلى السجن ، ثم أخرج بعد ليلتين أو ثلاثة .

وفى صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين منه درس قاضى القضاة الشافى بمدارسه ، وحضر درس الناصرية الجوانية بمقتضى شرط الواقف الذى أثبتته أخوه بعد موت القاضى ناصر الدين كاتب السر ، وحضر عنده جماعة من الأعيان وبعض القضاة ، وأخذ فى سورة الفتح ، قرىء عليه من تفسير والده فى قوله (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) .

وفى مستهل جمادى الأولى يوم الجمعة بعد صلاة الفجر مع الامام الكبير صلى على القاضى

قطب الدين محمد بن الحسن الحاكم بحمص ، جاء إلى دمشق لتلقي أخى زوجته قاضى القضاة تاج الدين السبكي الشافعى ، فتمرض من مدة ثم كانت وفاته بدمشق ، فصلى عليه بالجامع كما ذكرنا ، وخارج باب الفرج ، ثم صعدوا به إلى سفح جبل قاسيون ، وقد جاوز الثمانين بسنتين ، وقد حدث وروى شيئا يسيرا رحمه الله .

وفى يوم الأحد ثلثه قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الازدعى ، والشيخ زين الدين البارنى وآخرون معهم ، فنزلوا بالمدرسة الاقبالية وهم قاضى قضاتهم الشافعى ، وهو كمال الدين المصرى مطلوبون إلى الديار المصرية ، فتحرر ما ذكره عن قاضيهما وما تقومه عليه من السيرة السيئة فيما يذكر في المواقف الشريفة بمصر ، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره .

وفى يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زباله نائب القلعة من الديار المصرية على البريد في تجمل عظيم هائل ، وتلقاه الناس بالشموع في أثناء الطريق ، ونزل بدار الذهب ، وراح الناس للسلام عليه ونهنته بالعود إلى نيابة القلعة ، على عادته ، وهذه ثالث مرة وليها لأنه مشكور السيرة فيها ، وله فيها سمى محمود في أوقات متعددة .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعى والحنفى وكاتب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمقصورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين ، فنضاعفت الأدعية لولى الأمر ، ولما كان السبب في ذلك .

﴿ غريبة من الغرائب وعجيبية من المعجائب ﴾

وقد كثرت المياه في هذا الشهر وزادت الانهار زيادة كثيرة جدا ، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخليل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب ، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكراك ، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب ، واستمر ذلك جمعا متعددة ، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك ، وربما وقف نائب السلطنة بهض الأيام تحت الطارمة تجاه باب الاسطبل السلطانى ، وهذا أمر لم يعهد مثله ولا رأيت قط في مدة عمرى ، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة ، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء .

وفى ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفى الصدر شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين بن منجى التنوخى بعد العشاء الآخرة ، وصلى عليه بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، ودفن بالسفح . وفى صبيحة هذا اليوم توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد القونوى الحنفى ، خطيب جامع يلبغا ، وصلى عليه عقب صلاة الظهر أيضا ، ودفن بالصوفية ، وقد باشر عوضه الخطابة والامامة

قاضي القضاة كمال الدين الكفرى الحنفى . وفى عصر هذا اليوم توفى القاضي علاء الدين بن القاضي شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبي ، أحد موقعي الدست بدمشق ، وصلى عليه يوم الأربعاء ودفن بالسفح .

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضي القضاة جمال الدين الكفرى الحنفى بجامع يلبغا عوضاً عن الشيخ ناصر الدين بن القونوى رحمه الله تعالى ، وحضر عنده نائب السلطنة الامير سيف الدين قشتمر ، وصلى معه قاضي القضاة تاج الدين الشافى بالشباك الغربى القبلى منه ، وحضر خلق من الاصراء والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وخطب ابن نباتة بأداء حسن وفصاحة بليغة ، هذا مع علم أن كل مركب صعب . وفى يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة توجه الشيخ شرف الدين القاضي الحنبلى إلى الديار المصرية بطلب الامير سيف الدين يلبغا فى كتاب كتبه إليه يستدعيه ويستحثه فى القدوم عليه .

وفى يوم الثلاثاء الثانى شهر رجب سقط اثنان سكارى من سطح بحارة اليهود ، أحدهما مسلم والآخر يهودى ، فمات المسلم من ساعته وانقلعت عين اليهودى وانكسرت يده لعنه الله ، وحمل إلى نائب السلطنة فلم يجر جواباً .

ورجع الشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل بعد ما قارب غزوة لما بلغه من الوباء بالديار المصرية فماد إلى القدس الشريف ، ثم رجع إلى وطنه فأصاب السنة ، وقد وردت كتب كثيرة تخبر بشدة الوباء والطاعون بمصر ، وأنه يضبط من أهلها فى النهار نحو الألف ، وأنه مات جماعة ممن يعرفون كولدى قاضى القضاة تاج الدين المناوى ، وكاتب الحكم ابن الفرات ، وأهل بيته أجمعين ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وجاء الخبر فى أواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر منهم أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكي المصرى بمصر ، وهو شاب لم يستكمل العشرين ، وقد درس بعدة جهات بمصر وخطب ، ففقده والده وتأسف الناس عليه وعزوا فيه عمه قاضى القضاة تاج الدين السبكي قاضى الشافعية بدمشق ، وجاء الخبر بموت قاضى القضاة شهاب الدين أحمد الرباجى المالكي ، كان بحلب ولها مرتين ثم عزل فقصده مصر واستوطنها مدة ليتمكن من السعى فى العودة فأدركته منيته فى هذه السنة من الفناء وولدان له معه أيضاً . وفى يوم السبت سادس شعبان توجه نائب السلطنة فى صحبة جمهور الامراء إلى ناحية تدمر لأجل الأعراب من أصحاب خيار بن مهنا ، ومن النف عليه منهم ، وقد دمر بعضهم بلد تدمر وحرقوا كثيراً من أشجارها ، ورعوها وانهبوا شيئاً كثيراً ، وخرجوا من الطاعة ، وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتملك أملاكهم والخيولة عليهم ، فركب نائب السلطنة بمن معه كما ذكرنا ،

لطردهم عن تلك الناحية ، وفي صحبتهم الأمير حمزة ابن الخياط ، أحد أمراء الطبلخانات ، وقد كان حاجبا لخيار قبل ذلك ، فرجع عنه وألب عليه عند الأمير الكبير بلبغا الخالصكي ، ووعدته إن هو أمره وكبره أن يظفره بخيار وأن يأتيه برأسه ، ففعل معه ذلك ، فقدم إلى دمشق ومعه مرسوم بركوب الجيش معه إلى خيار وأصحابه ، فساروا كما ذكرنا ، فوصلوا إلى تدمر ، وهربت الأعراب من بين يدي نائب الشام يمينا وشمالا ، ولم يواجهوه هيبة له ، ولكنهم يتحرفون على حمزة بن الخياط ، ثم بلغنا أنهم بيتوا الجيش فقتلوا منه طائفة وجرحوا آخرين وأسروا آخرين ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين ﴾

« شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان »

لما كان عشية السبت تاسع عشر شعبان من هذه السنة - أعنى سنة أربع وستين وسبعمائة - قدم أمير من الديار المصرية فنزل بالقصر الأبلق ، وأخبر بزوال مملكة الملك المنصور بن المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومسك واعتقل . وبويع للملك الأشرف شعبان بن حسين الناصر بن المنصور قلاوون ، وله من العمر قريب العشرين ، فدقت البشارة بالقلعة المنصورة ، وأصبح الناس يوم الأحد في الزينة . وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين والصاحب سعد الدين ماجد ناظر الدواوين ، أنه لما كان يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان عزل الملك المنصور وأودع منزله وأجلس الملك الأشرف ناصر الدين شعبان على سرير الملك ، وبويع لذلك ، وقد وقع رعد في هذا اليوم ومطر كثير ، وجرت المزاريب ، فصار غدرانا في الطرقات ، وذلك في خامس حزيران ، فتمعجب الناس من ذلك ، هذا وقد وقع وباء في مصر في أول شعبان ، فتزايد وجمهوره في اليهود ، وقد وصلوا إلى الخمسين في كل يوم وبالله المستعان .

وفي يوم الاثنين سابعه اشتهر الخبر عن الجيش بأن الأعراب اعترضوا التجريدة القاصدين إلى الرحبة واقفوهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا ، وقد سار البريد خلف النائب والأمراء ليقدموا إلى البلد لأجل البيعة للسلطان الجديد ، جعله الله مباركا على المسلمين ، ثم قدم جماعة من الأمراء المنهزمين من الأعراب في أسوأ حال وذلة ، ثم جاء البريد من الديار المصرية بدمهم إلى العسكر الذي مع نائب السلطنة على تدمر ، متوعدين بأنواع العقوبات ، وقطع الاقطاعات . وفي شهر رمضان تفانم الحال بسبب الطاعون فانا لله وإنا إليه راجعون ، وجمهوره في اليهود لعله قد فقد منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خبيثة ، كما أخبرني بذلك القاضي صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال ، ثم كثر ذلك فيهم في شهر رمضان جداً ، وعدة العدة من المسلمين والذمة بالثمانين . وفي يوم السبت حادي عشره صلينا بعد الظهر على الشيخ المعمر الصدر بدر الدين محمد ابن

الرفاق المعروف بابن الجوجي ، وعلى الشيخ صلاح الدين محمد بن شاكر الليثي ، تفرد في صناعته وجمع تاريخاً مفيداً نحواً من عشر مجلدات ، وكان يحفظ ويذاكر ويفيد رحمه الله وسامحه ، انتهى .

﴿ وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة ﴾

« الحجبي الشافعي ومباشرة قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بعده »

كانت وفاته يوم الاثنين بعد الظهر قريباً من العصر ، فصلى بالناس بالحراب صلاة العصر قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي عوضاً عنه ، وصلى بالناس الصبح أيضاً ، وقرأ بآخراً المائدة من قوله (يوم يجمع الله الرسل) ثم لما طلعت الشمس وزال وقت الكراهة صلى على الخطيب جمال الدين عند باب الخطابة ، وكان الجمع في الجامع كثيراً ، وخرج بجنائزته من باب البريد ، وخرج معه طائفة من العوام وغيرهم ، وقد حضر جنازته بالصالحية على ما ذكر جم غفير وخلق كثير ، ونال قاضي القضاة الشافعي من بعض الجهلة إساءة أدب ، فأخذ منهم جماعة وأدبوا ، وحضر هو بنفسه صلاة الظهر يومئذ ، وكذا باشر الظهر والعصر في بقية الأيام ، يأتي للجامع في محفل من الفقهاء والأعيان وغيرهم ، ذهاباً وإياباً ، وخطب عنه يوم الجمعة الشيخ جمال الدين بن قاضي القضاة ، و [منع] تاج الدين من المباشرة ، حتى يأتي التشریف .

وفي يوم الاثنين بعد العصر صلى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالله البعلبكي ، المعروف بابن النقيب ، ودفن بالصوفية وقد قارب السبعين وجاورها ، وكان بارعاً في القراءات والنحو والتصريف والعربية ، وله يد في الفقه وغير ذلك ، وولى مكانه مشيخة الاقراء بأمر الصالح شمس الدين محمد بن اللبان ، وبالتربة الأشرفية الشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن السلار ، وقدم نائب السلطنة من ناحية الرحبة وتدمر وفي صحبته الجيش الذين كانوا معه بسبب محاربتهم إلى [أولاد] مهنا وذويهم من الأعراب في يوم الأربعاء سادس شوال .

وفي ليلة الأحد عاشره توفي الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك ، وكيل بيت المال ، وموقع الدست ، وصلى عليه صبيحة الأحد بالجامع ، ودفن بالصوفية ، وقيد كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب ، وله الأشعار الفائقة ، والفنون المتنوعة ، وجمع ووصف وألف ، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات .

وفي يوم السبت عاشره جمع القضاة والأعيان بدار السعادة وكتبوا خطوطهم بالرضى بخطابة قاضي القضاة تاج الدين السبكي بالجامع الأموي ، وكانت نائب السلطنة في ذلك .

وفي يوم الأحد حادي عشره استقر عزل نائب السلطنة سيف الدين قشتمر عن نيابة دمشق وأمر بالمسير إلى نيابة صغد فأُنزل أهله بدار طيبغا حجبي من الشرق الأعلى ، وبرز هو إلى سطح

المزة ذاهبا إلى ناحية صفد . وخرج المحمل صحبة الحميسج وهم جم غفير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال .

وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من شوال توفى القاضى أمين الدين أبو حيان ابن أخى قاضى القضاة تاج الدين المسلاتى الممالكى وزوج ابنته ونائبه فى الحكم مطلقا وفى القضاء والتدريس فى غيبته ، فعاجلته المنية .

ومن غريب ما وقع فى أواخر هذا الشهر أنه اشتهر بين النساء وكثير من العوام أن رجلا رأى مناما فيه أنه رأى النبى ﷺ عند شجرة توتة عند مسجد ضرار خارج باب شرقى ، فتبادر النساء إلى تخليق تلك التوتة ، وأخذوا أوراقها للاستشفاء من الوباء ، ولكن لم يظهر صدق ذلك المنام ، ولا يصح عن يرويه . وفى يوم الجمعة سابع شهر ذى القعدة خطب بجامعة دمشق قاضى القضاة تاج الدين السبكي خطبة بليغة فصيحة أداها أداء حسنا ، وقد كان يحس من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم يتكلم أحد منهم بل ضجوا عند الموعظة وغيرها ، وأعجبهم الخطيب وخطبته وأداؤه وتبليغه ومهابتة ، واستمر يخطب هو بنفسه .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره توفى الصاحب تقي الدين سليمان بن مراجل ناظر الجامع الأموى وغيره ، وقد باشر نظر الجامع فى أيام تنكز ، وعمر الجانب الغربى من الحائط القبلى ، وكمل رخامه كله ، وفتح محرابا للحنفية فى الحائط القبلى ، ومحرابا للحنابلة فيه أيضا فى غربيه ، وأثر أشياء كثيرة فيه ، وكانت له همة وينسب إلى أمانة وصرامة ومباشرة مشكورة مشهورة ، ودفن بتربة أنشأها تجاه داره بالقبليات رحمه الله ، وقد جاوز الثمانين .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره توفى الشيخ بهاء الدين عبد الوهاب الأخمى المصرى ، إمام مسجد درب الحجر ، وصلى عليه بعد العصر بالجامع الأموى ، ودفن بقصر ابن الحلج عند الطيوريين بزواية لبعض الفقراء الخزانة هناك ، وقد كان له يد فى أصول الفقه ، وصنف فى الكلام كتابا مشتملا على أشياء مقبولة وغير مقبولة ، انتهى .

﴿ دخول نائب السلطنة منكلى بغا ﴾

فى يوم الخميس السابع والعشرين من ذى القعدة دخل نائب السلطنة منكلى بغا من حلب إلى دمشق نائبا عليها فى تجمل هائل ، ولكنه مستمرض فى بدنه بسبب ما كان ناله من التعب فى مصابرة الأعراب ، فنزل دار السعادة على العادة . وفى يوم الاثنين مستهل ذى الحجة خلع على قاضى القضاة تاج الدين السبكي الشافى للخطابة بجامعة دمشق ، واستمر على ما كان عليه يخطب بنفسه كل جمعة وفى يوم الثلاثاء ثانیه قدم القاضى فتح الدين بن الشهيد ولبس الخلمعة وراح الناس لتهنئته

وفي يوم الخميس حضر القاضي فتح الدين بن الشهيد كاتب السر مشيخة السمساطية، وحضر عنده القضاة والاعيان بعد الظهر، وخام عليه لذلك أيضاً، وحضر فيها من الغد على المادة، وخام في هذا اليوم على وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرهاوى وعلى الشيخ شهاب الدين الزهرى بفتيا دار العدل. انتهى. ﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وساطان الدير المصرية والشامية والحرمين وما يتبع ذلك الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن سيدى حسين بن الساطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحى، وهو فى عمر عشر سنين، ومدبر الممالك بين يديه الأمير الكبير نظام الملك سيف الدين يلبغا الخالصى، وقضاة مصرهم المذكورون فى السنة التى قبلها، ووزيها نجر الدين بن قزوينة، ونائب دمشق الأمير سيف الدين منسكى بغا الشمسى، وهو مشكور السيرة، وقضاةهم المذكورون فى السنة التى قبلها، ونظر الدواوين بها الصاحب سعد الدين ماجد، ونظر الجيش علم الدين داود، وكاتب السر القاضي فتح الدين بن الشهيد، ووكيل بيت المال القاضي جمال الدين بن الرهاوى.

استهلت هذه السنة وداة الغناء موجود فى الناس، إلا أنه خف وقل والله الحمد. وفى يوم السبت توجه قاضى القضاة- وكان بهاء الدين أبو البقاء السبكي- إلى الدير المصرية مطلوباً من جهة الأمير يلبغا وفى الكتاب إجابته له إلى مسائل، وتوجه بعده قاضى القضاة ناج الدين الحساك بدمشق وخطيبها يوم الاثنين الرابع عشر من المحرم، على خيل البريد، وتوجه بهما الشيخ شرف الدين ابن قاضى الجبل الحنبلى، مطلوباً إلى الدير المصرية، وكذلك توجه الشيخ زين الدين المنفلوطى مطلوباً.

وتوفى فى العشر الأوسط من المحرم صاحبنا الشيخ شمس الدين بن العطار الشافعى، كان لديه فضيلة واشتغال، وله فهم، وعلق بخطه فوائد جيدة، وكان إماماً بالسجن من مشهد على بن الحسين بجامع دمشق، ومصدراً بالجامع، وقيماً بالمدارس، وله مدرسة الحديث الوادعية، وجاوز الحسين بسنوات، ولم يتزوج قط. وقدم الركب الشامى إلى دمشق فى اليوم الرابع والعشرين من المحرم، وهم شاكرون مثنون فى كل خير بهذه السنة أمناً ورخصاً والله الحمد.

وفى يوم الأحد حادى عشر صفر درس بالمدرسة الفتحية صاحبنا الشيخ عماد الدين إسماعيل بن خليفة الشافعى، وحضر عنده جماعة من الأعيان والفضلاء، وأخذ فى قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهراً).

وفى يوم الخميس خامس عشره نودى فى البلد دلى أهل الذمة بالزامهم بالصغار وتصغير المهائم، وأن لا يستخدموا فى شئ من الأعمال، وأن لا يركبوا الخيل ولا البغال، ويركبون الحمير بالأفكف بالعرض، وأن يكون فى رقابهم ورقاب نسائهم فى الحمامات أجراس، وأن يكون أحد النعلين أسود

مخالفاً للون الاخرى ، ففرح بذلك المسلمون ودعوا للامر بذلك .

وفي يوم الاحد ثالث ربيع الأول قدم قاضي القضاة تاج الدين من الديار المصرية مستمراً على القضاء والخطابة ، فتمتقاه الناس وهنأوه بالود والسلامة . وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي صاحب الهندى الخلع لنعلمة لنظر الدواوين بدمشق ، وهنأه الناس ، وبأثر بصراة واستعمل في غالب الجهات من أبناء السبيل .

وفي يوم الاثنين - ادى عشره رجب قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح دلي خيل البريد إلى الديار المصرية لتولية قضاء قضاء الشافعية بدمشق ، عن رضا من خاله قاضي القضاة تاج الدين ، ونزوله عن ذلك .

وفي يوم الخميس خامس ربيع الأول احترقت الباسورة التي ظاهر باب الفرج على الجسر ، ونزل حجارة الباب شيء من حريقها فانسفت ، وقد حضر طفيها نائب السلطنة والمجاوب الكبير ، ونائب القلعة والولادة وغيرهم . وفي صبيحة هذا اليوم زاد النهر زيادة عظيمة بسبب كثرة الأمطار وذلك في أوائل كانون الثاني ، وركب الماء سوق الخيل بكمله ، ووصل إلى ظاهر باب الفرديس ، وتلك النواحي ، وكسر جسر الخشب الذي عند جامع يلبغا ، وجاء تصدم به جسر الزلايية فكسره أيضاً .

وفي يوم الخميس ثاني عشره صرف حاجب الحجاب قارى عن المباشرة بدار السمادة ، وأخذت القضاة من يده وانصرف إلى داره في أقل من الناس ، واستبشر بذلك كثير من الناس ، لكثرة ما كان يفتات على الأحكام الشرعية .

وفي أواخره اشتهر موت القاضي تاج الدين المناوى بديار مصر وولاية قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقعة السبكي مكانه بقضاء المساكين بها ، وودلة السلطان أيضاً ، ورتب له مع ذلك كفايته . وتولى في هذه الأيام الشيخ سراج الدين البلقيني إفتاء دار العدل مع الشيخ بهاء الدين أحمد بن قاضي القضاة السبكي بالشام ، وقد ولى هو أيضاً القضاء بالشام كما تقدم ، ثم عاد إلى مصر وفراً مكرماً وعاد أخوه تاج الدين إلى الشام ، وكذلك ولوا مع البلقيني إفتاء دار العدل الحنفي [شيخنا] يقال له الشيخ شمس الدين بن الصائغ ، وهو مفتي حنفي أيضاً .

وفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول توفي الشيخ نور الدين محمد بن الشيخ أبي بكر قوام بزوايتهم بسفح جبل قاسيون ، وغدا الناس إلى جنازته ، وقد كان من العلماء الفضلاء الفقهاء بمنهجه الشافعي ، درس بالناصرية البرانية مدة سنين بعد أبيه ، وبالرباط الدويداري داخل باب الفرج ، وكان يحضر المدارس ، ونزل عندنا بالمدرسة النجيبية ، وكان يحب السنة ويفهمها جيداً رحمه الله .

وفي مستهل جمادى الأولى ولى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى مشيخة دار الحديث بالمدرسة التى فتحت بدرب القلبي ، وكانت داراً لوافقها جمال الدين عبد الله بن محمد بن عيسى الزمى ، الذى كان أستاذاً الأمير طاز ، وجعل فيها درساً للحنابلة ، وجعل المدرس لهم الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن قيم الجوزية ، وحضر الدرس وحضر عنده بعض الحنابلة بالدرس ، ثم جرت أمور بطول بسطها . واستحضر نائب السلطنة شهود الحنابلة بالدرس واستفرد كلا منهم وسأله كيف شهد فى أصل الكتاب - المحضر - الذى أثبتوا عليهم ، فاضطربوا فى الشهادات فضبط ذلك عليهم ، وفيه مخالفة كبيرة لما شهدوا به فى أصل المحضر ، وشنع عليهم كثير من الناس ، ثم ظهرت ديون كثيرة لبيت طاز على جمال الدين الزمى الواقف ، وطلب من القاضى المالكي أن يحكم بإبطال ما حكم به الحنبلى ، فتوقف فى ذلك . وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منه ، قرىء كتاب السلطان بصرف الوكلاء من أبواب القضاة الأربعة فصرفوا .

وفى شهر جمادى الآخرة توفى الشيخ شمس الدين شيخ الحنابلة بالصالحية ويعرف بالبيرى يوم الخميس ثمانه ، صلى عليه بالجامع المظفرى بعد العصر ودفن بالسفح وقد قارب الثمانين .

وفى الرابع عشر منه عقد بدار السعادة مجلس حافل اجتمع فيه القضاة الأربعة وجماعة من المفتين ، وطلبت فحضرت معهم بسبب المدرسة التدمرية وقرابة الواقف ودعواهم أنه وقف عليهم الثالث ، فوقف الحنبلى فى أمرهم ودافعهم عن ذلك أشد الدفاع .

وفى العشر الأول من رجب وجد جراد كثير منقشر ، ثم تزايد وتراكم وتضاعف وتفاقم الأمر بسببه ، وسد الأرض كثرة وعات ميمنا وشملا ، وأفسد شيئا كثيراً من الكروم والمقانى والزروعات النفيسة ، وأناف للناس شيئاً كثيراً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان توجه القضاة ووكيل بيت المال إلى باب كيسان فوقفوا عليه وعلى هيئته ومن نية نائب السلطنة فتحه ليتفرج الناس به . وعدم للناس غلات كثيرة وأشياء من أنواع الزروع بسبب كثرة الجراد ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتى سنة ﴾

وفى يوم الاربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان ، وشرع الصناعت فى فتحه عن مرسوم السلطان الوارد من الديار المصرية ، وأمر نائب السلطنة وإذن القضاة فى ذلك ، واستهل رمضان وهم فى العمل فيه .

وفى العشر الاخير من شعبان توفى الشريف شمس الدين محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى المحدث المحصل ، المؤلف لاشياء مهمة ، وفى الحديث قرأ وسمع وجمع وكتب أسماء رجال

بمسند الامام أحمد، واختصر كتاباً في أسماء الرجال مفيداً، وولى مشيخة الحديث التي وقفها في داره بهاء الدين القاسم بن عساكر، داخل باب توما، وختمت البخاريات في آخر شهر رمضان.

ووقع بين الشيخ عماد الدين بن السراج قارىء البخارى عند محراب الصحابة، وبين الشيخ بدر الدين بن الشيخ جمال الدين الشريشني، وتها ترا على رؤس الاشهاد بسبب لفظه «يبتز» بمعنى يدخر، وفي نسخة يتير، فحكى ابن السراج عن الحافظ المزى أن الصواب «يبتز» من قول العرب عزب، وصدق في ذلك، فكان منازعه خطأ ابن المزى، فانتصر الآخر للحافظ المزى، فقاد منه بالقول ثم قام والده الشيخ جمال الدين المشار إليه فكشف رأسه على طريقة الصوفية، فكان ابن السراج لم يلتفت إليه، وتدابفوا إلى القاضى الشافعى فانتصر للحافظ المزى، وجرت أمور، ثم اصطلمحوا غير مرة وعزم أولئك على كتب محضر على ابن السراج، ثم انطفت تلك الشرور.

وكثير الموت في أثناء شهر رمضان وقاربت العدة مائة، وربما جاوزت المائة، وربما كانت أقل منها وهو الغالب، ومات جماعة من الأصحاب والمعارف، فانا لله وإنا إليه راجعون. وكثير الجراد في البساتين وعظم الخطب بسببه، وأتلف شيئاً كثيراً من الغلات والثمار والخضراوات، وغلت الأسعار وقلت الثمار، وارتفعت قيم الأشياء فبيع الدبس بما فوق المائتين القنطار، والرز بأزيد من ذلك. وتكامل فتح باب كيسان وسموه الباب القبلى، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة، وعرضه أزيد من عشرة أذرع بالنجارى لأجل عمل الباسورة جنبتيه، ودخلت المارة عليه من المشاة والركبان، وجاء في غاية الحسن، وسلك الناس في حارات اليهود، وانكشف دخلهم وأمن الناس من دخنهم وغشهم ومكرهم وخبثهم، وانفرج الناس بهذا الباب المبارك.

واستهل شوال والجراد قد أتلف شيئاً كثيراً من البلاد، ورعى الخضراوات والأشجار، وأوسع أهل الشام في الفساد، وغلت الأسعار، واستمر الفناء وكثر الضجيج والبكاء، وفقدنا كثيراً من الأصحاب والأصدقاء، فلان مات. وقد تناقص الفناء في هذه المدة وقل الوقع وتناقص للخمسين. وفي شهر ذى القعدة تقاصر الفناء والله الحمد، ونزل العدد إلى العشرين فما حولها، وفي رابعه دخل بالفيل والزرافة إلى مدينة دمشق من القاهرة، فأنزل في الميدان الأخضر قريباً من القصر الأبلق، وذهب الناس للنظر إليهما على العادة.

وفي يوم الجمعة تاسعه صلى على الشيخ جمال الدين عبد الصمد بن خليل البغدادي، المعروف بابن الخضري، محدث بغداد وواعظها، كان من أهل السنة والجماعة رحمه الله انتهى.

﴿تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق ولم يتفق ذلك فيما أعلم منذ فتوح الشام إلى الآن﴾

اتفق ذلك في يوم الجمعة الثالث، ثم تبين أنه الرابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة

بالجامع الذي جدد بناءه فأبى الشام سيف الدين منكلى بغا ، بدرزب البلاغة قبلى مسجد درب الحجر ، داخل باب كيسان المجدد فتحه ، فى هذا الحين كما تقدم ، وهو معروف عند العارة بمسجد الشاذورى ، وإنما هو فى تاريخ ابن عساکر مسجد الشهر زورى ، وكان المسجد رث الهيئة قد تقدم عهده مدة دهر ، وهجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليل ، فوسمه من قبله وسقته جديدا ، وجعل له صرحا شمالية مبلطة ، وروايات على هيئة الجوامع ، والداخل بأوابه على العادة ، وداخل ذلك رواق كبير له جناحان شرقى وغربى ، بأعمدة وقناطر ، وقد كان قديماً كنيسة فأخذت منهم قبل الخمائة ، وعملت مسجداً ، فلم يزل كذلك إلى هذا الحين ، فلما كل كما ذكرنا وسبق إليه الماء من القنوات ، ووضع فيه منبر مستعمل كذلك ، فيومئذ ركب نائب السلطنة ودخل البلد من باب كيسان وانعطف على حارة اليهود حتى انتهى إلى الجامع المذكور ، وقد استكشف الناس عنده من قضاء وأعيان وخاسة وعامة ، وقد عين خطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفى ، مدرس الناجية وإمام الحنفية بالجامع الأموى ، فلما أذن الأذان الأول تعذر عليه الخروج من بيت الخطابة ، قيل لمرض عرض له ، وقيل لغير ذلك من حصر أو نحوه ، فخطب الناس يومئذ قاضى القضاة جمال الدين الحنفى الكفرى ، خدمة لنائب السلطنة .

واستهل شهر ذى الحجة وقد رفع الله الوباء عن دمشق وله الحد والمنة . وأهل البلد يموتون على العادة ولا يمرض أحد بتلك العلة ، ولكن المرض المعتاد ، انتهى .

✽ ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمائة ✽

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الأشرف ناصر الدين شعبان ، والدولة بمصر والشام هم هم ، ودخل المحمل السلطانى صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين منه ، وذكروا أنهم نالهم فى الرجعة شدة شديدة من الغلاء وموت الجبال وهرب الجمالين ، وقدم مع الركب ممن خرج من الديار المصرية قاضى القضاة بدر الدين بن أبى الفتح ، وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خال تاج الدين يحكم فيما يحكم فيه مستقلا معه ومنفردا بعده .

وفى شهر الله المحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قريتين من وادى التيم وهم مشعرا وتلبتائنا ، وسبب ذلك أنهما عاصيان وأهلهما مفسدان فى الأرض ، والبلدان والأرض حصينان لا يصل إليهما إلا بكلفة كثيرة لا يرتقى إليهما إلا فارس فارس ، فخر بتنا وعمر بدلها فى أسفل الوادى ، بحيث يصل إليهما حكم الحاكم والطلب بسهولة ، فأخبرنى الملك صلاح الدين ابن الكامل أن بلدة تلبتائنا عمل فيها ألف فارس ، ونقل نقضها إلى أسفل الوادى خمسمائة حمار عدة أيام .

وفى يوم الجمعة سادس صفر بعد الصلاة صلى على قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن قاضى

القضاة شرف الدين أحمد بن أفضى القضاة بن الحسين المزى الحنفى ، وكانت وفاته ليلة الجمعة المذكورة بعد مرض قريب من شهر ، وقد جاوز الأربعين بثلاث من السنين ، ولى قضاء قضاء الحنفية ، وخطب بالجامع بلبغا ، وأحضر مشيخة النفيسية ، ودرس بأماكن من مدارس الحنفية ، وهو أول من خطب بالجامع المستجد داخل باب كيسان بحضرة نائب السلطنة .

وفى صفر كانت وفاة الشيخ جمال الدين عمر بن القاضى عبد الحى بن إدريس الحنبلى محتسب بغداد ، وقاضى الحنابلة بها ، فتمصبت عليه الروافض حتى ضرب بين يدي الوزارة ضرباً مبرحاً ، كان سبب موته سر يما رحمه الله ، وكان من القائمين بالحق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، من أكبر المنكرين على الروافض وغيرهم من أهل البدع رحمه الله ، وبل بالرحمة تراه .

وفى يوم الأربعاء تاسع صفر حضر مشيخة النفيسية الشيخ شمس الدين بن سند ، وحضر عنده قاضى القضاة تاج الدين وجماعة من الأعيان ، وأورد حديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » أسنده عن قاضى القضاة المشار إليه .

وجاء البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة تاج الدين إلى هناك ، فسير أهله قبله على الجمال ، وخرجوا يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول جماعة من أهل بيتهم لزيارة أهلهم هناك ، فأقام هو بعدهم إلى أن قدم نائب السلطنة من الرحبة وركب على البريد . وفى يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة رجع قاضى القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على البريد وتلقاه الناس إلى أثناء الطريق ، واحتفلوا للسلام عليه وتهنئته بالسلامة انتهى . والله أعلم .

﴿ قتل الرافضى الخبيث ﴾

وفى يوم الخميس سابع عشره أول النهار وجد رجل بالجامع الأموى اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازى ، وهو يسب الشيخين ويصرح بلعنهما ، فرفع إلى القاضى المالكي قاضى القضاة جمال الدين المسلاتى فاستتابه عن ذلك وأحضر الضراب فأول ضربة قال لا إله إلا الله على ولى الله ، ولما ضرب الثانية لعن أبابكر وعمر ، فالتهمه العامة فأوسعوه ضرباً مبرحاً بحيث كاد يهلك ، فحمل القاضى يستكفهم عنه فلم يستطع ذلك ، فحمل الرافضى يسب ويلعن الصحابة ، وقال : كانوا على الضلال ، فعند ذلك حمل إلى نائب السلطنة وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة ، فعند ذلك حكم عليه القاضى بإراقة دمه ، فأخذ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة قبعة الله ، وكان ممن يقرأ بمدرسة أبى عمر ، ثم ظهر عليه الرفض فسجنه الحنبلى أربعين يوماً ، فلم ينفع ذلك ، وما زال يصرح فى كل موطن يأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر مذهبه فى الجامع ، وكان سبب قتله قبعة الله كما قبس من كان قبله ، وقتل بقتله فى سنة خمس وخمسين .

﴿ استنابة ولي الدين ابن أبي البقاء السبكي ﴾

وفي آخر هذا اليوم - ألقى يوم الخميس ثامن عشره - حكم ألقى القضاة ولي الدين بن قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء بالمدرسة العمدانية الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة تاج الدين مع استنابة ألقى القضاة شمس الدين العزى ، وألقى القضاة بدر الدين بن وهيبة ، وأما قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح فهو نائب أيضاً ، ولكنه بتوقيع شريف أنه يحكم مستفلاً مع قاضي القضاة تاج الدين .

وفي يوم الاثنين الثماني والشرين منه استعصر نائب السلطنة الأمير ناصر الدين بن العاوي متولى البلد وتقم عليه أشياء ، وأمر بضربه فضرب بين يديه على أكتافه ضرباً ليس بمبرح ، ثم عزله واستدعى بالأمير - لم الدين سايمان أحد الأمراء العشر اوات ابن الأمير صفى الدين بن أبي القاسم البصر اوى ، أحد أمراء الطبائخانات ، كان قد ولي شد الدواوين ونظر القدس والخليل وغير ذلك من الولايات الكبار ، وهو ابن الشيخ نجر الدين - ثمان بن الشيخ صفى الدين أبي القاسم التيمحي الحنفي . وبأيديهم -م تدريس الأمينية التي ببصرى والحكيمية أزيد من مائة سنة ، فولاه البلد على تكره منه ، فألزمه بها وخلص عليه ، وقد كان ولها قبل ذلك فأحسن السيرة وشكر سعيه لديانته وأمانته وعفته ، وفرح الناس والله الحمد .

﴿ ولاية قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء السبكي الشافعي ﴾

« لقضاء القضاة بالديار المصرية بعد عزل عز الدين بن جماعة نفسه »

ورد الخبر مع البريد من الديار المصرية بأن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة عزل نفسه عن القضاء يوم الاثنين السادس عشر من هذا الشهر ، وصمم على ذلك ، فبحث الأمير الكبير يلبغا إليه الأمراء يسترضونه فلم يقبل ، فركب إليه بنفسه ومعه القضاة والأعيان فناطفوا به فلم يقبل وصمم على الانزال ، فقال له الأمير الكبير: فعين لنا من يصلح بعدك . قال ولا أقول -كم شيئاً غير أنه لا يتولى رجل واحد ، ثم ولوا من شئتم ، فأخبرني قاضي القضاة تاج الدين السبكي أنه قال لا تولوا ابن عقيل ، فعين الأمير الكبير قاضي القضاة بهاء الدين أبا البقاء فقيل إنه أظهر الامتناع ، ثم قبل ولبس الخلمة وباشير يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، قاضي القضاة الشيخ بهاء الدين بن قاضي القضاة تقي الدين السبكي قضاء العساكر الذي كان بيد أبي البقاء .

وفي يوم الاثنين سابع رجب توفي الشيخ على المراوحى خدام الشيخ أسد المراوحى البغدادي ، وكان فيه مروءة كثيرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدخل على النواب ويرسل إلى الولاة

فتقبل رسالته ، وله قبول عند الناس ، وفيه بر وصدقة وإحسان إلى المحاويج ، وبيده مال جيد يتجرله فيه
تعمال مدة طويلة ثم كانت وفاته في هذا اليوم صلى عليه الظهر بالجامع ، ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله .
وفي صبيحة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر الذي كان
نائب الشام فنزل بداره عند مأذنة فيروز ، وذهب الناس للسلام عليه بعد ما سلم على نائب السلطنة
بدار السعادة ، وقد رسم له بطباختين وتقدمة ألف وولاية الولاية من غزة إلى أقصى بلاد الشام ،
وأكرمه ملك الامراء إكراما زائداً ، وفرحت العامة بذلك فرحاً شديداً بعوده إلى الولاية . وختمت
البخاريات بالجامع الأموي وخيرد في عدة أماكن من ذلك سنة مواعيد تقرأ على الشيخ عماد الدين
ابن كثير في اليوم ، أولها مسجد ابن هشام بكرة قبل طلوع الشمس ، ثم تحت المنبر ، ثم بالمدرسة
النورية ، وبعد الظهر بجامع تنكز ، ثم بالمدرسة العزية ، ثم بالسكوشك لأم الزوجة الست أسماء بنت
الوزير ابن السلعوس ، إلى أذان العصر ، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير على بمحلة القضاة
إلى قريب الغروب ، ويقرأ صحيح مسلم بحراب الحنابلة داخل باب الزيارة بعد قبلة المنبر وقبل
النورية ، والله المستول وهو الميسر المسهل . وقد قرئ في هذه الهيئة في عدة أماكن آخر من
دور الأمراء وخيرهم ، ولم يعهد مثل هذا في السنين الماضية ، فله الحمد والمنة .

وفي يوم الثلاثاء عاشر شوال توفى الشيخ نور لدين بن أبي الهيجاء السكركي الشوبكي ،
ثم لدمشق الشافعي ، كان معنفاً في القري والكتاب ، وختمت أنا وهو في سنة إحدى عشرة ، ونشأ
في صيانة ودفن ، وقرأ على الشيخ بدر الدين بن سيحان السبيع ، ولم يكمل عليه ختمة ، واشتغل
في المنهاج للنواوي فقرأ كثيراً منه أو أكثره ، وكان ينقل منه ويستحضر ، وكان خفيف الروح
تحميه الناس لذلك ويرغبون في عشرته لذلك رحمه الله ، وكان يستحضر المشابهة في القرآن استحضاراً
حسناً متقناً كثير النلاوة له ، حسن الصلاة يقوم الليل ، وقرأ على صحيح البخاري بمشهد ابن هشام
عدة سنين ، ومهر فيه ، وكان صوته جهورياً نصيح العبارة ، ثم ولي مشيخة الحلبية بالجامع وقرأ في
عدة كرامى بالمناظ الشمالي ، وكان مقبولاً عند الخاصة والعامة ، وكان يداوم على قيام العشر الأخير
في محراب الصحابة مع عدة قراء يبيتون فيه ويحيون الليل ، ولما كان في هذه السنة أحياناً ليلة العيد
وحده بالحراب المذكور ثم مرض خمسة أيام ، ثم مات بعد الظهر يوم الثلاثاء عاشر شوال بدرب العميد ،
وصلى عليه العصر بالجامع الأموي ، ودفن بمقابر الباب الصغير عند والده في تربة لهم ، وكانت جنازته
حافلة وتألف الناس عليه ، رحمه الله وبل بالرحمة تراه ، وقد قارب خمسين سنة ، وترك بنتاً سباعية
اسمها عائشة ، وقد أقرأها شيئاً من القرآن إلى تبارك ، وحفظها الأربعة النواوية جبرها ربها
ورحم أبها آمين .

وخرج المحمل الشامي والحجيج يوم الخميس ثاني عشره ، وأميرهم الأ مير علاء الدين علي بن علم الدين الهلالي ، أحد أمراء الطبليخانات .

وتوفي الشيخ عبد الله الماطلي يوم السبت رابع عشره ، وكان مشهوراً بالمجاورة بالكلاسة في الجامع الأموي ، له أشياء كثيرة من الطاريج والآلات الفخرية ، ويلبس على طريقة الحريرية وشكله مزعج ، ومن الناس من كان يعتقد فيه الصلاح ، وكنت ممن يكرهه طبعاً وشرعاً أيضاً .

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة قدم البريد من ناحية المشرق ومعهم قاقم ماء من عين هناك من خاصيته أنه يقبمه طير يسمى السممر أصفر الريش قريب من شكل الخطاف من شأنه إذا قدم الجراد إلى البلد الذي هو فيه أنه يفنيه ويأكله أكلا سريعاً ، فلا يلبث الجراد إلا قليلاً حتى يرحل أو يؤكل على ما ذكر ، ولم أشاهد ذلك .

وفي المنتصف من ذي الحجة كمل بناء القيسارية التي كانت معملاً بالقرب من دار الحجارة ، قبلى سوق الدهشة الذي للرجال ، وفتحت وأكرت دهشة لقماش النساء ، وذلك كله بمرسوم ملك الأمراء ناظر الجامع المعمور رحمه الله ، وأخبرني الصدر عز الدين الصير في المشارف بالجامع أنه غرم عليها من مال الجامع قريب ثلاثين ألف درهم انتهى .

﴿ طرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلوب ﴾

وفي أواخر هذا الشهر جاء المرسوم الشريف بطرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلب أيضاً ، ونودي بذلك في البلد ، فكثرت الدعوات لمن أمر بذلك ، وفرح المسلمون بذلك فرحاشديداً والله الحد والمنة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمائة ﴾

استهات وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك من الأقاليم الملك الأشرف بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمره عشر سنين فما فوقها ، وأنا بك العساكر ومدبر ممالكه الأمير سيف الدين بلغا الخصاصكي ، وقاضي قضاة الشافعية بمصر بهاء الدين أبو البقاء السبكي ، وبقية القضاة هم المذكورون في السنة الماضية ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلى بغا ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنفي فإنه الشيخ جمال الدين بن السراج شيخ الحنفية ، والخطابة بيد قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ، وكاتب السرو شيخ الشيوخ القاضي فتوح الدين بن الشهيد ، ووكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرهاوي . ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة بعد العصر قريب الغروب ، ولم يشعر بذلك أكثر أهل البلد ، وذلك لغيبه النائب في السرحة مما يلي ناحية الفرات ، ليكون كلرد للتجريدة التي تعينت لتخريب الكبيسات التي هي إقطاع خيار بن مهنا من زمن السلطان أويس ملك العراق انتهى .

﴿ استيلاء الفرنج لعنهم الله على مدينة الاسكندرية ﴾

وفي العشر الأخير من شهر الله المحرم احتيط على الفرنج بمدينة دمشق وأودعوا في الحبوس في القلعة المنصورة ، واشتهر أن سبب ذلك أن مدينة الاسكندرية محاصرة بعدة شواين ، وذكر أن صاحب قبرص معهم ، وأن الجيش المصري صمدوا إلى حراسة مدينة الاسكندرية حرسها الله تعالى وصانها وحماها ، وسيأتي تفصيل أمرها في الشهر الآتي ، فانه وضع لنا فيه ، ومكث القوم بعد الاسكندرية بأيام فيما بلغنا ، بعد ذلك حاصرها أمير من التتار يقال له ماميه ، واستعان بطائفة من الفرنج ففتحوها قسراً ، وقتلوا من أهلها خلقاً وغنموا شيئاً كثيراً واستقرت عليها يد ماميه ملكا عليها . وفي يوم الجمعة سابع هذا الشهر توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شمس الدين بن قبيم الجوزية ببستانه بالمزة ، ونقل إلى عند والده بمقابر باب الصغير ، فصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع جراح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان وخلق من التجار والعامّة ، وكانت جنازته حافلة ، وقد بلغ من العمر ثمانياً وأربعين سنة ، وكان بارعا فاضلا في النحو والفقه وفنون أخر على طريقة والده رحمهما الله تعالى ، وكان مدرسا بالصدريّة والتدمرية ، وله تصدير بالجامع ، وخطابة بجامع ابن صلحان ، وترك مالا جزيلا يقارب المائة ألف درهم . انتهى .

ثم دخل شهر صفر وأوله الجمعة ، أخبرني بعض علماء السير أنه اجتمع في هذا اليوم - يوم الجمعة مستهل هذا الشهر - الكواكب السبعة سوى المريخ في برج العقرب ، ولم يتفق مثل هذا من سنين متطاوله ، فأما المريخ فانه كان قد سبق إلى برج القوس فيه . ووردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع بمدينة الاسكندرية من الفرنج لعنهم الله ، وذلك أنهم وصلوا إليها في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر الله المحرم ، فلم يجدوا بها نائبا ولا جيشا ، ولا حائضا للبحر ولا ناصراً ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار بعد ما حرقوا أبوابا كبيرة منها ، وعاثوا في أهلها فساداً ، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال ، فالحكم لله العلي الكبير المتعال . وأقاموا بها يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء ، فلما كان صبيحة يوم الأربعاء قدم الشاليش المصري ، فأقلعت الفرنج لعنهم الله عنها ، وقد أسروا خلقاً كثيراً يقاربون الأربعة آلاف ، وأخذوا من الأموال ذهباً وحريراً وبهاراً وغير ذلك مالا يحصى ولا يوصف ، وقدم السلطان والأمير الكبير يلعبان ظهر يومئذ ، وقد تفارط الحال وتحولت الغنائم كلها إلى الشوائن بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله والاستغاثة به وبالمسلمين ، ما قطع الأكباد ، وذرفت له العيون وأصم الأسماع ، فانا لله وإنا إليه راجعون ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جداً ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر فتباكي [الناس] كثيراً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى

نائب السلطنة بمسك النصرارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربيع أموالهم لعمارة ماخرب من الاسكندرية ، و لعمارة مراكب لغزو الفرنج ، فأهانوا النصرارى وطلبوا من بيوتهم بعنف وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا مايراد بهم ، فهربوا كل مهرب ، ولم تسكن هذه الحركة شرعية ، ولا يجوز اعتمادها شرعا ، وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ بعد الفراغ من لعب الكرة ، فرأيت منه أنسا كثيرا ، ورأيته كامل الرأى والفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة ، فذكرت له أن هذا لايجوز اعتماده فى النصرارى ، فقال إن بعض فقهاء مصر أفنى للأمير الكبير بذلك ، فقلت له : هذا مما لايسوغ شرعا ، ولايجوز لأحد أن يفنى بهذا ، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار ، وأحكام الملة قائمة ، لايجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد - الفرد - فوق مايبذلونه من الجزية ، ومثل هذا لايجزى على الأمير . فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ولا يمكنى أن أخالفه ؟ وذكرت له أشياء كثيرة مما ينبغى اعتماده فى حق أهل قبرص من الارهاب ووعيد العقاب ، وأنه يجوز ذلك وإن لم يفعل مايتوعدهم به ، كما قال سليمان بن داود عليهما السلام : « اتنوني بالسكين أشقه نصفين » كما هو الحديث مبسوط فى الصحيحين ، فجعل يعجبه هذا جدا ، وذكر أن هذا كان فى قلبه وأنى كاشفته بهذا ، وأنه كتب به مطالعة إلى الديار المصرية ، وسألتى جوابها بعد عشرة أيام ، فنجى حتى تقف على الجواب ، وظهر منه إحسان وقبول وإكرام زائد رحمه الله . ثم اجتمعت به فى دار السعادة فى أوائل شهر ربيع الأول فبشرنى أنه قد رسم بعمل الشوائى والمراكب لغزو الفرنج والله الحمد والمنة . ثم فى صبيحة يوم الاحد طالب النصرارى الذين اجتمعوا فى كنيستهم إلى بين يديه وهم قريب من أربع مائة فخافهم كم أموالهم وألزمهم بأداء الربيع من أموالهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد أمروا إلى الولاية باحضارهم فى معاملتهم ، وإلى البر قد خرج إلى القرايا بسبب ذلك ، وجردت أمراء إلى النواحي لاستخلاص الأموال من النصرارى فى القدس وغير ذلك .

وفى أول شهر ربيع الأول كان سفر قاضى القضاة تقي الدين السبكي الشافعى إلى القاهرة . وفى يوم الأربعاء خامس ربيع الأول اجتمعت بنائب السلطنة بدار السعادة وسألته عن جواب المطالعة ، فذكر لى أنه جاء المرسوم الشريف السلطانى بعمل الشوائى والمراكب لغزو قبرص ، وقتال الفرنج والله الحمد والمنة . وأمر نائب السلطنة بتجهيز القطاعين والنشارين من دمشق إلى الغابة التى بالقرب من بيروت ، وأن يشرع فى عمل الشوائى فى آخر يوم من هذا الشهر ، وهو يوم الجمعة . وفتحت دار القرآن التى وقفها الشريف التعدادانى إلى جانب حمام الكلس ، شمالى المدرسة البادرائية ، وعمل فيها وظيفة حديث وحضر واقفها يومية قاضى القضاة تاج الدين السبكي انتهى والله أعلم .

﴿ صفة عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي ﴾

ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب مارمى به قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وكنت ممن طلب إليه ، فحضرته فيمن حضر ، وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة ، وخلق من المذاهب الأربعة ، وآخرون من غيرهم ، بمحضرة نائب الشام سيف الدين منكلي بغا ، وكان قد سافر هو إلى الديار المصرية إلى الابواب الشريفة ، واستنجز كتابا إلى نائب السلطنة لجمع هذا المجلس ليسأل عنه الناس ، وكان قد كتب فيه محضران متما كسان أحدهما له والآخر عليه ، وفي الذي عليه خط القاضيين المالكي والحنبلي ، وجماعة آخرين ، وفيه عظام وأشياء منكرة جدا ينبو السمع عن استماعه . وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالنناء عليه ، وفيه خطي بأني مارأيت فيه إلا خيرا . ولما اجتمعوا أمر نائب السلطنة بأن يمتاز هؤلاء عن هؤلاء في المجالس ، فصارت كل طائفة وحدها ، وتجادوا فيما بينهم ، وتاصل عنه نائبه القاضي شمس الدين الغزوي ، والنائب الآخر بدر الدين بن وهبة وغيرهما ، وصرح قاضي القضاة جمال الدين الحنبلي بأنه قد ثبت عنده ما كتب به خطه فيه ، وأجابه بعض الحاضرين منهم بدائم النفوذ ، فبادر القاضي الغزوي فقال للحنبلي : أنت قد ثبتت عداوتك لقاضي القضاة تاج الدين ، فكثير القول وارتفعت الأصوات وكثر الجدل والمقال ، وتكلم قاضي القضاة جمال الدين المالكي أيضاً بنحو مقال الحنبلي ، فأجيب بمثل ذلك أيضا ، وطال المجلس فانفصلوا على مثل ذلك ، ولما بلغت الباب أمر نائب السلطنة برجوعى إليه ، فاذا بقية الناس من الطرفين والقضاة الثلاثة جلوس ، فأشار نائب السلطنة بالصلح بينهم وبين قاضي القضاة تاج الدين - يعنى وأن يرجع القاضيان عما قالا - فأشار الشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل وأشرت أنا أيضا بذلك فلان المالكي وامتنع الحنبلي ، فقمنا والأمر باق على ماتقدم ، ثم اجتمعنا يوم الجمعة بعد العصر عند نائب السلطنة عن طلبه فتراضوا كيف يكون جواب الكتابات مع مطالعة نائب السلطنة ، ففعل ذلك وسار البريد بذلك إلى الديار المصرية ، ثم اجتمعنا أيضا يوم الجمعة بعد الصلاة التاسع عشر من ربيع الآخر بدار السعادة ، وحضر القضاة الثلاثة وجماعة آخرون ، واجتهد نائب السلطنة على الصلح بين القضاة وقاضي الشافعية وهو بمصر ، فحصل خلف وكلام طويل ، ثم كان الأمر أن سكنت أنفس جماعة منهم إلى ذلك على ما سئد كره في الشهر الآتى .

وفي مستهل ربيع الآخر كانت وفاة المعلم داود الذي كان مباشراً لنظارة الجيش ، وأضيف إليه نظر الدواوين إلى آخر وقت ، فاجتمع له هاتان الوظيفتان ولم يجتمعا لأحد قبله كما في علمي ، وكان من أخبر الناس بنظر الجيش وأعلمهم بأسماء رجاله ، ومواضع الاقطاعات ، وقد كان والده نائبا لنظار

الجوش ، وكان يهوديا قرائيا ، فأسلم ولده هذا قبل وفاة نفسه بسنوات عشر أو نحوها ، وقد كان ظاهره جيدا والله أعلم بسره وسريته ، وقد تمرض قبل وفاته بشهر أو نحوه ، حتى كانت وفاته في هذا اليوم فصلى عليه بالجامع الأموي تجاه النسر بعد العصر ، ثم حمل إلى تربة له أعدها في بستانه بجوش ، وله من العمر قريب الخمسين .

وفي أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطاني بالرد على نساء النصارى ما كان أخذ منهن مع الجباية التي كان تقدم أخذها منهن ، وإن كان الجميع ظلما ، ولكن الأخذ من النساء أخش وأبلغ في الظلم ، والله أعلم . وفي يوم الاثنين الخامس عشر منه أمر نائب السلطنة أعزه الله بكبس بستين أهل الذمة فوجد فيها من الخمر المعتصر من الخواجي والحباب فأريقت عن آخرها والله الحمد والمنة ، بحيث جرت في الأزقة والطرقات ، وقاض نهر توزان ذلك ، وأمر بمصادرة أهل الذمة الذين وجد عندهم ذلك بمال جزيل ، وهم تحت الجباية ، وبعد أيام نودي في البلد بأن نساء أهل الذمة لا تدخل الحمامات مع المسلمات ، بل تدخل حمامات تختص بهن ، ومن دخل من أهل الذمة الرجال مع الرجال المسلمين يكون في رقاب الكفار علامات يعرفون بها من أجراس وخواتيم ونحو ذلك ، وأمر نساء أهل الذمة بأن تلبس المرأة خفيها مخالفين في اللون بأن يكون أحدهما أبيض والآخر أصفر أو نحو ذلك .

ولما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر - أعنى ربيع الآخر - طلب القضاة الثلاثة وجماعة من المفتين : فن ناحية الشافعي نائباه ، وهما القاضي شمس الدين الغزالي والقاضي بدر الدين بن وهبة ، والشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني ، والمصنف الشيخ عماد الدين بن كثير والشيخ بدر الدين حسن الزرعي ، والشيخ آقاي الدين الفارقي . ومن الجانب الآخر قاضيا القضاة جمال الدين المالكي والحنبلي ، والشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل الحنبلي ، والشيخ جمال الدين ابن الشريشني ، والشيخ عز الدين بن حمزة بن شيخ السلامة الحنبلي ، وعماد الدين الحنائي ، فاجتمعت مع نائب السلطنة بالقاعة التي في صدر إيوان دار السعادة ، وجاس نائب السلطنة في صدر المكان ، وجلسنا حوله ، فكان أول ما قال : كنا نحن الترك وغيرنا إذا اختلفنا واختصمنا نجىء بالعلماء فيصلحون بيننا ، فصرنا نحن إذا اختلفت العلماء واختصموا فن يصلح بينهم ؟ وشرع في تأنيب من شنع على الشافعي بما تقدم ذكره من تلك الأقوال والأفاعيل التي كتبت في تلك الأوراق وغيرها ، وأن هذا يشفي الأعداء بنا ، وأشار بالصلح بين القضاة بعضهم من بعض فصمم بعضهم وامتنع ، وجرت مناقشات من بعض الحاضرين فيما بينهم ، ثم حصل بحث في مسائل ثم قال نائب السلطنة أخيراً : أما سمعتم قول الله تعالى (عفا الله عما سلف) فلانت القلوب عند

ذلك وأمر كاتب السر أن يكتب مضمون ذلك في مطالعة إلى الديار المصرية ، ثم خرجنا على ذلك انتهى والله أعلم ﴿ عودة قاضي القضاة تاج الدين السبكي إلى دمشق الحرسة ﴾

في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم من ناحية الكسوة وقد تلقاه جماعة من الأعيان إلى الصمين وما فوقها ، فلما وصل إلى الكسوة كثر الناس جدا وقاربها قاضي قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج ، فلما أشرف من عقبه شحورا تلقاه خلأق لا يحصون كثرة وأشملت الشموع حتى مع النساء ، والناس في سرور عظيم ، فلما كان قريبا من الجسورة تلقته الخلائق الخلفيين مع الجوامع والمؤذنون يكبرون ، والناس في سرور عظيم ، ولما قارب باب النصر وقع مطر عظيم والناس معه لا تسعهم الطرقات ، يدعون له ويفرحون بقدومه ، فدخل دار السعادة وسلم على نائب السلطنة ، ثم دخل الجامع بعد العصر ومعه شموع كثيرة ، والرؤساء أكثر من العامة . ولما كان يوم الجمعة ثاني شهر جمادى الآخرة ركب قاضي القضاة السبكي إلى دار السعادة وقد استدعى نائب السلطنة بالقاضيين المالكي والحنبلي ، فأصلح بينهم ، وخرج من عنده ثلاثتهم يتماشون إلى الجامع ، فدخلوا دار الخطابة فاجتمعوا هناك ، وضيفهما الشافعي ، ثم حضرا خطبته الحافلة بالبليغة الفصيحة ، ثم خرجوا ثلاثتهم من جوار دار المالكي ، فاجتمعوا هناك وضيفهم المالكي هنالك ما تيسر . والله الموفق للصواب .

وفي أوائل هذا الشهر وردت المراسيم الشريفة السلطانية من الديار المصرية بأن يجعل للأمير من إقطاعه النصف خاصا له ، وفي النصف الآخر يكون لأجناده ، فحصل بهذا رفق عظيم بالجند ، وعدل كثير والله الحمد ، وأن يتجهز الأجناد ويحرسوا على السبق والرمي بالنشاب ، وأن يكونوا مستعدين متى استنفروا نفر وا ، فاستعدوا لذلك وتأهبوا لقتال الفرنج ، كما قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الآية . وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال على المنبر « ألا إن القوة الرمي » . وفي الحديث الآخر « ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي » .

وفي يوم الاثنين بعد الظهر عقد مجلس بدار السعادة للكشف على قاضي القضاة جمال الدين المرادوى الحنبلي بمقتضى مرسوم شريف ورد من الديار المصرية بذلك ، وذلك بسبب ما يعتمده كثير من شهود مجلسه من بيع أوقاف لم يستوف فيها شرائط المذهب ، وإثبات إعسارات أيضا كذلك وغير ذلك انتهى .

﴿ الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية ﴾

وفي العشر الأخير من جمادى الآخرة ورد الخبر بأن الأمير الكبير يلبغا الخالصكي خرج عليه

جماعة من الأمراء مع الأمير سيف الدين طيبغا الطويل ، فبرز إليهم إلى قبة القصر فالتقوا معه هنالك ، فقتل جماعة وجرح آخرون ، وانفصل الحال على مسك طيبغا الطويل وهو جريح ، ومسك أرغون السمردي اللويدار ، وخاق من أمراء الأتوف والطباخانات ، وجرت خبطة عظيمة استمر فيها الأمير الكبير يلبنغا دلي عزه وتأييده ونصره والله الحمد والمنة . وفي ثاني رجب يوم السبت توجه الأمير سيف الدين بيدمر الذي كان نائب دمشق إلى الديار المصرية بطلب الأمير يلبنغا ليؤكد أمره في دخول البحر لقتال الفرنج وفتح قبرص إن شاء الله ، انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ مما يتعلق بأمر بغداد ﴾

أخبرني الشيخ عبد الرحمن البغدادي أحد رؤساء بغداد وأصحاب التجارات ، والشيخ شهاب الدين العطار - السمسار في الشرب بغدادي أيضا - أن بغداد بعد أن استعادها أويس ملك العراق وخراسان من يد الطواشي مرجان ، واستحضره فأكرمه وأطلق له ، فاتفقا أن أصل الفتنة من الأمير أحمد أخو الوزير ، فأحضره السلطان إلى بين يديه وضربه بسكين في كرشه فشقه ، وأمر بعض الأمراء فقتله ، فانتصر أهل السنة لذلك نصره عظيمة ، وأخذ خشبته أهل باب الأزج فأحرقوه وسكنت الأمور وتشفوا بمقتل الشيخ جمال الدين الأنباري الذي قتله الوزير الراضى فأهلكه الله بعده سريعا انتهى .

﴿ وفاة قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن حاتم الشافعي ﴾

وفي العشر الأول من شهر شعبان قدم كتاب من الديار المصرية بوفاة قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة بمكة شرفها الله ، في العاشر من جمادى الآخرة ودفن في الحادي عشر في باب المعلى وذكروا أنه توفي وهو يقرأ القرآن ، وأخبرني صاحب الشيخ محي الدين الرحي حفظه الله تعالى أنه كان يقول كثيرا : أشتهى أن أموت وأنا معزول ، وأن تكون وقاتي بأحد الحرمين ، فأعطاه الله ما تمناه : عزل نفسه في السنة الماضية ، وهاجر إلى مكة ، ثم قدم المدينة لزيارة رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكة ، وكانت وفاته بها في الوقت المذكور ، فرحمه الله وبل بالرحمة تراه . وقد كان مولده في سنة أربع وتسعين ، فتوفي عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد نال العز في الدنيا ورفعة هائلة ، ومناصب وتداريس كبار ، ثم عزل نفسه وتفرغ للعبادة والمجاورة بالحرمين الشريفين ، فيقال له ما قلته في بعض المراتي . فكأنك قد أعلمت بالموت حتى * تزودت له من خيار الزاد .

وحضر عندي في يوم الثلاثاء تاسع شوال البتريك بشارة الملقب بميخائيل ، وأخبرني أن المطارنة بالشام بايعوه على أن جعلوه بتركا بدمشق عوضا عن البتريك بانطاكية ، فذكرت له أن هذا أمر مبتدع في دينهم ، فإنه لا تكون البتراكة إلا أربعة بالاسكندرية وبالقدس وبانطاكية وبرومية ، فنقل بترك

رومية إلى اسطنبول وهي القسطنطينية ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذي ابتدعه في هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنه في الحقيقة هو عن إنطاكية ، وإنما أذن له في المقام بالشام الشريف لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والنكال والجنابة بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الاسكندرية ، وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك اسطنبول وقراها على من لفظه لعنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضا . وقد تكلمت معه في دينهم ونصوص ما يمتدده كل من الطوائف الثلاثة ، وهم الملكية واليعقوبية ومنهم الافرنج والقبط ، والذسطورية ، فاذا هو يفهم بعض الشيء ، ولكن حاصله أنه حمار من أ كفر الكفار لعنه الله .

وفي هذا الشهر بلغنا استعادة السلطان أويس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد من يد الطواشي مرجان الذي كان نائبه عليهما ، وامتنع من طاعة أويس ، فجاها إليه في جمافل كثيرة فهرب مرجان ودخل أويس إلى بغداد دخولا هائلا ، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم السبت السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر من الديار المصرية على البريد أمير مائة مقدم ألف ، وعلى نيابة يلبغا في جميع دواوينه بدمشق وغيرها ، وعلى إمارة البحر وعمل المراكب ، فلما قدم أمر بجمع جميع النشارين والنجارين والحدادين وتجهيزهم لبيروت لقطع الأخشاب ، فسيروا يوم الأربعاء ثاني رمضان وهو عازم على الاحاق بهم إلى هنالك وبالله المستعان . ثم أتبعوا بآخرين من نجارين وحدادين وعتالين وغير ذلك ، وجعلوا كل من وجدوه من ركاب الحمر ينزلونه ويركبوا إلى ناحية البقاع ، وسخروا لهم من الصناعات وغيرهم ، وجرت خبطة عظيمة وتباكى عوائلهم وأطفالهم ، ولم يسلفوا شيئا من أجورهم ، وكان من اللائق أن يسلفوه حتى يتركوه إلى أولادهم .

وخطب برهان الدين المقدسي الحنفي بجامع يلبغا عن تقي الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكفري ، بمرسوم شريف ومرسوم نائب صفد استدمر أخى يلبغا ، وشق ذلك عليه وعلى جده وجماعتهم ، وذلك يوم الجمعة الرابع من رمضان ، وهذا وحضر عنده خلق كثير .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه قرئ تقليد قاضي القضاة شرف الدين بن قاضي الجبل لقضاء الحنابلة ، عوضا عن قاضي القضاة جمال الدين المرادوى ، عزل هو والمالكي معه أيضا ، بسبب أمور تقدم نسبتها لها وقرئ التقليد بحراب الحنابلة ، وحضر عنده الشافعي والحنفي ، وكان المالكي معتكفا بالقاعة من المنارة الغربية ، فلم يخرج إليهم لأنه معزول أيضا برأى قاضي حماة ، وقد وقعت شرور وتخبيط بالصالحية وغيرها .

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثلاثين من شهر رمضان خلع على قاضي القضاة سري الدين إسماعيل المالكي ، قدم من حماة على قضاء المالكية ، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي ، عزل عن المنصب ، وقرئ تقليده بمقصورة المالكية من الجامع ، وحضر عنده القضاة والاعيان .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع شوال قدم الأمير خيار بن مهنا إلى دمشق ساءعاً مطيعاً ، بعد أن جرت بينه وبين الجيوش حروب متطاولة ، كل ذلك ليطأ البساط ، فأبى خوفاً من المسك والحبس أو القتل ، فبعد ذلك كله قدم هذا اليوم قاصداً الديار المصرية ليصطلح مع الأمير الكبير يلبغا ، فتلقاه الحجة والمهندارية والخلق ، وخرج الناس للفرجة ، فنزل القصر الأبلق ، وقدم معه نائب حماة عمر شاه فنزل معه ، وخرج معه ثانی يوم إلى الديار المصرية . وأقرأني القاضي ولي الدين عبد الله وكيل بيت المال كتاب والده قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية ، أن الأمير الكبير جدد درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وجعل لكل فقيه منهم في الشهر أربعين درهماً ، وأردب قح ، وذكر فيه أن جماعة من غير الحنفية انتقلوا إلى مذهب أبي حنيفة لينزلوا في هذا الدرس .

﴿ درس التفسير بالجامع الأموي ﴾

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبع مائة حضر الشيخ العلامة الشيخ عماد الدين بن كثير درس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكلي بغارحمه الله تعالى من أوقاف الجامع الذي جردها في حال نظره عليه أتاه الله ، وجعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسة عشر طالباً لكل طالب في الشهر عشرة دراهم ، وللمعيد عشرون وللكاتب الغيبة عشرون ، وللمدرس ثمانون ، وأصدق حين دعوته لحضور الدرس ، فحضر واجتمع القضاة والاعيان ، وأخذ في أول تفسير الفاتحة ، وكان يوماً مشهوداً والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعفة انتهى . (١) قضاة الحنابلة الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضي الجبل المقدسي ، وناظر الدواوين سـعد الدين بن التاج إسحق ، وكاتب السر فتح الدين بن الشهيد ، وهو شيخ الشيوخ أيضاً ، وناظر الجيوش الشامية بهان الدين بن الحلي ، ووكيل بيت المال القاضي ولي الدين بن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء . انتهى .

﴿ سفر نائب السلطنة إلى الديار المصرية ﴾

لما كانت ليلة الحادي والعشرين قدم طشتمر دويدار يلبغا على البريد ، فنزل بدار السعادة ، ثم (١) كذا بنسخ الاستانة وفي المصرية بياض نصف صفحة من الأصل . وهذا يدل على أن هذا الكلام من تأليف تلميذ ابن كثير وسقط كلام فيه أول السنة .

ركب هو ونائب السلطنة بعد العشاء الأخيرة في المشاعل ، والحجبة بين أيديهما واخلاق يدعون
لنائبهم ، واستمروا كذلك ذاهبين إلى الديار المصرية ، فأكرمه بلبغا وأنعم عليه وسأله أن يكون
ببلاد حلب ، فأجابته إلى ذلك وعاد فنزل بدار سنجر الاسماعيلي ، وارتحل منها إلى حلب ، وقد
اجتمعت به هنالك وتأسف الناس عليه ، وناب في الغيبة الأمير سيف الدين زباله ، إلى أن قدم
النائب المعز السيفي قشتمر عبد الغنى على ما سيأتي . وتوفي القاضي شمس الدين بن منصور الحنفي
الذي كان نائب الحكم رحمه الله يوم السبت السادس والعشرين من المحرم ، ودفن بالبواب الصغير ،
وقد قارب الثمانين .

وفي هذا اليوم أو الذي بعده توفي القاضي شهاب الدين أحمد ابن الوزوازة ناظر الأوقاف
بالصالحية . وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث صفر نودي في البلد أن لا يتخلف أحد من أجناد الحلقة عن
السفر إلى بيروت ، فاجتمع الناس لذلك فبادر الناس والجيش ملبسين إلى سطح المزة ، وخرج
ملك الأمراء أمير على كان نائب الشام من داره داخل باب الجابية في جماعته ملبسين في هيئة
حسنة وتجميل هائل ، وولده الأمير ناصر الدين محمد وطلبه معه ، وقد جاء نائب الغيبة والحجبة إلى
بين يديه إلى وطاقه وشاوروه في الأمر ، فقال : ليس لي هاهنا أمر ، ولكن إذا حضر الحرب
والقتال فلي هناك أمر ، وخرج خلق من الناس متبرعين ، وخطب قاضي القضاة تاج الدين الشافعي
بالناس يوم الجمعة على العادة ، وحرص الناس على الجهاد ، وقد ألبس جماعة من غلمانة اللامة والحوذ
وهو على عزم المسير مع الناس إلى بيروت والله الحمد والمنة . ولما كان من آخر النهار رجع الناس إلى
منازلهم وقد ورد الخبر بأن المراكب التي رويت في البحر إنمسا هي مراكب تجار لا مراكب قتال ،
فطابت قلوب الناس ، ولكن ظهر منهم استعداد عظيم والله الحمد .

وفي ليلة الأحد خامس صفر قدم بالأمر سيف الدين شرشي الذي كان إلى آخر وقت نائب
حلب محتاطا عليه بعد العشاء الآخرة إلى دار السمادة بدمشق ، فسير معزولا عن حلب إلى
طرابلس بطالا ، وبعث في سرجين صحبة الأمير علاء الدين بن صباح .

وبلغنا وفاة الشيخ جمال الدين بن نباتة حامل لواء شعراء زمانه بديار مصر بمصرستان الملك
المنصور قلاوون ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر من هذه السنة رحمه الله تعالى . وفي ليلة ثامن هرب
أهل حبس السد من سجنهم وخرج أكثرهم فأرسل الولاة صبيحة يومئذ في أثرهم فمك كثير ممن
هرب فضر بهم أشد الضرب ، وردوهم إلى سمر المنقلب .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره نودي بالبلدان أن لا يعامل الفرنج البنادق والحبوب والكيبتلان
واجتمعت في آخر هذا اليوم بالأمر زين الدين زباله نائب الغيبة النازل بدار الذهب فأخبرني أن

البريدى أخبره أن صاحب قبرص رأى في النجوم أن قبرص مأخوذة ، فجهز مركبين من الأسرى الذين عنده من المسلمين إلى يلبغا ، ونادى في بلاده أن من كتم مسلماً صغيراً أو كبيراً قتل ، وكان من عزمه أن لا يبقى أحداً من الأسرى إلا أرسله .

وفي آخر نهار الأربعاء الخامس عشره قدم من الديار المصرية قاضى القضاة جمال الدين المسلاتى المالكى الذى كان قاضى المالكية فعزل فى أواخر رمضان من العام الماضى ، فخرج ثم قصد الديار المصرية فدخلها لعله يستغيث فلم يصادفه قبول ، فادعى عليه بعض الحجاب وحصل له ما يسوءه ، ثم خرج إلى الشام فجاء فنزل فى التربة السكلمية شمالى الجامع ، ثم انتقل إلى منزل ابنته متمرصاً ، والطلابات والدعاوى والمصالحات عنه كثيرة جداً ، فأحسن الله عاقبته .

وفى يوم الأحد بعد العصر دخل الأمير سيف الدين طيغيا الطويل من القدس الشريف إلى دمشق فنزل بالقصر الأتلق ، ورحل بعد يومين أو ثلاثة إلى نيابة حماة حرسها الله بتقليد من الديار المصرية ، وجاءت الاخبار بتولية الأمير سيف الدين منكلى بغا نيابة حلب عوضاً عن نيابة دمشق وأنه حصل له من التشريف والتكريم والتشريف بديار مصر شئ كثير ومال جزيل وخيول وأقشة وتحف يشق حصرها ، وأنه قد استقر بدمشق الأمير سيف الدين اقشتمر عبد الغنى ، الذى كان حاجب الحجاب بمصر ، وعوض عنه فى الحجوبية الامير علاء الدين طيغيا أستاذ دار يلبغا وخلع على الثلاثة فى يوم واحد .

وفى يوم الأحد حادى عشر ربيع الأول اشتهر فى البلد قضية الفرنج أيضاً بمدينة الاسكندرية وقدم بريدى من الديار المصرية بذلك ، واحتيط على من كان بدمشق من الفرنج وسجنوا بالقلعة وأخذت حواصلهم ، وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى يومئذ أن أصل ذلك أن سبعة مراكب من التجار من البنادقة من الفرنج قدموا إلى الاسكندرية فباعوا بها واشتروا ، وبلغ الخبر إلى الأمير الكبير يلبغا أن مركباً من هذه السبعة إلى صاحب قبرص ، فأرسل إلى الفرنج يقول لهم : أن يسلموا هذه المركب فامتنعوا من ذلك وبادروا إلى مراكبهم ، فأرسل فى آثارهم ستة شوانى مشحونة بالمقاتلة ، فالتقواهم والفرنج فى البحر فقتل من الفريقين خلق ولكن من الفرنج أكثر وهربوا فارين بما معهم من البضائع^(١) فجاء الأمير على الذى كان نائب دمشق أيضاً فى جيش مبارك ومعه ولده ومماليكه فى تجمل هائل ، فرجع الأمير على واستمر نائب السلطنة حتى وقف على بيروت ونظر فى أمرها ، وعاد سريراً . وقد بلغنى أن الفرنج جاؤا طرابلس غزاة وأخذوا مركباً للمسلمين من المينا وحرقوه ، والناس ينظرون ولا يستطيعون دفعهم ولا منعهم ، وأن الفرنج كروا راجعين ، وقد أسروا

(١) كذا بالأصول التركية وبالمصرية بياض حول ثلاث صفحات بالاصل .

ثلاثة من المسلمين ، فانا لله وانا إليه راجعون . انتهى والله أعلم .
 ﴿ مقتل يلبغا الأمير الكبير ﴾

جاء الخبر بقتله إلينا بدمشق في ليلة الاثنين السابع عشر من ربيع الاخر مع أسيرين جاءا على البريد من الديار المصرية ، فأخبرا بمقتله في يوم الاربعاء ثاني عشر هذا الشهر : تملاً عليه مما ليك حتى قتلوه يومئذ ، وتغيرت الدرلة ومسك من أمراء الأتوف والطبلخانات جماعة كثيرة ، واختببت الأمور جداً ، وجرت أحوال صعبة ، وقام بأعباء القضية الأمير سيف الدين طيتمر النظامي وقوى جانب السلطان ورشد ، وفرح أكثر الأمراء بمصر بما وقع ، وقدم نائب السلطنة إلى دمشق من بيروت فأمر بدق البشائر ، وزينت البلد ففعل ذلك ، وأطلقت الفرنج الذين كانوا بالقلعة المنصورة فلم يهن ذلك على الناس .

وهذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده ، وصلواته على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، وجعل الليل والنهار آيتين من آياته وليعلم بهما العباد عدد السنين والحساب ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد النبي المصطفى ، والحبيب المجتبي الذي كان ميلاده آية من آيات ربه ، تنكست به الأصنام ، واندك له إيوان كسرى ، وغار به ماء ساوة ، وكانت رسالته نوراً للعالمين ، وإظهاراً للدين الحق ، وسحقاً للاديان الباطلة التي نسخت دينه ، كما كانت هجرته مبدأ تاريخ المسلمين ، وإبطالاً للعمل بالتواريخ السالفة في الامم الماضية .
 (أما بعد) فيقول العبد الفقير ، الذليل الحقير ، خادم العلم وعلماؤه الملة الخفيفة المرضية المصحح بالمطبعة الآتي ذكرها : لقد تم بحمد الله تعالى طبع الجزء الرابع عشر من كتاب « البداية والنهاية » للعلامة ابن كثير ، وبه تم القسم الاول من كتابه وهو المسمى بالبدية ، إذ أن المصنف رحمه الله جعل كتابه قسمين الاول في الكلام على الخلائق والكائنات من بدء الخلق إلى الهجرة النبوية ، ورتب ما بعد ذلك على السنين الهجرية إلى قبيل وفاته ، وسمى هذا القسم « البداية » والقسم الثاني في الكلام على الفتن والملاحم في آخر الزمان وسماه « النهاية » وسيكون أول الجزء الخامس عشر . وذلك بالمطبعة السعيدة العامرة « مطبعة السعادة » لصاحبها ومديرها الحاج محمد إسماعيل ، أقر الله عينه بنجمله العزيز إسماعيل وبقية أولاده وأبقاه لهم وحفظهم عليه ، ومتعه وإياهم بالصحة والرفاهية ، وأعانهم على عمل الخيرات وطبع مثل هذا الكتاب من المهمات التي يحتاجها كل مسلم ومتعلم وعالم . كان الفراغ من طبع هذا الجزء في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة من سنة ١٣٥٨ هجرية ، وكان يوم خروج المحمل المصري إلى البلاد الحجازية على ساكنها المصطفى أتم الصلاة وأزكى التحية . اهـ المصحح

عبد الحفيظ سعد عطية

فهرست

﴿ الجزء الرابع عشر من البداية والنهاية ﴾

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢	سنة ثمان وتسعين وستمائة	١٧	سنة إحدى وسبعمائة . وما حصل فيها من الحوادث والعزل عن المناصب والتولية
٣	مقتل المنصور لاجين	١٨	قدوم البريد إلى الشام يحمل خبر وفاة أمير المؤمنين الخليفة العباسي بمصر
٤	من توفي في هذه السنة من الأعيان والقضاة	١٩	ذكر وفاة الحاكم بأمر الله العباسي وقليل من ترجمته
٦	سنة تسع وتسعين وستمائة	٢٠	خلافة ولده المستكفي بالله . ذكر من توفي في هذه السنة من المشاهير
٨	وقعة قازان التتري ودخولهم دمشق	٢١	سنة اثنتين وسبعمائة من الهجرة . وفيها كان فتح جزيرة أروان
٨	الخطبة لقازان على منبر دمشق يوم الجمعة	٢٢	مجيئة من مجائب البحر - إشاعة الأخبار القوية بعزم التتار على دخول الشام
٩	مصادر قازان لأهل الشام	٢٣	أوائل وقعة شقحب بين المسلمين والتتار
١٠	خروج التتار من الشام	٢٤	خروج العساكر الشامية إلى جهة العدو
١١	عود الخطبة في دمشق باسم صاحب مصر	٢٥	صفة وقعة شقحب
١٢	شنق طائفة من الذين كانوا يلوذون بالتتر ويؤذون المسلمين	٢٦	هزيمة التتار والتجاؤهم إلى الجبال والتلول ودخول سلطان مصر إلى دمشق
١٣	من توفي في هذه السنة من القضاة والأعيان والمشاهير	٢٧	من توفي في هذه السنة من القضاة والأعيان ومنهم قاضي القضاة ابن دقيق العيد
١٤	سنة سبعمائة من الهجرة النبوية وفيها عاد التتر إلى الشام تانياً	٢٨	سنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة
١٥	خروج الشيخ ابن تيمية إلى مصر لحث من بها من الحكام والجنود على الخروج لجهاد العدو ودفع التتار عن الشام	٢٩	موت قازان ملك التتر وتولية أخيه خر بندا من توفي في هذه السنة من الأعيان
١٦	عوده إلى دمشق ووصول الأخبار إليها بعدم وصول التتار إلى الشام واطمئنان الناس لذلك	٣٠	ترجمة والد الشيخ ابن كثير مؤلف هذا الكتاب
		٣٣	سنة أربع وسبعمائة من الهجرة وما فيها من

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
	الاسكندرية وإحضاره معززاً مكرماً . وما		الحوادث والوفيات
	حصل من السلطان إلى ابن تيمية من	٣٥	سنة خمس وسبعمائة من الهجرة
	الاعظام والاحترام وثناء القضاة على ابن	٣٦	ذكر ما جرى للشيخ تقي الدين ابن تيمية
	تيمية		مع الأحمديّة وكيف عقدت له المجالس الثلاثة
٥٥	مسك جماعة من الأمراء والقضاة والأعيان	٥٠	أول المجالس الثلاثة لشيخ الاسلام ابن
٥٥	ذكر مقتل الجاشنكير		تيمية
٥٦	من توفى في هذه السنة من الأمراء والقضاة	٣٧	المجلس الثاني والثالث واعتقاله تحت التحقيق
	والأعيان	٣٩	من توفى في هذه السنة من القضاة والأعيان
٥٧	سنة عشر وسبعمائة	٤٥	سنة ست وسبعمائة من الهجرة
٥٨	ماحصل من الحوادث في هذه السنة ومسك	٤٣	من توفى فيها من الأعيان والقضاة
	سبعة أمراء من دمشق وأربعة عشر أميراً		ومنهم خطيب الكلاسة الشيخ الخلالطي
	من القاهرة	٤٤	سنة سبع وسبعمائة من الهجرة
٦٠	من توفى فيها من الأعيان والقضاة	٤٥	اجتماع قاضي القضاة ابن جماعة بشيخ
	سنة إحدى عشرة وسبعمائة		الاسلام ابن تيمية في قلعة الجبل وتصميم ابن
٦١	ماحصل من الحوادث فيها ومنها نقل الافرم		تيمية على بقاءه في الحبس
	إلى نيابة طرابلس	٤٦	قدوم العلامة ابن كثير بأهله من بصرى
٦٢	مسك نائب صغد		إلى دمشق بعد وفاة والده
٦٣	من توفى فيها من القضاة والأعيان	٤٧	سنة ثمان وسبعمائة من الهجرة . وفيها خرج
	والمشاهير		الشيخ ابن تيمية من السجن
٦٥	سنة اثني عشرة وسبعمائة وما حصل فيها	٤٧	ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس
	من الحوادث	٤٩	سنة تسع وسبعمائة من الهجرة
٥٠	نيابة الأمير تنكز على الشام		الذهاب بالشيخ ابن تيمية إلى ثغر اسكندرية
٦٦	حصول الخوف الشديد لأهل دمشق لما		وحبسه هناك
	بلغهم تحرك التتار نحوهم	٥٠	عزل الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني عن
٦٧	خروج السلطان من مصر إلى دمشق لملاقاة		نظر المارستان بسبب اتهامه إلى ابن تيمية
	التتار	٥١	صفة عود الملك الناصر محمد ابن المنصور
٦٨	من توفى فيها من الأعيان ومنهم صاحب		فلاوون إلى الملك
	ماردين	٥٣	دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل
٥٠	سنة ثلاث عشرة وسبعمائة		يوم عيد الفطر وطلبه الشيخ ابن تيمية من

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
من توفى فيها من الأعيان ومنهم العارف	٨٩	مسك الوزير أمين الملك وجماعة من الكبار	٦٩
العابد الصالح عمر بن قوام وترجمته بتوسع		معه . وذكر من توفى في هذه السنة من	
وفاة الشاعر المجيد تقي الدين أحمد بن تمام	٩٠	الأعيان	
« قاضي القضاة زين الدين ابن مخلوف	٠٠	سنة أربع عشرة وسبعمائة وما حصل فيها	٧٠
النويري		من الحوادث ومن توفى فيها من الأعيان	
وفاة كمال الدين ابن الشريشني	٩١	سنة خمس عشرة وسبعمائة	٧٢
سنة تسع عشرة وسبعمائة	٩٢	فتح ملطية	٧٣
ذكر وقعة كبيرة بين التتار وأهل الشام	٩٣	مسك بكتمر الحاجب وأيدغدي شقير	٠٠
من توفى فيها من الأعيان	٩٤	وغيرها	
سنة عشرين وسبعمائة	٩٥	من توفى في هذه السنة من الأعيان ومنهم	٧٤
وفيها عمر ابن المرجاني مسجد الخيف	٩٦	صفي الدين الهندي	
ذكر وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين	٠٠	سنة ست عشرة وسبعمائة	٧٥
المسلمين والفرننج		ما حصل فيها من الحوادث	٧٦
مسك الأمير علاء الدين الجاولي وحمله	٩٧	خروج الركب الشامي إلى الحجاز	٧٧
إلى الاسكندرية		وصول الخبر إلى دمشق بموت ملك التتار	٠٠
سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . وفيها	٩٨	خر بندا	
خرج الشيخ تقي الدين من حبس القلعة		من توفى فيها من الأعيان ومنهم ابن عرفة	٧٨
بمد إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً		صاحب التذكرة الكندية . والشيخ تقي	
من توفى فيها من الأعيان	١٠٠	الدين الموصلی ، والشيخ الصدر ابن الوكيل	
سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة	١٠١	وترجمته بتوسع	
فتح إياس ومعاملتها وانزاعها من الأرمن	١٠٢	سنة سبع عشرة وسبعمائة .	٨١
من توفى فيها من الأعيان والمشاهير	١٠٣	ومما حصل فيها من الحوادث مجيء سيل	
سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة	١٠٥	عظيم إلى بعلبك أهلك خلقاً كثيراً من	
وما حصل فيها من الحوادث		الناس وتقدمه رعد وبرق شديدان	
من توفى فيها من القضاة والمشاهير ، منهم	١٠٦	إغارة جيش حلب على مدينة آمد	٨٢
الامام المؤرخ كمال الدين الفوطي . وقاضي		صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة	٨٣
القضاة نجم الدين بن صصري		من توفى فيها من الأعيان	٨٤
وفاة الشيخ الجليل المسند المعمر الرحلة	١٠٨	سنة ثمان عشرة وسبعمائة	٨٦
بهاء الدين أبي القاسم الوزير ثم الأمير نجم		ما حصل فيها من الحوادث من العزل والتولية	٨٧

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الدين البصراوي	١٣٣	الدين البصراوي	١٠٩
ما جرى في هذه السنة من الحوادث والوقائع	١٣٥	وفاة الشيخ أبي نصر بن محمد بن بNDAR	١١٠
ذكر وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية ووصف جنازته وتاريخ حياته مجملا	١٤٠	الشيرازي	١١١
بعض أعمال النائب الكبير الأمير تنكز	١٤١	وفاة أبي عبد الله الخرائي المعروف بابن النجيج	١١١
من توفي في هذه السنة من المشايخ والقضاة والأعيان	١٤٣	سنة أربع وعشرين وسبعمائة	١١٢
سنة تسع وعشرين وسبعمائة	٠٠٠	مباشرة عز الدين ابن الفلانسى الحسبة	١١٤
وفي يوم الجمعة آخر ربيع الآخر صلى على	١٤٤	ما حصل فيها من الحوادث	١١٧
تقى الدين ابن تيمية بالمدينة المنورة صلاة الغائب	١٤٦	من توفي فيها من القضاة والأعيان والمشاهير	١١٧
من توفي فيها من الأعيان والأمرء والقضاة	١٤٨	سنة خمس وعشرين وسبعمائة . وفيها جرد السلطان تجريدة إلى اليمن بسبب خروج عمه عليه	١١٩
وفاة العلامة الشيخ الفزاري	٠٠٠	من توفي فيها من الأعيان والمشايخ والقضاة	١٢٢
سنة ثلاثين وسبعمائة	١٤٩	سنة ست وعشرين وسبعمائة	١٢٣
ما وقع فيها من الحوادث والأعمال الدولية	١٥٢	اعتقال شيخ الاسلام ابن تيمية بقلعة دمشق عند العصر من يوم الاثنين سادس عشر شعبان	١٢٤
من توفي فيها من الأعيان والمشاهير	٠٠٠	ابتداء تدريس العلامة ابن جهبل بالشامية الجوانية	١٢٥
سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة	١٥٣	من توفي في هذه السنة من القضاة والأعيان	١٢٧
أعمال الأمير تنكز بالشام	١٥٤	سنة سبع وعشرين وسبعمائة	١٢٨
ما وقع فيها من الحوادث والأعمال الدولية	١٥٦	وقوع فتنة كبيرة بالاسكندرية بين المسلمين والفرنج	١٢٩
من توفي فيها من القضاة والأعيان والأمرء	١٥٧	من توفي في هذه السنة من الأعيان .	١٣٠
سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة	١٥٨	وفاة الملك الكامل ناصر الدين	١٣١
ما وقع فيها من الحوادث	١٦٠	وفاة الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني	١٣٢
من توفي فيها من الأعيان والقضاة	١٦١	سنة ثمان وعشرين وسبعمائة	١٣٢
سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة	١٦٢	وفي ذي القعدة منها كانت وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية	
ما حصل من الأعمال في هذه السنة	١٦٤		
من توفي فيها من الأعيان والقضاة	١٦٥		
سنة أربع وثلاثين وسبعمائة	١٦٦		
قضية القاضي ابن جملة			
خروج المحمل الشامي إلى الحجاز وما وقع في هذه السنة من الأعمال والحوادث			

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة	١٩١	من توفي في هذه السنة من الأعيان	١٦٧
وفاة الشيخ الحافظ أبي الحجاج المزى		سنة خمس وثلاثين وسبعمائة	١٦٩
كائنة غريبة جداً	١٩٢	مسك الأمير مشد الدواوين والاحتياط	١٧٠
ذكر بعض ما وقع في هذه السنة من	١٩٣	على دار بكتمر الحاجب . وخروج الحمل	
الحوادث		الشامى	
كائنة غريبة	١٩٤	من توفي من الأعيان في هذه السنة	١٧١
عجيبة من عجائب الدهر	١٩٦	سنة ست وثلاثين وسبعمائة	١٧٣
ذكر حوادث وقعت في هذه السنة	١٩٧	خروج الحمل الشامى . ذكر من توفي فيها	١٧٤
سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة	٢٠١	من الأعيان	
ما وقع في هذه السنة من الأعمال الدولية	٢٠٢	سنة سبع وثلاثين وسبعمائة	١٧٦
والحوادث ومن توفي فيها		ما جرى فيها من الأعمال وما وقع من	١٧٧
سنة أربع وأربعين وسبعمائة	٢٠٩	الحوادث	
ما حصل فيها من الأعمال والحوادث		من توفي فيها من الأعيان	١٧٨
سنة ست وأربعين وسبعمائة	٣١٥	سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة	١٨٠
وفاة الملك الصالح إسماعيل	٢١٦	ما وقع فيها من الحوادث	٠٠٠
تدريس تقي الدين السبكي بالشامية البرانية		من توفي فيها من الأعيان والقضاة والمشاهير	١٨١
ما حصل في هذه السنة من الحوادث	٢١٧	سنة تسع وثلاثين وسبعمائة	١٨٤
سنة سبع وأربعين وسبعمائة	٢١٨	وإلى هنا آخر ما كتبه العلامة ابن كثير	
ذكر ما وقع من الاضطراب بدمشق بسبب	٢١٩	ويبتدىء ما كتبه أحد تلامذته على لسانه	
الخلافة بين فائها وسلطان مصر . وغير		رحمهما الله .	
ذلك من الحوادث		من توفي في هذه السنة من الأعيان	٠٠٠
سنة ثمان وأربعين وسبعمائة	٢٢١	وفاة قاضى القضاة جلال الدين القزوينى	١٨٥
ما حصل فيها من الحوادث		سنة أربعين وسبعمائة	١٨٦
مقتل المظفر ملك مصر وتولية الناصر حسن	٢٢٤	مسك الأمير تنكز وسبب ذلك	١٨٧
ابن الناصر مكانه		وفاة أمير المؤمنين المستكفي بالله	٠٠٠
سنة تسع وأربعين وسبعمائة	٢٢٥	سنة إحدى وأربعين وسبعمائة	٠٠٠
اجتماع أهل دمشق بعد صومهم ثلاثة أيام	٢٢٦	وفاة الأمير تنكز	١٨٨
للدعاء والتضرع إلى الله في رفع الوباء الشديد		ما وقع فيها من الحوادث	١٨٩
الذى وقع بهم		ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون	١٩٠

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
ما وقع فيها من الأعمال الدولية والحوادث	٢٥٣	ما وقع في هذا السنة من الأعمال والحوادث	٢٢٧
سنة ثمان وخمسين وسبعمائة	٢٥٦	سنة خمسين وسبعمائة	٢٢٩
كائنة غربية جداً	٢٥٧	مسك نائب السلطنة أرغون شاه	٢٣٠
وفاة أرغون السكامل	٢٥٨	كائنة عجبية غربية جداً	
وفاة الأمير شيخون	٥٠٠	بقية ما وقع من الحوادث	٢٣١
سنة تسع وخمسين وسبعمائة	٥٠٠	سنة إحدى وخمسين وسبعمائة	٢٣٣
دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق	٢٦١	ترجمة الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية	٢٣٤
عزل القضاة الثلاثة بدمشق المحروسة	٥٠٠	باقي ما وقع من الحوادث في هذه السنة	٢٣٥
مسك الأمير صرغتمش إتابك الامراء بمصر	٢٦٢	سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة	٢٣٧
إعادة القضاة المعزولين إلى مناصبهم	٥٠٠	كائنة غربية	٢٣٩
عزل منجك عن دمشق وسفره إلى صفد نائباً بها	٢٦٣	مملكة السلطان الصالح صلاح الدين	٥٠٠
سنة ستين وسبعمائة	٢٦٤	ما وقع من الحوادث في هذه السنة	٢٤٠
مسك الأمير على المارداني نائب الشام	٢٦٥	سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة	٢٤١
كائنة وقعت بقرية حوران	٥٠٠	ترجمة باب جير ون المشهور بدمشق	٥٠٠
دخول نائب السلطنة الامير سيف الدين استدمر دمشق	٢٦٦	بيان مدة هذا الباب وزيادتها على أربعة آلاف سنة	٢٤٢
سنة إحدى وستين وسبعمائة	٢٦٧	دخول يلبغا أروش إلى دمشق	٢٤٣
مسك منجك وصفة الظهور عليه	٢٦٨	ذكر حوادث واضطرابات وقعت بدمشق	٢٤٤
الاحتياط على الكتبة والدواوين	٢٦٩	قتل الامراء السبعة من أصحاب يلبغا	٢٤٦
موت فياض بن مهنا	٢٧٠	خروج السلطان من دمشق متوجهاً إلى الديار المصرية	٥٠٠
كائنة غربية جداً	٥٠٠	سنة أربع وخمسين وسبعمائة	٢٤٧
مسك نائب السلطنة استدمر	٢٧٢	ذكر أمر غريب جداً	٢٤٨
دخول نائب السلطنة الامير سيف الدين بيدمر إلى دمشق	٢٧٣	سنة خمس وخمسين وسبعمائة	٢٤٩
الأمر بالزام القلندية بترك حلق لحام	٢٧٤	نادرة من الغرائب	٢٥٠
سنة اثنتين وستين وسبعمائة	٢٧٥	عودة الملك الناصر حسن إلى الملك	٢٥١
سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد	٢٧٨	سنة ست وخمسين وسبعمائة	٥٠٠
		أعمال المملكة والنواب في هذه السنة	٢٥٢
		سنة سبع وخمسين وسبعمائة	٢٥٣

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
غريبة من الغرائب وعجيبة من العجائب	٣٠٠	ابن الملك المظفر	
سلطنة الملك الاشرف ناصر الدين شعبان	٣٠٢	تنبية على واقعة غريبة واتفاق عجيب	٢٨٠
ابن حسن		وفاة الحافظ علاء الدين مغلطاى المصرى	٢٨٢
وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة	٣٠٣	خروج ملك الأمراء بيدمر من دمشق	٢٨٣
دخول نائب السلطنة منكلى بقا إلى دمشق	٣٠٤	إلى غزة	
نائبها		وصول السلطان الملك المنصور إلى المصطبة	٢٨٥
سنة خمس وستين وسبعمائة	٣٠٥	غربي عقبة سجورا	
ذكر ما وقع فيها من انتشار الجراد بالشام	٠٠٠	سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك	٢٨٦
والوباء الشديد بالديار المصرية		دخول الملك المنصور إلى دمشق في جيشه	٠٠٠
ذكر بعض الاعمال الدولية وموت بعض	٣٠٦	وجنوده	
القضاة		مسك الامير تومان تمر نائب طرابلس كان	٢٨٧
فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتى	٣٠٧	خروج السلطان من دمشق قاصداً مصر	٢٨٨
سنة		سنة ثلاث وستين وسبعمائة	٢٩٠
ذكر شدة إفساد الجراد بالشام وتفاقم أمر	٣٠٨	منام غريب جداً	٢٩١
الوباء بمصر		وفاة قاضى قضاء المالكية الاخنائى بمصر	٠٠٠
تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق	٣٠٩	ذكر بعض من توفى من الامراء في هذه السنة	٢٩٢
سنة ست وستين وسبعمائة	٠٠٠	موت الخليفة المعتضد بالله وخلافة المتوكل	٢٩٣
قتل الرافضى الخبيث الذى كان يسب	٣١٠	على الله	
الشيخين		أعجوبة من العجائب	٢٩٤
استنابة ولى الدين ابن أبى البقاء السبكي	٣١١	عزل الامير على عن نيابة دمشق المحروسة	٢٩٥
ولاية قاضى القضاء بهاء الدين أبى البقاء	٠٠٠	سفر قاضى القضاء تاج الدين ابن السبكي	٠٠٠
السبكي قضاء القضاء بالديار المصرية		مطلوبا إلى الديار المصرية	
ذكر بعض أعمال دولية وبعض الوفيات	٣١٢	أعجوبة أخرى غريبة	٠٠٠
طرح مكس القطن المغزول الخ	٣١٣	دخول نائب السلطنة سيف الدين تشتمر	٢٩٦
سنة سبع وستين وسبعمائة	٠٠٠	إلى دمشق	
استيلاء الفرنج على مدينة الاسكندرية	٣١٤	قدوم قاضى القضاء بهاء الدين ابن السبكي	٠٠٠
وخر وجهم منها بالغنائم والاسرى		عوضاً عن أخيه تاج الدين	
صفة عقد مجلس بسبب قاضى القضاء تاج	٣١٦	سنة أربع وستين وسبعمائة	٢٩٧
الدين السبكي وماحصل فيه من المناقشات		بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم	٢٩٩

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
المسلمين والامير الكبير بها.		بين حزبه ونوابه والفرق الآخر	
درس النفسير بالجامع الاموى		إعادة المجلس ثانيا وتوقيع الصلح بينهم	٣١٧
سفر نائب السلطنة إلى الديار المصرية	٠٠٠	بإشارة نائب السلطنة رحمه الله .	
كثير من الاعمال الدولية من تنقلات وغيرها	٣٢٢	عودة قاضي القضاة تاج الدين السبكي إلى	٣١٨
و وفاة بعض القضاة		دمشق	
اشتهار قضية الفرنج بمدينة الاسكندرية	٣٢٣	الوقعة بين الامراء بمصر	
والاحتياط على الفرنج الذين بالشام من		مما يتعاق بأمر بغداد	٣١٩
أجل ذلك وسجنهم بالقلعة والاحتياط على		وفاة قاضي القضاة عز الدين ابن حاتم	٠٠٠
حواصلهم .		أخبار متنوعة	٣٢٠
مقتل الامير الكبير يدبغا الخصاصكي	٣٢٤	بجى الامير خيار بن مهنا إلى دمشق قاصدا	٣٢١
(تم الفهرس والحمد لله)		الديار المصرية جميعا مطيعا إلى خليفة	



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0315333116

DATE DUE

REC. MAR 1 6 1988

DATE DUE

030286

00 01 02 03 04 05 06 07 08 09 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20
21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40
41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60
PRINTED IN U.S.A.

893.712

Ab91
v.13-14

08030286

893.712
AB91 V13-14 C1
ABU AL-FIDA

